

الجامعة الإسلامية ــ غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

ضوابط التكفير في ألفاظ الذم في القرآن الكريم

دراسة تحليلية

إعداد الطالب

مصطفى محمد حسين الشريف

إشراف الدكتور

نسيم شحدة ياسين

قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية ــ غزة

١٤٣٢ هـ ــ ٢٠١١ م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الزُّمَر:٢٧]

﴿ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾ [الزُّمَر:٢٨]

﴿ حمٓ ﴾ [فُصِّلت:١]

﴿ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [فُصِّلت:٢]

﴿ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ [فُصِّلت:٣]

﴿ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴾ [فُصِّلت:٤]

﴿ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ﴾ [ق:١٧]

﴿ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴾ [ق:١٨]

ملخص البحث باللغة العربية

ضوابط التكفير في ألفاظ الذم في القرآن الكريم

دراسة تحليلية

لقد تعددت الفرق في تاريخ الأمة الإسلامية تعددا كبيراً، منهم من ظل داخل حظيرة الإسلام رغم بعض شطحاته عن القواعد الصحيحة للدين الحنيف، ومنهم من بعد عن الدين بعد المشرق عن المغرب.

ولما كان كلٌ يدعي أنه على الحق وما سواه على باطل، ويقيم أدلته من القران والسنة كان لا بد من توضيح مذهب السلف وبيان وسطيتهم بين تلك الفرق.

واعددت هذا البحث مشتملا على فصل تمهيدي وفصلين، الأول منهما في ضوابط التكفير وتكون من مبحثين الأول في ضوابط التكفير بين أهل السنة ومخالفيهم، والثاني في مدلولات التكفير في الأقوال والأعمال والأفعال. وجاء الفصل الثاني مشتملا على ألفاظ الذم في القرآن وقد قسمتها بحسب دلالتها على الكفر من عدمه.

فقمت بتعريف بعض المصطلحات عند السلف ومخالفيهم والتي تتعلق بمجال البحث ويترتب عليها الحكم على الإنسان بالإسلام من عدمه؛ كالإيمان، والكفر وأنواعه وأقسامه ومعانيه التي وردت في القرآن الكريم، والكبائر.

فتبين أن المعاني الشرعية يجب أخذها من الشرع، ولا يجوز طرح ما دلت عليه النصوص بحجة أن اللغة دلت على خلافه، فثبت بذلك أن الإيمان تصديق وقول وعمل إذا انتفى التصديق أو القول انتفى الإيمان بجملته.

وعلى اختلاف الفرق بين الغلو في التكفير والتهاون فيه جاء منهج السلف وسطا فهم لا يكفرون مسلماً بما وقع فيه من الكبائر دون الشرك، مثل: قتل النفس وشرب الخمر والزنا والسرقة وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات المؤمنات وأكل الربا، ونحو ذلك من الكبائر. ولا يمنعون التكفير بإطلاق، ولا يكفرون بكل ذنب ما لم يستحله صاحبه.

وكل من عمل برأيه الفاسد أوقعه في المهالك؛ فشبهة الغلاة والمتهاونين واحدة إلا أنهم على طرفي نقيض، وإنما كان ذلك منهم لبعدهم عن المنهج الصحيح بتعطيلهم لنصوص الكتاب والسنة، واتباعهم لآراء أهل الأهواء والزندقة والمتكلمين.

فمسألة التكفير من المسائل الخطيرة التي لا يحكم فيها إلا الجهابذة من العلماء، ولا يجوز إطلاق أحكام التكفير على أي شخص إلا بتحقق الشروط، وانتفاء الموانع، كما قرر ذلك سلفنا الصالح من أهل السنة والجماعة.

ومنهج السلف الصالح أن الكفر يكون بالعمل والقول والاعتقاد؛ وأن هناك من الأعمال أعمال قد يكفر بها صاحبها كفرا مخرجا من الملة لأنها تدل على كفره دلالة قطعية يقينية.

وكذلك يكون الكفر بالقول وهذا النوع من المكفرات يصعب حصرها نظرا لاختلاف لغات الأمم، فربما تكون لفظة واحدة بمعنيين مختلفين في اللغة الواحدة، وقد تكون الألفاظ المتعددة لمعنىً واحد، وقد يختلف معنى اللفظ بين لغة وأخرى، وقد تتوافق دلالات الألفظ وقد تختلف.

وكذلك يكون الكفر بالاعتقاد لأن الإيمان في القلب، فكذلك الكفر والنفاق، وما يظهر من النواقض القولية والفعلية الظاهرة دليل ولازم من لوازم ما في القلب من اعتقاد، والكفر الاعتقادي موطنه القلب، وهو موكول إلى المرء نفسه إذ لا سبيل للاطلاع عليه.

ولا فرق في جميع هذه النواقض القولية والعملية بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره، وكلها من أعظم مداخل الكفر إن لم تكن كفرا، فينبغي للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها على نفسه، ويتقِ الوقوع فيها وإن كانت موطن خلاف عند بعض العلماء في تفصيلاتها، فإن لم تكن كفرا فتكون من باب الشبهة، والشبهة في العقيدة ليست كغيرها، فورودها مهلكٌ وموقعٌ لعذاب الله وسخطه.

وألفاظ القرآن الكريم لها دلالات نابعة من معانيها في اللغة العربية التي نزل بها، إلا أن بعض ألفاظه اكتسبت دلالة خاصة غيرت المعنى الذي وضعت له في اللغة، فأصبحت ذات مدلول شرعي خاص كالصلاة والزكاة والحج والربا. حتى أن بعض هذه الألفاظ التي اعتادها الناس جاءت في القرآن بما يخالف ويضاد ما أرادوه منها كالمطر والترف التي وردت في مضمار العذاب والذم.

وكلام الله تعالى ورسوله ﷺ يحمل على ظاهره وهو الذي يقصد من اللفظ عند التخاطب. ولا يجوز تأويلها إلا بقرينة قاطعة تشهد لها اللغة ولا تعارض النصوص الصريحة أو مقاصد الشريعة، والألفاظ التي جاءت في القرآن تحمل معاني الكفر أو صفات للكفار إذا انفردت في غير القرآن فإنها لا تُحمل على الكفر إلا إذا اقترنت بقرينة تدل على ذلك.

Controls in the words of atonement in the Holy Quran Slander

Analytical study

We have many teams in the history of the Islamic Ummah has exceeded the multiplicity of the Jews and Christians, many of whom remained in the fold of Islam, despite some fantasies about the proper rules of the religion of Islam, and some of them after about religion after the East from Morocco.

Given that all claims to be on the right and others wrong, and evaluate evidence on the Koran and Sunnah was necessary to clarify the doctrine of the predecessor and the statement of the Stithm between those teams.

I took the definition of some terms when advances and wrongdoing and that relate to research and the effect of governance rights in Islam or not; faith, and disbelief, types and divisions and meanings contained in the Koran, and sins.

It transpired that the meanings must be taken legitimate part of Islam, may not be raised as indicated by the texts on the grounds that the language indicated otherwise, Thus it is established that the ratification of faith, word, and ceased to work if one of them ceased to faith as a whole.

And from different extremes in the difference between atonement and neglecting the approach came advances and compromise, they do not disbelieve what happened when a Muslim is a major sin without shirk, not preventing the launch of atonement.

The issue of the expiation of the serious issues that do not governed only by the pundits of scientists, may not be the launch of the provisions of the atonement on any person except to the conditions and lack of inhibitions, as decided by the righteous forebears of the Sunnis and the community.

And the methodology advances to kufr is a good work, speech and belief; no difference in all these Alnoaqd anecdotal and practical Alhazl between fearful and hard work, but adversity, all the entrances of the greatest blasphemy that were not blasphemous, it should be for a Muslim to warn her, and afraid of himself, and every difficulty falling, even though it dispute at the home of some scientists in its details, the Kafra Vtkon were not a matter of suspicion, and suspicion in the creed is not like any other, fatally Vorodha site to torment and anger of God.

The words Koran has implications stemming from their meanings in the Arabic language by which it was revealed, but some of his words have acquired special significance has changed the meaning and placed him in the language, became a special legal meaning of prayer, Zakat, Hajj and usury. So that some of these terms that people grown accustomed in the Qur'an and in contravention of them contradictory to what they wanted rain and luxury.

إهـــــداء

إلى

روح والدي رحمه الله الذي غرس في حب هذا العلم وعلمني إياه وأوصاني به ما دمت حيا

إلى والدتي التي بدعائها وفقني الله إلى إنجاز هذا العمل

إلى أصدقائي وأحبائي وأهل بيتي

إلى أرواح شهداء فلسطين

إلى السجناء المجاهدين خلف قضبان المحتل

إلى كل مسلم غيور على هذا الدين وهذا الوطن

أهدى هذا العمل

مصطفى محمد الشريف

شكر وتقدير

انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ [النمل:٤٠] وقول رسول الله ﷺ " لا يشكر الله من لا يشكر الناس "[١] أتوجه بالشكر والثناء إلى ربي وخالقي الذي مَنَّ عليَّ برحمته، ومدني بفضله وعونه وأجزل عليّ كثير عطائه؛ فوفقت في إتمام هذا البحث على صورة أحسبها حسنة.

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى أستاذي الفاضل الدكتور/ " نسيم شحدة ياسين "، الذي صبر عليّ حتى خرج هذا البحث على الوجه الأمثل، وأسأل المولى سبحانه وتعالى أن يجزيه عني وعن طلبة العلم خير الجزاء.

كما أتقدم بجزيل الشكر لأستاذي الجليلين، عضوي لجنة المناقشة.

فضيلة الدكتور / **محمود يوسف الشوبكي.**

فضيلة الدكتور / **خالد حسين حمدان.**

لقبولهما مناقشة هذا البحث، ولما بذلاه من جهد ووقت في قراءته، وأسأل الله عز وجل أن ينفعني بملاحظاتهما التي يبديانها لتحسين هذا البحث.

ولا يفوتني أن أسجل خالص شكري وتقديري إلى جامعتي الغراء، الجامعة الإسلامية.

كما أتقدم بالشكر والعرفان إلى أساتذتي الكرام أعضاء الهيئة التدريسية بكلية أصول الدين، الذين أمدوني بنصحهم وإرشادهم منذ بداية طريقي العلمية، ولم يبخلوا بشيء من خبرتهم وعلمهم، واللهَ العظيمَ أسأل أن يبارك لهم في أعمارهم وأعمالهم.

كما لا يفوتني أن أطيّر أغلى برقيات الشكر والثناء لكل الأخوة الذين وقفوا بجانبي أثناء بحثي، كما أشكر أهل بيتي لما بذلوه من صبر وجهد واقفين بجانبي.

لهم جميعا عظيم الشكر سائلا المولى عز وجل أن يجزيهم خير الجزاء.

وأخيراً أتوجه شاكراً ومقدراً كل من ساهم في إخراج هذه الرسالة إلى النور.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في الجامع الصحيح سنن الترمذي / محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي/ دار إحياء التراث العربي / بيروت / تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون / كتاب البر والصلة / باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك / ج٤ صــ ٣٣٩ حديث رقم ١٩٥٤ وقال عنه حسن صحيح وصححه الإلباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته / المكتب الإسلامي حديث رقم ٦٦٠١

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة
المقدمة	١
الفصل التمهيدي	٦
تعريف الإيمان	٧
تعريف الإيمان لغة و اصطلاحا	٩
تنازع الناس في مسمى الإيمان	١١
تعريف الكفر	١٦
تعريف الكفر لغة	١٦
تعريف الكفر اصطلاحا	١٧
أقسام الكفر	٢٢
القسم الأول : ـــ كفر أكبر مخرج من الملة	٢٣
القسم الثاني : كفر أصغر غير مخرج من الملة	٢٣
ملخص الفروق بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر	٢٦
أنواع الكفر الأكبر	٢٧
كفر التكذيب	٢٧
كفر الإباء والاستكبار	٢٩
كفر الإعراض	٣١
كفر الشك	٣٣
كفر النفاق	٣٥
تعريف النفاق لغة وشرعا	٣٦
أقسام النفاق	٣٨
التعريف بالكبائر وعددها	٤٣
الكبيرة في اللغة والاصطلاح	٤٣
الجمع بين الأقوال في تعريف الكبيرة والترجيح	٤٥
الجمع بين الأقوال في عددها	٤٨

حكم مرتكب الكبيرة	٤٨
معاني الكفر في القرآن الكريم	٥١
أمثلة على ألفاظ الكفر ومعانيها في القرآن الكريم	٥٣
الفصل الأول ضوابط التكفير	٥٦
المبحث الأول ضوابط التكفير عند أهل السنة ومخالفيهم	٥٧
المطلب الأول : ــ ضوابط التكفير في العهد النبويّ	٥٨
بعض العقائد والأديان التي سادت الجزيرة العربية قبل البعثة	٥٨
الوثنية	٥٩
عبادة الجن / اليهودية / النصرانية / الحنيفية	٦٠
مظاهر التكفير في العهد المكيّ	٦٢
العقائد التي كفر بها مشركو قريش	٦٢
ما يتعلق بتوحيد الله وأسمائه وصفاته	٦٣
التقليد الأعمى للآباء السابقين في أمور فاسدة	٦٥
القياس الفاسد / تحريف العبادات	٦٦
الإعراض عن آيات الله في الأرض وإنكارها والتكذيب بها	٦٩
الاستهزاء والسخرية بآيات الله ونبيه وبالمؤمنين	٦٩
محاربة الله ورسوله والصد عن سبيل الله	٧٠
منع المؤمنين من مساجد الله ومحاولة ردهم عن دينهم	٧١
المعاملات الفاسدة	٧٢
وأد البنات / نقض العهد والأيمان / الجدل المحض بالباطل	٧٣
إيذاء النبي ﷺ / إيذاء المؤمنين	٧٤
إنكار الغيبيات	٧٥
وصفهم القرآن بأوصاف باطلة	٧٦
مظاهر التكفير في العهد المدني	٧٩
المنافقون واهم صفاتهم	٨٠

القول باللسان ما ليس في القلب / مرض القلب	٨٠
مفسدون يزعمون الإصلاح / سفهاء زائفون	٨١
مخادعون كذابون متآمرون	٨٢
الاستهزاء بالله والرسول والمؤمنين والقرآن / العزة بالإثم / غادرون لا عهد لهم	٨٣
يتولّون الكافرين	٨٤
التربص بالمؤمنين	٨٥
الفرح بما يُصيب المؤمنين من سوء/تمنى كفر المسلمين	٨٥
مُرجِفون / يتولون يوم الزحف	٨٦
رفض الحكم بما أنزل الله / الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف	٨٧
إثارة الفتنة وبث الإشاعات	٨٨
إثارة روح الاختلاف والنزاعات	٨٩
التجسس وخدمة العدو الخارجي / بخلاء في الخير	٩٠
إتباع الهوى / جبناء متخاذلون	٩١
أخذهم بالمتشابه / سوء الظن بالله / التهاون في الصلاة	٩٢
لا يساعدون المسلمين	٩٣
أهل الكتاب وصفاتهم	٩٥
أسباب وصف أهل الكتاب بالكفر	٩٥
صفات الكفر التي اجتمعت في اليهود والنصارى	٩٧
صفات الكفر التي انفرد بها اليهود	١٠٢
صفات الكفر التي انفرد بها النصارى	١٠٨
المرتدون	١١١
الردة في الاصطلاح	١١٢
حكم الردة الشرعي	١١٢
آيات القرآن الكريم في شأن الردة	١١٤
الأحاديث النبوية في الردة	١١٤
إدعاء بعض العرب النبوة كالأسود العنسي ومسيلمة وطليحة	١١٧

المطلب الثاني : ــ ضوابط التكفير عند السلف الصالح	١٢٠
تعريف السلف لغة واصطلاحا	١٢٠
هدي القرآن والسنة في ضبط التكفير	١٢٥
بداية الفتنة بالخروج على عثمان رضي الله عنه ومقتله	١٢٧
الخلاف بين الصحابة رضوان الله عليهم في القصاص من قتلة عثمان	١٢٩
من أين نشأت فكرة التكفير؟	١٣٠
ضوابط التكفير عند السلف	١٣٢
أولا : ــ الحكم بالظاهر	١٣٢
ثانيا : ــ الاحتياط في تكفير المعين أي التفريق بين الحكم على القول والمعين (ليس كل من قال الكفر أو عمله يكون كافرا)	١٣٢
شواهد من كتب السلف على الاحتياط في تكفير المعين	١٣٤
تكفير المعين إذا ثبت كفره	١٣٥
ثالثا : ــ قيام الحجة / الحجة لغة	١٣٧
الحجة اصطلاحا / إقامة الحجة منهج رباني	١٣٨
من أقوال السلف في النص على وجوب إقامة الحجة قبل التكفير	١٤٠
بمَّ تقوم الحجة؟	١٤١
ما يراعى في إقامة الحجة	١٤١
رابعا : ــ عدم التكفير بكل ذنب	١٤٣
خامسا : ــ التحقق من استيفاء شروط التكفير و انتفاء موانعه	١٤٦
شروط التكفير متعلقة بالفاعل	١٤٦
الأول : ــ أن يكون مكلفاً أي بالغاً عاقلاً	١٤٦
الثاني : ــ أن يكون متعمداً أي قاصداً لفعله	١٤٨
الثالث : ــ أن يكون بإرادته مختاراً غير مكره	١٤٩
شروط الإكراه وبم يتحقق ؟	١٥٣
إذا كان الكفر للمكره رخصة فأيهما أفضل ؟	١٥٤
شروط التكفير المتعلقة بالفعل	١٥٥
الأول : ــ أن يكون الفعل مكفراً لا شبهة فيه	١٥٥
الثاني : ــ أن يكون فعل المكلف أو قوله صريح الدلالة على الكفر	١٥٦
الثالث : ــ أن يكون الدليل المُكفِّر صريح الدلالة على التكفير	١٥٦

موانع التكفير	١٥٧
أولا : ــ الجهل	١٥٨
ضابط الجهل الذي يعذر به في التكفير	١٥٩
ثانيا : ــ التأويل	١٦٢
متى يكون التأويل مانعا من الكفر ؟	١٦٤
ثالثا : ــ الخطأ	١٦٧
المطلب الثالث التكفير عند الفرق	١٧١
مواقف الناس من قضية التكفير	١٧٢
المذهب الأول : ــ مذهب الخوارج و المعتزلة وبعض فرق الشيعة	١٧٥
وصف الخوارج في السنة	١٧٨
المذهب الثاني مذهب المرجئة وقسم من الشيعة ومن الجهمية	١٨٦
نشأة الإرجاء والتعريف بإرجاء الــفقهاء	١٨٧
إرجاء المتكلمين وأهل المنطق	١٨٨
سبب التسمية بالمرجئة	١٨٩
وصف المرجئة في السنة	١٩٠
المبحث الثاني مدلولات الذم المراد بها الكفر المخرج من الملة	٢٠٢
معنى الدلالة	٢٠٣
المطلب الأول : ــ دلالات التكفير في الأعمال	٢٠٧
القسم الأول التكفير في التوحيد	٢٠٨
أولا : ــ الشرك في العبادة	٢٠٨
١ــ الذبح لغير الله و الاستقسام بالأزلام	٢٠٨
٢ــ الدعاء والاستغاثة بغير الله	٢٠٩
٣ ــ إدعاء علم الغيب عند ما يسمى بالفتّاحين والكهان والمنجمين في هذا العصر وكذا قراءة الكف والفنجان و المندل وما شابه ذلك	٢١٠
٤ــ الانتماء إلى المذاهب والأحزاب الملحدة كالشيوعية والعَلمانية والرأسمالية وغيرها	٢١١

٥ ــ عبادة القبور بالاستغاثة بمن فيها من الموتى، أو الطواف بها	٢١٢
ثانيا : ــ الحكم بغير ما أنزل الله	٢١٣
متى يكون عدم الحكم بما أنزل الله كفرا مخرجا من الملة؟	٢١٥
١ ــ الامتناع عن الحكم بما أنزل الله مع القدرة على ذلك	٢١٥
٢ ــ إذا شرَّع أو أقرَّ تشريعا مخالفا لحكم الله مخالفة لا شبهة فيها	٢١٦
٣ ــ إنكار وجحود أحقية حكم الله تعالى ورسوله ﷺ عن حكمه الذي عمل به	٢١٦
٤ ــ تفضيل الحكم الوضعي المخالف للشرع على حكم الله تعالى	٢١٦
٥ ــ عدم التفريق بين الحكم الوضعي وحكم الله، واعتقاد التماثل بينهما	٢١٧
٦ ــ الاعتقاد بأن الحكم بما أنزل الله تعالى غير واجب، وأنه مخير فيه	٢١٧
٧ ــ الإعراض والصد عن حكم الله تعالى	٢١٨
٨ ــ رضى المحكوم بتلك القوانين	٢١٨
ثالثا : ــ الإعراض التام عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به	٢١٩
القسم الثاني **التكفير في الأوامر والنواهي**	٢٢١
أولا : ــ في ترك الأوامر	٢٢١
١ــ عدم طاعة الرسول ﷺ	٢٢١
٢ ــ ترك النطق بالشهادتين مع القدرة على ذلك	٢٢٢
٣ ــ ترك الحج أو الصيام أو الزكاة جحودا	٢٢٣
٤ ــ ترك الصلاة	٢٢٤
أدلة من القرآن الكريم على كفر تارك الصلاة	٢٢٤
أدلة من السنة على كفر تارك الصلاة	٢٢٥
أقوال العلماء في كفر تارك الصلاة	٢٢٦
ثانيا : ــ فعل النواهي ومنها	٢٢٨
أولا : ــ السحر	٢٢٨
حكم السحر	٢٣٠
حكم الساحر	٢٣٠
الأدلة الشرعية على كفر الساحر من القرآن الكريم	٢٣٢
الأدلة الشرعية على كفر الساحر من السنة	٢٣٣

أقوال العلماء في كفر الساحر	٢٣٤
ثانيا : ــ موالاة الكفار وإتباع هواهم وطاعتهم	٢٣٧
ثالثا : ــ الاستهزاء بالله تبارك وتعالى وآياته	٢٣٨
رابعا : ــ قتل الولد خشية الفقر	٢٣٩
القسم الثالث التكفير في الردة	٢٤٠
المطلب الثاني : ــ دلالات التكفير في الأقوال	٢٤١
الأدلة على أن الكفر يكون بالقول	٢٤٢
أقسام الكفر بالقول	٢٤٥
القسم الأول في التوحيد	٢٤٧
أولا : ــ الربوبية ومن أمثلة ذلك	٢٤٧
١ــ القول بقدم العالم ووحدة الوجود وأمثال ذلك من المصطلحات الفلسفية المبنية على النظريات الباطلة وهو قول الفلاسفة و الدهرية	٢٤٧
٢ــ القول بنظرية التطور المعروفة باسم النشوء والارتقاء أو نظرية دارون التي تنص على تطور الإنسان من القرد	٢٤٨
٣ــ القول بوجود العالم صدفة	٢٥٠
ثانيا : ــ الإلوهية	٢٥١
الشرك في الدعاء والإستغاثة	٢٥١
الشرك بادعاء الإلوهية	٢٥٥
أمثلة من الماضي والحاضر على مدعي الإلوهية أو وصف أحدا من البشر بذلك	٢٥٥
الشيعة	٢٥٥
بعض فرق الصوفية كالشاذلية / الباطنية / الحلاج	٢٥٦
أبو طاهر الجنابي / الشيرازي زعيم البابية	٢٥٧
الميرزا حسين علي زعيم البهائية	٢٥٨
زعيم فرقة الجمهوريين محمود محمد طه السوداني	٢٥٨
ثالثا : ــ الأسماء والصفات	٢٥٩

مذهب السلف في إثبات الصفات	٢٥٩
أمثلة على من أول صفة الكلام	٢٦١
قول الاتحادية و الفلاسفة	٢٦١
قول الجهمية والمعتزلة وبعض الزيدية والإمامية وبعض الخوارج	٢٦٢
قول الكلابية (أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب)	٢٦٢
الأشاعرة ومن وافقهم / قول الكرامية	٢٦٣
قول أهل السنة (السلف)	٢٦٤
القسم الثاني إدعاء النبوة أو تصديق مدعيها	٢٦٦
أقوال السلف في كفر مدعي النبوة	٢٦٨
الإجماع على تكفير من ادعى النبوة بعد النبي ﷺ	٢٦٩
القسم الثالث الاستهزاء بشيء من الدين أو القول بما يعارض القرآن صراحة	٢٧٠
القسم الرابع إنكار شيء من الغيبيات كالملائكة والجن أو البعث أو الآخرة	٢٧٢
المطلب الثالث دلالات التكفير في الاعتقاد	٢٧٧
أمراض القلوب	٢٧٩
أقوال علماء السلف في الكفر الاعتقادي	٢٨٠
اعتقاد القلب يشمل القول والعمل	٢٨١
المكفرات الاعتقادية لقول القلب	٢٨٣
١ــ جحود الله تبارك وتعالى	٢٨٣
٢ــ التكذيب أو الشك في رسالة محمد ﷺ وجحد عموم رسالته ، وختمه ﷺ للنبوة	٢٨٤
٣ــ جحد وجوب شيء معلوم من الدين بالضرورة	٢٨٤
٤ــ الاعتقاد بأن الرسول ﷺ كتم شيئاً مما أوحى الله تعالى	٢٨٥
٥ــ تعدي حدود الله	٢٨٥
٦ــ الإيمان بشريعة غير الإسلام، واعتقاد صلاحيتها للبشر والعمل بها وتطبيقها	٢٨٦
٧ــ الاعتقاد بأن البعض يسعه الخروج عن شريعة الإسلام	٢٨٦

٨ــ الرضا بالكفر، أو العزم على الكفر، أو تعليق الكفر بأمر مستقبل	٢٨٦
٩ــ إنكار شيء من القرآن	٢٨٦
١٠ــ اعتقاد وجوب سب الصحابة أو اعتقاد كفرهم	٢٨٧
صيانة القرآن وحفظ الله له من التحريف وكفر من اعتقد خلاف ذلك	٢٨٨
أمثلة على كفر من أنكر خبرا في القرآن	٢٨٨
المكفرات الاعتقادية لعمل القلب	٢٨٩
التميز بين عمل القلب والهم دون الفعل (حديث النفس)	٢٩٠
حكم حديث النفس	٢٩١
عدد أعمال القلب	٢٩٢
بعض أعمال القلوب المكفرة	٢٩٣
١ــ شرك النية والإرادة والقصد والعزم	٢٩٣
٢ــ شرك المحبة	٢٩٧
٣ــ عدم الانقياد المطلق لحكم الله و رسوله ﷺ، وعدم الرضى بالحكم أو التحرج منه	٣٠٠
٤ــ شرك التوكل	٣٠٢
بعض أعمال القلب التي تزيد وتنقص كما الإيمان	٣٠٤
١ــ الرياء والنفاق في الفروع (عدم الإخلاص في العبادة)	٣٠٤
٢ ــ الخشية والإشفاق والخوف و الرهبة من غير الله سبحانه	٣٠٥
٣ــ الرجاء في غير الله	٣٠٦
٤ــ الخشوع والتعظيم لغير الله	٣٠٧
٥ ــ الإصرار على المعصية وعدم التوبة	٣٠٧
٦ــ جحود النعمة (عدم الشكر)	٣٠٧
٧ ــ السخط بالقضاء	٣٠٧
٨ ــ عدم الرحمة	٣٠٨
٩ ــ عدم التواضع	٣٠٨
الفصل الثاني دلائل الكفر	٣١٠
المبحث الأول الألفاظ التي يتأرجح معناها بين الكفر والترهيب	٣١١

تمهيد في معنى اللفظ ودلالته	٣١٢
المطلب الأول : ــ الألفاظ التي ينصرف فيها المعنى إلى الكفر	٣١٥
المطلب الثاني : ــ الألفاظ التي يتردد فيها المعنى بين الكفر والترهيب	٤٠٣
المبحث الثاني ألفاظ غير مخرجة من الملة	٤٧١
المطلب الأول : ــ ألفاظ الذم المراد منها الترهيب فقط	٤٧٢
المطلب الثاني : ــ ألفاظ اشترك فيها المدح والذم	٤٨٩
الخاتمة	٥٩٧
فهرس المصادر والمراجع	٦٠٠

المقـــدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى اله وصحبــــه أجمـــعين.

وبعـــــــــــــــــــــــــد :-

فإن الناظر المتبصر لما تمر به أمتنا الإسلامية لا يخفى عليه سوء الحال الذي تحياه، والأمم تتداعى عليها كما قال ﷺ:" كما تداعى الأكلة إلى قصعتها."[١] وخصوصا في ظل تعدد المذاهب والفرق في التاريخ الإسلامي. وإنما يرجع ذلك لبعدنا عن ديننا الذي أوصانا به الرسول ﷺ حين قال:" إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه."[٢] لذلك نرى أرذل الأمم وقد تعالت وارتفعت وحكمت الدنيا من أقصاها إلى أدناها بمكر لا يفتر ليلا ولا نهارا، وذلك بإطلاق مصطلحات جديدة على موضوعات قديمة تهدف كلها منذ منشأها إلى هدم الإسلام وطمس راية التوحيد، وقد بدأ هذا الصراع بين الحق والباطل على الأرض مذ خلق الله آدم واسكنه جنته حيث اقتضت الحكمة الإلهية أن تقوم الدنيا على ذلك.

ثم جاءت الرسل تترى توضح للناس الطريق المستقيم في إعمار هذا الكون على منهاج الله فيصلح حال الأمة في دنياها وأخرتها. وختم الله رسله بأشرف خلقه، ونزل عليه أفضل كتبه، وجعله معجزة باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. لذلك جاء القرآن الكريم معين لا تنضب معانيه، ولا تنقضي عجائبه، حتى أفرد العلماء لكل إعجاز من إعجازاته علما خاضوا غماره. فهذا باحث في إعجاز الألفاظ ومدلولاتها، وآخر في الإعجاز العلمي، وثالث في إعجاز العدد وغيره في الوقت والزمن وهكذا دواليك.

وقد جاءت ألفاظ القرآن في اختلاف مدلولاتها رحمة للأمة وعلمائها. فنرى علماء التفسير يستنبطون من اللفظ الواحد معاني متعددة، وعلماء اللغة من ذات اللفظ اتخذوا قواعد نحوية وصرفية، وقرر منه فقهاء الأمة أحكام شرعية متباينة.

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سنن أبي داود / سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي / دار الفكر / تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد / كتاب الملاحم باب في تداعي الأمم على الإسلام ج٤ صـــ ١١١ وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها / محمد ناصر الدين الألباني / مكتبة المعارف للنشر والتوزيع / الرياض / ١٤١٥هـــ ـــ ١٩٩٩٥م / الطبعة: جديدة ومنقحة ومزيدة ج٢ صـــ ٦٤٧ حديث رقم ٩٥٨.

(٢) أخرجه الإمام الألباني في صحيح الترغيب والترهيب / محمد ناصر الدين الألباني / مكتبة المعارف / الطبعة الخامسة / الرياض / كتاب السنة باب قال إن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم ج١ حديث رقم ٤٠ وقال رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد احتج البخاري بعكرمة واحتج مسلم بأبي أويس وله أصل في الصحيح

لذلك أبحر علماء المسلمين سلفا وخلفا عباب آيات القرآن، وتفرد كل منهم في علم من علومه، أو جمع بين أكثر من علم فيه، فهذا شرح غريب لفظه، وغيره أعرب كلماته، وأخر بحث في محكمه ومتشابهه وهكذا.

وألفاظ الذم في القرآن ترددت بمعاني مختلفة، تارة يراد بها الكفر المخرج من الملة، وتارة تردد اللفظ الواحد بين التكفير والترهيب وفق قرائنه، وأحيانا أريد به التوبيخ والتحذير مع بقاء صفة الإيمان على مرتكبه دون احتمال وصوله لدرجة الكفر. ومن هنا دخل بعض أصحاب الأهواء الضالة كالمعتزلة والخوارج والشيعة فأطلقوا تلك الصفات فيما لا تحتمل من السياق بغية تحقيق أهدافهم ومأربهم؛ فصاروا كمن اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم.

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في احتكاكنا المباشر في مجتمعاتنا الإسلامية عامة والفلسطينية خاصة ــ في ظل تعدد الجماعات الإسلامية ــ وتجرؤ البعض بقذف الآخرين بالكفر اعتمادا على ألفاظ يدل ظاهرها على ما يريد، ومفهومها في السياق والفهم الصحيح على غير ذلك. و يكون ذلك ناتجا إما عن عدم العلم بالمعنى المراد وإما من باب الزيغ واتباع الهوى. أو أن يظهر في اللفظ دلالة على شيء يحتمل احتمالاً ضعيفاً فيحمله ويناظر على ذلك الاحتمال، مع ظهورها في خلاف ما يقول في الدلالة على معنى أقوى وأرجح.

أسباب اختيار الموضوع

١- الرغبة في تقديم عمل يعم خيره على المسلمين، كونه يمس قضية ذات أهمية على المستوى الشخصي والديني.

٢- المساعدة في إزالة الخلط في مفهوم بعض الألفاظ لدى بعض من يتناول الحديث عن بعض الدلالات القرآنية، نتيجة إسقاط مفهوماته الشخصية على الدلالات التي تخرج به من سياق النص القرآني المراد، أو الأخذ بالمعنى المرجوح دون الراجح .

٣- الاهتمام الشخصي بالقرآن الكريم وما يتعلق به من الفوائد والأحكام لاسيما ذات البعد العقائدي .

أهداف البحث

١- تحديد ضوابط التكفير عند أهل السنة ومن خالفهم.

٢- معالجة مشكلة فهم اللفظ القرآني في بعض المواطن انطلاقا من الخلفيات الثقافية للبعض، رغم تعارضها مع المفهوم العقائدي الواضح، ومن ثم احتمال توظيفها توظيفاً سلبياً يخدم مصلحة شخصية.

٣- طرح أنموذج جديد يمكن من خلاله معالجة مشكلة إسقاط المفاهيم الخاصة على دلالات اللفظ القرآني، ومن ثم تجنب احتمالية إنتاج أحكام باطلة يبدو من ظاهرها أنها صحيحة.

٤- معرفة أراء المفسرين والمتكلمين ـــ فضلا عن علماء العقيدة ـــ في مدلولات ألفاظ الذم في القرآن الكريم.

٥- تحديد العلاقة بين لفظة الكفر وغيرها من ألفاظ الذم في القرآن الكريم.

الدراسات السابقة

لم أعثر على أي بحث تحت هذا العنوان رغم وجود بعض المؤلفات في بيان معنى الإيمان والكفر وضوابط كل منهما وبعض الدراسات على بعض الألفاظ كالكفر والفسوق والجدل والمِراء وغيرها دون أن يكون هناك مؤلف كامل يجمع جميع ألفاظ الذم في القرآن. ومن أمثلة هذه الدراسات .

١ـــ ألفاظ الكفر لبدر الرشيد محمد بن إسماعيل بن محمود بن محمد الحنفي الذي توفى تقريبا سنة ٦٠٠هـــ وهو مخطوط موجود بالمكتبة الأزهرية تحت رقم (٢ / ١٩٢٩) ٣٣١١٨٦

٢ـــ النجاة من ألفاظ الكفر لعربشاه بن سليمان بن عيسى البكري الحنفي المتوفى سنة ٦٩٥.

٣ـــ فتنة التكفير الشيخ محمد الألباني.

٤ـــ ظاهرة التكفير بين الفرق الإسلامية للباحث سعيد القاسمي.

٥ـــ ظوابط التكفير عند أهل السنة للباحث عبد الله بن محمد القرني.

٦ـــ التكفير والمكفرات للباحث حسن بن على عواجي.

٧ـــ التكفير .. مفهومه و أخطاره و ضوابطه إعداد : أحمد محمد بوقرين.

منهج البحث

اتبعت في بحثي منهج الوصف التحليلي الذي يعتمد على دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع ويهتم بوصفها وصفا دقيقا ويعبّر عنها كيفا أو كما، والنقد الموضوعي كل ما كان هناك مجالا للنقد.

طريقة البحث

١ـــ سيتميز البحث بدقة الألفاظ ودلالاتها واختلاف الناس فيها، مرجحا مذهب أهل السنة والجماعة.

٢ـــ أخذت الأدلة على ما ذهبت إليه من القرآن الكريم ذاكرا جزء الآية الذي هو مناط الاستدلال خشية الإطالة، مردفا السورة ورقم الآية.

٣ـــ اعتمدت ما صح من الحديث فقدمت ما اتفق عليه الشيخان، ثم ما انفرد به الإمام البخاري فالإمام مسلم رحمها الله ، ثم أردفت ذلك بآراء علماء السلف وفق التسلسل الزمني ما استطعت.

٤ـــ ما طال من أسماء المصادر والمراجع وضعت مختصرا له بين قوسين عند أول استدلال به ثم ذكرت مختصره عند التكرار.

٥ـــ يشتمل البحث على مقدمة وفصل تمهيدي وفصلين وخاتمة.

المقدمة

بينت فيها أهمية التمسك بنهج القرآن الكريم وان ذلك مصدر عزة المسلمين وسؤددهم. وبينت أهمية البحث، وأسباب اختيار الموضوع، ووضحت أهداف البحث، وذكرت بعض الدراسات السابقة، ووضحت المنهج العلمي الذي التزمته في طريقة البحث وطرق الاستدلال.

الفصل التمهيدي

وقد عمدت فيه إلى تعريف بعض المصطلحات التي سترد في البحث؛ وذلك لاختلاف الناس في تعريفها وما بُني على هذا التعريف من أحكام تتعلق بالكفر والإيمان، وقد اشتمل على النقاط التالية : ـــ

١ـــ تعريف الإيمان لغة واصطلاحا

٢ـــ تعريف الكفر لغة واصطلاحا

٣ـــ أقسام الكفر

٤ـــ أنواع الكفر

٥ـــ التعريف بالكبائر وعددها

٦ـــ معاني الكفر في القرآن الكريم

الفصل الأول : ضوابط التكفير

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : ـــ ضوابط التكفير عند أهل السنة ومخالفيهم.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : ـــ ضوابط التكفير في العهد النبويّ .

المطلب الثاني :ـــ ضوابط التكفير عند السلف الصالح .

المطلب الثالث : ـــ التكفير عند الفرق .

المبحث الثاني : ـــ مدلولات الذم المراد بها الكفر المخرج من الملة .

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : ـــ دلالات التكفير في الأعمال .

المطلب الثاني : ـــ دلالات التكفير في الأقوال .

المطلب الثالث : ـــ دلالات التكفير في الاعتقاد.

الفصل الثاني : دلائل الكفر

وفيه مبحثان:

المبحث الأول : ـــ الألفاظ التي يتأرجح معناها بين الكفر والترهيب (ألفظ الكفر)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : ــ المواضع التي ينصرف فيها المعنى إلى الكفر.

المطلب الثاني : ــ المواضع التي يتردد فيها المعنى بين الترهيب والكفر .

المبحث الثاني : ــ ألفاظ غير مخرجة من الملة .

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : ــ ألفاظ الذم المراد منها الترهيب فقط .

المطلب الثاني : ــ ألفاظ اشترك فيها المدح والذم .

الخاتمة وقد بينت فيها أهم نتائج البحث والتوصيات.

الفصل التمهيدي

ويشتمل على : ــ

١ــ تعريف الإيمان لغة واصطلاحا

٢ــ تعريف الكفر لغة واصطلاحا

٣ــ أقسام الكفر

٤ــ أنواع الكفر

٥ــ التعريف بالكبائر وعددها

٦ــ معاني الكفر في القرآن الكريم

أولاً : ــ تعريف الإيمان لغة واصطلاحا

الإيمان لغة : ــ قال الرازي رحمه الله:" الأمان والأَمَنة بمعنى. وقد أمن من باب فهم وسلم، وأماناً و أمنة بفتحتين فهو آمن، والأمان والإيمان التصديق. والله تعالى المؤمن لأنه آمن عباده من أن يظلمهم، وأصل آمن أأمن بهمزتين لينت الثانية. ومنه المهيمن وأصله مؤامن لينت الثانية وقلبت ياءً كراهة اجتماعهما وقلبت الأولى هاءً كما قالوا أراق الماء وهراقه، و الأمن ضد الخوف والأمنة الأمن ومنه قوله تعالى: ﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾[آل عمران:١٥٤] واستأمن إليه دخل في أمانه وقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾[التين:٣] قال الأخفش يريد البلد الآمن وهو من الأمن."(١)

وقد أورد ابن منظور رحمه الله معنى كلمة أمن في لسان العرب فدارت حول معانٍ ستة وهي : ــ

الأول: ــ الأمن ضد الخوف في حديث نزول المسيح (وتقع الأَمَنةُ على أهل الأَرض)(٢) يريد أن الأرض تمتلئ بالأمن فلا يخاف أَحد من الناس والحيوان. وفي الحديث (النجوم أَمَنةُ السماء، وأَنا أَمَنةٌ لأَصحابي، وأَصحابي أَمَنةٌ لأمتي)(٣) قال ابن الأَثير رحمه الله: و الأَمَنةُ جمع أَمين وهو الحافظ .

الثاني:ــ بمعنى وثق به وأُمَنَةٌ أيضا موثوق به مأمون، يقال ما آمنت أن أجد صحابة إيمانا أي ما وثقت، والإيمان الثقة.

الثالث:ــ بمعنى الإجارة استأمن إليه: دخل في أَمانِه، وقد أَمَّنَه وآمَنَه. وقرئ في براءة ﴿إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ﴾[التوبة:١٢] من قرأَه بكسر الأَلف معناه أَنهم إِن أَجاروا وأَمَّنُوا المسلمين لم يَفُوا وغدروا، والإيمان ههنا الإجارة.

الرابع:ــ نقيض الخيانة والأَمانةُ والأَمَنةُ نقيض الخيانة لأنه يؤْمَنُ أَذاه، وقد أَمِنَه وأَمَّنَه وأْتَمَنَهُ .

الخامس:ــ بمعنى إظهار الخضوع والقبول للشريعة وحد الزجاج رحمه الله الإيمان فقال: الإيمان إظهار الخضوع والقبول للشريعة ولما أتى به النبي ﷺ، واعتقاده وتصديقه بالقلب، فمن كان على هذه الصفة فهو مؤمن مسلم غير مرتاب ولا شاك.

---

(١) مختار الصحاح / محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي / مكتبة لبنان ناشرون / بيروت / ١٤١٥هــ ــ ١٩٩٥م / الطبعة: طبعة جديدة / تحقيق: محمود خاطر/ صـــ ١١

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين / أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدوية الحاكم النيسابوري / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤١١هــ ــ ١٩٩٠م / الطبعة: الأولى / تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا / كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين ــ ذكر نبي الله وروحه عيسى بن مريم / ج٢ صـــ ٦٥١ حديث رقم ٤١٦٣ وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيح مسلم / مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري / دار إحياء التراث العربي / بيروت / تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي / كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة ج٤ صـــ ١٩٦١ حديث رقم ٢٥٣١

السادس:ـــ بمعنى التصديق وفي التنزيل العزيز﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾[يوسف:١٧] أي بمصدق. والإيمان: التصديق. واتفق أَهل العلم من اللُّغويين وغيرهم أَن الإيمان معناه التصديق. (١)

والفعل أمن له في اللغة استعمالان :

الأول : ـــ عندما يتعدى بنفسه إذا كان ضميره عائدا للفاعل يكون معناه التأمين أي إعطاء الأمان، وهو ضد الخوف ودليل هذا المعنى قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾[قريش:٤] ومن السنة قول النبي ﷺ:" النجوم أمنة السماء ..... الحديث."(٢)

الثاني : ـــ إذا تعدى بالباء أو باللام فيكون معناه التصديق. ومثال التعدي بالباء قوله تبارك تعالى:﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأعراف:١٥٨] قال الطبري رحمه الله :" ومعنى قوله الأمي الذي يؤمن بالله الذي يصدق بالله."(٣) ومثال التعدي باللام قوله تعالى:﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ﴾ [العنكبوت:٢٦] قال الطبري رحمه الله:" صدق له لوط، وقال ابن زيد رحمه الله: في قوله:(فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞ) قال: صدقه لوط؛ صدق إبراهيم. قال: أرأيت المؤمنين أليس آمنوا لرسول الله ﷺ ما جاء به، قال: فالإيمان التصديق ."(٤)

ويقول ابن الأثير رحمه الله في هذا:" أمن: في أسماء الله المؤمن، وهو الذي يَصْدُقُ عباده وعده فهو من الإيمان التصديق جزما، أو يؤمنهم في القيامة من عذابه فهو من الأمان والأمن ضد الخوف ."(٥)

و قال ابن تيمية رحمه الله:" فإن كل مخبر عن مشاهدة أو غيب يقال له في اللغة صدقت كما يقال له كذبت، وأما لفظ الإيمان فلا يستعمل إلا في الخبر عن غائب فإن الإيمان مشتق من الأمن فإنما يستعمل فيما يؤتمن عليه المخبر كالأمر الغائب."(٦)

---

(١) لسان العرب / محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري / دار صادر / بيروت / الطبعة: الأولى / ج١٣ صـــ ٢١ ـــ ٢٧ باختصار كبير وتصرف يسير

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه انظر الصفحة السابقة حاشية رقم ٣

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن(تفسير الطبري)/ محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر / دار الفكر / بيروت / ١٤٠٥ هـــ ـــ ١٩٨٥م / ج٩ صـــ ٨٦

(٤) المرجع السابق ج٢٠ صـــ١٤٣

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر / أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير / المكتبة العلمية / ١٣٩٩هـــ ـــ ١٩٧٩م / تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي / ج١ صـــ ٦٩

(٦) كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام (مجموع الفتاوى) / أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس / مكتبة ابن تيمية / الطبعة: الثانية / تحقيق: عبد الرحمن بن محمد النجدي ج٧ صـــ ٢٩١

الإيمان اصطلاحا

لقد اختلف الناس في تعريفه جماعات وأفراد، وكلٌ عرَّفه بما يخدم مذهبه وعقيدته. أورد هنا تعريف السلف حيث هو منهجنا وسأعرض التعريفات الأخرى لاحقا لمناقشتها " قال أكثر السلف وعليه بعض المعتزلة(١) والخوارج: إنه تصديقٌ بالجنان وإقرارٌ باللسان وعملٌ بالأركان."(٢)

شرح التعريف

تصديقٌ بالجنان ويشمل عمل القلب وقول القلب قال ابن تيمية:" والمقصود هنا أن من قال من السلف الإيمان قول و عمل أراد قول القلب و اللسان و عمل القلب والجوارح ."(٣) وقال ابن القيِّم رحمه الله:" وها هنا أصل آخر وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل، والقول قسمان : قول القلب وهو الاعتقاد ــ يعني التصديق ــ و قول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام ــ يعني شهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله ــ والعمل قسمان عمل القلب وهو النية والإخلاص والخوف . . . الخ ، وعمل الجوارح فإذا زالت هذه الأربع زال الإيمان."(٤)

ويتضمن قول القلب معرفة الله سبحانه وتعالى ونبيه، والتصديق بهما و بما جاء به الرسول ﷺ من الشرائع، وما يتضمنه الإسلام من العبادات والأحكام، وكذلك التصديق بالملائكة واليوم الآخر والكتب والرسل والأنبياء والجن والبعث والجنة والنار وسائر الأمور الغيبية . قال تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة٣:٤] وقال

---

(١) امتازوا بقولهم بالمنزلة بين المنزلتين وبخلود أهل الكبائر في النار يوم القيامة وقد أحدث ذلك عمرو بن عبيد وكان هو واصحابه يجلسون معتزلين للجماعة فيقول قتادة وغيره أولئك المعتزلة، وكان ذلك بعد موت الحسن البصري في أوائل المائة الثانية. وهم ينفون الصفات دون الأسماء، ويقولون بخلق القرآن (انظر الحسنة والسيئة / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس / مطبعة المدني / القاهرة / تحقيق: د. محمد جميل غازي / صـــ ١٠٤ ــ ١٠٧ باختصار وتصرف يسير)

(٢) الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي / علي بن عبد الكافي السبكي / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤٠٤هـــ / الطبعة: الأولى / تحقيق: جماعة من العلماء / ج١ صـــ ٢٨٥، وانظر شرح العقيدة الطحاوية / شمس الدين محمد بن الصدر سليمان بن أبي العز الحنفي / المكتب الإسلامي / بيروت / ١٣٩١هـــ / الطبعة: الرابعة / ج١ صـــ ٣٧٣، وانظر توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم / أحمد بن إبراهيم بن عيسى / المكتب الإسلامي / بيروت / ١٤٠٦هـــ / الطبعة: الثالثة / تحقيق: زهير الشاويش / ج٢ صـــ ١٣٩

(٣) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٧ صـــ ١٧١

(٤) الصلاة وحكم تاركها وسياق صلاة النبي من حين كان يكبر إلى أن يفرغ منها / أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي / الجفان والجابي دار ابن حزم / قبرص ، بيروت / ١٤١٦هـــ ـــ ١٩٩٦م / الطبعة: الأولى / تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي / صـــ ٧٠

سبحانه: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥] وعمل القلب يتضمن أعماله مثل الإخلاص، الخشوع، الخوف، الرجاء، المحبة، الاعتقاد، الإذعان، التوكل، والإنابة ... الخ . قال تعالى:﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل:١٠٦]وقال سبحانه:﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة:٢٢] ومن السنة قوله ﷺ:" والحياء شعبة من الإيمان."(١) ويدخل فيه كذلك جميع أعمال القلوب مثل الانقياد والخوف والتوكل واليقين قال تعالى:﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء:٦٥] وقال سبحانه وتعالى:﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢] وقال عز وجل:﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحُجُرات:١٥] قال ابن القيم:" فأهل السنة مجتمعون على زوال الإيمان وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب؛ وهو محبته وانقياده."(٢)

وقولٌ باللسان ويتضمن الشهادتين ابتداءً، ومن ثم كل قول يُلفظ، وكذا سائر العبادات القولية مثل الذكر، الدعاء، قراءة القرآن، والكلمة الطيبة.... الخ قال تعالى:﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ﴾ [البقرة:١٣٦] فسمى قول الإيمان إيماناً.

وعملٌ بالأركان أو الجوارح ويتضمن كل العبادات البدنية كالجهاد، الحج، والدعوة إلى الله والحسبة ... الخ والقارئ **لكتاب الله** يتبين له أن الأمر بأعمال الجوارح جاء بعد جميع النداءات الموجهة من الله إلى المؤمنين بصيغة يا أيها الذين أمنوا كقوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [البقرة:١٧٨] وكذلك أطلق القرآن على بعض الأعمال إيمانا قال سبحانه:﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة:١٤٣] فسمى الصلاة إلى المسجد الأقصى إيمانا. قال الشيخ حافظ حكمي في شرح الإيمان بأنه قول وعمل:" الرابع عمل اللسان والجوارح؛ فعمل اللسان مالا يُؤدي إلا به كتلاوة القرآن وسائر الأذكار من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والدعاء والاستغفار وغير ذلك، وعمل الجوارح ما لا يؤدى إلا بها مثل القيام والركوع

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان عدد شعب الإيمان ج١ صـ ٦٣ حديث رقم ٣٥

(٢) الصلاة وحكم تاركها / ابن القيم صـ ٧١

والسجود والمشي في مرضاة الله كنقل الخُطا إلى المسجد وإلى الحج والجهاد في سبيل الله عز وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك مما يشمله حديث شعب الإيمان."(١)

ومن السنة : حديث شعب الإيمان قال ﷺ:" الإيمان بضع و سبعون شعبة؛ فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان."(٢) فيتضمن هذا الحديث بجملته مركبات الإيمان الثلاث؛ فلا إله إلا الله قول، وإماطة الأذى عمل جوارح، و الحياء عمل قلبي. وقوله ﷺ لوفد عبد القيس:" أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ قالوا الله ورسوله أعلم. قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس."(٣)

تنازع الناس في مسمى الإيمان

لقد اختلف الناس في مسمى الإيمان كما أسلفت وذلك راجع إلى مفهوم إطلاقه في الشرع، فمنهم من جعله مصطلحا قائما دالا على ما جاء به النبي ﷺ من عقائد وشرائع وجعل العمل جزءا منه؛ فقال بتعريفه الذي ذكرت آنفا وهم جمهور أهل السنة والسلف، ومنهم من خصه بالمعنى العقائدي الذي يقوم علي المعنى اللغوي الذي هو التصديق فجعل العمل خارجا عنه ليس شرطا فيه وهو مذهب الأمام أبو حنيفة(٤) و لقد كثر الخوض في هذه المسألة من لدن التابعين إلى زماننا هذا قال شارح الطحاوية رحمه الله:" وحاصل الكل يرجع إلى أن الإيمان إما أن يكون ما يقوم به القلب واللسان وسائر الجوارح كما ذهب إليه جمهور السلف من الأئمة الثلاثة وغيرهم رحمهم الله، أو بالقلب واللسان دون الجوارح كما ذكره الطحاوي عن أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله، أو باللسان وحده كما تقدم ذكره عن الكرامية(٥) أو بالقلب وحده وهو إما المعرفة كما قاله الجهم أو التصديق كما قاله أبو منصور الماتريدي رحمه الله

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول / حافظ بن أحمد حكمي / دار ابن القيم / الدمام / ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م / الطبعة: الأولى / تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر / ج٢ صـ ٥٩٢

(٢) سبق تخريجه انظر الصفحة السابقة حاشية رقم ١

(٣) أخرجه الإمام البخاري في الجامع الصحيح المختصر(صحيح البخاري) / محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي / دار ابن كثير / اليمام / بيروت / ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م / الطبعة: الثالثة / تحقيق: د. مصطفى ديب البغا / كتاب الإيمان باب أداء الخمس من الإيمان / ج١ صـ ٢٩ حديث رقم ٥٣

(٤) انظر شرح العقيدة الطحاوية / ابن أبي العز الحنفي صـ ٣٧٩

(٥) الكرامية أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام كان ممن يثبت الصفات إلا أنه ينتهي فيها إلى التجسيم والتشبيه وهم طوائف بلغ عددهم إلى اثنتي عشر فرقة ولكل واحدة منهم رأي نص أبو عبد الله على أن معبوده على العرش استقراراً وعلى انه بجهةٍ فوق ذاتاً و أطلق عليه اسم الجوهر (الملل والنحل / محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني / دار المعرفة / بيروت / ١٤٠٤هـ / تحقيق: محمد سيد كيلاني / ج١ صـ ١٠٨)

وفساد قول الكرامية والجهم بن صفوان[1] ظاهر."[2] وهذا ما سأعرضه بشيء من التفصيل في الفصل القادم عند الكلام على التكفير بالأعمال.

والاختلاف الذي بين أبي حنيفة والأئمة الباقين من أهل السنة رحمهم الله هل هو اختلاف صوري لأنه لا يترتب عليه فساد اعتقاد؟ هذا جائز لأن أبا حنيفة خالف المرجئة في مرتكب الكبيرة ووافق أهل السنة بأنه في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه. بينما قالت المرجئة لا يضر مع الإيمان ذنب. ولكن شيخ الإسلام رحمه الله قال:" وهذه الشبهة التي أوقعتهم مع علم كثير منهم، وعبادته وحسن إسلامه وإيمانه، ولهذا دخل في إرجاء الفقهاء جماعة هم عند الأمة أهل علم ودين. ولهذا لم يكفر أحد من السلف أحدا من مرجئة الفقهاء؛ بل جعلوا هذا من بدع الأقوال والأفعال لا من بدع العقائد. فإن كثيرا من النزاع فيها لفظي لكن اللفظ المطابق للكتاب والسنة هو الصواب فليس لأحد أن يقول بخلاف قول الله تعالى ورسوله ﷺ لاسيما وقد صار ذلك ذريعة إلى بدع أهل الكلام من أهل الإرجاء وغيرهم، وإلى ظهور الفسق فصار ذلك الخطأ اليسير في اللفظ سببا لخطأ عظيم في العقائد والأعمال، فلهذا عظم القول في ذم الإرجاء حتى قال إبراهيم النخعي لفتنتهم يعنى المرجئة أخوف على هذه الأمة من فتنة الأزارقة[3]، وقال الزهري ما ابتدعت في الإسلام بدعة أضر على أهله من الإرجاء."[4]

---

(١) الجهم بن صفوان أبو محرز الراسبي مولاهم السمرقندي حامل لواء الجهمية، وهو من أهل خراسان، ظهر في المائة الثانية من الهجرة ويكني بأبي محرز، وهو من الجبرية الخالصة، وأول من ابتدع القول بخلق القرآن وتعطيل الله عن صفاته. كان كثير الجدال والخصومات والمناظرات، إلا أنه لم يكن له بصر بعلم الحديث ولم يكن من المهتمين به إذ شغله علم الكلام عن تلك، وقد نبذ علماء السلف أفكار جهم وشنعوا عليه ومقتوه أشد مقت مع ما كان يتظاهر به من إقامة الحق. (تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام / شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي / دار الكتاب العربي / لبنان / بيروت / ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م/ الطبعة: الأولى / تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري ج٨ صـ ٦٦)

(٢) شرح العقيدة الطحاوية / ابن أبي العز الحنفي صـ ٣٧٤

(٣) الأزارقة فرقة من فرق الخوارج أتباع نافع بن الأزرق الحنفي المكنى بأبي راشد. ولم تكن للخوارج قط فرقة أكثر عددا ولا أشد منهم شوكة. والذي جمعهم من الدين أشياء منها قولهم بأن مخالفيهم من هذه الأمة مشركون، وأن دارهم دار كفر ويجوز فيها قتل الأطفال والنساء، وأنكروا الرجم واستحلوا كفر الأمانة التي أمر الله تعالى بأدائها، ولم يقيموا الحد على قاذف الرجل المحصن وأقاموه على قاذف المحصنات من النساء، وقطعوا يد السارق في القليل، وأكفرتهم الأمة في هذه البدع التي أحدثوها. (انظر الفرق بين الفرق / البغدادي ج١ صـ ٦٢ وما بعدها)

(٤) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٧ صـ ٣٩٤

مما سبق من الأمثلة التي سقتها من النصوص التي يصعب حصرها في الكتاب والسنة والتي تدل على أن هذا التعريف هو الذي يجب المصير إليه، لأن المعاني الشرعية يجب أخذها من الشرع، ولا يجوز طرح ما دلت عليه النصوص بحجة أن اللغة دلت على خلافه، كما فعل كثير من أهل الأهواء من المرجئة وغيرهم. يقول الإمام ابن تيمية:" وتنازع الناس في الأسماء والأحكام، أي في أسماء الدين مثل مسلم ومؤمن، كافر وفاسق، وفى أحكام هؤلاء في الدنيا والآخرة؛ فالمعتزلة وافقوا الخوارج على حكمهم في الآخرة دون الدنيا، وفى الأسماء أحدثوا المنزلة بين المنزلتين، وحدثت المرجئة وكان أكثرهم من أهل السنة فصاروا نقيض الخوارج والمعتزلة فقالوا إن الأعمال ليست من الإيمان وكانت هذه البدعة أخف البدع فإن كثيرا من النزاع فيها نزاع في الاسم واللفظ دون الحكم إذ كان الفقهاء الذين يضاف إليهم هذا القول مثل حماد بن أبى سليمان(١) وأبى حنيفة وغيرهما هم مع سائر أهل السنة متفقين على أن الله يعذب من يعذبه من أهل الكبائر بالنار ثم يخرجهم بالشفاعة كما جاءت الأحاديث الصحيحة بذلك."(٢)

ويقول ابن حزم رحمه الله:" فلا يحل لأحد خلاف الله تعالى فيما أنزله وحكم به وهو تعالى خالق اللغة وأهلها فهو أملك بتصريفها وإيقاع أسمائها على ما يشاء، ولا عجب أعجب ممن أوجد لإمرىء القيس أو لزهير أو لجرير أو الحطيئة أو الطرماح أو لأعرابي أسدي بن سلمى أو تميمي أو من سائر أبناء العرب بوَّالٍ على عقبيه لفظا في شعر أو نثر جعله حجة في اللغة وقطع به ولم يعترض فيه. ثم إذا وجد لله تعالى خالق اللغات وأهلها كلاما لم يلتفت إليه ولا جعله حجة وجعل يصرفه عن وجهه ويحرفه عن مواضعه ويتحيل في إحالته عما أوقعه الله عليه، وإذا وجد لرسول الله ﷺ كلاما فعل به مثل ذلك."(٣)

ولو أُخذ بهذا الاحتجاج لأصبحت كثيراً من المعاني الشرعية محكومة باللغة فانحرفت عن المعاني التي أرادها الله عز وجل، ألا ترى أن الصلاة في اللغة معناها الدعاء، وأن الصيام الإمساك عن الكلام. فهل يجوز أن نعرف الصلاة بأنها الدعاء، ونعرف الصيام بأنه الإمساك عن الكلام في الشرع؟! لا بل إن المصطلح الشرعي ليُنفى إذا لم يُؤت به على الوجه الذي شرعه الله، مع القدرة على ذلك، فقد نفى ﷺ الصلاة الشرعية عمن لم يأت بها على ما أراد الله، كما يدل عليه حديث المسيء صلاته المشهور عند أهل العلم، والذي رواه أبو هريرة، رضي الله عنه " أن رسول الله ﷺ دخل

(١) الفقيه الكوفي أبو إسماعيل بن مسلم مولى الأشعريين أحد الأعلام أصله من أصبهان روى عن أنس وابن المسيب وزيد بن وهب وأبي وائل والشعبي وطبقتهم وتفقه بإبراهيم النخعي وعنه أبو حنيفة وهشام الدستوائي ومسعر وشعبة وسفيان وحماد بن سلمة وحمزة الزيات وجماعة وكان سخياً جواداً قال عبد الملك بن إياس سألت إبراهيم والنخعي من نسأل بعدك قال حماد توفي سنه ١٢٠ هـ (انظر تاريخ الإسلام للذهبي ج٧ صـ ٣٤٧)

(٢) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٧ صـ ٣٩٤ باختصار يسير

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل / علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد / مكتبة الخانجي/ القاهرة / ج٣ صـ ١٠٧ ، ١٠٨

المسجد فدخل رجل فصلى ثم جاء فسلم على رسول الله ﷺ فرد رسول الله ﷺ السلام قال ارجع فصل فإنك لم تصل. فرجع الرجل فصلى كما كان صلى، ثم جاء إلى النبي ﷺ فسلم عليه. فقال رسول الله ﷺ: وعليك السلام، ثم قال ارجع فصل فإنك لم تصل، حتى فعل ذلك ثلاث مرات. فقال الرجل: والذي بعثك بالحق ما أحسن غير هذا علمني. قال: إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعا، ثم ارفع حتى تعتدل قائما، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها."[١]

وأقوال السلف في أن الإيمان قول وعمل أكثر من أن تحصى أُورد بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر

* قال البخاري رحمه الله وقد جعله اسما لباب:" باب الإيمان وقول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس وهو قول وفعل ويزيد وينقص."[٢] وقال أيضاً:" كتبت عن ألف وثمانين نفسا ليس فيهم إلا صاحب حديث، وقال أيضا لم أكتب إلا عمن قال الإيمان قول وعمل."[٣]

* ويقول الإمام النووي رحمه الله: " وأما إطلاق اسم الإيمان على الأعمال فمتفق عليه عند أهل الحق، ودلائله في الكتاب والسنة أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تشهر."[٤]

* وقال الشافعي رحمه الله:" وكان الإجماع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وممن أدركناهم يقولون الإيمان قول وعمل ونية لا يجزي واحد من ثلاث إلا بالآخر."[٥]

* وقال ابن تيمية رحمه الله:" وكان من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل، والعمل من الإيمان ، والإيمان من العمل، وإنما الإيمان اسم يجمع كما يجمع هذه الأديان اسمها، ويصدقه العمل، فمن آمن بلسانه، وعرف بقلبه ، وصدق بعمله ؛ فتلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومن قال بلسانه، ولم يعرف بقلبه، ولم يصدق بعمله؛ كان في الآخرة من الخاسرين، وهذا معروف عن غير واحد من السلف والخلف؛ وأنهم يجعلون العمل مصدقاً للقول."[٦]

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ج١ صـــ ٢٩٨ حديث رقم ٣٩٧

(٢) صحيح الإمام البخاري كتاب الإيمان ج١ صـــ ١١

(٣) هدي الساري مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري / أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي / دار المعرفة بيروت / ١٣٧٩هـــ / تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، محب الدين الخطيب / ج١ صـــ ٤٧٩

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي / أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي / دار إحياء التراث العربي / بيروت / ١٣٩٢هـــ / الطبعة: الثانية / ج١ صـــ ١٤٩

(٥) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٧ صـــ ٢٠٩

(٦) المرجع السابق ج٧ صـــ ٢٩٦

وقد ذكر رحمه الله:" أنه قد حكى غير واحد الإجماع على هذا التعريف، وذكر ما نقله أبو عبيد القاسم بن سلام عن مشاهير أهل العلم الذين صرحوا بأن الإيمان قول وعمل ونية، من أهل مكة، والمدينة، واليمن، والكوفة، والبصرة، وأهل واسط والمشرق."(١)

ومما يدل على صحة هذا التعريف الذي عليه جمهور السلف أن الله تعالى عندما يصف المؤمنين يصفهم بالعناصر الثلاثة المذكورة في كثير من آي القرآن الكريم كقوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة٣:٤] فالإيمان بالغيب يكون بالقلب وهو التصديق، وإقامة الصلاة تجتمع فيها الأركان الثلاثة: قول اللسان، من تكبير وقراءة وذكر، وعمل الأركان ــ الجوارح ــ من قيام وركوع وسجود وقعود وغيرها. وتصديق الجنان ــ القلب ــ وذلك يشمل التصديق بما تتضمنه الآيات القرآنية من توحيد وحساب وجنة ونار،. وكذلك قوله تعالى:﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴾ ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴾ [المؤمنون١:٥]

---

(١) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٧ صـــ ٣٠٩ ــ صـــ ٣١١ باختصار كبير و تصرف

ثانياً : ــ تعريف الكفر

الكفر لغة : ــ

وقد جاء في اللغة بعدة معانٍ كما قال ابن منظور: ــ

١ــ الكُفْر نقيض الإيمان آمنا بالله وكفرنا بالطاغوت؛ كَفَرَ يَكْفُر كُفْراً وكُفُوراً وكُفْراناً. ويقال لأَهل دار الحرب قد كفروا أي عصوا وامتنعوا.

٢ــ بمعنى جحود النعمة، وهو ضد الشكر. وقوله تعالى:﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾[القصص:٤٨]أَي جاحدون. وكَفَرَ نعمة الله جحدها وسترها. ورجل كافر: جاحد لأنعم الله.

٣ــ بمعنى البراءة، كقول الله تعالى حكاية عن الشيطان في خطيئته إذا دخل النار:﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾[إبراهيم:٢٢]أي تبرأْت. والكَفْرُ، بالفتح: التغطية. وكَفَرْتُ الشيء أَكْفِرُه، بالكسر، أَي سترته.

وقد جاء لفظ الكفر في اللغة عَلَمٌ على بعض الأسماء كالتراب والقبر والزرع والليل والبحر وما بُعد من الأرض والسحاب المظلم وغيرها لأنها تستر ما تحتها أو في جوفها.

ومن ذلك سُميَّ الكافر كافراً لأَنه ستر نعم الله عز وجل. قال الأَزهري: ونعمه آياته الدالة على توحيده، والنعم التي سترها الكافر هي الآيات التي أَبانت لذوي التمييز أَن خالقها واحد لا شريك له؛ وكذلك إِرساله الرسل بالآيات المعجزة والكتب المنزلة والبراهين الواضحة نعمة منه ظاهرة، فمن لم يصدّق بها وردَّها فقد كفر نعمة الله أَي سترها وحجبها عن نفسه. والكَفَّارة: ما كُفِّرَ به من صدقة أَو صوم أَو نحو ذلك؛ قال بعضهم: كأَنه غُطِّيَ عليه بالكَفَّارة. (١)

قال الراغب رحمه الله: وكفر النعمة وكفرانها سترها بترك أداء شكرها قال تعالى:﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾[الأنبياء:٩٤] وأعظم الكفر جحود الوحدانية أو الشريعة أو النبوة، والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالا، والكفر في الدين أكثر، والكفور فيهما جميعا قال تعالى:﴿فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾[الإسراء:٩٩] ولما كان الكفران يقتضي جحود النعمة صار يستعمل في الجحود قال تعالى:﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾[البقرة:٤١] أي جاحد له وساتر. والكافر على الإطلاق متعارف فيمن يجحد الوحدانية أو النبوة أو الشريعة أو ثلاثتها، وقد يقال كفر لمن أخل بالشريعة وترك ما لزمه من شريعة الله عليه.(٢)

(١) لسان العرب / ابن منظور ج٥ صــ ١٤٤ ــ ١٥١ باختصار كبير جدا وتصرف يسير

(٢) المفردات في غريب القرآن / أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصبهاني / دار المعرفة / لبنان/ تحقيق: محمد سيد كيلاني / صــ٤٣٣ ــ ٤٣٦ باختصار

والى هذا المعنى أشار ابن حجر رحمه الله في الفتح فقال:" قوله غير مكفيّ ولا مكفور أي غير مجحود." (١)

وقوله كفارة اليمين قال الراغب رحمه الله: الكفارة ما يعطى الحانث في اليمينن، واستعملت في كفارة القتل والظهار وهي من التكفير وهو ستر الفعل وتغطيته فيصير بمنزلة ما لم يعمل. قال ويصح أن يكون أصله إزالة الكفر نحو التمريض في إزالة المرض وأصل الكفر الستر وتكفر الرجل بالسلاح إذا استتر به."(٢) وقال الرافعي رحمه الله:" كفر بالصانع نفاه وعطل وهو الدهري والملحد."(٣)

" وكفر يتعدى تارة بنفسه وتارة بحرف جر."(٤) تقول فلان كفر ربه قال تعالى:﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ﴾[هود:٦٨] وتقول كفر بربه، وكفر عليه الغطاء، وكفّر عن يمينه، وتكفر بثوبه.

الكفر اصطلاحاً

وأما في الاصطلاح الشرعي فقال ابن تيمية رحمه الله :" الكفر: عدم الإيمان بالله ورسله ــ باتفاق المسلمين ــ سواءً كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، سواء اعتقد نقيضه وتكلم به، أو لم يعتقد شيئاً ولم يتكلم. والكفر تارة يكون بالنظر إلى عدم تصديق الرسول والإيمان به، وتارة بالنظر إلى عدم الإقرار بما أخبر به، ثم مجرد تصديقه في الخبر، والعلم بثبوت ما أخبر به، إذا لم يكن معه طاعة لأمره، لا باطناً ولا ظاهراً، ولا محبة لله ولا تعظيماً له، لم يكن ذلك إيماناً."(٥)

ويقول أيضا رحمه الله:" إنما الكفر يكون بتكذيب الرسول ﷺ فيما أخبر به، أو الامتناع عن متابعته مع العلم بصدقه، مثل كفر فرعون واليهود ونحوهم."(٦) ويقول رحمه الله:" فتكذيب الرسول كفر، وبغضه وسبه وعداوته مع العلم بصدقه في الباطن كفر عند الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري / أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني / دار المعرفة / بيروت / تحقيق: محب الدين الخطيب / ج١ صـ ١٨٠.

(٢) انظر المفردات / الأصبهاني صـ ٤٣٥

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي / أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي / المكتبة العلمية / بيروت / ج٢ صـ ٥٣٥

(٤) تفسير البحر المحيط / محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي/ دار الكتب العلمية / لبنان / بيروت / ١٤٢٢هـ ــ٢٠٠١م / الطبعة: الأولى/ تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض و شارك في التحقيق د. زكريا عبد المجيد النوقي ، د.أحمد النجولي الجمل/ ج٥ صـ ٢٣٥

(٥) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج١٢ صـ ٣٣٥ وانظر ج٢٠ صـ ٨٦ ج٧ صـ ٥٣٣ بتصرف يسير

(٦) درء تعارض العقل والنقل / أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٧م / تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن / ج١ صـ ٢٤٢

أهل العلم."(١) وتعريف شيخ الإسلام نرى أنه لم ينبه فيه على موانع وضوابط الكفر وقيام الحجة، وإن كان شدد عليها في كثير من كتبه وقد يكرر ذلك في الموضوع الواحد عدة مرات حرصا منه رحمه الله على عدم التهاون في تكفير المسلمين.

ويقول ابن القيم في بيان معنى الكفر:" الكفر جحد ما علم أن الرسول ﷺ جاء به، سواءً كان من المسائل التي تسمونها علمية أو عملية، فمن جحد ما جاء به الرسول ﷺ بعد معرفته بأنه جاء به فهو كافر في دق الدين وصلبه."(٢) وما ذكرته من تعليق على تعريف شيخ الإسلام ينطبق على تعريف تلميذه رحمهم الله.

ويقول ابن حزم رحمه الله في تعريف الكفر:" وهو في الدين صفة من جحد شيئاً مما افترض الله تعالى الإيمان به بعد قيام الحجة عليه ببلوغ الحق إليه بقلبه دون لسانه، أو بلسانه دون قلبه، أو بهما معاً، أو عمل عملاً جاء النص بأنه مخرج له بذلك عن اسم الإيمان."(٣) وقال أيضا:" بل الجحد لشيء مما صح البرهان أنه لا إيمان إلا بتصديقه كفرٌ، والنطق بشيء من كل ما قام البرهان أن النطق به كفرٌ كفر، والعمل بشيء مما قام البرهان بأنه كفرٌ كفر."(٤) ويلاحظ أن قوله الثاني مفسرا لقوله الأول، وأرى أن تعريف ابن حزم هو الأقوى لأنه جمع فيه ضوابط التكفير الاعتقادية والعملية والقولية معلقا إياها على إقامة الحجة، إذ هي مهمة الرسل عليهم السلام قال سبحانه:﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[النساء:١٦٥] وسيتضح تركيز أئمة السلف على ذلك عند تفصيله في المباحث التالية.

من خلال النصوص السابقة يتبين لنا أن الكفر ــ الذي يضاد الإيمان ــ يحصل بإحدى ثلاثة أشياء ؛ باعتقاد كالتكذيب أو البغض لما جاء به الرسول ﷺ أو جزء منه، أو بالقول كالاستهزاء بالله تعالى وآياته أو رسله، أو بالعمل كالسجود لصنم أو الذبح له ونحوهما. قال ابن القيم رحمه الله:" وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية فكما يكفر بالإتيان بكلمة الكفر اختيارا وهي شعبة من شعب الكفر فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف فهذا أصل."(٥)

---

(١) منهاج السنة النبوية / أحمد بن عبد السلام بن تيمية الحراني أبو العباس / مؤسسة قرطبة / ١٤٠٦هـ / الطبعة: الأولى / تحقيق: د. محمد رشاد سالم / ج٥ صـ ٢٥١ ، ٢٥٢

(٢) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة / محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الدمشقي ابن قيم الجوزية / اختصار الشيخ الفاضل محمد بن الموصلي / مكتبة المتنبي / القاهرة / الطبعة: الثانية / ١٤٠١هـ ــ ١٩١٨م / صـ ٦٢١

(٣) الإحكام في أصول الأحكام / علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد / دار الحديث / القاهرة / ١٤٠٤هـ / الطبعة: الأولى / ج١ صـ ٤٥

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ إبن حزم ج٣ صـ ١١٩

(٥) الصلاة وحكم تاركها / ابن القيم صـ ٢٢

فالكفر إذا حكم شرعي

قال شيخ الإسلام رحمه الله:" لأن الكفر حكم شرعي وإنما يثبت بالأدلة الشرعية."[١] وقال رحمه الله في رده على البكري[٢]:" فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفّرون من خالفهم وإن كان ذلك المخالف يكفرهم؛ لأن الكفر حكم شرعي، وكذلك التكفير حق لله فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله، وأيضا فإن تكفير الشخص المعين وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية التي يكفر من خالفها وإلا فليس كل من جهل شيئا من الدين يكفر."[٣] وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:" وليس إذا اخطأ يقال إنه كافر قبل أن تقام عليه الحجة التي حكم الرسول بكفر من تركها." [٤]

وقال ابن القيم كما أسلفت :" فالتكفير حكم شرعي فالكافر من كفره الله ورسوله."[٥]

" أما أهل السنة والجماعة فيرون أن التكفير حق لله تعالى لا يطلق إلا على من يستحقه شرعاً، ولا تردد في إطلاقه على من ثبت كفره بإثبات شروط وانتفاء موانع." [٦]

---

(١) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج١٧ صـــ ٧٨

(٢) البكري هو علي بن يعقوب بن جبريل البكري الشافعي المصري توفي يوم الاثنين سابع ربيع الآخر ودفن بالقرافة وقد هم السلطان بقتله مرارا فتشفع فيه الأمراء وكان يقال له نور الدين أبا الحسن كان صوفيا قبوريا كان يدافع عن أقوال الصوفية ويعظمها ، يرى بعض أراء الأشاعرة في الأسماء والصفات ، يكفر كل من خالفه في العقيدة ، رمى الإمام ابن تيمية رحمه الله بالزندقة واستعدى عليه السلطان ، وله رد على الشيخ في مسألة الاستغاثة بالمخلوقين أضحك فيها على نفسه العقلاء وشمت به فيها الأعداء لأن مثله مثل ساقية صغيرة كدرة الماء لاطمت بحرا عظيما صافي الماء قد ملئ درا وجوهرا وحكمة وعلما فكان كما قال عنه شيخ الإسلام إبن تيمية إن كلامه لا يتكلم به أحد من أهل العلم والإيمان وإنما يتكلم به أعور بين عميان يروج عليهم بسبب ضلالهم وإضلالهم ما يقوله من الهذيان. وكان شيخه شمس الدين الجزري قد رد عليه فيما دخل فيه في هذا المسألة من التكفير وأعظم عليه في ذلك النكير وبين أن هذا الكلام الذي صدر منه لا يقوله أحد ممن يعرف بالعلم والإيمان وإنما يقوله جاهل في غاية الجهل أو صبي مع الصبيان. قال ابن تيمية رأيت أن مثل هذا لا يخاطب خطاب العلماء وإنما يستحق التأديب البليغ والنكال الوجيع الذي يليق بمثله من السفهاء إذا سلم من التكفير فإنه لجهله ليس له خبرة بالأدلة الشرعية التي تتلقى منها الأحكام ولا خبرة بأقوال أهل العلم الذين هم أئمة أهل الإسلام بل يريد أن يتكلم بنوع مشاركة في فقه وأصول وتصوف ومسائل كبار بلا معرفة ولا تعرف والله أعلم بسريرته هل هو طالب رياسة بالباطل أو ضال يشبه الحالي بالعاطل أو اجتمع فيه الأمران وما هو من الظالمين ببعيد .(أنظر الإستغاثة في الرد على البكري تأليف / شيخ الإسلام ابن تيمية / دراسة وتحقيق عبد الله بن دجين السهلي / دار الوطن / الرياض / الطبعة الأولى / ١٤١٧ هـــ ١٩٩٧ م / ج١ صـــ ٤٠ وما بعدها)

(٣) الرد على البكري / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس / مكتبة الغرباء الأثرية / المدينة المنورة / ١٤١٧هـــ / الطبعة: الأولى / تحقيق: محمد علي عجال / صـــ ٣٨١

(٤) شرح العقيدة الطحاوية / ابن أبي العز الحنفي صـــ ٣٥٤

(٥) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة / محمد ابن الموصلي صـــ ٦٢٠

(٦) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة / إشراف وتخطيط ومراجعة د. مانع بن حماد الجهني/ دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع / الرياض / ١٤٢٤هـــ ـــ ٢٠٠٣م / الطبعة: الخامسة / مج١ صـــ ٨٩

ونستنتج من ذلك

١ــ لا كفر بدون بدليل شرعي، لأن حكم الكفر لله تبارك وتعالى ورسوله ﷺ.

٢ــ الحكم في التكفير لا يكون إلا للعالم بالأدلة الشرعية.

٣ــ ولأن التكفير حكم شرعي يترتب عليه أحكام شرعية أخرى كالنكاح والميراث، فلابد من تعلم أحكامه وأصولها.

٤ــ يجب الوقوف فيه على الحد الشرعي بلا إفراط ولا تفريط.

ومن هنا كانت مسألة التكفير من مسائل الاجتهاد التي لا يحكم فيها بالكفر على شخص أو جماعة إلا العلماء الذين بلغوا مرتبة الاجتهاد؛ لأن الحكم على المسلم بالكفر وهولا يستحقه ذنب عظيم، فهو حكم عليه بالخروج من ملة الإسلام، وأنه حلال الدم والمال، وحكم عليه بالخلود في النار إن مات على ذلك، و لذلك ورد الوعيد الشديد في شأن من يحكم على مسلم بالكفر، وهو ليس كذلك، و قد ثبت عند البخاري رحمه الله عن أبي ذر رضى الله عنه قال : قال النبي ﷺ:" لا يرمي رجل رجلا بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك."(١)

وهناك فرق بين التحذير من التكفير وبين التحذير من الغلو في التكفير، فالنصوص تحذر من الغلو فيه وليس التحذير منه. ولذا قال الإمام ابن دقيق العيد رحمه الله:" وهذا وعيد عظيم لمن كفَّر أحدا من المسلمين وليس كذلك، وهي ورطة عظيمة وقع فيها خلق كثير من المتكلمين ومن المنسوبين إلى السنة وأهل الحديث لمَّا اختلفوا في العقائد فغلظوا على مخالفيهم، وحكموا بكفرهم، وخرق حجاب الهيبة في ذلك جماعة من الحشوية(٢) وهذا الوعيد لاحق بهم إذا لم يكن خصومهم كذلك."(٣)

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب ما ينهى من السباب واللعن ج٥ صــ ٢٢٤٧ حديث رقم ٥٦٩٨

(٢) الحشوية هذا اللفظ ليس له مسمى معروف لا في الشرع ولا في اللغة ولا في العرف العام، ولكن يذكر أن أول من تكلم بهذا اللفظ عمرو بن عبيد وقال كان عبد الله بن عمر حشويا. وأصل ذلك أن كل طائفة قالت قولا تخالف به الجمهور والعامة (ينسب) إلى أنه قول الحشوية أي الذين هم حشو في الناس ليسوا من المتأهلين عندهم. فالمعتزلة تسمى من أثبت القدر حشويا، والجهمية يسمون مثبتة الصفات حشوية، والقرامطة كأتباع الحاكم يسمون من أوجب الصلاة والزكاة والصيام والحج حشويا. (مجموع الفتاوى ج١٢ صــ ١٧٦ وانظر مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية / محمد بن عبد الوهاب / الجامعة الإسلامية / المدينة المنورة / ١٣٩٦هــ ــ ١٩٧٦م / تحقيق: محمود شكري الألوسي صــ ٩٤)

(٣) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام / محمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القشيري القوصي أبو الفتح تقي الدين ابن دقيق العيد / دار الكتب العلمية / بيروت / ج٤ صــ ٧٦

ثالثا : أقسام الكفر

جل علماء المسلمين على أن الكفر قسمان: قسم أكبر وإن لم يصرح بهذه التسمية بعضهم، فسماه كفر مخرج من الملة وكفر غير مخرج من الملة، وآخرون أسموه كفر دون كفر، وذهب بعضهم إلى تقسيمه إلى كفر اعتقاد وكفر عمل.

* قال ابن حجر رحمه الله في الفتح:" قوله باب كفران العشير وكفر دون كفر قال القاضي أبو بكر بن العربي في شرحه: مراد المصنف أن يبين أن الطاعات كما تسمى إيمانا كذلك المعاصي تسمى كفرا لكن حيث يطلق عليها الكفر لا يراد الكفر المخرج من الملة."(١) وقال أيضا:" ومحصل الترجمة أنه لما قدَّم أن المعاصي يطلق عليها الكفر مجازا على إرادة كفر النعمة لا كفر الجحد أراد أن يبين أنه كفر لا يخرج عن الملة خلافا للخوارج الذين يكفرون بالذنوب ونص القرآن يرد عليهم وهو قوله تعالى:﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾[النساء:٤٨]."(٢)

* يقول الذهبيُّ رحمه الله:" قال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا علي بن الحسين بن مهران رحمه الله سمعت أبا جعفر عبد الله بن محمد بن نفيل(٣) رحمه الله يقول: من قال إن القرآن مخلوق فهو كافر. فقيل له يا أبا جعفر الكفر كفران كفر نعمة وكفر بالرب عز وجل. قال: لا بل كفر بالرب ما تقول فيمن يقول:﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[الإخلاص١:٢] مخلوق أليس كافر."(٤)

* ويقول البيهقي رحمه الله:" وإذا أوجبنا أن تكون الطاعات كلها إيمانا لم نوجب أن تكون المعاصي الواقعة من المؤمنين كفرا."(٥)

* يقول ابن القيم رحمه الله:" فأما الكفر فنوعان : كفر أكبر وكفر أصغر؛ فالكفر الأكبر: هو الموجب للخلود في النار والأصغر: موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود كما في قوله تعالى وكان مما يتلى ــ يقصد نسخ تلاوة ــ فنسخ لفظه: لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم وقوله في الحديث الصحيح: (اثنتان

---

(١) فتح الباري / ابن حجر ج١ صـــ ٨٣

(٢) فتح الباري / ابن حجر ج١ صـــ ٨٥

(٣) قال الذهبيُّ كان النفيلي رحمه الله من أركان الدين وكان ينظر بأحمد بن حنبل بحيث أن أبا داود السجستاني يقول ما رأيت أحدا أحفظ من النفيلي، قلت مات سنة أربع ثلاثين ومائتين عن سن عالية.انظر المرجع التالي نفس الصفحة.

(٤) العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها / الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي / مكتبة أضواء السلف / الرياض /١٤١٦هــ ــ ١٩٩٥م / الطبعة: الأولى / تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود / صـــ ١٨١

(٥) شعب الإيمان / أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤١٠هــ / الطبعة: الأولى/ تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول / ج١ صـــ٣٧

في أمتي هما بهم كفر: الطعن في النسب والنياحة)[١] وهذا تأويل ابن عباس وعامة الصحابة رضى الله عنهم في قوله تعالى:﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة:٤٤] قال ابن عباس: ليس بكفر ينقل عن الملة، بل إذا فعله فهو به كفر وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر وكذلك قال طاووس. وقال عطاء: هو كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق."[٢]

إلا أن بعض أهل السنة ذهبوا على أن الكفر واحد إما حقيقي مخرج من الملة، أو مجازي يراد منه الترهيب فقط من الإقبال على المعصية كما ورد عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله ؛ وذلك راجع إلي تعريف الإيمان عنده على انه لا يزيد ولا ينقص كما أسلفت. ورواية عن الإمام أحمد رحمه الله كما ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فقال:" قوله:(فقد كفر بما أنزل على محمد)[٣] ﷺ قال الطيبي رحمه الله: المراد بالمنزل الكتاب والسنة، أي من ارتكب الهناة فقد برىء من دين محمد ﷺ وما أنزل عليه. انتهى. وهل الكفر في هذا الموضع كفر دون كفر؟ أو يجب التوقف فلا يقال ينقل عن الملة؟ ذكروا فيها روايتين عن أحمد، وقيل هذا على التشديد والتأكيد أي قارب الكفر والمراد كفر النعمة. وهذان القولان باطلان."[٤] يريد الشيخ بالقولين الباطلين الأول ما نقل عن الطيبي والثاني الرواية الثانية عن الإمام أحمد بالتوقف.

وشرح إبن أبي العز الحنفي رحمه الله هذا الخلاف بأنه شكلي لفظي فقال:" ثم بعد هذا الاتفاق تبين أن أهل السنة اختلفوا خلافا لفظيا لا يترتب عليه فساد؛ وهو أنه هل يكون الكفر على مراتب كفرا دون كفر كما اختلفوا هل يكون الإيمان على مراتب إيمانا دون إيمان، وهذا الاختلاف نشأ من اختلافهم في مسمى الإيمان هل هو قول وعمل يزيد وينقص أم لا؟ فمن قال إن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص قال هو كفر عملي لا اعتقادي، والكفر عنده على مراتب كفر دون كفر كالإيمان عنده، ومن قال إن الإيمان هو التصديق ولا يدخل العمل في مسمى الإيمان والكفر هو الجحود ولا يزيدان ولا ينقصان قال هو كفر مجازي غير حقيقي."[٥]

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة ج١ صـــ ٨٢ حديث رقم ٦٧

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين / محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله / دار الكتاب العربي / بيروت / ١٩٧٣م ــ ١٣٩٣هــ / الطبعة: الثانية / تحقيق محمد حامد الفقي / ج١ صـــ ٣٣٧ ــ ٣٣٨

(٣) من حديث أخرجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين كتاب الإيمان ج١ صـــ ٤٩ رقم ١٥ وقال حديث صحيح على شرطهما

(٤) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد / سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب / عالم الكتب / بيروت / ١٩٩٩م / الطبعة: الأولى / تحقيق: محمد أيمن الشبراوي / صـــ ٣٣٨

(٥) شرح العقيدة الطحاوية / ابن أبي العز الحنفي صـــ ٣٦٢-٣٦٣ باختصار

القسم الأول : ـــ كفر أكبر مخرج من الملة

قال ابن القيم في كتاب الصلاة:" وها هنا أصل آخر وهو أن الكفر نوعان: كفر عمل وكفر جحود وعناد. الجحود أن يكفر بما علم أن الرسول جاء به من عند الله جحودا وعنادا من أسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكامه، وهذا الكفر يضاد الإيمان من كل وجه."(١) وقد بسطت تعريفه فيما سبق وسأبين أنواعه وبم يتحقق لاحقا.

وخلاصة القول في القسم الأول وهو أن الكفر الأكبر الذي يناقض الإيمان، ويخرج صاحبه من الإسلام وتنطبق عليه أحكام الكافر أو المرتد في الدنيا ، وفي الآخرة يوجب الخلود في النار، ويكون بالاعتقاد، أو القول، أو العمل.

القسم الثاني : كفر أصغر غير مخرج من الملة

قال ابن القيم رحمه الله:" يطلق الكفر الأصغر على الذنوب التي سماها الشرع كفراً، ولكنه لم يحكم على أصحابها بالخروج من الإسلام، كقتال المسلم لأخيه المسلم دون حق، قال ﷺ:(سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر)(٢) والطعن في أنساب الناس وقبائلهم، والنياحة على الميت بلطم الخدود، وشق الجيوب ، قال ﷺ: (اثنتان في الناس هما بهم كفر؛ الطعن في النسب، والنياحة على الميت)(٣). ومن ذلك أيضاً انتساب الولد إلى غير أبيه مع علمه بوالده، لقوله ﷺ:(لا ترغبوا عن آبائكم، فمن رغب عن أبيه فهو كفر)(٤) ومنه كذلك تنكر المرأة لحق زوجها وإحسانه، فقد رأى النبي ﷺ أكثر أهل النار من النساء، فسئل عن سبب ذلك، فقال: (لأنهن يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان. لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك ما يسوؤها قالت: ما رأيت منك خيرا قط.)(٥) فكل هذه صور للكفر الأصغر الذي لا يخرج صاحبه من الإسلام، وليس معنى تسمية تلك الذنوب كفراً أصغر أن يتهاون الناس في ارتكابها، وإنما المراد مزيد تحذير وتنفير منها، فهي أعظم إثما من الكبائر، ويجب على فاعلها التوبة منها، والرجوع إلى الله سبحانه."(٦)

---

(١) الصلاة وحكم تاركها / ابن القيم صـــ ٨

(٢) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري كتاب الإيمان باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر ج١ صـــ ٢٧ حديث رقم ٤٨ والإمام مسلم في كتاب الإيمان باب بيان قول النبي ﷺ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ج١ صـــ ٨١ حديث رقم ٦٤

(٣) المرجع السابق ج٣ صـــ ٢٧٩ حديث رقم ٢٦٣١ واللفظ لمسلم

(٤) المرجع السابق ج٣ صـــ ١٤٥ حديث رقم ٢٣٦٣ واللفظ لمسلم

(٥) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الكسوف باب صلاة الكسوف جماعة ج١ صـــ ٣٥٧ حديث رقم ١٠٠٤ والإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله ككفر النعمة والحقوق ج١ صـــ ٨٦ حديث رقم ٧٩

(٦) مدارج السالكين / ابن القيم ج١ صـــ ٣٣٧

يقول ابن حجر رحمه الله:" قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة:٨٥] بعد قوله: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ﴾ [البقرة:٨٥] فدل على أن بعض الأعمال يطلق عليه الكفر تغليظا."(١) وقال أيضا:" وفيه إطلاق الكفر على الذنوب التي لا تخرج عن الملة تغليظا على فاعلها."(٢)

وقد بوب الإمام مسلم رحمه الله لذلك بابا حيث قال:" باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات وبيان إطلاق لفظ (الكفر على غير الكفر بالله ككفر النعمة والحقوق) وفيه إطلاق الكفر على غير الكفر بالله تعالى ككفر العشير والإحسان والنعمة والحق، ويؤخذ من ذلك صحة تأويل الكفر في الأحاديث المتقدمة على ما تأولناها."(٣)

قال القرطبي رحمه الله:" والكافر ضربان: كافر يُعاقب لا محالة وكافر لا يُعاقب؛ فالذي يُعاقب هو الذي يوافي بالكفر فالله ساخط عليه مُعادٍ له، والذي لا يُعاقب هو الموافي بالإيمان؛ فالله غير ساخط على هذا ولا مبغض له بل محب له موال لا لكفره لكن لإيمانه الموافي به فلا يجوز أن يطلق القول."(٤)

وقال المباركفوري رحمه الله:"(فقد كفر بما أنزل على محمد)(٥) الظاهر أنه محمول على التغليظ والتشديد كما قاله الترمذي رحمه الله. وقيل إن كان المراد الإتيان باستحلال وتصديق فالكفر محمول على ظاهره، وإن كان بدونهما فهو على كفران النعمة قوله:(وإنما معنى هذا الحديث عند أهل العلم على التغليظ) يعني على التشديد والتهديد."(٦)

وقال ابن القيم رحمه الله:" والقصد: أن المعاصي كلها من نوع الكفر الأصغر فإنها ضد الشكر الذي هو العمل بالطاعة."(٧)

قال الراغب رحمه الله:" فقوله ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ [الزُّخرُف:١٥] تنبيه على ما ينطوي عليه الإنسان من كفران النعمة، وقلة ما يقوم بأداء الشكر، وعلى هذا قوله ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾

---

(١) فتح الباري / ابن حجر ج١ صـــ ١١٣ ، صـــ ٤٠٦

(٢) فتح الباري / ابن حجر ج١ صـــ ٤٠٦

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ج٢ صـــ ٦٥، ٦٧

(٤) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) / أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي / دار الشعب / القاهرة / ج١ صـــ١٩٤

(٥) سبق تخريجه صـــ ٢٢

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي / محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا / دار الكتب العلمية / بيروت / باب ما جاء في كراهية إتيان الحائض ج١ صـــ٣٥٦

(٧) مدارج السالكين / ابن القيم ج١ صـــ ٣٣٧

[عبس:١٧] ولذلك قال ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ:١٣] فقوله تعالى الإنسان تشمل عموم الإنسان المؤمن والكافر."[١]

قال ابن القيم رحمه الله:" ولا يلزم من قيام شعبة من شعب الإيمان بالعبد أن يسمى مؤمناً، ولا من قيام شعبة من شعب الكفر به أن يسمى كافراً، حتى يجمع خصالاً يكون بها مستحقاً لاسم الكفر الأكبر، كما لا يسمى مؤمنـــا الاسم المطلق حتى يستجمع خصالا يكون بها مستحقا ذلك الاسم، وإن كان قد يكون فيه إيمان مطلق يصير به مسلماً."[٢]

قال الألباني رحمه الله:" ثم إن كلمة الكفر ذُكرت في كثير من النصوص القرآنية و الحديثية، ولا يمكن أن تُحمل ــ فيها جميعاً ــ على أنها تساوي الخروج من الملة، من ذلك مثلاً الحديث المعروف في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول ﷺ(سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر.)[٣] فالكفر هنا هو المعصية، التي هي الخروج عن الطاعة، ولكن الرسول ﷺ ــ وهو أفصح الناس بياناً ــ بالغ في الزجر، قائلاً: (وقتاله كفر)"[٤]

ومع كل المفاسد التي يسببها الكفر الأصغر إلا أن صاحبه يظل في دائرة الإسلام لا يخرج منها، وإذا لقي الله عز وجل بتلك الذنوب، فإنه يكون مستحقا للعقوبة، إلا أن يعفو الله عنه. إلا أن كثرة الإتيان بها تزيد الجرأة عليها والتهاون فيها مما قد يوصل فاعلها إلى أن يختم الله على قلبه قال حذيفة رضى الله عنه:" سمعت رسول الله ﷺ يقول: تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه."[٥]

فالكفر الأصغر إذا هو الذنوب التي أطلق الشرع على فاعلها وصف الكفر ودلت الأدلة على أنه ليس بأكبر، وهو ما لا يناقض أصل الإيمان، بل ينقصه ويضعفه، ولا يسلب صاحبه صفة الإسلام وحصانته، وهو المشهور عند العلماء بقولهم:(كفر دون كفر) ويكون صاحبه على خطر عظيم من غضب الله عز وجل إذا لم يتب منه، وقد أطلقه الشارع على بعض المعاصي والذنوب على سبيل

---

(١) المفردات / الأصبهاني صـــ ٤٣٤

(٢) انظر الصلاة وحكم تاركها / ابن القيم صـــ ٨٠

(٣) سبق تخريجه صـــ ٢٣حاشة رقم ٢

(٤) فتنة التكفير / محمد ناصر الدين الألباني / تقريظ سماحة الشيخ العلامة: عبد العزيز بن باز تعليق الشيخ العلامة: محمد بن صالح العثيمين / إعداد على بن حسين أبو لوز / دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع / الطبعة: الثانية / ١٤١٨ هــ ــ ١٩٩٧م / صـــ ٢٥

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا ج١ صـــ ١٢٨حديث رقم ١٤٤

الزجر والتهديد، لأنها من خصال الكفر، وهي لا تصل إلى حد الكفر الأكبر، وما كان من هذا النوع فمن كبائر الذنوب. وهو مقتض لاستحقاق الوعيد والعذاب دون الخلود في النار، وصاحب هذا الكفر ممن تنالهم شفاعة الشافعين، ولهذا النوع من الكفر صور كثيرة. ولما كان الأصل في لفظ الكفر في كلام الشارع هو الكفر الأكبر، كان لابد من وجود قرينة شرعية تصرف لفظ الكفر من حمله على الكفر الأكبر إلى الكفر الأصغر.

ملخص الفروق بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر :

١ـ أن الكفر الأكبر يخرج من الملة ولا ينفع معه عمل، والكفر الأصغر لا يخرج من الملة لكن ينقص الإيمان.

٢ـ أن الكفر الأكبر يخلد صاحبه في النار ولا شفاعة له، والكفر الأصغر إذا دخل صاحبه النار فإنه لا يخلد فيها ، وتلحقه شفاعة الأنبياء والصالحين والشهداء ، وقد يتوب الله على صاحبه أصلاً فلا يدخله النار.

٣ـ أن الكفر الأكبر يبيح الدم والمال ويمنع الزواج والميراث ، والكفر الأصغر لا يبيح الدم والمال وتنطبق على مرتكبه جميع أحكام المسلمين.

٤ـ أن الكفر الأكبر يوجب البراء والعداوة الخالصة بين صاحبه وبين المؤمنين فلا تجوز محبته وموالاته ولو كان أقرب قريب. وأما الكفر الأصغر فيوجب الولاء ولكن يبغض فعله ويجافى بقدر معصيته إن أصر عليها.

رابعا : ـــ أنواع الكفر الأكبر (المخرج من الملة)

أما الكفر فقد بسطت تعريفه في مبحث سابق وأبين هنا أنواعه:

وقد قسم ابن القيم رحمه الله الكفر الأكبر إلى خمسة أنواع: كفر تكذيب وكفر استكبار وإباء مع التصديق وكفر إعراض وكفر شك وكفر نفاق."(١)

وسأشرع باسم الله في شرح كل نوع بشيء من التفصيل.

أولا : كفر التكذيب (الجحود)

وكفر التكذيب والجحود فهو كاسمه، يكون صاحبه مكذباً ويكون جاحداً لله أو لرسوله ﷺ، والدليل على هذا النوع من الكفر قول الله تعالى:﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾[العنكبوت:٦٨] يقول الطبري رحمه الله:" أو كذب بالحق لما جاءه يقول أو كذب بما بعث الله به رسوله محمدا ﷺ من توحيده والبراءة من الآلهة والأنداد لما جاءه هذا الحق من عند الله، (أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ) يقول أليس في النار مثوى ومسكن لمن كفر بالله وجحد توحيده وكذب رسوله ﷺ وهذا تقرير وليس باستفهام."(٢) والتكذيب منهج الكفار مع الرسل عليهم السلام قال سبحانه:﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [آل عمران:١٨٤]

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾[فاطر:٢٥]

وهذا النوع من الكفر يندرج تحته أقسام ثلاثة:

الأول : ـــ تكذيب بالقلب واللسان أي ما كان ظاهرا وباطنا

قال تعالى:﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾[الإسراء:٥٩] وآيات القرآن في ذلك كثيرة. ويشمل هذا النوع أيضا اعتقاد كذب الرسل، وأن إخبارهم عن الحق بخلاف الواقع، أو ادعاء أن الرسول ﷺ جاء بخلاف الحق، أو لم يبلغ كل ما أمر الله به، لأنه بذلك يكذب القرآن الذي نص على أن النبي ﷺ قد بلَّغ قال تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ﴾[المائدة:٦٧]ويؤكد تبليغ النبي ﷺ قوله تعالى:﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾[المائدة:٣]

الثاني : ـــ تكذيب باللسان وإقرار بالقلب

وهو أكثر أنواع الكفر ورودا في القرآن لأنه جاء وصفا لكثير من الكفار وأهل الكتاب في مواضع متعددة. ومن أمثلة ذلك أبي طالب الذي أقر بصدق النبي ﷺ وقال في ذلك شعرا لكنه لم

---

(١) انظر مدارج السالكين / ابن القيم ج١ صـــ ٣٣٨

(٢) تفسير الطبري ج٢١ صـــ ١٤

يصدق ذلك نطقا بلسانه. فقد أورد ابن إسحاق ذلك ومما ذكر من شعره في مدح النبي ﷺ وإقراره بأنه حق ولكنه لم يؤمن به خشية الملامة من صناديد قريش قوله:

"والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفينا

امض لأمرك ما عليك ... وأبشر وقر بذاك منك عيونا

ودعوتني وعلمت أنك ناصح ... فلقد صدقت وكنت قدما أمينا

وعرضت دينا قد عرفت أنه ... خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذاري سبة ... لوجدتني سمحا لذاك مبينا "[(١)]

وورد ذلك في وصف قوم فرعون قال تعالى:﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [النمل١٣:١٤] قال الطبري:" فإن الله تعالى ذكره قد أخبر عن فرعون وقومه أنهم جحدوا ما جاءهم به موسى من الآيات التسع مع علمهم بأنها من عند الله بقوله:﴿ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾ ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾ ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾ [النمل١٢:١٤] فأخبر جل ثناؤه أنهم قالوا هي سحر مع علمهم واستيقان أنفسهم بأنها من عند الله، فكذلك قوله لقد علمت إنما هو خبر من موسى لفرعون بأنه عالم بأنها آيات من عند الله."[(٢)]

وكذلك كفار مكة كذبوا النبي ﷺ بألسنتهم وهم متيقنون في الباطن معترفون بصدق الرسول ﷺ، قال الله سبحانه وتعالى لنبيه:﴿قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴾ [الأنعام:٣٣] يعني كفار قريش، والخطاب للنبي ﷺ يعني: لا يكذبونك بقلوبهم، فقد ثبت أن زعماء قريش وفصحائها كانوا متيقنين من صدق النبي ﷺ، وقد اقر بعضهم بصدقه مثل أبو جهل قال ابن كثير رحمه الله:" عن أبي يزيد المدني أن النبي ﷺ لقي أبا جهل فصافحه فقال له رجل: ألا أراك تصافح هذا الصابئ؟ فقال: والله إني لأعلم إنه لنبي ولكن متى كنا لبني عبد مناف تبعا؟ وتلا أبو يزيد: ﴿فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴾ [الأنعام:٣٣]"[(٣)] وإنما أدرجت هذا تحت كفر التكذيب

---

(١) سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي) / أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني / معهد الدراسات والأبحاث للتعريف / تحقيق: محمد حميد الله / ج٢ صـ ١٣٦

(٢) تفسير الطبري ج١٥ صـ ١٧٤

(٣) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) / إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء/ دار الفكر/ بيروت / ١٤٠١هـ / ج٢ صـ ١٣١

لأنهم كذبوا بقولهم. قال القاضي أبو محمد الأندلسي رحمه الله:" وجميع ما في هذه التأويلات من نفي التكذيب إنما هو عن اعتقادهم وأما أقوال جميعهم فمكذبة إما له وإما للذي جاء به."(١)

وفي أهل الكتاب فقد كانوا يتوعدون الأوس والخزرج بالنبي ﷺ ليقاتلوهم مؤمنين به تحت رايته، لأنه منصوص عليه في كتبهم، ويعرفون أنه على الحق، فلما جاء كذبوا بألسنتهم قال سبحانه:﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[البقرة:٨٩]قال ابن تيمية:" من لم يقر بما جاء به الرسول فهو كافر سواء اعتقد كذبه أو استكبر عن الإيمان به أو أعرض عنه اتباعا لما يهواه أو ارتاب فيما جاء به؛ فكل مكذب بما جاء به فهو كافر وقد يكون كافرا من لا يكذبه إذا لم يؤمن به."(٢)

الثالث : ــ تصديق باللسان وكفر بالقلب

وقد سمى القرآن هذا القسم النفاق قال الله تعالى في وصف المنافقين:﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾[آل عمران:١٦٧] و أدرجته هنا لأنه يشتمل على التكذيب من هذا الباب وسأفرد له شرحا تحت كفر النفاق. قال ابن تيمية رحمه الله في تعداد أنواع الكفر الذي اتفق عليه أهل السنة وجمع كبير من الفرق التي تنتسب إلى الإسلام:" متفقون على أن من لم يؤمن بعد قيام الحجة عليه بالرسالة فهو كافر؛ سواء كان مكذبا أو مرتابا أو معرضا أو مستكبرا أو مترددا أو غير ذلك."(٣)

فلم يذكر رحمه الله كفر النفاق وكأنه أدرجه تحت التكذيب.

ثانيا : كفر الإباء والاستكبار

وهو أن يكون مصدقاً لأمر الله و أمر رسوله ﷺ ومقتنعاً بصحة الرسالة ، لكنه يأبى الإتباع مستكبرا على هذه الأوامر أو على من جاء بها بإباء ، فيكون كافراً بإبائه واستكباره وإن كان مصدقاً، ومن أمثلة ذلك كفر إبليس، فإبليس كان على يقين بصدق دعوة آدم عليه السلام ، لكنه تكبر وأعرض عن الإتباع ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤] وقال سبحانه:﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ [ص:٧٥]وكان جوابه بقياس فاسد قال تعالى عنه:﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[ص:٧٦] وهذا جواب فاسد واعتراض باطل يدل على نزعة نفسيه متكبرة واعتراض على الله، قال ابن عطية رحمه الله:" واختُلف

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي / دار الكتب العلمية / لبنان / ١٤١٣هـ ـــ ١٩٩٣م / الطبعة: الأولى / تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد / ج٢ صـــ ٢٨٦

(٢) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٣ صـــ ٣١٥

(٣) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٢٠ صـــ ٨٧

هل كفر إبليس جهلا أو عنادا على قولين بين أهل السنة، ولا خلاف أنه كان عالما بالله قبل كفره. فمن قال إنه كفر جهلا قال إنه سلب العلم عند كفره، ومن قال كفر عنادا قال كفر ومعه علمه. وقيل الكفر عنادا مع بقاء العلم مستبعد. إلا أنه عندي جائز لا يستحيل مع خذل الله لمن شاء."(١)

وقال ابن كثير رحمه الله:" حسد عدو الله إبليس آدم عليه السلام على ما أعطاه الله من الكرامة، وقال: أنا ناري وهذا طيني، وكان بدء الذنوب الكبر، استكبر عدو الله أن يسجد لآدم عليه السلام قلت: وقد ثبت في الصحيح (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر)(٢) وقد كان في قلب إبليس من الكبر والكفر والعناد ما اقتضى طرده وإبعاده عن جناب الرحمة وحضرة القدس."(٣) وقال تعالى:﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾[الصافات:٣٥] فهذا كفر الاستكبار. وكذلك قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[البقرة:٨٧] وهذا هو الغالب على أعداء الرسل من الأمم الذين أبوا واستكبروا عن اتباع الرسل، كما حكى الله عنهم بقوله:﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾[ابراهيم:١٠] فهذا إباء واستكبار.وأخبر سبحانه وتعالى عن عاد قوم هود بأن كفرهم كان إباءً واستكباراً فقال:﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾[فصّلت:١٥] وكذلك ثمود استكبروا وكفروا وأبوا قال الله تعالى في بيان دعوة صالح عليه السلام:﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾[الأعراف:٧٦] فكفروا بالاستكبار.

وكذلك اليهود كفرهم كان بالإباء والاستكبار؛ لأنهم كفروا عن علم ومعرفة لا عن جهل بالحق، قال الله تعالى:﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[البقرة:٨٩] وأخبر سبحانه وتعالى أنهم لا يشكون في صدق نبوة نبينا ﷺ، بل يعترفون بأنه نبي الله وأنه رسول الله حقاً، ويعرفونه من كتبهم كما يعرفون أولادهم، ولهذا قال سبحانه:﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:١٤٦]

---

(١) المحرر الوجيز / الأندلسي ج١ صـ١٢٦

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه كتاب معرفة الصحابة ج٣ صـ ٤٧٠ حديث رقم ٥٧٥٧ وقال عنه صحيح الإسناد ولم يخرجاه

(٣) تفسير ابن كثير ج١ صـ ٧٩

وقد يجتمع أكثر من باعث في الشخص الواحد كما في قوله تعالى:﴿ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[الزُمَر:٥٩] فاجتمع لهذا كفر التكذيب وكفر الاستكبار.

ومن أمثلة ذلك أيضا فرعون وقومه، فكفرهم أيضاً كان بالإباء والاستكبار، قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴾ [المؤمنون٤٥:٤٦]

وسبق أن فرعون كفر بالتكذيب والجحود، كما كفر بالإباء والاستكبار، فاجتمع في فرعون الأمران، فهو مكذب جاحد بلسانه أحياناً، وهو أيضاً مستكبر، فاجتمع فيه النوعان: كفر الإباء والاستكبار، وكفر التكذيب والجحود.

ثالثا : كفر الإعراض

و قد كثر ذكر هذا النوع من الكفر في القرآن قال سبحانه عن اليهود:﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [البقرة:٨٣] و قال سبحانه في وصف الكفار عامة:﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ [الأنعام:٤] وقال جل وعلا في كفار قريش:﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴾ [الشورى:٤٨]

والإعراض عن الشيء لغة: الصد عنه[١] قال الراغب:" وإذا قيل أعرض عني، فمعناه ولى مبديا عرضه."[٢] وكل هذا يحمل معنى عدم الانتباه والاهتمام وتجاهل الأمر وعدم العمل به.

قال ابن القيم رحمه الله:" وأما كفر الإعراض: فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول لا يصدقه ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه ولا يصغي إلى ما جاء به البتة كما قال أحد بني عبد ياليل للنبي ﷺ: والله أقول لك كلمة إن كنت صادقا فأنت أجل في عيني من أن أرد عليك، وإن كنت كاذبا فأنت أحقر من أن أكلمك."[٣] ومثال ذلك قصة الثلاثة نفر من ثقيف " حيث جلس إليهم رسول الله ﷺ وكلمهم بما جاءهم له ــ من نصرته على الإسلام والقيام على من خالفه من قومه ــ فقال له أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة: إن كان الله أرسلك! وقال الآخر: أما وجد الله أحدا يرسله غيرك؟ وقال الثالث: والله لا أكلمك أبدا لئن كنت رسولا من الله

(١) لسان العرب / ابن منظور ج٧ صـــ ١٨٢
(٢) المفردات / الأصبهاني صـــ ٣٣٠
(٣) مدارج السالكين / ابن القيم ج١ صـــ ٣٣٨

كما تقول لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك."[1]

وهذا ليس عنده استعداد لأن ينظر فيما جاء به الرسول ﷺ ، فهو يقول له: يحتمل أن تكون صادقا وأن تكون كاذبا، فإن كنت صادقا فأنت أجل في عيني من أن أرد عليك، وإن كنت كاذبا فأنت أحقر من أن أكلمك. ثم مضى وتركه، فهذا معرض. وإعراض المرء عن دين الله بحيث لا يتعلم دين الله، ولا يعبد الله كفر وردة، كمن يقول بعض الناس عنه: إنه لا ديني، أي: لا يتدين بدين، فهو معرض.

وهذا حال أغلب الكفار الآن في العالم الغربي، فهم في الحقيقة لم يعودوا نصارى ولا يهودا، وربما اليهود ما زالوا متمسكين في عامتهم، لكن النصارى هم الآن شر من اليهود، هم يصفون العصور الوسطى بأنها عصور الظلام، وهم يعيشون الآن في ظلام أشد من ظلمة العصور الوسطى في الحقيقة، وهم الآن في عامتهم لا دين لهم، وأقرب ما يكونوا للوثنيين، وهذا يعلم من حال القوم.

يقول ابن تيمية رحمه الله:" بيَّن سبحانه أن من دُعي إلى التحاكم إلى كتاب الله وإلى رسوله فصد عن رسوله ﷺ كان منافقاً، وليس بمؤمن. فالنفاق يثبت ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن حكم الرسول ﷺ وإرادة التحاكم إلى غيره."[2]

ويفصل ابن القيم رحمه الله في بيان ذلك فيقول:" إن الله سبحانه وصف المعرضين عن الوحي المعارضين له بعقولهم وآرائهم بالجهل والضلال والحيرة الشك والعمى والريب، فلا يجوز وصفهم بالعلم والعقل والهدى، ومنشأ ضلال هؤلاء من شيئين أحدهما : الإعراض عما جاء به الرسول، والثاني معارضته بما يناقضه، فمن ذلك نشأت الاعتقادات المخالفة للكتاب والسنة، فكل من أخبر بخلاف ما أخبر به الرسول ﷺ عن شيء من أمر الإيمان بالله وأسمائه وصفاته واليوم الآخر أو غير ذلك فقد ناقضه وعارضه . وهذا حال أهل الجهل المركب، ومن أعرض عما جاء به الرسول ولم يعرفه ولم يتبينه ولا عارضه بمعقول أو رأي فهو من أهل الجهل البسيط."[3]

والإعراض قسمين إعراض يعد ناقضا من نواقض الإيمان العملية، بالإعراض التام عن دين الله تعالى لا يتعلمه ولا يعمل به، والصدود عن قبول حكم الشريعة، فإذا كان جنس العمل الظاهر من أصل

---

(١) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء / أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي / عالم الكتب / بيروت / ١٤١٧هـ / الطبعة: الأولى / تحقيق: د . محمد كمال الدين عز الدين علي / ج١ صـ ٢٩٧ وانظر السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون / علي بن برهان الدين الحلبي / دار المعرفة / بيروت /١٤٠٠هـ / ج٢ صـ٥٢

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس / دار ابن حزم / بيروت / ١٤١٧هـ / الطبعة: الأولى / تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني ، محمد كبير أحمد شودري / صـ ٣٣ باختصار

(٣) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة / أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي / دار العاصمة / الرياض / ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م / الطبعة: الثالثة / تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله / ج٣ صـ ١١٣١

الإيمان، فإن تركه وعدم الالتزام به إعراض كلي عن هذا العمل، ومن ثم فهو كفر مخرج عن الملة. كما وضحه ابن تيمية بقوله:" وقد تبين أن الدين لابد فيه من قول وعمل، وأنه يمتنع أن يكون الرجل مؤمنا بالله ورسوله بقلبه، أو بقلبه ولسانه، ولم يؤد واجبا ظاهرا، ولا صلاة ولا زكاة ولا صياما ولا غير ذلك من الواجبات."(١)

وإعراض غير مخرج عن الملة وهو الإعراض عن جنس العمل أي الطاعة والذي يعد شرطاً في صحة الإيمان، لا يخرج من الملة، كأن يكون معه أصل الإيمان، لكنه يعرض عن فعل واجب من الواجبات الشرعية، وبهذا ندرك الفرق بين الإعراض الكلي عن جنس العمل الظاهر وهو الطاعة أو الاتباع، وبين الإعراض الجزئي عن بعض العمل، فالأول ينقض الإيمان وينفيه بالكلية، والآخر ينقص الإيمان، لكن لا ينفيه بالكلية.

رابعا : كفر الشك

"الشَّكُّ: نقيض اليقين، وجمعه شُكُوك، وقد شَكَكْتُ في كذا وتَشَكَّكْتُ، وشَكَّ في الأَمر يَشُكُّ شَكّاً وشَكَّكَه فيه غيره وفي الحديث: أَنا أَولى بالشك من إبراهيم لما نزل قوله: أَولم تؤمن قال بلى؛ قال قوم لما سمعوا الآية: شك إبراهيم ولم يَشُك نبينا، فقال عليه السلام، تواضعا منه وتقديما لإبراهيم على نفسه: (أنا أحق بالشك من إبراهيم)(٢) أي أَنا لم أَشُكَّ وأَنا دونه، فكيف يَشُكُّ هو؟"(٣)

وقال الراغب رحمه الله:" الشك اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما، وذلك قد يكون لوجود أمارتين متساويتين عند النقيضين، أو لعدم الأمارة فيهما، والشك ربما كان في الشيء هل هو موجود أو غير موجود؟ وربما كان في جنسه، من أي جنس هو؟ وربما كان في بعض صفاته، وربما كان في الغرض الذي لأجله أوجد. والشك: ضرب من الجهل، وهو أخص منه؛ لأن الجهل قد يكون عدم العلم بالنقيضين رأسا، فكل شك جهل، وليس كل جهل شكا."(٤)

قال ابن القيم رحمه الله:" فإنه لا يجزم بصدقه ولا بكذبه؛ بل يشك في أمره، وهذا لا يستمر شكه إلا إذا ألزم نفسه الإعراض عن النظر في آيات صدق الرسول ﷺ جملة فلا يسمعها ولا يلتفت إليها، وأما مع إلتفاته إليها ونظره فيها فإنه لا يبقى معه شك لأنها مستلزمة للصدق ولا سيما بمجموعها فإن دلالتها على الصدق كدلالة الشمس على النهار."(٥)

---

(١) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٧ صـــ ٦٢١

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الأنبياء باب قوله عز وجل: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ **[الحجر:٥١]** وقوله: ﴿وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ **[البقرة:٢٦٠]** ج٣ صـــ ١٢٣٣ حديث رقم ٣١٩٢ إلا أنه قال بدل أنا نحن

(٣) لسان العرب / ابن منظور ج١٠ صـــ ٤٥١

(٤) المفردات / الأصبهاني صـــ ٢٦٥

(٥) مدارج السالكين / ابن القيم ج١ صـــ ٣٣٧،٣٣٨

وكأن ابن القيم رحمه الله يعتبر كفر الشك مرحلة أولية من مراحل الكفر، وليس نوعا ثابتا إذ يكون في أول الأمر، قبل الإطلاع على الأدلة والآيات بمجملها. فإذا تأمل في آيات صدق الرسول ﷺ ودلائل نبوته والأدلة التي تدل على الحق وعلى وجوب توحيد الله وإخلاص الدين له فإنها لا بد وأن تدله على الحق واليقين وتوصله إلى الصدق، فهي مستلزمة للصدق بمجموعها.

وإن لم يتبع يكون له أحوال: فإما أن يعترف ويصدق بقلبه ويجحد بلسانه، فيكون مكذباً جاحداً، وإما أن يصدق بقلبه ولسانه لكن يستكبر ولا يقبل، فيكون كفره بالإباء والاستكبار. فالشك يكون في أول الأمر، يترتب عليه موقف آخر إما الجحود أو الإستكبار.

ومن أمثلة هذا النوع من الكفر ــ وهو كفر الشك والظن ــ كفر صاحب الجنتين الذي قص الله علينا قصته مع صاحبه في سورة الكهف قال تعالى:﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴾﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾[الكهف٣٥:٣٦]

قال الغرناطي:" قوله:﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ﴾[الكهف:٣٧] أي خلق منه أباك آدم وإنما جعله كافرا لشكه في البعث."(١) و قال ابن عطية الأندلسي رحمه الله:" وظلمه لنفسه كفره وعقائده الفاسدة في الشك في البعث فقد نص على ذلك قتادة وابن زيد."(٢)

ومن أمثلة كفر الشك في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾[هود:٦٢] وقول الله تعالى:﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾[إبراهيم:٩] وقال سبحانه:﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴾﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴾﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[النمل٦٦:٦٨] وقال جل وعلا:﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ﴾[سبأ:٥٤] وقال تبارك تعالى:﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾[ص:٨]

ومثال كفر الشك أيضا ما رواه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه في الرجل الذي قال لأهله:" إذا مت فحرقوني واسحقوني في اليم، فإن الله لو قدر عليّ ليعذبني عذاباً لا يعذبه أحد من

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل / محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي / دار الكتاب العربي / لبنان / ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م / الطبعة: الرابعة / ج٢ صـ ١٨٨

(٢) المحرر الوجيز / ابن عطية الأندلسي ج٣ صـ ٥١٧

العالمين."[١] هذا الرجل ظاهر عقيدته الكفر والشك في قدرة الله، لكن الله لما جمعه وخاطبه قال: يا رب إني خشيت منك أو كلمة نحوها، فغفر له، فصار هذا الفعل منه تأويلاً. أي غير مقصود له ، ولا مُراد منه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله معلقاً على هذا الحديث:" فهذا الرجل ظن أن الله لا يقدر عليه إذا تفرق هذا التفرق، فظن أنه لا يعيده إذا صار كذلك، وكل واحد من إنكار قدرة الله تعالى وإنكار معاد الأبدان وإن تفرقت كفر، لكنه كان مع إيمانه بالله وإيمانه بأمره وخشيته منه جاهلا بذلك، ضالا في هذا الظن مخطئاً، فغفر الله له ذلك، والحديث صريح في أن الرجل طمع أن لا يعيده إذا فعل ذلك، وأدنى هذا أن يكون شاكا في المعاد، وذلك كفر إذا قامت حجة النبوة على منكره حكم بكفره."[٢]

يقول الجصاص رحمه الله في تفسير قوله تعالى:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[النساء:٦٥] " وفي هذه الآية دلالة على أن من ردَّ شيئاً من أوامر الله تعالى، أو أوامر رسوله ﷺ فهو خارج من الإسلام، سواء رده من جهة الشك فيه، أو من جهة ترك القبول والامتناع من التسليم."[٣]

خامسا : كفر النفاق

قال تعالى:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ ﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[البقرة٨:٢٠] والآيات في المنافقين يطول حصرها أكتفي بهذه الآيات من أول سورة البقرة.

---

(١) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في صحيحة كتاب باب ج٣ صـ ١٢٨٣ حديث رقم ٣٢٩١ والإمام مسلم في صحيحه كتاب باب ج ٤ صـ ٣١١٠ حديث رقم ٢٧٥٦

(٢) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج١١ صـ ٤٠٩

(٣) أحكام القرآن / أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر / دار إحياء التراث العربي / بيروت / ١٤٠٥هـ / تحقيق: محمد الصادق قمحاوي / ج٣ صـ ١٨١

إن الله تبارك وتعالى قد قسم الناس هنا إلى ثلاثة أصناف؛ المؤمنين والكافرين والمنافقين، وذكر لكل صنف صفات تميزهم.

والنفاق مرض خطير من أمراض القلب ناتج عن حقد دفين على المسلمين لم يستطع صاحبه أن يظهره خوفا من المسلمين ، فتحلى بالإسلام صورة لا عقيدة ، ومن هنا تظهر مخاطره . فهو في الظاهر يصور نفسه على أنه يعمل في بناء الأمة ، وفي الخفاء لا يفتأ مكراً لتفريق جماعتهم والعمل على استئصال شأفتهم بزعم الإصلاح والتطوير. قال تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة ١١:١٢]

وكم عانى النبي ﷺ من هؤلاء المنافقين الذين حاولوا أكثر من مرة تمزيق صفوف المسلمين ؛ يثيرون الفتن تارة ، ويثبطون العزائم عند الحرب تارة ، ويحيون العصبية الجاهلية تارة أخرى . هذا والنبي ﷺ يعرفهم ويعرف ما تخفى صدورهم ، والوحي ينزل يفضح أمرهم . فكيف الآن وقد انقطع الوحي ومات النبي ﷺ فلا شك أن خطرهم أشد وأقوي .

فما هو النفاق؟ وكيف نشأ؟ وما هي أنواعه؟

النفاق لغة : ــ

" قيل أنه مأخوذ من النَّفَق وهو سرب مشتق إلى موضع آخر. وقيل أنه مأخوذ من النافقاء وهي جحر الضّب واليربوع. وقيل النفقة والنفقاء موضع يرققه اليربوع من جحره، قال الجوهري رحمه الله: والنافقاء إحدى جحرتيّ اليربوع يكتمها ويُظهر غيرها وهو موضع يرققه فإذا أُتي من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق أي خرج."(١) وقال ابن حجر رحمه الله:" والنفاق لغة مخالفة الباطن للظاهر فإن كان في اعتقاد الإيمان فهو نفاق الكفر وإلا فهو نفاق العمل، ويدخل فيه الفعل والترك وتتفاوت مراتبه."(٢)

النفاق شرعاً : ــ

وقد تعددت تعاريف النفاق في الاصطلاح إلا أنها كلها تدور حول معنى واحد وهو إبطان الكفر وإظهار الإيمان. و لكن بعض العلماء فرق في تعريفه بين الأكبر والأصغر منه، ومنهم لم يفرق فقصد الأكبر وهو الاعتقادي الذي يخرج من الملة فقال ابن الأثير:" وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به؛ وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه وإن كان أصله في اللغة معروفا."(٣)

---

(١) انظر لسان العرب / ابن منظورج١٠ صـ ٣٥٩ وانظر النهاية في غريب الحديث والأثر / ابن الأثير ج٥ صـ ٩٧

(٢) فتح الباري / ابن حجر ج١ صـ ٨٩

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر / ابن الأثير ج٥ صـ ٩٧

وقال النووي رحمه الله:" فان النفاق هو إظهار ما يبطن خلافه."[١]

وقال الجرجاني رحمه الله:" النفاق إظهار الإيمان باللسان وكتمان الكفر بالقلب."[٢]

وقال الإمام ابن القيم في بيان مراتب المكلفين في الدار الآخرة وطبقاتهم:" الطبقة الخامسة عشر: طبقة الزنادقة وهم قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل، وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسله، وهؤلاء المنافقون وهم في الدرك الأسفل من النار."[٣]

وممن فرق في التعريف ابن كثير فقال:" النفاق هو إظهار الخير وإسرار الشر وهو نوع اعتقادي: وهو الذي يخلد صاحبه في النار، وعملي: وهو من أكبر الذنوب. وهذا كما قال ابن جريج المنافق يخالف قوله فعله وسره علانيته ومدخله مخرجه ومشهده مغيبه." [٤]

أما المناسبة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي فواضحٌ التلازم بينهما في كلا المعنيين اللغويين فاليربوع قد اتخذ المخرج الثاني وسيلة للهروب فهو أسلوب مكر وخديعة، وكذلك المنافق له وجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه، فإذا طُلب من أحد الوجهين فرّ إلى الآخر ــ والعياذ بالله ــ وهذا من حيث اشتقاقه من النافقاء وهو جحر اليربوع .

أما من حيث المعنى أو الاشتقاق من النفق وهو السرب فالتلازم بين المعنيين واضح من حيث أن النفق له مدخلين ومخرجين في آن واحد.

نشأة النفاق

لم يكن في مكة نفاق فالناس فيها على فريقين، إما مسلم موحد وإما كافر مظهر لكفره، ولعل ذلك يرجع إلى أن المسلمين لم يكن لديهم قوة عسكرية علاوة على اضطهادهم وتعذيبهم، فلم يكن أحد ليثبت إلا مؤمن صادق الإيمان، ثم كانت الهجرة إلى المدينة وهذا يقتضي من المهاجرين التخلي عن مساكنهم وأموالهم وربما أهليهم، وهذا لا يقوم إلا لمن وقر الإيمان في قلبه. ولهذا وغيره لم يكن للنفاق وجود في مكة ولكن عندما هاجر المصطفى ﷺ إلى المدينة ووجد عندهم من الحفاوة والترحيب ما وجد. كان هناك فريف من الناس ألهب الغيظ قلوبهم، وملأ أفئدتهم الحقد والحسد لهذا الدين الجديد، وعلى رأس هؤلاء عبد الله بن أُبيّ بن سلول كبير المنافقين." فعن أسامة بن حارثة حب رسول الله ﷺ قال: ركب رسول الله ﷺ إلى سعد بن عبادة يعوده من شكو أصابه على حمار

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج٢ صــ ٤٧

(٢) التعريفات / علي بن محمد بن علي الجرجاني / دار الكتاب العربي / بيروت / ١٤٠٥ هــ / الطبعة: الأولى / تحقيق: إبراهيم الأبياري / صــ ٣١١

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين / محمد بن أبي بكر أيوب الزرعيّ أبو عبد الله / دار ابن القيم / الدمام / ١٤١٤ هــ ــ ١٩٩٤ م / الطبعة: الثانية / تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر / ج١ صــ ٥٩٥

(٤) تفسير ابن كثير ج١ صــ ٤٨

عليه إكاف، فوقه قطيفة فديكة مختطمة بحبل من ليف وأردفني رسول الله ﷺ خلفه. قال: فمر بعبد الله بن أُبي وهو في ظل مزاحم أُطمه ــ الأطم:الحصن، قال ابن هشام: مزاحم: اسم الأطم ــ . وحوله رجال من قومه. فما رآه رسول الله ﷺ تذمم من أن يجاوزه حتى ينزل فنزل فسلم ثم جلس قليلاً فتلا القرآن ودعا إلى الله عز وجل وذكّر بالله وحّذر ، وبشّر وأنذر. قال: وهو زامٌ لا يتكلم، حتى فرغ رسول الله ﷺ من مقالته ، قال : يا هذا إنه لا أحسن من حديثك هذا. إن كان حقا فاجلس في بيتك فمن جاءك له فحدّثه إياه، ومن لم يأتك فلا تفُته به، ولا تأته في مجلسه بما يكره منه. قال: فقال عبد الله بن رواحه في رجال كانوا عنده من المسلمين: بلى، فاغشنا به، وائتنا في مجالسنا ودورنا وبيوتنا، فهو والله مما نحب، ومما أكرمنا الله به وهدانا له، فقال عبد الله بن أُبي حين رأى من خلاف قومه ما رأى:

متى ما يكن مولاك خصمك لا تزل   تذل ويصـــــرعك الذين تصـــارع

وهل ينهض البازي بغيــــر جناحه   وإن جُذ يوماً ريشـــه فهو واقع

قال ابن إسحاق (وحدثني الزهري عن عروة بن الزبير عن أسامة ، قال : وقام رسول الله ﷺ، فدخل سعد بن عبادة ، وفي وجهه ما قال عدو الله ابن أُبي، فقال : والله يا رسول الله لأرى في وجهك شيئاً، لكأنك سمعت شيئاً تكرهه، قال: أجل. ثم أخبره بما قال ابن أُبي فقال سعد: يا رسول الله، ارفق به فو الله لقد جاءنا الله بك وإنا لننظم له الخرز لنتوجه، فو الله إنه ليرى أن قد سلبته ملكاً."(١)

واستمر إبن أُبيَّ في كفره حتى كانت موقعة بدر، فقد كانوا يظنون أنها سوف تكون النهاية لهذا الدين ويُقضى على المسلمين قال تبارك تعالى مخبراً عنهم:﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[الأنفال:٤٩] فلما انتصر المسلمون في هذه المعركة، كان هذا النصر بمثابة خنجر موجه إلى صدر عبد الله بن أُبيَّ وأشياعه من المنافقين واليهود. حتى أنهم لم يُصدقوا بشارة النصر وظلوا يُرجفون. ومن هنا بدأت تُحاك من قبلهم المكائد للمسلمين من خلال صفاتهم التي سنبرز أهمها فيما بعد.

أقسام النفاق

ينقسم النفاق إلى قسمين أكبر وأصغر ــ كما ذكرت في تعريف ابن حجر آنفا ــ وقال شيخ الإسلام:" والنفاق كالكفر نفاق دون نفاق، ولهذا كثيرا ما يقال كفر ينقل عن الملة وكفر لا ينقل، ونفاق أكبر ونفاق أصغر كما يقال الشرك شركان أصغر وأكبر."(٢)

---

(١) السيرة النبوية(سيرة ابن هشام) / عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد / دار الجيل / بيروت / ١٤١١هـــ / الطبعة: الأولى / تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد/ ج٣ صـــ ١٣٠،١٣١

(٢) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج١ صـــ ٥٢٤

الأول : ــ نفاق أكبر : ــ وهو الاعتقادي ويوجب الخلود في النار في دركها الأسفل. قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[النساء:١٤٥]

قال ابن القيم:" وهو نوعان أكبر وأصغر فالأكبر يوجب الخلود في النار في دركها الأسفل؛ وهو أن يظهر للمسلمين إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله، مكذب به لا يؤمن بأن الله تكلم بكلام أنزله على بشر جعله رسولا للناس يهديهم بإذنه، وينذرهم بأسه ويخوفهم عقابه."(١)

ومن أمثلته : ــ

١- تكذيب الرسول ﷺ بما جاء به عن ربه

٢- بغض الرسول ﷺ

٣- بغض ما جاء به الرسول ﷺ أو بعضه

٤- السرور بهزيمة المسلمين

٥- السرور بانخفاض الدين

وإنما لم أستطرد في ذكر الأمثلة لأنها ستعرض معنا عند شرح صفات المنافقين بشكل مفصل.

وقد سماه الله بالرياء في بعض الآيات قال الشيخ حافظ حكمي رحمه الله:" ثم اعلم أن الرياء قد أطلق في كتاب الله كثيرا ويراد به النفاق الذي هو أعظم الكفر وصاحبه في الدرك الأسفل من النار كما قال تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة:٢٦٤] وقال سبحانه:﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾[النساء:٣٨] وقال تعالى:﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾[النساء:١٤٢] وغير ذلك من الآيات النازلة في المنافقين بلفظ الرياء."(٢)

الثاني : ــ نفاق أصغر : وهو ما يسميه العلماء النفاق العملي وهو من أكبر الذنوب.

قال ابن كثير رحمه الله:" وأن المنافقين أيضا صنفان منافق خالص ومنافق فيه شعبة من نفاق كما جاء في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا أؤتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر)(٣) استدلوا به على أن الإنسان قد تكون فيه شعبة من إيمان وشعبة من

(١) مدارج السالكين / ابن القيم ج١ صـــ ٣٤٧

(٢) معارج القبول / حافظ حكمي ج٢ صـــ ٢٩٢ ، ٢٩٣

(٣) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب علامة المنافق ج١ صـــ ٢١ حديث رقم ٣٤ والإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان خصال المنافق ج١ صـــ ٧٨ حديث رقم ٥٨

نفاق إما عملي لهذا الحديث أو اعتقادي كما دلت عليه الآية كما ذهب إليه طائفة من السلف وبعض العلماء."[1]

قال البغدادي رحمه الله:" وحاصل الأمر أن النفاق الأصغر كله يرجع إلى اختلاف السريرة والعلانية كما قاله الحسن. وقال الحسن: أيضا من النفاق اختلاف القلب واللسان واختلاف السر والعلانية واختلاف الدخول والخروج. وقال طائفة من السلف: خشوع النفاق أن تري الجسد خاشعا والقلب ليس بخاشع. وقد رُوى معنى ذلك عن عمر ورُوى عنه أنه قال على المنبر إن أخوف ما أخاف عليكم المنافق العليم. قالوا: كيف يكون المنافق عليما قال يتكلم بالحكمة ويعمل بالجور أو قال المنكر."[2] ومن أمثلته ما ذكره الرسول ﷺ في الحديث عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:" آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتُمن خان."[3]

قال النووي رحمه الله: " قوله ﷺ:(أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من نفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر وفى رواية آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان)[4] هذا الحديث مما عده جماعة من العلماء مشكلا من حيث أن هذه الخصال توجد في المسلم المصدق الذي ليس فيه شك. وقد أجمع العلماء على أن من كان مصدقا بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق يخلد في النار؛ فان إخوة يوسف ﷺ جمعوا هذه الخصال، وكذا وجد لبعض السلف والعلماء بعض هذا أو كله. وهذا الحديث ليس فيه بحمد الله تعالى إشكال ولكن اختلف العلماء في معناه فالذي قاله المحققون والأكثرون وهو الصحيح المختار أن معناه: أن هذه الخصال خصال نفاق وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال، ومتخلق بأخلاقهم فان النفاق هو إظهار ما يبطن خلافه وهذا المعنى موجود في صاحب هذه الخصال، ويكون نفاقه في حق من حدثه ووعده وائتمنه وخاصمه وعاهده من الناس لا أنه منافق في الإسلام فيظهره وهو يبطن الكفر، ولم يرد النبي ﷺ بهذا أنه منافق نفاق الكفار المخلدين في الدرك الأسفل من النار. وقوله ﷺ: كان منافقا خالصا معناه شديد الشبه بالمنافقين بسبب

(١) تفسير ابن كثير ج١ صـــ ٥٧

(٢) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم/ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي/ مؤسسة الرسالة / بيروت / ١٤١٧هـ ـــ ١٩٩٧م/ الطبعة: السابعة/ تحقيق/ شعيب الأرناؤوط ، إبراهيم باجس ج١ صـــ ٤٣٣

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله ج١ صـــ ٧٨ حديث رقم ٥٨ ، ٥٩

(٤) سبق تخريجة انظر الصفحة السابقة

هذه الخصال. قال بعض العلماء: وهذا فيمن كانت هذه الخصال غالبة عليه، فأما من يندر ذلك منه فليس داخلا فيه فهذا هو المختار في معنى الحديث."[1]

مما سبق يتضح أن الفرق بين النفاق الأكبر والنفاق الأصغر يتمثل في النقاط التالية : ــ

١ــ أن النفاق الأكبر يخرج من الملة وتترتب عليه أحكام شرعية في الحقوق ، والنفاق الأصغر لا يخرج من الملة ولا تترتب عليه أحكام شرعية.

٢ــ أن النفاق الأكبر متعلق بالاعتقاد وأن النفاق الأصغر متعلق بالأعمال.

٣ــ أن النفاق الأكبر لا يصدر من مؤمن وأما النفاق الأصغر فقد يصدر من المؤمن.

٤ــ أن النفاق الأكبر في الغالب لا يتوب صاحبه ولو تاب فقد اختلف في قبول توبته عند الحاكم.

والراجح عدم قبولها قال شيخ الإسلام رحمه الله :" في قوله تعالى:﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة:٤٩] إلى قوله:﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾[التوبة:٥٢] قال أهل التفسير أو بأيدينا بالقتل إن أظهرتم ما في قلبوكم قتلناكم وهو كما قالوا لأن العذاب على ما يبطنونه من النفاق بأيدينا لا يكون إلا القتل لكفرهم، ولو كان المنافق يجب قبول ما يظهره من التوبة بعد ما ظهر نفاقه وزندقته لم يمكّنا أن نتربص بهم أن يصيبهم الله تعالى بعذاب من عنده أو بأيدينا لأنا كلما أردنا أن نعذبهم على ما أظهروه اظهروا التوبة منه وقال قتادة رحمه الله وغيره في قوله تعالى:﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ﴾ [التوبة:١٠١] إلى قوله:﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾[التوبة:١٠١] قالوا في الدنيا القتل وفي البرزخ عذاب القبر."[2] بخلاف النفاق الأصغر فإن صاحبه قد يتوب إلى الله فيتوب الله عليه.

أما أهل النفاق الأكبر فقد قال الله فيهم:﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[البقرة:١٨] قال ابن جرير رحمه الله:" عن ابن مسعود رضى الله عنه وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ فهم لا يرجعون إلى الإسلام."[3]

وأما أهل النفاق الأصغر فقال الله فيهم:﴿ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٤] وبالرجوع إلى تفسير الطبري والقرطبي وابن كثير والزمخشري والشوكاني رحمهم الله في تفسير الآية حيث حملوا قوله تعالى:(أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) بأن يوفقهم إلى التوبة من النفاق . ولما فسر الطبري رحمه الله الآية السابقة بعدم عودتهم للإسلام نقول تحمل هذه الآية على النفاق الأصغر والله أعلى وأعلم .

---

(١) صحيح مسلم شرح النووي ج٢ صـــ ٤٦ ، ٤٧

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول / ابن تيمية ج٣ صـــ ٦٥٤

(٣) تفسير الطبري ج١ صـــ ١٤٧

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" وكثيرا ما تعرض للمؤمن شعبة من شعب النفاق ثم يتوب الله عليه، وقد يرد على قلبه بعض ما يوجب النفاق ويدفعه الله عنه، والمؤمن يبتلى بوساوس الشيطان وبوساوس الكفر التي يضيق بها صدره كما قالت الصحابة: يا رسول الله إن أحدنا ليجد في نفسه ما لئن يخر من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتكلم به فقال (ذاك صريح الإيمان)[١]"[٢]

وجاء تحذير النبي ﷺ من هذه الصفات وشبه الآتي بها كالمنافق الخالص لما تنطوي عليه من مخاطر تنخر في عضد الأمة، وتوهن عزيمتها، وتفرق شملها، وتشتت جمعها. وكما أن الإنسان إذا تهاون في صغائر الأمور تهون عليها كبائرها مع طول الوقت. قال البغدادي:" والنفاق الأصغر وسيلة إلى النفاق الأكبر كما أن المعاصي بريد الكفر، وكما يخشي على من أصر على المعصية أن يُسلب الإيمان عند الموت، كذلك يخشي على من أصر على خصال النفاق أن يسلب الإيمان فيصير منافقا خالصا."[٣]

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها ج١صـــ ١١٩ حديث رقم ١٣٢

(٢) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٧ صـــ ٢٨٢

(٣) جامع العلوم والحكم / البغدادي ج١ صـــ ٤٣٤

خامسا : ــ التعريف بالكبائر وعددها

الكبيرة في اللغة : ــ

قال ابن منظور رحمه الله:" كبر الشيء معظمه وأكثره. وقيل الكِبر الإثم وهو من الكبيرة كالخِطء من الخطيئة، والكبر الإثم الكبير وما وعد الله عليه النار والكِبرة كالكبر التأنيث على المبالغة. والكبائر واحدتها كبيرة وهي الفعلة القبيحة من الذنوب المنهي عنها شرعا، العظيم أمرها كالقتل والزنا والفرار من الزحف وغير ذلك."(١)

الكبيرة في الاصطلاح

وقد اختلف الناس قديما ولا زالوا هل هناك صغائر وكبائر؟ حتى من أهل السنة والجماعة فيما بينهم. فقائل بذلك ومنكر، ثم اختلف المتفقون على وجودها في تعريفها. ثم بعد ذلك اختلفوا في عدتها قال الهيثمي رحمه الله:" إعلم أن جماعة من الأئمة أنكروا أن في الذنوب صغيرة، وقالوا بل سائر المعاصي كبائر منهم الأستاذ أبو إسحاق الإسفرايني والقاضي أبو بكر الباقلاني وإمام الحرمين في الإرشاد وابن القشيري في المرشد بل حكاه ابن فورك عن الأشاعرة(٢) واختاره في تفسيره فقال: معاصي الله تعالى عندنا كلها كبائر، وإنما يقال لبعضها صغيرة وكبيرة بالإضافة إلى ما هو أكبر منها، وقال جمهور العلماء إن المعاصي تنقسم إلى صغائر وكبائر."(٣)

ولضبط الكبيرة بتعريف جامع مانع وجدته أمر صعب بين العلماء؛ فكلما عرفه واحد منهم جاء غيره بتعريف آخر، وادخل في تعريف الأول عددا من الصغائر، وأخرج عددا من الكبائر.(٤) ونقل سجالهم في هذا أمر شرحه يطول فقد نقل الشوكاني عن ابن عبد السلام رحمهما الله في القواعد قوله:"

---

(١) انظر لسان العرب / ابن منظور ج٥ صــ ١٢٩ والنهاية في غريب الحديث والأثر/ ابن الأثير ج٤ صــ ١٤٢

(٢) الأشاعرة فرقة كلامية إسلامية، تنسب لأبي الحسن الأشعري الذي خرج على المعتزلة. وقد اتخذت الأشاعرة البراهين والدلائل العقلية والكلامية وسيلة في محاججة خصومها من المعتزلة والفلاسفة وغيرهم، لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية وقد خالفوا أهل السنة في كثير من أصول العقيدة كالصفات والجبر وخلق الفعل ونفي الحكمة والتعليل في أفعال الله وفي حصر دلائل النبوة بالمعجزات وفي القرآن بقولهم بأنه ليس كلام الله على الحقيقة ولكنه كلام الله النفسي وأن الكتب بما فيها القرآن مخلوقة (انظر الموسوعة الميسرة مج١ صــ ٨٣ وما بعدها)

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر/ الشهاب أحمد بن محمد بن محمد بن علي ابن حجر الهيثمي السعدي الأنصاري/ المكتبة العصرية / لبنان / صيدا / بيروت / ١٤٢٠هــ ــ ١٩٩٩م/ الطبعة: الثانية / تم التحقيق والإعداد بمركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز / ج١ صــ ٨

(٤) انظر شرح العقيدة الطحاوية / ابن أبي العز الحنفي ج١ صــ ٤١٧

لم أقف لأحد من العلماء على ضابط للكبيرة لا يسلم من الاعتراض. والأولى ضبطها بما يشعر بتهاون مرتكبها بذنبه إشعارا دون الكبائر المنصوص عليها. قال الحافظ وهو ضابط جيد."(١)

ولاحظ قول الحافظ (جيد) ولم يقل جامع مانع أو ما شابه ذلك من الكلمات التي تدل على اعتماده كتعريف.

وترجع أهمية التعريف للكبيرة لما يترتب عليه من أحكام. لذلك نرى افتراق الفرق في تعريفها صار لخدمة أهوائهم فنرى الخوارج لا يفرقون بين صغيرة وكبيرة قال العدوي: " فإنهم ذهبوا إلى أنه إذا كان صاحب صغيرة أو كبيرة فهو في النار مخلد ولا إيمان له لأنهم يرون كل الذنوب كبائر."(٢) إلا أن بعض فرقهم فصلت في ذلك كما نقله ابن حزم رحمه الله فقال:" إن من أتى كبيرة فقد جهل الله تعالى فهو كافر ليس من أجل الكبيرة كفر لكن لأنه جهل الله عز وجل فهو كافر بجهله بالله تعالى. وقالت طائفة من الخوارج: ما كان من المعاصي فيه حد كالزنا والسرقة والقذف فليس فاعله كافرا ولا مؤمنا ولا منافقا، وأما ما كان من المعاصي لا حد فيه فهو كافر."(٣). وإنما صاروا إلى مذهبهم هذا بغية خدمة هدف سياسي وهو تكفير ولاة الأمور وتجويز الخروج عليهم.

وأما المعتزلة فقد نقل عنهم أبو الحسن الأشعري رحمه الله اختلاف فرقهم في تعريف الكبيرة على مذاهب ثلاثة وهي:" منهم من قال كل ما أتى فيه الوعيد فهو كبير وكل ما لم يأت فيه الوعيد فهو صغير، وقال قائلون كل ما أتى فيه الوعيد فكبير وكل ما كان مثله في العظم فهو كبير وكل ما لم يأت فيه الوعيد أو في مثله فقد يجوز أن يكون كله صغيرا ويجوز أن يكون بعضه كبيرا وبعضه صغيرا وليس يجوز أن لا يكون صغيرا ولا شيئا منه، وقال جعفر بن مبشر رحمه الله كل عمد كبير وكل مرتكب لمعصية متعمدا لها فهو مرتكب لكبيرة."(٤) وقد أفردت للرد عليهم مطلبا يأتي لاحقا.

ثم إن أهل السنة كما أسلفت منهم من فرق ومنهم من لم يفرق بين الصغيرة والكبيرة، ولكن الذين فرقوا اختلفوا أيضا في تعريف الكبيرة قال الذهبي رحمه الله:" ثم القائلون بالفرق بين الكبيرة والصغيرة اختلفوا في حد الكبيرة ولأصحابنا في حدها وجوه : ـــ

أحدها : ـــ أنها ما لحق صاحبها عليها بخصوصها وعيد شديد بنص كتاب أو سنة.

ثانيها : ـــ أنها كل معصية أوجبت الحد، و به قال البغوي وغيره.

---

(١) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار/ محمد بن علي بن محمد الشوكاني/ دار الجيل/ بيروت / ١٩٧٣م / ج٩ صـــ ٢٢٣

(٢) حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني / علي الصعيدي العدوي المالكي/ دار الفكر/ بيروت / ١٤١٢هـــ / تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي / ج١ صـــ ١٠٤ ، ١٢٨

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل / ابن حزم الظاهري ج٤ صـــ ١٤٥ ، ١٤٦

(٤) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين/ علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن / دار إحياء التراث العربي / بيروت / الطبعة: الثالثة / تحقيق: هلموت ريتر / ج١ صـــ ٢٧٠ ، ٢٧١

ثالثها : ــ أنها كل ما نص الكتاب على تحريمه، أو وجب في جنسه حد.
رابعها : ــ كل جريمة أو جريرة تُعلم بقلة اكتراث واختاره الإمام السبكي وغيره.
خامسها : ــ أنها ما أوجب الحد أو كان عليه وعيد، والصغيرة ما قل فيه الإثم ذكره الماوردي.
سادسها : ــ أنها كل محرم لعينه منهي عنه لمعنى في نفسه، فإن فعله على وجه يجمع وجهين أو وجوها من التحريم كان فاحشة؛ فالزنا كبيرة، وبحليلة الجار فاحشة.
سابعها : ــ أنها كل فعل نص الكتاب على تحريمه أي بلفظ التحريم، وهو أربعة أشياء أكل لحم الميتة والخنزير ومال اليتيم ونحوه والفرار من الزحف ورُد بمنع الحصر في الأربعة.
ثامِنها : ــ أنه لا حد لها بحصرها يعرفه العباد واعتمده الواحدي، وليس كما قال بل الصحيح أن لها حدا معلوما ــ كما مر في التعريفات السابقة ــ"[١]

ثم نقل الشيخ ثلة من الأقوال للصحابة والتابعين والعلماء يطول سردها وهى بمضمونها لا تخلوا عما ذكرته ونقلته عنه آنفا.

و سأذكر طائفة من أقوال العلماء الذين تقترب أقوالهم مما رأيته تعريفا جامعا أرجح بعون الله أقربها إلى الصواب.

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" أمثل الأقوال في هذه المسألة القول المأثور عن ابن عباس، وذكره أبو عبيد، وأحمد بن حنبل، وغيرهما وهو: أن الصغيرة ما دون الحدين: حد الدنيا، وحد الآخرة. وهو معنى قول من قال: ما ليس فيها حد في الدنيا. وهو معنى قول القائل: كل ذنب ختم بلعنة أو غضب أو نار فهو من الكبائر."[٢]

* وقال ابن حجر رحمه الله:" أن كل ما توعد عليه باللعن أو العذاب أو شرع فيه حد فهو كبيرة وهو المعتمد."[٣]

* وقال الطبري رحمه الله:" عن ابن سيرين عن ابن عباس قال ذكرت عنده الكبائر فقال: كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة. وقال أيضا الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب. وعن الضحاك رحمه الله قال: الكبائر كل موجبة أوجب الله لأهلها النار وكل عمل يقام به الحد فهو من الكبائر."[٤]

الجمع بين الأقوال والترجيح

قال إبن أبي العز الحنفي رحمه الله:" واختلف العلماء في الكبائر على أقوال فقيل سبعة ــ أراد بذلك قصر التعريف على العدد الوراد في حديث اجتنبوا السبع الموبقات ــ وقيل سبعة عشر، وقيل ما اتفقت الشرائع على تحريمه، وقيل ما يسد باب المعرفة بالله، وقيل ذهاب الأموال والأبدان، وقيل

---

(١) الزواجر / الهيثمي ج١ صـــ ٩ ــ ١١ باختصار
(٢) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج١١ صـــ ٦٥٠
(٣) فتح الباري / ابن حجر ج١٢ صـــ ١٨١
(٤) تفسير الطبري ج٥ صـــ ٤٠ – ٤٢

سميت كبائر بالنسبة والإضافة إلى ما دونها، وقيل لا تعلم أصلا أو أنها أخفيت كليلة القدر، وقيل إنها إلى السبعين أقرب، وقيل كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة، وقيل إنها ما يترتب عليها حد أو توعد عليها بالنار أو اللعنة أو الغضب وهذا أمثل الأقوال."(١) ثم سرد المؤلف نقضه للتعريفات الأخرى وترجيحاته لهذا التعريف من وجوه أربعة :ـــ

أحدها: أنه هو المأثور عن السلف كابن عباس وابن عيينة وابن حنبل رضي الله عنهم وغيرهم.

الثاني: أن الله تعالى قال:﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾[النساء:٣١] فلا يستحق هذا الوعد الكريم من أوعد بغضب الله ولعنته وناره، وكذلك من استحق أن يقام عليه الحد لم تكن سيئاته مكفرة عنه باجتناب الكبائر.

الثالث:أن هذا الضابط مرجعه إلى ما ذكره الله ورسوله من الذنوب فهو حد مُتلقى من خطاب الشارع .

الرابع: أن هذا الضابط يمكن الفرق به بين الكبائر والصغائر بخلاف تلك الأقوال فإن من قال سبعة أو سبعة عشر أو إلى السبعين اقرب مجرد دعوى، ومن قال ما اتفقت الشرائع على تحريمه دون ما اختلفت فيه يقتضي أن شرب الخمر والفرار من الزحف والتزوج ببعض المحارم والمحرم بالرضاعة والصهرية ونحو ذلك ليس من الكبائر، وأن الحبة من مال اليتيم والسرقة لها والكذبة الواحدة الخفيفة ونحو ذلك من الكبائر، وهذا فاسد. ومن قال ما سد باب المعرفة بالله أو ذهاب الأموال والأبدان يقتضي أن شرب الخمر وأكل الخنزير والميتة والدم وقذف المحصنات ليس من الكبائر، وهذا فاسد. ومن قال إنها سميت كبائر بالنسبة إلى ما دونها، أو كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة يقتضي أن الذنوب في نفسها لا تنقسم إلى صغائر وكبائر، وهذا فاسد لأنه خلاف النصوص الدالة على تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر. ومن قال إنها لا تعلم أصلا أو إنها مبهمة فإنما أخبر عن نفسه أنه لا يعلمها فلا يمنع أن يكون قد علمها غيره والله أعلم."(٢)

الترجيح بين الأقوال

ومن أجمل ما قيل في تعريف الكبيرة والذي أميل إليه ما قاله ابن حجر رحمه الله في الفتح بعد أن ذكر اختلاف الروايات في التعريف والعدد عن القرطبي بقوله:" ومن أحسن التعاريف قول القرطبي رحمه الله كل ذنب أطلق عليه بنص كتاب أو سنة أو إجماع أنه كبيرة أو عظيم أو أخبر فيه بشدة العقاب أو علق عليه الحد أو شدد النكير عليه فهو كبيرة. وعلى هذا فينبغي تتبع ما ورد فيه الوعيد أو اللعن أو الفسق من القرآن أو الأحاديث الصحيحة والحسنة ويضم إلى ما ورد فيه التنصيص في القرآن والأحاديث الصحاح والحسان على أنه كبيرة، فمهما بلغ مجموع ذلك عرف منه تحرير عددها، وقد

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية / ابن أبي العز الحنفي ج١ صـــ ٤١٧

(٢) شرح العقيدة الطحاوية / ابن أبي العز الحنفي ج١ صـــ ٤١٨ ، ٤١٩ وانظر مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج١١ صـــ ١٨٤

شرعت في جمع ذلك وأسأل الله الإعانة على تحريره بمنه وكرمه."[١] ويلاحظ أن هذا التعريف مشابها للتعريف الذي ذهب إليه الإمام ابن تيمية وشارح الطحاوية رحمها الله.

ما عدد الكبائر؟

بعد اختلاف الناس في تقسيم الذنوب كبائر وصغائر، ثم اختلاف من اتفق على التقسيم في التعريف. نشأ خلاف آخر في عددها؛ فمنهم من عدها وحصرها في النص النبوي باعتباره مفصل لقوله تعالى:﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾[النساء:٣١] ومنهم من شرع في استخراجها من القرآن الكريم وفق التعريف الذي ذهب إليه، ومنهم من اعتمد قول الصحابي في تعريفها. وهكذا نشأت آراء كثيرة في عدها أوجزها الطبري رحمه الله فقال:" قال بعضهم: هي من أول سورة النساء إلى رأس الثلاثين منها. وقال آخرون: الكبائر سبع لقول علي رضي الله عنه في خطبة له بالكوفة: يا أيها الناس إن الكبائر سبع فأصاخ الناس فأعادها ثلاث مرات ثم قال: ألا تسألوني عنها قالوا: يا أمير المؤمنين ما هي؟ قال: الإشراك بالله، وقتل النفس التي حرم الله، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والفرار يوم الزحف، والتَعرُب بعد الهجرة (التعرب هو أن يعود إلى البادية ويقيم مع الأعراب بعد أن كان مهاجرا من غير عذر). وعن عطاء قال: الكبائر سبع: قتل النفس، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، ورمى المحصنة، وشهادة الزور، وعقوق الوالدين، والفرار يوم الزحف. وقال آخرون: هي تسع لقول ابن عمر هي تسع وسأعدهن عليك الإشراك بالله، وقتل النسمة بغير حلها، والفرار من الزحف، وقذف المحصنة، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم ظلما، والحاد في المسجد الحرام، والذي يستسحر، وبكاء الوالدين من العقوق. وعن ابن مسعود هي أربع: الإشراك بالله، والقنوط من رحمة الله، والإياس من روح الله، والأمن من مكر الله. وعن طاووس قال: قال رجل لعبد الله بن عباس: أخبرني بالكبائر السبع قال: فقال بن عباس: هي أكثر من سبع وتسع فما أدري كم قالها من مرة. وعن الزهري عن بن عباس أنه سئل عن الكبائر سبع هي قال هي إلى السبعين أقرب. وقال آخرون هي ثلاث عن مجاهد عن بن مسعود قال: الكبائر ثلاث اليأس من روح الله، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله."[٢]

وذهب ابن الصلاح ووافقه الشوكاني والإمام الغزالي إلى صعوبة حصرها فقال:" ثم إن لكبر الكبيرة وعظمها أمارات معروفة بها منها: إيجاب الحد، ومنها الإيعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها في

---

(١) فتح الباري / ابن حجر ج ١٢ صـ ١٨

(٢) تفسير الطبري ج٥ صـ ٣٦ ، ٤١ باختصار ، وانظر تفسير ابن كثير ج١ صـ ٤٨٣ – ٤٨٨ ، وفتح الباري / ابن حجر ج١٢ صـ ١٨٤ وما بعدها ، والجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي(الداء والدواء) / محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي الدمشقي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية / دار الكتب العلمية / بيروت / صـ ١٨٦ وما بعدها

الكتاب أو السنة، ومنها وصف فاعلها بالفسق نصا، ومنها اللعن كما قي قوله:(لعن الله من غير منار الأرض)(١) في أشباه لذلك لا نحصيها، وعند هذا يعلم أن عدد الكبائر غير محصور"(٢).

الجمع بين الأقوال في عددها

ويجمع الإمام الطبري بين هذه الأقوال فيقول:" الذي روي عن رسول الله أنه قال هي سبع يكون معنى قوله حينئذ هي سبع على الإجمال ، ويكون معنى قوله في الخبر الذي روي عنه أنه قال هي الإشراك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وقول الزور على التفصيل."(٣) لكن رأي الإمام رحمه الله اقتصر على من عدها سبعا وكأنه رجح هذا القول.

يتضح مما سبق أن كل ما ذكره أهل العلم في تعريف الكبيرة إنما هو على وجه التقريب، وليس على وجه التحديد. وبناء عليه يصعب حصرها إذ لا ضابط يجمعها، وكذلك ما أوردت من الأحاديث التي تدل مرة على أنها ثلاثة، ومرة أنها أربعة، ومرة أنها سبعة، يوجب علينا حمل هذه الأحاديث على أن المراد ذكر بعضها لا حصرها، وكذلك اتفاق العلماء على أن هناك من الكبائر مما لم يرد ذكره فيها. لذا يترجح عندي أن كبائر الذنوب كثيرة وليست محصورة في عدد معين وهذا مذهب جل أهل العلم.

حكم مرتكب الكبيرة

أوضحت فيما سبق الخلاف في تعريف الكبيرة وعددها بين أهل السنة، وتبين لنا أن مراد كل منهم إحقاق الحق فلا هوىً يسيرهم، ولا مذهب يحكمهم إلا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ قال ابن تيمية رحمه الله:" لذلك أجمعوا على عدم خلود أصحاب الكبائر في النار ما لم يستحلونها، إذا لم يوافوا الله بتوبة نصوحا فهم تحت مشيئة الرحمان، وتنالهم شفاعة النبي ﷺ."(٤)

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الأضاحي باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله ج٣ صـ ١٥٦٧حديث رقم ١٩٧٨

(٢) فتاوى ابن الصلاح / عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الشهرزوي أبو عمرو / مكتبة العلوم والحكم / عالم الكتب / بيروت / ١٤٠٧هـ / الطبعة: الأولى / تحقيق: د. موفق عبد الله عبد القادر ج١ صـ ١٤٨ وانظر إحياء علوم الدين / محمد بن محمد الغزالي أبو حامد / دار المعرفة / بيروت / ج١ صـ ١١٨ ، ونيل الأوطار / الشوكاني ج٩ صـ ٢٢٣

(٣) تفسير الطبري ج٥ صـ ٤٥

(٤) انظر مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج١١ صـ ١٣٩، وانظر شعب الإيمان البيهقي ج١ صـ٣٧٣ ــ ٣٧٤، وانظر قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر / محمد صديق حسن خان القنوجي / شركة الشرق الأوسط للطباعة / ماركا الشمالية / الأردن / ١٤٠٤هـ / الطبعة: الأولى / تحقيق: د. عاصم عبد الله القريوتي ج١ صـ ٨١، وانظر شرح العقيدة الطحاوية / ابن أبي العز الحنفي ج١ صـ ٤١٩ ــ ٤٢٠، وانظر رسالة إلى أهل الثغر / علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري / مكتبة العلوم والحكم / السعودية ، لبنان / ١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٨ م / الطبعة: الأولى / تحقيق: عبد الله شاكر المصري ج١ صـ ٢٧٤ ــ ٢٧٦

لكن هناك أقوام ضلوا واتبعوا أهوائهم، واعتمدوا على عقولهم فاختلط عليهم الأمر؛ فمنهم من غالى في حكم مرتكب الكبيرة فتعدى على حكم الله فأخلده في النار؛ ومنهم من تساهل في الحكم فلم يجعل مع إيمان القلب ذنب يوجبها. فأخذ الأولون بنصوص الوعيد وتركوا سواها. والآخرون بنصوص الوعد وأهملوا غيرها. وجاء أهل السنة وسط بينهم فاتبعوا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فهداهم الله إلى الحق بحسن نواياهم.

وقال ابن تيمية رحمه الله:" بخلاف الخوارج والمعتزلة فإنهم يقولون: إنه من فعل كبيرة أحبطت جميع حسناته، وأهل السنة والجماعة لا يقولون بهذا الإحباط، بل أهل الكبائر معهم حسنات وسيئات، وأمرهم إلى الله تعالى. وأهل الوعيد يقولون: لا يتقبل العمل إلا ممن اتقاه بترك جميع الكبائر. وهذا خلاف ما جاء به الكتاب والسنة في قصة حمار الذي كان يشرب الخمر، وقال النبي ﷺ (إنه يحب الله ورسوله)[1]، وكما في أحاديث الشفاعة، وإخراج أهل الكبائر من النار. حتى يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان. فقد قال الله تعالى:﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾[فاطر:٣٢]"[2]

وخلاصة القول : المرجئة: أخذوا بنصوص الوعد، وعطلوا نصوص الوعيد عن معانيها فقالوا: إن المراد بالكفر فيها الكفر المجازي لا الحقيقي. وما جاء فيها بنفي الإيمان أو نفي دخول الجنة أو ليس منا فالمراد بها الزجر، ومجرد الوعيد، ولكنها لا تدل حقيقة على نفي الإيمان كله أو كماله، ولا نفي دخول الجنة.

والخوارج: أخذوا بنصوص الوعيد، وأهملوا نصوص الوعد، فقالوا: إن النصوص التي ورد فيها الكفر فالمراد بها كلها: الكفر المخرج من الملة. والنصوص التي ورد فيها نفي الإيمان فالمراد بها: نفي الإيمان كله على الحقيقة. فالإيمان عندهم شيء واحد إما أن يبقى كله أو يزول كله، والكفر عندهم شيء واحد إما أن يبقى كله أو أن يزول كله، ولا يقولون بالكفر الأصغر أو بكفر دون كفر.

والمعتزلة : اعملوا عقولهم فأولوا النصوص فيما تعارض مع فهمهم القاصر فقالوا بالمنزلة بين المنزلتين في أحكام الدنيا، وهذه المقولة تتعارض مع النص الصريح للقرآن الكريم حيث قال الله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾[الشورى:٧]فقد قسم الله الناس يوم القيامة فريقين لا ثالث لهما. وهذا بناء على عملهم في الدنيا؛ فهم كذلك فريقان من يعمل بعمل فريق الجنة ومن يعمل بعمل فريق النار.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الحدود باب ما يكره من لعن شارب الخمر وإنه ليس بخارج من الملة ج١ صـــ ١٣٧ حديث رقم ٦٣٩٨

(٢) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج١١ صـــ ١٨٧ باختصار

أما أهل السنة والجماعة فجمعوا بين النصوص وعملوا بها كلها فقالوا: إن مرتكب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، أو مؤمن ناقص الإيمان وفي الآخرة تحت المشيئة إن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه. ولا يمكن الجمع بين النصوص إلا بهذا القول الذي جرى عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين.

قال شارح الطحاوية رحمه الله:" والجواب أن أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفرا ينقل عن الملة بالكلية كما قالت الخوارج، إذ لو كفرَ كفرا ينقل عن الملة لكان مرتدا يقتل على كل حال ولا يقبل عفو ولي القصاص، ولا تجري الحدود في الزنا والسرقة وشرب الخمر، وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام. ومتفقون على أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام ولا يدخل في الكفر ولا يستحق الخلود مع الكافرين كما قالت المعتزلة فإن قولهم باطل أيضا إذ قد جعل الله مرتكب الكبيرة من المؤمنين قال تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[الحُجُرات:١٠] ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لا يقتل بل يقام عليه الحد فدل على أنه ليس بمرتد."[١]

و سيأتي عند الكلام في التكفير عند الفرق والتكفير بالإعمال بشرح وافر للموضوع.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية / ابن أبي العز الحنفي ج١ صـــ ٣٦٠ – ٣٦١

سادسا : ــ معاني الكفر في القرآن الكريم

كلمة الكفر وردت في القرآن الكريم بصيغ متعددة كلها تحمل معنى الكفر الاصطلاحي المخرج من الملة إلا في معاني أربعة. موضعان تعددت أراء العلماء فيهما بين الحكم الشرعي وغيره. وموضعان اتفقوا على أنهما لا يحملان المعنى الاصطلاحي للكفر. أما الموضعان اللذان يحملان معنى آخر غير معنى الكفر الاصطلاحي فهما : ــ

الأول: ــ ورد في سورة إبراهيم وهي قوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم:٢٢] وهي بمعنى تبرأ منه قال الطبري رحمه الله في معناها:" إني كفرت بما أشركتمون من قبل يقول إني جحدت أن أكون شريكا لله فيما أشركتموني فيه من عبادتكم من قبل في الدنيا."(١) وهذه تحمل معنى الكفر الاصطلاحي والمعنى الأخر التبرؤ من الفعل قال الزمخشري:" ومعنى كفره بإشراكهم إياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله تعالى:﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾[الممتحنة:٤]"(٢)

قال القاضي أبو محمد رحمه الله:" فهذا تبرأ منه وقد قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾[فاطر:١٤] ويحتمل أن يكون اللفظ إقرارا على نفسه بكفره الأقدم فتكون ما بمعنى الذي يريد الله تعالى أي خطيئتي قبل خطيئتكم فلا إصراخ عندي."(٣)

الثاني :ــ في سورة الحديد قوله تعالى:﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[الحديد:٢٠]

حيث اختلفت الآراء في تفسيرها قال ابن كثير رحمه الله:" وقوله تعالى:﴿أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ [الحديد:٢٠] أي يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذي نبت بالغيث، وكما يعجب الزراع ذلك كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار فإنهم أحرص شيء عليها وأميل الناس إليها."(٤) وهذه حملها على معنى الكفر الاصطلاحي.

---

(١) تفسير الطبري ج١٣ صـــ ٢٠٠

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل / أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي / دار إحياء التراث العربي / بيروت / تحقيق: عبد الرزاق المهدي / ج٢ صـــ ٥١٨

(٣) المحرر الوجيز / ابن عطية الأندلسي ج٣ صـــ ٣٣٤

(٤) تفسير ابن كثير ج٤ صـــ ٣١٤

قال القرطبي رحمه الله:" الكفار هنا: الزراع لأنهم يغطون البذر. والمعنى أن الحياة الدنيا كالزرع يعجب الناظرين إليه لخضرته بكثرة الأمطار، ثم لا يلبث أن يصير هشيما كأن لم يكن، وإذا أعجب الزراع فهو غاية ما يستحسن. وقيل: الكفار هنا الكافرون بالله عز وجل، لأنهم أشد إعجابا بزينة الدنيا من المؤمنين. وهذا قول حسن، فإن أصل الإعجاب لهم وفيهم ومنهم يظهر ذلك، وهو التعظيم للدنيا وما فيها."(١) ويتضح هنا حمل المراد على المعنيين.

قال الزمخشري:" شبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات أنبته الغيث فاستوى واكتهل وأعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث عليه العاهة فهاج واصفرّ وصار حطاماً عقوبة لهم على جحودهم كما فعل بأصحاب الجنة وصاحب الجنتين وقيل الْكُفَّارِ الزراع."(٢)

وفى مختار الصحاح قال:" وكل شيء غطى شيئا فقد كفره. قال ابن السكيت رحمه الله: ومنه سمي الكافر لأنه يستر نعم الله عليه والكافر الزارع لأنه يغطي البذر بالتراب و الكفار الزراع ."(٣)

وما خلا هاتين الآيتين وردت كلمة الكفر ومشتقاتها في وصف الإنسان بصفة عامة من باب التغليب كقوله تعالى:﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ﴾[هود:٩] ومثلها في سورة الإسراء آية ٦٧ والحج آية ٦٦ والشورى ٤٨ والزخرف آية ١٥ وكذلك في سورة إبراهيم في قوله تعالى:﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[إبراهيم:٣٤] وقوله تعالى:﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾[عبس:١٧]

هذه الصيغ الثلاث للكفر وهى الكفور والكفار وهما صيغ مبالغة وصيغة التعجب (مَآ أَكْفَرَهُۥ) في وصف الإنسان من باب التغليب قال الطبري رحمه الله:" وفي قوله أكفره وجهان أحدهما التعجب من كفره مع إحسان الله إليه وأياديه عنده، والآخر ما الذي أكفره أي: أي شيء أكفره ؟"(٤) وعلى القول الثاني لا دليل فيها هنا على التغليب .

وإنما قلت أن هذا من باب التغليب بالمقارنة مع الواقع حيث انه ليس كل إنسان على الأرض كفور أو كفار ألم تر قول الله تعالى:﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾[مريم:٦٦] فليس كل إنسان يقول هذا بل كل المسلمون يقولون إنا إلى ربنا لمنقلبون، والإيمان بالبعث والجزاء ركن من أركان الإيمان لا يصح إلا به. وكذلك قوله تعالى:﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾[القيامة:٣] فمن لم يؤمن بأن الله غير قادر على جمع عضامه فهو كافر باتفاق.

(١) تفسير القرطبي ج ١٧ صـ ٢٥٦ وانظر التسهيل لعلوم التنزيل / الكلبي ج٤ صـ ٩٨

(٢) الكشاف / الزمخشري ج ٤ صـ ٤٧٦

(٣) مختار الصحاح / الرازي ج١ صـ ٢٣٩

(٤) تفسير الطبري ج٣٠ صـ ٥٤

وقد أثبت جل وعلا في آياته أن أكثر الناس في هذه الدنيا على ضلال قال تعالى:﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾[الأنعام:١١٦] واثبت سبحانه أن أكثر أهل الأرض غير مؤمنين فقال:﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[يوسف:١٠٣]

وأما الموضعان اللذان لا خلاف في أنهما يحملان معنى غير المعنى الاصطلاحي

فأحدهما :ــ كلمة كفَّر ــ بفتح الفاء المشددة ــ وردت بمعنى محو السيئة وعدم العقاب عليها وعدم الحرمان من الأجر على أفعال الخير كقوله تعالى:﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾[آل عمران:١١٥] وقوله تعالى:﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾[محمد:٢]

والثاني :ــ كلمة كفارة وهي:" ما شرعه الله من القُرَب لمحو الخطايا، وهي صيغة مبالغة من الستر والتغطية، وسميت كذلك لأنها تكون سببا في تغطية السيئات ومحو آثارها بالعفو عنها."(١) كما قال الراغب رحمه الله:" ومنه: كفارة اليمين نحو قوله:﴿ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ ﴾[المائدة:٨٩] وكذلك كفارة غيره من الآثام ككفارة القتل والظهار. قال:﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ ﴾[المائدة:٨٩]"(٢) وقال الرازي رحمه الله:" و تكفير اليمين فعل ما يجب بالحنث فيها والاسم الكفارة."(٣)

وبهذا نخلص إلى القول بأن كل كفر ورد في القرآن الكريم بصيغه ومشتقاته هو كفر أكبر مخرج من الملة وإن اختلفت الألفاظ أحيانا في مدلولاتها فإنها في الخلاصة لا تخرج عن المعنى الاصطلاحي للكفر. ونستطيع أن نميز بين المراد من الكفر الاصطلاحي من غيره من المعاني بالقاعدة العامة التالية:ــ" إذا أطلق الكفر أو ما اشتق منه ولم يتعد لمفعول به كان معناه عدم الإيمان بالله أو الرسول أو القرآن الكريم."(٤) أي لزوم وجود قرينة تخرجه عن معناه الاصطلاحي.

وفيما يلي أمثلة على ألفاظ الكفر ومعانيها في القرآن الكريم : ــ

أولا : ــ كَفَر الفعل الثلاثي وهو فعل لازم يتعدى بحرف الجر فان ذكر لازما فان المراد به الكفر الاصطلاحي كما أسلفت وهو كقوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[البقرة:١٢٦] وإذا ذكر متعديا بحرف الجر فالمراد من الكفر يكون ما تعدى إليه كقوله تعالى:﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم / مجمع اللغة العربية / التراث للجميع / ١٩٥٣ م / الطبعة: الأولى / مج ٢ صـــ ٣٢٦

(٢) مفردات ألفاظ القرآن الكريم / الأصبهاني صـــ ٤٣٥

(٣) مختار الصحاح / الرازي صـــ ٢٣٩

(٤) معجم ألفاظ القرآن الكريم / مجمع اللغة العربية مج ٢ صـــ ٢٢٣

وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[البقرة:٢٥٦] وقوله تعالى:﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾[العنكبوت:٢٥]

ثانيا : ــ كُفْر المصدر من كفر بمعنى عدم الإيمان ونقيضه كقوله تعالى:﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾[البقرة:١٠٨] أو بمعنى عدم الشكر كقوله تعالى:﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل:١١٢] قال القرطبي رحمه الله :" والدليل عليه أن الله تعالى أوجب على الكفار أن يشكروه وعلى جميع المكلفين فقال :﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ ﴾ [الأعراف:٦٩]﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ ﴾ [البقرة:١٧٢] والشكر لا يكون إلا على نعمة وقال سبحانه:﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ ﴾ [القصص:٧٧] وهذا خطاب لقارون وقال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾[الأحزاب:٩] وهذا عام في الكفار وغيرهم."(١)

ثالثا : ــ الكافر اسم الفاعل من كفر قال الراغب رحمه الله:" والكافر على الإطلاق متعارف فيمن يجحد الوحدانية، أو النبوة أو الشريعة، أو ثلاثتها، وقد يقال: كفر لمن أخل بالشريعة، وترك ما لزمه من شكر الله عليه."(٢) " والكافر هو غير المؤمن وهو الذي ينكر وجود الله أو يشرك به غيره أو لا يصدق رسل الله أو لا يؤمن بما جاءوا به، وجمعه كافرون وكفرة وكفار ومؤنثه كافرة وجمع المؤنث كوافر."(٣) وقد بسطت الموضوع في تعريف الكفر فيما سبق.

وأمثلة هذه الألفاظ : ــ

١ــ ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[البقرة:٢٥٤]

٢ــ ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ ﴾[آل عمران:١٣]

٣ــ ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ﴾[التوبة:٦٨]

٤ــ ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ﴾[الممتحنة:١٠]

٥ــ ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ ﴾[التغابن:٢]

٦ــ ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴾[عبس:٤٢]

---

(١) تفسير القرطبي ج٤ صـ ٣٢١

(٢) مفردات ألفاظ القرآن الكريم / الأصبهاني صـ ٤٣٨

(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم / مجمع اللغة العربية مج ٢ صـ ٣٢٤ وانظر مختار الصحاح / الرازي صـ ٢٣٩

رابعا : ــ الكُفُور وهى بمعنى الجحود قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الإسراء:٨٩] قال القرطبي رحمه الله:" ﴿فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء:٩٩] أي المشركون إلا جحودا بذلك الأجل وبآيات الله، وقيل ذلك الأجل هو وقت البعث ولا ينبغي أن يشك فيه."[١]

خامسا : ــ الكَفور قال الأصبهاني رحمه الله:" والكفور: المبالغ في كفران النعمة."[٢] " وهو الممعن في الكفر أو من صار الجحود عادة له وهو صيغة مبالغة."[٣] قال تعالى:﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴾[هود:٩] قال القرطبي رحمه الله:" كفور للنعم جاحد لها."[٤] وقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾[الإسراء:٢٧] قال الطبري رحمه الله:" وكان الشيطان لنعمة ربه التي أنعمها عليه جحودا لا يشكره عليه ولكنه يكفرها بترك طاعة الله وركوبه معصيته."[٥]

سادسا : ــ كفَّار" وهو الشديد الكفر أو الجحود وهو صيغة مبالغة من كفور"[٦] قال تعالى:﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة:٢٧٦] قال الطبري:" يعني به والله لا يحب كل مصر على كفر بربه مقيم عليه مستحل أكل الربا وإطعامه."[٧]

سابعا : ــ الكُفْرَان وهو الجحود أيضا قال تعالى:﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴾[الأنبياء:٩٤] قال الطبري رحمه الله:" ولا يكفر ذلك له فيجحده ويحرمه ثوابه على عمله الصالح."[٨]

---

(١) تفسير القرطبي ج١٠ صــ ٣٣٤
(٢) مفردات ألفاظ القرآن الكريم / الأصبهاني صــ ٤٣٩
(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم / مجمع اللغة العربية مج ٢ صــ ٣٢٥
(٤) تفسير القرطبي ج٩ صــ ١١
(٥) تفسير الطبري ج١٥ صــ ٧٤
(٦) معجم ألفاظ القرآن الكريم / مجمع اللغة العربية مج ٢ صــ ٣٢٥
(٧) تفسير الطبري ج٣ صــ ١٠٥
(٨) تفسير الطبري ج ١٧ صــ ٨٦

الفصل الأول

ضوابط التكفير

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : ـ ضوابط التكفير عند أهل السنة ومخالفيهم

المبحث الثاني : ـ مدلولات الذم المراد بها الكفر المخرج من الملة

المبحث الأول

ضوابط التكفير عند أهل السنة ومخالفيهم

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : ــ ضوابط التكفير في العهد النبوي

المطلب الثاني : ــ ضوابط التكفير عند السلف الصالح

المطلب الثالث : ــ التكفير عند الفرق

المطلب الأول

ضوابط التكفير في العهد النبويّ

والمراد من قولي في العهد النبوي هو زمن النبي ﷺ والصحابة من حوله، يستفتونه فيفتهم، ويعلمهم فيتعلمون، حتى ما تركهم إلا وقد علمهم كل أمور دينهم. ورأيت لسهولة الوصول إلى ضوابط التكفير في العهد النبوي أن أقسم هذه المرحلة إلى قسمين أو مرحلتين، حيث اختلفت الضوابط فيها باختلاف مراحلها.

* فالمرحلة الأولى في العهد المكي وما كان عليه أهل مكة من عقائد وشرائع اختلط فيها الغث بالسمين، وشابت الحنيفيةَ فيها كثيرٌ من الوثنيات والشركيات، وامتزجت فيها العادات الحسنة بالقبيحة، فبُعث النبي ﷺ ليصحح هذه المفاسد في جميع مجالاتها فقابلوه بالرفض و العداوة.

* والمرحلة الثانية مرحلة العهد النبوي بعد هجرة النبي ﷺ، حيث قامت الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، وامتدت الفتوحات، وقويت شوكة الإسلام، وكَمُل الدين، وأُتمت النعمة، فظهر كيد اليهود والمنافقين؛ والذين حُكم بكفرهم في الكتاب والسنة كما سنعرض لاحقاً.

بعض العقائد والأديان التي سادت الجزيرة العربية قبل البعثة

وأرى لزاما عليَّ أن أذكر بإيجاز بعض العقائد التي سادت الجزيرة العربية في تلك المرحلة، ولبيان بعض تلك العقائد فإن أصدق مصدر يبين عقائد الجاهلية هو القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ، من خلال جدالهما الديني مع المشركين وتفنيد عقائدهم، وقد بين الله تعالى في القرآن أن مشركي العرب كانوا يعبدون آلهة يتقربون بها إلى الله زلفى ولتشفع لهم عنده بزعمهم قال تعالى:﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر:٣] وقد أعماهم التقليد عن نقد تراثهم العقدي وتحكيم العقل والأخذ بالدليل الصحيح قال تعالى:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[المائدة:١٠٤] وتبع الانحراف في العقيدة انحراف في العبادة والسلوك والشعائر والشرائع فإذا بمناسك الحج تدخلها الوثنية، فوضعت الأصنام حول الكعبة، وصار الطواف حولها مع التعري من الثياب أحيانا.

وهكذا ابتدعوا وشرعوا ما لم يأذن به الله مع ادعائهم أنهم على شريعة أبيهم إبراهيم عليه السلام. وكان تصورهم لله فيه قصور ونقص، فهم ينحرفون عن الحق في أسمائه وصفاته فينكرون بعض صفاته ويسمونه بأسماء لا توقيف فيها، أو بما يوهم معنى فاسداً، وينسبون إليه النقائص كالولد والحاجة، فزعموا أن الملائكة بنات الله، وجعلوا الجن شركاء له سبحانه، وجحدوا القدر واحتجوا به على الله تعالى. ومن معتقداتهم إنكار البعث، فعبادتهم وتقربهم للأصنام بالقرابين والنذور ليس من أجل

الآخرة، بل لتحقيق مطالب دنيوية مثل: زيادة الأموال ودفع الشر والضرر عنهم في هذه الدنيا، إذ لا علم لهم بالآخرة، ويستثنى من عموم المنكرين للبعث عدد ممن كانوا يقولون بالبعث والنشور وبعض أفراد منهم كان على الحنيفية لم يؤمن بما آمنوا به، وبعضهم كان على دين النصارى وبعضهم على دين اليهود.

إذاً فقد كانت العرب في الجاهلية على أديان ومذاهب؛ كان منهم من آمن بالله، وآمن بالتوحيد، وكان منهم من آمن بالله وتعبَّد للأصنام، إذ زعموا أنها تقربهم إليه. وكان منهم من تعبد للأصنام زاعمين أنها تنفع وتضر. وكان منهم من دان باليهودية والنصرانية، ومنهم من دان بالمجوسية، ومنهم من توقف، فلم يعتقد بشيء، ومنهم من تزندق، ومنهم من آمن بتحكم الآلهة في الإنسان في هذه الحياة، وببطلان كل شيء بعد الموت، فلا حساب ولا نشر ولا كتاب، ولا شيء مما جاء في الإسلام عن يوم الدين. وقد جاءت آيات القرآن تدلل على كل هذه المعتقدات الفاسدة، فحيناً يذكرها الله عز وجل مفندا لهذه المعتقدات ومبطلا لها، وتارة يذكرها متهكما بعقول معتقديها وفهمهم القاصر. وتارة يطلب منهم الدليل على صحة اعتقادهم، وتارة يتحداهم بالقيام بأعمال الإله كدفع الضر وجلب النفع وغير ذلك من الأساليب التي لا مجال لذكرها والبحث فيها هنا.

ومذهب كتَّاب التاريخ الإسلامي و أهل الأخبار" أن العرب كانوا على دين واحد، هو دين إبراهيم، دين الحنيفية ودين التوحيد. الدين الذي بعث بأمر الله من جديد، فتجسد وتمثل في الإسلام. وكان العرب مثل غيرهم، قد ضلوا الطريق، وعموا عن الحق، وغووا بعبادتهم الأصنام. حببها لهم الشيطان، ومن اتبع هواه من العرب، وعلى رأسهم ناشر عبادة الأصنام في جزيرة العرب ومغير دين إبراهيم عليه السلام عمرو بن لحي."(١)

ومن أهم الأديان والمعتقدات الفاسدة التي سادت عند العرب في شبه الجزيرة العربية

أولا : ــ الوثنية

قال ابن هشام عن ابن إسحاق واليعقوبي ما موجزه:" إن بني إسماعيل كانوا لا يفارقون مكة، حتى كثروا، وضاقت بهم مكة فتفرقوا في البلاد، وما ارتحل أحد منهم من مكة إلا حمل معه حجرا من حجارة الحرم، وحيث ما نزلوا وضعوه، وطافوا به كطوافهم بالكعبة، حتى أدّى بهم إلى

---

(١) انظر أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار/ أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي / دار الأندلس للنشر / بيروت / ١٩٩٦م ــ ١٤١٦هــ / تحقيق: رشدي الصالح ملحس / ج١ صــ ١٩٣، والبداية والنهاية / ابن كثير ج٢ صــ ١٨٩، وفتح الباري / ابن حجر ج٨ صــ ٢٨٥ ، صــ ٦١٢ ، و تفسير القرطبي ج٦ صــ ٣٣٨ ، تفسير الطبري ج٧ صــ ٢٨٦ ، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان/ محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي / مؤسسة الرسالة / بيروت / ١٤١٤هــ ــ ١٩٩٣م / الطبعة: الثانية / تحقيق: شعيب الأرنؤوط / ج ١٦ صــ ٥٣٥، وتاريخ اليعقوبي / أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي / دار صادر / بيروت / ج١ صــ ٢٥٤ ، والسيرة النبوية / ابن هشام ج١ صــ ٢٠٢

عبادته وخلف من بعدهم خلف نسوا ما كان عليه آباؤهم من دين إسماعيل وعبدوا الأوثان. وقالا ـــ أيضاً ـــ أن عمرو بن لحيّ ـــ شيخ خزاعة ـــ هو الذي أحضر هبل من الشام ونصبه عند الكعبة."[١]

ثانيا : ـــ عبادة الجن

قال الله تعالى:﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنعام:١٠٠] وقال تعالى:﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴾ ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾[سبأ ٤١،٤٠] وقال تعالى:﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]

ثالثا : ـــ اليهودية

لم يكن في الجزيرة العربية موطنا أصلا لليهود، حيث أن أصل الديانة اليهودية كان في مصر زمن النبي موسى عليه السلام، والتي انتقلت بعد وفاته إلى فلسطين ثم تفرقوا في شتى بقاع الأرض ومن ضمنها الجزيرة العربية ، وتذكر المصادر التاريخية روايات كثيرة مختلفة لوجود اليهود في يثرب في العصر الجاهلي إلا أنها تُجمع على أنهم جاؤوا إليها من خارج الجزيرة العربية في عدة هجرات متوالية. ولم تكن هجراتهم هذه رغبة من أنفسهم بل نتيجة قهر وتسلط من غيرهم تكررت على مدار التاريخ. وقد أُشتهر منها ثلاثة هجرات نتجت عن اجتياح وسبي. **الأولى:**" في سنة ٥٨٩ ق م."[٢] **الثانية** ما بين عامي ٦٦ ـــ٧٠ م.[٣] **الثالثة** عام١٣٢م.[٤]

رابعا : ـــ النصرانية

وكان لابد من انتشار المسيحية في بلاد العرب وذلك لأن أهل الديانة المسيحية كانوا يحيطون بالجزيرة العربية؛ الروم في شمالها وأهل الحبشة في جنوبها، وانتشرت المسيحية في الجزيرة العربية عن طريق رجل من بقايا أهل عيسى يقال له فيمون[٥]

خامسا : ـــ الحنيفية

---

(١) أنظر السيرة النبوية / ابن هشام ج١ صـــ ٢٠٢، وتاريخ اليعقوبي / ج ١ صـــ ٢٥٤

(٢) انظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن / محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي / دار الفكر للطباعة والنشر / بيروت / ١٤١٥هـــ ــ١٩٩٥م / تحقيق: مكتب البحوث والدراسات ج١ صـــ ٤٣، وانظر تفسير القرطبي ج١٠ صـــ ٢١٥، والكشاف / الزمخشري ج٢ صـــ ٦٠٧

(٣) انظر فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير/ محمد بن علي بن محمد الشوكاني / دار الفكر / بيروت / ج٣ صـــ ٢٦٠ ، و الكامل في التاريخ / أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ابن الأثير / دار الكتب العلمية / بيروت – ١٤١٥هـــ / الطبعة: الثانية / تحقيق: عبد الله القاضي / ج١ صـــ ٢٤٦ ، ومقدمة ابن خلدون / عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي / دار القلم / بيروت / ١٩٨٤ / الطبعة: الخامسة / ج٢ صـــ ١٥٢

(٤) انظر تاريخ اليعقوبي / ج١ صـــ ١٤٧

(٥) انظر الكامل في التاريخ / ابن الأثير ج١ صـــ ٣٢٩ ، ٣٣٠

قال ابن منظور:" و في الجاهلية يقال لمن اختتن وحج البيت حنيف؛ لأن العرب لم تتمسك في الجاهلية بشيء من دين إبراهيم غير الختان وحج البيت. لذا كانوا يطلقون على أنفسهم الحنفاء."[(1)]

والحنيفية هي دين إبراهيم عليه السلام وكل الأنبياء من بعده وقبله قال تعالى:﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة:١٣٥]وممن كان من العرب على دين إبراهيم عليه السلام زيد بن عمرو بن نُفيل."[(2)] وقُس بن ساعدة الأيادي. [(3)]

---

(١) انظر لسان العرب / ابن منظور ج٩ صـ ٥٦ ، وانظر المفردات / الأصبهاني صـ ١٣٣ ، والتبيان في تفسير غريب القرآن / شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري / دار الصحابة للتراث بطنطا / مصر / ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م / الطبعة: الأولى / تحقيق: فتحي أنور الدابلوي صـ ١١١

(٢) انظر فتح الباري / ابن حجر ج٧ صـ ١٤٨ وانظر أيضا المنتظم في تاريخ الملوك والأمم/ عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج / دار صادر / بيروت – ١٣٥٨ هـ / الطبعة: الأولى / ج٢ صـ ٣٢٩

(٣) البداية والنهاية / ابن كثير ج٢ صـ ٢٣٤

أولا : ــ مظاهر التكفير في العهد المكيّ

بعد هذا العرض للحالة الدينية التي كان عليها العرب في الجزيرة العربية نستطيع أن نتبين ونتوقع مدى مجابهتهم ومواجهتهم للنبي ﷺ؛ لوجود البون الشاسع بين ما كانوا عليه من عقائد زائفة وأديان مبدلة ومحرفة وتقاليد تأنفها الفطرة السليمة وما جاء به النبي ﷺ.

ومظاهر التكفير في هذا العهد مجملة من ناحية ومن ناحية مفصلة

* أما من الناحية المجملة فهي عدم إيمانهم وتصديقهم بالنبي ﷺ قال تعالى:﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام:٩١] قال مجاهد وقتادة:" (وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ) قالها مشركو قريش."(١) وقال تعالى:﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾ [الفتح:١٣] وهذا أيضاً يجرى على كفار قريش وغيرهم حيث قال عز وجل عن المنافقين كذلك:﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ ﴾ [التوبة:٨٠] وقال تعالى:﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد:٤٣] قال الطبري رحمه الله:" ويقول الذين كفروا بالله من قومك يا محمد لست مرسلا تكذيبا منهم لك وجحودا لنبوتك فقل لهم إذا قالوا ذلك كفى بالله يقول قل حسبي الله شهيدا يعني شاهدا بيني وبينكم علي وعليكم بصدقي وكذبكم."(٢)

" وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت: قلت يا رسول الله: ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذاك نافعه؟ قال: لا ينفعه إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين."(٣)

قال الحلبي رحمه الله:" أي لم يكن مسلما لأن القول المذكور لا يصدر إلا عن مسلم فلا يقال مقتضى الحديث أنه لو قال ذلك لنفعه ما ذكر يوم القيامة مع كونه كان كافرا، لأنه ممن أدرك البعثة ولم يؤمن، وحينئذ يسأل عن الحكمة عن عدوله ﷺ إلى ذلك عن قوله أنه لم يؤمن بي أو لم يكن مسلما."(٤)

* وأما من الناحية المفصلة فهي تندرج تحت المجملة ألا وهى العقائد والعادات التي كانوا عليها وجاء الإسلام ليقر العادات والعقائد الصحيحة ويجتث الفاسد منها.

العقائد التي كفر بها مشركو قريش

---

(١) انظر تفسير الطبري ج٧ صـــ ٢٦٨ وتفسير القرطبي ج٧ صـــ ٣٧ و تفسير ابن كثير ج٢ صـــ ١٥٧

(٢) تفسير الطبري ج١٣ صـــ ١٧٦

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل ج١ صـــ ١٩٦حديث رقم ٢١٤

(٤) السيرة الحلبية / علي بن برهان الدين الحلبي ج١ صـــ ٢١٢

الأول : ـــ ما يتعلق بتوحيد الله وأسمائه وصفاته وهو على خمسة أضرب : ـــ

١ـــ اتخاذ أندادا لله وحبهم كما يحب المؤمنون ربهم و الإلحاد في أسماء الله وصفاته قال تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾[البقرة:١٦٥] قال الطبري رحمه الله:" يعني تعالى ذكره بذلك: أن من الناس من يتخذ من دون الله أنداداً له، وأن الذين اتخذوا هذه الأنداد من دون الله يحبون أندادهم كحب المؤمنين الله، ثم أخبرهم أن المؤمنين أشد حبّاً لله من متخذي هذه الأنداد لأندادهم.واختلف أهل التأويــل في الأنداد التي كان القوم اتخذوها وما هي؟ فقال بعضهم: هي آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله. وقال آخرون: بل الأنداد في هذا الموضع إنما هم سادتهم الذين كانوا يطيعونهم في معصية الله تعالى ذكره."(١) لكن في زماننا قد تعددت الأنداد والناس لا يشعرون؛ فقدم بعض الناس حب المال على حب الله، وقدم بعضهم حب الزوجة والأولاد والسلطان والجاه. ولذا جاء قوله سبحانه (أَندَادًا) نكرة فدل على العموم وتعدد هذه الأنداد بحيث لا تقتصر على أصنامهم التي يعكفون عليها.

و قال تعالى:﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٠] قال الطبري رحمه الله:" عن ابن عباس من أسمائه العزيز الجبار، وكل أسماء الله حسنى. عن أبــي هريرة عن رسول الله ﷺ قال:(إن لله تسعة وتسعين اسما، مئة إلا واحدا، من أحصاها كلها دخل الجنة)(٢) وأما قوله تعالى:(وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ) فإنه يعني به المشركين. وكان إلحادهم فـــي أسماء الله أنهم عدلوا بها عما هي عليه، فسموا بها آلهتهم وأوثانهم، وزادوا فيها ونقصوا منها، فسموا بعضها اللات اشتقاقاً منهم لها من اسم الله الذي هو الله، وسموا بعضها العُزّى اشتقاقاً لها من اسم الله الذي هو العزيز. واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (يُلْحِدُونَ) فقال بعضهم: يكذبون. وقال آخرون: معنى ذلك: يشركون."(٣) وقال تعالى ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴾ ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾ ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [النجم١٩ :٢٣]

٢ـــ الذبح على النصب والاستقسام بالأزلام قال تعالى:﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ

(١) تفسير الطبري ج٢ صـــ ٦٦

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الشروط باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار والشروط التي يتعارفها الناس بينهم ج٢ صـــ ٩٨١ حديث رقم ٢٥٨٥

(٣) تفسير الطبري ج٩ صـــ ١٣٣ بتصرف يسير

﴿ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ﴾ [المائدة:٣] قال ابن كثير:" كانت النصب حجارة حول الكعبة وهي ثلاثمائة وستون نصبا كانت العرب في جاهليتها يذبحون عندها، وينضحون ما أقبل منها إلى البيت بدماء تلك الذبائح، ويشرحون اللحم ويضعونه على النصب وكذا ذكره غير واحد وقوله تعالى:(وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ) أي حرم عليكم أيها المؤمنون الاستقسام بالأزلام. واحدها زُلم وقد تفتح الزاي فيقال زَلم، وقد كانت العرب في جاهليتها يتعاطون ذلك وهي عبارة عن قداح ثلاثة على أحدها مكتوب على الواحد أمرني ربي وعلى الآخر نهاني ربي والثالث غفل ليس عليه شيء، فإذا أجالها فطلع سهم الأمر فعله أو النهى تركه وإن طلع الفارغ أعاد. والاستقسام مأخوذ من طلب القسم من هذه الأزلام."(١)

وقد تشبه اليوم بعض الناس بهذا الفعل من حيث لا يشعرون فنراهم ينذرون ويذبحون عند ما يسمونها بالمقامات، وكذا قدسوا بعض القبور والأحجار ومن طاف بلاد العرب والمسلمين رأى من ذلك العجب العجاب، كالذي يفعل عند ما يسمونه في مصر بمقام الحسين أو السيدة زينب أو الخضر. ومنذ زمن ليس ببعيد في بلادنا كنا نشهد أشباه ذلك فيما يسمى مقام النبي صالح وروبين وموسى.

٣ـ الكذب على الله تعالى قال تعالى:﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [المائدة:١٠٣] قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال: إن المعنيين بقوله (وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ) الذين بحروا البحائر وسيبوا السوائب ووصلوا الوصائل وحموا الحوامي مثل عمرو بن لحي وأشكاله ممن سنوا لأهل الشرك السنن الرديئة، وغيروا دين الله دين الحق وأضافوا إلى الله تعالى أنه هو الذي حرم ما حرموا وأحل ما أحلوا افتراء على الله الكذب وهم يعلمون، واختلاقا عليه الإفك وهم يعمهون، فكذبهم الله تعالى في قيلهم ذلك، وإضافتهم إليه ما أضافوا من تحليل ما أحلوا وتحريم ما حرموا فقال تعالى ذكره ما جعلت من بحيرة ولا سائبة ولكن الكفار هم الذين يفعلون ذلك ويفترون على الله الكذب."(٢) وقال تعالى:﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام:٢١] وقال سبحانه:﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدۡقِ إِذۡ جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوًى لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الزُمَر:٣٢]

٤ـ الشرك بالله قال تعالى:﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأنعام:١] قال القرطبي رحمه الله:" قال العلماء: هذه السورة أصل في محجة المشركين وغيرهم من المبتدعين ومن كذب بالبعث والنشور، وهذا يقتضي إنزالها جملة واحدة لأنها في معنى واحد من الحجة وإن تصرف ذلك بوجوه كثيرة، وعليها بنى المتكلمون أصول الدين."(٣) وآيات القرآن

(١) تفسير ابن كثير ج٢ صـــ١٢ باختصار يسير وانظر تفسير الطبري ج٦ صـــ ٧٥

(٢) تفسير الطبري ج٧ صـــ ٩٣

(٣) تفسير القرطبي ج٦ صـــ ٣٨٣

في نقض الشرك وإعابته وتسفيه معتقدية كثيرة منها قوله تعالى:﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾[الرعد:١٦] وقال تعالى:﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ [ابراهيم:٣٠]

٥ــ طلبهم رؤية الله عز وجل قال تعالى:﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾[الفرقان:٢١] وهذا قول مشابه لقول اليهود لموس عليه السلام في قوله تعالى:﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ﴾ [النساء:١٥٣] قال الطبري رحمه الله:" يقول تعالى ذكره وقال المشركون الذين لا يخافون لقاءنا، ولا يخشون عقابنا، هلا أنزل الله علينا ملائكة، فتخبرنا أن محمدا محقٌّ فيما يقول، وأن ما جاءنا به صدق، أو نرى ربنا فيخبرنا بذلك."(١)

<u>الثاني</u> : ــ التقليد الأعمى للآباء السابقين في أمور فاسدة وهى

١ــ في البحيرة والسائبة والوصيلة والحام قال تعالى:﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة:١٠٣] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [المائدة:١٠٤] قال السعدي رحمه الله:" فكل هذه مما جعلها المشركون محرمة بغير دليل ولا برهان. وإنما ذلك افتراء على الله، وصادرة من جهلهم وعدم عقلهم، فلا نقل فيها ولا عقل، ومع هذا فقد أعجبوا بآرائهم التي بنيت على الجهالة والظلم."(٢) وهذا كله نابع من تقليدهم لآبائهم تقليد أعمى لا يعتمد على دليل عقلي يقبل ولا شرعي يعتمد عليه. وقد لحق بهم اليوم فيما يشبه هذا العمل بعض المسلمين فحرَموا البنات من الميراث، أو أنقصوا منه، فخالفوا شرع الله فحرموا عليهن ما أحل الله لهن.

٢ــ في التقول على الله بغير علم قال تعالى:﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[الأعراف:٢٨] قال الطبري رحمه الله:" عن السديِّ كان قبيلة من العرب من أهل اليمن يطوفون بالبيت عراة، فإذا قيل: لم تفعلون ذلك؟ قالوا: وجدنا عليها آباءنا، والله أمرنا بها. فتأويل الكلام إذن: وإذا فعل الذي لا يؤمنون بالله الذين جعل الله الشياطين لهم أولياء قبيحاً من الفعل وهو الفاحشة؛ وذلك تعرّيهم للطواف بالبيت وتجرّدهم له، فعُذِلوا على ما أتوا من قبيح

---

(١) تفسير الطبري ج ١٩ صــ ١

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي) / عبد الرحمن بن ناصر السعدي / مؤسسة الرسالة / بيروت / ١٤٢١هــ ــ ٢٠٠٠م / تحقيق: ابن عثيمين / ج١ صــ ٢٦٤

فعلهم وعُوتبوا عليه، قالوا: وجدنا على مثل ما نفعل آباءنا، فنحن نفعل مثل ما كانوا يفعلون، ونقتدي بهديهم ونستن بسنتهم، والله أمرنا به، فنحن نتبع أمره فيه، يقول الله جل ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهم: إن الله لا يأمر بالفحشاء، ولا بقبائح الأفعال ومساويها."(١)

٣ــ في اتباعهم أديان آباءهم قال تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [لقمان:٢١] قال الطبري رحمه الله:" يقول تعالى ذكره وإذا قيل لهؤلاء الذين يجادلون في توحيد الله جهلا منهم بعظمة الله اتبعوا أيها القوم ما أنزل الله على رسوله وصدقوا به، فإنه يفرق بين المحق منا والمبطل، ويفصل بين الضال والمهتدى. فقالوا: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا من الأديان فإنهم كانوا أهل حق. قال الله تعالى ذكره أو لو كان الشيطان يدعوهم بتزيينه لهم سوء أعمالهم واتباعهم إياه على ضلالتهم وكفرهم بالله وتركهم اتباع ما أنزل الله من كتابه على نبيه إلى عذاب السعير؛ يعني عذاب النار التي تتسعر وتلتهب."(٢) وقال تعالى:﴿إِنَّهُمۡ أَلۡفَوۡاْ ءَابَآءَهُمۡ ضَآلِّينَ ﴾ ﴿فَهُمۡ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ يُهۡرَعُونَ﴾ [الصافات٦٩ :٧٠] وقال تعالى:﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [الزُخرُف:٢٢]

الثالث : ــ القياس الفاسد

قال تعالى:﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾[سبأ:٣٥] قال ابن كثير رحمه الله:" افتخروا بكثرة الأموال والأولاد، واعتقدوا أن ذلك دليل على محبة الله تعالى لهم واعتنائه بهم وأنه ما كان ليعطيهم هذا في الدنيا ثم يعذبهم في الآخرة."(٣) وهذا قياس فاسد من وجهين: الأول: اعتبار الإنْعام من الله دليل على رضاه. والثاني: قياس الآخرة على الدنيا في كون المنعم في الدنيا كذلك حاله في الآخرة. ومثل هذا القياس الفاسد جاء في قوله تعالى:﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلۡنَٰهُ نِعۡمَةٗ مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمِۭۚ ﴾[الزُمَر:٤٩] وقوله سبحانه:﴿ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰ ﴾[فُصّلت:٥٠]

الرابع : ــ تحريف العبادات التالية

١ــ إتخاذهم للأصنام بين الصفا والمروة حتى تحرَّجَ الصحابة من الطواف حين أمرهم الله بذلك قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ ﴾ [البقرة:١٥٨] قال الطبري رحمه الله:" فمن حجّ البيت أو اعتمر فلا يتخوّفن الطواف بهما، من أجل ما كان أهل الجاهلية

---

(١) تفسير الطبري ج٨ صــ ١٥٤ باختصار وتصرف وانظر تفسير ابن كثير ج٢ صــ ٢٠٩

(٢) تفسير الطبري ج٢١ صــ ٧٩

(٣) تفسير ابن كثير ج٣ صــ ٥٤١

يطوفون بهما، من أجل الصنمين اللذين كانا عليهما، فإن أهل الشرك كانوا يطوفون بهما كفرا، وأنتم تطوفون بهما إيمانا وتصديقا لرسولي وطاعة لأمري، فلا جناح عليكم في الطواف بهما."[١]

٢ـــ **القسمة غير العادلة في الأنعام** قال تعالى:﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ [الأنعام:١٣٦] قال السعدي رحمه الله:" فجمعوا بين محذورين محظورين، بل ثلاثة محاذير؛ منِّتهم على الله في جعلهم له نصيبا، مع اعتقادهم أن ذلك منهم تبرع، وإشراك الشركاء الذين لم يرزقوهم، ولم يوجدوا لهم شيئا في ذلك، وحكمهم الجائر في أن ما كان لله لم يبالوا به، ولم يهتموا، ولو كان واصلا إلى الشركاء اعتنوا به واحتفظوا به ولم يصل إلى الله منه شيء وقالوا: الله غني عنه، فلا يردونه، وإن وصل شيء مما جعلوه لآلهتهم إلى ما جعلوه لله، ردوه إلى محله، وقالوا: إنها فقيرة، لا بد من رد نصيبها."[٢] وقال تعالى:﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [الأنعام:١٣٨]

٣ـــ **تحريم ما أحل الله** قال تعالى:﴿قُلۡ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشۡهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشۡهَدۡ مَعَهُمۡۚ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٠] قال الطبري رحمه الله :" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ قل يا محمد لهؤلاء المفترين على ربهم من عبدة الأوثان، الزاعمين أن الله حرَّم عليهم ما هم محرموه من حروثهم وأنعامهم هلم شهداءكم يقول هاتوا شهداءكم الذين يشهدون على الله أنه حرّم عليكم ما تزعمون أنه حرّمه عليكم."[٣] وقال تعالى:﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ﴾ [يونس:٥٩] وقال الله تعالى:﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ﴾ [النحل:١١٦]

٤ـــ **الطواف** قال تعالى:﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٨] قال ابن كثير رحمه الله:" قال مجاهد رحمه الله: كان المشركون يطوفون بالبيت عراة يقولون: نطوف كما ولدتنا أمهاتنا فتضع المرأة على قبلها النسعة أو الشيء

(١) تفسير الطبري ج٢ صـــ ٤٥

(٢) تفسير السعدي ج١ صـــ ٢٧٥ باختصار يسير

(٣) تفسير الطبري ج٨ صـــ ٨٠

وتقول: اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله فأنزل الله (وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا) قلت كانت العرب ما عدا قريشا لا يطوفون بالبيت في ثيابهم التي لبسوها يتأولون في ذلك أنهم لا يطوفون في ثياب عصوا الله فيها وكانت قريش وهم الحمس(١) يطوفون في ثيابهم ومن أعاره أحمسي ثوبا طاف فيه ومن معه ثوب جليد طاف فيه ثم يلقيه فلا يتملكه أحد، ومن لم يجد ثوبا جديدا ولا أعاره أحمسي ثوبا طاف عريانا. وربما كانت امرأة فتطوف عريانة فتجعل على فرجها شيئا ليستره بعض الستر، وأكثر ما كان النساء يطفن عراة بالليل."(٢)

٥ــ **تحريفهم للصلاة** قال تعالى:﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴾ [الأنفال:٣٥] قال الطبري:" عن ابن إسحاق ما كان صلاتهم التي يزعمون أنها يدرأ بها عنهم إلا مكاءً وتصدية، وذلك ما لا يرضي الله ولا يحب، ولا ما افترض عليهم ولا ما أمرهم به."(٣)

٦ــ **تغيرهم للأشهر الحرم (النسيء)** قال تعالى:﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ ﴾ [التوبة:٣٧] قال الطبري رحمه الله:" يقول تعالى ذكره: ما النسيء إلا زيادة في الكفر، والنسيء مصدر من قول القائل: نسأت في أيامك ونسأ الله في أجلك: أي زاد الله في أيام عمرك ومدة حياتك حتى تبقى فيها حيّا. وقد يحتمل أن النسيء فعيل صرف إليه من مفعول، كما قيل: لعين وقتيل، بمعنى: ملعون ومقتول، ويكون معناه: إنما الشهر المؤخر زيادة في الكفر. وقيل إنما التأخير الذي يؤخره أهل الشرك بالله من شهور الحرم الأربعة وتصييرهم الحرام منهن حلالا والحلال منهن حراما، زيادة في كفرهم وجحودهم أحكام الله وآياته. وأما قوله (يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا) فإن معناه يحل الذين كفروا النسيء، والهاء في قوله: (يُحِلُّونَهُۥ) عائدة عليه. ومعنى الكلام: يحلون الذين أخروا تحريمه من الأشهر الأربعة الحرم عاما ويحرمونه عاما (لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ) يقول: ليوافقوا بتحليلهم ما حللوا من الشهور وتحريمهم ما حرموا منها، عدة ما حرم الله."(٤)

٧ــ **عدم أداء الزكاة** قال تعالى:﴿ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ﴾﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ [فصلت:٦-٧] قال الطبري رحمه الله:" عن ابن عباس وعن عكرمة رضى الله عنهما هم الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله. وقال آخرون: بل معنى ذلك: الذين لا يقرّون بزكاة أموالهم التي فرضها الله فيها، ولا يعطونها أهلها. وعن قتادة لا يقرون بها ولا

---

(١) هم قريش ومن ولدت قريش وكنانة سموا حمسا لأنهم تحمسوا في دينهم أي تشددوا

(٢) تفسير ابن كثير ج٢ صــ ٢٠٩

(٣) تفسير الطبري ج٩ صــ ٢٤٣

(٤) تفسير الطبري ج١٠ صــ ١٢٩، ١٣٠ وانظر تفسير ابن كثير ج٢ صــ ٣٥٦

يؤمنون بها. وكان يقال: إن الزكاة قنطرة الإسلام، فمن قطعها نجا، ومن تخلف عنها هلك. وقد كان أهل الردّة بعد نبيّ الله قالوا: أما الصلاة فنصلي، وأما الزكاة فو الله لا تغصب أموالنا قال: فقال أبو بكر: والله لا أفرق بين شيء جمع الله بينه. والله لو منعوني عقالا مما فرض الله ورسوله لقاتلناهم عليه. والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين قالوا: معناه: لا يؤدون زكاة أموالهم وذلك أن ذلك هو الأشهر من معنى الزكاة."(١)

الخامس : ــ الإعراض عن آيات الله في الأرض وإنكارها والتكذيب بها

قال تعالى:﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام:٣٣] قال الشوكاني رحمه الله:" والمعنى: أن تكذيبهم ليس يرجع إليك فإنهم يعترفون لك بالصدق، ولكن تكذيبهم راجع إلى ما جئت به، ولهذا قال:(وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ) ووضع الظاهر موضع المضمر لزيادة التوبيخ لهم والإزراء عليهم، ووصفهم بالظلم لبيان أن هذا الذي وقع منهم ظلم بين."(٢) و قال تعالى:﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [يس:٤٦] وهذا الإعراض منهج كل الأمم الكافرة مع أنبيائهم قال تعالى:﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [آل عمران:١١]

السادس : ــ الاستهزاء والسخرية بآيات الله ونبيه وبالمؤمنين

أولا : ــ الاستهزاء بآيات الله والسخرية منها قال تعالى:﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٤٠] وقال تعالى:﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨] قال الطبري رحمه الله:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ (وَإِذَا رَأَيْتَ) يا محمد المشركين (ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا) التي أنزلناها إليك، ووحيْنا الذي أوحيناه إليك، وخوضهم فيها كان استهزاءهم بها وسَبَّهم من أنزلها وتكلم بها وتكذيبهم بها."(٣) وقال تعالى:﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ﴾ ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ [الصافات١٢ :١٤] وقال تعالى:﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾[المدثر:٤٥]

ثانيا : ــ الاستهزاء بالنبي ﷺ قال الله تعالى:﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [الأنبياء:٣٦] وهذا ديدن المتكبرين والمعرضين الكارهين للحق مع كل من أراد الصلاح والإصلاح بين الناس ولهم. وذلك جهلا منهم

(١) تفسير الطبري ج٢٤ صــ ٩٢ ، ٩٣ بتصرف يسير

(٢) فتح القدير / الشوكاني ج٢ صــ ١١١

(٣) تفسير الطبري ج٧ صــ ٢٢٨

وضيق أفق في تفكيرهم الذي لم يهتدوا به إلى الحق الخالق الذي تعم آياته الكون، وهى تدلل على وحدانيته وقدرته. فحملهم هذا الجهل وضيق الأفق على الاستهزاء بدل الاتباع.

ثالثا : ــ الاستهزاء بالمؤمنين قال تعالى:﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [البقرة:٢١٢] قال الطبري رحمه الله:" ويسخرون بمن تبعك من أهل الإيمان، والتصديق بك، في تركهم المكاثرة والمفاخرة بالدنيا وزينتها من الرياش والأموال بطلب الرياسات وإقبالهم على ما عندي برفض الدنيا وترك زينتها، والذين عملوا لي وأقبلوا على طاعتي ورفضوا لذات الدنيا وشهواتها، إتباعا لك، وطلبا لما عندي، واتقاء منهم بأداء فرائضي، وتجنب معاصيّ فوق الذين كفروا يوم القيامة بإدخال المتقين الجنة، وإدخال الذين كفروا النار.عن ابن جريج قوله تعالى:(زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) قال: الكفار يبتغون الدنيا ويطلبونها، ويسخرون من الذين آمنوا في طلبهم الآخرة. قال عكرمة: قالوا: لو كان محمد نبيا كما يقول لاتبعه أشرافنا وساداتنا، والله ما اتبعه إلا أهل الحاجة مثل ابن مسعود رضى الله عنه."(١) وقال تعالى:﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ [المؤمنون١٠٩ : ١١٠] وقال سبحانه:﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴾ [المطففين٢٩ : ٣٠]

السابع : ــ محاربة الله ورسوله والصد عن سبيل الله

قال تعالى:﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة:٣٣] قال الطبري رحمه الله:" وهذا بيان من الله عز ذكره عن حكم الفساد في الأرض الذي ذكره في قوله:﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ ﴾ [المائدة:٣٢] أعلم عباده ما الذي يستحق المفسد في الأرض من العقوبة والنكال، فقال تبارك وتعالى: لا جزاء له في الدنيا إلا القتل والصلب وقطع اليد والرجل من خلاف أو النفي من الأرض خزيا لهم. وأما في الآخرة إن لم يتب في الدنيا فعذاب عظيم. ثم اختلف أهل التأويل فيمن نزلت هذه الآية؛ فقال بعضهم: نزلت في قوم من أهل الكتاب، وقال عكرمة والحسن البصري رحمهم الله: نزلت في قوم من المشركين. فمن تاب منهم من قبل أن تقدروا عليه لم يكن عليه سبيل وليست تَحْرز هذه الآية الرجل المسلم من الحد إن قتل أو أفسد في الأرض أو حارب الله ورسوله ثم لحق بالكفار قبل أن يُقْدَر عليه، لم يمنعه ذلك أن يقام فيه الحدّ الذي أصاب، وقال آخرون: بل نزلت في قوم من عُرَينة وعُكْل ارتدّوا عن الإسلام، وحاربوا الله ورسوله."(٢)

---

(١) تفسير الطبري ج٢ صـ ٣٣٣

(٢) تفسيرا الطبري ج٦ صـ ٢٠٦

وقال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال:٣٦] وقال تبارك تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾[هود:١٩] وقال سبحانه وتعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [المجادلة:٥]

الثامن : ـــ منع المؤمنين من مساجد الله ومحاولة ردهم عن دينهم

قال تعالى:﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[البقرة:١١٤] قال الشوكاني رحمه الله:" هذا الاستفهام فيه أبلغ دلالة على أن هذا الظلم متناه وأنه بمنزلة لا ينبغي أن يلحقه سائر أنواع الظلم: أي لا أحد أظلم ممن منع مساجد الله، والمراد بمنع المساجد أن يذكر فيها اسم الله منع من يأتي إليها للصلاة والتلاوة والذكر وتعليمه. والمراد بالسعي في خرابها: هو السعي في هدمها ورفع بنيانها، ويجوز أن يراد بالخراب تعطيلها عن الطاعات التي وضعت لها فيكون أعم من قوله: (أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ) فيشمل جميع ما يمنع من الأمور التي بنيت لها المساجد كتعلم العلم وتعليمه، والقعود للاعتكاف، وانتظار الصلاة."(١) وأعم من هذا وأطم ما يفعله بعض الكفرة والملحدين وممن يدَّعون أنهم مسلمون فيمنعون أهل السنة من إقامة مسجد في بلد يفوق تعدادهم فيها العشرين مليونا، وذلك طمعا منهم في رد المؤمنين عن دينهم وإجبارهم على اتباع مذاهبهم الفاسدة. وقال تعالى:﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[البقرة:٢١٧] قال الطبري رحمه الله:" عن ابن عباس في قوله تعالى:(يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ) وذلك أن المشركين صدّوا رسول الله ﷺ، وردّوه عن المسجد الحرام في شهر حرام، ففتح الله على نبيه في شهر حرام من العام المقبل."(٢) وقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾[آل عمران:١٠٠] وقال تعالى:﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال:٣٤]

---

(١) فتح القدير / الشوكاني ج١ صـــ ١٣١

(٢) تفسير الطبري ج٢ صـــ ٣٥٠

التاسع : ــ المعاملات الفاسدة

وهذه المعاملات التي سأذكرها ليست مكفرة لوحدها لاسيما إذا كان مرتكبها من الموحدين ، ولكني عمدت إلى ذكرها لأنهم فعلوها معتقدين حلها بل ادعوا أن الله تبارك وتعالى قد أمرهم ببعضها.

١ــ أكل الربا قال تعالى:﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢٧٥] قال الطبري رحمه الله:" وأن التحريم من الله في ذلك كان لكل معاني الربا، وأنْ سواء العمل به وأكلُه وأخذه وإعطاؤه، كالذي تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من قوله (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء)[1] قوله تعالى:﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ﴾ [البقرة:٢٧٥] يعني بذلك جل ثناؤه أنه يصيبهم يوم القيامة من قبح حالهم ووحشة قيامهم من قبورهم وسوء ما حلّ بهم من أجل أنهم كانوا في الدنيا يكذبون ويفترون ويقولون إنما البيع الذي أحله الله لعباده مثل الربا، وذلك أن الذين كانوا يأكلون من الربا من أهل الجاهلية كان إذا حلّ مال أحدهم على غريمه يقول الغريم لغريــم الحقّ زدني في الأجل وأزيدك في مالك، فكان يقال لهما إذا فعلا ذلك: هذا ربا لا يحلّ، قالا: سواء علينا زدنا في أوّل البيع أو عند محلّ المال فكذّبهم الله في قيلهم فقال:(وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ)"[2]

٢ــ نكاح الجاهلية قال تعالى:﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَمَقۡتٗا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ وَعَمَّٰتُكُمۡ وَخَٰلَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[النساء٢٢ :٢٣] قال الطبري رحمه الله:" عن ابن عباس قال: كان أهل الجاهلية يحرّمون ما يحرّم إلا امرأة الأب، والجمع بين الأختين، قال: فأنزل الله (وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَ) (وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ) وقال آخرون: معنى ذلك: ولا تنكحوا نكاح آبائكم، بمعنى: ولا تنكحوا كنكاحهم كما نكحوا على الوجوه الفاسدة التي لا يجوز مثلها في الإسلام."[3]

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب المساقاة باب لعن آكل الربا ومؤكله ج٣ صــ ١٢١٩ حديث رقم ١٥٩٨

(٢) تفسير الطبري ج٣ صــ ١٠٣

(٣) تفسير الطبري ج٤ صــ ٣١٨

وهذا النهي وإن كان خاصا فيما ذُكر من الأصناف، إلا أنه يشمل كل نكاح محرم وإن حاول بعض ممن ينتسبون للإسلام ليَّ أعناق النصوص فأحلوا ما حرم الله ورسوله فسولت لهم أنفسهم تحليل نكاح المتعة وجعلوه من صلب عقيدتهم فهم بذلك يجارون الجاهلية في تحليل ما حرم الله.

العاشر : ــ وأد البنات

قال تعالى:﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام:١٣٧] وقال تعالى:﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:١٥١] وقال تعالى:﴿ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل:٥٩] وقال تعالى:﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء:٣١] وقال تعالى:﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾﴿بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾[التكوير٨ :٩]

الحادي عشر : ــ نقض العهد والأيمان

قال تعالى:﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة١٢ :١٣] وهذا وصف أعداء الدين في كل زمان إذا أحسوا بضعفهم وقرب نصر المسلمين عقدوا معهم عقود السلم وهم يتحينون الفرص من ضعف أو غفلة من المسلمين لينقضوا عليهم، فنبذوا تلك المواثيق التي عقدوها أملا منهم في القضاء على المسلمين.

الثاني عشر : ــ الجدل المحض بالباطل

قال تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ [الحج:٣] قال الزمخشري:" قيل نزلت في النضر بن الحارث وكان جَدِلاً يقول الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، والله غير قادر على إحياء من بلي وصار ترابا، وهي عامة في كل من تعاطي الجدال فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات والأفعال ولا يرجع إلى علم وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة، فهو يخبط خبط عشواء غير فارق بين الحق والباطل ويتبع في ذلك خطوات كل شيطان."(١) وقال تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [الحج:٨] قال الطبري رحمه الله:" يقول تعالى ذكره: ومن الناس من يخاصم في توحيد الله وإفراده بالألوهة بغير علم منه بما يخاصم به، ولا هدى يقول: وبغير بيان معه لما يقول ولا برهان. ولا كتاب منير يقول: وبغير كتاب من الله أتاه لصحة

---

(١) الكشاف / الزمخشري ج٣ صــ ١٤٤ وانظر تفسير البحر المحيط / أبو حيان الأندلسي ج٦ صــ ٣٢٦

ما يقول."[1] وقال تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [غافر:٥٦]

الثالث عشر : ــ إيذاء النبي ﷺ ووصفه بالمجنون والشاعر والساحر والكذّاب والكاهن

قال تعالى:﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ﴾[الحجر:٦] وهذا من جملة الأوصاف التي وصف بها المشركون النبي ﷺ وذلك هروبا منهم من الواقع بعد أن تحداهم تبارك وتعالى بالحجج والبراهين والآيات. فلما لم يقدروا على هذا التحدي جعلوا يختلقون الأوصاف للنبي ﷺ تارة وللقرآن تارة ويجعلونها حجة في عدم اتباعهم له قال تعالى:﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ﴾[الصافات:٣٦] ثم غيروا رأيهم لعدم اقتناع الناس بما ذهبوا إليه فقالوا ساحر قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ﴾[ص:٤] ثم عدلوا عن هذا الرأي فقالوا كاهن فرد عليهم سبحانه وتعالى فقال:﴿فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ﴾[الطور:٢٩] فتبين من ترddداتهم أنهم قوم مترددون متخرصون فقال تعالى عنهم:﴿قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ﴾[الذاريات:١٠] قال الطبري رحمه الله:" قال ابن زيد: القوم الذين كانوا يتخرّصون الكذب على رسول الله ﷺ: قالت طائفة: إنما هو ساحر والذي جاء به سحر. وقالت طائفة: إنما هو شاعر والذي جاء به شعر. وقالت طائفة: إنما هو كاهن والذي جاء به كهانة وقالت طائفة:﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ [الفرقان:٥] يتخرّصون على رسول الله ﷺ."[2] ولا يُخفى أنه يلحق بفعل هؤلاء كل من شك أو اعتقد بأن النبي ﷺ قد قصر في التبليغ أو أخفي شيئا مما أمره الله بتبليغه.

الرابع عشر : ــ إيذاء المؤمنين

قال تعالى:﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَۖ يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۚ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[الحج:٧٢] قال الألوسي رحمه الله:" (وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا) صيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي وقوله تعالى (بَيِّنَٰتٖ) حال من الآيات أي واضحات الدلالة على العقائد الحقة والأحكام الصادقة، أو على بطلان ما هم عليه من عبادة غير الله تعالى (تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَ) أي في وجوههم المنكر أي الإنكار على أنه مصدر ميمي والمراد علامة الإنكار أو المستقبح من التجهم والبسور والهيئات الدالة على ما يقصدونه وهو الأنسب بقوله تعالى:(يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ) أي يثبون ويبطشون بهم من فرط الغيظ والغضب لأباطيل أخذوها تقليدا، ولا يخفى ما في ذلك من الجهالة العظيمة و المراد أنهم طول دهرهم يقاربون ذلك وإلا فقد سطوا في بعض الأوقات ببعض

---

(١) تفسير الطبري ج١٧ صـــ ١٢٠

(٢) تفسير الطبري ج٢٦ صـــ ١٩٢

الصحابة."(١) وقال تعالى: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[فاطر:٤٣] قال الطبري رحمه الله:" نفروا استكباراً في الأرض، وخدعة سيئة، وذلك أنهم صدوا الضعفاء عن اتباعه مع كفرهم به."(٢) وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البروج:١٠]

<u>الخامس عشر</u> : ــ إنكار الغيبيات وتحريف ما آمنوا به منها

١ــ إنكار البعث قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام:٢٩] قال الطبري رحمه الله:" وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين العادلين به الأوثان والأصنام الذين ابتدأ هذه السورة بالخبر عنهم، يقول تعالى ذكره: (وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا) يخبر عنهم أنهم ينكرون أن الله يحي خلقه بعد أن يميتهم، ويقولون: لا حياة بعد الممات ولا بعث ولا نشور بعد الفناء. فهم بجحودهم ذلك وإنكارهم ثواب الله وعقابه في الدار الآخرة، لا يبالون ما أتوا وما ركبوا من إثم ومعصية لأنهم لا يرجون ثواباً على إيمان بالله وتصديق برسوله وعمل صالح بعد موت، ولا يخافون عقاباً على كفرهم بالله ورسوله وسيىء من عمل يعملونه."(٣)

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾ [السجدة:١٠] وقال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[النحل:٣٨] وأشبه بحال هؤلاء اليوم بل أضل منهم من يقول بتناسخ الأرواح وحلولها في أجساد غير أجسادهم بحسب أعمالهم والله يقول كرمنا بني آدم وهم يقولون تحل أرواحهم في الكلاب والخنازير.

٢ــ عدم الإيمان بالآخرة قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ [يونس:٤٥] وقال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾ [المؤمنون:٧٤] وقال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [الفرقان:١١]

٣ــ قولهم عن الملائكة إناثا قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف:١٩] وقال تعالى: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ [الإسراء:٤٠] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم:٢٧] و فعل هؤلاء المشركين كاليهود الذين فرقوا بين الملائكة فأحبوا بعضهم وكرهوا آخرين.

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي / دار إحياء التراث العربي / بيروت / ج١٧ صـــ ١٩٩ ، ٢٠٠

(٢) تفسير الطبري ج٢٢ صـــ ١٤٥

(٣) تفسير الطبري ج٧ صـــ ١٧٧

<u>السادس عشر</u> : ــ **وصفهم القرآن بأوصاف باطلة**

١ــ قولهم عنه أساطير الأولين قال تعالى:﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ **[الأنعام:٢٥]** قال القرطبي رحمه الله:" عن بن عباس رضى الله عنه (يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا) يعني قريشا قال ابن عباس قالوا للنضر بن الحرث ما يقول محمد قال: أرى تحريك شفتيه وما يقول إلا أساطير الأولين مثل ما أحدثكم عن القرون الماضية، وكان النضر صاحب قصص وأسفار فسمع أقاصيص في ديار العجم مثل قصة رستم واسفنديار فكان يحدثهم."(١) وقال تعالى:﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ **[الأنفال:٣١]**

٢ــ قولهم أن النبيّ ﷺ افتراه من عنده قال تعالى:﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ **[السجدة:٣]** قال الطبري رحمه الله:" يقول تعالى ذكره أم يقول هؤلاء المشركون افترى محمد هذا القرآن من نفسه فاختلقه وافتعله. قل يا محمد لهم: إن كان كما تقولون إني اختلقته وافتريته، فإنكم مثلي من العرب، ولساني وكلامي مثل لسانكم، فجيئوا بسورة مثل هذا القرآن."(٢) وقال تعالى:﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ **[الأحقاف:٨]**

٣ــ قولهم إنما يعلمه بشر قال تعالى:﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ **[النحل:١٠٣]** وهذا يدل على قصر فهمهم وعنادهم لمجرد العناد، وكما يقال من فيك أدينك فإن كان الذي يعلمه بشر فلم لا يرسلون إلى هؤلاء المعلمين بعض نجباءهم فيتعلمون مثل ما تعلم ويلزمونه الحجة. حتى أنهم في دعواهم هذه يعارضون أنفسهم بأنفسهم من كونهم نسبوا هذا التعليم لشخص أعجمي مرة ولعربي مرة ولنصراني مرة ومرة لفارسي ثم يخرج بعد ذلك القرآن بلسان عربي مبين قال الرازي رحمه الله:" كانوا يقولون إن محمداً إنما يذكر هذه القصص وهذه الكلمات لأنه يستفيدها من إنسان آخر ويتعلمها منه، واختلفوا في هذا البشر الذي نسب المشركون النبي ﷺ إلى التعلم منه قيل: هو عبد لبني عامر بن لؤي يقال له يعيش وكان يقرأ الكتب. وقيل: عداس غلام عتبة بن ربيعة. وقيل: عبد لبني الحضرمي صاحب كتب وكان اسمه جبرا.

---

(١) تفسير القرطبي ج٦ صــ ٤٠٥

(٢) تفسير الطبري ج١١ صــ ١١٧

وكانت قريش تقول عبد بني الحضرمي يعلم خديجة وخديجة تعلم محمدا. وقيل كان بمكة نصراني أعجمي اللسان اسمه بلعام ويقال له أبو ميسرة يتكلم بالرومية وقيل سلمان الفارسي."(١)

٤ـ **قولهم عن القرآن أضغاث أحلام** قال تعالى:﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء:٥] وهذا من جملة افتراءاتهم وتخبطهم حتى أنهم لم يتفقوا فيما بينهم على تهمة موحدة يوجهونها للنبي ﷺ. وهذا وصفا ملازم لأهل الباطل دوما قال تعالى: ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾[سبأ:٤٩] فلا يثبت الباطل على قول واضح بين كالحق.

٥ـ **قولهم عن القرآن انه سحر** قال تعالى:﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾[الأنبياء:٣] قال الطبري رحمه الله:" وقوله: (أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ) يقول: وأظهروا هذا القول بينهم، وهي النجوى التي أسروها بينهم، فقال بعضهم لبعض: أتقبلون السحر وتصدّقون به وأنتم تعلمون أنه سحر؟ يعنون بذلك القرآن."(٢) وقال تعالى:﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ [الزُخرُف٣٠]

وخلاصة القول أنهم كانوا من شدة جهلهم وحيرتهم وعجزهم أمام هذا البيان الرباني أنهم لا يثبتون على قول واحد، فكلما وصفوا القرآن وصفا تحداهم القران في وصفهم هذا وفنده وأبطل زعمهم قال تعالى:﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ [الذاريات:٨] قال الطبري رحمه الله:"عن ابن زيد قال: يتخرّصون يقولون: هذا سحر، ويقولون: هذا أساطير، فبأيّ قولهم يؤخذ."(٣)

والخلاصة :ـ إن أهم ما في ضوابط التكفير في هذه المرحلة وأشده خطرا هو عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول ﷺ مهما صاحب ذلك من أفعال الخير، وإن كانت تبدو في ظاهرها من العبادات أو مكارم الأخلاق. فإذا التقى ذلك مع استحسان دين الجاهلية و التمسك بتراث الآباء رغم وضوح الباطل الذي كانوا عليه، بلغت الخسارة والعياذ بالله تعالى أقصى دركاتها لذا قال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [العنكبوت:٥٢]

وبنظرة سريعة إلى واقعنا اليوم نجد أن هذه الاعتقادات والأعمال والأقوال التي كانت عليها الجاهلية ظاهرة في كثير من المجتمعات والجماعات الإسلامية أو المتمسلمة منها. وإن لبس بعضها مظاهراً جديدة.

(١) التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج٢٠ صـ ٩٤ ، وانظر تفسير ابن كثير ج٢ صـ ٥٨٧ ، والكشاف / الزمخشري ج٢ صـ ٥٩٣

(٢) تفسير الطبري ج١٧ صـ ٢

(٣) تفسير الطبري ج٢٦ صـ ١٩١

فهذا يدعى حب الله ورسوله ثم يقدم قول الأئمة والأولياء على القرآن ويجعلهم في أعمالهم إسوة حسنة مقدمة على هدى النبي ﷺ، وآخر يدعى الحب ثم يعرض عن حكم الله ويحكم قوانين وضعية ما أنزل الله بها من سلطان بحجج واهية مختلفة.

وأهل الجاهلية حرفوا العبادات فجعلوا الصلاة صياحا وبكاء، وجاهلية اليوم حرفوا جزءا منها فلا سجود صحيح إلا على قطعة طين من مكان محدود يحملونها معهم في حلهم وترحالهم، ولا صلاة جمعة إلا بعودة إمامهم المزعوم. والله ورسوله يقدمون مكة والمدينة على كل بقاع الأرض وهم يقدسون قم وكربلاء.

وأخذ أهل الجاهلية أسماء الله وصفاته فاشتقوا منها أسماء آلهتهم وأصنامهم لتقربهم إليه، فجاء من هو أجهل منهم فأولها بما لا يليق بذاته جل وعلا فشبه أو عطل أو أنكر.

والله سبحانه وتعالى ينهى عن الاستقسام بالأزلام ويأمر بالتزام التوكل عليه، وكثير من الناس إلا من رحم ربي يتشاؤم من رؤية شخص أو طائر معين فيرده عن مقصده، ويتابع العرافين والسحرة والأبراج.

وأنكر أهل الجاهلية البعث والنشور والحشر والجزاء والحساب فشابههم أقوام فأنكروا عذاب القبر ونعيمه.

ووأد أهل الجاهلية البنات واستثقلوا ميلادهن وجاهلية القرن الحديث كما قال سبحانه:﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ﴾ [النحل:٥٨]

وتعداد الأمور التي شابه فيها أهل زماننا من المسلمين أفعال الجاهلية أكبر من أن نحصيها في مبحثنا هذا. من الناس من فعلها عن جهل، ومنهم من فعلها بتخطيط وتدبير من أجل الكيد لأمة الإسلام ليلبس عليهم دينهم حقدا وحسدا على هذه الأمة بما ميزها الله به عن سواها من الأمم بوسطيتها وعدالتها.

وقد صدق رسول الله ﷺ حين قال:" من تشبه بقوم فهو منهم."(١) فكيف بمن فعل أفعالهم أو قال كأقوالهم أو اعتقد معتقدهم.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب اللباس باب ما جاء في الأقبية ج٤ صـ ٤٤ حديث رقم ٤٠٣١ وقال ابن حجر في فتح الباري ج٦ صـ ٩٨ حسن وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد كتاب الزهد باب من تشبه بقوم فهو منهم ج١٠ صـ ٢٧١ وقال رواه الطبراني في الأوسط وفيه علي بن غراب وقد وثقه غير واحد وضعفه بعضهم وبقية رجاله ثقات وقال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء ج١٥ صـ ٥٠٩ إسناده صالح.

ثانيا : مظاهر التكفير في العهد المدني

وقبل عرض مظاهر التكفير في هذا العهد أرى من الواجب التنبيه على أن الناس كانوا في المدينة على أقسام ثلاثة، قسم آمن بالله قلبا، ثم أيده باللسان قولا، وبالعمل الصالح مسلكا، هؤلاء قال الله فيهم:﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾ [الأنفال ٢:٤]

وقسم آخر آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، وهم المنافقون وقد قال الله فيهم:﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴾﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴾ [البقرة٨:١٠]

وقسم ثالث هم أهل الكتاب وأولئك الذين كانوا يتوعدون أهل المدينة بالإيمان بالنبي ﷺ، فلما جاءهم ما عرفوا جحدوا آيات الله وكذبوا بالحق ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٨٩]

وتنحصر مظاهر التكفير في العهد المدني في هاتين الفئتين، وبعض حوادث الردة من أفراد وجماعات لم تدم طويلا. وما سوى ذلك فقد دخل في القسم السابق مع أهل مكة، وان كانوا من غير سكانها إلا أنها شملتهم الصفات التي ذكرتها في الموضوع السابق. وأشرع هنا في ذكر الصفات التي صار بها هذان القسمان من الكفار. ولا يخفى أن أشير هنا إلي أنهم أساساً لم يؤمنوا بالنبي ﷺ؛ فهم في أصلهم كفار بذلك.

أولا : ـــ المنافقون

إن الله تبارك وتعالى قد قسم الناس في بداية سورة البقرة إلى ثلاثة أصناف؛ المؤمنين والكافرين والمنافقين، وذكر لكل صنف صفات تميزهم. ولما قدمت في التمهيد المعنى اللُغوي للنفاق ومعناه الاصطلاحي ونشأته وأقسامه(١) أشرع في ذكر أهم صفاتهم.

أهم صفات المنافقين

المنافقون لهم صفات كثيرة، وقد وصفهم الله عز وجل في أكثر من موضع في القرآن العظيم، وسأعرض أهم صفات المنافقين التي تميزهم عن غيرهم من الناس، والتي كانوا بها كفارا، وسأعمل على إبراز الصفات الخطيرة التي تجعل من هذه الشريحة الخسيسة في المجتمع المسلم فئةً أخطر على المسلمين من العدو الظاهر نفسه.

الصفة الأولى : ـــ القول باللسان ما ليس في القلب والتلون والتزلف والتملق

فمن أجل أن يصل المنافق إلى ما يُريد، ويُؤدي الدور النفاقي على أتم ما يرجوه، ولكونه لا يستند إلى قاعدة عقائدية ولا يملك مؤهلات أخلاقية، لذا يجد نفسه مرغماً على التلون وفقاً للظروف والأحوال، كما أنه لا يجد حرجا في أن يظهر بمظاهر مختلفة حسب مصلحته. كما أنه لا يمانع في أن يخضع لهذا أو يتزلف لذاك. فهو مُكلف بدور لابد من أدائه، وبمهمة لابد من إنجاحها، حتى وإن كان ذلك على حساب عناصر الكرامة في نفسه إن كانت له كرامة. قال تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة:٨] قال الرازي رحمه الله:" اعلم أن المفسرين أجمعوا على أن ذلك في وصف المنافقين قالوا وصف الله الأصناف الثلاثة من المؤمنين والكافرين والمنافقين؛ فبدأ بالمؤمنين المخلصين الذين صحت سرائرهم وسلمت ضمائرهم، ثم أتبعهم بالكافرين الذين من صفتهم الإقامة على الجحود والعناد، ثم وصف حال من يقول بلسانه إنه مؤمن وضميره يخالف ذلك."(٢) وقال تعالى:﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾[آل عمران:١٦٧]

الصفة الثانية : ـــ مرض القلب

فالمنافقون لا يمتلكون الشجاعة الكافية لإعلان موقفهم الحقيقي الذي يُواجهون به أهل الإيمان، فلا هم قادرون على إعلان الإيمان الصريح الواضح، ولا هم قادرون على إعلان إنكارهم للحق، وسبب ذلك هو المرض الذي يتمكن من قلوبهم، فيحرفها عن طريق الإيمان قال تعالى:﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ

---

(١) انظر التمهيد صـــ ٣٥

(٢) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) / فخر الدين الرازي ج٢ صـــ٥٣

﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة:١٠] قال الطبري رحمه الله:" وأصل المرض: السقم، ثم يقال ذلك في الأجساد والأديان، فأخبر الله جل ثناؤه أن في قلوب المنافقين مرضاً. وإنما عنى تبارك وتعالى بخبره عن مرض قلوبهم الخبر عن مرض ما في قلوبهم من الاعتقاد، ولكن لما كان معلوماً بالخبر عن مرض القلب أنه معنىٌّ به مرض ما هم معتقدوه من الاعتقاد استغنى بالخبر عن القلب بذلك والكناية عن تصريح الخبر عن ضمائرهم واعتقاداتهم. والمرض الذي ذكر الله جل ثناؤه أنه في اعتقاد قلوبهم الذي وصفناه هو شكهم في أمر محمد ﷺ، وما جاء به من عند الله وحيرتهم فيه، فلا هم به موقنون إيقان إيمان، ولا هم منكرون له إنكار إشراك، ولكنهم كما وصفهم الله عز وجل مذبذبون بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء."(١) وقال تعالى:﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾[التوبة:١٢٥]

الصفة الثالثة : ـ مفسدون يزعمون الإصلاح

وهل بعد النفاق فساد وإفساد؟! إنهم مفسدون في الأرض يسعون لتخريب كل بذرة خير، وكل نبتة طيبة. وبعد هذا كله، يزعمون أنهم مصلحون يسعون إلى خير الناس، ذلك لأنَّ الموازين قد اختلَّت حين ابتعدت عن المقياس الرباني الصحيح. قال تعالى:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة:١١] لكن الله عز وجل فضح حقيقتهم بقول قاطع واضح، فهم ـ في حقيقة الأمر ـ المفسدون، الذين يُحاربون الإصلاح والصلاح والمصلحين قال تعالى:﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:١٢] قال الطبري رحمه الله:" نزلت في المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ، وإن كان معنياً بها كل من كان بمثل صفتهم من بعدهم إلى يوم القيامة."(٢)

الصفة الرابعة : ـ سفهاء زائفون

يتعالون على الناس، ويعدون الإيمان والإخلاص لله نوعاً من السفاهة، لكنهم في حقيقة الأمر هم السفهاء المنحرفون قال تعالى:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَـٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٣] قال الطبري رحمه الله:" والسفهاء جمع سفيه، كالعلماء جمع عليم، والحكماء جمع حكيم. والسفيه: الجاهل الضعيف الرأي، القليل المعرفة بمواضع المنافع والمضار ولذلك سمى الله عز وجل النساء والصبيان سفهاء، فقال تعالى:﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء:٥] فقال عامة أهل التأويل: هم النساء والصبيان لضعف آرائهم، وقلة معرفتهم بمواضع المصالح والمضار التي تصرف إليها الأموال. وإنما عنى المنافقون بقيلهم أنؤمن كما

(١) تفسير الطبري ج١ صـ ١٢٠ ـ ١٢٢ باختصار كبير

(٢) تفسير الطبري ج١ صـ ١٢٥

آمن السفهاء، إذْ دُعوا إلى التصديق بمحمد ﷺ، وبما جاء به من عند الله، والإقرار بالبعث، فقال لهم:آمنوا كما آمن أصحاب محمد ﷺ وأتباعه من المؤمنين المصدقين به أهل الإيمان واليقين والتصديق بالله وبما افترض عليهم على لسان رسوله محمد ﷺ وفي كتابه وباليوم الآخر، فقالوا إجابة لقائل ذلك لهم: أنؤمن كما آمن أهل الجهل ونصدق بمحمد ﷺ كما صدق به هؤلاء الذين لا عقول لهم ولا أفهام."(١)

الصفة الخامسة : ــ مخادعون كذابون متآمرون

فهم أصحاب مكر سيئ، يتصفون بالخسة واللؤم والجُبن والخبث، يتلونون حسب الظروف، فهم أمام المؤمنين متسترون بالإيمان، وأمام الكافرين وشياطين الإنس يخلعون ذلك الستار عن كاهلهم، فيظهرون على حقيقتهم الخسيسة. وهم في كل ذلك إنما يرومون النيل من المؤمنين والإيقاع بهم والتحريض عليهم، وإلحاق أقصى درجات الأذى بهم قال تعالى:﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة:٩] قال أبو حيان رحمه الله:" فمخادعة المنافقين الله هو من حيث الصورة لا من حيث المعنى من جهة تظاهرهم بالإيمان وهم مبطنون للكفر قاله جماعة، أو من حيث عدم عرفانهم بالله وصفاته فظنوا أنه ممن يصح خداعه، فالتقدير الأول مجاز والثاني حقيقة. أو يكون على حذف مضاف أي يخادعون رسول الله ﷺ والذين آمنوا فتارة يكون المحذوف مراداً وتارة لا يكون مراداً بل مخادعتهم رسول الله ﷺ بمنزلة مخادعة الله فجاء يخادعون الله وهذا الوجه قاله الحسن والزجاج رحمهم الله."(٢)

وقال الطبري رحمه الله:" وخداع المنافق ربه والمؤمنين إظهاره بلسانه من القول والتصديق خلاف الذي في قلبه من الشك والتكذيب ليدرأ عن نفسه القتل والسباء فذلك خداعه ربه وأهل الإيمان بالله."(٣) لكن الله عز وجل يُواجههم بتهديده الرهيب الذي يُزلزل كيانهم، فيزيدهم عمىً وتخبطاً، ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر ليحشرهم إلى مصيرهم المحتوم، بعد أن يمهلهم ولا يهملهم، ليزدادوا استهتارا وضلالا وشططا وعدوانا على المؤمنين، إلى أن تحين ساعتهم قال تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ [البقرة:١٦] أليسوا هم الذين ارتضوا لأنفسهم هذا المصير؟ ألم يكن الإيمان في متناولهم؟ ألم يكن الهدى يلامس قلوبهم وأنفسهم؟ فليذوقوا إذن تبعات الظلام الذي ارتضوه لنفوسهم قال تعالى:﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ [البقرة:١٧] وقال تعالى في تآمرهم مع بعضهم على المسلمين: ﴿ وَيَقُولُونَ

---

(١) تفسير الطبري ج١ صــ ١٢١

(٢) تفسير البحر المحيط / أبو حيان الأندلسي ج١ صــ ١٨٥

(٣) تفسير الطبري ج١ صــ ١١٨

طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء:٨١] وقال سبحانه تعالى:﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد:٢١] وفي كذبهم قال الله تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [المجادلة:١٤] وقال تعالى:﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١]

الصفة السادسة : ــ الاستهزاء بالله والرسول والمؤمنين والقرآن

قال تعالى:﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة:١٤] قال ابن كثير رحمه الله:" وإذا لقي هؤلاء المنافقون المؤمنين قالوا آمنا وأظهروا لهم الإيمان والموالاة والمصافات غرورا منهم للمؤمنين ونفاقا ومصانعة وتقية وليشركوهم فيما أصابوا من خير ومغنم."(١) وقال الله تعالى:﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة:٦٥] وقال تعالى:﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾[النساء:١٤٠] وقال تعالى:﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة:٦١] وقال الله تعالى:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾[المنافقون:٥] قال الطبري رحمه الله:" يقول تعالى ذكره: وإذا قيل لهؤلاء المنافقين: تعالوا إلى رسول الله يستغفر لكم لوّوا رؤوسهم، يقول: حركوها وهزوها استهزاء برسول الله ﷺ وباستغفاره. وبتشديدها الواو من لوَّوا قرأت القرّاء على وجه الخبر عنهم أنهم كرروا هز رؤوسهم وتحريكها وأكثروا، إلا نافعا فإنه قرأ ذلك بالتخفيف على وجه أنهم فعلوا ذلك مرة واحدة."(٢) وقال تعالى:﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[المنافقون:٨]

الصفة السابعة : ــ العزة بالإثم

قال الله تعالى:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [البقرة:٢٠٦] قال الشوكاني رحمه الله:" وقيل الباء في قوله (بِٱلْإِثْمِ) بمعنى اللام أي أخذته العزة والحمية عن قبول الوعظ للإثم الذي في قلبه وهو النفاق."(٣)

الصفة الثامنة : ــ غادرون لا عهد لهم

---

(١) تفسير ابن كثير ج١ صــ ٥٢

(٢) تفسير الطبري ج٢٨ صــ ١٠٨

(٣) فتح القدير / الشوكاني ج١ صــ ٢٠٨

يعاهدون الله على فعل الخيرات، وعلى الالتزام بما يأمرهم به ربهم، لكنَّ قلوبهم خواء، وعقولهم هراء، وشياطينهم متمكّنون من رقابهم، فهم ناقضون لعهد الله يضمرون في أنفسهم نقض العهد حين إبرامه قال تعالى:﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة:٢٧] قال الطبري رحمه الله:" وهذا وصف من الله جل ذكره الفاسقين الذين أخبر أنه لا يضل بالمثل الذي ضربه لأهل النفاق غيرهم، على ما وصف قبل في الآيات المتقدمة إلا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه."[١] وقال تعالى:﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة ٧٥ : ٧٧]

الصفة التاسعة : ــ يتولّون الكافرين ويتنكرون للمؤمنين

زاعمين أن العزة عند الكافرين، فيسعون لها عندهم، لكنهم لن يجدوها إلا عند الله العزيز الجبار قال تعالى:﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [النساء:٨٨] قال ابن كثير رحمه الله:" يقول تعالى منكرا على المؤمنين في اختلافهم في المنافقين على قولين وذلك حين خرج رسول الله ﷺ إلى أحد فرجع ناس خرجوا معه، فكان أصحاب رسول الله ﷺ فيهم فرقتين فرقة تقول نقتلهم، وفرقة تقول لا هم المؤمنون. فأنزل الله (فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ) فقال رسول الله ﷺ:(إنها طيبة تنفي الرجال كما ينفي الكير خبث الحديد.)[٢] وعن ابن عباس رضى الله عنه نزلت في قوم كانوا بمكة قد تكلموا بالإسلام وكانوا يظاهرون المشركين، فخرجوا من مكة يطلبون حاجة لهم فقالوا: إن لقينا أصحاب محمد فليس علينا منهم بأس. وإن المؤمنين لما أخبروا أنهم قد خرجوا من مكة قالت فئة من المؤمنين اركبوا إلى الجبناء فاقتلوهم فإنهم يظاهرون عليكم عدوكم. وقالت فئة أخرى من المؤمنين سبحان الله أو كما قالوا أتقتلون قوما قد تكلموا بمثل ما تكلمتم به من أجل أنهم لم يهاجروا ولم يتركوا ديارهم نستحل دماءهم وأموالهم. فكانوا كذلك فئتين والرسول عندهم لا ينهى واحدا من الفريقين عن شيء فنزلت (فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ)"[٣]

---

(١) تفسير الطبري ج١ صـــ ١٨٢ باختصار يسير

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الحج باب فضل المدينة وأنها تنفي الناس ج٢ صـــ ٦٦٢ حديث رقم ١٧٧٢

(٣) انظر تفسير ابن كثير ج١ صـــ ٥٣٣ بتصرف يسير وانظر تفسير الطبري ج٥ صـــ١٩٣

وقال تعالى:﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾ [النساء:١٣٩] وقال تعالى:﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ﴾ [المجادلة:١٤] قال الطبري رحمه الله:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ألم تنظر بعين قلبك يا محمد، فترى إلى القوم الذين تولَّوْا قوماً غضب الله عليهم، وهم المنافقون تولَّوا اليهود وناصحوهم."(١)

الصفة العاشرة : ــ التربص بالمؤمنين

طالبين الغنيمة إن فازوا وانتصروا، ومنقلبين على المؤمنين مع الكافرين ضدهم إن كان غير ذلك قال تعالى:﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٤١] قال الطبري رحمه الله:" يعني جل ثناؤه بقوله:(ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ) الذين ينتظرون أيها المؤمنون بكم (فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ) يعني: فإن فتح الله عليكم فتحاً من عدوكم، فأفاء عليكم فيئا من المغانم. (قَالُوٓاْ) لكم (أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ) نجاهد عدوكم، ونغزوهم معكم، فأعطونا نصيباً من الغنيمة، فإنا قد شهدنا القتال معكم.(وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ) يعني: وإن كان لأعدائكم من الكافرين حظ منكم بإصابتهم منكم. (قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ) يعني: قال هؤلاء المنافقون للكافرين: (أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ) ألم نغلب عليكم حتى قهرتم المؤمنين، ونمنعكم منهم بتخذيلنا إياهم، حتى امتنعوا منكم فانصرفوا."(٢) وقال تعالى:﴿يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [الحديد:١٤]

الصفة الحادية عشر : ــ الفرح بما يُصيب المؤمنين من سوء ومحنة

فيحزنون لكل خير أو فرح يحصل لأهل الإيمان والمجاهدين في سبيل الله قال تعالى:﴿إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ﴾[التوبة:٥٠] قال الشوكاني رحمه الله:" وهذا ذكر نوع آخر من خبث ضمائر المنافقين وسوء أفعالهم والإخبار بعظيم عداوتهم لرسول الله ﷺ وللمؤمنين فإن المساءة بالحسنة والفرح بالمصيبة من أعظم ما يدل على أنهم في العداوة قد بلغوا إلى الغاية ومعنى (وَيَتَوَلَّواْ) رجعوا إلى أهلهم عن مقامات الاجتماع ومواطن التحدث حال كونهم فرحين بالمصيبة التي أصابت المؤمنين."(٣)

الصفة الثانية عشر : ــ تمنى كفر المسلمين مثلهم

---

(١) تفسير الطبري ج٢٨ صــ ٢٢

(٢) تفسير الطبري ج٥ صــ ٣٣١

(٣) فتح القدير / الشوكاني ج٢ صــ ٣٦٩

قال تعالى:﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء:٨٩] قال ابن كثير رحمه الله:" أي هم يودون لكم الضلالة لتستووا أنتم وإياهم فيها وما ذاك إلا لشدة عداوتهم وبغضهم لكم ولهذا قال:(فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ... الآية)"[1] وقال تعالى:﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[الأحزاب:٢٠]

الصفة الثالثة عشر : ــ مُرجِفون

فليس لهم من همٍّ عند المحن والشدائد إلا الإرجاف والتخويف وتثبيط العزائم وإرهاق الهمم. إنهم السوس الذي ينخر في صفوف المؤمنين، محاولين تحقيق ما لم يستطع العدو تحقيقه في الأمة، فيشقون الصفوف، ويُثيرون الفتنة، ويحاولون زعزعة أي تماسك للمؤمنين قال تعالى:﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الأحزاب:٦٠] قال الطبري رحمه الله:" عن قتادة رحمه الله الإرجاف: الكذب الذي كان نافقه أهل النفاق، وكانوا يقولون: أتاكم عدد وعدة. وذكر لنا أن المنافقين أرادوا أن يظهروا ما في قلوبهم من النفاق، فأوعدهم الله بهذه الآية ، فكتموا ذلك وأسروه."[2] وقال تعالى:﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال:٤٩] وقال تعالى:﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب:١٢]

الصفة الرابعة عشر : ــ يتولون يوم الزحف

فعند وقوع المحنة والبلاء، وحين تحين ساعة الاستحقاق. هم أول الفارّين، وفي طليعة الخائرين الخائفين، يُولُّون الأدبار، ويتوارون عن ساحات النزال الحقيقية، بكل أصنافها وأشكالها وألوانها قال تعالى:﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ [آل عمران١٦٦:١٦٧] قال الطبري رحمه الله:" يعنـــي تعالى ذكره بذلك عبد الله بن أبيّ ابن سلول المنافق وأصحابه الذين رجعوا عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه، حين سار نبي الله ﷺ إلى المشركين بأُحد لقتالهم، فقال لهم المسلمون: تعالوا قاتلوا المشركين معنا، أو ادفعوا بتكثيركم سوادنا. فقالوا: لو نعلـــم أنكم تقاتلون لسرنا معكم إليهم ، ولكنا معكم عليهم، ولكن لا نرى أنه يكون بينكم وبين القوم قتال. فأبدوا من نفاق أنفسهم ما كانوا يكتمونه، وأبدوا بألسنتهم بقولهم: (لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا

---

(١) تفسير ابن كثير ج١ صــ ٥٣٤

(٢) تفسير الطبري ج ٢٢ صــ ٤٨ باختصار يسير

لَأَتَّبَعۡنَـٰكُمۡ) غير ما كانوا يكتمونه ويخفونه، من عداوة رسول الله ﷺ وأهل الإيمان به."[1] وقال تعالى:﴿ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَـٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ﴾ [الأحزاب:١٣] وقال تعالى:﴿قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الأحزاب:١٨]

الصفة الخامسة عشر : ــ رفض الحكم بما أنزل الله والتحاكم إلى الطاغوت

لأن الحكم بما أنزل الله لا يُوافق أهواءهم، ولا يُحقق مآربهم، ولا يستجيب لنــزواتهم. فهم يؤمنون بما أنزل الله عز وجل باللسان والمظهر فحسب، لكنهم لا ينصاعون لحكم الله، بل يصدُّون عنه ويُحاربونه، ويتَّخذون من قوانين البشر الوضعية ديناً لهم، يأتمرون بأمرها، ويلتزمون بها، لأنها وحدها تتوافق مع شرور أنفسهم ومصالحهم قال تعالى:﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَـٰلَۢا بَعِيدٗا ﴾﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ﴾ [النساء٦٠:٦١] قال الطبري رحمه الله:" ألم تر يا محمد إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك من المنافقين، وإلى الذي يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل من قبلك من أهل الكتاب، يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت. (وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ) يعني بذلك: وإذا قيل لهم: تعالوا هلموا إلى حكم الله الذي أنزله في كتابه (وَإِلَى ٱلرَّسُولِ) ليحكم بيننا، (رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا) يعني بذلك: يمتنعون من المصير إليك لتحكم بينهم، ويمنعون من المصير إليك كذلك غيرهم صدوداً."[2] وقال تعالى:﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [النور:٤٨] وقال تعالى:﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ﴾[محمد:٢٦]

الصفة السادسة عشر : ــ الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف

قال تعالى:﴿ ٱلۡمُنَـٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَـٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَـٰسِقُونَ ﴾ [التوبة:٦٧] قال ابن كثير رحمه الله:" يقول تعالى منكرا على المنافقين الذين هم على خلاف صفات المؤمنين ولما كان المؤمنون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر كان هؤلاء (يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡ) أي عن الإنفاق في سبيل الله (نَسُواْ ٱللَّهَ) أي نسوا ذكر الله (فَنَسِيَهُمۡ) أي عاملهم

---

(١) تفسير الطبري ج ٤ صــ ١٦٧

(٢) تفسير الطبري ج٥ صــ ١٥٥

معاملة من نسيهم."(١) وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور:١٩] وقال تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون:٧]

الصفة السابعة عشر : ـــ إثارة الفتنة وبث الإشاعات

وهي نقطة مهمة يُركز عليها المنافقون، فهم يظهرون الحقائق الناصعة بمظهر مشوه قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة٤٥:٤٨] قال الطبري رحمه الله:" يقول تعالى ذكره: لو خرج أيها المؤمنون فيكم هؤلاء المنافقون، (مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا) يقول: لم يزيدوكم بخروجهم فيكم إلا فساداً وضُرّاً ولذلك ثبطتُهم عن الخروج معكم. (وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ) يقول: ولأسرعوا بركائبهم السير بينكم ، وأما أصل الخلال: فهو من الخلل: وهي الفُرج تكون بين القوم في الصفوف وغيرها ومنه قول النبي ﷺ: (تراصوا في الصفوف لا يتخللكم أولاد الحَذَفِ)(٢) وأما قوله (يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ) فإن معنى يبغونكم الفتنة: يطلبون لكم ما تفتنون به عن مخرجكم في مغزاكم، بتثبيطهم إياكم عنه. يقول تعالى ذكره: لقد التمس هؤلاء المنافقون الفتنة لأصحابك يا محمد، التمسوا صدّهم عن دينهم، وحرصوا على ردّهم إلى الكفر بالتخذيل عنه، كفعل عبد الله بن أبيّ بك وبأصحابك يوم أُحد حين انصرف عنك بمن تبعه من قومه، وذلك كان ابتغاءهم لأصحاب رسول الله ﷺ الفتنة من قبل.(وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ) يقول: وأجالوا فيك وفي إبطال الدين الذي بعثك به الله الرأيَ بالتخذيل عنك، وإنكار ما تأتيهم به ورده عليك."(٣)

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة:١٠٧] وهذا ما صنعه المنافقون في

---

(١) تفسير ابن كثير ج٢ صـــ ٣٦٩

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين كتاب الإمامة وصلاة الجماعة ج١ صـــ ٣٣٧ حديث رقم ٧٨٦ وقال الشيخ هو على شرط الشيخين ولم يخرجاه . والحذف ضأن جرد سود يكن بأرض اليمن

(٣) تفسير الطبري ج ١٠ صـــ ١٤٤ ـــ ١٤٧ باختصار كبير

حادثة الإفك قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النور:١١]

قال الطبري رحمه الله:" وقال آخرون: هو عبد الله بن أُبيّ ابن سَلُول. قالت عائشة رضى الله عنها : كان الذي تولى كبره الذي يجمعهم في بيته، عبد الله بن أُبيّ ابن سَلُول. قال ابن عباس رضى الله عنه وهشام بن عروة وعن مجاهد رحمهم الله في الذين جاءوا بالإفك: يزعمون أنه كان كِبْرُ ذلك ابن سلول، أحد بني عوف بن الخزرج وأخبرت أنه كان يحدّث به عنهم فـيقرّه ويسمعه ويستوشيه. قال ابن زيد رحمه الله: أما الذي تولى كبره منهم، فعبد الله بن أُبيّ ابن سلول الخبيث، هو الذي ابتدأ هذا الكلام، وقال: امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت، ثم جاء يقود بها.وأولى القولين في ذلك بالصواب: قول من قال: الذي تولى كِبْره من عصبة الإفك، كان عبد الله بن أبيّ، وذلك أنه لا خلاف بين أهل العلم بـالسيَّر، أن الذي بدأ بذكر الإفك وكان يجمع أهله ويحدثهم عبدُ الله بن أُبـيّ ابن سَلُول."(١)

الصفة الثامنة عشر : ــ إثارة روح الاختلاف والنزاعات بين المسلمين

إن المنافقين يسعون جاهدين إلى تقطيع الأواصر الإسلامية المتلاحمة وتفتيت القوى المتحدة، وتبديد الطاقات المؤمنة، وإثارة روح الخلافات الجانبية فيما بينها. وهذا ولا شك أسلوب لو قدر له النجاح فإنه سيؤدي إلى هزيمة نكراء تعصف بالمد الإسلامي وتفسح المجال للأعداء الداخليين والخارجيين لكي يستولوا على مقاليد الأمور.

قال تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ﴾ [التوبة:٨١] قال الزمخشري:" (ٱلۡمُخَلَّفُونَ) الذين استأذنوا رسول الله ﷺ من المنافقين فأذن لهم وخلفهم في المدينة في غزوة تبوك أو الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان (بِمَقۡعَدِهِمۡ) بقعودهم عن الغزو (خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ) خلفه وقيل هو بمعنى المخالفة لأنهم خالفوه حيث قعدوا ونهض، وانتصابه على أنه مفعول له أو حال أي قعدوا لمخالفته أو مخالفين له (أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ) تعريض بالمؤمنين وبتحملهم المشاقّ العظام لوجه لله تعالى وبما فعلوا من بذل أموالهم وأرواحهم في سبيل الله تعالى وإيثارهم ذلك على الدعة والخفض وكره ذلك المنافقون وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الإيمان وداعي الإيقان (قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗا) استجهال لهم لأنّ من تصوّن من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصوُّن في مشقة الأبد كان أجهل من كل جاهل."(٢)

و قال تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ﴾ [التوبة:٥٨]

---

(١) تفسير الطبري ج ١٨ صـــ ٨٩

(٢) الكشاف / الزمخشري ج٢ صـــ ٢٨١ ، ٢٨٢ باختصار يسير

الصفة التاسعة عشر : ــ التجسس وخدمة العدو الخارجي

وهذه مهمة أساسية من مهام المنافقين حيث يقدِّمون للعدو الخارجي الذي يرتبطون به كل ما يتعلق بنشاطات المسلمين وتحركاتهم والشخصيات البارزة منهم والإمكانيات العسكرية والخطوط التنظيمية. قال تعالى:﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[النساء:٨٣] قال الطبري رحمه الله:" يعني جل ثناؤه بقوله وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به، وإذا جاء هذه الطائفة المبيتة غير الذي يقول رسول الله ﷺ أمر من الأمن فالهاء والميم في قوله (وَإِذَا جَآءَهُمْ) من ذكر الطائفة المبيتة يقول جل ثناؤه وإذا جاءهم خبر عن سرية للمسلمين غازية بأنهم قد أمنوا من عدوهم بغلبتهم إياهم (أَوِ ٱلْخَوْفِ) يقول أو تخوفهم من عدوهم بإصابة عدوهم منهم أذاعوا به، يقول أفشوه وبثوه في الناس قبل رسول الله ﷺ وقبل أمراء سرايا رسول الله ﷺ. والهاء في قوله أذاعوا به من ذكر الأمر وتأويله أذاعوا بالأمر من الأمن أو الخوف الذي جاءهم أذاعوا بالحديث حتى يبلغ عدوّهم أمرهم."[١]

الصفة العشرون : ــ بخلاء في الخير

لا ينفقون ويأمرون غيرهم بعدم الإنفاق ابتغاء تفريق المسلمين وإضعافهم وصد الضعفاء الفقراء عن الاستماع لرسول الله ﷺ قال تعالى:﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [الأحزاب:١٩] قال الرازي رحمه الله:" إشارة إلى غاية جبنهم ونهاية روعهم واعلم أن البخل شبيه الجبن، فلما ذكر البخل بين سببه وهو الجبن؛ والذي يدل عليه هو أن الجبان يبخل بماله ولا ينفقه في سبيل الله لأنه لا يتوقع الظفر فلا يرجو الغنيمة، فيقول هذا إنفاق لا بدل له فيتوقف فيه، وأما الشجاع فيتيقن الظفر والاغتنام فيهون عليه إخراج المال في القتال طمعاً فيما هو أضعاف ذلك، وأما بالنفس والبدن فكذلك فإن الجبان يخاف قرنه ويتصور الفشل فيجبن ويترك الإقدام وأما الشجاع فيحكم بالغلبة والنصر فيقدم وقوله تعالى:(فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم) أي غلبوكم بالألسنة وآذوكم بكلامهم يقولون نحن الذين قاتلنا وبنا انتصرتم وكسرتم العدو وقهرتم ويطالبونكم بالقسم الأوفر من الغنيمة، وكانوا من قبل راضين من الغنيمة بالإياب وقوله: (أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ) قيل الخير المال، ويمكن أن يقال معناه أنهم قليلو الخير في الحالتين كثيرو الشر في الوقتين في الأول يبخلون وفي الآخر كذلك."[٢] وقال تعالى:﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون:٧]

(١) تفسير الطبري ج٥ صـــ ١٨٠ ، ١٨١

(٢) التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج٢٥ صـــ ١٧٥

الصفة الحادية والعشرون : ــ إتباع الهوى

وهو أمر قائم على رفض تعليمات الله وهدى نبيه ﷺ قال تعالى:﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [محمد:١٦] قال الطبري رحمه الله:" يقول تعالى ذكره: ومن هؤلاء الكفار يا محمد (مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ) وهو المنافق، فيستمع ما تقول فلا يعيه ولا يفهمه، تهاونا منه بما تتلو عليه من كتاب ربك، وتغافلا عما تقوله، وتدعو إليه من الإيمان، (حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ) قالوا إعلاما منهم لمن حضر معهم مجلسك من أهل العلم بكتاب الله، وتلاوتك عليهم ما تلوت، وقِيلك لهم ما قلت إنهم لن يُصغوا أسماعهم لقولك وتلاوتك (مَاذَا قَالَ) لنا محمد (ءَانِفًاۚ)؟ وقوله: (أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ) يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه صفتهم هم القوم الذين ختم الله على قلوبهم، فهم لا يهتدون للحقّ الذي بعث الله به رسوله عليه الصلاة والسلام، (وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ) يقول : ورفضوا أمر الله، واتبعوا ما دعتهم إليه أنفسهم، فهم لا يرجعون مما هم عليه إلى حقيقة ولا برهان، وسوّى جلّ ثناؤه بين صفة هؤلاء المنافقين وبين المشركين، في أن جميعهم إنما يتبعون فيما هم عليه من فراقهم دين الله، الذي ابتعث به محمداً ﷺ أهواءهم ، فقال في هؤلاء المنافقين (أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ) وقال في أهل الكفر به:﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴾ [محمد:١٤]"(١)

الصفة الثانية والعشرون : ــ جبناء متخاذلون

يخافون الموت لعلمهم أنهم على الباطل، فبموتهم يخسرون الدنيا والآخرة، وذلك لأن عملهم ليس خالصا لوجه الله تعالى بل لحفظ أنفسهم، وخشية افتضاح أمرهم عند المسلمين قال تعالى:﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [محمد:٢٠] قال الطبري رحمه الله:"عن قتادة رضى الله عنه كل سورة ذُكر فيها الجهاد فهي محكمة، وهي أشد القرآن على المنافقين. وقوله: (رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) يقول: رأيت الذين في قلوبهم شك في دين الله وضعف (يَنظُرُونَ إِلَيْكَ) يا محمد (نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ) خوفاً أن تغزيهم وتأمرهم بالجهاد مع المسلمين، فهم خوفاً من ذلك وتجبنا عن لقاء العدوّ ينظرون إليك نظر المغشيّ عليه الذي قد صرع. وإنما عنى بقوله: (مِنَ ٱلْمَوْتِ) من خوف الموت، وكان هذا فعل أهل النفاق."(٢)

---

(١) تفسير الطبري ج ٢٦ صـــ ٥٠ ، ٥١ باختصار

(٢) تفسير الطبري ج ٢٦ صـــ ٥٤

الصفة الثالثة والعشرون : ــ أخذهم بالمتشابه

قال تعالى:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤] قال الزمخشري:" (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ) ويتصفحونه وما فيه من المواعظ و الزواجر ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصي ثم قال (أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ) وأم بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يتوصل إليها ذكر وعن قتادة إذاً والله يجدوا في القرآن زاجرا عن معصية الله لو تدبروه ولكنهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا."[١]

الصفة الرابعة و العشرون : ــ سوء الظن بالله

قال تعالى:﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [الفتح:٦] قال الشوكاني رحمه الله:" أي يعذبهم في الدنيا بما يصل إليهم من الهموم والغموم بسبب ما يشاهدونه من ظهور كلمة الإسلام وقهر المخالفين له، وبما يصابون به من القهر والقتل والأسر، وفي الآخرة بعذاب جهنم. وفي تقديم المنافقين على المشركين دلالة على أنهم أشد منهم عذابا وأحق منهم بما وعدهم الله به ثم وصف الفريقين فقال (ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ) وهو ظنهم أن النبي ﷺ يغلب وأن كلمة الكفر تعلو كلمة الإسلام ومما ظنوه ما حكاه الله عنهم بقوله بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول المؤمنون إلى أهليهم أبدا (عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ) أي ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين دائر عليهم حائق بهم. والمعنى أن العذاب والهلاك الذي يتوقعونه للمؤمنين واقعان عليهم نازلان بهم."[٢]

الصفة الخامسة والعشرون : ــ التهاون في الصلاة والمراآة في أداءها

قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء:١٤٢] قال الرازي رحمه الله:" يعني وإذا قاموا إلى الصلاة مع المسلمين قاموا كسالى أي متثاقلين متباطئين وهو معنى الكسل في اللغة؛ وسبب ذلك الكسل أنهم يستثقلونها في الحال ولا يرجون بها ثوابا ولا من تركها عقابا فكان الداعي للترك قويا من هذه الوجوه، والداعي إلى الفعل ليس إلا خوف الناس، والداعي إلى الفعل متى كان كذلك وقع الفعل على وجه الكسل والفتور قال صاحب الكشاف قرى ء (كُسَالَىٰ) بضم الكاف وفتحها جمع كسلان كسكارى في سكران."[٣] وقال سبحانه وتعالى:﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴾﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴾[الماعون٤:٦] قال الطبري

---

(١) الكشاف / الزمخشري ج٤ صـــ ٣٢٨ وانظر تفسير الطبري ج ٢٦ صـــ ٥٧

(٢) فتح القدير / الشوكاني ج٥ صـــ ٤٥ ، ٤٦

(٣) التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج١١ صـــ ٦٧

رحمه الله:" يقول تعالى ذكره: فالوادي الذي يسيل من صديد أهل جهنم للمنافقين الذين يصلون، لا يريدون الله عز وجل بصلاتهم، وهم في صلاتهم ساهون إذا صلوها. وقال آخرون: بل عُني بذلك أنهم يتركونها فلا يصلونها. وعن ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلاة في السرّ، ويصلون في العلانية. وعن مجاهد الترك لها. وقال آخرون: بل عُني بذلك أنهم يتهاونون بها، ويتغافلون عنها ويَلْهُونَ. وعن قتادة غافلون، لا يبالي صلَّى أم لم يصلّ . وعن ابن زيد ليست الصلاة من شأنهم. وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب بقوله: (سَاهُونَ): لاهون يتغافلون عنها وفي اللهو عنها والتشاغل بغيرها، تضييعها أحياناً، وتضييع وقتها أخرى. وإذا كان ذلك كذلك صحّ بذلك قول من قال: عُنِي بذلك ترك وقتها، وقول من قال: عُنِي به تركها، لما ذكرت من أن في السهو عنها المعاني التي ذكرت. وقوله: (ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ) يقول: الذين هم يراؤون الناس بصلاتهم إذا صلَّوْا، لأنهم لا يصلُّون رغبةً في ثواب، ولا رهبةً من عقاب، وإنما يصلونها ليراهم المؤمنون فيظنونهم منهم، فيكفون عن سفك دمائهم وَسبْي ذراريهم، وهم المنافقون الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ، يستبطنون الكفر ويُظهرون الإسلام ."[١]

الصفة السادسة و العشرون : ــ لا يساعدون المسلمين

فلا ينفقون عليهم ولا يعيرونهم أمتعة تساعدهم في معيشتهم قال تعالى:﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾ [الماعون:٧] قال الطبري رحمه الله:" ويمنعون الناس منافع ما عندهم وأصل الماعون من كلّ شيء منفعته يقال للماء الذي ينزل من السحاب: ماعون يعني بالماعون: الطاعة والزكاة.واختلف أهل التأويل في الذي عُنِي به من معاني الماعون في هذا الموضع، فقال بعضهم كابن عمر قال هو الذي يُسأل حقَّ ماله ويمنعه أي عُنِيَ به الزكاة المفروضة وكذا قال ابن جبير وقتادة والحسن رحمهم الله.وقال ابن مسعود رضى الله عنه هو القدر والدلو والفأس. هو ما يتعاوره الناس بينهم .وقال الزهريّ رحمه الله ، قال: الماعون: بلسان قريش: المال. وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب: إذ كان الماعون هو ما وصفنا قبل، وكان الله قد أخبر عن هؤلاء القوم، وأنهم يمنعونه الناس خبرا عاما، من غير أن يخصّ من ذلك شيئاً، أن يقال: إن الله وصفهم بأنهم يمنعون الناس ما يتعاورونه بينهم، ويمنعون أهل الحاجة والمسكنة ما أوجب الله لهم في أموالهم من الحقوق، لأن كلّ ذلك من المنافع التي ينتفع بها الناس بعضهم من بعض."[٢]

الخلاصة

وخلاصة القول أن النفاق هو إظهار الإنسان للمسلمين إيمانه، وهو في الحقيقة كافر مكذب، مصلحته أن يرضي المسلمين، لكنه يعيش في بيئة إسلامية، لها قواعدها وأحكامها والتي تتنافى مع

---

(١) تفسير الطبري ج ٣٠ صـــ ٣١١ ، ٣١٢ باختصار

(٢) تفسير الطبري ج ٣٠ صـــ ٣١٣ ــ ٣٢٠ باختصار كبير وتصرف

مبادئه الوصولية والانتفاعية، لذا يظهر ما يرضيهم، ويخفي كفره وجحوده، وبذا يكون قد دخل في الكفر من أوسع أبوابه فهو كافر اعتقادا وقولا وعملا. غير أنه لا يعامل معاملة الكافرين لعدم إظهار كفره. وتكمن خطورة النفاق في أنه شائع و خفي عن معظم الناس. ولما أيقن أعداء الإسلام أنهم لا يستطيعون مواجهة الدين، عمدوا إلى تفجيره من داخله، فاصطنعوا جماعات إسلامية ترفع شعارات الدين، وتفعل عكس ما يأمر الدين، فهذه الجماعات تخالف أحكام الدين الصريحة، وترفع شعاراته بشكل صارخ وهي أخطر الفئات على الدين، لأنها تشوه صورة الدين.

فأول منزلقات المنافق أنه كذب في أصل دينه فزعم أنه مسلم وهو في حقيقة الأمر كافر بالله والرسول. يسعى مفسدا في الأرض؛ يفسد النفوس، ويفسد العلاقات، ويفسد البيئة المسلمة ؛ يدعو إلى الاختلاط، و كشف الحجاب، ويدعو إلى تبرج المرأة ويزين ذلك بكلمات رنانة مقبولة عند الجهلة يقول: هي نصف المجتمع فيجب ألا تقمعها بجلوسها في بيتها.

والمنافقون يرون المؤمنين سفهاء محدودين في تفكيرهم بين العبادة والطاعة وتكوين البيت المسلم والجهاد لإعلاء كلمة الله، ما تفاعلوا مع جمال الحياة، ولا خاضوا ملذاتها ولم يستمتعوا بها، مغلقون في تفكيرهم معقدون متزمتون ديدنهم الله. والحياة فيها أشياء جميلة تبهج النفس. وهذا كله حسدا منهم نابع عن غل في قلوبهم ذلك أن الله حرمهم من نور الدين والإيمان وصدق سبحانه فقال:﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]

وهم مخادعون يخدعون المؤمنين بإظهار الإيمان إذا قابلوهم، ثم إظهار الكفر إذا خلو بأوليائهم. ولا يدرون بأنهم خدعوا أنفسهم قبل ذلك حين زينوا لها الكفر وبغضوا إليها الإيمان.

لذا يُعرضون عن التحاكم إلى شرع الله، وصد الناس عن الحكم بما أنزل الله، يروجون للأحكام الوضعية التي تساهم في إفساد المجتمع. وأيّ إنسان يحتكم إلى غير شرع الله تحقيقاً لمصالحه فهو منافق، نافق لأنه أظهر إسلامه ثم لما بدت له مصلحة دنيوية في الحكم الوضعي هرع إليه وترك حكم الله وأعرض عنه.

وهم يخالفون أمر الله؛ فالله يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف. هم يبخلون و يأمرون الناس بالبخل، يخوضون في آيات الله ويشجعون غيرهم على ذلك، يتقاعسون عن الجهاد ويثبطون غيرهم، يعملون على نشر الرذيلة والفتنة بين المسلمين، فيهتكون أعراضهم ويرمون محصناتهم حتى وإن كانت امرأة نبيهم ﷺ .

يتخذون الكافرين أولياء، يرجعون إليهم يستشيرونهم ويهتدون بتوجيهاتهم، ينفذون تعليماتهم، ولا يعبئون بتوجيهات رسول الله ﷺ، وانظر لمَّا استعان المسلمون بغير المسلمين لحلِّ خلافاتهم؟ أهدرت الثروات، وضُيعت القيم، وتحكم في مصير الأمة رعاعها. وذلك أنهم نقضوا عهد الله وعهد رسوله فسلط الله عليهم عدواً يأخذ ما في أيديهم .

ثانيا : ــ أهل الكتاب

وأهل الكتاب هم اليهود والنصارى قال ابن القيم رحمه الله:" ولما بعث الله محمدا ﷺ كان أهل الأرض صنفين: أهل الكتاب وزنادقة لا كتاب لهم، وكان أهل الكتاب أفضل الصنفين وهم نوعان مغضوب عليهم وضالون. فالأمة الغضبية هم اليهود؛ أهل الكذب والبهت والغدر والمكر والحيل، قتلة الأنبياء وأكلة السحت. أخبث الأمم طوية وأرداهم سجية، وأبعدهم من الرحمة وأقربهم من النقمة، عادتهم البغضاء وديدنهم العداوة والشحناء، بيت السحر والكذب والحيل. والصنف الثاني: المثلثة أمة الضلال وعباد الصليب، الذين سبوا الله الخالق مسبة ما سبه إياها أحد من البشر، ولم يقروا بأنه الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، ولم يجعلوه أكبر من كل شيء بل قالوا فيه ما﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴾ [مريم:٩٠] فدينهم شرب الخمور وأكل الخنزير وترك الختان والتعبد بالنجاسات واستباحة كل خبيث من الفيل إلى البعوضة. والحلال ما حلله القس والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه، وهو الذي يغفر لهم الذنوب وينجيهم من عذاب السعير."[١]

ولأننا نذكر اليهود والنصارى في ضوابط التكفير فهل يطلق عليهم لفظ الكفار؟ وخصوصا أن هناك بعض الدعوات الهدامة قد برزت في هذا الزمان من خلال الدعوة لما يسمونه بتقارب الأديان أو حوار الأديان مما يوحى بأن دينهم على حق، ويجعل بعض الجهلة أو المغرضون بجمع كلمة الأديان وكأنها في مستوى واحد وعلى منهاج متماثل. وقد فصل الله وأحكم آياته في الحكم عليهم مما لا مجال للنقاش فيه فقال سبحانه:﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [آل عمران:١٩] وقال تعالى:﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥]

ونحن لا نتردد في وصفهم بالكفر لأسباب ثلاثة : ــ

السبب الأول : ــ بقائهم على اليهودية والنصرانية اعتراف منهم بعدم إيمانهم بالإسلام. وهذا أمر ملموس وواقع لا يحتاج إلى دليل ، وبعضهم يضعون المسلمين في درجة دنيا من درجات البشر ، بل وصف حاخاماتهم المسلمين بالأفاعي والحيوانات.

السبب الثاني : ــ إن الدين عند الله واحد هو الإسلام وإن اختلفت الشرائع ، فلو أنهم آمنوا بدينهم على أصوله الربانية لكان لزاما أن يسلموا ، ألم تر أن الله سبحانه وتعالى بشر بمحمد ﷺ في كتبه السابقة ومنها الإنجيل فقال جل وعلا: ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ [الصف:٦] لذلك وصفهم الله تبارك وتعالى بالمشركين فقال:﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا

(١) هداية الحيارى / ابن القيم ج١ صـــ ٨ باختصار

يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[آل عمران:٦٤] هذه الآية واضحة صريحة بأن اليهود والنصارى ــ وإن سماهم الله أهل كتاب ــ أنهم مشركون بالله تعالى.

السبب الثالث : ــ حكم الله تبارك وتعالى عليهم بالكفر في أكثر من موضع في القرآن فقال تعالى:﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [البقرة:١٠٥] وقال تعالى:﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[هود:١٧] فهاتان الآيتان يدخل في حكمهما اليهود والنصارى بالنص الصريح.

وقال تعالى:﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة:٣٠] وهذا شرك واضح.

وقال تعالى عن اليهود:﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة٨٨:٩١]

فهذه أربع آيات متوالية، أثبتت الله جل وعلا لهم الكفر بصيغ مختلفة يضاف إلى ذلك لعنه لهم وإحلال غضبه عليهم.

وقال تعالى عن النصارى:﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[المائدة:١٧] وقال سبحانه:﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة:٧٣]

وقد أثبت الله تبارك وتعالى هنا على النصارى قولهم بالتثليث ونسبة الولد له تبارك وتعالى عما يقولون علوا كبيرا.

وقال تعالى:﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ [المائدة:٧٨] وقال تعالى:﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ

أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[المائدة:٦٨]
قال الطبري رحمه الله:" وهذا أمر من الله تعالى ذكره نبيه ﷺ بإبلاغ اليهود والنصارى الذين كانوا بين ظهراني مهاجره، يقول تعالى ذكره له: قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى (يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ) التوراة والإنجيل، لستم على شيء مما تدّعون أنكم عليه مما جاءكم به موسى عليه السلام معشر اليهود، ولا مما جاءكم به عيسى ﷺ معشر النصارى، حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم ما جاءكم به محمد ﷺ من الفرقان، فتعملوا بذلك كله وتؤمنوا بما فيه من الإيمان بمحمد ﷺ وتصديقه، وتقرّوا بأن كل ذلك من عند الله، فلا تكذبوا بشيء منه ولا تفرّقوا بين رسل الله فتؤمنوا ببعض وتكفروا ببعض، فإن الكفر بواحد من ذلك كفر بجميعه، لأن كُتب الله يصدّق بعضها بعضاً، فمن كذّب ببعضها فقد كذّب بجميعها."(١)

بعد ثبوت كفر أهل الكتاب أشرع في ذكر الصفات التي اتصفوا بها فحق عليهم هذا الوصف، فأذكر أولا الصفات التي اتصف بها اليهود والنصارى مجتمعين، ثم الصفات التي انفرد بها اليهود فالتي انفرد بها النصارى ، وكلها صفات تندرج تحت الكفر القولي أو العملي أو الاعتقادي ، كما يتضح من صريح الآية أو تفسيرها .

أولا : ـــ الصفات التي اجتمعت في اليهود والنصارى

أ ـــ الإشراك في العبادة : فعبادتهم شركية باطلة، حيث يعتقدون أن لله ولدا، ويشركون معه في عبادته غيره، وقد سجل الله عز وجل عليهم بعض مظاهر الإشراك فقال سبحانه:﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة:٣٠] قال الطبري رحمه الله:"عن ابن عباس رضي الله عنه قال: أتى رسول الله ﷺ سلامُ بن مشكم، ونعمان بن أوفى، وشاس بن قيس، ومالك بن الصيف، فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا، وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن الله ؟ فأنزل في ذلك من قولهم (وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ) إلى (أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ)."(٢) وقال تعالى:﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١] قال الطبري:" يقول جلّ ثناؤه اتخذ اليهود أحبارهم وهم العلماء وهم أصحاب الصوامع وأهل الاجتهاد في دينهم منهم أرباباً من دون الله يعني : سادة لهم من دون الله يطيعونهم في معاصي الله، فيحلون ما أحلوه لهم مما

(١) تفسير الطبري ج ٦ صـــ ٣٠٩
(٢) تفسير الطبري ج ١٠ صـــ ١١٠ ، ١١١

قد حرّمه الله عليهم، ويحرّمون ما يحرّمونه عليهم مما قد أحله الله لهم."(١) وقال تعالى:﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾[الجن١٨: ١٩] قال الطبري رحمه الله:" عن قتادة قوله: وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله فأمر الله نبيه أن يوحد الله وحده."(٢)

ب ــ الكذب على الله تعالى بغير علم : وذلك تحقيقا لغرورهم وتكبرهم على غيرهم من الأمم قال تعالى:﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة:١١١] قال القرطبي رحمه الله:" المعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا."(٣) وكقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه قال تعالى:﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [المائدة:١٨] قال الطبري:" عن ابن عباس قال: أتى رسول الله ﷺ نعمان بن أضا وبحريّ بن عمرو، وشأس بن عديّ، فكلموه، فكلّمهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الله وحذّرهم نقمته، فقالوا: ما تخوّفنا يا محمد، نحن والله أبناء الله وأحباؤه كقول النصارى، فأنزل الله جلّ وعزّ فيهما الآية."(٤) وقال تعالى:﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران:٧٥]

جـ ــ تَخطِئة كل منهم للآخر والحكم عليه بالكفر : فاليهود كفروا بنبوة عيسى عليه السلام والنصارى كفروا بنبوة موسى عليه السلام قال تعالى:﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[البقرة:١١٣] قال الألوسي رحمه الله:" المراد يهود المدينة ووفد نصارى نجران تماروا عند رسول الله ﷺ وتسابوا وأنكرت اليهود الإنجيل ونبوة عيسى عليه السلام، وأنكر النصارى التوراة ونبوة موسى عليه السلام، فأل في الموضعين للعهد وقيل المراد عامة اليهود وعامة النصارى."(٥)

---

(١) تفسير الطبري ج ١٠ صـــ ١١٤

(٢) تفسير الطبري ج ٢٩ صـــ ١١٧

(٣) تفسير القرطبي ج٢ صـــ ٧٤

(٤) تفسير الطبري ج ٦ صـــ ١٦٤

(٥) روح المعاني / الألوسي ج١ صـــ ٣٦٠

د ــ **عدم الرضا بالإسلام :** ولأن اليهود تكفر كل من ليس يهوديا، والنصارى يكفرون كل من ليس نصرانيا، فهم أيضا يرفضون كل دين ما سوى دينهم. لذلك فقد كفر بعضهم بعضا، وكفروا هم ولم يرضوا بالإسلام دينا قال تعالى:﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:١٢٠] قال الطبري رحمه الله:" ولا سبيل لك إلى إرضائهم باتباع ملتهم لأن اليهودية ضد النصرانية، والنصرانية ضد اليهودية، ولا تجتمع النصرانية واليهودية في شخص واحد في حال واحدة، واليهود والنصارى لا تجتمع على الرضا بك، إلا أن تكون يهوديا نصرانيا، وذلك مما لا يكون منك أبدا، لأنك شخص واحد، ولن يجتمع فيك دينان متضادّان في حال واحدة. وإذا لم يكن إلى اجتماعهما فيك في وقت واحد سبيل، لم يكن لك إلى إرضاء الفريقين سبيل. وإذا لم يكن لك إلى ذلك سبيل، فالزم هدى الله الذي جمع الخلق إلى الألفة عليه سبيل، وأما الملة فإنها الدين وجمعها الملل."(١)

وقال تعالى:﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة:١٣٥]

هـــ ــ **كرههم تنزيل الله القرآن على النبي ﷺ** حسدا منهم للمسلمين على هذا الهدى الذي اختصهم الله بهم دونا عن اليهود والنصارى قال تعالى:﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [البقرة:١٠٥] قال الطبري رحمه الله:" فتأويل الكلام: ما يحبّ الكافرون من أهل الكتاب ولا المشركين بالله من عبدة الأوثان أن ينزل عليكم من الخير الذي كان عند الله ينزله عليكم. فتمنى المشركون وكفرة أهل الكتاب أن لا ينزل الله عليهم الفرقان وما أوحاه إلى محمد ﷺ من حكمه وآياته، وإنما أحبت اليهود وأتباعهم من المشركين ذلك حسداً وبغياً منهم على المؤمنين."(٢) وقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران:١١٨]

و ــ **جحود آيات الله والكفر بالقرآن والنبي ﷺ** رغم أن الكتب التي بين أيديهم تبشر بهذا النبي وهذا الدين قال تعالى:﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [آل عمران:٧٠] قال الشوكاني رحمه الله:" والمراد بآيات الله ما في كتبهم من دلائل نبوة محمد ﷺ (وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ) ما في كتبكم في ذلك أو تشهدون بمثلها من آيات الأنبياء الذين تقرون بنبوتهم، أو المراد كتم كل الآيات عنادا وأنتم تعلمون أنها حق."(٣) وقال تعالى:﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا

---

(١) تفسير الطبري ج ١ صـــ ٥١٧

(٢) تفسير الطبري ج ١ صـــ ٤٧٤

(٣) فتح القدير / الشوكاني ج١ صـــ ٣٥١

مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٨٩]

ح ــ التفرق والاختلاف في الدين بعد وضوح الحق قال تعالى:﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران:١٠٥] قال الطبري رحمه الله:" يعني بذلك جلّ ثناؤه : ولا تكونوا يا معشر الذين آمنوا كالذين تفرّقوا من أهل الكتاب، واختلفوا في دين الله وأمره ونهيه من بعدما جاءهم البيِّنات من حجج الله فيما اختلفوا فيه، وعلموا الحقّ فيه، فتعمدوا خلافه، وخالفوا أمر الله، ونقضوا عهده وميثاقه جراءة على الله (وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ) يعني ولهؤلاء الذين تفرّقوا واختلفوا من أهل الكتاب، من بعد ما جاءهم عذاب من عند الله عظيــم. يقول جل ثناؤه: فلا تفرّقوا يا معشر المؤمنين في دينكم تفرّق هؤلاء في دينهم، ولا تفعلوا فعلهم، وتستنوا في دينكم بسنتهم، فيكون لكم من عذاب الله العظيم مثل الذي لهم."(١)

ط ــ التفريق بين أنبياء الله وكتبه ورسالاته : فيؤمنون ببعضهم ويكفرون ببعض وفق ما تشتهي أنفسهم وما تزين لهم أهواؤهم قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ [النساء:١٥٠] قال الطبري رحمه الله:" يعني بذلك جلّ ثناؤه (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ) من اليهود والنصارى، (وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ) بأن يكذّبوا رسل الله الذين أرسلهم إلى خــلقه بوحيه، ويزعمون أنهم افتروا على ربهم، وذلك هو معنى إرادتهم التفريقَ بين الله ورسله، بنحلتهم إياهم الكذب والفرية على الله، وادّعائهم عليهم الأباطيل. ويقولون نؤمن ببعض يعني أنهم يقولون: نصدّق بهذا ونكذّب بهذا، كما فعلت اليهود من تكذيبهم عيسى ومحمداً ﷺ وتصديقهم بموسى وسائر الأنبياء قَبله بزعمهم، وكما فعلت النصارى من تكذيبهم محمداً ﷺ وتصديقهم بعيسى وسائر الأنبياء قَبله بزعمهم. (وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا) يقول : ويريد المفرقون بين الله ورسله، الزاعمون أنهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، أن يتخذوا بين أضعاف قولهم: نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعض. سبيلاً: يعني طريقاً إلى الضلالة التي أحدثوها والبدعة التي ابتدعوها، يدعون أهل الجهل من الناس إليه. فقال جلّ ثناؤه لعباده، منبهاً لهم على ضلالتهم وكفرهم:﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ﴾ [النساء:١٥١]"(٢) وقال تعالى:﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة:٦٨]

---

(١) تفسير الطبري ج ٤ صــ ٣٩

(٢) تفسير الطبري ج ٦ صــ ٥

ي ــ **إخفاء شرائع الله التي أُنزلت في التوراة والإنجيل** وصفات النبي ﷺ والتبشير به قال تعالى:﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾[المائدة:١٥] قال الشوكاني رحمه الله:" الألف واللام في الكتاب للجنس والخطاب لليهود والنصارى (قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا) أي محمد ﷺ حال كونه (يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ) المنزل عليكم وهو التوراة والإنجيل كآية الرجم وقصة أصحاب السبت الممسوخين قردة (وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ) مما تخفونه."(١) وقال تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ ﴾ [النساء:٣٧] قال الطبري رحمه الله:" الذين كتموا اسم محمد ﷺ وصفته من اليهود، ولم يبينوه للناس، وهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل."(٢)

ك ــ **الإفساد في الأرض والصد عن سبيل الله:** قال تعالى:﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٣٣] قال الطبري رحمه الله:" وهذا بيان من الله عزّ ذكره عن حكم الفساد في الأرض الذي ذكره في قوله:﴿ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ﴾ [المائدة:٣٢] أعلم عباده ما الذي يستحقّ المفسد في الأرض من العقوبة والنكال، فقال تبارك وتعالى: لا جزاء له في الدنيا إلا القتل والصلب وقطع اليد والرجل من خلاف أو النفي من الأرض، خزياً لهم وأما في الآخرة إن لم يتب في الدنيا فعذاب عظيم. ثم اختلف أهل التأويل فيمن نزلت هذه الآية. فقال بعضهم: نزلت في قوم من أهل الكتاب، كانوا أهل موادعة لرسول الله ﷺ، فنقضوا العهد وأفسدوا في الأرض، فعرّف الله نبيه ﷺ الحكم فيهم. وعن ابن عباس رضى الله عنه قوله:(إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا) قال: كان قوم من أهل الكتاب بينهم وبين النبيّ ﷺ عهد وميثاق، فنقضوا العهد وأفسدوا في الأرض فخير الله رسوله، إن شاء أن يقتل وإن شاء أن يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف."(٣) وقال تعالى:﴿ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾[المائدة:٧٩] و قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(١) فتح القدير / الشوكاني ج٢ صــ ٢٣

(٢) تفسير الطبري ج ٥ صــ ٨٥

(٣) تفسير الطبري ج ٦صــ ٢٠٥ ، ٢٠٦

ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ [التوبة:٣٤]

ل ـــ الاستهزاء بالمؤمنين والحقد عليهم وذلك أن الله سبحانه وتعالى أنعم عليهم بنعمة الإيمان وقد حرموا منها مع أنهم أهل كتاب، فكان من الأولي لهم السبق لهذا الخير وخصوصا أن المبشرات به بين أيديهم وقد قالوها وفاخروا بها الأوس والخزرج من قبل قال تعالى:﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ وَأَنَّ أَكۡثَرَكُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٥٩] قال ابن كثير رحمه الله:" يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من أهل الكتاب (قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ) أي هل لكم علينا مطعن أو عيب إلا هذا وهذا ليس بعيب ولا مذمة فيكون الاستثناء منقطعا كما في قوله تعالى:﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [البروج:٨] وكقوله:﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ ﴾ [التوبة:٧٤]"[1] وقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ ﴿وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ﴾ [المائدة٥٧:٥٨]

ثانيا : ـــ الصفات التي انفرد بها اليهود

الصفة الأولى : ـــ تمنى كفر المؤمنين بدينهم وردتهم والعمل على ذلك : وذلك أن الذي على الباطل يتمنى أن كل الناس مثله، وهذا إنما يدل على خبث سريرتهم وحقدهم وحسدهم لكل الأمم سواهم قال تعالى:﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[البقرة:١٠٩] قال الشوكاني رحمه الله:" فيه إخبار المسلمين بحرص اليهود على فتنتهم وردهم عن الإسلام والتشكيك عليهم في دينهم." [2]

وقال تعالى﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ [آل عمران:٧٢] ويعلموا أنكم قد رأيتم فيهم ما تكرهون، وهو أجدر أن يرجعوا عن دينهم. وعن السديّ رحمه الله: كان أحبار قرى عربية اثني عشر حبراً، فقالوا لبعضهم: ادخلوا في دين محمد أول النهار، وقولوا نشهد أن محمدا حق صادق، فإذا كان آخر النهار فاكفروا وقولوا: رجعنا إلـــى علمائنا وأحبارنا فسألناهم فحدثونا أن محمدا كاذب، وأنكم لستم على شيء، وقد رجعنا إلى ديننا فهو أعجب إلينا من دينكم، لعلهم يشكون، يقولون: هؤلاء كانوا معنا أول النهار، فما بالهم؟ فأخبر الله عز وجل رسوله ﷺ بذلك."[3] ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ

(١) تفسير ابن كثير ج٢ صـــ ٧٤

(٢) فتح القدير / الشوكاني ج١ صـــ ١٢٨

(٣) تفسير الطبري ج ٣ صـــ ٣١١

يَرۡجِعُونَ ﴾ [آل عمران:٧٢] قال الطبري رحمه الله:" اختلف أهل التأويل في صفة المعنى الذي أمرت به هذه الطائفة من أمرت به من الإيمان وجه النهار، والكفر آخره، فقال بعضهم: كان ذلك أمراً منهم إياهم بتصديق النبيّ ﷺ في نبوّته، وما جاء به من عند الله وأنه حقّ، في الظاهر من غير تصديقه في ذلك بـــالعزم واعتقاد القلوب على ذلك، وبالكفر به وجحود ذلك كله في آخره. عن قتادة قال بعضهم لبعض: أعطوهم الرضا بدينهم أوّل النهار، واكفروا آخره، فإنه أجدر أن يصدّقوكم.

الصفة الثانية : ــ خيانة الأمانة واستحلال أموال المسلمين قال تعالى:﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾[آل عمران:٧٥] قال الطبري رحمه الله:" فتأويل الكلام: ومن أهل الكتاب الذي إن تأمنه يا محمد على عظيم من المال كثير يؤدّه إليك ولا يخنك فيه، ومنهم الذي إن تأمنه على دينار يخنك فيه، فلا يؤدّه إليك إلا أن تلحّ عليه بالتقاضي والمطالبة."(١) وقال تعالى:﴿ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾[النساء:١٦١]

الصفة الثالثة : ــ خيانة العهود ونقضهم المواثيق التي عاهدوا الله عليها بإيمانهم برسل الله وعدم جحود آياته قال تعالى:﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[النساء:١٥٥] قال أبو حيان نقلا عن ابن عطية رحمها الله ملخصا: " هذا إخبار عن أشياء واقعوها في الضد مما أخذوا به، نقضوا الميثاق الذي رفع عليهم الطور بسببه، وجعلوا بدل الإيمان الذي تضمنه الأمر بدخول الباب سجداً المتضمن التواضع الذي هو ثمرة الإيمان كفرهم بآيات الله، وبدل الطاعة وامتثال موافقته في أن لا يعدوا في السبت انتهاك أعظم الحرم وهو قتل الأنبياء، وقابلوا أخذ الميثاق الغليظ بتجاهلهم وقولهم: قلوبنا غلف أي : في حجب وغلف فهي لا تفهم. وأضرب الله تعالى عن قولهم وكذبهم وأخبر تعالى أنه قد طبع عليها بسبب كفرهم. والميثاق المنقوض: أهو كتمانهم صفة الرسول وتكذيبه فيما جاء به؟ أو تركهم العمل بما في كتابهم مع أنهم قبلوا والتزموا العمل بها؟ قولان. وآيات الله التي كفروا بها أهي التي أنزلت عليهم في كتبهم؟ أو جميع كتب الله المنزلة؟ قولان."(٢)

والذي تجرأ على الله فأخلف ما عاهد عليه يكون أكثر جرأة في نقض عهده مع عباد الله. وشواهد التاريخ على تجذر هذه الصفة في نفوسهم المريضة أكثر من أن تحصى، فأصبح ذلك وصفا ملازما لهم فقال سبحانه:﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا

(١) تفسير الطبري ج ٣ صـــ ٣١٧

(٢) تفسير البحر المحيط / أبو حيان الأندلسي ج٣ صـــ ٤٠٣

يُؤۡمِنُونَ ﴾[البقرة:١٠٠] وقال تعالى:﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴾ [الأنفال:٥٦] قال الطبري رحمه الله:" يقول تعالى ذكره: (﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الأنفال:٥٥] الذين عاهدت منهم يا محمد، يقول: أخذت عهودهم ومواثيقهم أن لا يحاربوك ولا يظاهروا عليك محارباً لك كقريظة ونظرائهم ممن كان بينك وبينهم عهد وعقد، ثم ينقضون عهودهم ومواثيقهم، كلما عاهدوا دافعوك وحاربوك وظاهروا عليك، وهم لا يتقون الله ولا يخافون في فعلهم ذلك أن يوقع بهم وقعة تجتاحهم وتهلكهم."(١)

الصفة الرابعة : ـــ تحريف كتاب الله قال تعالى:﴿وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [آل عمران:٧٨] قال الطبري رحمه الله:" يعني بذلك جلّ ثناؤه: وإنّ من أهل الكتاب، وهم اليهود الذين كانوا حول مدينة رسول الله ﷺ على عهده من بني إسرائيل. والهاء والميم في قوله: (مِنۡهُمۡ) عائدة على أهل الكتاب الذين ذكرهم فـــي قوله: (وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ) [آل عمران:٧٥] وقوله: (يَلۡوُۥنَ) يعني: يحرفون (أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ) يعني: لتظنوا أن الذي يحرفونه بكلامهم من كتاب الله وتنزيله، يقول الله عز وجل: وما ذلك الذي لوَوا به ألسنتهم فحرفوه وأحدثوه من كتاب الله ويزعمون أن ما لوَوا به ألسنتهم من التحريف والكذب والباطل فألحقوه في كتاب الله. (مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ) يقول: مما أنزله الله على أنبيائه، (وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ) يقول: وما ذلك الذي لووا به ألسنتهم، فأحدثوه مما أنزله إلى أحد من أنبيائه، ولكنه مما أحدثوه من قِبَل أنفسهم افتراء على الله. وعن ابن عباس رضى الله عنه وهم اليهود كانوا يزيدون في كتاب الله ما لم ينزل الله."(٢)

وقال تعالى:﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [النساء:٤٦] وقال تعالى:﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ ﴾[المائدة:٤١] قال المفسرون:" حين حرّفوا الرجم فجعلوه جلداً."(٣)

---

(١) تفسير الطبري ج ١٠ صـــ ٢٥

(٢) تفسير الطبري ج٣ صـــ ٣٢٣ ، ٣٢٤ باختصار

(٣) تفسير الطبري ج٦ صـــ ٢٣٥ وانظر تفسير ابن كثير ج٢ صـــ ٦٠، وتفسير القرطبي ج٦ صـــ ١٧، الكشاف / الزمخشري ج١ صـــ ٦٦٦، البحر المحيط / أبو حيان الأندلسي ج٣ صـــ ٥٠٠، زاد المسير / ابن الجوزي ج٢ صـــ ٣٥٦، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم(تفسير أبي السعود)/ أبي السعود محمد بن محمد العمادي / دار إحياء التراث العربي / بيروت / ج٣ صـــ ٣٨

الصفة الخامسة : ــ قذفهم المحصنات الغافلات بالزنا كمريم التي شهد لها سبحانه وتعالى بالطهارة قال تعالى:﴿وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا﴾ [النساء:١٥٦] قال الشنقيطي رحمه الله:" لم يبين هنا هذا البهتان العظيم الذي قالوه على الصديقة مريم العذراء، ولكنه أشار في موضع آخر إلى أنه رميهم لها بالفاحشة وأنها جاءت بولد لغير رشدة ــ الرشدة ضد الزنية ــ في زعمهم الباطل لعنهم الله وذلك في قوله تعالى:﴿فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا﴾ [مريم:٢٧] يعنون ارتكاب الفاحشة ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾ [مريم:٢٨] أي زانية فكيف تفجرين ووالداك ليسا كذلك، وفي القصة أنهم رموها بيوسف النجار وكان من الصالحين، والبهتان أشد الكذب الذي يتعجب منه."[(١)]

الصفة السادسة : ــ أكل الربا وأكل أموال الناس بالباطل مخالفين بذلك صريح نهى الله لهم عن فعل ذلك قال الله تبارك تعالى:﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا﴾﴿وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ [النساء١٦٠:١٦١]
قال الطبري رحمه الله:" وقوله: (وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ) وهو أخذهم ما أفضلوا على رؤوس أموالهم لفضل تأخير في الأجل بعد مَحلها. (وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ) يعني عن أخذ الربا. وقوله:(وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ) يعني: ما كانوا يأخذون من الرشا على الحكم، كما وصفهم الله به في قوله :﴿وَتَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [المائدة:٦٢] وكان من أكلهم أموال الناس بالباطل ما كانوا يأخذون من أثمان الكتب التي كانوا يكتبونها بأيديهم ثم يقولون: هذا من عند الله، وما أشبه ذلك من المآكل الخسيسة الخبيثة."[(٢)]

الصفة السابعة : ــ عداوة الرسل والملائكة والمؤمنين قال تعالى:﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٩٨] قال الطبري رحمه الله:" وهذا خبر من الله جل ثناؤه: (مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ) من عاداه وعادى جميع ملائكته ورسله، وإعلام منه أن من عادى جبريل فقد عاداه وعادى ميكائيل وعادى جميع ملائكته ورسله لأن الذين سماهم الله في هذه الآية هم أولياء الله وأهل طاعته، ومن عادى لله وليّاً فقد عادى الله وبارزه بالمحاربة، ومن عادى الله فقد عادى جميع أهل طاعته وولايته. لأن العدو لله عدو لأوليائه، والعدو لأولياء الله عدو له. فكذلك قال اليهود: إن جبريل عدونا من الملائكة، وميكائيل ولينا منهم."[(٣)] وقال تعالى:﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [المائدة:٨٢]

(١) أضواء البيان / الشنقيطي ج١ صـــ ٣٢١
(٢) تفسير الطبري ج ٦ صـــ ٢٤
(٣) تفسير الطبري ج ١ صـــ ٤٣٩

الصفة الثامنة : ـــ وصف الله بصفات لا تليق بجلاله كقولهم انه فقير ويده مغلولة، وأنه يتعب فيستريح كما فعل بعد خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم استراح يوم السبت تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا قال تعالى:﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ﴾ [آل عمران:١٨١] قال الرازي رحمه الله:" وأكثر الروايات أن هذا القول إنما صدر عن اليهود روي أنه ﷺ كتب مع أبي بكر إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى الإسلام وإلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضاً حسنا فقال فنحاص اليهودي: إن الله فقير حتى سألنا القرض فلطمه أبو بكر في وجهه وقال: لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك، فشكاه إلى رسول الله ﷺ وجحد ما قاله فنزلت هذه الآية تصديقاً لأبي بكر رضي الله عنه."(١)

وقال تعالى:﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾ [المائدة:٦٤] قال الطبري رحمه الله:" وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن جراءة اليهود على ربهم ووصفهم إياه بما ليس من صفته، توبيخاً لهم بذلك وتعريفاً منه نبيه ﷺ قديم جهلهم واغترارهم به وإنكارهم جميع جميل أياديه عندهم وكثرة صفحه عنهم وعفوه عن عظيم إجرامهم، واحتجاجاً لنبيه محمد ﷺ بأنه له نبيّ مبعوث ورسول مرسل أن كانت هذه الأنباء التي أنبأهم بها كانت من خفيّ علومهم ومكنونها التي لا يعلمها إلا أحبارهم وعلماؤهم دون غيرهم من اليهود فضلاً عن الأمة الأمية من العرب الذين لم يقرؤا كتابا ولا وَعَوْا من علوم أهل الكتاب علما فأطلع الله على ذلك نبـــيه محمداً ﷺ ليقرّر عندهم صدقه ويقطع بذلك حجتهم. يقول تعالى ذكره: (وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ) من بني إسرائيل (يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ) يعنون: أن خير الله ممسك وعطاءه محبوس عن الاتساع عليه."(٢)

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [فصّلت:٩] قال الطبري رحمه الله:" أن اليهود أتت النبي ﷺ فسألته عن خلق السماوات والأرض. قال: خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع، وخلق يوم الأربعاء الجر والماء والمدائن والعمران والخراب، فهذه أربعة. ثم قال: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصّلت٩:١٠] لمن سأل. قال وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه؛ فخلق في أول ساعة من هذه الثلاثة الآجال حين يموت من مات، وفي الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس، وفي الثالثة آدم وأسكنه الجنة وأمر

(١) التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج٩ صـــ ٩٥ وانظر تفسير الطبري ج ٤ صـــ ١٩٤، و تفسير ابن كثير ج١ صـــ ٤٣٥

(٢) تفسير الطبري ج٦ صـــ ٢٩٩

إبليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة. قالت اليهود: ثم ماذا يا محمد؟ قال: ثم استوى على العرش. قالوا: قد أصبت لو أتممت. قالوا: ثم استراح فغضب النبي ﷺ غضبا شديدا فنزل ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾[ق٣٨:٣٩]"(١)

الصفة التاسعة: ـــ أخذ الرشاوى لتغير أحكام الله : إن الرشوة تطمس الحق، وتحجب العدل، وتكون سببا في ضياع الحقوق وإعطاء من لا يستحق ما ليس له، كما تساعد على إخفاء الجرائم، وتستر القبائح، وتقلب الوقائع. وقد تنفع الغنى القادر وتضر الفقير المحتاج، وقد تجلب لبلاد المسلمين المواد الفاسدة والمخدرة والسموم والمحرمات وتتيح التجسس ويحل الغش محل الإخلاص، والخيانة محل الأمانة، وما ترتب على ذلك من المفاسد والآثار البالغة السوء على الأفراد والجماعات والأمة الإسلامية، ولهذا كانت الرشوة في نظر أهل الدنيا جريمة يعاقب عليها القانون، وخيانة وطنية، وهي في نظر الشرع إثم عظيم، وقد تكون وسيلة للكفر والعياذ بالله إذا أحلت حراما وحرمت حلالا وهذا ما ينطق به الواقع المؤلم. فما فشت الرشوة في أمة إلا وحل فيها الغش محل النصح، والخيانة محل الأمانة ، والخوف محل الأمن، والظلم محل العدل. فالرشوة مهدرة للحقوق، معطلة للمصالح، مجرئة للظلمة والمفسدين ما فشت في مجتمع إلا وآذنت بهلاكه. قال تعالى:﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة:٤٢] قال الطبري رحمه الله:" يقول تعالى ذكره: هؤلاء اليهود الذين وصفت لك يا محمد صفتهم سمَّاعون لقيل الباطل والكذب من قِيل بعضهم لبعض محمد كاذب ليس بنبيّ، وقِيل بعضهم: إن حكم الزاني المحصَن في التوراة الجلد والتحميم، وغير ذلك من الأباطيل والإفك، ويقبلون الرشا فيأكلونها على كذبهم على الله وفريتهم عليه."(٢)

وقال تعالى:﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٦٢]

الصفة العاشرة : ـــ النفاق قال تعالى:﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ﴾ [المائدة:٦١] قال الزمخشري:" نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله ﷺ يظهرون له الإيمان نفاقا فأخبره الله تعالى بشأنهم وأنهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا به من تذكيرك بآيات الله ومواعظك. وقوله: بالكفر وبه حالان أي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين. وتقديره: متلبسين بالكفر. وكذلك قوله: وقد دخلوا وهم قد خرجوا ولذلك دخلت قد

---

(١) تفسير الطبري ج ٢٤ صـــ ٩٤ والحديث أخرجه الحاكم في مستدركه كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين ج٢ صـــ ٥٩٢ حديث رقم ٣٩٩٧ وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه

(٢) تفسير الطبري ج ٦ صـــ ٢٣٩

تقريبا للماضي من الحال. ولمعنى آخر: وهو أن أمارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان رسول الله ﷺ متوقعا لإظهار الله ما كتموه فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله: قالوا آمنا أي قالوا ذلك وهذه حالهم."(١)

الصفة الحادية عشر : ــ موالاة الكفار قال تعالى:﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ [المائدة:٨٠] قال الشوكاني رحمه الله:" (تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ) أي من اليهود مثل كعب بن الأشرف وأصحابه (يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟) أي المشركين وليسوا على دينهم."(٢)

الصفة الثانية عشر : ــ المناجاة بالإثم والعدوان قال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [المجادلة:٨] قال القرطبي رحمه الله:" قيل إن هذا في اليهود والمنافقين وقيل في المسلمين. قال ابن عباس رضى الله عنه: نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم وينظرون للمؤمنين ويتغامزون بأعينهم، فيقول المؤمنون لعلهم بلغهم عن إخواننا وقرابتنا من المهاجرين والأنصار قتل أو مصيبة أو هزيمة ويسوءهم ذلك. فكثرت شكواهم إلى النبي ﷺ فنهاهم عن النجوى فلم ينتهوا فنزلت. وقال مقاتل كان بين النبي ﷺ وبين اليهود موادعة فإذا مر بهم رجل من المؤمنين تناجوا بينهم حتى يظن المؤمن شرا فيعرج عن طريقه فنهاهم رسول الله ﷺ فلم ينتهوا فنزلت. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كان الرجل يأتي النبي ﷺ فيسأله الحاجة ويناجيه والأرض يومئذ حرب فيتوهمون أنه يناجيه في حرب أو بلية أو أمر مهم فيفزعون لذلك فنزلت."(٣)
وقرر الطبري رحمه الله أنها في اليهود خاصة.(٤)

ثالثا : ــ الصفات التي انفرد بها النصارى

أولا : ــ تأليه المسيح عليه السلام قال الله تعالى:﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ ﴾ [المائدة:١٧] قال الطبري رحمه الله:" يقول جل ثناؤه أُقسم لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم وكفرهم في ذلك تغطيتهم الحق في تركهم نفي الولد عن الله جل وعز وادعائهم أن المسيح هو الله فرية وكذبا عليه."(٥)

---

(١) الكشاف / الزمخشري ج١ صــ ٦٨٦

(٢) فتح القدير / الشوكاني ج٢ صــ ٦٦ و انظر تفسير الطبري ج٦ صــ ٣٢٠

(٣) تفسير القرطبي ج١٧ صــ ٢٩١

(٤) انظر تفسير الطبري ج٢٨ صــ ١٣

(٥) تفسير الطبري ج٦ صــ ١٦٣

ثانيا : ــ قولهم أن المسيح عليه السلام ابن الله قال تعالى:﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [النساء:١٧١] قال الشوكاني رحمه الله:" ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد﴿سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞ﴾أي اسبحه تسبيحا عن ان يكون له ولد ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ وما جعلتموه له شريك أو ولدا هو من جملة ذلك والمملوك المخلوق لا يكون شريكا ولا ولدا "[١]

ثالثا : ــ قولهم بالتثليث قال تعالى:﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة:٧٣] وقال تعالى:﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾﴿ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[المائدة٧٥:٧٦] قال الطبري رحمه الله:" يقول تعالى ذكره لمحمد ﷺ قل يا محمد لهؤلاء الكفرة من النصارى الزاعمين أن المسيح ربهم، والقائلين إن الله ثالث ثلاثة أتعبدون سوى الله الذي يملك ضركم ونفعكم وهو الذي خلقكم ورزقكم وهو يحييكم ويميتكم شيئا لا يملك لكم شرا ولا نفعا؟!"[٢]

رابعا : ــ الغلو في الدين وإتباع مقولة اليهود في المسيح عليه السلام قال تعالى:﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة:٧٧] قال الطبري رحمه الله:" يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء الغالية من النصارى في المسيح يا أهل الكتاب يعني بالكتاب الإنجيل لا تغلوا في دينكم، يقول لا تفرطوا في القول فيما تدينون به من أمر المسيح فتجاوزوا فيه الحق إلى الباطل، فتقولوا فيه هو الله أو هو ابنه ولكن قولوا هو عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا، يقول ولا تتبعوا أيضا في المسيح أهواء اليهود الذين قد ضلوا قبلكم عن سبيل الهدي في القول فيه، فتقولون فيه كما قالوا هو لغير رشدة وتبهتوا أمه كما يبهتونها بالفرية وهي صديقة وأضلوا كثيرا يقول تعالى ذكره وأضل هؤلاء اليهود كثيرا من الناس فحادوا بهم عن طريق الحق وحملوهم على الكفر بالله والتكذيب بالمسيح."[٣]

---

(١) فتح القدير / الشوكاني ج١ صــ ٥٤١

(٢) تفسير الطبري ج٦ صــ ٣١٥

(٣) تفسير الطبري ج٦ صــ ٣١٦ وانظر روح المعاني / الألوسي ج١ صــ ٥٩٠

خامسا : ـ ابتداع رهبانية غير التي كتبها الله عليهم قال تعالى:﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ [الحديد:٢٧] قال الرازي رحمه الله:" والمراد من الرهبانية ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين مخلصين أنفسهم للعبادة ومتحملين كُلفا زائدة على العبادات التي كانت واجبة عليهم من الخلوة واللباس الخشن والاعتزال عن النساء والتعبد في الغيران والكهوف. عن ابن عباس أن في أيام الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام غيَّر الملوك التوراة والإنجيل فساح قوم في الأرض ولبسوا الصوف."(١) وعن قتادة رضى الله عنه:" وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة فهاتان من الله والرهبانية ابتدعها قوم من أنفسهم ولم تكتب عليهم، ولكن ابتغوا بذلك وأرادوا رضوان الله فما رعوها حق رعايتها ذكر لنا أنهم رفضوا النساء واتخذوا الصوامع."(٢)

---

(١) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) / فخر الدين الرازي ج٢٩ صـــ ٢١٤

(٢) تفسير الطبري ج ٢٧ صـــ ٢٣٨

ثالثا : ـــ المرتدون

وخطر المرتدين لا يقل عن خطر الأصناف التي ذكرتها آنفا من الكفار والمنافقين وأهل الكتاب؛ في كونه يهدد الوجود المعنوي للمسلمين بزيادة أعداءهم ونقص عددهم. كما أن الردة تزعز العقيدة عند ضعاف النفوس من المسلمين وخصوصا إذا ما تمثلت في أشخاص بارزين ومميزين بينهم. ولهذا تعتبر الردة عن الدين من أشد الأخطار على المجتمع المسلم.

ومن أجل ذلك عمد أعداء الإسلام إلى تدبير المكيدة تلو المكيدة لفتنة المسلمين عن دينهم بالقوة والسلاح تارة، أو بالمكر والحيلة تارة أخرى كما قال تعالى:﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾ [البقرة:٢١٧]

وما شهدناه في السابق من حروب صليبية على المسلمين ، ثم تطورت إلى غزو عسكري فثقافي إلا صورة من صور عدة عمد إليها أعداء الأمة لرد المسلمين عن دينهم .

فما هي الردة وما حكمها الشرعي وماذا قال الله فيها وماذا فعل النبي ﷺ مع من ارتد ممن أسلم وكيف تكون ضابطا للتكفير؟

الردة لغة :

قال الراغب رحمه الله:" الرد صرف الشيء بذاته أو بحالة من أحواله يقال رددته فارتد فمن الرد بالذات قوله:﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾ [الأنعام:٢٨] ومن الرد إلى حالة كان عليها قوله:﴿لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا﴾ [البقرة:١٠٩] أي يرجعونكم إلى حال الكفر بعد أن فارقتموه. والارتداد والردة الرجوع في الطريق الذي جاء منه لكن الردة تختص بالكفر والارتداد يستعمل فيه وفي غيره قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم﴾ [محمد:٢٥] وقال:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ﴾ [المائدة:٥٤] وهو الرجوع من الإسلام إلى الكفر. ويأتي الرد بمعنى التفويض في الأمر ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ﴾ [النساء:٨٣] والردة اسم من الارتداد وهو التحول والرجوع عن الشيء إلى غيره، ومنه الرجوع عن الإسلام، والمرتد أي الراجع وهو الذي رجع عن دينه، وكفر بعد إسلامه."(١)

---

(١) المفردات / الأصبهاني صـــ ١٩٢ ، ١٩٣ باختصار وتصرف يسير، وانظر لسان العرب / ابن منظور ج٣ صـــ ١٧٣ ، تاج العروس من جواهر القاموس / محمد مرتضى الحسيني الزبيدي / دار الهداية / تحقيق: مجموعة من المحققين / ج٨ صـــ ٩٠، والكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية / أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي / مؤسسة الرسالة / بيروت / ١٤١٩هـــ ــ ١٩٩٨م / تحقيق: عدنان درويش ، محمد المصري صـــ ٤٧٧، و المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار/ المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع / استانبول / تركيا / تحقيق: مجمع اللغة العربية / الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث / الطبعة: الثانية / ج١ صـــ ٣٣٨

الردة في الاصطلاح :

والردة في الاصطلاح كما نص عليها القرآن الكريم صراحةً هي الرجوع عن الإسلام إلى الكفر قال تعالى:﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾[البقرة:٢١٧] وإلى هذا الحد من التعريف لم يختلف عليه اثنان من عامة المسلمين وعلمائهم فقال النووي والشربيني رحمهم الله:" هي قطع الإسلام بنية أو قول كفر أو فعل سواء قاله استهزاء أو عنادا أو اعتقادا."[١] وقال ابن قدامة ومرعي بن يوسف الكرمي رحمهم الله في تعريف المرتد:" هو من كفر بعد إسلامه."[٢] ثم بيَّنَا بعد ذلك بم يكون الكفر ذاكرين أنواعه الثلاثة. وبعض العلماء قيدها بالقول فقط كالكاساني الحنفي حيث قال:" أما ركنها فهو إجراء كلمة الكفر على اللسان بعد وجود الإيمان؛ إذ الردة عبارة عن الرجوع عن الإيمان فالرجوع عن الإيمان يسمى ردة في عرف الشرع."[٣] ومن العلماء من علقها على أنواع الكفر قولا أو فعلا أو اعتقادا كالإمام البهوتي الحنبلي حيث قال:"المرتد شرعا الذي يكفر بعد إسلامه نطقا أو اعتقادا أو شكا أو فعلا."[٤]

نخلص مما سبق إلى تعريف للردة يجمع ما تفرق في التعريفات فأقول هي الرجوع عن الإسلام كليا أو جزئيا بإنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة، أو بنفي ما أثبته الله ورسوله، أو إثبات ما نفاه الله ورسوله، وتكون بالفعل، والترك، والنطق، والاعتقاد، والشك، والجحود، والتكذيب. جادا كان المرتد أم هازلا متعمدا غير جاهلا. وبلفظ موجز أن يرتكب المسلم ناقضا من نواقض الإسلام.

أما حكمها الشرعي فهو الكفر

إضافة إلى ما أوردته في تعريف الردة ووضح منه أن كل من عرَّفها قال بكفر المرتد أو جعل التعريف لها هو الكفر ذاته فقد بين علماء المسلمين من المذاهب الأربعة أحكام الردة فقال النووي الشافعي رحمهم الله في منهاج الطالبين:" قطع الإسلام بنية أو قول كفر أو فعل سواء قاله استهزاء أو عنادا أو اعتقادا؛ فمن نفى الصانع أو الرسل أو كذب رسولا، أو حلل محرما بالإجماع كالزنا أو

---

(١) منهاج الطالبين وعمدة المفتين / يحيى بن شرف النووي أبو زكريا / دار المعرفة / بيروت / صــ ١٣١، وانظر مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج / محمد الخطيب الشربيني / دار الفكر / بيروت / ج٤ صــ ١٣٣

(٢) انظر دليل الطالب على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل / مرعي بن يوسف الحنبلي/ المكتب الإسلامي / بيروت / ١٣٨٩هـ / الطبعة: الثانية /صــ ٣١٧ ، وانظر الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل / عبد الله بن قدامة المقدسي أبو محمد / المكتب الإسلامي / بيروت / ج٤ صــ ١٥٦

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع / علاء الدين الكاساني / دار الكتاب العربي/ بيروت / ١٩٨٢ م / الطبعة: الثانية / ج٧ صــ ١٣٤

(٤) انظر شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولي النهى لشرح المنتهى / منصور بن يونس بن إدريس البهوتي/ عالم الكتب / بيروت /١٩٩٦م / الطبعة: الثانية / ج٣ صــ ٣٩٤

عكسه، أو نفى وجوب مجمع عليه أو عكسه، أو عزم على الكفر غدا أو تردد فيه كفر، والفعل المكفر ما تعمده استهزاء صريحا بالدين أو جحودا له كإلقاء مصحف بقاذورة وسجود لصنم أو شمس."[١]

وقال الحصكفي رحمه الله من الحنفية:" لأنه بالردة يصير كالكافر الأصلي."[٢]

وقال الشيخ محمد عليش المالكي رحمه الله:" وسواء كفر ــ المرتد ــ بقول صريح في الكفر كقوله كفرت بالله أو برسول الله أو بالقرآن، أو الإله اثنان أو ثلاثة، أو المسيح ابن الله أو العزيز ابن الله، أو بلفظ يقتضيه أي يستلزم اللفظ الكفر استلزاما بينا كجحد مشروعية شيء مجمع عليه معلوم من الدين ضرورة فإنه يستلزم تكذيب القرآن أو الرسول، وكاعتقاد جسمية الله وتحيزه فإنه يستلزم حدوثه واحتياجه لمحدث ونفي صفات الألوهية عنه جل جلاله وعظم شأنه، أو بفعل يتضمنه أي يستلزم الفعل الكفر استلزاما بينا كإلقاء مصحف ــ أي الكتاب المشتمل على النقوش الدالة على كلام الله تعالى ــ بشيء قذر أي مستقذر مستعاف ولو طاهرا كبصاق، ومثل إلقائه تلطيخه به أو تركه به مع القدرة على إزالته لأن الدوام كالابتداء، وكالمصحف جزؤه، والحديث القدسي والنبوي ولو لم يتواتر، وأسماء الله تعالى، وأسماء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام."[٣]

وذكر البهوتي الحنبلي رحمه الله في شرح منتهى الإرادات للفتوحي في باب حكم المرتد:" وهو لغة الراجع، وشرعا من كفر ولو مميزا طوعا ولو هازلا بعد إسلامه ولو كرها. فمن ادعى النبوة أو سب رسولا أو ملكا أو جحد ربوبيته أو وحدانيته أو صفة أو رسولا أو كتابا أو ملكا له. أو وجوب عبادة من الخمس ومنها الطهارة. أو حكما ظاهرا مجمعا عليه إجماعا قطعيا كجحد تحريم زنا، أو لحم خنزير. أو حل خبز ونحوه، أو شك فيه ومثله لا يجهله، أو يجهله وعرف وأصر. أو سجد لكوكب أو لنحوه. أو أتى بقول أو فعل صريح في الاستهزاء بالدين. أو امتهن القرآن أو ادعى اختلافه أو القدرة على مثله أو أسقط حرمته كفر."[٤]

إذاً فالردة تحصل بارتكاب ناقض من نواقض الإسلام القولية أو العملية المتفق عليها عند أهل العلم بضوابطها وشروطها وانتفاء موانعها ، ولا يحكم بكفر المرتد على ما يبطن في قلبه لأن أمور القلوب لا يعلمها إلا الله. وكل ذلك يكون بعد إقامة الحجة عليه من أهل العلم المختصين بذلك .

---

(١) منهاج الطالبين وعمدة المفتين صـــ ١٣١

(٢) الدر المختار/ محمد بن على بن محمد الحنفي الحصكفي / دار الفكر / بيروت / ١٣٨٦هـــ الطبعة: الثانية / ج٢ صـــ ٧٥

(٣) منح الجليل شرح على مختصر سيد خليل / محمد عليش المالكي / دار الفكر / بيروت / ١٤٠٩هـــ - ١٩٨٩م/ ج٩ صـــ ٢٠٥ ، ٢٠٦

(٤) شرح منتهى الإرادات / البهوتي ج٣ صـــ ٣٩٤ ، ٣٩٥ (متن المنتهى دون الشرح)

آيات القرآن الكريم في شأن الردة

ورد ذكر الكفر بعد الإيمان ــ الردة ــ في القرآن الكريم في بضع آيات. عُبر في بعضها بلفظ الردة، وفي بعضها بتعبير الكفر بعد الإسلام.

أما لفظ الردة فقد ورد في قوله تعالى:﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ﴾ [البقرة:٢١٧]﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[المائدة:٥٤]﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد:٢٥]

وأما التعبير بالكفر بعد الإيمان فقد ورد في قوله تعالى:﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [آل عمران:٨٦]﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾[آل عمران:٩٠]﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران:١٧٧]﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[النساء:١١٥]
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا﴾ [النساء:١٣٧]
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد:٣٢]

الأحاديث النبوية في الردة:

ما ورد في الصحيحين عن أبي موسى رضى الله عنه قال:" أقبلت إلى النبي ﷺ ومعي رجلان من الأشعريين أحدهما عن يميني والآخر عن يساري ورسول الله ﷺ يستاك فكلاهما سأل فقال: يا أبا موسى أو يا عبد الله بن قيس قال: قلت: والذي بعثك بالحق ما أطلعاني على ما في أنفسهما وما شعرت أنهما يطلبان العمل فكأني أنظر إلى سواكه تحت شفته قلصت فقال: لن أو لا نستعمل على عملنا من أراده، ولكن اذهب أنت يا أبا موسى أو يا عبد الله بن قيس إلى اليمن، ثم أتبعه معاذ بن جبل، فلما قدم عليه ألقى له وسادة قال: أنزل وإذا رجل عنده موثق قال ما هذا قال كان يهوديا فأسلم ثم تهود. قال: اجلس. قال: لا أجلس حتى يقتل. قضاء الله ورسوله ثلاث مرات فأمر به فقتل."(١)

وفي الصحيحين أيضا عن أنس بن مالك رضي الله عنه:" أن نفرا من عُكل ثمانية قدموا على رسول الله ﷺ فبايعوه على الإسلام. فاستوخموا الأرض وسقمت أجسامهم فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال: ألا تخرجون مع راعينا في إبله فتصيبون من أبوالها وألبانها؟ فقالوا: بلى فخرجوا فشربوا من

(١) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم ج٦ صـــ ٢٥٣٧ حديث رقم ٦٥٢٥ وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها ج٣ صـــ ١٤٥٦ حديث رقم ١٧٣٣ واللفظ للبخاري

أبوالها وألبانها فصحوا فقتلوا الراعي وطردوا الإبل. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فبعث في آثارهم فأدركوا فجيء بهم، فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم ثم نبذوا في الشمس حتى ماتوا. وقال ابن الصباح في روايته: واطردوا النعم وقال وسمرت أعينهم."(١) وعند البخاري رحمه الله أن رهطا من عكل أو قال من عرينة.

وروى البخاري رحمه الله:" عن عكرمة رضي الله عنه أن عليا رضي الله عنه حرق قوما فبلغ ابن عباس رضى الله عنه فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لأن النبي ﷺ قال لا تعذبوا بعذاب الله ولقتلتهم كما قال النبي ﷺ من بدل دينه فاقتلوه."(٢)

ما ورد في الصحيحين:"عن مسروق عن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ﷺ إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة."(٣)

وثبت عند كتاب السير والتاريخ الإسلامي أنه قد وقعت في عهد النبي ﷺ بعض حوادث الردة من أفراد وجماعات وقبائل أُورد بعضا منها.

فممن كان من الأفراد عبد الله بن أبي السرح قال ابن كثير رحمه الله:" غير أنه أهدر دم نفر سماهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة، وهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان قد اسلم وكتب الوحي ثم ارتد، فلما دخل رسول الله مكة وقد أهدر دمه فر إلى عثمان وكان أخاه من الرضاعة، فلما جاء به ليستأمن له صمت عنه رسول الله طويلا ثم قال نعم، فلما انصرف مع عثمان قال رسول الله لمن حوله أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رآني قد صمت فيقتله. فقالوا يا رسول الله هلا أومأت إلينا؟ فقال: إن النبي لا يقتل بالإشارة. وفي رواية إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين. قال ابن هشام وقد حسن إسلامه بعد ذلك و ولاه عمر رضى الله عنه بعض أعماله ثم ولاه عثمان رضى الله عنه. قلت: ومات وهو ساجد في صلاة الصبح أو بعد انقضاء صلاتها في بيته."(٤)

---

(١) متفق عليه أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات باب حكم المحاربين والمرتدين ج٣ صـــ ١٢٩٦ حديث رقم ١٦٧١وأخرجه البخاري كتاب الوضوء باب إذا غسل الجنابة أو غيرها فلم يذهب أثره ج١ صـــ ٩٦ حديث رقم ٢٣١ واللفظ لمسلم

(٢) أخرجه الإمام البخاري كتاب الجهاد والسير باب لا يعذب بعذاب الله ج٣ صـــ ١٠٩٨ حديث رقم ٢٨٥٤

(٣) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري كتاب الديات والسير باب قول الله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥] ج٦ صـــ ٢٥٢١ حديث رقم ٦٤٨٤ والإمام مسلم في صحيحه كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات باب ما يباح به دم المسلم ج٣ صـــ ١٣٠١ حديث رقم ١٦٧٦

(٤) البداية والنهاية / ابن كثير ج٤ صـــ ٢٩٧ ، وانظر السيرة النبوية / ابن هشام ج٥ صـــ ٦٩

وعبد الله بن خطل رجل من بني تيم بن غالب قال ابن كثير رحمه الله:" ويقال إن اسمه عبد العزى بن خطل ويحتمل انه كان كذلك، ثم لما أسلم سمى عبد الله، ولما أسلم بعثه رسول الله ﷺ مصدقا وبعث معه رجلا من الأنصار وكان معه مولى له فغضب عليه غضبة فقتله، ثم ارتد مشركا، وكان له قينتان كانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ والمسلمين فلهذا أهدر دمه ودم قينتيه فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة، اشترك في قتله أبو برزة الأسلمي وسعيد بن حريث المخزومي وقتلت إحدى قينتيه واستؤمن للأخرى."(١)

ومقيس بن صبابة حيث نقل ابن هشام عن ابن إسحاق قوله:" وقدم مقيس بن صبابة من مكة مسلما فيما يظهر فقال: يا رسول الله جئتك مسلما وجئتك اطلب دية أخي قتل خطأ. فأمر له رسول الله ﷺ بدية أخيه هشام بن صبابة. فأقام عند رسول الله ﷺ غير كثير ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ثم خرج إلى مكة مرتدا."(٢)

والرجل النصراني الذي كان يكتب لرسول الله ﷺ وقد ذكر ذلك البخاري رحمه الله من حديث أنس رضي الله عنه قال:" كان رجل نصرانيا فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران فكان يكتب للنبي ﷺ فعاد نصرانيا، فكان يقول ما يدري محمد إلا ما كتبت له فأماته الله فدفنوه فأصبح وقد لفظته الأرض. فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه فحفروا له فأعمقوا، فأصبح وقد لفظته الأرض. فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم، فألقوه فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا فأصبح قد لفظته الأرض فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه."(٣)

وقرة بن هبيرة قال ابن الأثير رحمه الله:" وكانت بنو عامر تقدم إلى الردة رجلا وتؤخر أخرى وتنظر ما تصنع أسد وغطفان، فلما أحيط بهم وبنو عامر على قادتهم وسادتهم كان قرة بن هبيرة في كعب ومن لافها وكان أسلم ثم ارتد في زمن النبي ولحق بالشام بعد فتح الطائف، فلما توفي النبي أقبل مسرعا حتى عسكر في بني كعب فبلغ ذلك أبا بكر رضى الله عنه فبعث إليه سرية عليها القعقاع بن عمرو رضى الله عنه وقيل بل قعقاع بن سور، وقال له لتغير على علقمة لعلك تقتله أو تستأسره. فخرج في تلك السرية حتى أغار على الماء الذي عليه علقمة وكان لا يبرح إلا مستعدا فسابقهم على فرسه فسبقهم مراكضة، وأسلم أهله وولده وأخذهم القعقاع وقدم بهما على أبي بكر رضى الله عنه فجحدوا أن يكونوا على حال علقمة، ولم يبلغ أبا بكر عنهم أنهم فارقوا دارهم وقالوا له ما ذنبنا فيما صنع علقمة فأرسلهم ثم أسلم فقبل ذلك منه."(٤)

---

(١) البداية والنهاية / ابن كثير ج٤ صـــ ٢٩٧ ، ٢٩٨ وانظر سيرة ابن هشام ج٥ صـــ ٧٠

(٢) السيرة النبوية / ابن هشام ج٤ صـــ ٢٥٦ وانظر البداية والنهاية / ابن كثير ج٤ صـــ ٢٩٨

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب المناقب باب كان النبي ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه ج٣ صـــ ١٣٢٥ حديث رقم ٣٤٢١

(٤) الكامل في التاريخ / ابن الأثير ج٢ صـــ ٢١٠

وادعى بعض العرب النبوة كالأسود العنسي ومسيلمة وطليحة

أما الأسود العنسي فقد روى الطبري رحمه الله في قصته عدة روايات تتلخص فيما يلي:" أنه لما ادعى النبوة وتغلب على اليمن وقتل ملكها شهر بن باذان وتزوج امرأته وأسند أمر الجيش إلى قيس بن عبد يغوث، وأسند أمر أبناء الفرس إلى فيروز وذاذويه كتب رسول الله ﷺ إلى هؤلاء بقتل الأسود إما غيلة وإما مصادمة، فاتفقوا على قتله غيلة فأخبره شيطانه فأرسل إلى قيس وقال يا قيس ما يقول الملك ــ يقصد شيطانه الذي أخبره بأمرهم ــ قال وما يقول قال يقول عمدت إلى قيس فأكرمته حتى إذا دخل منك كل مدخل وصار في العز مثلك مال ميل عدوك وحاول ملكك وأضمر على الغدر، إنه يقول: يا أسود يا أسود يا سوءة يا سوءة اقطف قنته وخذ من قيس أعلاه وإلا سلبك أو قطف قنتك. فقال قيس و حلف به كذب وذي الخمار لأنت أعظم في نفسي وأجل عندي من أن أحدث بك نفسي. فقال ما أجفاك أتكذب الملك قد صدق الملك وعرفت الآن أنك تائب مما اطلع عليه منك. ثم خرج قيس وأخبر جماعته بما جرى، ثم تواطؤوا على إنفاذ ما اتفقوا عليه من قتله. ثم دعا الأسود قيس ثانية وقال له: ألم أخبرك الحق وتخبرني الكذابة إنه يقول يا سوءة يا سوءة إلا تقطع من قيس يده يقطع قنتك العليا. فأبدا له قيس الولاء فتركه . ثم تواطؤوا مع زوجته على اغتياله ليلا فلما دخلوا عليه ليقتلوه بادره فيروز، فأنذره شيطانه بمكان فيروز وأيقضه. فلما أبطأ تكلم الشيطان على لسانه وهو يغط في نومه وينظر إلى فيروز وقال: له مالي ولك يا فيروز فدق فيروز رقبته وقتله."(١)

" وأما خبر مسيلمة فلما وصل وفد بني حنيفة المدينة أتوا رسول الله ﷺ وخلفوا مسيلمة في رحالهم، فلما أسلموا ذكروا مكانه فقالوا: يا رسول الله إنا قد خلفنا صاحبا لنا في رحالنا وفي ركابنا يحفظها لنا. قال: فأمر له رسول الله ﷺ بمثل ما أمر به للقوم. وقال: أما أنه ليس بشركم مكانا أي لحفظه ضيعة أصحابه ذلك الذي يريد رسول الله. قال: ثم انصرفوا عن رسول الله وجاؤا مسيلمة بما أعطاه رسول الله. فلما انتهوا إلى اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وتكذب لهم وقال: إني قد أشركت في الأمر معه، وقال لوفده الذين كانوا معه: ألم يقل لكم حين ذكرتموني له أما إنه ليس بشركم مكانا؟ ما ذاك إلا لما كان يعلم أني قد اشركت في الأمر معه، ثم جعل يسجع لهم السجعات ويقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن: لقد أنعم الله على الحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشا. وأحل لهم الخمر والزنا ووضع عنهم الصلاة وهو مع هذا يشهد لرسول الله ﷺ بأنه نبي فاصفقت معه بنو حنيفة على ذلك."(٢)

---

(١) تاريخ الطبري ج٢ صـــ ٢٤٧ وما بعدها باختصار كبير وتصرف وانظر المنتظم / ابن الجوزي ج٤ صـــ ١٨ وما بعدها

(٢) البداية والنهاية / ابن كثير ج٥ صـــ ٥١ وانظر المنتظم / ابن الجوزي ج٣ صـــ ٣٨٣

وأما طليحة فقد ذكر ابن الأثير رحمه الله:" أن اسمه طليحة بن خويلد الأسدي من بني أسد بن خزيمة، قد تنبأ في حياة رسول الله ﷺ فوجه إليه النبي ضرار بن الأزور عاملا على بني أسد وأمرهم بالقيام على من ارتد، فضعف أمر طليحة حتى لم يبق إلا أخذه فضربه بسيف فلم يصنع فيه شيئا، فظهر بين الناس أن السلاح لا يعمل فيه، فكثر جمعه ومات النبي وهم على ذلك. فكان طليحة يقول: إن جبريل يأتيني وسجع للناس الأكاذيب وكان يأمرهم بترك السجود في الصلاة ويقول: إن الله لا يصنع بتعفر وجوهكم وتقبح أدباركم شيئا، اذكروا الله واعبدوه قياما إلى غير ذلك."(١) "

وقد ذكر الذهبي رحمه الله أنه أسلم وحسن إسلامه واستشهد في موقعة نهاوند."(٢)

وقد ذكر خبر مسيلمة والأسود العنسي في الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه قال:" قال رسول الله ﷺ: بينا أنا نائم إذ أوتيت خزائن الأرض فوضع بين يدي سوارين من ذهب فكبرا علي وأهماني فأوحي إلي أن انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة."(٣)

قال ابن الجوزي رحمه الله:" قد ذكرنا أن مسيلمة قدم على رسول الله ﷺ فيمن أسلم، ثم ارتد لما رجع إلى بلده، وكتب إلى رسول الله ﷺ من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله وكان يستغوي أهل بلدته. وكذلك العنسي إلا أنه لم يظهر أمرهما إلا في حالة مرض رسول الله ﷺ. وكان رسول الله ﷺ قد لحقه مرض بعد عوده من الحج ثم عوفي، ثم عاد فمرض مرض الموت. وعن علي وابن عباس رضي الله عنهما: أول ردة كانت على عهد رسول الله ﷺ وأول من ارتد الأسود العنسي في مذحج، ومسيلمة في بني حنيفة، وطليحة في بني أسد، وقال الشعبي قدم على رسول الله ﷺ خبر مسيلمة والعنسي الكذابين بعدما ضرب على الناس بعث أسامة بن زيد."(٤)

وأما ممن ارتد كجماعة النفر من قبيلة عرينة الذين ذكرت أمرهم في حديث الإمام مسلم رحمه الله آنف الذكر. ومن القبائل في عهده ﷺ ما كان من قبيلة بني حنيفة أصحاب مسيلمة حين تنبأ قال ابن

---

(١) الكامل في التاريخ / ابن الأثير ج٢ صــ ٢٠٦ وانظر البداية والنهاية / ابن كثير ج٦ صــ ٣١٨

(٢) انظر العبر في خبر من غبر / شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي / مطبعة حكومة الكويت / الكويت / ١٩٨٤م / الطبعة: الثانية / تحقيق: د. صلاح الدين المنجد / ج١ صــ ٢٦

(٣) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب التعبير باب النفخ في المنام ج٦ صــ ٢٥٨٠ حديث رقم ٦٦٣٠ وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الرؤيا باب رؤيا النبي ﷺ ج٤ صــ ١٧٨١ حديث رقم ٢٢٧٤ واللفظ للبخاري

(٤) المنتظم / ابن الجوزي ج٤ صــ ١٧ ، ١٨

هشام رحمه الله:" وأحل لهم الخمر والزنا ووضع عنهم الصلاة وهو مع ذلك يشهد لرسول الله ﷺ بأنه نبي فأصفقت ــ أي اجتمعت ــ معه حنيفة على ذلك."[1]

وقال ابن الأثير رحمه الله:" وأوصى ــ أي أبو بكر رضي الله عنه ــ أسامة رضى الله عنه أن يفعل ما أمر به رسول الله ﷺ، فسار وأوقع بقبائل من ناس قضاعة التي ارتدت وغنم وعاد، وكانت غيبته أربعين يوما وقيل سبعين يوما."[2]

(١) السيرة النبوية / ابن هشام ج٥ صـــ ٢٧٣

(٢) الكامل في التاريخ / ابن الأثير ج٢ صـــ ٢٠٠

المطلب الثاني

ضوابط التكفير عند السلف الصالح

تعريف السلف

السلف لغة:" سلف الرجل آباؤه المتقدمون والجمع أسلاف وسلاف."[1]

وقال ابن منظور:" كل شيء قدَّمه العبد من عمل صالح أو ولد فرط يقدَّمه فهو له سلف، وقد سلف له عمل صالح. السلف أيضا من تقدمك من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السن."[2]

وقال ابن الأثير رحمه الله:" سلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته؛ ولهاذ سمى الصدر الأول من التابعين السلف الصالح."[3] وقال الزبيدي رحمه الله:" السلف هم العلماءُ المتقدمون في الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأتباعهم."[4]

وقال القاضي عياض رحمه الله:" وأصله من التقدم سمي بذلك لتقدم رأس المال فيه والسلف كل عمل صالح تقدم للعبد."[5]

وجاء في الحديث ما يدل على ذلك مثل قول النبي ﷺ لابنته فاطمة رضي الله عنها:" وأني لا أرى الأجل إلا قد اقترب فاتقي الله واصبري فإنه نعم السلف أنا لك."[6]

يتضح مما سبق أن معنى السلف في اللغة يدور حول معنيين رئيسيين : ــ

الأول : ــ كل شيء قدمه العبد من عمل صالح أو ولد صالح.

الثاني : ــ من تقدم من آباء الإنسان وذوي قرابته الذين هم فوقه في السن.

السلف اصطلاحا: وقد اختلف العلماء في المراد من السلف فبعضهم نص على التعريف كما سأورد ذلك، وبعضهم فُهم من إطلاقه لفظ السلف أثناء ذكر أقوالهم بحسب الزمن الذي عاش فيه.

أما من ناحية النص على التعريف ففيه ثلاثة مذاهب : ــ

الأول : ــ هم الصحابة فقط وهو قول المالكية قال العدوي رحمه الله:" قال ابن ناجي السلف الصالح وصف لازم يختص عند الإطلاق بالصحابة ولا يشاركهم غيرهم."[7]

---

(١) مختار الصحاح / الرازي صــ ١٣٠

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج٩ صــ ١٥٩

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر / ابن الأثير ج٢ صــ ٣٩٠

(٤) تاج العروس / الزبيدي ج١ صــ ٦٥

(٥) مشارق الأنوار على صحاح الآثار/ القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي/ المكتبة العتيقة ودار التراث / ج٢ صــ ٢١٩

(٦) أحرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب فضائل فاطمة بنت النبي رضي الله عنها ج٤ صــ ١٩٠٤ حديث رقم ٢٤٥٠

(٧) حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني / العدوي ج١ صــ ١٥٣

الثاني : ــ هم الصحابة والتابعون وهو قول أبي حامد الغزالي والحصكفي من الحنفية قال الغزالي رحمه الله:" واعلم أن الحق الذي لا مراء فيه عند أهل البصائر هو مذهب السلف أعني مذهب الصحابة والتابعين."(١)

وقال الحصكفي رحمه الله:" وفيها الفرق بين السلف والخلف أن السلف الصالح الصدر الأول من التابعين منهم أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه."(٢)

الثالث : ــ هم الصحابة والتابعون وتابعو التابعين وهو قول جمهور أهل العلم قال ابن تيمية:" ولما أجمع عليه سلف الأمة وخيار قرونها."(٣) يشير رحمه الله إلى حديث" خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته."(٤)

قال الأمام الشوكاني رحمه الله:" مذهب السلف الصالح من الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين وتابعيهم."(٥) وقد كرر رحمه الله ذلك في رسالته أكثر من مرة.

ومما فُهم من كلام العلماء أن المراد من السلف القرون الثلاثة بعد النبي ﷺ قول شيخ الإسلام رحمه الله في العقيدة الأصفهانية:" ومن كتب التفسير المنقولة عن السلف مثل تفسير عبد الرزاق وعبد بن حميد وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وبقي بن مخلد وعبد الرحمن بن إبراهيم وعبد الرحمن ابن أبي حاتم ومحمد بن جرير الطبري وأبي بكر بن المنذر وأبي بكر بن عبد العزيز وأبي الشيخ الأصفهاني وأبي بكر بن مردويه رحمهم الله وغيرهم من ذلك ما تطول حكايته.

وكذلك الكتب المصنفة في السنة، والرد على الجهمية(٦) ، وأصول الدين المنقولة عن السلف مثل كتاب الرد على الجهمية لمحمد بن عبد الله الجعفي شيخ البخاري رحمهما الله، وكتاب خلق أفعال العباد للبخاري، وكتاب السنة لأبي داود السجستاني ولأبي بكر الأثرم ولعبد

---

(١) إلجام العوام عن علم الكلام / محمد بن محمد أبو حامد الطوسي المعروف بالغزالي الفقيه الشافعي / مطبعة الغوثية / مدراس ــ الهند / سنة الطبع ١٣٠٢هــ / صــ ٣ ، وانظر منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل وأثر المنهجين في العقيدة / جابر إدريس على أمير / مكتبة أضواء السلف / الرياض / ١٤١٩هــ ــ ١٩٩٨م / الطبعة: الأولى / ج١ صــ ٣٦

(٢) الدر المختار/ الحصكفي ج٥ صــ ٤٨٣

(٣) درء تعارض العقل والنقل / ابن تيمية ج٧ صــ ١٣٤

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب فضائل الصحابة رضى الله عنهمباب فضائل أصحاب النبي ﷺ ج٣ صــ ١٣٣٥ حديث رقم ٣٤٥٠ ، ٣٤٥١

(٥) التحف في مذاهب السلف / محمد بن علي بن محمد الشوكاني / دار الصحابة للتراث / طنطا ــ مصر / ١٤٠٩هــ ــ ١٩٨٩ م / الطبعة: الأولى / تحقيق سيد عاصم على صــ ١٨، ٢٣

(٦) الجهمية أتباع الجعد بن درهم ومن بعده الجهم بن صفوان وقد ظهروا بعد المعتزلة؛ ويقولون إن الله قد يعذب العباد بلا ذنب، وأنه قد يأمر العباد بما لا ينفعهم بل بما يضرهم فيصفون الرب بما يوجب الظلم والسفه، ويقولون بخلق القرآن، وينفون الصفات كالمعتزلة وأجمع أهل السنة على تكفيرهم (انظر الحسنة والسيئة / ابن تيمية صــ ١٠٧،١٠٥،١٠٢،٣٩)

الله بن أحمد بن حنبل ولحنبل بن إسحاق ولأبي بكر الخلال ولأبي الشيخ الأصفهاني ولأبي القاسم الطبراني ولأبي عبد الله بن منده رحمهم الله وأمثالهم، وكتاب الشريعة لأبي بكر الآجري والإبانة لأبي عبد الله بن بطة وكتاب الأصول لأبي عمر الطلمنكي وكتاب رد عثمان بن سعيد الدارمي وكتاب الرد على الجهمية له، وأضعاف هذه الكتب وذلك مثل ما ذكره الخلال وغيره عن إسحاق بن راهويه رحمه الله."(١) ويلاحظ أن هؤلاء الذين ذكرهم شيخ الإسلام من القرن الأول الهجري إلى القرن الرابع (٢) فيشمل تعريفه للسلف من التابعين إلى تابعي تابعي التابعين رحمهم الله.

وقول إبن أبي العز الحنفي رحمه الله:" وكذلك الآثار عن السلف قال أبو عمر بن عبد البر في التمهيد."(٣) ومن المعروف أن ابن عبد البر رحمه الله من القرن الثالث والرابع:" فقد توفى سنة واحد وأربعين وثلاثمائة هجرية."(٤)

وقول آل معمر رحمه الله صاحب التحفة المدنية:" فمذهبنا مذهب السلف إثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل، وهو مذهب أئمة الإسلام كمالك والشافعي والثوري والأوزاعي وابن المبارك والإمام أحمد وإسحاق بن راهويه رحمهم الله."(٥)

وعمدة تعريف السلف عند المحدثين حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما يقول قال رسول الله ﷺ:" خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثا."(٦) ومن هذا الحديث عرَّف المحدثون والحفاظ والفقهاء السلف بأنهم أهل القرون الثلاثة الأُول. قال الحافظ ابن حجر:" واستدل بهذا الحديث على تعديل أهل القرون الثلاثة وان تفاوتت منازلهم في الفضل، وهذا محمول على الغالب والأكثرية، فقد وجد فيمن بعد الصحابة من القرنين من وجدت فيه الصفات المذكورة المذمومة لكن بقلة، بخلاف من بعد القرون الثلاثة فان ذلك كثر فيهم واشتهر."(٧)

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس / مكتبة الرشد / الرياض / ١٤١٥هـ / الطبعة: الأولى / تحقيق: إبراهيم سعيداي / ج١ صـ ٤٨

(٢) انظر سير أعلام النبلاء / محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله / مؤسسة الرسالة / بيروت / ١٤١٣هـ / الطبعة: التاسعة/ تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي. كلاً في ترجمته

(٣) شرح العقيدة الطحاوية / ابن أبي العز الحنفي ج١ صـ ٢٧٦

(٤) أنظر سير أعلام النبلاء / الذهبي ج١٥ صـ ٤٩٩

(٥) التحفة المدنية في العقيدة السلفية / الشيخ العالم العلامة حمد بن ناصر بن عثمان آل معمر/ دار العاصمة للنشر والتوزيع / الرياض / ١٤١٣هـ/ الطبعة: الأولى/ تحقيق: عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم / ج١ صـ ٢٤

(٦) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم ومن صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه ج٣ صـ ١٣٣٥ حديث رقم ٣٤٤٩

(٧) فتح الباري / ابن حجر ج ٧ صـ ٧

فإذا أضفنا هذا إلى ما تقدم عند المحدثين وأهل اللغة، تبين لنا أن السلف هم أهل القرون الثلاثة الأولى، فإذا كان القرن مائة عام، فقرن سيدنا رسول الله ﷺ انتهى سنة مائة وعشرة هجريه، وعلى هذا يبدأ القرن الثاني من سنة مائة وعشرة للهجرة وينتهي سنة مائتين وعشرة للهجرة حيث يبتدئ القرن الثالث، والذي ينتهي سنة ثلاثمائة وعشره للهجرة وهى السنة التي توفى فيها المفسر المشهور ابن جرير الطبري وقد عُرف تفسيره عند أكثر أهل العلم بأنه من تفاسير السلف.

وللعلماء آراء في هذا يصعب حصرها وأرى أن أجمل من وفق إلى تعريف السلف الأمام السفاريني رحمه الله صاحب الأنوار البهية حيث قال:" المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وأعيان التابعين لهم بإحسان وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شُهِد له بالإمامة، وعُرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلف عن سلف، دون من رُمي ببدعة، أو شُهِر بلقب غير مرضي مثل الخوارج والروافض(١) والقدرية(٢) والمرجئة والجبرية(٣) والجهمية والمعتزلة والكرامية ونحو هؤلاء."(٤)

---

(١) الروافض قوم من الشيعة سموا بذلك لأنهم تركوا زيد بن علي رضى الله عنه قال الأصمعي كانوا بايعوه ثم قالوا له ابرأ من الشيخين نقاتل معك فأبى وقال كانا وزيري جدي فلا أبرأ منهما فرفضوه

(٢) أول من أحدث القول بنفي القدر في الإسلام كما ينقل ابن بطة رجل من أهل العراق يقال له سيبويه البقَّال ويسميه البعض السوسن ويكنى أبا يونس، كان نصرانيا فأسلم ثم تنصر ولم يكن له تبع على هذا الرأي في البداية سوى الملحدين ثم أخذ عنه معبد الجهني فدعا الناس إلى هذه المقالة فأخذ غيلان الدمشقي عن معبد (انظر الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ابن بطة ج١ صـــ ١٤٦) والقدرية يقولون بخلق القرآن ووصفوا الله بصفات المخلوقين وقالوا الأفاعيل كلها من البشر ليست من الله (انظر خلق أفعال العباد / محمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي / دار المعارف السعودية / الرياض / ١٣٩٨هـــ ـــ ١٩٧٨م / تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة صـــ ١١٤ والملل والنحل / الشهرستاني ج١ صـــ ١٩ والفرق بين الفرق / البغدادي ج١ صـــ ١٤

(٣) الجبرية ليست فرقة من الفرق لكنه مذهب اجتمع في كثير من الفرق وهم الذين يقولون ليس للعبد قدرة و لا فعل ولا يسمى غير الله قادرا، والعبد مجبور على فعله وأنه لا اختيار له في ذلك بل هو ملجأ إليها والكل فعل الله وليس للمخلوق فيه تأثير أصلا وهم على عكس القدرية. (انظر مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج١٧ صـــ ٤٤٧، والبحر المحيط / أبو حيان الأندلسي ج١ صـــ ٥٧٦، وفتح الباري / ابن حجر ج١١ صـــ ٤٩٠) وقال ابن عابدين والجبرية اثنتان متوسطة تثبت للعبد كسبا في الفعل كالأشعرية وخالصة لا تثبته كالجهمية؛ فالجبرية يطلق عليهما لكن الجبرية الخالصة يقولون إن العبد بمنزلة الجمادات وأن الله تعالى لا يعلم الشيء قبل وقوعه، وأن علمه حادث لا في محل، وأنه سبحانه لا يتصف بما يوصف به غيره كالعلم والقدرة، وأن الجنة والنار يفنيان. (حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة / علاء الدين محمد بن محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز الدمشقي الحنفي الشهير بابن عابدين / دار الفكر للطباعة والنشر/ بيروت / ١٤٢١هـــ ـــ ٢٠٠٠م / ج٦ صـــ ٢٩٨)

(٤) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية / شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي / الناشر : مؤسسة الخافقين ومكتبتها / دمشق /١٤٠٢ هـــ ـــ ١٩٨٢ م / الطبعة: الثانية / ج١ صـــ ٢٠

وقد رجحت هذا التعرف لسببين أساسيين : ــ **أولهما** أن هذا التعريف يتطابق مع المعنى اللُغوي لكلمة السلف.

ثانيهما ما درج عليه العلماء السابقون وحتى عصرنا الحاضر من إطلاق مذهب السلف دون تقيده بزمن معين وكأنهم أرادوا به المنهج دون الالتفات إلى الزمن.

فحصر مفهوم السلف بوقت زمني غير دقيق ، وخصوصا أن النصوص المعتمدة في إثبات ذلك ليست صريحة بل تعتمد على الفهم والاستنباط ، كما أن هناك ما يناقضها على أرض الواقع ؛ وخصوصا إذا عرفنا أن هناك من الفرق الضالة بل أكثرها ضلالا نشأت في ذلك الزمن الذي عزو إليه تعريفهم ، لا بل يكفيك وجود عبد الله بن سبأ وأتباعه في عهد النبي ﷺ .

فثبت بذلك أن وجود الإنسان في ذلك العصر لا يكفي للحكم عليه بأنه على منهج السلف إلا إذا وافق منهج الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم من علماء الأمة وأعلامها في استباط أحكام الشريعة من القرآن والسنة والأصول التي وضعوها لذلك ، وهذا يؤيد ترجيحنا لقول الأمام السفاريني رحمه الله .

وضوابط التكفير عند السلف من المسائل العظيمة التي تحرى السلف في الحكم على الناس فيها، فلم تكن أحكامهم مبنية على ظنون وأوهام أو دعاوى لا يملكون عليها بيِّنات، وذلك اقتداءً منهم بالنبي ﷺ حين قال:" أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله."(١) والشاهد من الحديث قوله ﷺ: (وحسابهم على الله) قال البغدادي:" وأما في الآخرة فحسابه على الله عز وجل، فإن كان صادقاً أدخله الله بذلك الجنة، و إن كان كاذباً فإنه من جملة المنافقين في الدرك الأسفل من النار، كما كان النبي ﷺ يعامل المنافقين ويجريهم على أحكام المسلمين في الظاهر مع علمه بنفاق بعضهم في الباطن."(٢)

وقال الحافظ رحمه الله في الفتح:" أي أمر سرائرهم. وفيه دليل على قبول الأعمال الظاهرة والحكم بما يقتضيه الظاهر."(٣)

وما ذكرته سابقا المقصود به الحكم الدنيوي على الشخص بالإسلام أو الكفر، أما الحكم على الحقيقة فلا سبيل إليه، يقول الإمام الشاطبي رحمه الله مبيناً أهمية هذا الأصل وخطورة إهماله:" إن أصل الحكم بالظاهر مقطوع به في الأحكام خصوصاً، وبالنسبة إلى الاعتقاد في الغير عموماً، فإن سيد

---

(١) أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه كتاب الإيمان باب ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾[التوبة:٥] ج ١ صــ ١٧ حديث رقم ٢٥

(٢) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم / ابن رجب الحنبلي صــ ٨٨

(٣) فتح الباري / ابن حجر ج١ صــ ٧٧

البشر مع إعلامه بالوحي يجري الأمور على ظواهرها في المنافقين وغيرهم، و إن علم بواطن أحوالهم، ولم يكن ذلك بمخرجه عن جريان الظواهر على ما جرت عليه."(١)

هدي القرآن والسنة في ضبط التكفير

حيث جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية ما يؤكد على هذا القيد الذي هو أصل في مذهب السلف فقال تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء:٩٤] قال الشوكاني رحمه الله:" والمراد هنا: لا تقولوا لمن ألقى بيده إليكم واستسلم لست مؤمناً فالسلم والسلام كلاهما بمعنى الاستسلام، وقيل هما بمعنى الإسلام؛ أي لا تقولوا لمن ألقى إليكم التسليم فقال السلام عليكم : لست مؤمناً والمراد نهي المسلمين عن أن يُهملوا ما جاء به الكافر مما يستدل به على إسلامه ويقولوا إنه إنما جاء بذلك تعوذاً وتقية ."(٢) و في حادثة أسامة بن زيد المشهورة قال:" بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فصبحنا الحرقات من جهينة فأدركت رجلا فقال لا اله إلا الله فطعنته، فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: أقال لا اله إلا الله وقتلته، قال: قلت يا رسول الله إنما قالها خوفا من السلاح. قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم قالها أم لا. فما زال يكررها على حتى تمنيت أنى أسلمت يومئذ."(٣)

وتوفي النبي ﷺ والصحابة كلهم على هذه العقيدة لا يكفرون أحداً من المسلمين شهد بشهادة التوحيد وأدى مظاهر الإسلام. دون البحث عن السرائر والخوض في مسائل كثرت في عهد من بعدهم. اللهم إلا بعض الأحداث التي حدثت نستطيع من خلالها أن نستشف مذهب الصحابة والتابعين وتابعيهم في ضوابطهم للتكفير.

بعد وفاة النبي ﷺ

وأول ما أعرضُ له ما حدث بعد وفاة النبي ﷺ وانقسام الناس بين مرتد ومانع للزكاة وكيف حكم عليهم الصحابة رضوان الله عليهم. فحين انتشر خبر موت النبي ﷺ في الجزيرة العربية كان العرب على قسمين: منهم من كان قد أسلم قبل ذلك، ومنهم من بقي على دينه .أما غير المسلمين منهم فقد قويت شوكتهم وظهرت معارضتهم، وأما المسلمون فإنهم تربصوا وتريثوا واشرأبت أعناق الجميع إلى المدينة يتنسمون أخبارها، وهؤلاء كانوا فريقين : ــ

---

(١) الموافقات في أصول الفقه / أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي الشهير بالشاطبي / دار المعرفة / بيروت / تحقيق: عبد الله دراز / ج٢ صــ ٢٧١

(٢) فتح القدير / الشوكاني ج١ صــ ٥٠١

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله ج١ صــ ٩٦ حديث رقم ٩٦

* فريق منع الزكاة فقط زاعماً أنها أتاوة تدفع إلى الرسول ﷺ ، فإذا مات الرسول ﷺ أصبحوا في حل من دفعها إلى خليفته ، وفي شأن هذا الفريق عارض عمر أبا بكر في حربهم محتجّاً بقوله ﷺ :" أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابهم على الله."(١)

* فريق ارتد عن الإسلام ولم يكونوا مسلمين حقاً وما فهموا أركانه ولا موجباته، وكان غالبيتهم من أهل البوادي الذين لم يتفقهوا في الدين كأهل مكة والمدينة لمجاورتهم النبي ﷺ وأمثال هؤلاء الذين قال الله تعالى فيهم:﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحُجُرات:١٤] " قالت عائشة رضي الله عنها لما توفي رسول الله ﷺ نجم النفاق وارتدت العرب واشرأبت اليهودية والنصرانية وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم حتى جمعهم الله على أبي بكر فلقد نزل بأبي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها، فو الله ما اختلفوا فيه من أمر إلا طار أبي بعلائه وغنائه، وكان من رأى ابن الخطاب أنه خُلق عونا للإسلام. كان والله أحوذيا ــ غير متردد في اتخاذ قراره ــ نسيج وحده . قد عُد للأمور أقرانها."(٢)

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:" وذلك أن العرب افترقت في ردتها فقالت فرقة لو كان نبياً ما مات وقالت فرقة انقضت النبوة بموته فلا نطيع أحداً بعده وفي ذلك يقول قائلهم

أطعنا رسول اللّه ما كان بيننا ... فوا عَجَبَا ما بالُ مُلك أبي بكر

أيورثنا بكراً إذا مات بعده ... وتلك لعمر اللّه قاصمة الظهر

وقالت فرقة نؤمن بالله وقال بعضهم نؤمن بالله ونشهد أن محمداً رسول الله ولكن لا نعطيكم أموالنا، فجادل الصحابة أبا بكر رضي الله عنهم وقالوا: احبس جيش أسامة فيكون أماناً بالمدينة وأُرفق بالعرب حتى يتفرج هذا الأمر، فلو أن طائفة ارتدت قلنا قاتل بمن معك من ارتد. وقد أصفقت العرب على الارتداد، وقدم على أبي بكر عيينة بن حصن والأقرع بن حابس في رجال من أشراف العرب فدخلوا على رجال من المهاجرين فقالوا: إنه قد ارتد عامة من ورائنا عن الإسلام وليس في أنفسهم أن يؤدوا إليكم ما كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ فإن تجعلوا لنا جُعلاً كفيناكم. فدخل الصحابة على أبي بكر فعرضوا عليه ذلك وقالوا: نرى أن تطعم الأقرع وعيينة طُعْمة يرضيان بها ويكفيانك مَن وراءهما حتى يرجع إلينا أُسامة وجيشه ويشتد أمرك، فإنّا اليوم قليل في

(١) سبق تخريجه انظر الصفحة السابقة

(٢) الإكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء / الكلاعي ج٣ صــ ٨

كثير. فقال أبو بكر: فهل ترون غير ذلك؟ فقالوا: لا قال: قد علمتم أنَّ من عهد نبيكم إليكم المشورة فيما لم يمض فيه أمر من نبيكم، ولا نزل به الكتاب عليكم، وأنا رجل منكم تنظرون فيما أشير به عليكم، وإن الله لن يجمعكم على ضلالة فتجتمعون على الرشد في ذلك، فأما أنا فأرى أن ننبذ إلى عدونا فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، وألاَّ ترشون على الإسلام فنجاهد عدوه كما جاهدهم، والله لو منعوني عقالا لرأيت أن أجاهدهم عليه حتى آخذه. وأما قدوم عيينة وأصحابه إليكم فهذا أمر لم يغب عنه عيينة هو راضيه ثم جاءوا له، ولو رأوا ذباب السيف لعادوا إلى ما خرجوا منه أو أفناهم السيف فإلى النار، قتلناهم على حق منعوه وكفر اتبعوه. فبان للناس أمرهم. فقالوا له: أنت أفضلنا رأياً ورأينا لرأيك تبع. فأمر أبو بكر رضي الله عنه الناس بالتجهز وأجمع على المسير بنفسه ."(١)

بداية الفتنة بالخروج على عثمان رضي الله عنه ومقتله

بعد انتهاء حروب الردة استقام الأمر لدولة الإسلام ومضت خلافة أبى بكر وعمر رحمهما الله والناس منشغلة في الفتوحات، ونشر دين الله لم تحدث بينهم أراء واختلافات حول التكفير. وذلك بعد أن منَّ الله على المسلمين بإخماد فتنة الردة. وبقى الباب موصداً دون الفتن في هذه الأمة، وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يسأل حذيفة رضي الله عنه عن هذه الفتنة التي أخبر عنها النبي ﷺ كما روى البخاري رحمه الله:" أن حذيفة قال لعمر رضي الله عنهما لما سأله عن الفتنة التي تموج موج البحر: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها باباً مغلقاً، قال عمر: أيكسر الباب أم يفتح؟ قال: لا بل يكسر، قال عمر: إذاً لا يغلق أبداً."(٢) فلما كسر الباب بقتل عثمان رضي الله عنه انطلقت الفتن في هذه الأمة، فلا تقف إلا بقتل الدجال، ثم هلاك يأجوج و مأجوج في آخر الزمان.

قال أعلم الصحابة بالفتن، وأمين سر النبي ﷺ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه:" أول الفتن قتل عثمان رضى الله عنه، وآخر الفتن خروج الدجال، والذي نفسي بيده لا يموت رجل وفي قلبه مثقال حبة من حُبٍّ قتل عثمان إلا تبع الدجال إن أدركه، وإن لم يدركه آمن به في قبره."(٣) قال ابن كثير رحمه الله:" لقد طاشت عقول المسلمين من قتل عثمان رضي الله عنه، وعظم ذلك في نفوسهم،

---

(١) مختصر السيرة / محمد بن عبد الوهاب / مطابع الرياض / الرياض/ الطبعة: الأولى / تحقيق: عبد العزيز بن زيد الرومي ، د . محمد بلتاجي ، د . سيد حجاب / صــ ٢٥٨ ، ٢٥٩

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الفتن باب الفتنة التي تموج كموج البحر ج ٦ صــ ٢٥٩٩ حديث رقم ٦٦٨٣

(٣) تاريخ الخلفاء / عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي / مطبعة السعادة / مصر / ١٣٧١هــ ــ ١٩٥٢م / الطبعة: الأولى/ تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد / ج١ صــ ١٦٢ وذكره ابن كثير في البداية والنهاية عن ابن عساكر ج٧ صــ ١٩٢

وضاقت حيلتهم؛ من شدة الفتنة، وألم المصيبة، وهول الفاجعة؛ حتى إن علياً دخل على عثمان رضي الله عنهما وهو مقتول فوقع عليه، وجعل يبكي، فظنوا أنه سيلحق به من شدة ما أَلَمَّ به."(١)

ورغم ما مر بأمير المؤمنين علي رضي الله عنه من مصائب وحروب وفتن فإنه ما نسي مقتل عثمان رضي الله عنه، وتذّكره وهو يقابل خصومه في موقعة الجمل لقتالهم:" قال قيس بن عباد رحمه الله: سمعت علياً رضي الله عنه يوم الجمل يقول: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان، وأنكرت نفسي، وجاءوني للبيعة فقلت: والله إني لأستحيي من الله أن أبايع قوماً قتلوا رجلاً قال له رسول الله ﷺ :(ألا أستحيي ممن تستحيي منه الملائكة) (٢) وإني لأستحيي من الله أن أبايع وعثمان قتيل على الأرض لم يدفن بعد فانصرفوا، فلما دفن رجع الناس فسألوني البيعة فقلت: اللهم إني مشفق مما أقدم عليه، ثم جاءت عزيمة فبايعت، فلقد قالوا: يا أمير المؤمنين، فكأنما صُدِع قلبي، وقلت: اللهم خذ مني لعثمان حتى ترضى."(٣)

ما كان الصحابة رضي الله عنهم ليُفجعوا بمقتل عثمان هذه الفجيعة العظيمة لولا علمهم أن لهذا الحدث ما وراءه، فما كان لأمةٍ أن تخرج على سلطانها، وتقتل خليفتها، ثم تأمن بعد ذلك. لقد أدرك الصحابة والتابعون رضي الله عن جميعهم حجم هذه الكارثة، وعلموا مقدار تلك الفتنة؛ فكانت فجيعتهم على قدر الحدث، ووصفهم لآثاره وقع كما ظنوا، وأن دم عثمان رضي الله عنه الذي أُهريق ظلماً وعدواناً ستتبعه دماء كثيرة لن يتوقف نزيفها إلا بخروج الدجال؛ فوقع الأمر كذلك في القرون الماضية في كثير من الأمصار، ومنذ مقتل عثمان رضي الله عنه وفتن الدماء يأخذ بعضها برقاب بعض إلى يومنا هذا. و كان مقتل عثمان رضي الله عنه في سنة خمس وثلاثون بعد الهجرة، ثم تلتها فتنٌ عظيمة، كما تنبئ بذلك رسول الله ﷺ بقوله:" قال تدور رحى الإسلام على رأس خمس وثلاثين أو ستة وثلاثين أو سبع وثلاثين فإن هلكوا فسبيل من هلك وإن بقوا يقم لهم دينهم سبعين سنة."(٤)

و قد ثبت يقيناً أن أحداً من الصحابة لم يرض بما حل لعثمان رضي الله عنه، فضلاً أن يكون قد أعان على قتله. فقد ثبت عن الحسن البصري رحمه الله ــ وهو شاهد عيان قال الذهبي رحمه الله:" وكان يوم الدار ابن أربع عشرة سنة" (٥) عندما سُئِل" أكان فيمن قتل عثمان أحد من المهاجرين والأنصار؟ فقال:لا

---

(١) البداية والنهاية / ابن كثير ج ٧ صــ ١٩٣

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة رضى الله تعالى عنهم باب من فضائل عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ج٤ صــ ١٨٦٦ حديث رقم ٢٤٠١

(٣) البداية والنهاية / ابن كثير ج ٧ صــ ١٩٣

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل / أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني / مؤسسة قرطبة / مصر / ج١ صــ ٣٩٠ حديث رقم ٣٧٠٧ج١ صــ ٣٩٠ حديث رقم ٣٧٠٧ وأخرجه الحاكم في مستدركه كتاب معرفة الصحابة ج٣ صــ ١٢٣ حديث رقم ٤٥٩٣ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه

(٥) تذكرة الحفاظ / أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي / دار الكتب العلمية / بيروت / الطبعة: الأولى / ج١ صــ ٧١

كانوا أعلاجاً من أهل مصر."[1] ولكن عثمان رضي الله عنه أمرهم بعدم القتال و شدّد عليهم في ذلك. قال ابن عساكر فيما يرويه عن قيس بن أبي حازم رحمه الله:" فلما كان يوم الدار وحصر فيها قلنا: يا أمير المؤمنين ألا تقاتل قال: إن رسول الله ﷺ عهد إلي عهدا وإني صابر نفسي عليه."[2]

يقول ابن خلدون رحمه الله:" إن الأمر في أوله خلافة، ووازع كل أحد فيها من نفسه هو الدين، و كانوا يؤثرونه على أمور دنياهم وإن أفضت إلى هلاكهم وحدهم دون الكافة، فهذا عثمان لما حصر في داره جاءه الحسن والحسين وعبد الله بن عمر وابن جعفر رضى الله عنهم وأمثالهم يريدون المدافعة عنه، فأبى و منع سلّ السيوف بين المسلمين مخافة الفرقة، و حفظاً للألفة التي بها حفظ الكلمة و لو أدّى إلى هلاكه ."[3]

الخلاف بين الصحابة رضوان الله عليهم في القصاص من قتلة عثمان

ثم نشأ الخلاف بين الصحابة رضوان الله عليهم في الطريقة التي يؤخذ بها القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه، ولم يكن الخلاف الذي نشأ بين أمير المؤمنين على من جهة، وبين طلحة والزبير وعائشة رضى الله عنهم من جهة أخرى، ثم بعد ذلك بين على ومعاوية رضى الله عنهما لم يكن سببه ومنشؤه أن هؤلاء كانوا يقدحون في خلافة أمير المؤمنين على وإمامته وأحقيته بالخلافة والولاية على المسلمين، فقد كان هذا محل إجماع بينهم. قال ابن حزم رحمه الله:" ولم ينكر معاوية قط فضل علىّ واستحقاقه الخلافة، ولكن اجتهاده أداه إلى أن رأى تقديم أخذ القَوَد من قتلة عثمان رضي الله عنه على البيعة، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان."[4]

وقال ابن تيمية رحمه الله:" ومعاوية رضي الله عنه لم يَدَّعِ الخلافة، ولم يُبايع له بها حين قاتل عليًا رضي الله عنه، ولم يقاتل على أنه خليفة، ولا أنه يستحق الخلافة، ويقرون له بذلك، وقد كان معاوية رضي الله عنه يقر بذلك لمن سأله عنه، ولا كان معاوية رضي الله عنه وأصحابه يرون أن يبتدئوا عليا رضي الله عنه وأصحابه بالقتال، ولا فعلوا. وقال أيضا: وكل فرقة من المتشيعين مقرة مع ذلك بأن معاوية ليس كفئا لعليّ بالخلافة، ولا يكون خليفة مع إمكان استخلاف عليّ رضي الله عنه، فإن فضل عليّ وسابقته وعلمه ودينه وشجاعته وسائر فضائله كانت عندهم ظاهرة معلومة كفضل إخوانه أبى بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم."[5]

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط / خليفة بن خياط الليثي العصفري أبو عمر/ دار القلم / مؤسسة الرسالة / دمشق ، بيروت / ١٣٩٧هـ / الطبعة: الثانية / تحقيق: د. أكرم ضياء العمري / صـــ ١٧

(٢) تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل / أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي / دار الفكر / بيروت / ١٩٩٥م / تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري / ج٣٩ صـــ ٢٨٥

(٣) مقدمة ابن خلدون / ابن خلدون صـــ ٢٠٧، ٢٠٨

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل / ابن حزم ج٤ صـــ ١٢٤

(٥) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٣٥ صـــ ٧٢ ، ٧٣

قال النووي رحمه الله:" واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة، فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام: قسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف، وأن مخالفه باغ، فوجب عليهم نصرته، وقتال الباغي فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك، ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده، وقسم عكس هؤلاء: ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر، فوجب عليهم مساعدتهم وقتال الباغي عليه، وقسم ثالث: اشتبهت عليهم القضية، وتحيروا فيها، ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين، وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين، وأن الحق معه، لما جاز لهم التأخر عن نصرته في قتال البغاة عليه."(١)

الخلاصة

وقد أوردت هذه الأقوال لأثبت أنه رغم الخلاف الذي حدث بين الصحابة رضوان الله عليهم، وأفضى إلى الحرب والقتال بينهم لم نجد أحدا منهم قد كفر الآخر. ولم نرهم أجمعوا في هذه الحقبة الزمنية من الخلافة الراشدة إلا على تكفير أهل الردة، واجتمعوا على قتالهم حتى خمدت الردة ولم تقم لها قائمة. فحين سئل أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه عن خصومه في موقعة الجمل وصفين:" أمشركون هم؟ قال: من الشرك فروا. قيل أمنافقون هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا. قيل فما هم؟ قال إخواننا بغوا علينا."(٢)

وقال ابن تيمية رحمه الله بعد أن ذكر ذلك أنه رضي الله عنه صلى على قتلى الطائفتين في صفين.

فمن أين نشأت فكرة التكفير؟

إن مقتل عثمان رضي الله عنه وما تبعها من فتنة بين المسلمين من أخطر الأحداث التي مرّت بها الدولة الإسلامية في عصر الخلافة الراشدة، والتي كادت تودي بها ، وأخطر ما فيها أن تبعتها فتنن داخلية أفرزت أفكاراً ومذاهب واعتقادات لا تزال الأمة تعاني منها حتى اليوم .

لمّا استمر القتال بين علي ومعاوية رضي الله عنهما في وقعة صفين، وكانت كفة القتال في صالح علي رضي الله عنه، أشار عليه عمرو بن العاص رضي الله عنه برفع المصاحف بالرماح طلبا للتحاكم إلى كتاب الله، فأيد ذلك القراء في جيش علي رضي الله عنه والذين صاروا بعد ذلك خوارج. بل دعوا عليا إلى الأخذ بذلك وهددوه إن امتنع. ويظهر من الروايات التاريخية أن عليا رضي الله عنه كان ممتنعا عن قبول ذلك في بادئ الأمر ثم إنه قبله بعد ذلك والتزم بما تعاهدوا عليه.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج١٥ صـ ١٤٩

(٢) سنن البيهقي الكبرى / أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي / مكتبة دار الباز / مكة المكرمة / ١٤١٤هـ ــ ١٩٩٤م / تحقيق: محمد عبد القادر عطا / ج٨ صـ ١٧٣ حديث رقم ١٦٤٩٠، وانظر تفسير القرطبي ج١٦ صـ ٣٢٤ ، ومجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٢٨ صـ ٥١٦

والمقصود أن الخوارج في بادئ الأمر كانوا مع التحكيم حتى إنهم قالوا لعلي رضي الله عنه:" يا علي أجب إلى كتاب الله عز وجل إذ دعيت إليه، وإلا دفعناك برمتك إلى القوم، أو نفعل بك ما فعلنا بابن عفان. قال: فاحفظوا عني نهيي إياكم، واحفظوا مقالتكم لي، فإن تطيعوني فقاتلوا وإن تعصوني فاصنعوا ما بدا لكم."(١)

ثم إنهم بعد الاتفاق على قضية التحكيم رجعوا عن رأيهم، وعارضوا عليا رضي الله عنه وخرجوا عليه، وصار لهم تجمع وإمارة وانشقوا عن جماعة المسلمين، وقد جاء أن عليا رضي الله عنه ناظرهم وقال:" فما أخرجكم علينا ؟ قالوا: حكومتك يوم صفين."(٢)

ورغم كل الذي حدث منهم من تكفير له ولعثمان رضي الله عنهما وخروجهم عليه ومحاربتهم له وتكفيرهم للحكمين ولمن رضي بالتحكيم قال البغدادي رحمه الله:" يجمع الخوارج على تكفير علي وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين ومن صوبهما أو صوب أحدهما أو رضي بالتحكيم."(٣) فإن أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه لم يكفرهم ولم يبدأهم بالقتال ما لم يقاتلوه، وأعطاهم من فَيء المسلمين حين شاركوه في القتال. وهذا يدل على دقة السلف في ضبط هذا الأمر، وتحريهم في تكفير أحد من المسلمين فقد قال عنهم رضي الله عنه حين سُئل عن الحرورية:" من هؤلاء يا أمير المؤمنين أكفار هم ؟ قال : من الكفر فروا . قيل : فمنافقين ؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا وهؤلاء يذكرون الله كثيرا . قيل : فما هم ؟ قال : قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا."(٤) وحين جادله أحد الخوارج وهو يخطب قال رضي الله عنه:" إن لكم علينا أن لا نمنعكم مساجدنا ما لم تخرجوا علينا ولا نمنعكم نصيبكم من هذا الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا."(٥)

وكذا الأمام أحمد رحمه الله حين امتحن بفتنة خلق القرآن فعذب وضرب وسجن حتى كاد يفارق الحياة لم يقدم على تكفير أحد من خصومه، بل كان يدعوا في خطبه لخليفة المسلمين الذي خالفه بالقول في خلق القرآن قال ابن تيمية رحمه الله:" ثم إن الإمام أحمد رحمه الله دعا للخليفة وغيره ممن ضربه وحبسه واستغفر لهم وحللهم مما فعلوه به، ولو كانوا مرتدين عن الإسلام لم يجز الاستغفار لهم فإن الاستغفار للكفار لا يجوز بالكتاب والسنة والإجماع، وهذه الأقوال والأعمال منه ومن غيره من الأئمة

---

(١) الكامل / ابن الأثير ج٣ صـــ ١٩٣ وانظر البداية والنهاية / ابن كثير ج٧ صـــ ٢٧٤

(٢) الكامل / ابن الأثير ج ٣ صـــ ٢٠٣

(٣) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية/ عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور/ دار الآفاق الجديدة / بيروت / ١٩٧٧م/ الطبعة: الثانية / ج١ صـــ ٥٦

(٤) مصنف عبد الرزاق / أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني / المكتب الإسلامي / بيروت / ١٤٠٣هـــ/ الطبعة: الثانية / تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي / كتاب اللقطة باب ما جاء في الحرورية / ج١٠ صـــ ١٥٠ رقم ١٨٦٥٦ ، وانظر التمهيد / ابن عبد البر ج٢٣ صـــ ٣٣٥

(٥) البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ صـــ ٢٨٥ ، الفرق بين الفرق / البغدادي ج١ صـــ ١١

صريحة في أنهم لم يكفروا المعينين من الجهمية الذين كانوا يقولون القرآن مخلوق وان الله لا يرى في الآخرة."[(١)]

هكذا كان منهج السلف من الصحابة رضى الله عنهم والتابعين رحمهم الله يتورعون في تكفير أحد من المسلمين حتى يتأتى منه كفر واضح بين، ومن سار من بعدهم نهج على نهجهم، ولما عمت البلوى في هذا المجال جاء علماء السلف من بعدهم ووضعوا ضوابط عامة للتكفير. ومن الملاحظ أن بعض المتعلمين ــ حتى بعض العلماء ــ حين يتكلم عن التكفير يخلط بين الضوابط والشروط والموانع. وبعد البحث والتدقيق وجدت أن الضوابط هي الإطار العام لضبط الموضوع، وتوفر الشروط هو أحد الضوابط يندرج تحته انتفاء الموانع فوضعتها تحت عنوان واحد وهو ضوابط التكفير فجاءت كما يلي : ــ

أولا : ــ الحكم بالظاهر للمسلم بإسلامه.

ثانيا : ــ الاحتياط في تكفير المعين (ليس كل من قال الكفر أو عمله يكون كافرا) أي التفريق بين الحكم على القول والشخص المعين.

ثالثا : ــ قيام الحجة (البينة).

رابعا : ــ عدم التكفير بكل ذنب.

خامسا : ــ التحقق من استيفاء شروط التكفير وانتفاء موانعه بأن يقول أو يعمل ما لا يؤول إلا بكفر.

أولا : ــ الحكم بالظاهر

والمراد من الحكم بالظاهر هو حكمنا بالإسلام للشخص إذا نطق بالشهادتين ولم يأت بكفر واضح بين من فعل أو قول دون الشك فيما يضمره في قلبه. وبذا نجري عليه أحكام المسلمين في العبادات كالمواريث والجنازة وكذا في المعاملات كالنكاح. وهذا الحكم منا حكما دنيويا لا يلزم منه أن يطابق حكم الآخرة، إذ أن ذلك لا يعلمه إلا الله سبحانه. وأوردت فيما سبق تورع السلف الصالح في تكفير الناس وبيّنت شدة حرصهم في حكمهم على الظاهر، وضربت من الأمثلة ما يؤيد ذلك كمعاملة النبي ﷺ للمنافقين، وحديث أسامة الذي قتل الرجل بعد الشهادة، وموقف على رضي الله عنه من الخوارج. وأوردت في أول المطلب من الأدلة والشروح عليها ما أغنى عن إعادتها هنا.

ثانيا : ــ الاحتياط في تكفير المعين أي التفريق بين الحكم على القول والمعين (ليس كل من قال الكفر أو عمله يكون كافرا)

وهذا احتراز عظيم من السلف في التفريق بين التكفير المطلق وتكفير المعين؛ فالتكفير المطلق هو الحكم على القول أو الفعل أو الاعتقاد الذي ينافي أصل من أصول الإسلام دون

(١) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج ١٢ صـــ ٤٨٩

تحديد شخص بعينه. أما تكفير المعين فهو الحكم على المعين ـــ شخص بذاته ـــ بالكفر لإتيانه أمر يناقض الإسلام مع توفر الشروط وانتفاء الموانع. قال شيخ الإسلام رحمه الله:" وليس كل من خالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكا؛ فإن المنازع قد يكون مجتهدا مخطئا يغفر الله خطأه، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته، وإذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة له لا يجب أن يدخل فيها المتأول والقانت وذو الحسنات الماحية والمغفور له وغير ذلك، فهذا أولى بل موجب هذا الكلام أن من اعتقد ذلك نجا في هذا الاعتقاد، ومن اعتقد ضده فقد يكون ناجيا وقد لا يكون ناجيا كما يقال من صمت نجا."(١)

ومذهب السلف الصالح رحمهم الله وسط بين من أطلق التكفير على عنانه كالخوارج الذين كفروا مرتكب الكبيرة، وأوجبوا له الخلود في النار، وبين من تساهلوا في التكفير وقالوا لا يضر مع الإيمان ذنب كالمرجئة. ويتلخص مذهب السلف في أنهم يطلقون التكفير على العموم مثل قولهم من استحل ما هو معلوم من الدين بالضرورة حرمته كَفَر، ومن قال القرآن مخلوق، أو أن الله لا يرى في الآخرة كفر، ولكن تحقق التكفير على المعين لابد له من توفر شروط وانتفاء موانع .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله:" وحقيقة الأمر في ذلك أن القول قد يكون كفرا فيطلق القول بتكفير صاحبه، ويقال من قال كذا فهو كافر لكن الشخص المعين الذي قاله لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها، وهذا كما في نصوص الوعيد فان الله سبحانه وتعالى يقول:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[النساء:١٠] فهذا ونحوه من نصوص الوعيد حق، لكن الشخص المعين لا يشهد عليه بالوعيد؛ فلا يشهد لمعين من أهل القبلة بالنار لجواز أن لا يلحقه الوعيد لفوات شرط أو ثبوت مانع."(٢) وقال رحمه الله:" وكثير من أهل المقالات قد أخرج بعض الموجودات عن قدرته ومنع قدرته عن أشياء؛ كحال الذي قال لولده ما قال فهذه المقالات هي كفر لكن ثبوت التكفير في حق الشخص المعين موقوف على قيام الحجة التي يكفر تاركها، وإن أطلق القول بتكفير من يقول ذلك فهو مثل إطلاق القول بنصوص الوعيد مع أن ثبوت حكم الوعيد في حق الشخص المعين موقوف على ثبوت شروطه وانتفاء موانعه، ولهذا أطلق الأئمة القول بالتكفير مع أنهم لم يحكموا في عين كل قائل بحكم الكفار."(٣)

قال الإمام الشوكاني رحمه الله:" اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار، فإنه قد

---

(١) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج ٣ صـــ ١٧٩

(٢) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج ٢٣ صـــ ٢٤٥

(٣) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس / مكتبة العلوم والحكم / ١٤٠٨ هـــ / الطبعة: الأولى / تحقيق: د. موسى سليمان الدويش / صـــ ٣٥٣ ، ٣٥٤

ثبت في الأحاديث الصحيحة المروية من طريق جماعة من الصحابة رضى الله عنهم أن (من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما) هكذا في الصحيح وفي لفظ آخر في الصحيحين وغيرهما (من دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه) أي: رجع. وفي لفظ في الصحيح (فقد كفر أحدهما)[(١)] ففي هذه الأحاديث وما ورد موردها أعظم زاجر وأكبر واعظ عن التسرع في التكفير."[(٢)]

قال ابن حجر رحمه الله:" وقال الغزالي في كتاب التفرقة بين الإيمان والزندقة، والذي ينبغي الاحتراز عن التكفير ما وجد إليه سبيلا، فان استباحة دماء المصلين المقرين بالتوحيد خطأ والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك دم لمسلم."[(٣)]

وقال شيخ الإسلام رحمه الله:" وكنت أُبين لهم أنما نُقل لهم عن السلف والأئمة من إطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا فهو أيضا حقٌ، لكن يجب التفريق بين الإطلاق والتعيين وهذه أول مسألة تنازعت فيها الأمة من مسائل الأصول الكبار وهي مسألة الوعيد."[(٤)] وقال رحمه الله:" لكن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين فإن بعض العلماء قد يتكلم في مسألة باجتهاده فيخطئ فيها فلا يُكَفر، وإن كان قد يُكفر من قال ذلك القول إذا قامت عليه الحجة المكفرة."[(٥)]

شواهد من كتب السلف على الاحتياط في تكفير المعين

وكُتب السلف الصالح فيها من الشواهد على التكفير المطلق ــ قولهم من فعل كذا أو قال كذا فقد كفر ــ مما لا يمكن حصره في هذا المجال أُورد بعض الأمثلة للدلالة.

* قال القرطبي رحمه الله:" كما جهلوا في قولهم أتتخذنا هزوا لمن يخبرهم عن الله تعالى وظاهر هذا القول يدل على فساد اعتقاد من قاله، ولا يصح إيمان من قال لنبي قد ظهرت معجزته إن الله يأمرك بكذا أتتخذنا هزؤا، ولو قال ذلك اليوم أحد عن بعض أقوال النبي ﷺ لوجب تكفيره."[(٦)].

---

(١) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال ج٥ صــ ٢٢٦٤ حديث رقم ٥٧٥٣ والإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر ج١ صــ ٧٩ حديث رقم ٦٠

(٢) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار / محمد بن علي بن محمد الشوكاني / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤٠٥هــ / الطبعة: الأولى / تحقيق: محمود إبراهيم زايد / ج ٤صــ ٥٧٨

(٣) فتح الباري / ابن حجر ج١٢ صــ ٣٠٠

(٤) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٣ صــ ٢٣٠

(٥) المرجع السابق ج٣٥ صــ ٩٩

(٦) تفسير القرطبي ج١ صــ ٤٤٧

* وقال ابن حجر رحمه الله:" الصحيح في تكفير منكر الإجماع تقييده بإنكار ما يعلم وجوبه من الدين بالضرورة كالصلوات الخمس ومنهم من عبر بإنكار ما علم وجوبه بالتواتر ومنه القول بحدوث العالم وقد حكى عياض وغيره الإجماع على تكفير من يقول بقدم العالم."[١]

* وقد جعل بعض أهل الحديث أبوابا في تكفير الفعل والقول كالبيهقي رحمه الله الذي بوب بابين على سبيل المثال فقال:" باب ما جاء في تكفير من ترك الصلاة عمداً من غير عذر."[٢] و" باب تكفير الساحر وقتله إن كان ما يسحر به كلام كفر صريح."[٣]

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:" ومن سمعه وقال إنه كلام البشر فقد كفر. لا شك في تكفير من أنكر أن القرآن كلام الله بل قال إنه كلام محمد أو غيره من الخلق ملكا كان أو بشرا."[٤]

* قال ابن عابدين رحمه الله:" وقد ذكر في المحيط أن بعض الفقهاء لا يكفر أحد من أهل البدع، وبعضهم يكفر من خالف منهم ببدعته دليلا قطعيا ونسبه إلى أكثر أهل السنة، والنقل الأول أثبت. نعم يقع في كلام أهل مذهب تكفير كثير. لكن ليس من كلام الفقهاء الذين هم المجتهدون بل من غيرهم، والمنقول عن المجتهدين ما ذكرنا. وابن المنذر أعرف بنقل مذاهب المجتهدين؛ لكن صرح في كتابه المسايرة بالاتفاق على تكفير المخالف فيما كان من أصول الدين وضرورياته؛ كالقول بقدم العالم، ونفي حشر الأجساد، ونفي العلم بالجزئيات؛ وأن الخلاف في غيره كنفي مبادئ الصفات، ونفي عموم الإرادة، والقول بخلق القرآن...الخ."[٥]

ولذلك بوَّب الفقهاء في كتبهم (كتاب المرتد) وذكروا فيه الأحكام المترتبة على من ارتد عن دينه من نكاح وإرث ونحوه. قال ابن قدامة رحمه الله:" وتصرفات المرتد في ردته من بيع وهبة وعتق. وكذلك الأشياء التي يصير بها المسلم كافراً واستتابته فإذا لم يتب قتل إجماعاً."[٦]

تكفير المعين إذا ثبت كفره

وما أسلفت ذكره لا يعني أنهم لا يكفرون من ثبت عليه الكفر وتوفرت شروطه وانتفت موانعه فيه، وهكذا فعل السلف مع من سب الرسول ﷺ، أو من لم يرض بحكمه كما فعل عمر رضي الله عنه ونزل القرآن بإقراره على ذلك. [٧]

---

(١) فتح الباري / ابن حجر ج١٢ صـــ ٢٠٢

(٢) سنن البيهقي الكبرى ج٣ صـــ ٣٦٥

(٣) سنن البيهقي الكبرى ج ٨ صـــ ١٣٥

(٤) شرح العقيدة الطحاوية / أبو العز الحنفي ج١ صـــ ٢٠١

(٥) حاشية ابن عابدين ج٤ صـــ ٢٦٣

(٦) انظر المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني / عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد / دار الفكر / بيروت / ١٤٠٥هـــ / الطبعة: الأولى / ج٩ صـــ ١٦ وما بعدها

(٧) أنظر الصارم المسلول / ابن تيمية ج٢ صـــ ٣٤٤

وكذا قتلهم للسحرة كما في الصحيحين:" عن عمرو بن دينار رحمه الله أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب إلى جَزْء بن معاوية رضى الله عنه عم الأحنف بن قيس وكان عاملا لعمر رضى الله عنه: أن اقتل كل ساحر. وكان بجالة كاتب جَزْء قال بجالة: فأرسلنا فوجدنا ثلاث سواحر فضربنا أعناقهن."[١]

" وكذا فعل خالد بن عبد الله القسري رحمه الله برأس الجهمية الجعد بن درهم[٢]."[٣]

وكذلك بشر المريسي[٤] :" الذي قال بخلق القران وأنكر وجود الجنة والنار وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير والميزان والصراط."[٥] حتى نقل عنه أنه أنكر وجود الله حين جادله عباد بن العوام فقال:" كلمت بشر المريسي وأصحاب بشر فرأيت آخر كلامهم أنه ينتهي إلى أن يقولوا: ليس في السماء شيء."[٦]

قال عبد الله بن الماجشون رحمه الله:" من قال القرآن مخلوق فهو كافر، وسمعته يعنى عبد الله ــ يقصد ابن الإمام احمد رحمهما الله ــ يقول لو وجدت المريسي لضربت عنقه."[٧]

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه كتاب الخراج والإمارة والفيء باب في أخذ الجزية من المجوس ج٣ صــ ١٦٨ حديث رقم ٣٠٤٣ والإمام أحمد في مسنده ج١ صــ ١٩٠ حديث رقم ١٦٥٧ وقال عنه الألباني صحيح

(٢) الجعد بن درهم من أهل الشام مؤدب مروان الحمار أول من قال بخلق القرآن، وهو أول من ابتدع بأن الله ما اتخذ إبراهيم خليلا ولا كلم موسى وأن ذلك لا يجوز على الله. قال المدائني كان زنديقا وقد قال له وهب إني لأظنك من الهالكين لو لم يخبرنا الله أن له يدا وأن له عينا ما قلنا ذلك، وهو شيخ الجهم بن صفوان الذي تنسب إليه الطائفة الجهمية الذين يقولون إن الله في كل مكان بذاته تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، وكان الجعد بن درهم قد تلقى هذا المذهب الخبيث عن رجل يقال له أبان بن سمعان وأخذه أبان عن طالوت ابن أخت لبيد ابن أعصم عن خاله لبيد بن أعصم اليهودي. قتله خالد بن عبد الله القسري يوم عيد الأضحى بالكوفة (سير أعلام النبلاء / الذهبي ج٥ صــ ٤٣٣ وانظر البداية والنهاية / ابن كثير ج٩ صــ ٣٥٠ ، ج١٠ صــ ١٩)

(٣) أنظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة / هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم/ دار طيبة / الرياض / ١٤٠٢هـ / تحقيق: د. أحمد سعد حمدان / ج٢ صــ ٣١٩

(٤) أبو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي الفقيه الحنفي المتكلم هو من موالي زيد بن الخطاب رضي الله عنه أخذ الفقه عن القاضي أبي يوسف الحنفي إلا أنه اشتغل بالكلام، وجرد القول بخلق القرآن وحكي عنه في ذلك أقوال شنيعة وكان مرجئا وإليه تنسب الطائفة المريسية من المرجئة، وكان يقول إن السجود للشمس والقمر ليس بكفر ولكنه علامة الكفر ويقال إن أباه كان يهوديا صياغا بالكوفة (انظر وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان / أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان / دار الثقافة / لبنان / تحقيق: احسان عباس / ج١ صــ ٢٧٧)

(٥) رد الأمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد / تصحيح وتعليق محمد حامد الفقي / دار الكتب العلمية/ بيروت/ الطبعة: الأولى / سنة ١٣٥٨ هـ / المقدمة صــ ر ، ش بتصرف

(٦) رد الأمام الدارمي المقدمة صــ ر

(٧) الرد على من يقول القرآن مخلوق / أحمد بن سلمان النجاد أبو بكر / مكتبة الصحابة الإسلامية / الكويت / ١٤٠٠هـ / تحقيق: رضا الله محمد إدريس صــ ٧٠

وتكفيرهم لابن عربي[1] قال الشيخ البقاعي رحمه الله:" وقال شيخ شيوخنا الإمام القدوة العارف شيخ الإسلام حافظ عصره الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي في كراسة أجاب فيها سؤال من سأله عن بعض كلام ابن عربي هذا وقوله في قوم نوح :﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ [نوح:٢٣] إلى آخره: كلام ضلال وشرك واتحاد وإلحاد فجعل تركهم لعبادة الأوثان التي نهاهم نوح عن عبادتها جهلا يفوت عليهم من الحق بقدر ما تركوا."[2]

وكذا ابن الفارض[3] قال ابن البقاعي رحمه الله:" وأما من يحامي عنه فهو دائر بين اعتقاد ما تضمنه كلامه، وذلك هو الكفر الموجب للسيف في الدنيا والخلود في النار في الأخرى، وبين الذب عنه مع الجهل لما قال وذلك موجب لموادة من حاد الله ورسوله ﷺ الموجبة لعداوتهما الجارة إلى كل شقاء."[4]

وقد نص الشيخ رحمه الله على تواتر الخبر بتكفير العلماء له.

ثالثا : ـــ قيام الحجة

الحجة لغة:

قال السرخسي رحمه الله:" اسم من قول القائل حج أي غلب، ومنه يقال لج فحج، ويقول الرجل حاججته فحججته أي ألزمته بالحجة فصار مغلوبا، ثم سميت الحجة في الشريعة لأنه يلزمنا حق الله تعالى بها على وجه ينقطع بها العذر، ويجوز أن يكون مأخوذا من معنى الرجوع إليه كما قال القائل

---

(١) محيي الدين ابن عربي: الملقب بالشيخ الأكبر ٥٦٠–٦٣٨مرئيس مدرسة وحدة الوجود، يعتبر نفسه خاتم الأولياء، ولد بالأندلس، ورحل إلى مصر، وحج، وزار بغداد، واستقر في دمشق حيث مات ودفن، وله فيها الآن قبر يُزار، طرح نظرية الإنسان الكامل التي تقوم على أن الإنسان وحده من بين المخلوقات يمكن أن تتجلّى فيه الصفات الإلهية إذا تيسر له الاستغراق في وحدانية الله، وله كتب كثيرة يوصلها بعضهم إلى ٤٠٠ كتاب ورسالة ما يزال بعضها محفوظاً بمكتبة يوسف أغا بقونية ومكتبات تركيا الأخرى، وأشهر كتبه: روح القدس ، وترجمان الأشواق وأبرزها: الفتوحات المكية وفصوص الحكم.(انظر الموسوعة الميسرة صـــ ٢٥٩)

(٢) مصرع التصوف (تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي) / برهان الدين البقاعي / عباس أحمد الباز / مكة المكرمة / ١٤٠٠ هـــ ـــ ١٩٨٠م/ تحقيق: عبد الرحمن الوكيل / صـــ ٥٢

(٣) هو حفص أبو القاسم عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي الحموي الأصل المصري المولد والدار والوفاة، المنعوت بالشرف له ديوان شعر لطيف وأسلوبه فيه رائق ظريف ينحو منحى طريقة الفقراء، وله قصيدة مقدار ستمائة بيت على اصطلاحهم ومنهجهم، صاحب الاتحاد الذي قد ملأ به التائية على طريقة المتصوفة المنسوبين إلى الاتحاد. قال ابن كثير: وقد تكلم فيه غير واحد من مشايخنا بسبب قصيدته المشار إليها، وقد ذكره شيخنا أبو عبد الله الذهبي في ميزانه وحط عليه توفي سنة اثنتين وثلاثين وله ست وخمسون سنة(انظر وفيات الأعيان / ابن خلكان ج٣ صـــ ٤٥٤ ، وسير أعلام النبلاء / الذهبي ج٢٢ صـــ ٣٦٨ والبداية والنهاية / ابن كثير ج١٣ صـــ ١٤٣)

(٤) مصرع التصوف / برهان الدين البقاعي صـــ ٢٥٦

يحجون بيت الزبرقان المزعفرا أي يرجعون إليه، ومنه حج البيت فإن الناس يرجعون إليه معظمين له قال تعالى:﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾[البقرة:١٢٥] والمثابة المرجع فسميت الحجة لوجوب الرجوع إليها من حيث العمل بها شرعا."(١)

الحجة اصطلاحا:

قال الراغب رحمه الله:" الحجة هي الدلالة المبينة للمحجة أي المقصد المستقيم والذي يقتضي صحة أحد النقيضين."(٢)

وقال الكفومي رحمه الله:" الحُجة بالضم البرهان وعند النظار أعم منه لاختصاصه عندهم بيقين المقدمات، وما ثبتت به الدعوى من حيث إفادته للبيان يسمى بينة، ومن حيث الغلبة به على الخصم يسمى حجة."(٣) وقال الجرجاني رحمه الله:" الحجة ما دل به على صحة الدعوى وقيل الحجة والدليل واحد."(٤)

ومن المعلوم أن الذي يتولى إقامة الحجة هم العلماء المتخصصون بإشراف ولي أمر المسلمين.

إقامة الحجة منهج رباني

والله سبحانه وتعالى ذكر في كتابه العزيز مواقف عدة طالب فيها أهل الأهواء والمشركين والكفار وأهل الكتاب ببراهين وحجج على ما ادعوه في باطلهم. بل وما طلب منهم الإيمان إلا بعد أن ألزمهم الحجة. وختم سبحانه حجته بإرسال رسول في كل أمة يوضح لهم ويشرح لهم ويناظرهم مدعما قوله بالحجج والبراهين قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٥] وقال تعالى:﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:٨٣]

قال ابن القيم رحمه الله:" فيمتنع أيضا بالنصوص التي ذكرناها وأمثالها من أن الله لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه."(٥) وقال أيضا رحمه الله:" وكان من تمام حكمته ورحمته أنه لم يأخذ الجناة بغير حجة، كما لم يعذبهم في الآخرة إلا بعد إقامة الحجة عليهم، وجعل الحجة التي يأخذهم بها إما منهم وهي الإقرار، أو ما يقوم مقامه من إقرار الحال وهو أبلغ وأصدق من إقرار اللسان."(٦)

---

(١) أصول السرخسي / محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي أبو بكر / دار المعرفة / بيروت / ج١ صـــ ٢٧٧

(٢) المفردات / الأصبهاني صـــ ١٧ وانظر التوقيف على مهمات التعاريف / محمد عبد الرؤوف المناوي / دار الفكر المعاصر / بيروت، دمشق / ١٤١٠هـــ / الطبعة: الأولى / تحقيق د. محمد رضوان الداية / صـــ ٢٦٨

(٣) الكليات / الكفومي صـــ ٤٠٦

(٤) التعريفات / الجرجاني صـــ ١١٢

(٥) طريق الهجرتين / ابن القيم ج١ صـــ ٥٨٢ وتفسير ابن كثير ج٣ صـــ ٢٩

(٦) إعلام الموقعين عن رب العالمين / أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الدمشقي / دار الجيل / بيروت / ١٩٧٣م / تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد ج١ صـــ ٢١٩

وقال النمري رحمه الله:" باب إثبات المناظرة والمجادلة وإقامة الحجة قال الله تعالى:﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [البقرة:١١١] وقال سبحانه:﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾[الأنفال:٤٢] وقال تبارك وتعالى:﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ بِهَـٰذَآ ﴾ [يونس:٦٨] قال المفسرون: من حجة. قالوا والسلطان الحجة وقال الله تبارك وتعالى:﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَـٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام:١٤٩]"(١) وفي تفسير قوله تعالى:﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [البقرة:١١١] قال الطبري رحمه الله:" وهذا أمر من الله جل ثناؤه لنبيه ﷺ بدعاء الذين قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى إلى أمر عدل بين جميع الفرق مسلمها ويهودها ونصاراها وهو إقامة الحجة على دعواهم التي ادعوا من أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هودا أو نصارى."(٢) وهذا منهج الصحابة رضى الله عنهم قولا وعملا قال ابن عباس رضي الله عنه:" عجبا لمن يطلب أمرا بالغلبة وهو يقدر عليه بالحجة. فالحجة دين يعقد به الطاعة وسلطان الغلبة يزول بزوال القدرة."(٣)

وقال معاوية رضي الله عنه:" عجبت لمن يطلب أمرا بالغلبة وهو يقدر عليه بالحجة ولمن يطلبه بخرق وهو يقدر عليه برفق. ولما ظهر ماني الزنديق في أيام سابور بن أزدشير ودعا الناس إلى مذهبه فأخذه سابور لمعاوية. فقال له نصحاؤه: اقتله قال إن قتلته من غير أن قطعته بالحجة قال عامة الناس بقوله، ويقولون ملك جبار قتل زاهد، ولكني أحاجه فإذا غلبته بالحجة قتلته ففعل ثم حشا جلده تبنا وصلبه."(٤)

وكذلك سار السلف الصالح قال ابن تيمية رحمه الله:" لا يستلزم تكفير الشخص المعين حتى تقوم عليه الحجة التي تكفر تاركها كما ثبت في الصحاح (عن النبي ﷺ في الرجل الذي قال إذا أنا مت فأحرقوني ثم استحقوني ثم ذروني في اليم فو الله لئن قدر الله على ليعذبني عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين فقال الله له ما حملك على ما فعلت قال خشيتك فغفر له.(٥) فهذا الرجل اعتقد أن الله لا يقدر على جمعه إذا

(١) جامع بيان العلم وفضله / يوسف بن عبد البر النمري / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٣٩٨هـ / ج٢ صـ ٩٩، ١٠٠

(٢) تفسير الطبري ج١ صـ ٤٩٢

(٣) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء/ أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني/ دار القلم / بيروت / ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م/ تحقيق: عمر الطباع ج١ صـ ٩٩

(٤) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء / الأصفهاني ج١ صـ ٣٠٣

(٥) متفق عليه رواه البخاري في كتاب الأنبياء باب قوله تعالى: (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ ﮋ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا) [الكهف:٩] ج ٣ صـ ١٢٨٣ حديث رقم ٣٢٩٤ ، ومسلم كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ج٤ صـ ٢١١٠ حديث رقم ٢٧٥٦ وقد رواه أيضًا عدة من =

فعل ذلك أو شك وأنه لا يبعثه وكل من هذين الاعتقادين كفر يكفر من قامت عليه الحجة لكنه كان يجهل ذلك ولم يبلغه العلم بما يرده عن جهله وكان عنده إيمان بالله وبأمره ونهيه ووعده ووعيده فخاف من عقابه فغفر الله له بخشيته."(١)

من أقوال السلف في النص على وجوب إقامة الحجة قبل التكفير

ومذهب وعمل السلف في هذه المسألة واضح في عدم إطلاق التكفير إلا إذا قامت الحجة على المعين، ويفهم من ذلك بداهة أنه إذا قامت الحجة على المعين وأصر على عمل الكفر فإنه يستتاب فإن تاب وإلا حكم بكفره.

قال شيخ الإسلام:" فليس لأحد أن يُكفر أحداً من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة. ومن ثبت إيمانه بيقين لم يَزُلْ ذلك عنه بالشك بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة."(٢)

وقال ابن القيم رحمه الله:" وقالت طائفة من أهل العلم من أداه اجتهاده إلى رأي رآه ولم تقم عليه حجة فيه بعد فليس مذموما بل هو معذور خالفا كان أو سالفا ومن قامت عليه الحجة فعاند وتمادى على الفتيا برأي إنسان بعينه فهو الذي يلحقه الوعيد."(٣)

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:" وأما ما ذكر الأعداء عني أني أكفر بالظن وبالموالاة أو أكفر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة فهذا بهتان عظيم يريدون به تنفير الناس عن دين الله ورسوله."(٤) ونقل رحمه الله عن ابن تيمية قوله:" أنا من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير أو تبديع أو تفسيق أو معصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة وفاسقاً أخرى وعاصياً."(٥) ثم قال معقبا رحمه الله:" وهذا صفة كلامه في المسألة في كل موضع وقفنا عليه من كلامه لا يذكر عدم تكفير المعين إلا ويصله بما يزيل الإشكال أن

الصحابة، وأحاديثهم مخرجة في غير الصحيحين، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ج ١٢ صـــ ٤٩١، وابن الوزير في إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد / محمد بن نصر المرتضى اليماني (ابن الوزير) / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٩٨٧م / الطبعة: الثانية / صـــ ٣٩٤، أن هذا الحديث متواتر.

(١) الاستقامة / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس / جامعة الإمام محمد بن سعود / المدينة المنورة /١٤٠٣هـــ / الطبعة: الأولى / تحقيق: د. محمد رشاد سالم / ج١ صـــ ١٦٥

(٢) مجموع الفتاوى ج١٢ صـــ ٥٠١

(٣) إعلام الموقعين / ابن تيمية ج١ صـــ ٥٣

(٤) الرسائل الشخصية / الشيخ محمد بن عبد الوهاب / مطابع الرياض / الرياض / الطبعة: الأولى / تحقيق: عبد العزيز بن زيد الرومي ، د . محمد بلتاجي ، د . سيد حجاب / ج١ صـــ ٢٥

(٥) مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد / الشيخ محمد بن عبد الوهاب / مطابع الرياض / الرياض / الطبعة: الأولى / تحقيق: فضيلة الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري / صـــ ٢٨٩

المراد بالتوقف عن تكفيره قبل أن تبلغه الحجة، وإذا بلغته حكم عليه بما تقتضيه تلك المسألة من تكفير أو تفسيق أو معصية."(١)

وقد بوب الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه بابا في هذا فقال:" باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم."(٢)

وقال الجصاص رحمه الله:" وأنه غير جائز لنا قتل الكافر إلا بعد بيان الدلالة وإقامة الحجة."(٣)

بمَّ تقوم الحجة؟

وتقوم الحجة بتوضيح وتفسير الأمر الذي هو موضع التكفير على يد أهل الاختصاص من العلماء وإزالة الشبهات وتحقق الشروط وانتفاء الموانع قال العيني رحمه الله:" قوله بعد إقامة الحجة عليهم يشير البخاري رحمه الله بذلك إلى أنه لا يجب قتال خارجي ولا غيره إلا بعد الاعتذار عليه ودعوته إلى الحق وتبيين ما التبس عليه فإن أبى عن الرجوع إلى الحق وجب قتاله بدليل الآية التي ذكرها."(٤)

ما يراعى في إقامة الحجة

*** اختلاف عقول الناس**

لقد اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون الناس على درجات مختلفة من الفهم وسرعة الاستجابة للخير وتميزه من الشر قال تبارك وتعالى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزُخرُف:٣٢] قال الشوكاني رحمه الله: "و معنى رفعنا بعضهم فوق بعض درجات أنه فاضل بينهم فجعل بعضهم أفضل من بعض في الدنيا بالرزق والرياسة والقوة والحرية والعقل والعلم ثم ذكر العلة لرفع درجات بعضهم على بعض فقال ليتخذ بعضهم بعضا سخريا أي ليستخدم بعضهم بعضا فيستخدم الغني الفقير والرئيس المرءوس والقوي الضعيف والحر العبد والعاقل من هو دونه في العقل والعالم الجاهل." (٥)

ولذلك كان النبي ﷺ يخاطب الناس على قدر عقولهم فما كان يحدث به الأعرابي يختلف عما يحدث به أهل الحضر فقد روى البخاري رحمه الله عن أبي هريرة رضى الله عنه:" أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فدخل رجل فصلى فسلم على النبي ﷺ فرد وقال ارجع فصل فإنك لم تصل فرجع يصلي

---

(١) مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد / محمد عبد الوهاب صـــ ٢٨٩

(٢) صحيح البخاري ج ٦ صـــ ٢٥٣٩ كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم

(٣) أحكام القرآن / الجصاص ج٤ صـــ ٢٧٣

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري / بدر الدين محمود بن أحمد العيني / دار إحياء التراث العربي / بيروت / ج ٢٤ صـــ ٨٤

(٥) فتح القدير / الشوكاني ج٤ صـــ ٥٥٤

كما صلى ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فقال ارجع فصل فإنك لم تصل ثلاثا فقال والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره فعلمني فقال إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعا ثم ارفع حتى تعتدل قائما ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم ارفع حتى تطمئن جالسا وافعل ذلك في صلاتك كلها" (١)

*** مدى قرب عهده من الإسلام**

فمن أسلم حديثا قد لا يعلم من الدين ما علمه مسلم عاش بين المسلمين وصلى معهم وصام وأقام الشرائع فميز بين المكفر من الأعمال والأقوال ما لم يميزه حديث الإسلام. وقد يكون المسلم حديثا على دين قبل الإسلام فظن أن بعض الشرائع متشابهة في كليهما. وقد وقع بعض الصحابة رضوان الله عليهم في هذا فقد روي الترمذي بسند صحيح عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه "أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين ، مر بشجرة للمشركين ، يقال لها : ذات أنواط ، يعلقون عليها أسلحتهم ، ويعكفون حولها ؛ قالوا : يا رسول الله ! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال النبي ﷺ: سبحان الله وفي رواية : الله أكبر ! هذا كما قال قوم موسى ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ [الأعراف:١٣٨] والذي نفسي بيده ؛ لتركبن سنة من كان قبلكم سنة سنة." (٢)

*** انتشار العلم في موطنه**

فلا يعامل من عاش بين أظهر المسلمين كمن عاش بين الكفار فيفعل الفعل المنكر عندهم فلا ينكر عليه أحد ولا يجد من يوجهه.

*** عظم الذنب الذي أقدم عليه**

من المعلوم أن الذنوب درجات منها الصغائر ومنها الكبائر، ومن الكبائر ما هو مكفر ومنها غير ذلك، والمكفرات درجات فعظم ذنب من ذبح لغير الله ليس كمن أوجد ندا لله كمن جعل للعبد صفة علم الغيب أو القدرة أو غير ذلك من الصفات التي لله وحده.

*** وهل هناك شبهة في قوله**

كأن يعتمد على تفسير لآية أو لحديث فيجمله على غير مراد الله تبارك وتعالى أو مراد رسوله ﷺ على ما سيأتى تفصيله.

*** الخطأ في التأويل** على تفصيل فيه قادم ، وغيرها من الأمور التي قد تبعد عنه تعمد الكفر. قال شيخ الإسلام رحمه الله:" وقد ينكر احد القائلين على القائل الآخر قوله إنكارا يجعله كافرا أو مبتدعا فاسقا يستحق

---

(١) أخرجه الأمام البخاري في صحيحه كتاب صفة الصلاة باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر وما يجهر فيها وما يخافت ج١ صـــ ٢٦٣ حديث رقم ٧٢٤

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه كتاب الفتن باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم ج٤ صـــ ٤٧٥ حديث رقم ٢١٨٠ وقال حسن صحيح وصححه الألبانى في تعليقة على السنن

الهجر وان لم يستحق ذلك وهو أيضا اجتهاد. وقد يكون ذلك التغليظ صحيحا في بعض الأشخاص أو بعض الأحوال . والقول الصدق إذا قيل فان صفته الثبوتية اللازمة أن يكون مطابقا للمخبر إما كونه عند المستمع معلوما أو مظنونا أو مجهولا أو قطعيا أو ظنيا أو يجب قبوله أو يحرم أو يكفر جاحده أو لا يكفر فهذه أحكام عملية تختلف باختلاف الأشخاص والأحوال. ثم النظر الثاني في حكمه إثباتا أو نفيا أو تفصيلا واختلاف أحوال الناس فيه."[1]

وكذلك لا يحكم على معين بالكفر إلا بعد قيام الحجة عليه وإصراره على الكفر الذي وقع فيه، وإقامة الحجة تختلف من بلد إلى آخر ومن زمان إلى آخر ومن شخص إلى آخر ومن كونه كلاما نظريا إلى تطبيق على شخص معين، ويتلخص ذلك ببلوغ الحجة للمعين وثبوتها، وتمكنه من معرفتها، وكل ذلك لا يتم إلا بوجود من يحسن إقامة الحجة الذي يعرف أحكام دينه و ما ذكره العلماء في ذلك، فإنه لا تقوم الحجة إلا بذلك كما أسلفنا.

رابعا : ـــ عدم التكفير بكل ذنب

لقد بين النبي ﷺ أن البدع ستظهر في هذه الأمة وسيأتي أناس من المسلمين يغيرون في هذا الدين، ويؤولون نصوصه وفق أهوائهم ومصالحهم، وهذه سنة الله في خلقه أن للحق أعوانا ومناهضين، وموقف السلف من هؤلاء المبتدعين الذين أَحدثوا في الدِّين ما ليس منه أَنهم يُبغضون ولا يحبونهم ولا يسمعون كلامهم ولا يجالسوهم ويحذرون الأمة من شرورهم وينفرون الناس عنهم، لكنهم لا يكفرونهم ببدعهم هذه إلا وفق الضوابط والشروط .

فإن تبين كفرهم كفروهم وإلا جادلوهم ونصحوهم وأقاموا الأدلة والحجج لهم ثم اعتزلوا مجالسهم وكفوا عن مخالطتهم وهذا وفق أمر النبي ﷺ حيث قال:" ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خُلُوف يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون. فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل."[2] وروى الإمام مسلم رحمه الله عن النبي ﷺ قوله:" سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم."[3]

(١) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج ٦ صـــ ٦٠، ٦١ باختصار

(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ج١ صـــ ٧٠ رقم ٥٠

(٣) صحيح مسلم المقدمة باب النهي عن الرواية عن الضعفاء ج١ صـــ ١٢ رقم ٦

وروى الهيثمي رحمه الله في زوائده عن ابن عمر قال:" قال رسول الله ﷺ: كفوا عن أهل لا إله إلا الله لا تكفروهم بذنب. من أكفر أهل لا إله إلا الله فهو إلى الكفر أقرب."(١)

وسأذكر طائفة من أقوال السلف تبين وتوضح إجماعهم على هذا الضابط

* قال الأمام أبو حنيفة رحمه الله:" الفقه الأكبر ألا تكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ولا تنفي أحدا من الإيمان."(٢)

* وقال الإمام أحمد رحمه الله:" ولا نشهد على أهل القبلة بعمل يعمله بجنة ولا نار نرجو للصالح ونخاف عليه ونخاف على المسيء المذنب ونرجو له رحمة الله."(٣)

* وقال البربهاري رحمه الله:" والصلاة على من مات من أهل القبلة سنة والمرجوم والزاني والزانية والذي يقتل نفسه وغيره من أهل القبلة والسكران وغيرهم. الصلاة عليهم سنة ولا يخرج أحد من أهل القبلة من الإسلام حتى يرد آية من كتاب الله عز وجل، أو يرد شيئا من آثار رسول الله ﷺ، أو يصلي لغير الله أو يذبح لغير الله، وإذا فعل شيئا من ذلك فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام فإذا لم يفعل شيئا من ذلك فهو مؤمن ومسلم بالاسم لا بالحقيقة."(٤)

* وقال ابن قدامة المقدسي رحمه الله:" ولا نجزم لأحد من أهل القبلة بجنة ولا نار إلا من جزم له الرسول ﷺ لكنا نرجو للمحسن ونخاف على المسيء. ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ولا نخرجه عن الإسلام بعمل. ونرى الحج والجهاد ماضيا مع طاعة كل إمام برا كان أو فاجرا، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة قال أنس: قال النبي ﷺ:(ثلاث من أصل الإيمان الكف عمن قال لا إله إلا الله ولا نكفره بذنب، ولا نخرجه من الإسلام بعمل، والجهاد ماض منذ

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / علي بن أبي بكر الهيثمي / دار الريان للتراث / دار الكتاب العربي / القاهرة ، بيروت / ١٤٠٧هـ / ج١ صـ ١٠٦ وقال ابن الوزير رواه الطبراني في الكبير من حديث الضحاك ابن حمزة عن علي بن زيد قال الهيثمي مختلف في الاحتجاج بهما قلت لكن حديثهما يصلح في الشواهد ويقوى بما تقدم انظر (إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد / محمد بن نصر المرتضى اليماني (ابن الوزير) صـ ٣٩٣

(٢) الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة / محمد بن عبد الرحمن الخميس / مكتبة الفرقان / الإمارات العربية / ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م/ الطبعة: الأولى / صـ ٧٦

(٣) أصول السنة / أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني / دار المنار / الخرج / السعودية / ١٤١١هـ/ الطبعة: الأولى / صـ ٥٠

(٤) شرح السنة / الحسن بن علي بن خلف البربهاري أبو محمد / دار ابن القيم / الدمام / ١٤٠٨هـ / الطبعة: الأولى / تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني / صـ ٣١

بعثني الله عز وجل حتى يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل، والإيمان بالأقدار.)[1]"[2]

* وقال الرازي رحمه الله:" المسألة العشرون المختار عندنا أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة إلا بدليل منفصل ويدل عليه النص والمعقول أما النص فقوله ﷺ: (من صلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا واستقبل قبلتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله في ذمته)[3] وأما المعقول فهو أن العلم بهذه المسائل لو كان شرطا لصحة الإيمان لكان يجب أن لا يحكم النبي ﷺ بإيمان أحد إلا بعد أن يسأله عنها، ولما لم يكن كذلك بل كان يحكم بإيمانهم من غير أن يسألهم عن هذه المسائل علمنا أن الإسلام لا يتوقف عليها، بل الأقرب أن المجسمة كفار لأنهم اعتقدوا أن كل ما لا يكون متحيزا ولا في جهة فليس بموجود، ونحن نعتقد أن كل متحيز فهو محدث وخالقه موجود ليس بمتحيز ولا في جهة، فالمجسمة نفوا ذات الشيء الذي هو الإله فيلزمهم الكفر."[4]

* قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:" فطائفة تقول لا نكفر من أهل القبلة أحدا فتنفي التكفير نفيا عاما، مع العلم بأن في أهل القبلة المنافقين الذين فيهم من هو أكفر من اليهود والنصارى بالكتاب والسنة والإجماع، وفيهم من قد يظهر بعض ذلك حيث يمكنهم وهم يتظاهرون بالشهادتين، وأيضا فلا خلاف بين المسلمين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة والمحرمات الظاهرة المتواترة ونحو ذلك فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل كافرا مرتدا، والنفاق والردة مظنتها البدع والفجور كما ذكره الخلال في كتاب السنة بسنده إلى محمد بن سيرين أنه قال إن أسرع الناس رده أهل الأهواء وكان يرى هذه الآية نزلت فيهم ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ﴾[الأنعام:٦٨] ولهذا امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول بأنا لا نكفر أحدا بذنب، بل يقال: لا نكفرهم بكل ذنب كما تفعله الخوارج، وفرق بين النفي العام ونفي العموم."[5]

---

(١) سنن أبي داود / سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي / دار الفكر / تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد / ج٣ صـــ ١٨ حديث رقم ٢٥٣٢ قال الهيثمي رواه الطبراني في الأوسط وفيه إسماعيل بن يحيى التيمي وهو وضاع انظر مجمع الزوائد ج١ صـــ ١٠٦

(٢) لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد / أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي / الدار السلفية / الكويت / ١٤٠٦هـــ / تحقيق: بدر بن عبد الله البدر / الطبعة: الأولى / صـــ ٣٢

(٣) رواه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الصلاة باب فضل استقبال القبلة ج١ صـــ ١٥٣ حديث رقم ٣٨٤

(٤) معالم أصول الدين / فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي / دار الكتاب العربي / لبنان / ١٤٠٤هـــ ـــ ١٩٨٤م / تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد / صـــ ١٣٧ ، ١٣٨

(٥) شرح العقيدة الطحاوية / أبو العز الحنفي صـــ ٣٥٦

* وقال الشيخ حافظ حكمي رحمه الله:" وقال فضيل رحمه الله سمعت الثوري رحمه الله يقول من صلى إلى هذه القبلة فهو عندنا مؤمن، والناس عندنا مؤمنون بالإقرار في المواريث والمناكحة والحدود والذبائح والنسك ولهم ذنوب وخطايا الله حسبهم؛ إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم. لا ندري ما لهم عند الله عز وجل. وقال فضيل" سمعت المغيرة الضبي يقول: من شك في دينه فهو كافر وأنا مؤمن إن شاء الله."(١)

وبذا يتضح أن السلف يكفرون ببعض الذنوب، ولا يكفرون ببعضها فمن الذنوب التي يكفر مرتكبها نواقض الإسلام الكبرى المعلومة، ومن ذلك ــ أيضا ــ الخلاف المشهور عند أهل السنة في التكفير بترك الأركان وخاصة الصلاة، أما الذنوب التي لا يكفرون بها ففعل الكبائر وترك الواجبات ما لم يستحل الكبائر، أو ينكر الواجبات وقد مضى تفصيل مذهب أهل السنة في أهل الكبائر في التمهيد.

خامسا : ــ التحقق من استيفاء شروط التكفير و انتفاء موانعه

وهذا الضابط يدلنا على مبلغ حرص الشرع على وجوب التحقق من وقوع الكفر من فاعله، حتى لا يسفك دم معصوم بالتهمة والشك، وفي وضع هذه الشروط والموانع درس لمن يمارسون التكفير دون التثبت بل وفق أهوائهم وما يخدم مصالحهم. قال ابن تيمية رحمه الله:" ولم يتدبروا أن التكفير له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعين. وأن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع."(٢) وضرب رحمه الله أمثلة عامة على ذلك فقال:" ولا يجب أن يحكم في كل شخص قال ذلك بأنه كافر حتى يثبت في حقه شروط التكفير و تنتفي موانعه مثل من قال: أن الخمر أو الربا حلال لقرب عهده بالإسلام أو لنشوئه في بادية بعيدة، أو سمع كلاما أنكره ولم يعتقد انه من القرآن، ولا انه من أحاديث رسول الله ﷺ. كما كان بعض السلف ينكر أشياء حتى يثبت عنده أن النبي قالها، وكما كان الصحابة يشكون في أشياء مثل رؤية الله وغير ذلك حتى يسألوا عن ذلك رسول الله ﷺ. ومثل الذي قال إذا أنا مت فاسحقوني وذروني في اليم لعلي أضل عن الله ونحو ذلك فان هؤلاء لا يكفرون حتى تقوم عليهم الحجة بالرسالة كما قال الله تبارك و تعالى:﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾[النساء:١٦٥]"(٣)

والشروط على ضربين ضرب متعلق بالفاعل وضرب متعلق بالفعل

أما التي متعلقة بالفاعل فهي ثلاثة

الأول : ــ أن يكون مكلفاً أي بالغاً عاقلاً

ولكن بعض العلماء فرق بين الصبي والمجنون وبعضهم فرق في السن التي تعتبر فيها ردة الصبي والخلاف بينهم أعمق في السكران أُورد ملخص لذلك : ــ

---

(١) معارج القبول / الشيخ حافظ حكمي ج٣ صــ ١٠١٤

(٢) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج١٢ صــ ٤٨٧

(٣) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج ٣٥ صــ ١٦٥ ، ١٦٦

عند الحنابلة لا تصح الردة من المجنون والصبي غير المميز قال ابن قدامة رحمه الله:" ولا يصح الإسلام والردة إلا من عاقل، فأما المجنون والطفل فلا يصح إسلامهما ولا ردتهما. لأنه قول له حكم فلا يصح منهما كالبيع وغيره من العقود، وأما الصبي المميز فيصح إسلامه وردته."(١)

" أما في السكران فقد نقل ابن قدامة عن الإمام أحمد رواية بصحتها ورواية بعدم صحتها قال أبو الخطاب وهو أظهر الروايتين عنه وهو مذهب الشافعي رحمه الله. وعنه ــ أي أبو الخطاب ــ لا يصح، وهو قول أبي حنيفة. لأن ذلك يتعلق بالاعتقاد والقصد والسكران لا يصح عقده ولا قصده فأشبه المعتوه، ولأنه زائل العقل فلم تصح ردته كالنائم، ولأنه غير مكلف فلم تصح ردته كالمجنون. والدليل على أنه غير مكلف أن العقل شرط في التكليف وهو معدوم في حقه ولهذا لم يصح استتابته."(٢)

وأما اعتبار السن فقال ابن تيمية رحمه الله:" وأما الصبي المميز فيصح إسلامه وردته إذا كان له عشر سنين وعنه سبع وعنه لا يصحان منه حتى يبلغ وعنه يصح إسلامه دون ردته ويحال بينه وبين أهل الكفر على الروايات كلها وإذا صححنا ردة الصبي والسكران لم يقتلا حتى يستتابا بعد البلوغ والصحو ثلاثة أيام."(٣)

وقال ابن قدامة رحمه الله:" ولا تصح ردة المجنون ولا إسلامه لأنه لا قول له وإن ارتد في صحته ثم جن لم يقتل في حال جنونه، لأنه يقتل بالإصرار على الردة والمجنون لا يوصف بالإصرار ولا يمكن استتابته، ولو وجب عليه القصاص فجن قتل لأن القصاص لا يسقط عنه بسبب من جهته ها هنا يسقط برجوعه، ولأن القصاص إنما يسقط بسبب من جهة المستحق له فنظير مسألتنا أن يجن المستحق للقصاص فإنه لا يستوفى حال جنونه."(٤)

قال الزركشي رحمه الله:" وفي السنن أن النبي ﷺ قال:(رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يبلغ وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق.)(٥) فعلى هذا لا تصح ردة من زال عقله بنوم

---

(١) الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل / ا بن قدامة المقدسي أبو محمد ج٤ صـــ ١٥٥

(٢) المغني / ابن قدامة المقدسي ج ٩ صـــ ٣١

(٣) المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل / عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية الحراني / مكتبة المعارف / الرياض / ١٤٠٤هـــ / الطبعة: الثانية / ج ٢ صـــ ١٦٧

(٤) المغني / ابن قدامة ٩ج صـــ٣٢

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين / كتاب البيوع ج٢ صـــ ٦٧ حديث رقم ٢٣٥٠ بلفظ عن الصبي حتى يحتلم وعن المعتوه حتى يفيق وعن النائم حتى يستيقظ وقال هو على شرط مسلم ولم يخرجاه

أو إغماء أو مرض أو شرب مباح وفي السكران ونحوه خلاف، ولا ردة غير مميز وفي المميز خلاف أيضا."[1]

وبذا يتضح أن الرأي الراجح عدم قبول ردتهم ويعضد ذلك أقوال العلماء التالية : ــ

* قال الأنصاري رحمه الله:" فتصح ردة سكران كإسلامه بخلاف الصبي والمجنون والمكره."[2]

* وقال القليوبي رحمه الله:" عدم اعتبار ردة الصبي ولو قلنا بصحة إسلامه."[3]

* وقال ابن نُجيم الحنفي رحمه الله:" فلا تصح ردة المجنون ولا الصبي الذي لا يعقل، وأما من جنونه متقطع فإن ارتد حال الجنون لم يصح وإن ارتد حال إفاقته صحت، وكذا لا تصح ردة السكران الذاهب العقل."[4]

* وقال الكاساني والرازي وابن عابدين رحمهم الله:" إلا أنه لا تصح ردة السكران استحسانا."[5] ويفهم هنا أنه لا تصح ردة الصبي والمجنون من باب أولى.

وقد لخص الأسيوطي رحمه الله أقوال الأئمة في ردة الصبي فقال:" وهل تصح ردة الصبي أم لا ؟ قال أبو حنيفة تصح وقال الشافعي لا تصح ردة الصبي وروي مثل ذلك عن أحمد."[6]

أما المالكية ففرقوا بين أحكام الدنيا وأحكام الآخرة:" ما قاله أصحابنا المالكية ردة الصبي وإيمانه معتبران بمعنى إجراء الأحكام الدنيوية التي تتسبب عنهما؛ كبطلان ذبحه ونكاحه وصحتهما رجع لخطاب الوضع من حيث السبب والمانع وهو لا يتقيد بالمكلف إلا أنه لا يعاقب في الآخرة ولا يقتل قبل البلوغ."[7]

الثاني : ــ أن يكون متعمداً أي قاصداً لفعله

---

(١) شرح الزركشي على مختصر الخرقي / شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي/ دار الكتب العلمية / لبنان / بيروت / ١٤٢٣هـــ ــ ٢٠٠٢م/ الطبعة: الأولى / قدم له ووضع حواشيه وحققه عبد المنعم خليل إبراهيم / ج ٣ صــ ٨٥

(٢) فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب/ زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري أبو يحيى/ دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤١٨هــ/ الطبعة: الأولى / ج٢ صــ ٢٦٩

(٣) حاشية عميرة على شرح جلال الدين المحلي على منهاج الطالبين / شهاب الدين أحمد بن أحمد بن سلامة القليوبي / دار الفكر / لبنان / بيروت / ١٤١٩هــ ــ ١٩٩٨م/ الطبعة: الأولى / تحقيق: مكتب البحوث والدراسات / ج ٤ صــ ١٧٧

(٤) البحر الرائق شرح كنز الدقائق / زين الدين ابن نجيم الحنفي/ دار المعرفة / بيروت / الطبعة: الثانية / ج٥ صــ ١٢٩

(٥) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع/ الكاساني ج٣ صــ ٩٩ وانظر تحفة الملوك (في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان) / محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي / دار البشائر الإسلامية / بيروت / ١٤١٧هــ ــ ١٩٩٧م / الطبعة: الأولى / تحقيق: د. عبد الله نذير أحمد / ج١ صــ ١٩٥ وانظر حاشية ابن عابدين ج٤ صــ ٢٥٧

(٦) جواهر العقود / شمس الدين الأسيوطي / دار الكتب العلمية / بيروت / ج٢ صــ ٢٥٠

(٧) الفروق وأنوار البروق في أنواء الفروق / أبو القاسم بن عبد الله ابن الشاط / دار الكتب العلمية / بيروت/ ١٤١٨هــ ــ ١٩٩٨م / تحقيق: خليل المنصور / ج ١ صــ ٢٩٣

وهذا أمر أُختلط على الناس فيه من حيث القول بقصد الفعل وقصد الكفر، فكل أنواع الكفر تُخرج عن الإسلام بمفردها ولو لم ينضم إليها نوع آخر، ما دام مرتكبها قاصدا للفعل أو القول متعمدا له، ولو لم يقصد الخروج من الإسلام، فإنه يشترط في الحكم بالتكفير قصد الفعل أو القول وإن لم يقصد حقيقة المعنى، فإن تكلم بالكفر عن خطأ أو نسيان أو هذيان أو كان نائمًا أو حاكيا أو قارئا أو مكرها، أوجرت الكلمة على لسانه بدون اختياره بسبب الدهشة فهذا غير قاصد. قال ابن تيمية رحمه الله:" إن المسلم إذا عنى معنى صحيحاً في حق الله تعالى، أو الرسول ﷺ، ولم يكن خبيراً بدلالة الألفاظ، فأطلق لفظاً يظنه دالاً على ذلك المعنى، وكان دالاً عل غيره أنه لا يكفر وقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا ﴾ [البقرة:١٠٤] وهذه العبارة كانت مما يقصد به اليهود إيذاء النبي ﷺ، والمسلمون لم يقصدوا ذلك فنهاهم الله تعالى عنها، ولم يكفرهم بها."[١]

ولكن من فعل فعلاً مكفراً وهو قاصد ــ متعمدا الفعل ــ له فهو كافر سواء قصد الكفر أو لم يقصد، وأدلة اعتبار عدم القصد مانع من موانع التكفير كثيرة منها: حديث فرح الله تعالى بتوبة العبد وقول الرجل: اللهمّ أنت عبدي وأنا ربك، قال ﷺ (أخطأ من شدّة الفرح)"[٢] فهذا الرجل قال قولا لم يُرِدْه، وأخطأ فيه، ومع أن قوله كفر إلا أنه لا يعود على قائله حكم القول لأنه لم يقصد هذا القول وإنما أراد غيره، فذهل ذهنه عنه فأتى بضده، وللتفريق بين قصد الفعل وقصد الكفر أضرب هذا المثال: لو أن رجل داس على المصحف وهو لا يدري، لكونه لا يراه كأن يكون في الظلمة، فهذا رجل لم يقصد الفعل فلا يقال له كافر لدوسه على المصحف، لكن لو أن رجلاً داس المصحف عالماً بفعله، وأنه يدوس على المصحف (كلام الله) فإنه يكفر سواء أراد بفعله هذا أن يعبر عن خروجه عن الإسلام أم لا، فربما يدوسه غضباً من أحد لقراءته له، وربما يدوسه ذهولاً عن اعتقاده فيه، وربما يدوسه مع تصديقه أنه كلام الله، ولكن داسه تلهياً ولعباً، فهذا الرجل وإن لم يقصد الكفر، فإنه يكفر ولا شك.

إن القليل من البشر ممن ينوي الكفر، بل أغلبهم حين كفره لا ينوي الخروج من الإسلام، ولكن هذا القصد لا يمنع خروجهم من الإسلام. ومما قرره شيخ الإسلام رحمه الله في الصارم المسلول بقوله:" هذا القصد لا ينفعه كما لا ينفع من قال الكفر أن لا يقصد أن يكفر."[٣] ويقال أيضا لو كان قصد الكفر شرطًا في الحكم على شخص ما بالكفر لم يكن لاستثناء المكره على النطق بكلمة الكفر معنى؛ لأنه لم يقصد الكفر وإنما أكره على الكلمة فقط.

---

(١) تلخيص كتاب الاستغاثة (الرد على البكري) / ابن تيمية صــ ٥٧٠

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب التوبة باب في الحض على التوبة والفرح بها ج٤ صــ ٢١٠٤ حديث رقم ٢٧٤٧

(٣) الصارم المسلول / ابن تيمية ج٣ صــ ٧٠٣

قال ابن حجر رحمه الله وفيه ــ يعني حديث (يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)[(١)] ــ أن من المسلمين من يخرج من الدين من غير أن يَقْصد الخروج منه، ومن غير أن يختار دينًا على دين الإسلام."[(٢)] قال ابن نُجيم رحمه الله:" والحاصل أن من تكلم بكلمة الكفر هازلا أو لاعبا كفر عند الكل ولا اعتبار باعتقاده."[(٣)]

وروى اللالكائي بسنده عن أبي ثور رحمه الله قال:" لو قال: المسيح هو الله وجحد أَمر الإسلام، وقال لم يعتقد قلبي على شيء من ذلك أنه كافر بإظهار ذلك وليس بمؤمن."[(٤)]

وقال ابن قدامة رحمه الله:" ومن سبَّ الله تعالى كفر سواء كان مازحًا أو جادًا وكذلك من استهزأ بالله تعالى أو بآياته أو برسله أو كتبه."[(٥)] وقال ابن حزم رحمه الله:" خرج من ثبت إكراهه عن أَن يكون بإظهار الكفر كافرا إلى رخصة الله تعالى والثبات على الإيمان، وبقي من أظهر الكفر، لا قارئا ولا شاهدا، ولا حاكيا ولا مكرها على وجوب الكفر له بإجماع الأمة على الحكم له بحكم الكفر وبحكم رسول الله ﷺ بذلك، وبنص القرآن على من قال كلمة الكفر أنه كافر، وليس قول الله عز وجل ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرًا﴾[النحل:١٠٦] على ما ظنوه من اعتقاد الكفر فقط، بل كل من نطق بالكلام الذي يُحكم لقائله عند أهل الإسلام بحكم الكفر لا قارئًا ولا شاهدًا ولا حاكيًا ولا مكرهًا فقد شرح بالكفر صدرًا ؛ بمعنى أَنه شرح صدره لقبول الكفر المحرم على أهل الإسلام و على أهل الكفر أَن يقولوه وسواء اعتقدوه أو لم يعتقدوه، لأَن هذا العمل من إعلان الكفر على غير الوجوه المباحة في إيراده وهو شرح الصدر به."[(٦)]

ومما ينبغي أن يراعى فيه القصد عندما يكون الكفر متشابها وحمَّال أوجه يحتمل الكفر من وجه، ويحتمل خلافه من وجه آخر. فهنا قواعد الشريعة تلزمنا أن نتبيَّن من قصد ومراد ذلك المعين، ومعرفة الدافع الذي حمله على الوقوع في هذا النوع من الكفر المتشابه الغير محكم قبل أن يُحكم عليه بالكفر، ولا يجوز أن يقال ذلك عند ورود الكفر البواح المحكم كالسب والطعن أو الاستهزاء بالدين.

---

(١) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن باب إثم من راءى بقراءة القرآن أو تأكل به أو فخر به ج٤ صــ ١٩٢٧ حديث رقم ٤٧٧٠ والإمام مسلم في صحيحه كتاب الزكاة باب الخوارج شر الخلق والخليقة ج٢ صــ ٧٥٠ حديث رقم ١٠٦٨

(٢) فتح الباري / ابن حجر ج ١٢ صــ ٣٠٢

(٣) البحر الرائق شرح كنز الدقائق / ابن نُجيم الحنفي ج٥ صــ ١٣٤

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة / اللالكائي ج٤ صــ ٤٨٩

(٥) المغني / ابن قدامة ج٩ صــ ٣٣

(٦) الفصل في الملل والأهواء والنحل / ابن حزم ج٣ صــ ١١٦ ، ١١٧

الثالث : ــ أن يكون بإرادته مختاراً غير مكره

الإكراه في اللغة حمل إنسان آخر على فعل أو قول شيء يكرهه قال ابن منظوررحمه الله:" و أكرهته حملته على أمر هو له كاره."(١)

وقال الكاساني صاحب البدائع رحمه الله:" فالإكراه في اللغة عبارة عن إثبات الكره، والكره معنى قائم بالمكره ينافي المحبة والرضا ولهذا يستعمل كل واحد منهما مقابل الآخر قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢١٦]"(٢)

وفي الشرع قال الجرجاني رحمه الله:" الإكراه حمل الغير على ما يكرهه بالوعيد والإلزام والإجبار على ما يكره الإنسان طبعا أو شرعا فيقدم على عدم الرضا ليرفع ما هو أضر."(٣) وقال الكاساني رحمه الله:" وفي الشرع عبارة عن الدعاء إلى الفعل بالإيعاد والتهديد مع وجود شرائطها."(٤)

وعمدة هذا الشرط قول الله تبارك تعالى:﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [النحل:١٠٦] قال الطبري رحمه الله:" فتأويـــل الكلام إذن: من كفر بالله من بعد إيمانه، إلا من أكره على الكفر فنطق بكلمة الكفر بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان، موقن بحقيقته صحيح عليه عزمه غير مفسوح الصدر بالكفر، لكن من شرح بالكفر صدرا فاختاره وآثره على الإيمان وباح به طائعا، فعليهم غضب من الله ولهم ذاب عظيم. وعن ابن عبـــاس قوله:(إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ) فأخبر الله سبحانه أنه من كفر من بعد إيمانه، فعليه غضب من الله وله عذاب عظيم . فأما من أكره فتكلم به لسانه وخالفه قلبه بالإيمان لينجو بذلك من عدوّه، فلا حرج عليه، لأن الله سبحانه إنما يأخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم."(٥)

وقال القرطبي رحمه الله:" ولما رخص الله عز وجل بالنطق بالكفر عند الإكراه ولم يؤاخذ به، حمل العلماء عليه فروع الشريعة كلها، فإذا وقع الإكراه عليها لم يؤاخذ بها و لم يترتب عليه حكم. وأجمع أهل العلم على أن من أكره على الكفر حتى خشي على نفسه القتل أنه لا إثم عليه إن كفر وقلبه مطمئن بالإيمان، ولا تبين منه زوجته ولا يحكم عليه بحكم الكفر هذا قول مالك والكوفيين والشافعي غير محمد بن الحسن قال: إذا أظهر الشرك كان مرتدا في الظاهر وهو قول مردود بالكتاب

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج ١٣ صـــ ٥٣٥

(٢) بدائع الصنائع / الكاساني ج٧ صـــ ١٧٥

(٣) التعريفات / للجرجاني صـــ ٥٠

(٤) بدائع الصنائع / الكاساني ج٧ صـــ ١٧٥

(٥) تفسير الطبري ج١٤ صـــ ١٨٢

والسنة."[1] وروى البيهقي رحمه الله في سننه:" عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه قال أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبي ﷺ وذكر آلهتهم بخير، ثم تركوه فلما أتى رسول الله ﷺ قال ما وراءك قال شر يا رسول الله، ما تُركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير قال: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئنا بالإيمان. قال: إن عادوا فعد."[2] وروى الطبراني رحمه الله عن ابن مسعود رضى الله عنه:" ما من كلام أتكلم به لذي سلطان أدرأ عني منه ضربتين بالسوط إلا كنت متكلما بهما."[3] وقال ابن قدامة رحمه الله:" ومن أكره على الكفر، فأتى بكلمة الكفر، لم يَصِرْ كافرا. وبهذا قال مالك، وأبو حنيفة، والشافعي. وقال محمد بن الحسن: هو كافر في الظاهر، تَبِين منه امرأته، ولا يرثه المسلمون إن مات، ولا يغسل، ولا يصلى عليه، وهو مسلم فيما بينه وبين الله تعالى، لأنه نطق بكلمة الكفر، فأشبه المختار. ولنا قول الله تعالى:﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[النحل:١٠٦] ورُوِي أن الكفار كانوا يعذبون المستضعفين من المؤمنين، فما منهم أحد إلا أجابهم، إلا بلال، فإنه كان يقول: أحد أحد. وقال النبي ﷺ: (تجاوز الله عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)[4] ولأنه قول أكره عليه بغير حق، فلم يثبت حكمه، كما لو أكره على الإقرار، وفارق ما إذا أكره بحق، فإنه خير بين أمرين يلزمه أحدهما، فأيهما اختاره ثبت حكمه في حقه. فإذا ثبت أنه لم يكفر، فمتى زال عنه الإكراه، أمر بإظهار إسلامه، فإن أظهره فهو باق على إسلامه، وإن أظهر الكفر حكم أنه كفر من حين نطق به؛ لأننا تبينا بذلك أنه كان منشرح الصدر بالكفر من حين نطق به، مختارا له. وإن قامت عليه بينة أنه نطق بكلمة الكفر وكان محبوسا عند الكفار، ومقيدا عندهم في حالة خوف، لم يحكم بردته؛ لأن ذلك ظاهر في الإكراه. وإن شهدت البينة أنه كان آمنا حال نطقه به حكم بردته."[5]

---

(١) تفسير القرطبي ج١٠صـــ ١٨١ ، ١٨٢

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين كتاب التفسير؛ تفسير سورة الرعد ج٢ صـــ ٣٨٩ حديث رقم ٣٣٦٢ وقال الشيخ صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وانظر سنن البيهقي الكبرى ج٨ صـــ ٢٠٨ حديث رقم ١٦٦٧٣ وقد استدل به جل المفسرين في شرح الآية

(٣) المعجم الكبير / سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني / مكتبة الزهراء / الموصل / ١٤٠٤ هـــ ـــ ١٩٨٣ م / الطبعة: الثانية / تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي/ ج٩ صـــ ١٧١ حديث رقم ٨٨٤٩ . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد كتاب التوبة باب في كلام بني آدم ج١٠ صـــ ٢١٧ وقال رواه الطبراني ورجاله ثقات

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين كتاب الطلاق ج٢ صـــ ٢١٦ حديث رقم ٢٨٠١ وقال الشيخ هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه

(٥) المغني / ابن قدامة ج٩ صـــ ٣٠ ، ٣١

لذلك وضع العلماء شروطا للإكراه وهي : ــ

١ــ أن يكون التهديد بما يؤذي عادة كالقتل والقطع والحبس والضرب ونحو ذلك.

٢ــ أن يكون المكرِه قادراً على تحقيق ما هدد به، لأن الإكراه لا يتحقق إلا بالقدرة، فإن لم يكن قادرا لم يكن للإكراه اعتبار.

٣ــ أن يكون المكرَه عاجزاً عن الذب عن نفسه بالهرب أو بالاستغاثة أو المقاومة ونحو ذلك.

٤ــ أن يغلب على ظن المكرَه وقوع الوعيد، إن لم يفعل ما يطلب منه. فإذا اجتمعت هذه الشروط كان الإكراه معتبراً شرعاً. قال الشربيني رحمه الله:" وشرط الإكراه قدرة مكرِه بكسر الراء على تحقيق ما هدد به بولاية أو تغليب عاجلا ظلما وعجز مكرَه بفتح الراء عن دفعه بهرب وغيره وظنه أنه إن امتنع حقق ما هدده به. ويحصل الإكراه بتخويف بمحذور كضرب شديد أو نحو ذلك كحبس."(١)

وأضاف الزركشي رحمه الله في البحر المحيط:" أن يكون المتوعد به في نظر العقلاء أشق من المكره عليه وهو ما يشهد له الشرع بالاعتبار؛ فعلم من هذا أن الإكراه لا يرفع حكم القصاص."(٢) والمقصود بذلك إذا ما أُمر المكره بقتل مسلم مثلا لأن المُتهدد به يتساوى مع المكره عليه وهو قتل النفس.

بم يتحقق الإكراه ؟

قال الأنصاري رحمه الله:" ويختلف الإكراه باختلاف الأشخاص والأسباب المكره عليها. فقد يكون الشيء إكراها في حق شخص دون آخر. ويختلف ذلك أي ما ذكر من الضرب وغيره فغير الضرب الشديد لذي المروءة أو بحضرة الملأ إكراه، والتخويف بالزنا واللواط إكراه ولو لذي العجوز. ونحو خمسة دنانير من غني غير إكراه."(٣)

وقال شيخ الإسلام رحمه الله:" فإن أحمد قد نص في غير موضع على أن الإكراه على الكفر لا يكون إلا بتعذيب من ضرب أو قيد ولا يكون الكلام إكراها ."(٤)

ويقول الكاساني رحمه الله:" وأما النوع الذي هو مرخص فهو إجراء كلمة الكفر على اللسان مع اطمئنان القلب بالإيمان إذا كان الإكراه تاما."(٥) وسبق أن عرف الإكراه التام بقوله:" نوع يوجب

---

(١) الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع / محمد الشربيني الخطيب / دار الفكر / بيروت / ١٤١٥هــ / تحقيق: مكتب البحوث والدراسات / ج٢ صــ ٤٣٧

(٢) البحر المحيط في أصول الفقه / بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي / دار الكتب العلمية / لبنان/ بيروت / ١٤٢١هــ - ٢٠٠٠م/ الطبعة: الأولى / تحقيق: ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. محمد محمد تامر / ج١ صــ ٢٩٢ ــ ٢٩٤ باختصار

(٣) حاشية الجمل على المنهج / يحيى بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري / دار الفكر/ بيروت / ج٤ صــ ٣٢٥

(٤) الفتاوى الكبرى / شيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني / دار المعرفة / بيروت / قدم له وحققه حسنين محمد مخلوف / ج٤ صــ ٥٦٨

(٥) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع / الكاساني ج ٧ صــ ١٧٦

الإلجاء والاضطرار طبعا كالقتل والقطع والضرب الذي يخاف فيه تلف النفس أو العضو قَلَّ الضرب أو كَثُر، ومنهم من قدره بعدد ضربات الحد وأنه غير سديد لأن المعول عليه تحقق الضرورة فإذا تحققت فلا معنى لصورة العدد وهذا النوع يسمى إكراها تاما."(١) وقال الشيخ السلمي رحمه الله:" لا يتصور الإكراه على كفر القلب واكتسابه، ولا يحل بالإكراه زنا ولا قتل ولا لواط."(٢)

إذا كان الكفر للمكره رخصة فأيهما أفضل ؟

قال السرخسي رحمه الله:" إذا امتنع من ذلك حتى قتل لم يكن آثما، وقد بينا أنه مأجور فيه كما جاء في الأثر أن المجبر في نفسه في ظل العرش يوم القيامة إن أبى الكفر حتى قتل وحديث خبيب(٣) رضي الله عنه فيه معروف. وأشار إلى الأصل الذي بينا أن إجراء كلمة الشرك في هذه الحالة رخصة له والامتناع هو العزيمة، فإن ترخص بالرخصة وسعه، وإن تمسك بالعزيمة كان أفضل له؛ لأن في تمسكه بالعزيمة إعزاز الدين وغيظ المشركين فيكون أفضل، وعلى هذا إذا قيل له لئن صليت لأقتلنك فخاف ذهاب الوقت فقام وصلى وهو يعلم أنه يسعه تركه فلما صلى قتل لم يكن آثما في ذلك لأنه تمسك بالعزيمة أيضا."(٤) وقال الكاساني رحمه الله:" والامتناع عنه ــ الكفر ــ أفضل من الإقدام عليه حتى لو امتنع فقتل كان مأجورا لأنه جاد بنفسه في سبيل الله تعالى فيرجو أن يكون له ثواب المجاهدين بالنفس هنا."(٥) وقال السيوطي رحمه الله:" ما يباح بالإكراه وما لا يباح فيه فروع: الأول: التلفظ بكلمة الكفر فيباح به للآية ولا يجب، بل الأفضل الامتناع مصابرة على الدين واقتداء بالسلف، وقيل الأفضل التلفظ صيانة لنفسه، وقيل إن كان ممن يتوقع منه النكاية في العدو والقيام بأحكام الشرع فالأفضل التلفظ لمصلحة بقائه وإلا فالأفضل الامتناع."(٦)

إذاً الإكراه على الكفر يكون بالتهديد أو ما يقوم مقامه ممن يقدر على تنفيذ ما يهدد به، بحيث يكون الإنسان مطمئن القلب بالإيمان، لكن إن فَعَل ما فعل، أو قال ما قال لحماية نفسه أو ماله أو أهله من التلف والهلاك، أو من الضرر البين، فأقول: النطق بقول الكفر ونحوه رخصة له، والعزيمة أن يمتنع ويصبر كما في حديث خباب عند الإمام البخاري رحمه الله:" قال أتينا رسول الله ﷺ وهو في ظل

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع / الكاساني ج ٧ صـــ ١٧٥

(٢) الفوائد في اختصار المقاصد / عبد العزيز بن عبد السلام السلمي / دار الفكر المعاصر/ دمشق / ١٤١٦هـــ / الطبعة: الأولى / تحقيق: إياد خالد الطباع / صـــ ١١٣

(٣) انظر صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير باب هل يستأسر الرجل ومن لم يستأسر ومن ركع ركعتين عند القتل ج٣ صـــ ١١٠٨ حديث رقم ٢٨٨٠

(٤) المبسوط / السرخسي ٢٤ج صـــ ١٥١

(٥) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع / الكاساني ج٧ صـــ ١٧٧

(٦) الأشباه والنظائر / عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤٠٣هـــ / الطبعة: الأولى / صـــ ٢٠٧

الكعبة متوسدا بردة له فقلنا: يا رسول الله ادع الله تبارك وتعالى لنا واستنصره. قال: فاحمر لونه أو تغير فقال لقد كان من كان قبلكم يحفر له حفرة ويجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق ما يصرفه عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظم من لحم أو عصب ما يصرفه عن دينه، وليتمن الله تبارك وتعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب ما بين صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله تعالى والذئب على غنمه ولكنكم تعجلون."(١) وغيره من الأحاديث المشابهة حتى ولو أُوذي أو قُتل، فهو إن شاء الله شهيد، قال سبحانه:﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران:٢٨]

وأما المتعلقة بالفعل فهي ثلاثة

الأول : ــ أن يكون الفعل مكفراً لا شبهة فيه

يقول الله جل وعلا:﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:٨٣] وقال تعالى:﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣] لقد أمر الله أهل الإسلام بالرجوع إلى العلماء وسؤالهم، ونهى عن القول في دينه بغير علم، ولا زال الناس بخير مادام العلم يأتيهم من علمائهم الربانيين، إليهم يرجعون في المسائل العظام، ولا يستفتون غيرهم من المتعالمين، إن الناس إذا ذهبوا يمينا وشمالا واستفتوا من لا علم عنده في المسائل العظام، عند ذلك يحصل الضلال والهلاك، ومن المسائل التي يتجرأ بعض الناس على الكلام فيها وهو ليس من أهل الفتيا المعتبرين مسألة التكفير. فأقدموا على تكفير الناس دون علم بالضوابط والشروط والموانع التي لا يميزها إلا أهل العلم.

وحيث أن التكفير حكم شرعي، مرده إلى الله ورسوله فليس كل ما وصف بالكفر من قول أو فعل، يكون كفرا أكبرا مخرجا من الملة. ولما كان مرد حكم التكفير إلى الله ورسوله لم يجز أن نكفر إلا من دل الكتاب والسنة على كفره دلالة واضحة، فلا يكفي في ذلك مجرد الشبهة والظن، لما يترتب على ذلك من الأحكام الخطيرة.

وإذا كانت الحدود تدرأ بالشبهات مع أن ما يترتب عليها أقل مما يترتب عل التكفير. فالتكفير أولى أن يدرأ بالشبهات. ولذلك حذر النبي ﷺ من الحكم بالتكفير على شخص ليس بكافر، فقال:" أيما امرئ قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه."(٢) وقد يرد

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ج٣ صــ ١٣٢٢ حديث رقم ٣٤١٦

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب من أكفر أخاه بغير تأويل ج ٥ صــ ٢٢٦٤ حديث رقم ٥٧٥٣

في الكتاب والسنة ما يفهم منه أن هذا القول أو العمل أو الاعتقاد كفر، ولا يكفر من اتصف به، لوجود مانع يمنع من كفره. قال ابن حجر رحمه الله:" والذين تمسكوا بأصل الإسلام ومنعوا الزكاة بالشبهة التي ذكروها لم يحكم عليهم بالكفر قبل إقامة الحجة."[١]

وواضح أن الشبهة التي كانوا عليها منعت الصحابة رضوان الله عليهم من تكفيرهم، وكان قول أبي بكر رضي الله عنه فيهم واضح لو منعوني عقال بعير لقاتلتهم عليه. إذ لو كان حكم بكفرهم وردتهم لكان أولى أن يقاتلهم على الردة من قتالهم على الزكاة.

ونقل ابن حجر عن النووي رحمهم الله قوله:" لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكرا محققا تعلمونه من قواعد الإسلام، فإذا رأيتم ذلك فأنكروا عليهم وقولوا بالحق حيثما كنتم."[٢] أي أنه لا يكفي مجرد الظن والإشاعة.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله:" من ثبت له عقد الإسلام بيقين لا يخرج منه إلا بيقين."[٣]

الثاني : ــ أن يكون فعل المكلف أو قوله صريح الدلالة على الكفر

مثل قول الرجل (لا صلى الله على من صلى عليه) فهذا القول محتمل وليس بصريح في الدلالة، فهل يريد بالضمير(ــه) أنه يعود على الرسول ﷺ أم على الشخص؟ يقول شيخ الإسلام:" التكفير لا يكون بأمر محتمل."[٤]

وقال ابن نجيم رحمه الله:" والذي تحرر أنه لا يفتى بكفر مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن، أو كان في كفره اختلاف ولو رواية ضعيفة."[٥]

والألفاظ أو الأقوال المحتملة غير الصريحة، فليست محل إجماع ولا اتفاق ولم يوجبوا التكفير بها أو القتل إلا بعد التبيّن والتثبت والاستيضاح من فاعلها أو قائلها. قال الشافعي رحمه الله:" القول قوله في الذي يحتمل غير الظاهر، حتى لا يحكم عليه أبدا إلا بالظاهر."[٦]

الثالث : ــ أن يكون الدليل الشرعي المُكفِّر لذلك الفعل صريح الدلالة على التكفير

لا بظن أو بتخريص أو بشك، وذلك بأن يكون الإثبات إما بالإقرار أو البينة. قال ابن قدامة رحمه الله في المغنى في كتاب المرتد:" وتقبل الشهادة على الردة من عدلين في قول أكثر أهل العلم، وبه

---

(١) فتح الباري / ابن حجر ج ١٢ صــ ٢٨٠

(٢) فتح الباري / ابن حجر ج ١٣ صــ ٨

(٣) فتح الباري / ابن حجر ج١٢ صــ ٣٠١

(٤) الصارم المسلول / ابن تيمية ج٣ صــ ٩٦٣

(٥) البحر الرائق شرح كنز الدقائق / ابن نجيم الحنفي ج٥ صــ ١٣٥

(٦) الأم / أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس ابن عثمان الشافعي / دار المعرفة / بيروت / ١٣٩٣هــ / الطبعة: الثانية / ج ٧ صــ ٢٩٧ وانظر إعلام الموقعين / ابن القيم ج٣ صــ١١٥

يقول مالك والأوزاعي والشافعي رحمهم الله وأصحاب الرأي."[1] وقد اشترط الله تبارك وتعالى العدالة في أمور هي دون التكفير كالتي يتعلق به سفك الدماء وإباحة المحفوظات قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾ [الطلاق:٢]

فقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله:" أن مذهب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد أيضا في المشهور عنه أن من شهدت عليه بيّنة بالردة فأنكر وتشهد الشهادتين المعتبرتين حكم بإسلامه، ولا يحتاج أن يُقِر بما شُهد به عليه، فكيف إذا لم يشهد عليه عدل."[٢] وقال ابن القيم رحمه الله:" لو شهد عليه بالردة فقال: لم أزل أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله منذ عقلت إلى الآن. لم يستكشف عن شيء، ولم يسأل لا هو ولا الشهود عن سبب ردته كما ذكره الخرقي في مختصره وغيره من أصحاب الشافعي، فإذا ادعى عليه بأنه قال كذا وكذا، فقال: إن كنت قلته فأنا تائب منه أو قد تبت، فقد اكتفى منه بهذا الجواب، ولم يكشف عن شيء منه بعد ذلك."[٣] وفي الأم يقول الإمام الشافعي رحمه الله :" من قيل أنه لا يُصلّي فكذّبهم صُدّق."[٤]

وكما قررنا أن مذهب السلف في إثبات المخالفات الشرعية قائم على البينة الواضحة المعتمدة على القول أو العمل ؛ لأن أمور الباطن موكولة إلى الله تبارك وتعالى وحده ، فمن زنا أو سرق أو حتى أبطن ديناً غير الإسلام لم يثبت عليه ذلك إلا بالبينة ، وإن كان عند الله زان وسارق وكافر فهو غير ذلك عند المسلمين ، لأن الأحكام الشرعية في الدنيا تقوم على الإثبات وفق ما نصت عليه الشريعة بالأدلة أو الشهود .

موانع التكفير

قال ابن تيمية رحمه الله:" فالتكفير يختلف بحسب اختلاف حال الشخص فليس كل مخطئ ولا مبتدع ولا جاهل ولا ضال يكون كافرا، بل ولا فاسقا بل ولا عاصيا لا سيما في مثل مسألة خلق القرآن، وقد غلط فيها خلق من أئمة الطوائف المعروفين عند الناس بالعلم والدين وغالبهم يقصد وجها من الحق فيتبعه و يعزب عنه وجه آخر لا يحققه فيبقى عارفا ببعض الحق جاهلا ببعضه بل منكرا له."[٥]

---

(١) المغني / ابن قدامة ج ٩ صـــ ٢٨

(٢) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج ٣٥ صـــ ٢٠٥

(٣) إعلام الموقعين / ابن القيم ج ٣ صـــ ٣٨٦

(٤) انظر الأم / الإمام الشافعي ج١ صـــ ٢٥٥

(٥) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج ١٢ صـــ ١٨٠

وقد عدد العلماء موانعا للتكفير بعضهم أوصلها إلى ثمانية دامجاً بين الضوابط والشروط والموانع، وبعضهم عدها خمسة وبعضهم أربعة خامسها الإكراه. ونظرا لأنني قسمت وفرقت بين الضوابط والشروط والموانع بقى أن أذكر الموانع وهى الجهل والتأويل والخطأ والإكراه .

أولا : ــ الجهل

الجهل في اللغة:" نقيض العلم وقد جهله فلان جهلا و جهالة و جهل عليه و تجاهل أظهر الجهل."(١)

وقال الراغب الأصبهاني:" الجهل على ثلاثة أضرب: الأول: وهو خلو النفس من العلم هذا هو الأصل، وقد جعل ذلك بعض المتكلمين معنى مقتضيا للأفعال الجارية على غير النظام. والثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه. والثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل سواء اعتقد فيه اعتقادا صحيحا أو فاسدا كمن يترك الصلاة متعمدا.:(٢)

وقال الجويني رحمه الله:" والجهل تصور الشيء على خلاف ما هو به."(٣)

وأما الجهل المراد به في بحثنا ما فصل فيه الأمام الكفومي رحمه الله فقال:" والجهل أنواع باطل لا يصلح عذرا وهو جهل الكافر بصفات الله وأحكامه، وكذا جهل الباغي وجهل من خالف في اجتهاده الكتاب والسنة كالفتوى ببيع أمهات الأولاد بخلاف الجهل في موضع الاجتهاد فإنه يصلح عذرا وهو الصحيح. وكذا الجهل في موضع الشبهة، وأما جهل ذوي الهوى بالأحكام المتعلقة بالآخرة كعذاب القبر والرؤية والشفاعة لأهل الكبائر وعفو ما دون الكفر وعدم خلود الفساق في النار فلم يكن هذا الجهل عذرا لكونه مخالفا للدليل الواضح في الكتاب والسنة والمعقول."(٤)

وقد ذكر بعض العلماء من أدلة هذا المانع قصة الرجل الذي لم يعمل خيرا قط، فأمر أولاده إذا مات أن يحرقوه، ثم يذرُّوا رماده في يوم شديد الريح في البحر، وقال: والله لئن قدر علي ليُعذبني عذابًا ما عذب به أحدا، فغفر الله له."(٥)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد ذكره لهذا الحديث:" فهذا رجل شك في قدرة الله، وفي إعادته إذا ذُري، بل اعتقد أنه لا يُعاد، وهذا كفر باتفاق المسلمين، ولكن كان جاهلاً لا يعلم ذلك، وكان مؤمنًا يخاف الله أن يعاقبه، فغُفر له بذلك."(٦)

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج ١١ صـــ ١٢٩

(٢) المفردات في غريب القرآن / الأصبهاني صـــ ١٠٢

(٣) الورقات / عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني / تحقيق: د. عبد اللطيف محمد العبد / صـــ ٩ وانظر التعاريف / المناوي صـــ ٢٦٠

(٤) الكليات / الكفومي صـــ ٣٥٠

(٥) سبق تخريجه انظر صـــ ١٥٣ حاشية رقم ٢

(٦) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٣ صـــ ٢٣١ بتصرف

وقال أبو محمد ابن حزم في ذلك:" فهذا إنسان جهل إلى أن مات أن الله عز وجل يقدر على جمع رماده وإحيائه، وقد غفر له؛ لإقراره وخوفه وجهله."(١)

وقال ابن القيم رحمه الله:" وأما جحد ذلك جهلا أو تأويلا يعذر فيه صاحبه فلا يكفر صاحبه به كحديث الذي جحد قدرة الله عليه وأمر أهله أن يحرقوه ويذروه في الريح ومع هذا فقد غفر الله له ورحمه لجهله إذ كان ذلك الذي فعله مبلغ علمه ولم يجحد قدرة الله على إعادته عنادا أو تكذيبا."(٢)

قال الإمام الشافعي رحمه الله عند كلامه على الأسماء والصفات الثابتة في القرآن والسنة:" فإن خالف بعد ذلك بعد ثبوت الحجة عليه، فهو كافر، فأما قبل ثبوت الحجة عليه، فمعذور بالجهل."(٣)

وقال شيخ الإسلام رحمه الله أيضا عند كلامه على بعض المكفرات:" لكن من الناس من يكون جاهلا ببعض هذه الأحكام جهلا يُعْذَر به، فلا يُحْكَم بكفر أحد، حتى تقوم عليه الحجة من جهة بلاغ الرسالة."(٤)

وقال ابن القيم رحمه الله بعد ذكره كفر من هجر فريضة من فرائض الإسلام، أو أنكر صفة من صفات الله تعالى أو أنكر خبرًا أخبر الله به عمدًا:" وأما جحد ذلك جهلا أو تأويلا يعذر فيه صاحبه فلا يكفر صاحبه به كحديث الذي جحد قدرة الله عليه وأمر أهله أن يحرقوه ويذروه في الريح ومع فقد غفر الله له ورحمه لجهله إذ كان ذلك الذي فعله مبلغ علمه ولم يجحد قدرة الله على إعادته عنادا أو تكذيبا."(٥)

ما هو ضابط الجهل الذي يعذر به في التكفير؟

والجهل نوعان جهل يعذر به الإنسان وجهل لا يعذر به. أما الجهل الذي يعذر به المسلم كما قال ابن الشاط رحمه الله:" اعلم أن الجهل نوعان النوع الأول جهل تسامح صاحب الشرع عنه في الشريعة فعفا عن مرتكبه وضابطه أن كل ما يتعذر الاحتراز عنه عادة فهو معفوٌ عنه."(٦)

وهناك أمور تجعل الاحتراز من الجهل أمرا شاقا محرجا منها : ـــ

١ـــ حداثة العهد بالإسلام فالذي أسلم قريباً يجهل أغلب أحكام الإسلام ابتداءً لحديث أبي واقد الليث يرضى الله عنه قال:" خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حديثوا عهد بكفر قال فمررنا بشجرة

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل / ابن حزم ج٣ صـــ ١٤٠ ، وانظر أيضا إيثار الحق على الخلق / ابن الوزير صـــ ٣٩٤.

(٢) مدارج السالكين / ابن القيم ج١ صـــ ٣٦٨ ، ٣٦٩

(٣) انظر اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية / أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي/ دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤٠٤هـــ ـــ ١٩٨٤م/ الطبعة: الأولى / صـــ ٩٤

(٤) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج١١ صـــ ٤٠٦.

(٥) مدارج السالكين / ابن القيم ج١ صـــ ٣٣٨

(٦) الفروق وأنوار البروق في أنواء الفروق / ابن الشاط ج ٢ صـــ ٢٦٠

فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، وكان للكفار سدرة يعكفون حولها ويعلقون بها أسلحتهم يدعونها ذات أنواط. فلما قلنا ذلك للنبي ﷺ قال الله أكبر: قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال أنكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم."(١)

٢ــ النشوء ببادية بعيدة لم ينتشر فيها الإسلام كالأعراب والبدو، والذين تكثر فيهم الأمية فضلا عن جهل ما أنزل الله عليهم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" اتفق الأئمة أن من نشأ ببادية بعيدة عن أهل الإسلام والعلم والإيمان وكان حديث عهد بالإسلام فأنكر شيئاً من هذه الأحكام الظاهرة المتواترة فإنه لا يحكم بكفره حتى يعرف ما جاء به الرسول."(٢) ومنه أيضاً من نشأ في بيئة غلب عليها البدعة ولا قدرة عنده على معرفة الدين الصحيح، ولا يجد سوى علماء الابتداع والانحراف فلا يعرف الدين إلا من خلالهم، وقد الحق العلماء هذا الجنس بأهل الفترة لعدم بلوغ الدعوة الصحيحة إليهم وعدم معرفتهم للدين على حقيقته.

٣ــ البقاء في دار الحرب لأسباب مشروعة قال ابن نجيم رحمه الله:" الجهل في دار الحرب من مسلم لم يهاجر يكون عذراً حتى لو مكث فيها، ولم يعلم أن عليه الصلاة والزكاة وغيرهما ولم يؤدهما لم يلزم عليه قضاؤهما لخفاء الدليل في حقه وهو الخطاب."(٣)

٤ــ كما يقبل الجهل في حق العامة ويكون عذراً إذا كان واقعاً في أحكام لا يعلمها إلا أهل العلم. قال الإمام الشافعي رحمه الله:" ما ينوب العباد من فروع الفرائض وما يخص به من الأحكام وغيرها مما ليس فيه نص كتاب ولا في أكثره نص سنة، وإن كان في شيء منه نص سنه فإنما أخبار الخاصة لا أخبار العامة، وما كان منه يحتمل التأويل ويستدرك قياساً، هذه الدرجة من العلم ليس تبلغها العامة."(٤) وقد صحح القاضي حسين من الشافعية:" أن كل مسألة ترق وتغمض معرفتها يعذر فيها العامي."(٥)

أما الجهل الذي لا يعذر به المسلم فهو الجهل الذي يمكن دفعه الذي هو نقيض العلم ويمكن دفعه بالسعي لتعلم ما جهله المسلم، وأعني به الجهل بتلك المسائل التي عليها مدار الإسلام كتوحيد الله تعالى، ونبوة سيدنا محمد ﷺ، والصلوات الخمس، وتعظيم أمرها، وباقي مباني الإسلام إلى غير ذلك من أصول الدين وكليات

---

(١) مسند الإمام أحمد ج٥ صـــ ٢١٨ حديث رقم ٢١٩٤٧ ورواه الترمذي في سننه كتاب الفتن باب ما جاء في رفع الأمانة ج٤ صـــ ٤٧٥ حديث رقم ٢١٨١ وقال حسن صحيح

(٢) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج ١١ صـــ ٤٠٧

(٣) غمز عيون البصائر شرح كتاب الأشباه والنظائر/ زين الدين بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن بكر المشهور بابن النجيم الحنفي / دار الكتب العلمية / لبنان / بيروت / ١٤٠٥هـــ ـــ ١٩٨٥م / تحقيق: شرح مولانا السيد أحمد بن محمد الحنفي الحموي / الطبعة: الأولى / ج٣ ص ٣٠٠

(٤) انظر الرسالة / محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي / الناشر: مكتبه الحلبي / مصر / القاهرة / ١٣٥٨هـــ ـــ ١٩٣٩م / تحقيق: أحمد محمد شاكر / الطبعة: الأولى / صـــ ٣٥٩

(٥) الأشباه والنظائر / السيوطي صـــ ١٩٢

الشريعة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" بهذا تبين أن الشارع عليه الصلاة والسلام نص على كل ما يَعصم من المهالك، ولا أهلك للإنسان من الكفر والعصيان نصاً قاطعاً للعذر قال الله تعالى:﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة:١١٥] وقال تعالى:﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥] وقال سبحانه:﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾[العنكبوت:١٨]

وقال أبو ذر رضى الله عنه لقد توفى رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علما(١). وفي صحيح مسلم" أن بعض المشركين قالوا لسلمان لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة قال أجل(٢)، وقال ﷺ تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك(٣)."(٤)

وقال ابن الشاط رحمه الله:" النوع الثاني: جهل لم يتسامح صاحب الشرع عنه في الشريعة فلم يعف عن مرتكبه؛ وضابطه أن كل ما لا يتعذر الاحتراز عنه ولا يشق لم يعف عنه وهذا النوع يطرد في أصول الدين وأصول الفقه وفي بعض أنواع من الفروع."(٥)

ويقول الإمام الشافعي رحمه الله:" العلم علمان علم عامة لا يسع بالغاً غير مغلوب على عقله جهله مثل الصلوات الخمس، وأن لله على الناس صوم شهر رمضان، وحج البيت إذا استطاعوا، وزكاة في أموالهم، وأنه حرم عليهم الزنى والقتل والسرقة والخمر وما كان في معنى هذا مما كلف العباد أن يعقلوه ويعملوه ويعطوه من أنفسهم وأموالهم، وأن يكفوا عما حرم عليهم منه، وهذا الصنف كله من العلم موجود نصا في كتاب الله وموجود عام عند أهل الإسلام ينقله عوامهم ممن مضى من عوامهم يحكونه عن رسول ﷺ، ولا يتنازعون في حكايته ولا وجوبه عليهم."(٦)

ويقول الحافظ ابن رجب رحمه الله:" فما ظهر بيانه واشتهر وعلم من الدين بالضرورة من ذلك لم يبق فيه شك، ولا يعذر أحد بجهله في بلد يظهر فيه الإسلام."(٧)

والخلاصة أن العذر بالجهل إنما يقبل في حقّ من كان في محلٍّ أو حالٍ هو مظنّة أن يجهل هذه الأحكام؛ كمن نشأ في بادية بعيدة، أو كان حديث عهد بكفر، أما من عاش بين المسلمين، يحضر صلواتهم ويسمع خطبهم، ويسهل عليه السؤال عما يجهله ثم يجهل شيئاً من أصول الدين أو أمراً

(١) المعجم الكبير / الطبراني ج٢ صـ ١٥٥ حديث رقم ١٦٤٧ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح انظر باب فيما أوتي من العلم ﷺ ج٨ صـ ٢٦٤

(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الطهارة باب الإستطابة ج١ صـ ٢٢٣ حديث رقم ٢٦٢

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين كتاب العلم ج١ صـ ١٧٥ حديث رقم ٣٣١

(٤) درء تعارض العقل والنقل / ابن تيمية ج١ صـ ٧٣ ، ٧٤

(٥) الفروق / ابن الشاط ج ٢ صـ ٢٦١

(٦) الرسالة / الشافعي صـ ٣٥٧

(٧) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم / ابن رجب الحنبلي صـ ٦٨

معلوماً منه بالضرورة فلا يعذر بجهله، لأنه متسبب في وجود جهله وعدم إزالته، وذلك تقصير منه فيما له استطاعة عليه.

ثانيا : ــ التأويل

التأويل في اللغة:

قال الرازي رحمه الله:" التأويل تفسير ما يئول إليه الشيء وقد أوله تأويلا وتأوله بمعنى."(١)

وقال ابن الأثير رحمه الله:" التأويل هو من آل الشيء يؤول إلى كذا أي رجع وصار إليه."(٢)

التأويل في الاصطلاح:

له ثلاثة معان: ــ

الأول: ــ أن يراد بالتأويل حقيقة ما يؤول إليه الكلام، وإن وافق ظاهره، وهذا هو المعنى الذي يراد بلفظ التأويل في الكتاب والسنة، كقوله تعالى:﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ﴾ **[الأعراف:٥٣]** ومنه قول عائشة رضي الله عنها:" كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده : سبحانك اللهم ربنا و لك الحمد. اللهم اغفر لي؛ يتأول القرآن."(٣) والمراد من قولها رضي الله عنها يتأول القران أي حقيقة ما يؤول أليه قوله تعالى:﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ ﴿ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ **[النصر١:٣]**

و قد ذكر ابن حجر رحمه الله أن البخاري رحمه الله قد صرح في إحدى روايات الحديث أنه ﷺ واضب على ذلك بعد نزول السورة.(٤)

الثاني: ــ يراد بلفظ التأويل: (التفسير) وهو اصطلاح كثير من المفسرين، فالتأويل يطلق في القرآن والسنة ويراد به التفسير، وهذا كثيرا ما يستخدمه الإمام ابن جرير رحمه الله في تفسيره فيقول القول في تأويل هذه الآية، وممن ذهب إلى تأويل هذه الآية، بمعنى تفسيرها، واختلف أهل التأويل وهكذا. وقال ابن تيمية:" التأويل التفسير وهو اصطلاح كثير من المفسرين ولهذا قال مجاهد إمام أهل التفسير:

---

(١) مختار الصحاح / الرازي صـــ ١٣

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر / ابن الأثير ج١ صـــ ٨٠ ، ٨١

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب صفة الصلاة باب لا يكف ثوبه في الصلاة ج١ صـــ ٢٨١ حديث رقم ٧٨٤ ، و الإمام مسلم في كتاب الصلاة باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود ج١ صـــ ٣٥٠ حديث رقم ٤٨٤ وانظر مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٤ صـــ ٦٨

(٤) انظر فتح الباري / ابن حجر ج٨ صـــ ٧٣٤

إن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه فإنه أراد بذلك تفسيره وبيان معانيه وهذا مما يعلمه الراسخون."[١] وفيه أيضا قول النبي ﷺ لابن عباس :" اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل."[٢]

الثالث: ــ أن يراد بلفظ (التأويل) كما قال ابن تيمية رحمه الله:" صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل عليه ظاهره إلى ما يخالف ذلك، لدليل منفصل يوجب ذلك، وهذا التأويل لا يكون إلا مخالفاً لما يدل عليه اللفظ ويبينه، وتسمية هذا تأويلاً لم يكن في عرف السلف، وإنما سمي هذا وحده تأويلاً طائفة من المتأخرين الخائضين في الفقه وأصوله والكلام، وهذا هو التأويل الذي اتفق سلف الأمة وأئمتها على ذمه."[٣] وهذا التأويل الذي عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في مسألة الصفات والقدر ونحوها. وهو من أعظم أصول الضلال والانحراف حيث صار ذريعة لغلاة الجهمية والباطنية[٤] والمتصوفة[٥] والشيعة في تأويل التكاليف الشرعية على غير مقصودها أو إسقاطها أو تأويل جميع الأسماء والصفات. قال ابن تيمية رحمه الله:" وأهل التأويل المذموم مراتب ما بين قرامطة[٦] وباطنية يتأولون الأخبار والأوامر، وما بين صائبة فلاسفة عامة الأخبار عن الله

---

(١) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج ٤ صـــ ٦٩

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين / كتاب معرفة الصحابة ج٣ صـــ ٦١٥ حديث رقم ٦٢٨٠ وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأخرج الإمام البخاري أوله فقط (اللهم فقهه في الدين) كتاب الوضوء باب ما يقول عند الخلاء ج١ صـــ ٦٦ حديث رقم ١٤٢ وأخرجه الإمام أحمد بتمامه في مسنده ج١ صـــ ٣٢٨ حديث رقم ٣٠٣٣

(٣) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ٤ج صـــ ٦٩ ، وانظر الصواعق المرسلة / ابن القيم ج١ صـــ ١٧٥ وما بعدها ، وانظر شرح الطحاوية / أبو العز الحنفي صـــ ٢٣٢

(٤) الباطنية هي منهج من مناهج الحركات المنتسبة للإسلام تقوم على النفاق والزندقة وتظهر الإسلام (انظر مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج١٣ صـــ ١٧٧) ومن أمثلتها اليزيدية والقرامطة والإسماعيلية والنصيرية والدروز والحشاشون والبابية والبهائية والقاديانية والحزب الجمهوري في السودان والأحباش و الأنصار والخمينية وحركة أمل " أفواج المقاومة اللبنانية "(الموسوعة الميسرة صـــ ٣٦٩)

(٥) التصوُّف حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنـــزعاتٍ فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة كرد فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري. ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرق مميزة معروفة باسم الصوفية، ويتوخّى المتصوفة تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله تعالى بالكشف والمشاهدة لا عن طريق إتباع الوسائل الشرعية، ولذا جنحوا في المسار حتى تداخلت طريقتهم مع الفلسفات الوثنية الهندية والفارسية واليونانية المختلفة. ويلاحظ أن هناك فروقاً جوهرية بين مفهومي الزهد والتصوف أهمها: أن الزهد مأمور به، والتصوف جنوح عن طريق الحق الذي اختطَّه أهل السنة والجماعة.(الموسوعة الميسرة صـــ ٢٤٩)

(٦) القرامطة حركة باطنية هدامة تنتسب إلى شخص اسمه حمدان بن الأشعث ويلقب بقرمط لقصر قامته وساقيه وهو من خوزستان في الأهواز ثم رحل إلى الكوفة. وقد اعتمدت هذه الحركة التنظيم السري العسكري، وكان ظاهرها التشيع لآل البيت والانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق وحقيقتها الإلحاد والإباحية وهدم الأخلاق والقضاء على الدولة الإسلامية (انظر الموسوعة الميسرة صـــ ٣٧٨)

واليوم الآخر، حتى عن أكثر أحوال الأنبياء، وما بين جهمية ومعتزلة يتأولون بعض ما جاء في اليوم الآخر وفي آيات القدر ويتأولون آيات الصفات، وقد وافقهم بعض متأخري الأشعرية على ما جاء في بعض الصفات، وبعضهم في بعض ما جاء في اليوم الآخر، وآخرون من أصناف الأمة وإن كان تغلب عليهم السنة، فقد يتأولون أيضاً مواضع يكون تأويلهم من تحريف الكلم عن مواضعه."(١)

وقال الجرجاني رحمه الله:" التأويل في الأصل الترجيع وفي الشرع صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقا للكتاب والسنة مثل قوله تعالى ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ [الأنعام:٩٥] أن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيرا وإن أراد به إخراج المؤمن من الكافر أو العالم من الجاهل كان تأويلا."(٢)

قال ابن الأثير رحمه الله:" والمراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ، ومنه حديث عائشة رضي الله عنها كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك الله وبحمدك يتأول القرآن تعنى أنه مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر:٣]"(٣) وضرب ابن الأثير لهذا الحديث مثلا لما ذهب إليه من معنى التأويل فيه نظر من حيث أنه لم يترك ظاهر اللفظ كما هو واضح في ذكر التسبيح والحمد بلفظهما في الآية والحديث.

والتأويل الذي هو موضع بحثنا أن يرتكب المسلم أمرا كفريا معتقدا مشروعيته، أو إباحته له، لدليل يتأوله يرى صحته، أو لأمر يراه عذرا له في ذلك، وهو مخطئ في ذلك كله.

متى يكون التأويل مانعا من الكفر ؟

وقد قسم الشيخ المناوي رحمه الله التأويل إلى ثلاثة أقسام فقال:"هو حمل الظاهر على المحتمل المرجوح فإن حمل لدليل فصحيح أو لما يظن دليلا ففاسد أو لا لشيء فلعب لا تأويل."(٤)

فالتأويل المانع هو وضع الدليل الشرعي في غير موضعه باجتهاد أو شبهة تنشأ عن عدم فهم دلالة النص، أو فهمه فهماً خاطئاً ظنه حقاً، أو ظن غير الدليل دليلاً، فيُقدم المكلف على الفعل الكفري وهو لا يراه كفراً، فينتفي شرط العمد، فإن أُقيمت عليه الحجة، وبين خطأه، وأصر على فعله ، كفر حينئذ .

والتأويل المانع من التكفير: هو التأويل السائغ، وهو الذي له مسوغ في الشرع أو في اللغة، ومثاله تأويل المتكلمين لليد بالقدرة. وأما التأويل غير السائغ فهو التأويل الذي ليس له مسوغ في الشرع أو في

(١) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج ١٣ صـــ ٢٨٧

(٢) التعريفات / الجرجاني صـــ ٧٢ وانظر التوقيف على مهمات التعاريف / المناوي صـــ ١٥٧

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر / ابن الأثير ج١ صـــ ٨٠ ، ٨١

(٤) التعاريف / المناوي ج١ صـــ ١٥٧

اللغة، ويكون صادراً عن محض رأي وهوى، ومثاله: تأويل الرافضة لقوله تعالى:" ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾[الرحمن:١٩]﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾[الرحمن:٢٢] (ٱلْبَحْرَيْنِ) بعلي وفاطمة و(ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ) بالحسن والحسين رضى الله عنهما."[١] وهو غير مقبول، وغير مؤثر في الحكم بالكفر أيضا.

" وقال أحمد بن أبي سليمان صاحب سحنون رحمهم الله في رجل قيل له وحق رسول الله ﷺ فقال: فعل الله برسول الله وذكر كلاما. قيل ما تقول يا عدو الله؟ قال إنما أردت برسول الله العقرب. فقال للذي سأله أشهد عليه وأنا شريكك في قتله وثواب ذلك. قال ابن أبي الربيع لأن ادعاءه للتأويل في لفظ صراح لا يقبل لأنه امتهان وهو غير معز لرسول الله ﷺ ولا موقر له."[٢]

وقال ابن الوزير رحمه الله:" وكذلك لا خلاف في كفر من جحد ذلك المعلوم بالضرورة للجميع، وتستر باسم التأويل فيما لا يمكن تأويله، كالملاحدة في تأويل جميع الأسماء الحسنى بل جميع القرآن والشرائع والمعادِ الأخروي من البعث والقيامة والجنة والنار."[٣] فإذا اعتقد المسلم أو فعل أو قال أمرًا مخرجًا من الملة وكان عنده شبهة تأويل في ذلك، وهو ممن يمكن وجود هذه الشبهة لديه، وكانت في مسألة يحتمل التأويل فيها، فإنه يعذر بذلك ولو كانت هذه الشبهة ضعيفة، وقد حكى بعض العلماء إجماع أهل السنة على هذا المانع.

لقد قال الإمام الشافعي رحمه الله:" لم نعلم أحدًا من سلف هذه الأمة يقتدي به، ولا من التابعين بعدهم، ردّ شهادة أحد بتأويل، وإن خطأه وضلله، ورآه استحل فيه ما حرم عليه، ولا رد شهادة أحد بشيء من التأويل كان له وجه يحتمله، وإن بلغ فيه استحلال الدم والمال، أو المفرط من القول."[٤]

وقال الحافظ رحمه الله في الفتح باب ما جاء في المتأولين:" قال العلماء: كل متأول معذور بتأويله ليس يأثم، إذا كان تأويله سائغًا في لسان العرب، وكان له وجه في العلم."[٥]

قال شيخ الإسلام رحمه الله:" إن المتأول الذي قصد متابعة الرسول ﷺ لا يكفر، بل ولا يفسق، إذا اجتهد فأخطأ، وهذا مشهور عند الناس في المسائل العملية، وأما مسائل العقائد فكثير من الناس كفَّر المخطئين فيها، وهذا القول لا يُعرف عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا عن أحد من

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح / علي بن سلطان محمد القاري / دار الكتب العلمية / لبنان/ بيروت / ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م / تحقيق: جمال عيتاني / الطبعة: الأولى / ج١ صـ ٤٤٧

(٢) التاج والإكليل لمختصر خليل / محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري / دار الفكر / بيروت / ١٣٩٨هـ / الطبعة: الثانية / ج٦ صـ ٢٨٥

(٣) إيثار الحق على الخلق / ابن الوزير ج١ صـ ٣٧٧

(٤) الأم / الشافعي ج ٦صـ ٢٠٥

(٥) فتح الباري / ابن حجر ج ١٢ صـ ٣٠٤

أئمة المسلمين، وإنما هو في الأصل من أقوال أهل البدع."[1] وقال أيضا:" لكن قد يكون الرجل حديثَ عهد بإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة، ومثلُ هذا لا يكفر بجحد ما يجحده، حتى تقوم عليه الحجة، وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص، أو سمعها ولم تثبُت عنده، أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها، وإن كان مخطئا، ثم ذكر قصة الرجل الذي أمر أولاده إذا مات أن يُحَرِّقُوه؛ لئلا يبعثه الله، ومغفرة الله له، ثم قال والمتأول من أهل الاجتهاد، الحريص على متابعة الرسول ﷺ أولى بالمغفرة من مثل هذا."[2]

وقد نقل ابن تيمية رحمه الله عن بعض أهل العلم:" أنه من أجل هذا المانع ــ وهو مانع التأويل ــ لم يكفِّر الصحابة رضي الله عنهم الخوارج الذين خرجوا عليهم، وحاربوهم، وكفروا الخليفة الراشد علي بن أبي طالب المشهود له بالجنة، واستحلوا دمه، حتى قتلوه، واستحلوا دماء جميع من خالفهم، مع أن بعض ما وقعوا فيه هو من الأمور التي يَكفر مرتكبها. قال شيخ الإسلام ابن تيمية لم تكفر الصحابة الخوارج، مع تكفيرهم لعثمان وعلي ومن والاهُما، واستحلالهم لدماء المسلمين المخالفين لهم."[3]

وقال الكفومي رحمه الله:" ومختار جمهور أهل السنة من الفقهاء والمتكلمين عدم إكفار أهل القبلة من المبتدعة والمؤولة في غير الضرورية لكون التأويل شبهة."[4]

ومن أدلة العذر في التأويل قصة حاطب بن أبي بلتعة البدري قال ابن حجر رحمه الله:" عندما راسل قريشا يخبرهم بتوجه النبي ﷺ لفتح مكة، وهذا الفعل يُعد من الموالاة التي فيها مظاهرة المشركين على المسلمين .. ولكن لما فعل حاطب ذلك متأولاً ظاناً أن ذلك لا يضره في إيمانه وإسلامه. وكان صادقاً في تأويله وأنه لم يفعلها ردة ولا كفراً. أقال النبي ﷺ عثرته، ومنع أن يُحمل عليه حكم الكفر أو النفاق الذي أطلقه عليه عمر رضي الله عنه واستأذن النبي ﷺ ــ لأجل ذلك ــ بقتله. قال ابن حجر رحمه الله وعذر حاطب ما ذكره ، فإنه صنع ذلك متأولاً أن لا ضرر فيه."[5]

ومثاله أيضا ما حصل للصحابي البدري قدامة بن مظعون رضي الله عنه عندما تأول قوله تعالى:﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[المائدة:٩٣] فأحل لنفسه شرب الخمر. على اعتبار أنه من الذين آمنوا وعملوا الصالحات. وبالتالي لا جناح عليه لو شرب الخمر. فأحل بذلك شرب الخمر، وهذا كفر.

---

(١) منهاج السنة النبوية / ابن تيمية ج ٥ صـــ ٢٣٩

(٢) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج ٣ صـــ٢٢٩، ٢٣١ باختصار كبير

(٣) يُنظر منهاج السنة / ابن تيمية ج ٥ صـــ ٩٥، ومجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٣ صـــ ٢٨٢، ٢٨٣

(٤) الكليات / الكفومي صـــ ٢٤٣

(٥) انظر فتح الباري / ابن حجر ج ٨ صـــ ٦٣٤

ولكن لما كان الحامل على وقوعه في هذا الكفر التأويل والفهم الخاطئ للآية مُنع عنه لحوق الكفر به قال ابن حجر رحمه الله:" فقال عمر لقدامة: إني أريد أن أحدك. فقال: ليس لك ذلك لقول الله عز وجل: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[المائدة:٩٣] فقال: أخطأت التأويل فان بقية الآية (إِذَا مَا ٱتَّقَواْ) فإنك إذا اتقيت اجتنبت ما حرم الله عليك ثم أمر به فجلد."(١)

ثالثا : ـــ الخطأ

الخطأ في اللغة:

قال الرازي رحمه الله:" الخطأ ضد الصواب وقد يمد وقرئ بهما قوله تعالى:﴿إِلَّا خَطَـًٔا﴾[النساء:٩٢] و أخطأ وتخطأ بمعنى. ولا تقل أخطيت وبعضهم يقوله. و الخِطء الذنب وهو مصدر خِطئ بالكسر والاسم الخطيئة ويجوز تشديدها والجمع الخطايا، ومنه المثل (مع الخواطئ سهم صائب) والمخطئ من أراد الصواب فصار إلى غيره، والخاطئ من تعمد ما لا ينبغي و تخطأ له في المسألة أخطأ."(٢)

الخطأ في الاصطلاح:

أما معنى الخطأ في الاصطلاح كمانع من موانع التكفير فهو قريب من المعنى اللُغوي، قال الحافظ ابن رحب رحمه الله:" الخطأ هو أن يقصد بفعله شيئاً فيصادف فعله غير ما قصده، مثل أن يقصد قتل كافر فصادف قتله مسلماً."(٣)

وقال المناوي رحمه الله:" الخطأ الزلل عن الحق عن غير تعمد مع عزم الإصابة، أو ود أن لا يخطئ ذكره الراغب. وقال ابن الكمال ما لا يقصد وهو عذر صالح لسقوط حق الله إذا حصل عن اجتهاد ويصير شبهة في العقوبة حتى لا يأثم الخاطئ ولا يؤخذ بحد أو قود ولم يجعل عذرا في حقوق العباد حتى يلزمه ضمان ما أتلفه هذا ما ذكره ابن الكمال ولا يخفى ما فيه من إجمال وقد حققه الإمام الراغب حيث قال الخطأ العدول عن الجهة وذلك أضرب."(٤)

وقال الجرجاني رحمه الله:" الخطأ هو ما ليس للإنسان فيه قصد وهو عذر صالح لسقوط حق الله تعالى إذا حصل عن اجتهاد ويصير شبهة في العقوبة حتى لا يؤثم الخاطئ ولا يؤاخذ بحد ولا قصاص ولم يجعل عذرا في حق العباد حتى وجب عليه ضمان العدوان."(٥)

---

(١) فتح الباري / ابن حجر ج ٧ صـــ ٣٢٠

(٢) مختار الصحاح / الرازي صـــ ٧٥، وانظر النهاية في غريب الحديث والأثر / ابن الأثير ج ٢ صـــ ٤٤

(٣) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم / ابن رجب الحنبلي صـــ ٣٧٤

(٤) التعاريف / المناوي صـــ ٣١٧

(٥) التعريفات / الجرجاني صـــ ١٣٤

وهناك تعريفات أخرى قريبة مما ذُكر وحاصلها أن الخطأ في الاصطلاح: (كل ما يصدر عن المكلف من قول أو فعل خال عن إرادته وغير مقترن بقصد منه)

وقد قسم بعض العلماء كالكفومي والميناوي رحمهم الله الخطأ إلى ثلاثة أقسام فقالا:" الخطأ هو ثبوت الصورة المضادة للحق بحيث لا يزول بسرعة، وقيل هو العدول عن الجهة وذلك أضرب: أحدها: أن تريد غير ما يحسن إرادته فتفعله وهذا هو الخطأ التام المأخوذ به الإنسان، يقال فيه خطأ يخطأ خطأ وخطاء بالمد. والثاني: أن تريد ما يحسن فعله ولكن يقع عنه بخلاف ما تريده فيقال فيه أخطأ يخطئ خطأ فهو مخطئ، وهذا قد أصاب في الإرادة وأخطأ في الفعل هذا هو المعنى لقوله عليه الصلاة والسلام: رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وبقوله من اجتهد وأخطأ فله أجر. والثالث: أن تريد ما لا يحسن فعله ويتفق منه خلافه فهذا مخطئ في الإرادة مصيب في الفعل وهو مذموم بقصده غير محمود على فعله."[(١)]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد ذكره أن المعين لا يكفر حتى تجتمع فيه شروط التكفير، وتنتفي عنه موانعه:" والدليل على هذا الأصل: الكتاب والسنة والإجماع والاعتبار ــ ثم ذكر بعض هذه الأدلة ــ ثم قال: وإذا ثبت بالكتاب المفسر بالسنة أن الله قد غفر لهذه الأمة الخطأَ والنسيان، فهذا عام عمومًا محفوظًا، وليس في الدلالة الشرعية ما يوجب أن الله يعذب من هذه الأمة مخطئًا على خطئه. وإذا عُرف هذا فتكفير المعين من هؤلاء الجهال وأمثالهم ــ بحيث يحكم عليه بأنه من الكفار ــ لا يجوز الإقدام عليه، إلا بعد أن تقوم على أحدهم الحجة الرسالية التي يتبين بها أنهم مخالفون للرسل، وإن كانت هذه المقالة لا ريب أنها كفر، وهذا الكلام في تكفير جميع المعينين، مع أن بعض هذه البدعة أشد من بعض، وبعض المبتدعة يكون فيه من الإيمان ما ليس في بعض، فليس لأحد أن يكفر أحدًا من المسلمين ــ وإن أخطأ وغلط ــ حتى تقام عليه الحجة، وتبين له المحجة، ومن ثبت إيمانه بيقين، لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة، وإزالة الشبهة."[(٢)]

وقال أيضا:" وهذه الأقوال التي يكفر قائلها، قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، وقد تكون عنده ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها، وقد يكون عرضت له شبهات يعذره الله بها، فمن كان من المؤمنين مجتهدًا في طلب الحق وأخطأ، فإن الله يغفر له خطأه، كائنًا ما كان، سواء كان في المسائل النظرية أم العملية، هذا الذي عليه أصحاب النبي ﷺ وجماهير أئمة الإسلام."[(٣)]

والأدلة على العذر بالخطأ كثيرة منها قوله تعالى:﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ﴾ [البقرة:٢٨٦] وقوله تعالى:﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ﴾ [الأحزاب:٥] ومن الأحاديث المشهورة في العذر بالخطأ، قوله ﷺ:" إن الله وضع عن أمتي الخطأ

---

(١) الكليات / الكفومي صـــ ٤٢٤ وانظر التعاريف / المناوي صـــ ٣١٧

(٢) أنظر مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج١٢صـــ ٤٨٩، ٤٩٠، صـــ ٥٠٠، ٥٠١ باختصار كبير

(٣) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج ٢٣ صـــ ٣٤٦

والنسيان وما استُكرهوا عليه."[١] وما رواه الشيخان عن عمرو بن العاص رضى الله عنه:" أنه سمع النبي ﷺ يقول إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر."[٢] وهذه الأدلة عامة في العذر من عموم الخطأ، وثمة دليل خاص يدل على العذر من الخطأ في مسائل الكفر، وهو ما رواه مسلم رحمه الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح."[٣]

ولا شك أن مخاطبة الله بالعبد كفر ومروق من الدين إن كان عن قصد وتعمد، ولكن لما كان نطق الرجل لها خطأ كان معذورا بخطئه.

والخلاصة في منهج السلف أنهم لا يكفرون مسلماً بما وقع فيه من الكبائر دون الشرك، مثل: قتل النفس وشرب الخمر والزنا والسرقة وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات المؤمنات وأكل الربا، ونحو ذلك من الكبائر. فهم لا يمنعون التكفير بإطلاق، ولا يكفرون بكل ذنب، ولم يقولوا: إن تكفير المعين غير ممكن، ولم يقولوا بالتكفير بالعموم دون تحقق شروط التكفير، وانتفاء موانعه في حق المعين، ولم يتوقفوا في إثبات وصف الإسلام لمن كان ظاهره التزام الإسلام، أو ظهر منه إرادة الدخول فيه؛ بل يحسنون الظن بأهل القبلة الموحدين وبمن دخل في الإسلام، أو أراد الدخول فيه. ومن أتى بمكفر واجتمعت فيه شروطه، وانتفت في حقه الموانع فإنهم لا يتحرجون من تكفيره.

ومما تقدم يتبين لنا أن مسألة التكفير من المسائل الخطيرة التي لا يحكم فيها إلا الجهابذة من العلماء، ولا يجوز إطلاق أحكام التكفير على أي شخص إلا بتحقق الأسباب، وانتفاء الموانع، كما قرر ذلك سلفنا الصالح من أهل السنة والجماعة. فينبغي التثبت في دين الله عز وجل وأن نعلم أن المعلوم من الدين بالضرورة يتفاوت زماناً ومكاناً وشخصاً.

ثم إن التهور والاندفاع في تكفير المسلمين لا يورث صاحبه تُقى ولا ورع، ولا يعلي قدره، ألا يخشى ذلك الذي يطلق كلمة الكفر على إخوانه أو على الحكام أو على المجتمعات المسلمة أن تعود

---

(١) سنن ابن ماجه / محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني / دار الفكر / بيروت / تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي كتاب الطلاق ، باب طلاق المكره والناسي ج١ صـــ ٦٥٩ وقال العيني أما هذا الحديث فإنه صحيح أخرجه الطحاوي بإسناد رجاله رجال الصحيح وأخرج نحوه الدارقطني والطبراني والحاكم ورواه ابن حزم من طريق الربيع وصححه وقال النووي في الأربعين هو حديث حسن صحيح (انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري / الإمام العيني ج١٣ صـــ ٨٧

(٢) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ج٦ صـــ ٢٦٧٦ حديث رقم ٦٩١٩والإمام مسلم في صحيحه كتاب الأقضية باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ج٣ صـــ ١٣٤٢ حديث رقم ١٧١٦

(٣) سبق تخريجه صـــ ١٤٩

عليه هذه الكلمة فيكون كما أخبر بذلك الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ " لا يرمي رجل رجلا بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك."(١)

وعلى هذا المنهج من الاحتياط والحذر من التكفير سار الرعيل الأول من الصحابة رضوان الله عليهم كما روى ابن عساكر عن أبي سفيان قال:" أتينا جابر بن عبد الله وكان مجاورا بمكة وكان نازلا في بني فهر فسأله رجل فقال: هل كنتم تدعون أحدا من أهل القبلة مشركا ؟ قال: معاذ الله، وفزع لذلك ــ قال ابن عساكر ــ بعد أن ساق النصوص في خطورة التكفير: فهذه تمنع من تكفير المسلمين، فمن أقدم على التكفير فقد عصى سيد المرسلين."(٢)

---

(١) رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه كتاب الأدب باب ما ينهى من السباب واللعن ج٥ صـــ ٢٢٤٧ حديث رقم ٥٦٩٨

(٢) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري / علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي/ دار الكتاب العربي / بيروت / ١٤٠٤هــ / الطبعة: الثالثة / صـــ ٤٠٥

المطلب الثالث

التكفير عند الفرق

إن أمر التكفير خطير، كما أن التساهل الذي يؤدي إلى عدم تكفير الكافر خطير كذلك، فهو مخالف للكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة، وترك التكفير بالعموم يؤدي إلى الوقوع في نواقض الإسلام من الفرد المسلم وهو لا يدري معتمدا على أراء القائلين بذلك، فيصبح وقد عاشر زوجته بالحرام، وأكل الربا ولحم الخنزير، وعاقر الخمر ولعب الميسر، ووالى الأعداء وأحبهم، وأتى بكل الموبقات وهو يعتقد أنه مسلم؛ فزل في فهم العقيدة الصحيحة، وفرق بين القول والعمل ، وأفسد على الناس عقيدتهم بالتهاون في ارتكاب المحرمات، وترك جميع الطاعات بزعم أن ذلك لا يُذهب شيئاً من الإيمان من أجل ألا يقعوا في قضية التكفير على الكبيرة شأن المرجئة؛ فبعدت الشريعة عن واقع الحياة والناس، وشجعت الملاحدة والفسقة على ارتكاب المعاصي علناً، ما داموا لا يجدون رادعاً، وما دام فكر الإرجاء يحكم لهم بالإيمان ويستهين بقضية المعاصي لأنها من الأعمال التي لا علاقة لها بالإيمان.

والواجب الوقوف عند نصوص الشريعة وقواعدها، دون إفراط أو تفريط، والحكم في ذلك لله وليس لغيره، والدليل في تكفير الشخص المعين هم العلماء الذين تفقهوا في دين الله، وتمكنوا من معرفة نصوص القرآن والسنة وفقهوا معانيهما، وتبينوا من واقع الأشخاص الذين يراد الحكم عليهم وظروفهم، ثم التحقق من صحة تنزيل الحكم على كل شخص بعينه، والدراية بضوابط التكفير وموانعه واختلافات العلماء في ذلك.

ولا يجوز أن يترك الحكم بتكفير المسلم لمن يدعي العلم وهو ليس كذلك، فصار يكفر ذلك ويحكم بالجنة لغيره وهو ليس من العلماء الذين أخذوا العلم عن أهله ومن الكتاب والسنة، ودرسوا العلوم الأخرى، كعلم أصول الحديث والفقه، وعلوم التفسير، وقواعد اللغة العربية، وقواعد الضرورات. وأقوال أهل العلم وأوجه استدلالاتهم من مصادرها الأصلية التى تعين على الوصول إلى الأحكام الصحيحة.

وقد سلط كثير من أمثال هؤلاء ألسنتهم الحداد على المسلمين بالتكفير، على جهل بقواعد التكفير التي بينها علماء المسلمين. وإن الواجب على علماء المسلمين أن يُوقِفُوا أمثال هؤلاء عند حدهم، ويبينوا للمسلمين خطرهم ولا يجوز سكوتهم عنهم، لأن ذلك يجرئهم على الاستمرار في السباحة في هذا البحر المتلاطم الأمواج الذي لا يجيد السباحة فيه إلا أهله.

وظاهرة التكفير قديمة حديثة، وبعض الدعاة إلى الإسلام ممن لم يتعمقوا في العلوم الإسلامية، وبخاصة العقائد التي تخالف العقيدة الإسلامية الصحيحة التي مضى عليها أهل القرون المفضلة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان. بعض هؤلاء ينكرون على من يتعرض لتلك العقائد ويبين

فسادها، زاعمين أنها قد ماتت واندثرت مع الفرق التي كانت تعتقدها وتدعو إليها، وألا فائدة من الاشتغال بها وإحيائها، وأن الواجب الاشتغال بما يفيد المسلمين مما هو واقع، من الأفكار والمذاهب المعاصرة، والشؤون السياسية والاقتصادية والإعلامية ، ونحو ذلك.

ونحن نوافقهم ــ في الجملة ــ على أن غالب تلك الفرق لم يعد موجودا باسمها القديم كالمعتزلة والخوارج والمرجئة والقدرية. ولكنا على يقين من أن غالب تلك العقائد لا زالت موجودة في صفوف المسلمين من أفراد وجماعات، ولا أظن أن عصرا من العصور خلا من ذلك. نعم قد تقل تلك العقائد أو بعضها في بلد وتكثر في آخر، وتخبو في زمان وتنتشر في غيره، ولكنها لا تندثر اندثارا كاملا. ولا أريد إطالة الكلام في سرد جميع تلك العقائد وإقامة البرهان من الواقع على وجودها، وإنما أقتصر على ما نحن بصدده هنا، وهو وجود من يغلو في التكفير بالمعاصي. ومن يتساهل في التكفير حتى أنه عدَّ من المسلمين كل من قال لا إله إلا الله ولم يعمل من الأوامر أمرا ولم يجتنب نهيا.

فنحن إذا بصدد دراسة مناهج في التكفير أُشتهرت بها بعض الفرق، وقال بها غيرها لكن لم تشتهر كأهم معتقداتهم. وما يترتب على هذا الغلو من معاملة من يُكَفرونه من الحكم عليه بالردة، وما يترتب على ذلك من أحكام المرتد في الدنيا والآخرة، كعدم استحقاق أقاربه إرثه، وعدم استحقاقه إرث أقاربه، والتفريق بينه وبين زوجه، وعدم تطبيق أحكام الجنازة عليه، فلا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، والحكم عليه بالخلود في النار أو بمنزلة بين المنزلتين كما قالت المعتزلة.

مواقف الناس من قضية التكفير

وقد تشعبت آراء الطوائف في هذا الباب قال ابن حزم رحمه الله:" اختلف الناس في الوعد والوعيد فذهبت كل طائفة لقول، منهم من قال إن صاحب الكبيرة ليس مؤمنا ولا كافرا ولكنه فاسق، وأن كل من مات مصرا على كبيرة من الكبائر لم يمت مسلما، وإذا لم يمت مسلما فهو مخلد في النار أبدا. وإن من مات ولا كبيرة له أو تاب عن كبائره قبل موته فإنه مؤمن من أهل الجنة لا يدخل النار أصلا. ومنهم من قال بأن كل ذنب صغير أو كبير فهو مخرج عن الإيمان والإسلام فإن مات عليه فهو غير مسلم، وغير المسلم مخلد في النار وهذه مقالات الخوارج والمعتزلة."[١]

وقال شيخ الإسلام رحمه الله:" فكان من أول البدع والتفرق الذي وقع في هذه الأمة بدعة الخوارج المكفرة بالذنب فإنهم تكلموا في الفاسق الملي؛ فزعمت الخوارج والمعتزلة أن الذنوب الكبيرة ومنهم من قال والصغيرة لا تجامع الإيمان أبدا بل تنافيه وتفسده كما يفسد الأكل والشرب الصيام؛ قالوا لأن الإيمان هو فعل المأمور وترك المحظور فمتى بطل بعضه بطل كله كسائر المركبات. وقابلتهم المرجئة والجهمية ومن اتبعهم من الأشعرية والكرامية فقالوا ليس من الإيمان فعل الأعمال الواجبة ولا

(١) الفصل في الملل والنحل / ابن حزم ج٤ صـــ ٣٦

ترك المحظورات البدنية والإيمان لا يقبل الزيادة والنقصان بل هو شيء واحد يستوي فيه جميع المؤمنين من الملائكة والنبيين والمقربين والمقتصدين والظالمين."(١)

وبين البحث في التاريخ والنظر في واقعنا المعاصر وجدت الناس في قضية التكفير على ثلاثة مذاهب : ــ

الأول : ــ الغلو في التكفير، بعدم الالتزام بالضوابط الشرعية والقواعد العلمية الحاكمة على قضية التكفير، والتوسع فيه بتكفير من لا يستحق التكفير شرعاً، وهذا موقف الخوارج والمعتزلة قديماً. قال العمراني رحمه الله:" وقالت المعتزلة لما كان الكفر ساعة في آخر عمره يهدم ما قبله من التوحيد فكذلك سائر المعاصي تهدم ما معها."(٢) ونقل الشيخ أيضا أن القدرية وافقوا الخوارج في ذلك فقال:" وعلى أنه يلزم القدرية إذ قالوا بتخليد أصحاب الكبائر القول بمذهب الخوارج وهو تكفير أصحاب الذنوب وتخليدهم في النار."(٣)

ويندرج تحت هذا البند الشيعة في تكفيرهم لكل من سواهم من الناس يقول الدكتور عبد الملك بن عبد الرحمن الشافعي:" يقطع كل من طاف في مصادر الشيعة العقائدية، أو اطلع على تقريرات علمائهم وفتاويهم بالجزم بأن حقيقة تكفير الشيعة لكل من عداهم من المسلمين واستحقاقهم الخلود في النار هي بدون شك عقيدة راسخة عندهم يحملها كل شيعيي ــ مثقف مذهبيا ــ بين جوانحه، ويدين بها لله تعالى ويتقرب إليه بالعمل على نشرها وبثها بين أتباع مذهبه، فهي عندهم أصل لا يخضع للنقاش، فضلا عن أن تعتريه شبهة إنكاره أو القول بخلافه، حتى ليعد المخالف لها خارجا عن المذهب خارقا لإجماعه."(٤) ونقل الكاتب مما يطول ذكره من أقوال أئمتهم السابقين والمعاصرين ما يؤيد ما ذهب إليه، وأردف كتابه ببعض الصور الفوتوغرافية التي لا تدع مجال لمنكر منهم أو مدافع عنهم. وكذا يُلحق بهم المعتزلة في القول بالتوقف عن الحكم بإيمان أو كفر فابتدعوا القول بالمنزلة بين المنزلتين على ما سيأتي تفصيله لاحقا.

الثاني : ــ الغلو في إنكار التكفير، وذلك بدعوى أن التكفير حق من حقوق الله تعالى، وأنه سلطة إلهية ليس لأحد من الناس صلاحية الحكم به لأنه لا يكون إلا بإنكار القلب ولا سبيل إلى الاطلاع عليه، وهذا

---

(١) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج ١٢ صــ ٤٧٠ ، ٤٧١ باختصار

(٢) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار / يحيى بن أبي الخير العمراني / أضواء السلف / الرياض / ١٩٩٩م / الطبعة: الأولى/ تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف / ج٣ صــ ٦٨٧

(٣) المرجع السابق ج٣ صــ ٦٨٧

(٤) الفكر التكفيري عند الشيعة حقيقة أم افتراء؟ / بقلم عبد الملك بن عبد الرحمن الشافعي / مكتبة الإمام البخاري/ مصر ــ الإسماعيلية / الطبعة: الأولى / ١٤٢٧ هــ ــ ٢٠٠٦ م / صــ ٢١

موقف كثير من المثقفين اليوم، وهو ما يتناسب مع مذهب المرجئة قديما و الجهمية. " وقد احتجت المرجئة بهذه الآيات ــ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾[النساء:٤٨]﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[الزُّمَر:٥٣] ــ وأن الله لا يعذب إلا على الكفر به وقالت المرجئة لما كان توحيد ساعة يهدم ما قبله من الكفر وجب أن يهدم التوحيد ما معه من المعاصي."(١)

الثالث : ــ الاعتدال في قضية التكفير، وذلك بالالتزام بالضوابط الشرعية، والاقتصار على الحالات التي تتوفر فيها ضوابط التكفير وشروطه، وتنتفي موانعه، وهذا هو موقف السواد الأعظم من المسلمين وهو مذهب أهل السنة والجماعة. قال ابن أبي العز رحمه الله:" واعلم رحمك الله وإيانا أن باب التكفير وعدم التكفير باب عظمت فيه الفتنة والمحنة، وكثر فيه الافتراق وتشتتت فيه الأهواء والآراء، وتعارضت فيه دلائلهم فالناس فيه على طرفين ووسط. فطائفة تقول: لا نكفر من أهل القبلة أحدا فتنفي التكفير نفيا عاما مع العلم بأن في أهل القبلة المنافقين؛ ولهذا امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول بأنا لا نكفر أحدا بذنب بل يقال: لا نكفرهم بكل ذنب كما تفعله الخوارج. ولا نقول لا يكفر بل العدل هو الوسط وهو أن الأقوال الباطلة المبتدعة المحرمة المتضمنة نفي ما أثبته الرسول ﷺ أو إثبات ما نفاه، أو الأمر بما نهى عنه أو النهي عما أمر به يقال فيها الحق ويثبت لها الوعيد الذي دلت عليه النصوص ويبين أنها كفر، ويقال من قالها فهو كافر."(٢)

ولا شك أن الموقف الأول يتناقض مع نصوص الشرع وأدلته الدالة على تحديد الضوابط، ويكفي ذلك ليكون من الغلو المنهي عنه شرعاً، ويناقض مبدأ خطورة التكفير التي سبق تقريرها.

وأما الموقف الثاني فهو إنكار لمبدأ شرعي صريح، وهو عدم تكفير من يستحق ذلك ممن توفرت فيه ضوابطه، وهذا الموقف الثاني ينبني على أن الكفر عمل القلب فقط، وهذا خطأ يقول ابن تيمية رحمه الله: "فإن الكفر يحصل بكل ما دلّ عليه من قول أو عمل أو اعتقاد، فهناك مكفرات اعتقادية كإنكار وجود الخالق، أو إنكار الرسل والكتب السماوية ونحو ذلك من المعلوم من الدين بالضرورة، وهناك مكفرات قولية كسبّ الخالق أو سبّ الرسل ﷺ أو سبّ الإسلام، وهناك مكفرات فعلية كتمزيق المصحف مع قرينة الإهانة أو إلقائه في القاذورات والسجود للصليب ونحو ذلك."(٣)

وسآتي على بيان ذلك بشيء من التفصيل في المبحث القادم إن شاء الله.

---

(١) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار / العمراني ج٣ صــ ٦٨٧

(٢) شرح العقيدة الطحاوية / أبو العز الحنفي صــ ٣٥٥ ــ ٣٥٧ باختصار كبير ، وأنظر الفصل في الملل والنحل / ابن حزم ج ٤ صــ ٣٧ وما بعدها

(٣) أنظر مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج ١٤ صــ ١٢١

ويلزم على هذا القول ألا نحكم بالإسلام على أحد من المسلمين لأن الإيمان نقيض الكفر، وكما أننا نحكم بالإيمان بناءً على الظاهر فكذلك الحكم بالكفر يرتبط بأعمال الكفر الظاهرة، فكما أن النطق بالشهادتين دليل على الإسلام فكذلك العمل الكفري كسبّ الرسول ﷺ أو الاستهزاء بالقرآن دليل على الكفر قال تعالى:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾[التوبة٦٥:٦٦]

فالكفر ظاهر وباطن كما أن الإسلام ظاهر وباطن، وقد جعل الله تعالى الظاهر علامة على الباطن؛ فكما يستدل بظاهر أعمال الإسلام على ثبوت الإسلام كذلك نستدل بظاهر أعمال الكفر على ثبوت الكفر. قال الإمام الشاطبي رحمه الله:" ومن هنا جعلت الأعمال الظاهرة في الشرع دليلاً على ما في الباطن، فإن كان الظاهر منحرفاً حكم على الباطن بذلك، أو مستقيماً حكم على الباطن بذلك أيضاً، وهو أصل عام في الفقه وسائر الأحكام والعادات والتجريبيات."(١) وقد أفضت الكلام في هذا الموضوع في المبحث السابق.

وقد عقد الفقهاء في كتب الفقه باباً عن الردة وأحكامها، وذكروا فيه جملة كبيرة من الأقوال والأفعال المكفرة، فلا يصح حصر المكفرات في الاعتقاد فقط.

فأما الذين يتصفون بالغلو، فهم يستحلون قتل من يحكمون عليه بالردة بأنفسهم، فيعتدون مرتين: الأولى: الغلو في التكفير وإخراج كثير من المسلمين من ملة الإسلام بدون برهان. والمرة الثانية: إعطاء أنفسهم حق تنفيذ العقوبات الذي هو حق للجماعة التي ينوب عنها في تنفيذه ولي الأمر. فيحلون بذلك الخروج على الحكام؛ مما يترتب على ذلك إهدار ضرورات الحياة التي من أعظمها حفظ النفس، وانتشار الفوضى في الأرض، وفقد المسلمين أمنهم في ديارهم، كما هو واقع مشاهد اليوم .

وسأبين في هذا البحث المذهبين المخالفين لأهل السنة والجماعة حيث أنني أسلفت في المبحث السابق مذهب السلف الصالح في إنصافهم واعتدالهم بين هذه الطوائف والفرق.

المذهب الأول : ــ مذهب الخوارج و المعتزلة وبعض فرق الشيعة وهو من لوازم قول القدرية كما أسلفت ذلك في قول الشيخ العمراني.

أما الخوارج كما قال ابن تيمية رحمه الله :" وأقوال الخوارج إنما عرفناها من نقل الناس عنهم لم نقف لهم على كتاب مصنف."(٢) وأما المعتزلة فقد تناثرت أقوالهم في بعض مؤلفاتهم وأهمها شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار وتفسير الكشاف للزمخشري.

---

(١) الموافقات في أصول الفقه / الشاطبي ج١ صــ ٢٣٣

(٢) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج ١٣ صــ ٤٩

وقد نسب الشيخ حافظ حكمي رحمه الله في معارج القبول أن غالب فرق الشيعة اعتمدت مذهب المعتزلة في الوعد والوعيد قال الشيخ رحمه الله :" وأما في مسألة الصفات والقرآن والقدر والوعد والوعيد وسائر المعتقدات فقد دهى كل فرقة منهم ما دهى غيرهم من الناس، ولكن المشهور من غالبهم الاعتزال واعتمادهم كتب العلاف[١] والجبائي[٢] وأشباهه.

والزيدية[٣] عمدتهم في تفسير القران كشاف الزمخشري وقد شحنه بقول القدرية والمعتزلة."[٤] قال الشيخ العمراني رحمه الله:" وقالت الخوارج من أذنب متعمدا كفر بالله سواء فعل صغيرة أو كبيرة، وقالت المعتزلة والقدرية لا يجوز أن يعذب الله العباد على الصغائر وإن عذبهم عليها ظلمهم، ومن فعل كبيرة فإنه يخلد في النار. ولا يوصف الله بأنه يغفر الكبائر فعند القدرية من عبد الله ألف سنة بأنواع العبادات من الصلاة والصوم والجهاد وغير ذلك لم يعص الله فيها ثم ركب معصية من الكبائر مرة واحدة غير مستحل لها فإنه يخرج من إيمانه ويخلد في النار كمن لم يؤمن بالله طرفة عين."[٥]

ومذهب الخوارج أن العصاة يعذبون ولا بد سواء كانت ذنوبهم صغائر أو كبائر ومذهب المعتزلة أنهم يعذبون على الكبائر ولا بد."[٦]

---

(١) أبو الهذيل حمدان بن الهذيل العلاف (١٣٥ ــ ٢٢٦ هـ) مولى عبد القيس وشيخ المعتزلة والمناظر عنها. أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل عن واصل بن عطاء، طالع كثيراً من كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة، فقد تأثر بأرسطو وأنبادقليس من فلاسفة اليونان، وقال بأن " الله عالم بعلم وعلمه ذاته، وقادر بقدرة وقدرته ذاته " (انظر الموسوعة الميسرة صــ ٦٦)

(٢) أبوعلي محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن حمران بن أبان مولى عثمان ابن عفان رضي الله عنه المعروف بالجبائي أحد أئمة المعتزلة، كان إماما في علم الكلام واخذ هذا العلم عن أبي يوسف يعقوب بن عبد الله الشحام البصري رئيس المعتزلة بالبصرة في عصره، وله في مذهب الإعتزال مقالات مشهورة وتصانيف وتفسير وله مؤلفات عدة منها كتاب المخلوق في علوم القرآن وعنه اخذ الشيخ أبو الحسن الأشعري شيخ السنة علم الكلام ثم تاب عنه (انظر وفيات الأعيان / ابن خلكان ج٤ صــ ٢٦٧ ، الفهرست / أبو الفرج النديم ٥٧/١)

(٣) الزيدية إحدى فرق الشيعة، نسبتها ترجع إلى مؤسسها زيد بن علي زين العابدين الذي صاغ نظرية شيعية في السياسة والحكم، وقد جاهد من أجلها وقتل في سبيلها، وكان يرى صحة إمامة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم جميعاً، ولم يقل أحد منهم بتكفير أحد من الصحابة ومن مذهبهم جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل (أنظر الموسوعة الميسرة صــ ٧٦)

(٤) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول / الشيخ حافظ حكمي ج٣ صــ ١١٨١

(٥) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار / العمراني ج٣ صــ ٦٦٨

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل/ الكلبي ج١ صــ ١٤٤

وأما المعتزلة فقالوا بالتوقف في التكفير في الدنيا. فلا حكم بإيمان ولا كفر، لأنه بقوله لا إله إلا الله مؤمن وبارتكابه المعصية كافر، فابتدعوا القول بالمنزلة بين المنزلتين. وهي أول بدعة أظهروها، ابتدعها واصل بن عطاء[1] ثم تبعه عليها عمرو بن عبيد[2]، وجعلوها أصلاً من أصول دينهم، فلم يسبق لأحد من أئمة الإسلام ولا من فرق الضلال قبلهم أن ذكر هذا، وإنما كان الناس قبلهم على ثلاث فرق في مسألة مرتكب الكبيرة، كانت الخوارج تقول: إنه كافر، وكانت المرجئة تقول: إنه كامل الإيمان، وأهل السنة والجماعة على مذهبهم المعروف في المسألة، فخرج هؤلاء بهذه البدعة الجديدة.

إذا فالمعتزلة افترقوا عن الخوارج في تسمية مرتكب الكبيرة فسموه فاسقا إلا أنهم حكموا بخلوده في النار وهذا اختلاف طفيف لا يخرجهم من عقيدة التكفير قال أبو العز الحنفي:" والمعتزلة موافقون للخوارج هنا في حكم الآخرة فإنهم وافقوهم على أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار، لكن قالت الخوارج نسميه كافرا وقالت المعتزلة نسميه فاسقا فالخلاف بينهم لفظي فقط."[3] قال ابن تيمية رحمه الله:" الفاسق الملي فأدرجته الخوارج في نصوص الوعيد والخلود في النار وحكموا بكفره. ووافقتهم المعتزلة على دخوله في نصوص الوعيد وخلوده في النار لكن لم يحكموا بكفره."[4]

قال شارح الطحاوية رحمه الله :" وقوله ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله إلى آخر كلامه رد على المرجئة؛ فإنهم يقولون لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة. فهؤلاء في طرف والخوارج في طرف فإنهم يقولون: نكفر المسلم بكل ذنب أو بكل ذنب كبير وكذلك المعتزلة الذين يقولون يحبط إيمانه كله بالكبيرة فلا يبقى معه شيء من الإيمان. لكن الخوارج يقولون يخرج من الإيمان ويدخل في الكفر والمعتزلة يقولون يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر، وهذه المنزلة بين المنزلتين. وبقولهم بخروجه من الإيمان أوجبوا له الخلود في النار. وطوائف من أهل الكلام والفقه

---

(١) أبو حذيفة واصل بن عطاء (٧٠٠ – ٧٤٨)، الملقب بالغزال الألثغ، كان تلميذاً للحسن البصري، ومؤسس فرقة المعتزلة. حصل الخلاف بينه وبين الحسن في حكم مرتكب الكبيرة، فاعتزل حلقة الحسن، فقال الحسن "اعتزلنا واصل" فتسمت فرقته بالمعتزلة وانضم إليه عمرو بن عبيد. كانت زوجته هي أخت عمرو بن عبيد. توفي في عام ١٣١ هـ الموافق لـ ٧٤٨ م في المدينة المنورة(انظر وفيات الأعيان / ابن خلكان ج٦ صـ ٧، وانظر سير أعلام النبلاء / الذهبي ج٥ صـ ٤٦٥)

(٢) أبو عثمان عمرو بن عبيد زاهد، عابد، قدري، معتزلي. قال الخطيب: مات بطريق مكة سنة ١٤٣ وقيل: سنة ١٤٤. قال أحمد بن أبي خيثمة في تاريخه: سمعت ابن معين يقول: كان عمرو ابن عبيد من الدهرية ، وقال سلام بن أبي مطيع: أنا للحجاج أرجى مني لعمرو بن عبيد. وله كتاب العدل، والتوحيد، وكتاب الرد على القدرية يريد السنة. (انظر سير أعلام النبلاء / الذهبي ج٦ صـ ١٠٤ ، ١٠٦، ووفيات الأعيان / ابن خلكان ج٣ صـ ٤٦٠)

(٣) شرح العقيدة الطحاوية / أبو العز الحنفي صـ ٣٦٢

(٤) الاستقامة / ابن تيمية ج١ صـ ٤٣١

والحديث لا يقولون ذلك في الأعمال لكن في الاعتقادات البدعية وإن كان صاحبها متأولاً فيقولون يكفر كل من قال هذا القول لا يفرقون بين المجتهد المخطئ وغيره."(١)

وحول هذا المعنى يقول الزمخشري في قوله تعالى:" ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد:٣٣] أي لا تحبطوا الطاعات بالكبائر كقوله تعالى:﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ إلى أن قال:﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات:٢] وعن أبي العالية كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون أنه لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ فكانوا يخافون الكبائر على أعمالهم. وعن حذيفة فخافوا أن تحبط الكبائر أعمالهم وعن ابن عمر كنا نرى أنه ليس شيء من حسناتنا إلا مقبولاً حتى نزل ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ فقلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨] فكففنا عن القول في نخاف ذلك؛ فكنا نخاف على من أصاب الكبائر ونرجو لمن لم يصبها."(٢) فاستشهاده بقول ابن عمر رضى الله عنه على من أصاب الكبائر يوحي بعقيدة الرجل بأنه حمل الخوف هنا على الخلود في النار.

لكن الإمام ابن كثير رحمه الله وضح المراد ببطلان العمل بقوله:" أمر تبارك وتعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله التي هي سعادتهم في الدنيا والآخرة، ونهاهم عن الارتداد الذي هو مبطل للأعمال، ولهذا قال تعالى:﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ أي بالردة ولهذا قال بعدها:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [محمد:٣٤] "(٣) ونقل الأشعري عن الجبائي قوله:" إن من الذنوب صغائر وكبائر وان الصغائر يستحق غفرانها باجتناب الكبائر، وان الكبائر تحبط الثواب على الإيمان، واجتناب الكبائر يحبط عقاب الصغائر."(٤) فقوله تحبط الثواب على الإيمان يعنى أنها تنفي الإيمان.

وصف الخوارج في السنة

قال شيخ الإسلام رحمه الله:" وفي الترمذي عن أبي إمامة الباهلي عن النبي ﷺ في الخوارج (أنهم كلاب أهل النار)(٥) قرأ هذه الآية ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٦] قال الإمام أحمد بن

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية / أبو العز الحنفي صـ ٣٥٦

(٢) الكشاف / الزمخشري ج ٤ صـ ٣٣١

(٣) تفسير ابن كثير ج٤ صـ ١٨٢

(٤) مقالات الإسلاميين / الأشعري ج١ صـ ٢٧٠

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين كتاب قتال أهل البغي ج٢ صـ ١٦٣ حديث رقم ٢٦٥٤، وانظر سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن باب من سورة آل عمران ج٥ صـ ٢٢٦ حديث رقم ٣٠٠٠

حنبل رحمه الله صح الحديث في الخوارج من عشرة أوجه وقد خرجها مسلم في صحيحه وخرج البخاري طائفة منها قال النبي ﷺ (يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية وفي رواية يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان)[١] والخوارج هم أول من كفر المسلمين؛ يكفرون بالذنوب ويكفرون من خالفهم في بدعتهم ويستحلون دمه وماله، وهذه حال أهل البدع يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم فيها."[٢]

أدلة أصحاب المذهب الأول : ــ

قال ابن حزم رحمه الله:" فأما من قال صاحب الكبيرة يخلد وصاحب الذنب كذلك فإن حجتهم قول الله عز وجل:﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[يونس:٦٢] وقوله تعالى:﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[النمل٨٩:٩٠] وقوله تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[يونس:٢٧] وقوله تعالى:﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾[النساء:١٤] وبقوله تعالى:﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا﴾[النساء:٩٣] وقوله:﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا﴾﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا﴾﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[الفرقان٦٨:٧٠] وقوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾[النساء:١٠] وقوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[النور:٢٣] وقوله تعالى:﴿وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[الأنفال:١٦] وقوله:﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[المائدة:٣٣] وقوله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[البقرة:٢٧٥]

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب المناقب باب كان النبي ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه ج٣ صـــ ١٣٢١ حديث رقم ٣٤١٤

(٢) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج ٣ صـــ ٢٧٩

وذكروا أحاديث صحت عن النبي ﷺ في وعيد شارب الخمر[1] وقاتل الهرة[2] ومن قتل نفسه بسم أو حديد أو تردي من جبل فإنه يفعل ذلك به في جهنم خالدا ومن قتل نفسه حرَّم الله عليه الجنة وأوجب له النار[3] وذكروا أن الكبيرة تزيل اسم الإيمان فبعضهم قال إلى شرك وبعضهم قال إلى كفر نعمة، وبعضهم قال إلى نفاق وبعضهم قال إلى فسق، قالوا فإذا ليس مؤمنا فلا يدخل الجنة لأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنين هذا كل ما احتجوا به ما نعلم لهم حجة أصلا غير ما ذكرنا."[4] وقال ابن تيمية رحمه الله:" والوعيدية من الخوارج والمعتزلة يوجبون العذاب في حق أهل الكبائر لشمول نصوص الوعيد لهم مثل قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء:١٠]"[5] ثم قال رحمه الله بعد أن ذكر عدة نصوص في الوعيد:" فأول مسألة فرقت بين الأمة مسألة الفاسق المليّ فأدرجته الخوارج في نصوص الوعيد فخلدوه في النار لكن لم يحكموا بكفره."[6]

فأول من ابتدع القول بكفر أصحاب الكبائر هم الخوارج، وكان كلامهم ونقدهم ــ في بدايته ــ مسلطاً على الحكام، الذين وقعت منهم معاص استحقوا الكفر بسببها ــ من وجهة نظرهم ــ فكفَّر الخوارجُ الحكامَ أولاً، ثم عمموا القول بالتكفير على كل أصحاب الكبائر، وبذلك يظهر أن مسلك التكفير لم يكن مسلكا علميا بحتا يعتمد على الكتاب والسنة، وإنما كان مسلكاً قادت إليه الحماسة الزائدة، وظروف الحرب السائدة آنذاك بين علي ومعاوية رضي الله عنهما. ثم تطورت الفكرة بعد ذلك، واضطر أصحابها إلى الاستدلال لها من الكتاب والسنة، فزعموا أن القرآن والسنة مليئان بأدلة تكفير العصاة، وأتوا بالأمثلة التي ذكرناها آنفا ولسهولة الإطلاع عليها و نقضها قسمتها إلى أربعة أقسام : ــ

القسم الأول : ــ أدلة تخليد العصاة في النار

كقوله تعالى:﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[البقرة:٨٠] فقالوا إن لفظ سيئة نكرة في سياق الشرط تفيد العموم فتعم كل سيئة، وأصحاب الكبائر مرتكبون للسيئات بلا شك فهم خالدون في النار. قال ابن تيمية رحمه الله:" وكان ما أوقعهم في ذلك أنهم سمعوا نصوص الوعيد فرأوها عامة فقالوا: يجب أن يدخل فيها كل من شملته وهو خبر

(١) انظر صحيح البخاري كتاب الحدود باب ما يحذر من الحدود الزنا وشرب الخمر ج٦ صـــ ٢٤٨٧ حديث رقم ٦٣٩٠

(٢) انظر صحيح البخاري كتاب المساقاة الشرب باب فضل سقي الماء ج٢ صـــ ٨٣٣ حديث رقم ٢٢٣٥

(٣) انظر المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم / أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الهراني الأصبهاني / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٦م / الطبعة: الأولى / تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي / كتاب الإيمان باب من قتل نفسه بحديدة ج١ صـــ ١٧٨ حديث رقم ٢٩٣

(٤) الفصل في الملل والنحل / ابن حزم ج٤ صـــ ٣٨ ، ٣٩

(٥) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج ١٢ صـــ ٤٨٠

(٦) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج ٢٢ صـــ ١٣٠و انظر ج ٢٠ صـــ ٢٨٧ ، ٢٨٩

وخبر الله صدق، فلو أخلف وعيده كان كإخلاف وعده، والكذب على الله محال. فعارضهم غالية المرجئة بنصوص الوعد فإنها قد تتناول كثيرا من أهل الكبائر فعاد كل فريق إلى أصله الفاسد."(١)

ومما استدلوا به قوله تعالى:﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[النساء:١٤] حيث نصت الآية على أن العصيان وتجاوز حدود الله موجب للعذاب والخلود في النار، ولا يخلد في النار إلا كافر.

ومن السنة قول النبي ﷺ في قاتل نفسه:" من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن شرب سما فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا."(٢)

الرد عليهم

أولا : ــ إن جميع الأدلة التي احتجوا بها أدلة عامة، وأدلة أهل السنة أدلة خاصة، والخاص يقدم على العام.

ثانيا : ــ إن أدلتهم التي استدلوا بها لم يقولوا بها هم أنفسهم بعمومها، بل أخرجوا من عمومها صغائر الذنوب فلم يُكفِّروا بها، وإذا جاز إخراج صغائر الذنوب من عموم تلك الأدلة وتخصيصها بأدلة أخرى، فلم لا يجوز إخراج أصحاب الكبائر للأدلة الكثيرة والمتواترة التي تصرح بعدم كفر مرتكب الكبيرة .

ثالثا : ــ إن اعتمادهم على هذه مبني على تصورهم أن الخلود المنصوص عليه فيها يُقصد به الخلود الأبدي الذي لا ينقطع، وهو تصور مردود لأن الخلود يطلق ويراد به الخلود الأبدي السرمدي. قال الجرجاني:" ويطلق ويراد به المكث الطويل، تقول العرب في الرجل المسن إذا بقــي سواد رأْسه ولحيته على الكبر: إنه لمخلد، ويقال للرجل إذا لم تسقط أَسنانه من الهرم: إنه لمخلد. وإذا كان معنى الخلود يحتمل كل هذه المعاني فمن المتعين حمله في الآيات التي استدلوا بها على الخلود غير الأبدي وذلك للجمع بين الأدلة."(٣)

وقد يعترض على هذا بأنه إذا جاز حمل الخلود الوارد في النصوص السابقة على الخلود غير الأبدي، فكيف يصح حمله إذا اقترن الخلود بالأبد كقوله ﷺ في القاتل نفسه: (فهو يتردى في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبدا) والجواب على هذا من وجهين : ــ

---

(١) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج ١٢ صــ ٤٨١

(٢) أخرجه الإمام مسلم كتاب الإيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ج١ صــ ١٠٣ حديث رقم ١٠٩

(٣) أنظر التعريفات / الجرجاني صــ ٣٢٥ ، والكليات / الكفومي صــ ٤١٤

الوجه الأول : أن يضمّن معنى الاستحلال، فيكون المعنى أن من قتل نفسه مستحلا قتلها، فهو كافر، والكافر خالد في النار خلودا أبدياً.

الوجه الثاني : أن المنتحر قد يقع في الكفر إذا يأس من فرج الله، وقنط من رحمته، فاعتقد أن الله غير قادر على تفريج همه وإذهاب غمه، وبهذا الاعتقاد يستحق الخلود الأبدي في النار على كفره، قال تعالى:﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧] قال الطبري رحمه الله:" أي لا ينقطع رجاؤكم في ربكم، ولا أملكم في رحمته، فإن ذلك شأن الكافرين الذين لا يعتقدون عموم قدرة الله عز وجل وشمولها لكل شيء."[١] قال الأمام السعدي رحمه الله في قوله تعالى:"﴿ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠٣] بأن رجحت سيئاته على حسناته وأحاطت بها خطيئاته ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ كل خسارة غير هذه الخسارة فإنها بالنسبة إليها سهلة، ولكن هذه خسارة صعبة لا يجبر مصابها ولا يستدرك فائتها، خسارة أبدية وشقاوة سرمدية قد خسر نفسه الشريفة التي يتمكن بها من السعادة الأبدية ففوتها هذا النعيم المقيم في جوار الرب الكريم ﴿فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾ لا يخرجون منها أبد الآبدين وهذا الوعيد إنما هو كما ذكرنا لمن أحاطت خطيئاته بحسناته ولا يكون ذلك إلا كافرا؛ فعلى هذا لا يحاسب محاسبة من توزن حسناته وسيئاته فإنهم لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم وتحصى فيقفون عليها ويقررون بها ويخزون بها، وأما من معه أصل الإيمان ولكن عظمت سيئاته فرجحت على حسناته فإنه وإن دخل النار لا يخلد فيها كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة."[٢]

قال ابن حجر رحمه الله:" فقوله أن يحبط عمله أي يحرم ثواب عمله لأنه لا يثاب إلا على ما أخلص فيه، وبهذا التقرير يندفع اعتراض من اعترض عليه بأنه يقوي مذهب الإحباطية الذين يقولون إن السيئات يبطلن الحسنات. وقال القاضي أبو بكر بن العربي في الرد عليهم: القول الفصل في هذا أن الإحباط إحباطان: أحدهما: إبطال الشيء للشيء وإذهابه جملة كإحباط الإيمان للكفر والكفر للإيمان وذلك في الجهتين إذهاب حقيقي. ثانيهما: إحباط الموازنة إذا جعلت الحسنات في كفة والسيئات في كفة فمن رجحت حسناته نجا ومن رجحت سيئاته وقف في المشيئة إما أن يغفر له وإما أن يعذب."[٣]

القسم الثاني : أدلة تنفي دخول أصحاب المعاصي الجنة

---

(١) انظر تفسير الطبري ج ١٣ صـــ ٤٩

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/ السعدي ج١ صـــ ٥٥٩

(٣) فتح الباري / ابن حجر ج١ صـــ ١٠٩

كقوله ﷺ:" لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه."[١] وقوله ﷺ:" لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر."[٢]، وقوله ﷺ:" لا يدخل الجنة نمام."[٣]، وقوله ﷺ:" لا يدخل الجنة قاطع رحم."[٤] وغيرها من الأحاديث التي تنفي دخول العصاة الجنة.

الرد عليهم

أما هذه الأدلة فليست صريحة في كفر أصحاب المعاصي، وخروجهم عن الإسلام، لأن النبي ﷺ لم يقل: إنهم لن يدخلوا الجنة مطلقاً، بل يحتمل كلامه أنهم لن يدخلوها مع أوائل الداخلين، بل سيدخلونها متأخرين عن غيرهم، ويحتمل أنهم سيدخلونها بعد عقوبة وعذاب، كل هذه الاحتمالات واردة. والذي يرجح أحدها على الآخر هو النظر في الأدلة الأخرى، والتي دلت على أنه لن يخلد في النار موحد كما في أحاديث الشفاعة الثابتة في الصحيحين، حتى أن الإمام مسلم رحمه الله قد بوب لها فقال باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار."[٥]

وعليه يجب حمل هذا القسم من الأدلة على غيرها من الأدلة المصرحة بخروج الموحدين من النار.

على أن هناك محملاً آخر يمكن حمل كل تلك الأدلة عليه، وهو بتضمين معنى الاستحلال فيها ــ كما أسلفت ــ فيكون معنى قوله ﷺ لا يدخل الجنة قاطع رحم، أي: لا يدخل الجنة من استحل قطيعة الرحم، ولا يدخل الجنة من استحل النميمة، ولا يدخل الجنة من استحل أذية جاره، ولا يدخل الجنة من استحل الكبر وهكذا، فيتعلق الحكم بعدم دخول الجنة مطلقا لمن استحل معلوما من الدين بالضرورة لأنه بذلك يكون كافرا لتكذيب الله في حكمه.

قال النووي رحمه الله:" وفى معنى لا يدخل الجنة جوابان يجريان في كل ما أشبه هذا: احدهما: أنه محمول على من يستحل الإيذاء مع علمه بتحريمه فهذا كافر لا يدخلها أصلا. والثاني: معناه جزاؤه أن لا يدخلها وقت دخول الفائزين إذا فتحت أبوابها لهم بل يؤخر ثم قد يجازى وقد يعفى عنه فيدخلها أولا، وإنما تأولنا هذين التأويلين لأنا قدمنا أن مذهب أهل الحق أن من مات على

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان تحريم إيذاء الجار ج١ صـــ ٦٨ حديث رقم ٤٦

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب تحريم الكبر وبيانه ج١ صـــ ٩٣ حديث رقم ٩١

(٣) أخرجه الإمام مسلم كتاب الإيمان باب بيان غلظ تحريم النميمة ج١ صـــ ١٠١ حديث رقم ١٠٥

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها ج٤ صـــ ١٩٨١ حديث رقم ٢٥٥٦

(٥) انظر صحيح مسلم ج١ صـــ ١٧٢

التوحيد مصرا على الكبائر فهو إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه فأدخله الجنة أولا وان شاء عاقبه ثم أدخله الجنة والله اعلم."[1]

القسم الثالث: أدلة تصرح بكفر بعض أصحاب الكبائر

كقوله ﷺ:" ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر."[2]، وقوله ﷺ:" اثنتان في الناس هما بهم كفر الطعن في النسب والنياحة على الميت."[3] وقوله ﷺ:" أيما عبد أبق من مواليه فقد كفر حتى يرجع إليهم."[4] وغيرها من الأحاديث التي فيها التصريح بتكفير من أذنب ذنبا معيناً.

الرد عليهم

أما التصريح بكفر بعض أصحاب الكبائر، كالعبد الآبق، ومن انتسب لغير والده مع علمه به، والطعن في النسب والنياحة وغيرها من الكبائر، فهي كذلك ليست صريحة في الحكم بالكفر المخرج من الملة، إذ من المعلوم أن الكفر في نصوص الشرع كفران: كفر مخرج من الإسلام، وكفر غير مخرج منه، وعليه فليس كل ذنب أطلق الشارع عليه كفراً يكون صاحبه كافراً خارجاً من الدين، بدليل أن الشرع أطلق الكفر على جحود الزوجة حق زوجها، وليس ذلك بكفر مخرج من الإسلام، وأطلق الكفر على جحد النعم وعدم شكرها، وعليه فلفظ الكفر لا يعني بالضرورة الكفر المخرج من الملة، وإنما قد يستعمل في غيره، وبالتالي فلا يصح الاستدلال بما ذكروا من أدلة على تكفير أصحاب الكبائر، لجواز حملها على كفر النعمة والكفر الأصغر، وهو ما يقتضيه واجب الجمع بين الأدلة، والمصير إلى هذا التأويل هو من باب تقديم الدليل الأقوى على ما دونه، فأدلة عدم تكفير أصحاب الكبائر تمتاز بأنها قطعية ومتواترة. فكل دليل يخالفها يجب تأويله وحمله على ما يتفق وهذه النصوص، وإجماع السلف على تأويلها دليل واضح على ما قررته. وقد بسطت هذا القول في التمهيد مما أغنى عن إعادته هنا.

القسم الرابع: أدلة تنفي الإيمان عمن ارتكب بعض الكبائر

كقوله ﷺ:" والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه."[5]وقوله ﷺ:" لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق

(١) شرح النووي على صحيح مسلم/ النووي ج٢ صـ ١٧

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم ج١ صـ ٧٩ حديث رقم ٦١

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب و النياحة ج١ صـ ٨٢ حديث رقم ٦٧

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب تسمية العبد الآبق كافرا ج١ صـ ٨٣ حديث رقم ٦٨

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه ج٥ صـ ٢٢٤٠ حديث رقم ٥٦٧٠

وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن."(١) وكقوله ﷺ:" لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له."(٢)

الرد عليهم

إن نفي الإيمان لا يقتضي الكفر بإطلاق، وإنما يطلق ويراد به نقصان الإيمان وعدم كماله، والدليل على ذلك أن النبي ﷺ وإن نفى الإيمان في قولهﷺ:" لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن " فقد أثبته في موضع آخر حين قال:" ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة، وإن زنى وإن سرق."(٣) ومقتضى الجمع بين النصوص أن يقال إن ما نفاه النبي ﷺ غير ما أثبته فالذي نفاه هو كمال الإيمان والذي أثبته هو أصل الإيمان الواجب.

والتعبير بنفي الشيء وإرادة نفي الكمال أمر معروف في استعمال الناس كما يقال: لا سعادة في هذه الحياة، والمراد نفي كمال السعادة لا مطلق السعادة، وكما يقال لا خير في هذا الولد، والمراد نفي كمال الخير لا مطلق الخير، وعليه فكل حديث ورد فيه نفي الإيمان عمن ارتكب كبيرة فلا يقتضي التكفير بإطلاق، وإنما المراد به نفي كمال الإيمان والتحذير من المعاصي لكونها تنقص إيمان المؤمن.

وبهذا يظهر بطلان مذهب الخوارج وغيرهم ممن وافقهم في تكفير أصحاب الكبائر، والذي أدى بهم إلى تكفير عموم الأمة واستحلال دمائها وأموالها.

ولا يخفى ما جرَّت هذا المذهب على الأمة من بلاء وفتن وآثار مدمرة، والعجب بعد ذلك أن يأتي من يدعي أن مذهب أهل السنة كان سببا في انتشار المعاصي في عموم الأمة، فانتشر الزنا والربا وشرب الخمور وغيرها، وهو قول لا ينم عن معرفة بمذهب أهل الحق، وإنما يدل على غرض سيء في التشنيع عليهم دون حجة أو برهان، ولو تأمل هذا القائل مذهب أهل السنة لما قال ما قال، فأهل السنة لم يقولوا: أن مجرد الإيمان يكفي، أو أن الذنوب لا تضر من عملها، كما تقول بذلك المرجئة، ولم يقولوا إن العاصي لا يعذب مطلقاً، وإنما مذهبهم أن العاصي تجب معاقبته في الدنيا زجراً له وليعتبر به غيره، وأنه مستحق للعقوبة في الآخرة، وأن جزءاً كبيراً من العصاة سيدخلون جهنم فترة قد تطول أو تقصر كل حسب ذنبه، ولا شك

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله ج١ صـ ٧٦ حديث رقم ٥٧

(٢) أخرجه الأمام أحمد في مسنده ج ٣ صـ ١٣٥ حديث رقم ١٢٤٠٦ قال الهيثمي في مجمع الزوائد باب (لا إيمان لمن لا أمانة له) فيه أبو هلال وثقه ابن معين وغيره وضعفه النسائي وغيره ج١ صـ ٩٦

(٣) انظر صحيح مسلم كتاب الإيمان باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات مشركا دخل النار ج ١ صـ ٩٥ حديث رقم ٩٤

أن مجرد تصور دخول النار يبث الخوف والرهبة في قلوب المسلمين وله أثره البالغ في التحذير من الذنوب والمعاصي.

ثم إننا لو نظرنا إلى أثر مذهب تكفير العصاة على الأمة لوجدنا أن كثيراً من الناس لا يكاد يخلو عن كبيرة يقترفها، والعاصي إذا وجد أنه كلما فعل كبيرة خرج من الإسلام، ربما دخل عليه الشيطان من هذا المدخل فوسوس له بالقول: إذا كنت كلما دخلت الإسلام خرجت منه، فلا أنت قادر على الكف على المعاصي، ولا أنت باق على الإسلام، فلم التعب والمشقة، فخير لك أن تبقى على كفرك !!. فبذلك تفسد الأمة وتخرج من دينها ويعم الباطل وينتشر.

قال وهب بن منبه رحمه الله:" ولو أمكن الله الخوارج من رأيهم لفسدت الأرض وقطعت السبل وقطع الحج عن بيت الله الحرام، و لعاد أمر الإسلام جاهلية حتى يعود الناس يستعينون برؤوس الجبال كما كانوا في الجاهلية، وإذن لقام أكثر من عشرة أو عشرين رجلا ليس منهم رجل إلا وهو يدعو إلى نفسه بالخلافة، ومع كل رجل منهم أكثر من عشرة آلاف يقاتل بعضهم بعضا ويشهد بعضهم على بعض بالكفر حتى يصبح الرجل المؤمن خائفا على نفسه ودينه ودمه وأهله وماله لا يدري أين يسلك أو مع من يكون. قال تعالى:﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات١٧١:١٧٣] ولو كانوا جند الله غلبوا ولو مرة واحدة في الإسلام. وقال الله تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧] فلو كانوا مؤمنين نُصروا وقال سبحانه:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ﴾[النور:٥٥] فأين هم من هذا كله."(١)

المذهب الثاني مذهب المرجئة وقسم من الشيعة(٢) ومن الجهمية(٣)

---

(١) مناصحة الإمام وهب بن منبه لرجل تأثر بمذهب الخوارج / عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم / مكتبة ابن قتيبة / دار السلف / السعودية / ١٤١٩هـ / الطبعة: الأولى / صـ ٢١ ، ٢٤

(٢) قال الأشعري: واختلفت الروافض في الوعيد وهم فرقتان فالفرقة الأولى منهم يثبتون الوعيد على مخالفيهم ويقولون أنهم يعذبون، ولا يقولون بإثبات الوعيد فيمن قال بقولهم ويزعمون أن الله سبحانه يدخلهم الجنة وان أدخلهم النار أخرجهم منها .(انظر مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين للأشعري ج١ صـ ٥٤)

(٣) قال الأشعري: وزعمت الجهمية أن الإنسان إذا أتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه انه لا يكفر بجحده وان الإيمان لا يتبعض ولا يتفاضل أهله فيه وان الإيمان والكفر لا يكونان إلا في القلب دون غيره من الجوارح (مقالات الإسلاميين ج١ صـ ١٣٢)

نشأة الإرجاء

عند النظر في كتب الفِرق والتاريخ الإسلامي نجد العلماء قد تحدثوا عن هذه الظاهرة كبدعة مبتدعة في الدين، حتى أن بعضهم نسبها إلى بعض الصحابة الذين توقفوا في الحكم على الطائفتين المتنازعتين بعد مقتل عثمان رضي الله عنه. ثم تطورت هذه الظاهرة على مرحلتين متتاليتين سموا الأولى مرجئة الفقهاء والأخرى مرجئة المتكلمين وأهل المنطق، و بعضهم نسب الأولى إلى الإمام أبي حنيفة عند تعريفه للإيمان دون النظر إلى أقواله الأخرى حول مفهوم الإيمان عنده، رغم أن هذه المقولة قال بها شيخه حماد ابن أبي سليمان من قبله"(١) ويؤيد هذا ما ذكره ابن حجر رحمه الله في الفتح فقال:" ولأبي داود الطيالسي عن شعبة عن زبيد رحمهم الله قال لما ظهرت المرجئة أتيت أبا وائل فذكرت ذلك له فظهر من هذا أن سؤاله كان عن معتقدهم وأن ذلك كان حين ظهورهم وكانت وفاة أبي وائل سنة تسع وتسعين وقيل سنة اثنتين وثمانين ففي ذلك دليل على أن بدعة الإرجاء قديمة."(٢)

أما إرجاء الــفقهاء

فهــو شبهة نظرية أخطأ فيها بعض العلماء نتيجة ردود فعل خاصة، أو اجتهاد غير موفق، أو فهم قاصر للنصوص بالنظر إلى عمومها، مثلهم في ذلك مثل زلة العالم، أو خطأ المجتهد في أي مسألة نظرية. وهذا لا يقلل من خطورة المذهب، ولا يوهن العزم عن مقاومته ومقارعته بالحجة والبرهان، ولهذا نص أكثر علماء السلف على التحذير منه، و هجر أصحابه و تبديعهم. وإن كانت بعض أقوالهم الأخرى تدل على ما يعارض ما فهم من كلامهم قال ابن تيمية رحمه الله:" فالقائلون بأن الإيمان قول من الفقهاء كحماد بن أبى سليمان وهو أول من قال ذلك ومن اتبعه من أهل الكوفة وغيرهم متفقون مع جميع علماء السنة على أن أصحاب الذنوب داخلون تحت الذم والوعيد، وان قالوا أن إيمانهم كامل كإيمان جبريل فهم يقولون أن الإيمان بدون العمل المفروض ومع فعل المحرمات يكون صاحبه مستحقا للذم والعقاب كما تقوله الجماعة، ويقولون أيضا بأن من أهل الكبائر من يدخل النار كما تقوله الجماعة."(٣)

وموقف علماء السلف من هذه المقولة واضح لا لبس فيه قال إبراهيم النخعي رحمه الله:" الإرجاء بدعة. و إياكم و أهــل هذا الرأي المحدث يعنى الإرجاء. وكان رجل يجالس إبراهيم يقال له محمد، فبلغ إبراهيم أنه يتكلم في الإرجاء، فقال له إبراهيم لا تجالسنا، و دخل عليه قوم من المرجئة فكلموه، فغضب و قال: إن كان هذا كلامكم فلا تدخلوا عليَّ. وقال: تركوا هذا الدين أرق من الثوب السابري ــ الغالي الثمن الذي يشف عما تحته ــ و قال له بعض تلاميذه إنهم يقولون لنا

(١) انظر مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٧ صــ ٢٩٧

(٢) فتح الباري / ابن حجر ج١ صــ ١١٢

(٣) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٧ صــ ٢٩٧

مؤمنون أنتم؟ قال: إذا سألوكم فقولوا: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ........﴾ [البقرة:١٣٦] إلى آخر الآية."(١)

قال الذهبي رحمه الله:" قال هشام بن عمار رحمه الله: لقيت شهابا ــ ابن خراش ــ وأنا شاب في سنة أربع وسبعين، فقال لي: إن لم تكن قدريا ولا مرجئا حدثتك، وإلا لم أحدثك، فقلت: ما فيَّ من هذين شيء."(٢) وروى ابن بطة:" عن محمد بن علي عن أبيه أنه كان يقول ما الليل بالليل ولا النهار بالنهار بأشبه من القدرية بالنصرانية ومن المرجئة باليهودية."(٣)

وقال الأمام أبو الفرج الجوزي رحمه الله:" وقالت المرجئة إن من أقر بالشهادتين وأتى بكل المعاصي لم يدخل النار أصلا وخالفوا الأحاديث الصحاح في إخراج الموحدين من النار. قال ابن عقيل ما أشبه أن يكون واضع الإرجاء زنديقا فإن صلاح العالم بإثبات الوعيد."(٤)

هذه أقوال العلماء عند بداية القول بالإرجاء و فيمن كانت لديه شبهة في القول به فكيف بعد أن تبناه أهل الفلسفة والكلام وقد بسطت القول فيه ووضحت الشبهة التي التبست على بعض الناس حتى نسبوه إلى بعض علماء المسلمين وهم منه براء. (٥)

وأما إرجاء المتكلمين وأهل المنطق

وهو المرحلة الثانية من مراحل تطور المرجئة وهو شبهة فلسفية بحتة ليس لها في الأصل أي مستند نصي، ولهذا لم يتردد أئمة السلف في تكفير أصحابه والتشنيع بهم. حيث أن التطور الطبيعي والتداخل والامتزاج الفكري وتقهقر الحياة الإسلامية عامة جعل هذا الإرجاء يسيطر في النهاية، مستندا إلى الشبهات النصية التي استند لها النوع الأول و زيادة، ونسيَّ الناس المرجئة الأولى، فإذا ذُكر في كتب العلماء الأوائل أو على ألسنة المحدثين منهم لفظ المرجئة فهو ينصرف إلى هذا القسم. ثم عدد أبو الحسن فرقهم:" فالفرقة الأولى منهم يزعمون أن الإيمان بالله هو المعرفة بالله وبرسله وبجميع ما جاء من عند الله فقط، وأن ما سوى المعرفة من الإقرار باللسان والخضوع بالقلب والمحبة لله ولرسوله

---

(١) الطبقات الكبرى / محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري / دار صادر / بيروت / ج٦ صــ ٢٧٣ ، ٢٧٤

(٢) سير أعلام النبلاء / الذهبي ج٦ صــ ٢٧٣ ، ٢٧٤

(٣) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة / أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي / دار الراية للنشر / السعودية / ١٤١٨هــ / الطبعة: الثانية / تحقيق: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي / ج٢ صــ ١٣٩

(٤) تلبيس إبليس / عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج / دار الكتاب العربي / بيروت / ١٤٠٥هــ ــ م ١٩٨٥/ الطبعة: الأولى / تحقيق: د. السيد الجميلي / صــ ١٠٣

(٥) راجع صــ ١١

والتعظيم لهما والخوف منهما والعمل بالجوارح فليس بإيمان، وزعموا أن الكفر بالله هو الجهل به وهذا قول يحكى عن جهم بن صفوان(١) "(٢)

وكل أقوالهم تدور حول هذه العقيدة قال أبو الحسن رحمه الله:" وأكثر المرجئة لا يكفرون أحدا من المتأولين ولا يكفرون إلا من أجمعت الأمة على إكفاره."(٣)

سبب التسمية بالمرجئة

قال العدوي رحمه الله:" قوله ــ المرجئة ــ سموا مرجئة لأنهم يعطون الرجاء لذلك يقولون لا يضر مع الإيمان ذنب."(٤) وقال ابن حجر:" قوله ــ باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر ــ هذا الباب معقود للرد على المرجئة خاصة والمرجئة بضم الميم وكسر الجيم بعدها ياء مهموزة ويجوز تشديدها بلا همز نسبوا إلى الإرجاء وهو التأخير لأنهم أخروا الأعمال عن الإيمان؛ فقالوا الإيمان هو التصديق بالقلب فقط ولم يشترط جمهورهم النطق، وجعلوا للعصاة اسم الإيمان على الكمال وقالوا لا يضر مع الإيمان ذنب أصلا ومقالاتهم مشهورة في كتب الأصول."(٥)

وفي كتب التعاريف تم تعريفهم بمذهبهم ومقولتهم في الإرجاء قال الجرجاني:" المرجئة قوم يقولون لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة."(٦) وقال الكفومي:" المرجئة هم الذين يحكمون بأن صاحب الكبيرة لا يعذب أصلا وإنما العذاب والنار للكفار."(٧) وقال العمراني:" وقالت المرجئة لا يوصف الله بأنه يعذب عباده على ذنب غير الكفر."(٨)

قال ابن تيمية رحمه الله:" قوله تعالى:﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ﴾ [الإسراء:١٩] فألزم الاسم العمل والعمل الاسم؛ والمقصود هنا أنه لم يثبت المدح إلا على إيمان معه العمل لا على إيمان خال عن عمل، فإذا عرف أن الذم والعقاب واقع في ترك العمل كان بعد ذلك نزاعهم لا فائدة فيه، بل يكون نزاعا لفظيا مع أنهم مخطئون في اللفظ مخالفون للكتاب والسنة وان قالوا انه لا يضره ترك

---

(١) الجهم بن صفوان وهو الذي ينسب إليه تأسيس هذا المذهب من الإرجاء قال ابن تيمية لكن هذا القول حكوه عن الجهم بن صفوان ذكروا أنه قال الإيمان مجرد معرفة القلب وإن لم يقر بلسانه (مجموع الفتاوى ج٧ صـــ ٥٠٨ وانظر شرح العقيدة الطحاوية صـــ ٣٧٣ ، وانظر تلبيس إبليس صـــ ٢٦٨)

(٢) مقالات الإسلاميين / أبو الحسن الأشعري ج١ صـــ ١٣٢

(٣) مقالات الإسلاميين / أبو الحسن الأشعري ج١ صـــ ١٤٣

(٤) حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني / العدوي ج١ صـــ ١٠٤

(٥) فتح الباري / ابن حجر ج ١ صـــ ١١٠

(٦) التعريفات / الجرجاني صـــ ٢٦٨ ، وانظر التعاريف / المناوي صـــ ٦٤٩

(٧) الكليات / الكفومي صـــ ٨٦٩

(٨) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار / العمراني ج٣ صـــ ٦٦٧

العمل فهذا كفر صريح. وبعض الناس يحكى هذا عنهم وأنهم يقولون أن الله فرض على العباد فرائض ولم يرد منهم أن يعملوها ولا يضرهم تركها، وهذا قد يكون قول الغالية الذين يقولون لا يدخل النار من أهل التوحيد أحد، لكن ما علمت معينا أحكى عنه هذا القول وإنما الناس يحكونه في الكتب ولا يعينون قائله، وقد يكون قول من لا خلاق له فان كثيرا من الفساق والمنافقين يقولون لا يضر مع الأيمان ذنب أو مع التوحيد، وبعض كلام الرادين على المرجئة وصفهم بهذا."(١)

وأصل الشبهة في مذهبهم كما ذكر شارح الطحاوية رحمه الله:" وأراد الشيخ رحمه الله بقوله ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله مخالفة المرجئة. وشبهتهم كانت قد وقعت لبعض الأولين فاتفق الصحابة على قتلهم إن لم يتوبوا من ذلك فإن قدامة بن عبد الله شرب الخمر بعد تحريمها هو وطائفة وتأولوا قوله تعالى:﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [المائدة:٩٣] فلما ذكروا ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه اتفق هو وعلي بن أبي طالب وسائر الصحابة رضى الله عنهم على أنهم إن اعترفوا بالتحريم جلدوا وإن أصروا على استحلالها قتلوا. وقال عمر لقدامة أخطأت إستك الحفرة أما إنك لو اتقيت وآمنت وعملت الصالحات لم تشرب الخبر."(٢)

وأصل شبهتهم نابعة من قولهم أن الإيمان كلٌ لا يتبعض لا يزيد ولا ينقص قال ابن تيمية رحمه الله:" المرجئة الذين يقولون إيمان الفسَّاق مثل إيمان الأنبياء، والأعمال الصالحة ليست من الدين والإيمان، ويُكذبون بالوعيد والعقاب بالكلية وجعلوا لفظ الإيمان حقيقة في مجرد التصديق وتناوله للأعمال مجازا، ولا تذهب الكبائر وترك الواجبات الظاهرة شيئا من الإيمان إذ لو ذهب شيء منه لم يبق منه شيء فيكون شيئا واحدا يستوي فيه البر والفاجر."(٣)

وصف المرجئة في السنة

قال الهيثمي رحمه الله:" وأخرج أيضا ــ ابن ماجة ــ عن ابن عباس وجابر رضي الله عنهم قالا: قال رسول الله ﷺ:"صنفان من أمتي ليس لهم في الإسلام نصيب أهل الإرجاء والقدر"(٤)

---

(١) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج ٧ صــ ١٨١

(٢) شرح العقيدة الطحاوية / أبو العز الحنفي صــ ٣٦٤

(٣) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٣ صــ ٣٧٤ وانظر ج ٧ صــ ١١٦ ، ٢٢٣

(٤) أخرجه ابن ماجة في سننه ج١ صــ ٢٨ حديث رقم ٧٣، ورواه الترمذي عن ابن عباس وعمر وابنه ورافع بن خديج كتاب القدر باب ما جاء في القدرية ج٤ صــ ٤٥٤ حديث رقم ٢١٤٩ وقال حديث غريب حسن صحيح. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد / باب ما جاء فيمن يكذب بالقدر ومسائلهم والزنادقة ج٧ صــ ٢٠٨ وقال وفيه قرير بن سهل وهو كذاب إلا أنه أخرج حديث يقويه عن أنس رضي الله عنه مرفوعا "صنفان من أمتي ــ عند الطبراني بلفظ من هذه الأمة ــ لا يردان على الحوض ولا يدخلان الجنة القدرية والمرجئة" وقال رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير هرون بن موسى الفروي وهو ثقة (انظر =

وستأتي بقية طرقه والأول هم المرجئة الذين يقولون لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة."[1]

هذا وقد انقسمت المرجئة أقسام اختلفوا في بعض عقائدهم عن بعض لكنهم مجمعون على أنه لا يضر مع الإيمان ذنب قال ابن الجوزي رحمه الله:" وانقسمت المرجئة اثنتي عشرة فرقة التاركية قالوا ليس لله عز وجل على خلقه فريضة سوى الإيمان به، فمن آمن به وعرفه فليفعل ما شاء، والسائبية قالوا إن الله تعالى سيب خلقه ليعملوا ما شاءوا، والراجية قالوا لا نسمي الطائع طائعا ولا العاصي عاصيا لأنا لا ندري ما له عند الله، والشاكية قالوا إن الطاعات ليست من الإيمان، والبيهسية قالوا الإيمان علم ومن لا يعلم الحق من الباطل والحلال من الحرام فهو كافر، والمنقوصية قالوا الإيمان لا يزيد ولا ينقص، والمستثنية نفوا الاستثناء في الإيمان، والمشبهة يقولون لله بصر كبصري ويد كيدي، والحشوية جعلوا حكم الأحاديث كلها واحدا فعندهم إن تارك النفل كتارك الفرض، والظاهرية وهم الذين نفوا القياس، والبدعية أول من ابتدع الأحداث في هذه الأمة."[2]

وقد نقل الأمام الأشعري رحمه الله كل فرقهم وعقائدهم أقتطف منها ما يخص موضوعنا:" فقالت فرقة منهم أن الوعد ليس فيه استثناء وان الوعيد فيه استثناء، وقالت فرقة أخرى إنه يُعلم أنه لا يجتمع الوعد والوعيد في رجل واحد لان ذلك يتناقض، وقالت فرقة أخرى فأما الوعد من الله فهو واجب للمؤمنين، والله جل وعز لا يخلف وعده والعفو أولى بالله. والوعد لهم قول الله تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد:١٩] وقوله:﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزُمَر:٥٣] وما أشبه ذلك من آي القرآن. وزعم هؤلاء انه كما لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع الإيمان عمل، ولا يدخل النار أحد من أهل القبلة. و حكى عن بعض العلماء باللغة انه قال من أخبر الله أنه يثيبه أثابه ومن أخبر انه يعاقبه من أهل القبلة لم يعاقبه ولم يعذبه وذلك يدل على كرمه."[3]

أدلة أصحاب المذهب الثاني (المرجئة)

قال ابن حزم رحمه الله:" وأما من قطع بإسقاط الوعيد عن كل مسلم فاحتجوا بقول الله تعالى:﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ [الليل:١٥] قالوا: وهذه الآية مثبتة أن كل من توعده الله عز وجل على

المعجم الأوسط / أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني / دار الحرمين / القاهرة / ١٤١٥هـ / تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ج٢ صـ ١٧٤ حديث رقم ١٦٢٥)

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر / الهيثمي ج١ صـ ١٩٥

(٢) تلبيس إبليس / ابن الجوزي صـ ٣١

(٣) مقالات الإسلاميين / الأشعري ج١ صـ ١٤٤ ـ ١٤٨ باختصار كبير

قتل أوزنا أو ربا أو غير ذلك فإنما هم الكفار خاصة لا غيرهم، واحتجوا بقول رسول الله ﷺ من حديث أبي ذر رضى الله عنه:" أتاني آت من ربي فأخبرني أو قال بشرني أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة قلت وإن زنى وإن سرق قال وإن زنى وإن سرق "(١) وقول الله عز وجل:﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦] قالوا: ومن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد أحسن فهو محسن فرحمة الله قريب منه، ومن رحمه الله فلا يُعذب، وقالوا كما أن الكفر محبط لكل حسنة فإن الإيمان يكفر كل سيئة، والرحمة والعفو أولى بالله عز وجل هذا كل ما احتجوا به ما نعلم لهم حجة غير هذا أصلا أو يدخل فيما ذكرنا ولا يخرج عنه."(٢)

قال الرازي رحمه الله عند شرحه لقول الله تعالى:﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾[الملك:٨] " المسألة الأولى احتجت المرجئة على أنه لا يدخل النار أحد إلا الكفار بهذه الآية. قالوا لأنه تعالى حكى عن كل من ألقي في النار أنهم قالوا كذبنا النذير وهذا يقتضي أن من لم يكذب الله ورسوله لا يدخل النار، واعلم أن ظاهر هذه الآية يقتضي القطع بأن الفاسق المصر لا يدخل النار وأجاب القاضي عنه بأن النذير قد يطلق على ما في العقول من الأدلة المحذرة المخوفة ولا أحد يدخل النار إلا وهو مخالف للدليل غير متمسك بموجبه."(٣)

ومن أمثلة النصوص التي احتجوا بها قوله تعالى:﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة:٥] قال الرازي:" أما المرجئة فقد احتجوا بأن الله حكم بالفلاح على الموصوفين بالصفات المذكورة في هذه الآية . فوجب أن يكون الموصوف بهذه الأشياء مفلحاً وإن زنى وسرق وشرب الخمر ، وإذا ثبت في هذه الطائفة تحقق العفو ثبت في غيرهم ضرورة إذ لا قائل بالفرق."(٤) وقوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[النساء:٤٨] قال صاحب التسهيل رحمه الله:" وتأولتها المرجئة على مذهبهم فقالوا لمن يشاء معناه لمن يشاء أن يؤمن."(٥) إلى غير ذلك من الآيات التي يوحي ظاهرها بهذا المفهوم المتكلف للمرجئة .

وكذلك بعض الأحاديث والآثار التي يدل ظاهرها على الاكتفاء بالبعد عن الشرك ووجود الإيمان في القلب للفوز برضى الله مثل ما ورد في صحيح البخاري:" عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال: رسول الله

(١) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الجنائز باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله ج١ صـــ ٤١٧ حديث رقم ١١٨٠ والإمام مسلم في صحيحه كتال الإيمان باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات مشركا دخل النار ج١ صـــ ٩٥ حديث رقم ٩٤ واللفظ للبخاري

(٢) الفصل في الملل والنحل / ابن حزم ج ٤ صـــ ٣٩

(٣) التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج٣٠ صـــ ٥٧

(٤) التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج٢ صـــ ٣٣

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل / الكلبي ج١ صـــ ١٤٥

ﷺ: أتاني آت من ربي فأخبرني أو قال بشرني أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة. قلت: وإن زنى وإن سرق قال وإن زنى وإن سرق. و عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ: من مات يشرك بالله شيئا دخل النار وقلت أنا من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة."[1] وكذا حديث الجارية التي سألها رسول الله ﷺ بقوله: " أين الله قالت في السماء وقال ومن أنا قالت أنت رسول الله قال اعتقها فإنها مؤمنة."[2] قال الخلال:" ومن حجة المرجئة الجارية التي قال النبي ﷺ: اعتقها فإنها مؤمنة والحجة عليهم في ذلك لأن النبي ﷺ قد سألها عن بعض شرائع الإيمان."[3]

وقد نقلت بعض أدلتهم في سياق ردود العلماء عليها لإتمام الفائدة.

الرد عليهم

أولا : ــ رد مجمل ينقض أصل المذهب

أصل شبهة المرجئة كما أسلفنا إخراج العمل من الإيمان، وأن الإيمان عندهم شيء واحد لا يقبل التجزيء ولا التبعيض. فإذا نقضنا مبدأهم هذا هدمنا كل ما بُنيَّ عليه من عقائد فنقول: قد انعقد إجماع أهل السنة والجماعة على أن الإيمان قول وعمل كما نقل ذلك الإمام الشافعي[4] وابن عبد البر في التمهيد. [5] وقد كان المسلمون الأولون قبل أن تظهر البدعة في مسألة الإيمان يُعَرِفون الإيمان ولم يكونوا بحاجة إلى وضع تعريف له جامع مانع كما أعتاد ذلك أصحاب الفنون والتصانيف، وعندما ظهرت البدعة أجمع أهل السنة والجماعة على أن الإيمان قول وعمل، وبعضهم قال: قول وفعل، وبعضهم قال: قول وعمل ونية، وبعضهم قال: قول وعمل ونية وسنة. فهو قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح. فقول القلب هو التصديق و المعرفة وعمله الحب والكره والخوف والرجاء والتوكل وما إلى ذلك من أعمال القلوب.

ولابد من التنبيه هنا إلى أن قولهم الإيمان قول وعمل لم يقصدوا به كمال الإيمان كما زعم بعضهم، وسيأتي بيان أن هذا التفسير من أقوال المرجئة. فمن قال إن الإيمان قول وعمل أي كمال الإيمان فقد أخطأ وخالف الإجماع وإن كان المتفق عليه أن كمال الإيمان لا يكون إلا بالعمل.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الجنائز باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله ج١ صــ ٤١٧ الحديث رقم ١١٨٠ورقم١١٨١

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الصلاة باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة ج١ صــ ٣٨٢ حديث رقم ٥٣٧

(٣) السنة / أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال / دار الراية / الرياض / ١٤١٠هــ ــ ١٩٨٩م / الطبعة: الأولى/ تحقيق: د.عطية الزهراني / ج ٣ صــ ٥٧٤

(٤) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٧ صــ ٢٠٩، صــ ٥١١

(٥) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد / أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري / وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية / المغرب /١٣٨٧هــ / تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير البكري / ج٩ صــ ٢٤٤ وما بعدها

" قال الإمام الشافعي رحمه الله: وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية لا يجزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر."(١). وقد ذكر اللالكائي في سياق هذا القول سلسلة من أقوال الصحابة والتابعين وعدد كبير من فقهاء الأمة ومحدثيها و مفسريها وعلمائها في شتى صنوف العلم .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله:" والمأثور عن الصحابة وأئمة التابعين وجمهور السلف وهو مذهب أهل الحديث وهو المنسوب إلى أهل السنة: أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأنه يجوز الاستثناء فيه كما قال عمير بن حبيب الخطمي وغيره من الصحابة الإيمان يزيد وينقص فقيل له: وما زيادته ونقصانه فقال: إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه. فهذه الألفاظ المأثورة عن جمهورهم."(٢) وقال أيضا رحمه الله:" والمرجئة أخرجوا العمل الظاهر عن الإيمان فمن قصد منهم إخراج أعمال القلوب أيضا وجعلها هي التصديق فهذا ضلال بيّن، ومن قصد إخراج العمل الظاهر قيل لهم العمل الظاهر لازم للعمل الباطن لا ينفك عنه، وانتفاء الظاهر دليل انتفاء الباطن ."(٣) وقد أفضت القول والنقل في التمهيد حول إثبات ذلك مما أغنى عن إعادته هنا. (٤)

ثانيا رد مفصل لبعض أقوالهم وردود العلماء عليها

ومن أمثلة رد العلماء عليهم في الاستدلال بآية البقرة وآية النساء في قوله تعالى:﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة:٥] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨] قال الفخر الرازي رحمه الله:" والجواب عن قول المرجئة أن وصفهم بالتقوى يكفي في نيل الثواب لأنه يتضمن إتقاء المعاصي وإتقاء ترك الواجبات والله أعلم."(٥) وفي الآية الأخرى قال الشيخ:" أنه تعالى قسم المنهيات على قسمين: الشرك وما سوى الشرك، ثم إن ما سوى الشرك يدخل فيه الكبيرة قبل التوبة، والكبيرة بعد التوبة والصغيرة، ثم حكم على الشرك بأنه غير مغفور قطعا، وعلى ما سواه بأنه مغفور قطعا، لكن في حق من يشاء، فصار تقدير الآية أنه تعالى يغفر كل ما سوى الشرك، لكن في حق من شاء."(٦) فدل قول الشيخ في حق من شاء على أن الله قد يعذب على الذنب وقد لا يعذب.

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة / اللالكائي ج ٥ صـــ ٨٨٦

(٢) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٧ صـــ ٥٠٥

(٣) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٧ صـــ ٥٥٤

(٤) راجع صـــ ١٠

(٥) التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج٢ صـــ ٣٣

(٦) التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج ١٠ صـــ ١٠٠

وقال الكلبيُّ رحمه الله:" ومذهب المرجئة أن العصاة كلهم يغفر لهم ولا بد، وأنه لا يضر ذنب مع الإيمان ويرد عليهم قوله لمن يشاء فإنه تخصيص لبعض العصاة."(١) قال شارح الطحاوية رحمه الله:" فطائفة تقول لا نكفر من أهل القبلة أحدا فتنفي التكفير نفيا عاما مع العلم بأن في أهل القبلة المنافقين الذين فيهم من هو أكفر من اليهود والنصارى بالكتاب والسنة والإجماع، وفيهم من قد يظهر بعض ذلك حيث يمكنهم وهم يتظاهرون بالشهادتين."(٢) وقال العسكري:"وجاء رجل إلى ابن عباس فقال: كما لا تنفع مع الشرك حسنة فكذلك لا يضر مع الإيمان ذنب؟ فقال له ابن عباس: عش ولا تغتر أي لا تغتر بهذه الشبهة واعمل فإن الإيمان قول وعمل."(٣)

وقال النيسابوري رحمه الله:" ويروى أن رجلا أتى ابن عمر وابن عباس وابن الزبير رحمهم الله تعالى فقال كما لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع الإيمان ذنب فكلهم قال: عش ولا تغتر. يقولون لا تُفَرط في أعمال الخير، وخذ في ذلك بأوثق الأمور؛ فإن كان الشأن على ما ترجو من الرخصة والسعة هناك ــ الآخرة ــ كان ما كسبت زيادة في الخير، وإن كان على ما تخاف كنت قد احتطت لنفسك."(٤)

وقال العراقيُّ رحمه الله:" هذا الوعيد في حق المسلمين والكفار فإن الذي يرى سبيله إلى الجنة هو المسلم وأما الذي يرى سبيله إلى النار فيحتمل أن يكون على سبيل التأبيد فيها فهو الكافر، ويحتمل أن يكون على سبيل التعذيب والتمحيص ثم دخول الجنة وهو المسلم، وفي دخول المسلم في هذا الوعيد الرد على المرجئة الذين يقولون إنه لا يضر مع الإسلام معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. والكتاب والسنة مشحونان بما يخالف قولهم واعتذروا عن ذلك بأن المراد به التخويف لينزجر الناس عن المعصية وليس على حقيقته وظاهره وهو باطل، ولو صح قولهم لارتفع الوثوق عما جاءت به الشرائع، واحتمل في كل منها ذلك وهذا يؤدي إلى هدم الشرائع وسقوط فائدتها وفي دخول الكافر في هذا الوعيد دليل على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة و به قال أصحابنا خلافا للمعتزلة والحنفية. وقد يجيبون عن هذا بأن المراد دخوله النار على سبيل التعذيب لا على سبيل التخليد وليس في اللفظ ما يدل على ذلك والله أعلم."(٥)

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل / الكلبي ج١ صـــ ١٤٤

(٢) شرح العقيدة الطحاوية / أبو العز الحنفي صـــ ٣٥٥

(٣) جمهرة الأمثال/ الشيخ الأديب أبو هلال العسكري / دار الفكر / بيروت / ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م / ج ٢ صـــ ٤٧

(٤) مجمع الأمثال / أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري / دار المعرفة / بيروت / تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد/ ج٢ صـــ ١٦

(٥) طرح التثريب في شرح التقريب / زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسيني العراقي / دار الكتب العلمية / بيروت / ٢٠٠٠م / الطبعة: الأولى / تحقيق: عبد القادر محمد علي / ج ٤ صـــ ١٠

وأورد ابن حجر رحمه الله عند شرحه سبب نزول﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣] أن فيها رد على المرجئة فقال:" في هذا الحديث من الفوائد الرد على المرجئة في إنكارهم تسمية أعمال الدين إيمانا."[١] وقال ابن حزم في الفصل:" وقال تعالى:﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ ولم يزل أهل الإسلام قبل الجهمية والأشعرية و الكرامية وسائر المرجئة مجمعين على انه تعالى إنما عني بذلك صلاتهم إلى بيت المقدس قبل أن ينسخ بالصلاة إلى الكعبة."[٢]وقال ابن حجر رحمه الله أيضاً:" ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ... الآية﴾ [آل عمران:١٠٦] ومراده أيضا الرد على المرجئة حيث قالوا لا حذر من المعاصي مع حصول الإيمان، ومفهوم الآية التي ذكرها يرد عليهم لأنه تعالى مدح من استغفر لذنبه ولم يصر عليه فمفهومه ذم من لم يفعل ذلك."[٣] وقال أيضا:" ففي الحديث تعظيم حق المسلم والحكم على من سبه بغير حق بالفسق ومقتضاه الرد على المرجئة."[٤] ونقل العيني عن ابن بطال رحمهم الله قوله:" وهذا المعنى أراد البخاري رحمه الله إثباته في كتاب الإيمان وعليه بوب أبوابه كلها فقال: باب أمور الإيمان، وباب الصلاة من الإيمان، وباب الزكاة من الإيمان، وباب الجهاد من الإيمان، وسائر أبوابه وإنما أراد الرد على المرجئة في قولهم أن الإيمان قول بلا عمل، وتبيين غلطهم وسوء اعتقادهم ومخالفتهم للكتاب والسنة ومذاهب الأئمة. ثم قال في باب آخر قال المهلب الإسلام على الحقيقة هو الإيمان الذي هو عقد القلب المصدق لإقرار اللسان الذي لا ينفع عند الله تعالى غيره، وقالت الكرامية وبعض المرجئة الإيمان هو الإقرار باللسان دون عقد القلب ومن أقوى ما يرد به عليهم إجماع الأمة على إكفار المنافقين وان كانوا قد أظهروا الشهادتين قال الله تعالى:﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة٨٤:٨٥]"[٥] حتى أن بعض السلف صدر أبوابا بمعنى الإيمان عند السلف قاصدا الرد بها على أقوال المرجئة كما ذكر النووي عن وضع البخاري لباب ــ باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله لا يشعر ــ " مراد البخاري بهذا الباب الرد على المرجئة في قولهم إن الله لا يعذب على شيء من المعاصي ممن قال لا اله إلا الله، ولا يحبط شيء من أعماله بشيء من الذنوب، وإن إيمان المطيع والعاصي سواء. فذكر في صدر الباب أقوال أئمة التابعين وما نقلوه عن الصحابة

---

(١) فتح الباري / ابن حجر ج١ صــ ٩٨

(٢) الفصل في الملل والنحل / ابن حزم ج٣ صــ ١٠٩

(٣) فتح الباري / ابن حجر ج١ صــ ١١١

(٤) فتح الباري / ابن حجر ج١ صــ ١١٢

(٥) عمدة القاري / العيني ج١ صــ ١٢٢ وانظر شرح الإمام النووي على صحيح الإمام مسلم ج١ صــ ١٤٧

رضي الله عنهم وهو كالمشير إلى أنه لا خلاف بينهم فيه، وأنهم مع اجتهادهم المعروف خافوا أن لا ينجوا من عذاب الله تعالى. وقال القاضي عياض المرجئة أضداد الخوارج والمعتزلة؛ الخوارج تكفر بالذنوب والمعتزلة يفسقون بها، وكلهم يوجب الخلود في النار، والمرجئة تقول لا تضر الذنوب مع الإيمان وغلاتهم تقول يكفي التصديق بالقلب وحده."(١)

وكذا صاحب عون المعبود رحمه الله فقال:" باب في رد الإرجاء وفي نسخة الخطابي باب الرد على المرجئة."(٢) ثم أردف الشيخ حديث الإيمان بضع وسبعون شعبة وبين بطلان قول المرجئة وأثبت قول السلف في أن الإيمان قول وعمل ثم بوب بابا آخر سماه باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه. والخلال في السنة قال:" الرد على المرجئة قولهم إن الإيمان يزيد ولا ينقص."(٣) ثم جمع الشيخ أقوال الأمام أحمد في ذمهم.

ونقل الأصبهاني عن الشافعي رحمهم الله قوله:" ما أعلم في الرد على المرجئة شيئا أقوى من قول الله تعالى:﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ [البيّنة:٥]"(٤) ورد عليهم من رؤساء الخوارج اليمان بن رباب البصري في كتاب مخصوص اسماه الرد على المرجئة(٥) والقرآن الكريم في كثير من آياته يرد قولهم أسوق أمثلة من ذلك :ـــ

الآية الأولى: قوله تعالى:﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٨] فهذه الآية تدل على كفر من زعم أنه مؤمن لإتيانه بتصديق القلب واللسان دون كسب الجوارح، لأنها نص في عدم نفع الإيمان لكل نفس آمنت ولم تصدق إيمانها بالعمل قبل إتيان بعض الآيات، وأنه لن ينتفع عندئذ إلا الذي جمع بين الإيمان مع كسب العمل الذي هو من حقيقته.

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله:" وأما قوله أو كسبت في إيمانها خيراً فإنه يعني: أو عملت في تصديقها بالله خيراً من عمل صالح تصدق قِيْلَه وتحققه."(٦) وقال الشوكاني رحمه الله:" قوله تعالى:﴿أَوۡ

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري / العيني ج١ صـــ ٢٧٤

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود / محمد شمس الحق العظيم آبادي / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٩٩٥م/ الطبعة: الثانية / ج١٢ صـــ ٢٨٢

(٣) السنة / الخلال ج ٣ صـــ ١١٥

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني / دار الكتاب العربي / بيروت / ١٤٠٥ هـــ / الطبعة: الرابعة / ج٩ صـــ ١١٥

(٥) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون/ مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤١٣هـــ ـــ ١٩٩٢م / ج٦ صـــ ٥٤٨ ، وانظر الفهرست / محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم / دار المعرفة / بيروت / ١٣٩٨هـــ ـــ ١٩٧٨م / ج١ صـــ ٢٥٨

(٦) تفسير الطبري ج٨ صـــ ١٠٣

﴿كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ﴾معطوف على ــ آمنت ــ والمعنى أنه لا ينفع نفسا إيمانها عند حضور الآيات متصفة بأنها لم تكن آمنت من قبل، أو آمنت من قبل ولكن لم تكسب في إيمانها خيرا، فحصل من هذا أنه لا ينفع إلا الجمع بين الإيمان من قبل مجيء بعض الآيات مع كسب الخير في الإيمان، فمن آمن من قبل فقط ولم يكسب خيرا في إيمانه أو كسب خيرا ولم يؤمن فإن ذلك غير نافعه."(١)

الآية الثانية : قول الله تعالى:﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر:١٠] فعلى التفسير المنقول عن السلف أن رفع القول والذي أعظمه الشهادتان متوقف على العمل الصالح، فمن أقر ولم يعمل لم يكن له عمل يرفع الإقرار، فدل على أن العمل وأعظمه الصلاة شرط لقبول القول الذي أعظمه الشهادتان.قال الطبري:" وقوله:﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ يقول تعالى ذكره إلى الله يصعد ذكر العبد إياه وثناؤه عليه والعمل الصالح يرفعه، يقول ويرفع ذكر العبد ربه إليه عمله الصالح وهو العمل بطاعته وأداء فرائضه والانتهاء إلى ما أمر به، عن ابن عباس قوله:﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾قال: الكلام الطيب ذكر الله والعمل الصالح أداء فرائضه فمن ذكر الله سبحانه في أداء فرائضه حمل عليه ذكر الله فصعد به إلى الله ومن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله فكان أولى به."(٢)

وختاما للرد عليهم أقول أنه يلزم من مذهبهم هذا لوازم باطلة تنقض أصل الدين وبعض آيات الكتاب منها: ــ

الأول : ــ يلزم من قولهم أن من قال أنا مؤمن وسب الله أو الدين أو النبي ﷺ فلا حرج عليه ويبقى مؤمناً وهذا ما لا يحتاج بطلانه إلى شرح قال ابن تيمية رحمه الله:" ومن هنا يظهر خطأ قول جهم بن صفوان ومن اتبعه حيث ظنوا أن الإيمان مجرد تصديق القلب وعلمه، لم يجعلوا أعمال القلب من الإيمان، وظنوا أنه قد يكون الإنسان مؤمنا كامل الإيمان بقلبه وهو مع هذا يسب الله ورسوله ويعادى الله ورسوله ويعادى أولياء الله ويوالى أعداء الله ويقتل الأنبياء ويهدم المساجد ويهين المصاحف ويكرم الكفار غاية الكرامة ويهين المؤمنين غاية الإهانة. قالوا وهذه كلها معاص لا تنافى الإيمان الذي في قلبه بل يفعل هذا وهو في الباطن عند الله مؤمن."(٣) وإن كان كلام الإمام مقصود به الجهمية إلا أنه ينساق على المرجئة لأن عقيدتهم في الإيمان تقوم أيضا على مجرد التصديق بالقلب وعلمه.

الثاني : ــ يلزم من قولهم أن فرعون وإبليس واليهود والمشركين من المؤمنين حيث أنهم بقلوبهم يعلمون ومصدقين بالله قال تعالى:﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [النمل:١٤] وقال

---

(١) فتح القدير / الشوكاني ج٢ صـــ ١٨٢

(٢) تفسير الطبري ج ٢٢ صـــ ١٢٠ ، ١٢١

(٣) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٧ صـــ ١٨٨

تعالى في اليهود: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٤٦]
وقال سبحانه في المشركين: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام:٣٣]

الثالث : ــ يلزم من قولهم أن الأنبياء والأولياء متساوون في الإيمان مع الفساق والمنافقين قال ابن تيمية رحمه الله:" وقالوا لو أن رجلا آمن بالله ورسوله ضحوة ومات قبل أن يجب عليه شيء من الأعمال مات مؤمنا، وكان من أهل الجنة. فدل على أن الأعمال ليست من الإيمان وقالوا نحن نسلم أن الإيمان يزيد بمعنى أنه كان كلما أنزل الله آية وجب التصديق بها فانضم هذا التصديق إلى التصديق الذي كان قبله. لكن بعد كمال ما أنزل الله ما بقى الإيمان يتفاضل عندهم بل إيمان الناس كلهم سواء إيمان السابقين الأولين كأبي بكر وعمر وإيمان أفجر الناس كالحجاج وأبى مسلم الخُراساني وغيرهما."[١]

الرابع : ــ يلزم من قولهم ترك الشريعة والتكاليف نقل ابن حجر عن الطيبي رحمهم الله قوله:" قال بعض المحققين" قد يتخذ من أمثال هذه الأحاديث المبطلة ذريعة إلى طرح التكاليف وإبطال العمل ظنا أن ترك الشرك كاف، وهذا يستلزم طي بساط الشريعة، وإبطال الحدود، وأن الترغيب في الطاعة والتحذير عن المعصية لا تأثير له، بل يقتضي الانخلاع عن الدين و الانحلال عن قيد الشريعة، والخروج عن الضبط والولوج في الخبط، وترك الناس سدى مهملين وذلك يفضي إلى خراب الدنيا بعد أن يفضي إلى خراب الأخرى."[٢]

الخامس : ــ يلزم من قولهم إبطال آيات القرآن في الأمور التالية : ــ

١ــ إبطال كل آيات التكاليف والعبادات كالصلاة والزكاة والحج والصوم والجهاد لأنها بحسب زعمهم لا فائدة منها طالما أن الإيمان ثابت لا يزيد ولا ينقص قال شيخ الإسلام:" ومن قال بحصول الإيمان الواجب بدون فعل شيء من الواجبات كان مخطئاً خطئاً بيّناً وهذه بدعة الإرجاء التي أعظم السلف والأئمة الكلام في أهلها، وقالوا فيها من المقالات الغليظة ما هو معروف والصلاة هي أعظمها وأعمها وأولها وأجلها."[٣] ولا يخفى على الإنسان العاقل ما يترتب على هذا المفهوم من فساد في الحياة الدنيا وسوء العاقبة في الآخرة .

٢ــ آيات القرآن الدالة على الحساب يوم القيامة كقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة٧:٨]

---

(١) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٧ صـــ ١٩٥

(٢) فتح الباري / ابن حجر ج١١ صـــ ٢٧٠

(٣) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج ٧ صـــ ٦٢١

٣ــ آيات القرآن الدالة على التفاوت في درجات الأعمال كقوله تعالى:﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد:١٠]

٤ــ الآيات الدالة على تفاوت الناس في الإيمان وانه يزيد وينقص كقوله تعالى:﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال:٢] وقوله سبحانه:﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [التوبة:١٢٤] وقوله تعالى:﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح:٤] وقوله عز وجل:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحديد:٢٨] إلى غير ذلك من الآيات قال الشنقيطي رحمه الله:" وهذه الآيات المذكورة نصوص صريحة في أن الإيمان يزيد مفهوم منها أنه ينقص أيضاً كما استدل بها البخاري رحمه الله على ذلك وهي تدل عليه دلالة صريحة لا شك فيها."(١)

والخلاصة : ــ كل من عمل برأيه الفاسد أوقعه في المهالك؛ فشبهة الخوارج والمرجئة واحدة إلا أنهم على طرفي نقيض، وإنما كان ذلك منهم لبعدهم عن المنهج الصحيح بتعطيلهم لنصوص الكتاب والسنة، وإتباعهم لآراء أهل الأهواء والزندقة والمتكلمين " وكان ما أوقعهم في ذلك أنهم سمعوا نصوص الوعيد فرأوها عامة فقالوا: يجب أن يدخل فيها كل من شملته وهو خبر وخبر الله صدق، فلو أخلف وعيده كان كإخلاف وعده، والكذب على الله محال. فعارضهم غالية المرجئة بنصوص الوعد فإنها قد تتناول كثيرا من أهل الكبائر فعاد كل فريق إلى أصله الفاسد."(٢)

فالمرجئة: أخذوا بنصوص الوعد، وعطلوا نصوص الوعيد عن معانيها فقالوا: إن المراد بالكفر فيها الكفر المجازي لا الحقيقي. وما جاء فيها بنفي الإيمان أو نفي دخول الجنة أوليس منا فالمراد بها الزجر، ومجرد الوعيد، ولكنها لا تدل حقيقة على نفي الإيمان كله أو كماله، ولا نفي دخول الجنة.

والخوارج : أخذوا بنصوص الوعيد، وأهملوا نصوص الوعد، فقالوا: إن النصوص التي ورد فيها الكفر فالمراد بها كلها الكفر المخرج من الملة. والنصوص التي ورد فيها نفي الإيمان فالمراد بها نفي الإيمان كله على الحقيقة. فالإيمان عندهم شيء واحد إما أن يبقى كله أو يزول كله، والكفر عندهم شيء واحد إما أن يبقى كله أو أن يزول كله فلا يقولون بكفر دون كفر.

وهدى الله أهل السنة والجماعة: فجمعوا بين النصوص وعملوا بها كلها فقالوا: إن مرتكب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، أو مؤمن ناقص الإيمان. وفي الآخرة تحت المشيئة إن شاء الله

(١) أضواء البيان / الشنقيطي ج ٣ صـــ ٢١٤

(٢) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج ١٢ صـــ ٤٨١

غفر له وإن شاء عذبه إن لم يلق الله تائبا من كبيرته. ولا يمكن الجمع بين النصوص إلا بهذا القول الذي جرى عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين .

المبحث الثاني

مدلولات الذم المراد بها الكفر المخرج من الملة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : ــ دلالات التكفير في الأعمال

المطلب الثاني : ــ دلالات التكفير في الأقوال

المطلب الثالث : ــ دلالات التكفير في الاعتقاد

معنى الدلالة

الدلالة لغة :

قال الرازي رحمه الله:" دلل الدليل ما يستدل به، والدليل الدال، وقد دله على الطريق يدُله بالضم دلالة بفتح الدال وكسرها، وفلان يدل بفلان أي يثق به."(١)

وقال ابن منظور:" والاسم الدلالة قال سيبويه والدليلي علمه بالدلالة ورسوخه فيها."(٢)

قال تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾[الفرقان:٤٥] قال الطبري رحمه الله:" يقول جل ثناؤه: ثم دللناكم أيها الناس بنسخ الشمس إياه عند طلوعها عليه، أنه خلْق من خلق ربكم، يوجده إذا شاء، ويفنيه إذا أراد، والهاء فـــي قوله:(عَلَيْهِ) من ذكر الظلّ. ومعناه: ثم جعلنا الشمس على الظل دليلا. قيل: معنى دلالتها عليه أنه لو لم تكن الشمس التي تنسخه لم يعلم أنه شيء، إذا كانت الأشياء إنما تعرف بأضدادها، نظير الحلو الذي إنما يعرف بالحامض والبارد بالحار، وما أشبه ذلك."(٣) فالشمس دليل على وجود الظل فيلزم من العلم بطلوع الشمس وجود الظل. والدلالة هي القيام بهذه العملية.

فمنهج القرآن واضح في الاستدلال بكونه حجة ملزمة. فكما جعل سبحانه الشمس دليلا على النهار جعل آياته في الكون دليلا على وجوده وعظمته وتفرده. وللقرآن منهج في الاستدلال على وحدانية الله، وعلى قدرته على البعث، وعلى صدق نبيه، وعلى إعجاز كتابه مما أفرد له العلماء أبحاث خاصة فيها وفي أمثالها مما لا مجال لبسطه هنا.

الدلالة اصطلاحا :

" الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص، وإشارة النص، ودلالة النص، واقتضاء النص. ووجه ضبطه: أن الحكم المستفاد من النظم إما أن يكون ثابتاً بنفس النظم أو لا، والأول ــ أي الثابت بنفس النظم ــ إن كان النظم مسوقا له فهو العبارة وإلا فالإشارة. والثاني إن كان الحكم مفهوما من اللفظ لغة فهو الدلالة أو شرعا فهو الاقتضاء. فدلالة النص عبارة عما ثبت بمعنى النص لغة لا اجتهادا. فقوله لغة أي يعرفه كل من يعرف هذا اللسان بمجرد سماع اللفظ من غير

---

(١) مختار الصحاح / الرازي صــ ٨٨

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج١١ صــ ٢٤٩

(٣) تفسير الطبري ج١٩ صــ ١٩

تأمل كالنهي عن التأفف في قوله تعالى:﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء:٢٣] يوقف به على حرمة الضرب وغيره مما فيه نوع من الأذى بدون الاجتهاد."[١]

وقد قسم الكفومي رحمه الله الدلالة إلى قسمين فقال:" إن الدلالة إما لفظية وإما غير لفظية، وكل منهما إما وضعية وعقلية وطبيعية. فاللفظية الوضعية مثل دلالة الألفاظ الموضوعة على مدلولاتها. كدلالة الإنسان على الحيوان الناطق إذ هو موضوع لذلك .

واللفظية العقلية كدلالة اللفظ على وجود اللافظ سواء كان مهملا أو مستعملا .

واللفظية الطبيعية كدلالة (أح) بالفتح والضم على وجع الصدر وهو السعال، وكدلالة (أخ) بالمعجمة والفتح أيضا على الوجع مطلقا.

وغير اللفظية الوضعية كدلالة الدوال الأربع[٢]على مدلولاتها.

وغير اللفظية العقلية كدلالة المصنوعات على الصانع.

و غير اللفظية الطبيعية كدلالة الحمرة على الخجل والصفرة على الوجل."[٣] وأضاف الجرجاني قسم ثالث وهو الاستقراء فقال:" الدلالة إما لفظي وإما غير لفظي وإما استقرائي وهو الذي لا يكون دائرا بين النفي والإثبات بل يحصل بالاستقراء والتتبع."[٤]

وسأعتمد في هذا المبحث على الاستقراء في حصر نماذج من القرآن الكريم للدلالة على الكفر في الأفعال فالأقوال ثم الاعتقاد"[٥]، وذلك إتماما لمباحثنا السابقة في إثبات سلامة منهج السلف في التكفير، وتأكيدا في الرد على مذاهب أهل الأهواء والبدع من الخوارج والروافض والمرجئة، وإيضاح فساد ما ذهبوا إليه من أقوال.

ثم إننا وإنصافا منا لغيرنا فقد قيدنا استدلالنا بالآيات بالقيود التي وضعها العلماء للدلالة وهى : ـــ

---

(١) التعريفات / الجرجاني صـــ ١٤٠ وانظر روح المعاني / الألوسي ج ١٨ صـــ ١٣٠وانظر الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة/ زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري أبو يحيى/ دار الفكر المعاصر/ بيروت/ ١٤١١هــ / الطبعة: الأولى/ تحقيق: د مازن المبارك / صـــ ٧٩

(٢) الدوال الأربع وهى الإشارة والكتابة والنصب والعقد؛ فالإشارة كانسان حين تسأله عن بيت أو شخص فيشير لك بيده إليه، والكتابة حين تكتب كلمة نهار يفهم منها معنى ما وضعه أهل اللغة وهو الزمن من طلوع الفجر إلى غياب الشمس، والنصب وهو ما نصبه الشخص كعلامة على شيء معين كالأوتاد التي توضع فيعرف بها حدود الأرض، والعقد وهو الشكل الذي يعمله الإنسان بأصابع يده ليعبر به عن عدد معين كما يقال عقد بإصبعه ثلاثا، ومنه قولهم أضيق من تسعين وهى إشارة إلى وضع رأس السبابة على أسفل الإبهام

(٣) الكليات / الكفومي صـــ ٤٤١

(٤) التعريفات / الجرجاني صـــ ١١٨

(٥) وقد جعلت مطلب الاعتقاد متأخرا رغم أهميته عن الأفعال والأقوال إذ لا سبيل لمعرفة كفر الاعتقاد إلا إذا ظهر من خلال قول أو عمل

أولا : ــ "الدلالة لا تعمل إذا عارضها عبارة."[1] أي عبارة صريحة لأن الدلالة تقوم على فهم المعنى والفهم محتمل للصواب والخطأ خلاف النص الصريح فلا احتمال فيه لغير ما يعنى.

ثانيا : ــ " ما أفادته الآية ولو بالدلالة أقوى مما أفاده خبر الواحد ولو بالإشارة."[2]

ثالثا : ــ " قال ابن سينا الإرادة شرط الدلالة يعني أن الدلالة هي الالتفات من اللفظ إلى المعنى من حيث إنه مراد، فلولا العلم بالإرادة لمعنى من اللفظ لم يتوجه السامع من اللفظ إلى المعنى فلم يتحقق دلالة لا على المراد ولا على الجزء منه ولا على لازمه."[3]

وبعد ذلك كله سرت في إثبات ذلك على منهج السلف في الاستدلال بالنصوص الشرعية وقواعد الشرع المبنية عليها والذي يقوم على القواعد التالية : ــ

١ــ حصر الاستدلال في الدليل الشرعي (الوحي).

٢ــ مراعاة قواعد الاستدلال، فلا يضربون الأدلة الشرعية بعضها ببعض، بل يردون المتشابه إلى المحكم، والمجمل إلى المبين، ويجمعون بين نصوص الوعد والوعيد والنفي والإثبات، والعموم والخصوص، ونحو ذلك.

٣ــ يعملون بكل ما صح من الأدلة الشرعية دون تفريق بين آحاد وغيره.

٤ــ يعتمدون تفسير القرآن بالقرآن، والقرآن بالسنة والعكس، ويعتمدون معاني لغة العرب ولسانهم، لأنها لغة القرآن والسنة، ويردون ما يخالف ذلك.

٥ــ يعتمدون تفسير الصحابة رضى الله عنهم، وفهمهم للنصوص وأقوالهم وأعمالهم وآثارهم، لأنهم أصحاب رسول الله ﷺ، وهم أفضل الأمة وأزكاها، وعاشوا وقت تنزل الوحي وأعلم باللغة ومقاصد الشرع، ثم آثار السلف الصالح أئمة الهدى الذين هم بهم مقتدون.

٦ــ ما بلغهم وعلموه من الدين عملوا به، وما اشتبه عليهم علمه، أو علم كيفيته (كبعض نصوص الغيبيات والقدر) يسلمون به ويردون علمه إلى الله سبحانه وتعالى ولا يخوضون فيه.

٧ــ ينفون التعارض بين العقل السليم والفطرة وبين نصوص الشرع، وبين الحقيقة و الشرع ، وما يتوهمه أهل الأهواء من التعارض بين العقل والنقل فهو من عجز عقولهم وقصورها.

---

(١) الكليات / الكفومي صــ ١٠٦٩

(٢) الكليات / الكفومي صــ ١٠٦٧ ولا يفهم من كلام الشيخ رد خبر الواحد بل هو هنا يعقد مقارنة بين دليلين يؤخذ بكليهما. لكن إذا تعارضا فتقدم دلالة الآية على صريح خبر الآحاد وهو من باب تقديم الكتاب على السنة في الدلالة، ويؤيد هذا ما ذهب إليه الشيخ في قبول خبر الواحد الصحيح راجع صــ ٧١٤ ، صــ ١٠٧٠ وهذا منهج السلف وأقوالهم في ذلك مبسوطة في كتبهم.

(٣) الكليات / الكفومي صــ ١٠١٥

٨ــ يتجنبون التأويل في العقيدة والغيبيات ــ بغير دليل شرعي صريح ــ لأنه قول على الله بغير علم، ولأن مسائل العقيدة والغيبيات توقيفية لا مجال للرأي ولا للعقل فيها ولا تدرك بالعلوم الحسية. وهذا مخالف للقواعد التي بنى عليها أهل الأهواء والبدع مذهبهم الفاسد.

وقبل أن أشرع في كتابة دلالات التكفير سواء في الأعمال أو الأقوال أو الاعتقاد أود التنبيه على أن كل مدلول سنشير إليه في مبحثنا هذا خاضع لضوابط وشروط وموانع التكفير التي ذكرتها في المطلب السابق.

المطلب الأول

دلالات التكفير في الأعمال

سيكون الحديث هنا عن الأعمال التي تدل على كفر من أتى بها، وقد سبق ــ في التمهيد ــ تقرير أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، وأن الكفر كذلك، فإذا انتفى أحد حقائق الإيمان الثلاثة فسد الإيمان وبطل. وذلك أن الإيمان ليس تصديقاً فحسب، بل هو قول وعمل واعتقاد، متعلق بالقلب تصديقا وقولا وعملا، وباللسان تصريحا، وبالجوارح عملا، وكذلك الكفر ليس هو التكذيب فقط كما ظن المرجئة، وقد قررنا ذلك في المطلب السابق مما يغني عن إعادة ذكره مرة أخرى.

فالكفر قد يكون اعتقاداً، وقد يكون قولا باللسان، وقد يكون عملا ظاهرا كالسجود للصنم وامتهان المصحف ونحوهما، فهذه الأعمال نواقض للإيمان، لأنها واقعة فيما يظهر عن طريق الجوارح، مع أن هذه الأعمال الظاهرة مناقضة لما في القلب من الإيمان كالانقياد والمحبة إن وجدت. ولسهولة الإطلاع على هذه الأعمال التي وردت في القرآن الكريم قسمتها إلى ثلاثة أقسام: ــ

القسم الأول : ــ التكفير في التوحيد

أولا : ــ الشرك في العبادة

ثانيا : ــ الحكم بغير ما أنزل الله عز وجل

ثالثا: ــ الإعراض التام عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به

القسم الثاني : ــ في الأوامر النواهي

أولا : ــ ترك الأوامر وفيها

١ــ عدم طاعة الرسول ﷺ

٢ ــ ترك النطق بالشهادتين مع القدرة على ذلك

٣ ــ ترك الحج أو الصيام أو الزكاة جحودا

٤ ــ ترك الصلاة

ثانيا : ــ فعل النواهي ومنها

أولا : ــ السحر

ثانيا : ــ موالاة الكفار و إتباع هواهم وطاعتهم

ثالثا : ــ الاستهزاء بالله وآياته

رابعا : ــ قتل الولد خشية الفقر

القسم الثالث : ــ الردة

القسم الأول

التكفير في التوحيد

أولا : ــ الشرك في العبادة

قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦] وقال تعالى:﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[المائدة:٧٢]

وهو على أشكال ومظاهر متعددة منها : ــ

١ــ الذبح لغير الله و الاستقسام بالأزلام

قال تعالى:﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[المائدة:٣] قال الرازي رحمه الله:" واعلم أن قوله (وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ) فيه وجهان: أحدهما: وما ذبح على اعتقاد تعظيم النصب. والثاني: وما ذبح للنصب."(١) وتوجيه الشيخ توجيه جميل حيث إنه بالمعنى الأول كتعظيم للنصب يلحق بالميتة والدم والخنزير وغيرها في كونها حرام أي لا يجوز أكلها مع عظم ذنب من فعلها بكونها من الكبائر. والتوجيه الثاني بقوله ذبح للنصب وهذا من قبيل صرف العبادة لغير الله تبارك وتعالى فهذه يحرم أكلها وفاعلها مشرك شرك أكبر. قال الطبري:" قال ابن زيد في قوله وما ذبح على النصب، وما أهل لغير الله به هو واحد."(٢) وقال ابن تيمية رحمه الله:" ولأن الذبح لغير الله أو باسم غيره قد علمنا يقينا أنه ليس من دين الأنبياء عليهم السلام فهو من الشرك."(٣) قال البيضاوي رحمه الله:" إشارة إلى الاستقسام وكونه فسقا لأنه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد أن ذلك طريق إليه وافتراء على الله سبحانه وتعالى إن أريد بربي الله ــ يريد الشيخ بذلك كتابتهم على الزلَم أمرني ربي ونهاني ربي ــ وجهالة وشرك إن أريد به الصنم أو الميسر المحرم أو إلى تناول ما حرم

---

(١) التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج١١ صـــ ١٠٧

(٢) تفسير الطبري ج٦ صـــ ٧٥

(٣) دقائق التفسير / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس / مؤسسة علوم القرآن / دمشق / ١٤٠٤هـــ / الطبعة: الثانية / تحقيق: د. محمد السيد الجليند / ج٢ صـــ ١٣٣

عليهم."[1] قال شيخ الإسلام رحمه الله:" وحرم سبحانه ما ذبح على النصب وهو ما ذبح لغير الله، و ما سمى عليه غير اسم الله، وإن قصد به اللحم لا القربان. ولعن النبي ﷺ من ذبح لغير الله ونهي عن ذبائح الجن و كانوا يذبحون للجن بل حرم الله ما لم يذكر اسم الله عليه مطلقا كما دل على ذلك الكتاب والسنة في غير موضع."[2] وقال أيضا رحمه الله:" وأما ذبح المسلم لنفسه في أعيادهم على وجه القربة فكفر بيِّن كالذبح للنصب، ولا يجوز الأكل من هذه الذبيحة بلا ريب ولو لم يقصد التقرب بذلك بل فعله لأن عادة، أو لتفريج أهله فإنه يحرم عليه ذلك، واستحق العقوبة البليغة إن عاد إلى مثل ذلك لقوله ﷺ:(ليس منا من تشبه بغيرنا) [3] (من تشبه بقوم فهو منهم)[4] "[5]

٢ـ الدعاء والاستغاثة بغير الله

قال تعالى:﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾ [الرعد:١٤] وقال تعالى:﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف:٥] قال شارح كتاب التوحيد:" حاصل كلام المفسرين أن الله تعالى حكم بأنه لا أضل ممن يدعو من دون الله. لا دعاء عبادة ولا دعاء مسألة واستغاثة من هذه حاله. ومعنى الاستفهام فيه إنكار أن يكون في الضلال كله أبلغ ضلالا ممن عبد غير الله ودعاه، حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على تحصيل كل بغية ومرام ويدعون من دونه من لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة أحد منهم ما دام في الدنيا وإلى أن تقوم القيامة كما قال تعالى:(لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّ .. الآية وقوله:(وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ) أي لا يشعرون بدعاء من دعاهم لأنهم إما عباد مسخرون مشتغلون بأحوالهم كالملائكة، وإما أموات كالأنبياء والصالحين، وإما أصنام وأوثان."[6]

---

(١) أنوار التنزيل و أسرار التأويل (تفسير البيضاوي) / ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي البيضاوي / دار الفكر / بيروت / ج٢ صـ ٢٩٣

(٢) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج١٧ صـ ٤٨٥

(٣) أخرجه الترمذي في سننه باب ما جاء في كراهية إشارة اليد بالسلام ج٥ صـ ٥٩ حديث رقم ٢٦٩٥ وقال هذا حديث إسناده ضعيف وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد باب ما نهي عنه من الإشارة في السلام ج٨ صـ ٣٩ وقال رواه الطبراني في الأوسط وفيه من لم أعرفه.

(٤) أخرجه أبو داوود في سننه كتاب اللباس باب في لبس الشهرة ج٤ صـ ٤٤ حديث رقم ٤٠٣١ وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد باب من تشبه بقوم فهو منهم ج١٠ صـ ٢٧١ وقال رواه الطبراني في الأوسط وفيه علي بن غراب وقد وثقه غير واحد وضعفه بعضهم وبقية رجاله ثقات.

(٥) مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية / بدر الدين أبو عبد الله محمد بن علي الحنبلي البعلي / دار ابن القيم / الدمام / ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م / الطبعة: الثانية / تحقيق: محمد حامد الفقي / صـ ٥١٨

(٦) تيسير العزيز الحميد / سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب صـ ١٩١

قال الشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله عند شرح هذه الآية:" وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدين كله لله، والذبح كله لله والنذر كله لله والاستغاثة كلها لله، وجميع أنواع العبادة كلها لله. وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، وأن قصدهم الملائكة والأنبياء والأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله تعالى بهم هو الذي أحل دماءهم وأموالهم."(١)

وقال سليمان بن عبد الوهاب رحمه الله:" فثبت بهذا أن الدعاء عبادة من أجل العبادات بل هو أكرمها على الله كما تقدم، فإن لم يكن الإشراك فيه شركاً فليس في الأرض شرك، وإن كان في الأرض شرك فالشرك في الدعاء أولى أن يكون شركا من الإشراك في غيره من أنواع العبادة، بل الإشراك في الدعاء هو أكبر شرك المشركين الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ فإنهم يدعون الأنبياء والصالحين والملائكة ويتقربون إليهم ليشفعوا لهم عند الله."(٢)

٣ ـــ إدعاء علم الغيب عند ما يسمى بالفتّاحين والكهان والمنجمين في هذا العصر وكذا قراءة الكف والفنجان و المندل(٣) وما شابه ذلك

قال الله تعالى:﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام:٥٩] وقال تعالى:﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ [النمل:٦٥] فمن ادعى علم الغيب فقد كذَّب صريح القرآن الكريم. قال الشيخ الفوزان حفظه الله:" ومن ادَّعى علم الغيب أو صَدَّق من يَدَّعيه، فهو مشرك كافر؛ لأنه يَدَّعي مشاركة الله فيما هو من خصائصه، و النجوم مسخرة مخلوقة ليس لها من الأمر شيء، ولا تدل على نحوس ولا سعود ولا موت ولا حياة، وإنما هذا كله من أعمال الشياطين الذين يسترقون السمع."(٤)

---

(١) مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب / محمد بن عبد الوهاب / جامعة الإمام محمد بن سعود / الرياض / تحقيق: عبد العزيز زيد الرومي ، د. محمد بلتاجي ، د. سيد حجاب / صـــ ١٥٤ ، وانظر كشف الشبهات / محمد بن عبد الوهاب / مطابع الرياض / الرياض / الطبعة: الأولى/ تحقيق: ناصر بن عبد الله الطريم ، سعود بن محمد البشر ، عبد الكريم اللاحم / صـــ ١٥٧

(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد / سليمان بن عبد الوهاب صـــ ١٧٨

(٣) ضرب من الكهانة يستدل به على الضائع أو المسروق

(٤) عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها أو يناقضها من الشرك الأكبر و الأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك / الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان / دار العاصمة للنشر والتوزيع الرياض / الطبعة: الأولى / ١٤٢٠ هـــ ـــ ١٩٩٩ م / صـــ ١٢٣

٤ــ الانتماء إلى المذاهب والأحزاب الملحدة كالشيوعية[١] والعَلمانية[٢] والرأسمالية[٣] وغيرها

وذلك لأن أفكارها تقوم إما على الإلحاد وإنكار وجود الله، و إما على تشريعات وأحكام تتناقض بالكلية مع التشريع الإسلامي. يقول الشيخ الفوزان حفظه الله:" الانتماء إلى المذاهب الإلحادية كالشيوعية والعلمانية والرأسمالية وغيرها من مذاهب الكفر ردة عن دين الإسلام، فإن كان المنتمي إلى تلك المذاهب يدَّعي الإسلام فهذا من النفاق الأكبر؛ فإن المنافقين ينتمون إلى الإسلام في الظاهر، وهم مع الكفار في الباطن، كما قال تعالى فيهم:﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [البقرة:١٤]"[٤]

---

(١) الشيوعية مذهب فكري يقوم على الإلحاد وأن المادة هي أساس كل شيء ويفسر التاريخ بصراع الطبقات وبالعامل الاقتصادي. ظهرت في ألمانيا على يد ماركس وإنجلز، وتجسدت في الثورة البلشفية التي ظهرت في روسيا سنة ١٩١٧م بتخطيط من اليهود، وتوسعت على حساب غيرها بالحديد والنار. وقد تضرر المسلمون منها كثيراً، وهناك شعوب محيت بسببها من التاريخ، ولكن الشيوعية أصبحت الآن في ذمة التاريخ، بعد أن تخلى عنها الاتحاد السوفيتي، الذي تفكك بدوره إلى دول مستقلة، تخلت كلها عن الماركسية، واعتبرتها نظرية غير قابلة للتطبيق. (الموسوعة الميسرة صـــ ٩١٩)

(٢) العَلمانية SECULArISM وترجمتها الصحيحة: اللادينية أو الدنيوية، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل ومراعاة المصلحة بعيداً عن الدين. وتعني في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم، وهي اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم SCIENCE وقد ظهرت في أوروبا منذ القرن السابع عشر وانتقلت إلى الشرق في بداية القرن التاسع عشر وانتقلت بشكل أساسي إلى مصر وتركيا وإيران ولبنان وسوريا ثم تونس ولحقتها العراق في نهاية القرن التاسع عشر. أما بقية الدول العربية فقد انتقلت إليها في القرن العشرين، وقد اختيرت كلمة علمانية لأنها أقل إثارة من كلمة لا دينية. ومدلول العلمانية المتفق عليه يعني عزل الدين عن الدولة وحياة المجتمع وإبقاءه حبيساً في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه فإن سمح له بالتعبير عن نفسه ففي الشعائر التعبدية والمراسم المتعلقة بالزواج والوفاة ونحوهما. تتفق العلمانية مع الديانة النصرانية في فصل الدين عن الدولة حيث لقيصر سلطة الدولة ولله سلطة الكنيسة. وهذا واضح فيما يُنسب إلى السيد المسيح من قوله:"إعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله". أما الإسلام فلا يعرف هذه الثنائية والمسلم كله لله وحياته كلها لله قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[الأنعام:١٦٢](الموسوعة الميسرة صـــ ٦٧٨)

(٣) الرأسمالية نظام اقتصادي ذو فلسفة اجتماعية وسياسية، يقوم على أساس إشباع حاجات الإنسان الضرورية والكمالية، وتنمية الملكية الفردية والمحافظة عليها، متوسعاً في مفهوم الحرية، معتمداً على سياسة فصل الدين نهائياً عن الحياة. ولقد ذاق العلم بسببه ويلات كثيرة نتيجة إصراره على كون المنفعة واللذة هما أقصى ما يمكن تحقيقه من السعادة للإنسان. وما تزال الرأسمالية تمارس ضغوطها وتدخلها السياسي والاجتماعي والثقافي وترمي بثقلها على مختلف شعوب الأرض (الموسوعة الميسرة صـــ ٩١٠)

(٤) عقيدة التوحيد / صالح الفوزان صـــ ١٥٣

٥ ــ عبادة القبور بالاستغاثة بمن فيها من الموتى، أو الطواف بها أو ما شابه ذلك

وما يلحق بذلك أثناء الطواف من التمسح بها أو تقبيل أعتابها وتعفير بعضهم وجوههم في ترابها أو السجود لها أو عندها، فتراهم يقفون عندها متذللين متضرعين خاشعين سائلين حاجاتهم من شفاء مريض أو تيسير حاجة أو الحصول على وظيفة أو ولد، وكل ذلك من الشرك الأكبر لأن هذه حاجات لا يقدر عليها الأموات، وسؤالها منهم عبادة لا يجوز أن تصرف لغير الله تعالى ففي الحديث" عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد. اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد."(١)

وفي الصحيحين عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما:" لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا، وفي رواية عن أبي هريرة رضى الله عنه قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد."(٢)

فقول النبي ﷺ قاتل الله ولعن دل على أن ذلك عمل كفر إذ لا يقاتل الله ولا يلعن إلا كافرا مشركا. وهناك مظاهر قد اختلف العلماء في كونها شرك كالرقى(٣) وتعليق التمائم(٤) واتخاذ الحلقة(٥)

---

(١) أخرجه الإمام مالك في موطئه كتاب قصر الجامع باب ما جاء في إجلاء اليهود من المدينة ج١ صـــ ١٧٢حديث رقم ٤١٤ ، كتاب قصر الصلاة في السفر باب جامع الصلاة ج٢ صـــ ٨٩٢ حديث رقم ١٥٨٣ وقال ابن عبد البر في التمهيد ج٥ صـــ ٤١ ، ٤٢ حديث غريب مرسل وهو صحيح

(٢) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الصلاة باب الصلاة في باب الصلاة في البيعة ج ١ صـــ ١٦٨ حديث رقم ٤٢٥ ، ٤٢٦ والإمام مسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد ج٣ صـــ ٣٧٧ حديث رقم ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١

(٣) الرقية العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات وقد جاء في بعض الأحاديث جوازها وفي بعضها النهي عنها وذلك وفق موافقتها للكتاب والسنة واعتقاد المرتقي.

(٤) التمائم واحدتها تميمة وهي خرزات كان الأعراب يعلقونها على أولادهم ينفون بها النفس والعين بزعمهم فأبطله الإسلام (انظر لسان العرب / ابن منظور ج١٢ صـــ ٧٠ ، والنهاية في غريب الحديث والأثر / ابن الأثير ج١ صـــ ١٩٧وقد عدها الذهبي في كتابه الكبائر من الشرك انظر صـــ ١٦)

(٥) الحلقة طوق من النحاس كان المشركون يجعلونها في عضودهم يزعمون أنها تحفظهم من العين والجن ونحو ذلك قال ابن القيم أنهم يعلقونها من الواهنة وهو مرض العضد (انظر معارج القبول ج٢ صـــ ٤٩٨)

والخيط[1] والتوسل بغير الله[2] ومجاملة المشركين في بعض الأمور، والاستعانة بهم، والحلف بغير الله، والتطير[3] وهذا كله راجع لاعتقاد القلب، وهذا مجال أقول فيه باختصار إنه إن لم يكن شرك فهو من أبواب الدخول إليه فالابتعاد عنه أولى وأفضل من باب سد الذرائع.

ثانيا : ــ الحكم بغير ما أنزل الله

قال الله تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[المائدة:٤٤] وقال سبحانه:﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[المائدة٤٤:٤٥] وقال تبارك وتعالى:﴿ وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾[المائدة:٤٧]لقد فرض الله تعالى الحكم بشريعته، وأوجب

---

(١) الخيط في الأصل ما يخاط به وكان المشركون يعقدون الخيوط على أيديهم ورقابهم يزعمون أنها تدفع عنهم الحّمى قال ابن القيم وكثيرا ما يعلقونه على المحموم ويعقدونه فيه عقدا بحسب اصطلاحاتهم وأكثرهم يقرأ عليه سورة (الانشراح) إلى آخرها ويعقد عند كل كاف منها عقدة فيجتمع في الخيط تسع عقد بعدد الكافات ثم يربطونه بيد المحموم أو عنقه (أو عضو من النسور) كالعظم ونحوه يجعلونها خرزا ويعلقونها على الصبيان يزعمون أنها تدفع العين انظر (معارج القبول ج٢ صــ ٤٩٨)

(٢) التوسل التقرب إلى المطلوب، والتوصل إليه برغبة، والوسيلة: القربة والواسطة، وما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به، وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى مراعاة سبيله بالعمل والعبادة، وتحري تعاليم الشريعة، وطلب القربة إليه بالعمل بما يرضيه. أنظر (التوسل أنواعه وأحكامه / العلامة محمد ناصر الدين الألباني / دراسة وتحقيق: محمد عيد العباسي /الناشر: مكتبة المعارف للنشر و التوزيع / الرياض / الطبعة: الأولى / ١٤٢١ هــ - ٢٠٠١ م / صــ ١١ وما بعدها) وأما التوسل الممنوع فهو التوسل بجاه المخلوق، أو بحق المخلوق ومنزلته، أو بذاته، أو أن يتوسل الإنسان إلى الله تعالى بما ليس بوسيلة، أي بما لم يثبت في الشرع أنه وسيلة كدعاء ميت يطلب من هذا الميت أن يدعو الله له، لأن هذا ليس وسيلة شرعية صحيحة؛ لأن الميت إذا مات انقطع عمله، ولا يمكن لأحد أن يدعو لأحد بعد موته، حتى النبي ﷺ وهذا التوسل إما شرك، وإما بدعة ووسيلة إلى الشرك.

(٣) التطير بالسوانح والبَوَارح من الطير والظباء وغيرهما وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم فإذا أرادوا أمرا فإن رأوا الطير مثلا طار يمنة تيمنوا به وإن طار يسرة تشاءموا به فنفاه الشرع وأبطله ونهى عنه وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع ضر (انظر تيسير العزيز الحميد / سليمان بن عبد الوهاب صــ ٣٤٨)

ذلك على عباده، وجعله الغاية من تنزيل الكتاب وإرسال الرسل، فقال سبحانه:﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[البقرة:٢١٣] وقال تعالى:﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾[النساء:١٠٥] وبين سبحانه اختصاصه وتفرده بالحكم فقال سبحانه:﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾[الأنعام:٥٧] وقال عز وجل:﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[يوسف:٤٠] وقال سبحانه:﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[الشورى:١٠] وقال تعالى:﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[التوبة:٣١] ولما سمع عديّ بنُ حاتم رضي الله عنه هذه الآية قال:" يا رسول الله، إنا لسنا نعبدهم، فقال له النبي ﷺ أليسوا يُحلون ما حرَّم الله فتحلونه، ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟ قال: بلى. قال ﷺ فتلك عبادتهم."(١)

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن:" وفي الحديث دليل على أنَّ طاعة الأحبار والرهبان في معصية الله، عبادة لهم من دون الله، ومن الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، بقوله تعالى في آخر الآية(إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ). ونظير ذلك قوله تعالى:﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٢١]"(٢) ونحن نقول وكذا كل من شرع أو أقر حكما مناقضا لحكم واضحٍ صريحٍ لله ولرسوله يدخل تحت الحكم الذي استنبطه الشيخ عبد الرحمن.

ومما لا شك فيه أن تنحية شرع الله تعالى، وعدم التحاكم إليه في شؤون الحياة من أخطر وأبرز مظاهر الانحراف في مجتمعات المسلمين في عصرنا الحاضر، ولقد كانت عواقبه في بلاد المسلمين

---

(١) انظر تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري / جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي / دار ابن خزيمة / الرياض / ١٤١٤هـ / الطبعة: الأولى / تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد / ج٢ صـ ٦٦ حديث رقم ١٨ من سورة التوبة وقال الشيخ رواه الطبراني في معجمه وابن أبي شيبة في مسنده والطبري في تفسيره بلفظ الترمذي ورواه البيهقي في كتاب المدخل بسند الترمذي ومتنه فزاد فيه فتلك عبادتهم وقال عنه الترمذي حسن غريب وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها / محمد ناصر الدين الألباني / مكتبة المعارف للنشر والتوزيع / الرياض / ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م / الطبعة: جديدة ومنقحة ومزيدة / ج٧ حديث رقم ٣٢٩٣

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد / الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ / مراجعة الشيخ ابن باز / دار الفكر / الطبعة: السادسة / ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م / صـ ٤٠٠

واضحة جلية بما حل بهم من شتى أنواع الفساد، وصنوف الظلم، والذل والمحق والاقتتال والبغض والكيد، والبغي على بعضهم البعض.

ونظراً لأهمية وخطورة هذه المسألة، وكثرة اللبس فيها من جانب آخر ــ إذ أن هذا الموضوع يحتاج إلى بحث منفرد ــ أورد هنا ما يتعلق بمجال بحثنا وهو متى يكون عدم الحكم بما أنزل الله كفرا مخرجا من الملة. ويكون كذلك إذا اقترن بأحد الأمور التالية : ــ

١ ــ الامتناع عن الحكم بما أنزل الله مع القدرة على ذلك، وإن لم يجحد أو يكذب حكم الله

فمن المعلوم عند السلف الصالح كما أسلفت أن الإيمان قول وعمل، وتصديق وانقياد، فكما يجب على الخلق أن يصدقوا الرسل عليهم السلام فيما أخبروا به، فعليهم أن يطيعوهم فيما أمروا، فلا يتحقق الإيمان مع ترك الانقياد والطاعة. قال تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴾ [النساء:٦٤] إضافة إلى ذلك فإن من رد وامتنع عن قبول حكم الله تعالى فهو كافر بالإجماع، وإن كان مقراً بهذا الحكم، قال ابن عبد البر رحمه الله:" وقد أجمع العلماء أن من سب الله عز وجل، أو سب رسول الله ﷺ، أو دفع شيئا أنزله الله، أو قتل نبيا من أنبياء الله وهو مع ذلك مقر بما أنزل الله أنه كافر."(١)

يقول الجصاص رحمه الله في تفسير قوله تعالى:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ [النساء:٦٥] " وفي هذه الآية دلالة على أن من رد شيئا من أوامر الله تعالى أو أوامر رسوله ﷺ فهو خارج من الإسلام سواء رده من جهة الشك فيه أو من جهة ترك القبول والامتناع من التسليم، وذلك يوجب صحة ما ذهب إليه الصحابة في حكمهم بارتداد من امتنع من أداء الزكاة وقتلهم وسبيِّ ذراريهم؛ لأن الله تعالى حكم بأن من لم يسلِّم للنبي ﷺ قضاءه وحكمه فليس من أهل الإيمان."(٢)

وقد قرر ابن تيمية رحمه الله اتفاق العلماء على وجوب قتال الطائفة الممتنعة عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة، وإن كانت مقرة بتلك الشريعة فيقول:" كل طائفة ممتنعة عن التزام شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة. فإنه يجب قتالهم حتى يلتزموا شرائعه، وإن

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد / أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري / وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية / المغرب / ١٣٨٧هــ / تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير البكري / ج ٤ صـــ ٢٢٦

(٢) أحكام القران / الجصاص ج٣ صـــ ١٨١

كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين، وملتزمين بعض شرائعه، كما قاتل أبو بكر الصديق والصحابة رضي الله عنهم مانعي الزكاة... فاتفق الصحابة رضي الله عنهم على القتال على حقوق الإسلام عملاً بالكتاب والسنة ــ إلى أن قال ــ وهذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء."[١]

٢ ــ إذا شرَّع أو أقرَّ تشريعا مخالفا لحكم الله مخالفة لا شبهة فيها ولا تأويل مستساغ

لأنه سبحانه هو الخالق والرازق والمحي والمميت، خلق الإنسان وهو أعلم بما يصلح أمر دنياه وآخرته، فالتشريع حق خالص له وحده لا شريك له. من نازعه في شيء منه فهو مشرك قال تعالى:﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[الشورى:٢١]

٣ ــ إنكار وجحود أحقية حكم الله تعالى ورسوله ﷺ عن حكمه الذي عمل به

نقل ابن جرير رحمه الله عن ابن عباس رضى الله عنه قوله:" ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون قال من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومن أقر به ولم يحكم فهو ظالم فاسق."[٢]

إن جحود حكم الله تعالى هو اعتراض على شرع الله تعالى، وتكذيب لنصوص الوحيين، وقد أجمع العلماء على تكفير من أنكر حكماً معلوماً من الدين بالضرورة، وحكى هذا الإجماع جمع كثير من أهل العلم ومن ذلك قول ابن تيمية رحمه الله:" فإن الإيمان بوجوب الواجبات الظاهرة المتواترة وتحريم المحرمات الظاهرة المتواترة هو من أعظم أصول الإيمان وقواعد الدين والجاحد لها كافر بالاتفاق."[٣]

ولا يغيب عنا أن هذا الجحود في حد ذاته يعد كفرا، ولو لم يكن معه تحكيم لغير الشريعة، فالجاحد كافر سواء حكم بغير ما أنزل الله أو لم يحكم. قال ابن القيم رحمه الله في حديثه عن الحكم بما أنزل الله:" إن نفس جحوده كفر، سواء حكم به أو لم يحكم."[٤]

٤ ــ تفضيل الحكم الوضعي المخالف للشرع على حكم الله تعالى

قال تعالى:﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[المائدة:٥٠] قال الألوسي رحمه الله:" لا ينبغي التوقف في تكفير من يستحسن ما هو بين المخالفة للشرع منها ويقدمه على الأحكام الشرعية منتقصا لها. ولقد سمعت بعض خاصة أتباع بعض الولاة يقول: وإن تلك الأحكام أصول وقوانين سياسية كانت حسنة في الأزمنة المتقدمة لما كان أكثر الناس بُلهاً، وأما اليوم فلا يستقيم أمر السياسة بها، والأصول الجديدة أحسن وأوفق للعقل منها، ويقول كلما ذكرها الأصول المستحسنة وكان

---

(١) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٢٨ صـــ ٥٠٢ ، ٥٠٣

(٢) تفسير الطبري ج ٦ صـــ ٢٥٧ ، وانظر تفسير ابن كثير ج ٢ صـــ ٦٢

(٣) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج١٢ صـــ ٤٩٦

(٤) مدارج السالكين / ابن القيم ج١ صـــ ٣٣٦

يرشح كلامه بنفي رسالة النبي ﷺ وكذا رسالة الأنبياء عليهم السلام قبله، ويزعم أنهم كانوا حكماء في أوقاتهم توصلوا إلى أغراضهم بوضع ما ادعوا فيه أنه وحي من الله تعالى. فهذا وأمثاله مما لا شك في كفره وفي كفر من يدعي للمرافعة عند القاضي فيأبى إلا المرافعة بمقتضى تلك الأصول عند أهل تلك الأصول راضيا بما يقضون به عليه"(١) وهذا مما كثر في زماننا قوله وفعله.

٥ ــ عدم التفريق بين الحكم الوضعي وحكم الله، واعتقاد التماثل بينهما

فهذا كفر ناقل عن الملة، لما يقتضيه ذلك من تسوية المخلوق بالخالق والمناقضة والمعاندة لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] ولقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢] فمن جعل حكم الله كحكم غيره جعل الله كغيره من خلقه، فيكون قد أشرك مع الله ندا. يقول ابن تيمية رحمه الله:" وأما من كان يكره أن يكون له نظير يدعو إلى ذلك. فهذا يطلب أن يكون هو المطاع المعبود فله نصيب من حال فرعون وأشباهه، فمن طلب أن يطاع دون الله فهذا حال فرعون ومن طلب أن يطاع مع الله فهذا يريد من الناس أن يتخذوا من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والله سبحانه وتعالى أمر أن لا يعبد إلا إياه وأن لا يكون الدين إلا له وأن تكون الموالاة فيه والمعاداة فيه وأن لا يتوكل إلا عليه ولا يستعان إلا به."(٢)

وعلى كل من رضي بالله تعالى رباً وجب عليه إفراده بالحكم واختصاصه تعالى بالأمر كما قال سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤] فالحكم بغير ما أنزل الله ولو في أقل القليل ينافي هذا التوحيد، فما بالك بمن سوى حكم الخلق بحكم الخالق؟!

٦ ــ الاعتقاد بأن الحكم بما أنزل الله تعالى غير واجب، وأنه مخير فيه

فهذا كفر مناقض للإيمان، لتجويزه ما علم بالنصوص الصريحة القطعية تحريمه، حيث لم يعتقد وجوب إفراد الله تعالى بالحكم. قال ابن تيمية رحمه الله :" ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر، فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه عدلاً من غير إتباع لما أنزل الله فهو كافر."(٣)

ويقول ابن القيم رحمه الله:" إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب، وأنه مخير فيه مع تيقنه أنه حكم الله، فهذا كفر أكبر."(٤)

---

(١) روح المعاني / الألوسي ج ٢٨ صـــ ٢١

(٢) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج١٤ صـــ ٣٢٨ ، ٣٢٩

(٣) منهاج السنة النبوية / ابن تيمية ج٥ صـــ ١٣٠

(٤) مدارج السالكين / ابن القيم ج١ صـــ ٣٣٧

٧ ـــ الإعراض والصد عن حكم الله تعالى

يقول تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾[النساء٦٠:٦١] يقول ابن تيمية رحمه الله:" بيَّن سبحانه أن من دُعي إلى التحاكم إلى كتاب الله و إلى رسوله فصد عن رسوله كان منافقاً، وليس بمؤمن. فالنفاق يثبت ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن حكم الرسول وإرادة التحاكم إلى غيره."(١) وقال رحمه الله في درء التعارض:" فذكر سبحانه أنه يجزي الصادف عن آياته مطلقاً ـــ سواء كان مكذباً أو لم يكن ـــ ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾[الأنعام:١٥٧] يبين ذلك أن كل من لم يقر بما جاء به الرسول فهو كافر، سواء اعتقد كذبه أو استكبر عن الإيمان به، أو أعرض عنه إتباعا لما يهواه، أو ارتاب فيما جاء به، فكل مكذب بما جاء به فهو كافر."(٢) وقال الله تعالى:﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾[النور:٤٨]

٨ ـــ رضى المحكوم بتلك القوانين

لأن الراضي بالكفر كفاعله يدل على ذلك قوله تعالى:﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء:١٤٠] يقول القرطبي:" (إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ) فدل بهذا على وجوب اجتناب أصحاب المعاصي إذا ظهر منهم منكر، لأن من لم يجتنبهم فقد رضي فعلهم، والرضا بالكفر كفر. قال الله عز و جل: (إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ) فكل من جلس في مجلس معصية ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء."(٣)

قال ابن تيمية رحمه الله:" فمن اتبع ما أسخط الله برضاه وعمله فقد أسخط الله وقال النبي ﷺ :" سيكون بعدي أمراء تعرفون وتنكرون فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع هلك."(٤) وقال تعالى:﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة:٩٦] "(٥)

---

(١) الصارم المسلول / ابن تيمية ج٢ صـــ ٨١

(٢) درء تعارض العقل والنقل / ابن تيمية ج١ صـــ ٥٦

(٣) تفسير القرطبي ج٥ صـــ ٤١٨

(٤) سنن الترمذي / كتاب الفتن ج٤ صـــ ٥٢٩ حديث رقم ٢٢٦٥ وقال عنه حسن صحيح وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع وترك قتالهم ما صلوا ونحو ذلك ج٣ صـــ ١٤٨١ حديث رقم ١٨٥٤ إلا أنه لم يقل هلك. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة / ج١ صـــ ١٣٨ تحت رقم ٥٩٠

(٥) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج ١ صـــ ٢٥٣

ثالثا : ــ الإعراض التام عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾[الكهف:٥٧]وقال تعالى: ﴿ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴾ [طه:١٠٠]وقال تبارك تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه:١٢٤] وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة:٢٢] و الإعراض في اللغة هو" الإضراب عن الشيء وحقيقته جعل الهمزة للصيرورة أي أخذت عرضا أي جانبا غير الجانب الذي هو فيه."(١) وبعضهم يجعل الإعراض أشد وأبلغ من التولي قال الكفومي رحمه الله:" والإعراض الانصراف عن الشيء بالقلب. قال بعضهم: المعرض والمتولي يشتركان في ترك السلوك إلا أن المعرض أسوأ حالا؛ لأن المتولي متى ندم سهل عليه الرجوع والمعرض يحتاج إلى طلب جديد."(٢)

والإعراض يكون بمعنى الترك، لأن ترك الطاعة يعتبر تولياً، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران:٣٢] ولعل هذا يؤكد أن الإعراض ناقض عملي، فإنه إذا كان تركاً فهو يعتبر فعلاً كما هو مقرر عند أهل الأصول. وهناك فرق بين الإعراض والاعتراض، فالاعتراض إعراض مع مناقضة و مصادمة للنصوص الشرعية، وصد عن سبيل الله تعالى يقول ابن القيم:" إن الله سبحانه وصف المعرضين عن الوحي المعارضين له بعقولهم وآرائهم بالجهل والضلال والحيرة والشك والعمى والريب، فلا يجوز وصفهم بالعلم والعقل والهدى، ومنشأ ضلال هؤلاء من شيئين: أحدهما: الإعراض عما جاء به الرسول ﷺ، والثاني: معارضته بما يناقضه؛ فمن ذلك نشأت الاعتقادات المخالفة للكتاب والسنة، فكل من أخبر بخلاف ما أخبر به الرسول ﷺ عن شيء من أمر الإيمان بالله وأسمائه وصفاته واليوم الآخر أو غير ذلك فقد ناقضه وعارضه. وهذا حال أهل الجهل المركب، ومن أعرض عما جاء به الرسول ﷺ ولم يعرفه ولم يتبينه، ولا عارضه بمعقول أو رأي فهو من أهل الجهل البسيط، وهو أصل المركب."(٣)

والمقصود بالإعراض ــ هاهنا ــ والذي يعد ناقضاً من نواقض الإيمان العملية، الإعراض التام عن دين الله تعالى لا يتعلمه ولا يعمل به، وهو التولي عن طاعة الرسول ﷺ والامتناع عن الاتباع، وهو العمل الذي يعد شرطاً في صحة الإيمان كالشهادتين باتفاق، و باقي العبادات على اختلاف كما

(١) التعاريف / المناوي صـــ ٧٦

(٢) الكليات / الكفومي صـــ ٢٨

(٣) أنظر الصواعق المرسلة / ابن القيم ج٣ صـــ ١١٣١ ، ١١٣٢

سيأتي لاحقا، فإن تركه وعدم الالتزام به إعراض كلي عن هذا العمل، ومن ثم فهو كفر مخرج عن الملة. قال ابن تيمية:" وقد تبين أن الدين لابد فيه من قول وعمل، وأنه يمتنع أن يكون الرجل مؤمناً بالله ورسوله بقلبه، أو بقلبه ولسانه، ولم يؤد واجباً ظاهراً، ولا صلاة ولا زكاة ولا صياماً، ولا غير ذلك من الواجبات."[١] وهناك إعراض لا يخرج من الملة، كأن يكون معه أصل الإيمان، لكنه يعرض عن فعل واجب من الواجبات الشرعية كالأمر بالمعروف، وصلة الرحم حسن الخلق، أو يأتي منكرا منهيا عنه كالغيبة والنميمة، والتفريط في الأمانة، وبهذا ندرك الفرق بين الإعراض الكلي عن جنس العمل، وبين الإعراض الجزئي عن بعض العمل، فالأول ينقض الإيمان وينفيه بالكلية، والآخر ينقص الإيمان، لكن لا ينفيه بالكلية.

فهذا الإعراض الكلي أو التام مخرج عن الملة، ومن تلبس بهذا الإعراض فهو كافر، وإن كان يحسب أنه يحسن صنعاً، لأن من كان متمكناً ثم فرّط فأعرض عما جاء به الرسول ﷺ فهو تارك للواجب. يقول ابن تيمية في معرض حديثه عن الروافض والجهمية:" وأضل ضلال هؤلاء الإعراض عما جاء به الرسول من الكتاب والحكمة، وابتغاء الهدى في خلاف ذلك، فمن كان هذا أصله فهو بعد بلاغ الرسالة كافر لا ريب فيه."[٢]

وقد جعل ابن القيم رحمه الله ــ كما أسلفت في التمهيد ــ الإعراض نوعا من أنواع الكفر الأكبر. [٣]

---

(١) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٧ صــ ٦٢١

(٢) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج ١٢ صــ ٤٩٧

(٣) لمزيد من الإيضاح راجع صــ ٣٢

القسم الثاني

التكفير في الأوامر والنواهي

من المعلوم أن التكليف في الشرع قائم على الأمر والنهي بصيغهما المختلفة. وقد وضع العلماء قواعد التكليف بناء على ذلك، فكانت القواعد الخمسة في التشريع وهى الأمر للوجوب وما شابهه فهو المندوب، والنهى للتحريم وما شابهه للكراهة، وما بينهما فهو المباح وهو الأصل في الأشياء.

قال الرحيلي حفظه الله:" والأعمال التي دلت النصوص على الكفر بها كثيرة. وقد اجتهد العلماء المحققون في ذكر بعض القواعد العامة والأصول الجامعة لهذه الأعمال المكفرة مستنبطين تلك القواعد من النصوص الشرعية، تقريباً لفهمها وتيسيراً لضبطها. وبالنظر في النصوص الشرعية، والقواعد المرعية عند أهل العلم في هذا الباب، ومراعاة أصول أهل السنة في باب الاعتقاد، يمكن استخلاص الضوابط العامّة لما يُكفّر به وما لا يُكفّر به من الأعمال. فأقول: إن المخالفة لهذا الدين بشيء من الأعمال تكون عن طريقين:

الأول: بترك مشروع

وهو لا يخرج عن ثلاثة أقسام إما ترك لاعتقاد، أو لقول، أو لعمل من أعمال الجوارح .

الثاني: بفعل محظور

وهو ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: ما يكون مكفِّراً بالاتفاق وهو سائر الأعمال المناقضة للإيمان بالله ورسوله، وقد تكون متعلقة بالاعتقاد أو اللسان أو الجوارح.

والقسم الثاني:(من فعل المحظور) ما لا يكون مكفِّراً باتّفاق أهل السّنة. وهي الذنوب والمعاصي التي لا تضاد أصل الإيمان بالله ورسوله."[(١)]

والأوامر والنواهي في كتاب الله كثيرة أسوق بعض الأمثلة ويؤخذ باقيها بالقياس عليها

أولا : ــ في ترك الأوامر ومنها

١ــ عدم طاعة الرسول ﷺ

قال تعالى:﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾ [النساء:٨٠] قال الشنقيطي رحمه الله:" وواضح هذا المأمور به هنا بقوله وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله، ويفهم من هذه الآية الكريمة أنه لا يجوز التحاكم إلى غير كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وقد أوضح تعالى هذا المفهوم موبخا للمتحاكمين إلى غير كتاب الله وسنة نبيه ﷺ مبينا أن الشيطان أضلهم ضلالا بعيدا

---

(١) التكفير وضوابطه / إبراهيم بن عامر الرحيلي / دار الأمام أحمد / القاهرة / الطبعة: الثانية / ١٤٢٩ هــ ــ ٢٠٠٨ م / صـــ ٢٢٦ ــ ٢٣٥ باختصار كبير

عن الحق بقوله:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠] "[١] قال الجصاص رحمه الله:" وفي هذه الآية دلالة على أن من رد شيئا من أوامر الله تعالى أو أوامر رسوله ﷺ فهو خارج من الإسلام؛ سواء رده من جهة الشك فيه أو من جهة ترك القبول والامتناع من التسليم، وذلك يوجب صحة ما ذهب إليه الصحابة في حكمهم بارتداد من امتنع من أداء الزكاة وقتلهم وسبي ذراريهم؛ لأن الله تعالى حكم بأن من لم يسلم للنبي ﷺ قضاءه وحكمه فليس من أهل الإيمان."[٢]
وفى الصحيح " عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى. قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى."[٣]
وقال تعالى:﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥]

ووجوب طاعة الرسول ﷺ باب واسع أفرد له العلماء[٤] في مصنفاتهم أبوبا ذكروا فيها ما يربوا على عشرات الآيات والأحاديث يتوعد فيها الشارع كل من سولت له نفسه مخالفة النبي ﷺ في حياته ومجانبة أوامره بعد وفاته. وقد ذكر الإمام ابن تيمية رحمه الله بعض الآيات في ذلك ثم قال:" وقد أوجب الله طاعة الرسول على جميع الناس في قريب من أربعين موضعا من القرآن. وطاعته طاعة الله وهى عبادة الله وحده لا شريك له وذلك هو دين الله وهو الإسلام."[٥]

بقي أن أقول في ذلك أن عدم طاعة النبي ﷺ يتوقف في التكفير على الأمر الذي أمر به؛ من حيث كونه في أصول الدين والعقيدة كالتوحيد والصلاة والذبح وعدم اتخاذ القبور مساجد، أو في فروع الدين كالأمر بالصدق وحسن الخلق والإحسان.

٢ ـــ ترك النطق بالشهادتين مع القدرة على ذلك

---

(١) أضواء البيان / الشنقيطي ج١ صـــ ٢٤٤
(٢) أحكام القرآن/ أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر/ دار إحياء التراث العربي / بيروت / ١٤٠٥هـــ / تحقيق: محمد الصادق قمحاوي / ج ٣ صـــ ١٨١
(٣) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ج ٦ صـــ ٢٦٥٥ حديث رقم ٦٨٥١ والإمام مسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية ج٣ صـــ ١٤٦٦ حديث رقم ١٨٣٥ واللفظ للبخاري
(٤) انظر معارج القبول / الشيخ حافظ حكمي ج٣ صـــ ١٢١١ ، وأحكام القرآن / الجصاص ج٣ صـــ ١٨٠
(٥) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج١٩ صـــ ٢٦١

قال ابن حزم رحمه الله :" من اعتقد الإيمان بقلبه ولم ينطق به بلسانه دونه تقية كافر عند الله تعالى وعند المسلمين."(١) وقال ابن تيمية رحمه الله:" ولهذا تنازع العلماء في تكفير من يترك شيئا من هذه الفرائض الأربع بعد الإقرار بوجوبها فأما الشهادتان إذا لم يتكلم بهما مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين، وهو كافر باطنا وظاهرا عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير علمائها."(٢)

٣ ــ ترك الحج أو الصيام أو الزكاة جحودا

قال تعالى:﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧] قال أبو السعود:" (وَمَن كَفَرَ) وضع من كفر موضع من لم يحج تأكيدا لوجوبه وتشديدا على تاركه ولذلك قال عليه السلام:(من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا)(٣) وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه عليه السلام قال في خطبته: أيها الناس إن الله فرض الحج على من استطاع إليه سبيلا ومن لم يفعل فليمت على أي حال شاء يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا)(٤)"(٥) وقال ابن كثير رحمه الله:" قال ابن عباس ومجاهد رضى الله عنهما وغير واحد أي ومن جحد فريضة الحج فقد كفر والله غني عنه."(٦) وقال الشافعي رحمه الله:" وما أشبه ما قال عكرمة بما قال والله أعلم لأن هذا كفر بفرض الحج وقد أنزله الله، والكفر بآية من كتاب الله كفر."(٧) قال ابن تيمية رحمه الله:" فان عدم الإيمان بوجوبه وتركه كفر."(٨) وقال رحمه الله:" فكل من لم ير حج البيت واجبا عليه مع الاستطاعة فهو كافر باتفاق المسلمين كما دل عليه القرآن."(٩)

---

(١) المحلى / علي بن أحمد بن حزم الظاهري أبو محمد / دار الآفاق الجديدة / بيروت / تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي / ج١ صـــ ٤٠

(٢) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج ٧ صـــ ٦٠٩ وانظر صـــ ٥٥٣

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في سننه باب ما جاء في التغليظ بترك الحج ج٣ صـــ ١٧٦ حديث رقم ٨١٢ وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وفي إسناده مقال وهلال بن عبد الله مجهول والحارث يضعف في الحديث أورده العقيلي في ضعفائه وقال فيه هلال بن عبد الله الباهلي ولا يتابع على حديثه والحديث يروى عن علي موقوفا ويروى مرفوعا من طريق أصلح من هذا (انظر الضعفاء الكبير / العقيلي ج٤ صـــ ٣٤٨ حديث رقم ١٩٥٥)

(٤) انظر سنن البيهقي الكبرى كتاب الحج باب إمكان الحج ج٤ صـــ ٣٣٤ حديث رقم ٨٤٤٣ ، ورقم ٨٤٤٤ وقال عنه إسناده غير قوي ولكن له شاهد من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الحديث الذي يليه رقم ٨٤٤٤

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبو السعود) / أبو السعود العمادي ج٢ صـــ ٦٢

(٦) تفسير ابن كثير ج١ صـــ ٣٧٨

(٧) أحكام القرآن / الشافعي ج١ صـــ ١١٢

(٨) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج ٢٠ صـــ ٩١

(٩) الجواب الصحيح / ابن تيمية ج٢ صـــ ١٢٥

وأهل العلم من المفسرين والمحدثين والفقهاء مجمعون على تكفير من أنكر الحج وجحده لأنه كما قال الشافعي رحمه الله يكون قد أنكر آية من آيات الله."(١) وكذا يقال في الصيام والزكاة. قال الشنقيطي رحمه الله:" وأما قتل مانع الزكاة فإنه إن أنكر وجوبها فهو كافر مرتد داخل في (التارك لدينه المفارق للجماعة)(٢) وأما إن منعها وهو مقر بوجوبها فالذي يجوز فيه القتال لا القتل، وبين القتال والقتل فرق واضح معروف."(٣)

٤ ــ ترك الصلاة

وترك الصلاة للعلماء فيه خلاف مشهور قد بسطت كتب الفقه الكلام فيه، ونقل الشيخ الرحيلي مجملها فقال:" والتي بلغت خمسة أقوال ثم قال والذي يظهر بعد النظر في الأدلة هو ترجيح القول الثالث في أن المسلم لا يكفر بترك شيء من هذه الأركان الأربعة بعد الإقرار بوجوبها إلا بترك الصلاة فقط."(٤) وأميل لترجيح هذا القول لتضافر الأدلة وتعددها في ذلك أورد بعضها.

أولا : ــ أدلة القرآن الكريم

"أورد ابن القيم رحمه الله في ذلك عشرة أدلة وذكر أقوال العلماء في استنباط حكم الكفر منها وهذه الآيات : ــ

١ــ ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة:١١]

٢ــ ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم:٥٩]

٣ــ ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور:٥٦] فلو كان ترك الصلاة لا يوجب تكفيرهم وخلودهم في النار لكانوا مرحومين بدون فعل الصلاة.

٤ــ ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [السجدة:١٥]

٥ ــ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩]

---

(١) أنظر أضواء البيان / الشنقيطي ج١ صــ ٢٠٣، الدر المنثور للسيوطي ج٢ صــ ٢٧٦ ، فتح القدير للشوكاني ج١ صــ ٣٦٦ ، معاني القرآن الكريم / أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس أبو جعفر / جامعة أم القرى / مكة المرمة / ١٤٠٩هــ/ الطبعة: الأولى / تحقيق: محمد علي الصابوني / ج١ صــ ٤٤٩ ، فتاوى السبكي / الإمام أبي الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي / دار المعرفة / لبنان / بيروت / ج١ صــ ٢٦٣ ، كشف الشبهات / الشيخ محمد عبد الوهاب صــ ١٧١

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات باب ما يباح به دم المسلم ج٣ صــ ١٣٠٢ حديث رقم ١٦٧٦

(٣) أضواء البيان / الشنقيطي ج٣ صــ ٨٩

(٤) انظر التكفير وضوابطه / الرحيلي صــ ٢٣٧ ، ٢٣٨

٦ــ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم:٤٢] وأنهم يدعون إلى السجود لربهم تبارك وتعالى فيحال بينهم وبينه فلا يستطيعون السجود مع المسلمين عقوبة لهم على ترك السجود له مع المصلين في دار الدنيا وهذا يدل على أنهم مع الكفار والمنافقين الذين تبقى ظهورهم إذا سجد المسلمون كمياً من البَقْرِ ــ والكمي هو الستر وكأنه أراد متصلبة لا تنحني ــ ولو كانوا من المسلمين لأذن لهم بالسجود كما أذن للمسلمين."[١]

٧ــ ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾ ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر٤٢:٤٣]

٨ــ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [القيامة٣٠:٣٢]

٩ــ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات٤٨:٤٩]

١٠ــ ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون٤:٥]

وبعد أن ذكر رحمه الله هذه الأدلة مستنبطا حكم الكفر منها لتارك الصلاة قال :" ونحن نقول الإيمان هو التصديق ولكن ليس التصديق مجرد اعتقاد صدق المخبر دون الانقياد له، ولو كان مجرد اعتقاد التصديق إيمانا لكان إبليس وفرعون وقومه وقوم صالح واليهود الذين عرفوا أن محمدا رسول الله كما يعرفون أبناءهم مؤمنين مصدقين وقد قال الله تعالى:﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ [الأنعام:٣٣] أي يعتقدون أنك صادق ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام:٣٣] فهؤلاء قد اقروا بألسنتهم إقرارا مطابقا لمعتقدهم أنه نبي ولم يدخلوا بهذا التصديق والإقرار في الإيمان لأنهم لم يلتزموا طاعته والانقياد لأمره، ومن هذا كفر أبي طالب فإنه عرف حقيقة المعرفة أنه صادق وأقر بذلك بلسانه وصرح به في شعره ولم يدخل بذلك في الإسلام." [٢]

ثانيا : ــ أدلة من السنة

١ــ "عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة."[٣]

٢ــ " عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضى الله عنهما العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر."[٤]

---

(١) انظر الصلاة وحكم تاركها / ابن القيم صـــ ٥٣ باختصار كبير وتصرف يسير

(٢) الصلاة وحكم تاركها / ابن القيم صـــ ٥٣ ــ صـــ ٦١ باختصار كبير

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة ج١ صـــ ٨٨ حديث رقم ٨٢

(٤) مسند الأمام أحمد ج٥ صـــ ٣٤٦حديث رقم ٢٢٩٨٧ ، والنسائي ج١ صـــ ٢٣١ حديث رقم ٤٦٣ ، والترمذي ج٥ صـــ ١٣ حديث رقم ٢٦٢١ ، وابن ماجة ج١ صـــ ٣٤٢ حديث رقم ١٠٧٩ وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد لا تعرف له علة بوجه من الوجوه فقد احتجا جميعا بعبد الله بن بريدة عن أبيه واحتج مسلم بالحسين بن واقد ولم يخرجاه بهذا اللفظ ولهذا الحديث شاهد صحيح على شرطهما جميعا(انظر المستدرك على الصحيحين / الحاكم ج١ صـــ ٤٨ حديث رقم ١١)

٣ــ " عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله: ﷺ من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر جهارا."(١)

٤ــ " عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: وقد سأله مجاهد بن جبر: ما كان يفرق بين الكفر والإيمان عندكم من الأعمال على عهد رسول الله ﷺ؟ قال: الصلاة."(٢)

ثالثا : ــ أقوال العلماء

١ــ المروزي رحمه الله بوب في كتابه تعظيم قدر الصلاة باباً في ذكر إكفار تارك الصلاة أورد فيه ما يربو عن ستين حديثا."(٣)

٢ــ ابن عبد البر رحمه الله " روى عن علي بن أبي طالب وابن عباس وجابر وأبي الدرداء رضى الله عنهم تكفير تارك الصلاة قالوا: من لم يصل فهو كفار، وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال لاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة وعن ابن مسعود رضى الله عنه من لم يصل فلا دين له، وقال إبراهيم النخعي رحمه الله والحكم بن عتيبة وأيوب السختياني وابن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه رحمهم الله من ترك صلاة واحدة متعمدا حتى يخرج وقتها لغير عذر وأبى من قضائها وأدائها، وقال لا أصلي فهو كافر ودمه وماله حلال، ولا يرثه ورثته من المسلمين و يستتاب فإن تاب وإلا قتل، وحكم ماله ما وصفنا كحكم مال المرتد وبهذا قال أبو داود الطيالسي، وأبو خيثمة، وأبو بكر بن أبي شيبة، وقال إسحاق بن راهويه وكذلك كان رأي أهل العلم من لدن النبي ﷺ إلى زماننا هذا أن تارك الصلاة عمدا من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر إذا أبى من قضائها وقال لا أصليها، وقد أجمع العلماء أن من سب الله عز وجل، أو سب رسول الله ﷺ، أو دفع شيئا أنزله الله، أو قتل نبيا من أنبياء الله، وهو مع ذلك مقر بما أنزل الله أنه كافر. فكذلك تارك الصلاة حتى يخرج وقتها عامدا. قال: ولقد أجمعوا في الصلاة على شيء لم يجمعوا عليه في سائر الشرائع لأنهم بأجماعهم قالوا: من عرف بالكفر ثم رأوه يصلي الصلاة في وقتها حتى صلى صلوات كثيرة في وقتها ولم يعلموا

---

(١) المعجم الأوسط / الطبراني ج٣ صــ ٣٤٣ حديث رقم ٣٣٨٤ وذكره المنذري في الترغيب والترهيب من الحديث الشريف / عبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبو محمد / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤١٧هــ/ الطبعة:الأولى/ تحقيق: إبراهيم شمس الدين ج١ صــ ٢١٥ حديث رقم ٨١٦ وقال إسناده لا بأس به ورواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة ولفظه سمعت رسول الله ﷺ يقول بين العبد والكفر أو الشرك ترك الصلاة فإذا ترك الصلاة فقد كفر ورواه ابن ماجه عن يزيد الرقاشي عنه عن النبي ﷺ قال ليس بين العبد والشرك إلا ترك الصلاة فإذا تركها فقد أشرك.

(٢) تعظيم قدر الصلاة / محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله / مكتبة الدار / المدينة المنورة / ١٤٠٦ هــ / الطبعة: الأولى / تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي / ج ٢ صــ ٨٧٧

(٣) انظر تعظيم قدر الصلاة / المروزي ج ٢ صــ ٨٧٣

منه إقرارا باللسان أنه يحكم له بالإيمان ولم يحكموا له في الصوم والزكاة والحج بمثل ذلك قال إسحاق فمن لم يجعل تارك الصلاة كافرا فقد ناقض وخالف أصل قوله وقول غيره."(١)

وهذا التفصيل هو قول الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين وتابعيهم رحمهم الله والذين هم أعلم الأمة بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وكذا بالإسلام والكفر فلا تتلقى هذه المسائل إلا منهم وإن لم يفهم مرادهم من خافهم فذاك ليس قصورا منهم.

٣ــ **ابن حزم** رحمه الله " روينا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعاذ بن جبل، وابن مسعود، وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم وعن ابن المبارك،وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه رحمة الله عليهم، وعن تمام سبعة عشر رجلاً من الصحابة، والتابعين رضي الله عنهم، أن من ترك صلاة فرض عامداً ذاكراً حتى يخرج وقتها، فإنه كافر ومرتد، وبهذا يقول عبد الله بن الماجشون صاحب مالك، و به يقول عبد الملك بن حبيب الأندلسي وغيره."(٢)

٤ــ **ابن قدامة** رحمه الله:" وقال عمر رضي الله عنه لاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة، وقال علي رضي الله عنه من لم يصل فهو كافر، وقال ابن مسعود من لم يصل فلا دين له، وقال عبد الله بن شفيق لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة؛ ولأنها عبادة يدخل بها في الإسلام فيخرج بتركها منه كالشهادة."(٣)

٥ــ **ابن القيم** رحمه الله وقد ذكر أن من كفّر تارك الصلاة استدل بالكتاب والسنة وبإجماع الصحابة، ثم قال:" وأما إجماع الصحابة فقال ابن زنجويه رحمه الله : حدثنا عمر بن الربيع حدثنا يحيى بن أيوب عن يونس عن ابن شهاب قال: حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عبد الله بن عباس أخبره أنه جاء عمر بن الخطاب حين طعن في المسجد قال: فاحتملته أنا ورهط كانوا معي في المسجد حتى أدخلناه بيته. قال: فأمر عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أن يصلي بالناس. قال: فلما دخلنا على عمر بيته غشي عليه من الموت، فلم يزل في غشيته حتى أسفر، ثم أفاق فقال: هل صلى الناس؟ قال: فقلنا: نعم، فقال: لا إسلام لمن ترك الصلاة، وفي سياق آخر:لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة، ثم دعا بوضوء فتوضأ وصلى، وذكر القصة. فقال هذا بمحضر من الصحابة ولم ينكروه عليه. وقد تقدم مثل ذلك عن معاذ بن جبل، وعبد الرحمن بن عوف، وأبي هريرة رضى الله عنهم ولا يعلم عن صحابي خلافهم."(٤)

---

(١) التمهيد / ابن عبد البر ج ٤ صــ ٢٢٥ ، ٢٢٦

(٢) الفصل في الملل والنحل / ابن حزم ج٣ صــ ١٢٨

(٣) المغني / ابن قدامة ج ٢ صــ ١٥٧

(٤) الصلاة وحكم تاركها / ابن القيم صــ ٦٧ و ما بعدها

٦ــ **الشنقيطي** رحمه الله:" واضح في أن تارك الصلاة كافر لأن عطف الشرك على الكفر في قوله ﷺ :(إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة) [١] فيه تأكيد قوي لكونه كافراً. وقال أيضا عن أبي هريرة قال كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة . وقال أيضا فيها الدلالة الواضحة على أن ترك الصلاة عمداً تهاوناً كفر ولو أقر تاركها بوجوبها."[٢]

والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة يصعب حصرها، واستدلال العلماء منها بكفر تارك الصلاة قد استفاض في كتبهم، واكتفيت بذكر ذلك دلالة على ما رجحتُ من أقوال العلماء في حكم تارك الصلاة وهو الكفر.

ثانيا : ــ فعل النواهي ومنها

أولا : ــ السحر

السحر لغة:

وقد جاء السحر في اللغة بعدة معاني أهمها كما قال ابن منظور:" السحر: الأخذة، وكل ما لطف مأخذه ودق. وهو عمل تُقُرِّبَ فيه إِلى الشيطان وبمعونة منه. قال الأَزهري رحمه الله: وأَصل السحر صَرْفُ الشيء عن حقيقته إِلى غيره فكأَن الساحر لما أَرَى الباطلَ في صورة الحق وخَيَّلَ الشيء على غير حقيقته، قد سحر الشيء عن وجهه أَي صرفه. والسحر: الخديعة والفساد."[٣] وبالتدقيق في معاني السحر وجدت أنها كلها تدل على أفعال مذمومة. دلالة على أن العرب حتى قبل مجيء الإسلام كانت تتأفف من هذه الكلمة، وتُعرِّف بها الأشياء التي تضر أو مما لا نفع منها.

السحر اصطلاحا:

لقد تعددت أراء العلماء وأقوالهم في تعريف السحر فقال الطبري رحمه الله:" واختلف في معنى السحر فقال بعضهم هو خدع ومخاريق ومعان يفعلها الساحر حتى يُخيل إلى المسحور الشيء أنه بخلاف ما هو به نظير الذي يرى السراب من بعيد فيُخيل إليه أنه ماء، ويرى الشيء من بعيد فيثبته بخلاف ما هو على حقيقته. وقال آخرون بل السحر أخذ بالعين."[٤] وقريب من ذلك قول الشوكاني رحمه الله [٥] وقال الرازي والجصاص رحمها الله:" السحر في عرف الشرع مختص بكل أمر يخفى

---

(١) سبق تخريجه انظر صــ ٢٢٥

(٢) أضواء البيان / الشنقيطي ج ٣ صــ ٤٤٧ ، ٤٤٨

(٣) انظر لسان العرب / ابن منظور ج٤ صــ ٤٥٢ باختصار كبير وتصرف ومختار الصحاح صــ ١٢٢ وفتح الباري / ابن حجر ج٩ صــ ٢٠٢ ، ج١٠ صــ ٢٢٢

(٤) تفسير الطبري ج١ صــ ٤٦١

(٥) انظر فتح القدير ج١ صــ ١١٩

سببه ويتخيل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع."(١) و قال ابن قدامة:" السحر عزائم ورقى وعقد تؤثر في الأبدان والقلوب فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه."(٢) وقد قسمه الإمام الفخر الرازي إلى ثمانية أقسام يطول ذكرها(٣) وكل تعريف مما سبق لم يسلم من اعتراضات العلماء عليه، ولم أستطع الوصول إلى تعريف جامع مانع يسلم من كل الاعتراضات. لذا قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله:" اعلم أن السحر في الاصطلاح لا يمكن حده بحد جامع مانع لكثرة الأنواع المختلفة الداخلة تحته، ولا يتحقق قدر مشترك بينها يكون جامعاً لها مانعاً لغيرها ومن هنا اختلفت عبارات العلماء في حده اختلافاً متباينا."(٤) لكني خلصت من هذه التعاريف إلى أن السحر نوعين منه ما هو خيال يترآى للعين وليس له حقيقة ملموسة كالذي جاء في قوله تعالى:﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾[الأعراف:١١٦] وقوله تعالى:﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه:٦٦] ومنه ما هو حقيقة كالذي يؤثر في الصحيح فيجعله سقيما، ويدخل البغض والكره إلى قلوب العباد، والتعلق أو التفريق بين اثنين؛ وذلك لأنه يعتمد على تعاويذ وآثارا ملموسة للمراد سحره. ومثل ذلك المذكور في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ ﴾[البقرة:١٠٢]

والسحر عالم غريب يقلب فيه الخيال إلى حقيقة، ويلتبس فيه على الجاهل الحرام بالحلال ، وتنخدع بظاهره الخلاب قلوب ضعاف الإيمان ، فيهرولون وراء السحرة والمشعوذين ، ويبدلون لإرضائهم الغالى الرخيص . ودوافعه تختلف عند القاصد والمقصود فمنهم المسكين صاحب الحاجة ، ومنهم الجاهل الذى يسعى لما لا يستحق معترضا على قضاء الله وقدره. وهو خدع من تسويل شياطين الجن والأنس فيقعون ويُوقعون في أعظم جريمة ألا وهى الكفر الشرك بالله.

ولقد عظم خطره واشتد فتكه فلا يكاد يخلو منه بيت من بيوت المسلمين ، وذاع صيته حتى أسست له المعاهد والمدارس ، ونظمت له المحاضرات والمؤتمرات ، وتنافست الفضائيات على تقديمه للناس تحت مسميات براقة ولافتات لماعة.

ولما كان التحرر الحقيقي من أغلال الوهم والخرافة، وقيود الدجل والشعوذة حق من أهم حقوق الإنسان، كانت أنبل معارك العقيدة قائمة على تحصين عقل الإنسان من الخيالات، وحفظ فكره من

(١) انظر أحكام القرآن / الجصاص ج١ صـ٥١ و المصباح المنير / الرازي ج١ ص ٢٦٨
(٢) الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل / ابن قدامة ج٤ صـ١٦٤
(٣) انظر التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج٣ صـ ١٨٧
(٤) أضواء البيان / الشنقيطي ج٤ صـ ٤١

الخرافات ومن كل ما يصادم الفطرة السليمة، ويقضى على المبادئ والقيم والأخلاق، وقد كان ذلك نهج النبي ﷺ والأنبياء من قبله عليهم السلام.

حكم السحر

ومن أجل حماية عقيدة المسلم وقف المشرّع من السحر وقفة حاسمة ناهيا عنه، محذرا من عواقبه التي قد تؤدى بالمسلم إلى الخروج من دينه. قال تعالى:﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:١٠٢] وقال تعالى:﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[يونس:٨١] وقال تعالى:﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ [الفلق:٤]

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في الصحيحين عن النبي ﷺ قال:" اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات."(١) وعنه أيضا رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:" اجتنبوا الموبقات الشرك بالله والسحر."(٢) " والسحر محرم بالكتاب والسنة والإجماع."(٣)

حكم الساحر

وفي حكم الساحر خلاف مشهور تعددت أراء العلماء فيه، فمنهم من حكم بقتله ودلل على أقواله، ومنهم من فصل بحسب فعله، ومنهم من فصل بحسب اعتقاده في سحره، وسأعرض هذه الآراء بأدلتها مع الترجيح بإذن الله.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله:" واختلفوا فيمن يتعلم السحر ويستعمله فقال أبو حنيفة ومالك وأحمد رحمهم الله يكفر بذلك، ومن أصحاب أبي حنيفة من قال إن تعلمه ليتقيه أو ليجتنبه فلا يكفر

---

(١) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الوصايا باب وما للوصي أن يعمل في مال اليتيم وما يأكل منه بقدر عمالته ج٣ صـ ١٠١٧ حديث رقم ٢٦١٥ والإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها ج١ صـ ٩٢ حديث رقم ٨٩ واللفظ للبخاري

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الطب باب الشرك والسحر من الموبقات ج ٥ صـ ٢١٧٥ حديث رقم ٥٤٣١

(٣) انظر مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج ٣٥ صـ ١٧١ ، ومختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية / بدر الدين الحنبلي صـ ١٥١ ، وحاشية ابن عابدين ج٤ صـ٢٤٠

ومن تعلمه معتقدا جوازه أو أنه ينفعه كفر، وكذا من اعتقد أن الشياطين تفعل له ما يشاء فهو كافر، وقال الشافعي رحمه الله: إذا تعلم السحر قلنا له صف لنا سحرك فان وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كاف،ر وان كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته فهو كافر."(١)

ويقول ابن تيمية رحمه الله:" وكذلك قد قيل في قتل الساحر فان أكثر العلماء على انه يقتل وقد روى عن جندب رضي الله عنه موقوفا ومرفوعا (أن حد الساحر ضربه بالسيف)(٢) وعن عمر وعثمان وحفصة وعبد الله بن عمر وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم قتله. فقال بعض العلماء لأجل الكفر، وقال بعضهم لأجل الفساد في الأرض. لكن جمهور هؤلاء يرون قتله حدا. وكذلك أبو حنيفة يعزر بالقتل فيما تكرر من الجرائم إذا كان جنسه يوجب القتل، كما يقتل من تكرر منه اللواط أو اغتيال النفوس لأخذ المال ونحو ذلك."(٣)

وقال الألباني رحمه الله:"لا شك أن من تعلم السحر بعد إسلامه كان بفعل السحر كافرا مرتدا وحدّه حد المرتد."(٤)

وقال ابن عابدين رحمه الله:" السحر حرام بلا خلاف بين أهل العلم واعتقاد إباحته كفر. وعن أصحابنا ومالك وأحمد يكفر الساحر بتعلمه وفعله سواء اعتقد الحرمة أولا ويقتل، وفيه حديث مرفوع حد الساحر ضربة بالسيف يعني القتل. وعند الشافعي لا يقتل ولا يكفر إلا إذا اعتقد إباحته. وأما قتله فيجب ولا يستتاب إذا عرفت مزاولته لعمل السحر لسعيه بالفساد في الأرض لا بمجرد عمله إذا لم يكن في اعتقاده ما يوجب كفره .

وحاصله أنه اختار ــ رأي الأمام الشافعي رحمه الله ــ أنه لا يكفر إلا إذا اعتقد مكفرا و به جزم في النهر وفي نور العين عن المختارات ساحر يسحر ويدعي الخلق من نفسه يكفر ويقتل لردته، وساحر يسحر وهو جاحد لا يستتاب منه ويقتل إذا ثبت سحره دفعا للضرر عن الناس .

وساحر يسحر تجربة ولا يعتقد به لا يكفر. قال أبو حنيفة رحمه الله الساحر إذا أقر بسحره أو ثبت بالبينة يقتل ولا يستتاب منه والمسلم والذمي والحر والعبد فيه سواء."(٥)

---

(١) تفسير ابن كثير ج١ صــ ١٤٨

(٢) سنن الترمذي كتاب الحدود باب ما جاء في حد الساحر ج٤ صــ٦٠ حديث رقم ١٤٦٠ وقال الصحيح أنه موقوف وقال الذهبي في الكبائر والصحيح أنه من قول جندب انظر الكبائر صــ ١٥

(٣) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٢٨ صــ ٣٤٦ ، وانظر ج٢٩ صــ ٣٨٤

(٤) التعليقات الرضية على الروضة الندية / محمد ناصر الدين الألباني / دار ابن عفان / القاهرة / ١٩٩٩م / تحقيق: علي حسين الحلبي / الطبعة: الأولى / ج٣ صــ ٣٣٥

(٥) حاشية ابن عابدين ج٤ صــ ٢٤٠،٢٤١

ومن الذين فرقوا في حكم الساحر الشافعي واحمد وقد رد ابن العربي قول الشافعي:" وقال الشافعي السحر معصية إن قتل بها الساحر قتل، وإن أضر بها أدب على قدر الضرر. وهذا باطل من وجهين : ــ

أحدهما : ــ أنه لم يعلم السحر وحقيقته أنه كلام مؤلف يعظم به غير الله تعالى وتنسب إليه فيه المقادير والكائنات.

والثاني : ــ أن الله سبحانه قد صرح في كتابه بأنه كُفر لأنه تعالى قال:(وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ) من السحر(وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ) بقول السحر(وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ) به وبتعليمه وهاروت وماروت يقولان (إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ) وهذا تأكيد للبيان."[(١)]

والخلاصة أن عمل السحر محرم من حيث الجملة، وقد نقل النووي الإجماع على ذلك. [(٢)]

وبذا نرى أكثر العلماء على كفر الساحر دون التفريق، وبيان ضعف من فرق في ذلك يؤيده تضافر الأدلة الشرعية على ذلك أسوق بعضاً منها فيما يلي : ــ

أولا : ــ القران الكريم

١ــ قوله تعالى:﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ **[البقرة:١٠٢]**

قال الشنقيطي رحمه الله وجل علماء التفسير:" من الآيات الدالة على أن الساحر كافر كقوله تعالى:(وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ) فقوله (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ) يدل على أنه لو كان ساحراً وحاشاه من ذلك لكان كافراً وقوله (وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ) صريح في كفر معلم السحر وقوله تعالى عن هاروت وماروت مقرراً له (وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ) وقوله (وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ

---

(١) أحكام القرآن / أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي / دار الفكر للطباعة والنشر / لبنان / تحقيق: محمد عبد القادر عطا / ج١ صـــ ٤٨

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج٢ صـــ ٨٨

﴿ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ أي من نصيب ونفي النصيب في الآخرة بالكلية لا يكون إلا للكافر عياذاً بالله تعالى وهذه الآيات أدلة واضحة على أن من السحر ما هو كفر بواح وذلك مما لا شك فيه."[1]

٢ــ قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴾ [النساء:٥١] " قال عمر رضى الله عنه الجبت السحر."[2]

٣ ــ قوله تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴾ [يونس:٧٧]

٤ــ قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ [طه:٦٩]

ثانيا : ــ من السنة

١ــ " عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات."[3]

٢ــ " عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال اجتنبوا الموبقات الشرك بالله والسحر."[4]

٣ــ " عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: من أتى عرَّافا أو كاهنا فصدقه فيما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ."[5]

٤ــ " عن عبد الله ابن مسعود قال من أتى كاهنا أو ساحرا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد."[6]

---

(١) أضواء البيان ج ٤ صــ ٣٩ ، وانظر المحرر الوجيز ج١ صــ ١٨٦ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن/ عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي / مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت / ج١ صــ ٩٣ ، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم / نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي / دار الفكر / بيروت / تحقيق: د.محمود مطرجي ج١ صــ ١٠٤ ، و زاد المسير في علم التفسير / عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي / المكتب الإسلامي / بيروت / ١٤٠٤هــ / الطبعة: الثالثة / ج١ صــ ١٢٢ ، أحكام القرآن / الجصاص ج١ صــ ٦٤

(٢) فتح المجيد / عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ صــ ٢٨٦

(٣) سبق تخريجه انظر صــ ٢٥٠ حاشية رقم ١

(٤) سبق تخريجه انظر صــ ٢٥٠ حاشية رقم ٢

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ج١ صــ ٤٩ حديث رقم ١٥ وقال عنه صحيح على شرط الشيخين

(٦) البحر الزخار (مسند البزار) / أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار / مؤسسة علوم القرآن / مكتبة العلوم والحكم / بيروت / المدينة / ١٤٠٩هــ/ الطبعة الأولى / تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله / ج٥ صــ ٢٥٦
=

٥ــ " عن عبد الله ابن مسعود أنه قال من أتى عرَّافا أو ساحرا أو كاهنا فسأله فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ."[١]

٦ــ "عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :" ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له ومن عقد عقدة أو قال من عقد عقدة ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد."[٢]

وهناك أحاديث أخرى في النهي عن إتيان الكهان والعرافين، وبيان حكم آتيهم ومصدقهم، وإلحاق ذلك بالسحر. فهذه النصوص الصريحة من الكتاب والسنة تدل على كفر الساحر، وأنه يستتاب، فإن تاب وإلا قُتل. وذهب بعض العلماء إلى قتله بدون استتابة. وروى الترمذي عن جندب رضي الله عنه:" حد الساحر ضربة بالسيف والصحيح عن جندب أنه موقوف والعمل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم وهو قول مالك بن أنس."[٣]

وأثر جندب رضي الله عنه تقويه بقية الأحاديث التي ذكرتها خصوصا إذا علمنا ورع الصحابة رضي الله عنهم في التورع في الفتوى دون أن يكون لها أصلا من حكم النبي ﷺ أو قولا سمعه منه أو فهمه، وهل كان يخفي على جندب حين ذكر ذلك تشديد النبي ﷺ في حماية أرواح المسلمين وأعراضهم ودمائهم؟

ثالثا : ــ أقوال العلماء

١ــ **ابن قدامة** رحمه الله " في حديث عمر رضي الله عنه إذا ثَبُت هذا ــ أي السحرــ وتعليمه حرام، لا نعلم فيه خلافا بين أهل العلم قال أصحابنا: ويُكفَّر الساحر بتعلّمه وفعله، سواء اعتقد تحريمه أو إباحته."[٤]

حديث رقم ١٨٧٣ وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ج١ صــ ٤٩ حديث رقم ١٥ من حديث أبي هريرة غير أنه قال عرافا أو كاهنا وقال عنه هذا حديث صحيح على شرطهما جميعا من حديث بن سيرين ولم يخرجاه

(١) مسند أبي يعلى/ أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي/ دار المأمون للتراث / دمشق / ١٤٠٤هــ ــ ١٩٨٤هــ / الطبعة الأولى / تحقيق:حسين سليم أسد / ج٩ صــ ٢٨٠ حديث رقم ٥٤٠٨ وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٥ صــ ١١٧ ، ١١٨ وقال رجاله رجال الصحيح إلا إسحاق بن ربيع وهو ثقة

(٢) مسند البزار ج ٩ صــ ٥٢ حديث رقم ٣٥٧٨ وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد كتاب الأطعمة ج٥ صــ ١١٧ وقال رجاله رجال الصحيح

(٣) سنن الترمذي ج٤ صــ ٦٠ حديث رقم ١٤٦٠

(٤) المغني / ابن قدامة ج ٩ صــ ٣٤

٢ــ **أبو حيان الأندلسي** رحمه الله " وأما حكم تعلّم السحر فما كان منه ما يعظّم به غير الله من الكواكب والشياطين وإضافة ما يحدثه الله إليها فهو كفر إجماعاً ولا يحل تعلمه ولا العمل به ، وكذا ما قصد بتعلّمه سفك الدماء والتفريق بين الزوجين والأصدقاء ، وأما إذا كان لا يعلم منه شيئا من ذلك بل يحتمل فالظاهر أنه لا يحل تعلّمه ولا العمل به." (١)

٣ــ **الذهبي** رحمه الله " لأن الساحر لا بد وأن يكفر قال الله تعالى: **(وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ)** وما للشيطان الملعون غرض في تعليمه الإنسان السحر إلا ليشرك به، قال الله تعالى مخبرا عن هاروت وماروت:**(وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ)** أي من نصيب. فترى خلقا كثيرا من الضلال يدخلون في السحر و يظنونه حراما وما يشعرون أنه الكفر فيدخلون في تعليم الكيمياء وعملها وهي محض السحر، وفي عقد الرجل عن زوجته وهو سحر، وفي محبة الرجل للمرأة وبغضها له، وأشباه ذلك بكلمات مجهولة أكثرها شرك وضلال."(٢)

٤ــ **ابن كثير** رحمه الله " وقد ذكر الوزير أبو المظفر يحيى بن هبيرة بن محمد بن هبيرة رحمه الله في كتابه (الإشراف على مذاهب الأشراف) باباً في السحر فقال: أجمعوا على أن السحر له حقيقة إلا أبا حنيفة رحمه الله فإنه قال: لا حقيقة له، واختلفوا فيمن يتعلَّم السحر ويستعمله. فقال أبو حنيفة ومالك وأحمد رحمهم الله: يكفَّر. ومن أصحاب أبي حنيفة من قال: إن تعلّمه ليتّقيه أو يجتنبه، فلا يكفَّر، ومن تعلمه معتقداً جوازه، أو أنّه ينفعه، كُفِّر. وكذا من اعتقد أن الشياطين تفعل له ما يشاء، فهو كافر.

وقال الشافعي رحمه الله: إذا تعلَّم السحر. قلنا: صِف لنا سحرك، فإن وصف ما يوجب الكفر؛ مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة، وأنها تفعل ما يُلتمسُ منها، فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر، فإن اعتقد إباحته، فهو كافر."(٣)

٥ــ **الحافظ بن حجر** رحمه الله " وقد استدل بهذه الآية **(وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ)** على أن السحر كفر ومُتعلمه كافر، وهو الواضح من بعض أنواعه التي قدمتها وهو التعبد للشياطين أو للكواكب، وأما النوع الآخر الذي هو من باب الشعوذة فلا يكفر به من تعلمه أصلا . قال النووي: عمل السحر حرام، وهو من الكبائر بالإجماع وقد عده النبي ﷺ من السبع الموبقات، ومنه ما يكون كفرا ومنه ما لا يكون

---

(١) تفسير البحر المحيط / أبو حيان الأندلسي ج١ صــ ٤٩٧

(٢) الكبائر / الذهبي صــ ١٤

(٣) تفسير ابن كثير ج١ صــ ١٤٨

كفرا، بل معصية كبيرة، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر فهو كافر وإلا فلا وأما تعلمه وتعليمه فحرام، فإن كان فيه ما يقتضي الكفر كفر واستتيب منه ولا يقتل، فإن تاب قبلت توبته، وإن لم يكن فيه ما يقتضي الكفر عزر."(١)

٦ــ **البهوتي** رحمه الله " ويحرم تعلم السحر وتعليمه وفعله لما فيه من الأذى. ويكفر الساحر بتعلمه وفعله سواء اعتقد تحريمه أو إباحته."(٢)

٧ــ **الشيخ الشنقيطي** رحمه الله " وورد عن طائفة من صحابة رسول الله ﷺ قتل السحرة، أو الأمربذلك، ولم يوجد بينهم خلاف فيه. حيث قد روي القتل في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لثلاث سواحر، عندما كتب لجَزء بن معاوية عم الأحنف بن قيس (أن اقتلوا كل ساحر وساحرة) ، وروى الإمام مالك رحمه الله أن حفصة رضى الله عنها زوج النبي ﷺ قتلت جارية لها سحرتها، وقد كانت دبرتها، فأمرت بها فقتلت. كما روى البخاري رحمه الله في التاريخ الكبير بسند صحيح عن أبي عثمان(كان عند الوليد رجل يلعب فذبح إنساناً وأبان رأسه فعجبنا، فأعادرأسه، فجاء جندب الأزدي فقتله) كما روي قتل السحرة عن غير هؤلاء من الصحابة، فروي عن عثمان بن عفان، وابن عمر، وأبي موسى، وقيس بن سعد رضي الله عنهم، كما روي عن سبعة من التابعين، منهم عمر بن عبد العزيز وهذا الفعل من الصحابة رضي الله عنهم، ثم من التابعين يعد إجماعاً منهم على ذلك ثم قال الشيخ (فهذه الآثار التي لم يعلم أن أحداً من الصحابة أنكرها، مع اعتضادها بالحديث المرفوع المذكور، هي حجة من قال بقتله مطلقاً والآثار المذكورة والحديث فيهما الدلالة على أنه يقتل، ولو لم يبلغ به سحره الكفر، لأن الساحر الذي قتله جندب، رضي الله عنه، كان سحره من نوع الشعوذة، والأخذ بالعيون، حتى أنه يخيل إليهم أنه أبان رأس الرجل، والواقع بخلاف ذلك. وقول عمر رضى الله عنه (اقتلوا كل ساحر) يدل على ذلك لصيغة العموم."(٣)

وأما قتل الساحر فلا يبعد دخوله في قتل الكافر المذكور في قوله (التارك لدينه المفارق للجماعة)(٤) لدلالة القرآن على كفر الساحر في قوله تعالى:(وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ) وقوله:(وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ) وقوله:(وَيَتَعَلَّمُونَ) "(٥)

---

(١) فتح الباري / ابن حجر ج ١٠ صـــ ٢٢٤

(٢) كشاف القناع عن متن الإقناع / منصور بن يونس بن إدريس البهوتي / دار الفكر / بيروت / ١٤٠٢هـــ / تحقيق: هلال مصيلحي مصطفى هلال / ج ٦ صـــ ١٨٦

(٣) أضواء البيان / الشنقيطي ج ٤ صـــ ٥٣ بتصرف كبير

(٤) سبق تخريجه انظر صـــ ٢٤٣ حاشة رقم ٤

(٥) أضواء البيان / الشنقيطي ج٣ صـــ ٨٩

٨ــ **الشيخ حافظ حكمي** رحمه الله " كل من تعلم السحر أو علمه أو عمل به يكفر ككفر الشياطين الذين علموه الناس؛ إذ لا فرق بينه وبينهم، بل هو تلميذ الشيطان وخريجه، عنه روى، و به تخرج، وإياه اتبع ولهذا قال تعالى في الملكين (وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ) فبين تعالى أنه بمجرد تعلمه يكفر سواء عمل به وعلمه أولا."[١]

<u>ثانيا</u> : ــ موالاة الكفار وإتباع هواهم وطاعتهم

الموالاة لغة : ــ

قال ابن منظور:" المولاة هي المحبة والنصرة وهى ضد العداوة. قال ابن الأعرابي: الموالاة أن يتشاجر اثنان فيدخل ثالث بينهما للصلح ويكون له في أحدهما هوى فيواليه أو يحابيه، و والى فلان فلانا إذا أحبه."[٢]

الموالاة اصطلاحا : ــ

لم أجد فيما بحثت نصا صريحا في التعريف الاصطلاحي للموالاة ولكن أقوال العلماء جاءت تدور كلها حول المعنى اللغوي الذي ذكرته وهو قائم على معنى المحبة والنصرة. وأقرب ما وجدت لما يمكن أن يكون تعريفا هو قول الشيخ سليمان بن عبد الوهاب:" والى في الله هذا بيان للازم المحبة في الله وهو الموالاة فيه إشارة إلى أنه لا يكفي في ذلك مجرد الحب بل لا بد مع ذلك من الموالاة التي هي لازم الحب وهي النصرة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين باطنا وظاهرا."[٣]

ولما كان الولاء و البراء أصل من أصول التوحيد عند المسلمين رأيت أنه لا بد وأن يشمل التعريف جميع أركان الإيمان فعرفت الموالاة بأنها اعتقادات بالقلب ونطق باللسان وأعمال بالجوارح تقوم على محبة الله ورسوله ﷺ والمؤمنين ونصرتهم وإظهار خلاف ذلك للكافرين.

قال تعالى:﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[آل عمران:٢٨] قال الشنقيطي رحمه الله:" فهذه الآية الكريمة فيها بيان لكل الآيات القاضية بمنع موالاة الكفار مطلقا وإيضاح، لأن محل ذلك في حالة الاختيار وأما عند الخوف والتقية فيرخص في موالاتهم بقدر المداراة التي يكتفي بها شرهم ويشترط في ذلك سلامة الباطن من تلك الموالاة ويفهم من ظواهر هذه الآيات أن من تولى الكفار عمدا اختيارا رغبة فيهم أنه كافر مثلهم."[٤] وقال تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ

---

(١) معارج القبول بسلم الوصول / حافظ حكمي ج٢ صــ ٥٥٣

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج١٥ صــ ٤٠٩ وانظر تاج العروس / الزبيدي ج٤٠ صــ ٢٥٣

(٣) تيسر العزيز الحميد / سليمان بن عبد الوهاب صــ ٣٩٨

(٤) أضواء البيان / الشنقيطي ج١ صــ ٤١٣

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١] وقال سبحانه:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٥٧]

ومن مظاهر هذه الموالاة المنهي عنها اتباع أهواء الكفار؛ والمراد من اتباع الهوى ما هم عليه من أديان فاسدة ومحرفة وعقائد مشوشة مغلوطة قائمة على هوى النفس دونما دليل رباني علاوة على حجة عقلية مقنعة. قال الله تعالى:﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٤٥] قال الفخر الرازي رحمه الله:" لأن اتباع أهوائهم كفر وعندنا لا شفاعة في الكفر."(١) وان كان في حكم النبي ﷺ وهو معصوم فكيف بغيره من المسلمين فهو أولى بالحذر من ذلك.

ولأن هدف أعداء الله دوما هو محاولة هدم هذا الدين بشتى الوسائل نبهنا الله تبارك وتعالى إلى عدم الانجرار وراءهم وطاعتهم وإن كان يبدوا ذلك منهم على أنه نصيحة وحرصا على المسلمين فقال سبحانه:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ [آلعمران:١٠٠] قال السمرقندي رحمه الله:" قوله تعالى:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا) يقول طائفة من الذين أوتوا الكتاب وهم رؤساء اليهود يردوكم بعد إيمانكم بمحمد ﷺ وبالقرآن كافرين لأنهم كانوا يدعون إلى الكفر واتباع مذهبهم وكان يتبعهم بعض المنافقين فنهى الله تعالى المؤمنين عن متابعتهم . قال الزجاج:" يجوز أن يكون هذا الخطاب لأصحاب محمد ﷺ خاصة لأن رسول الله ﷺ كان فيهم وهم يشاهدونه، ويجوز أن يكون هذا الخطاب لجميع الأمة؛ لأن آثاره وعلاماته والقرآن الذي أتى به فينا فكأن رسول الله ﷺ فينا وإن لم نشاهده."(٢)

<u>ثالثا</u> : ـــ الاستهزاء بالله تبارك وتعالى وآياته

والاستهزاء بالله وآياته وإن كان منهجا عند الكفار والمنافقين وأهل الكتاب في زمن النبي ﷺ يعقدون له المجالس إلا أنه في زماننا أصبح آفة انتشرت كثيرا بين عوام المسلمين بل عند بعض المتعلمين منهم. وخصوصا في أمور الغيب كعذاب القبر والجنة والنار والملائكة. يخوضون فيه؛ ما بين مزاح وعصبية، أو مثل دارج أو طرفة، وقد يقعون في الكفر وهم لا يشعرون. لذا نهى سبحانه وتعالى عن مجرد الجلوس مع من يقعون في ذلك وجعل الجالس الراضي بالحديث كقائله. فكيف بمن فعل ذلك بنفسه. قال تعالى:﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٤٠] قال الرازي رحمه الله:" قال أهل العلم: هذا يدل على أن من رضي بالكفر فهو كافر، ومن رضي بمنكر

(١) التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج٤ صـــ ٢٩ ، ٣٠

(٢) تفسير السمرقندي ج١ صـــ ٢٥٨

يراه وخالط أهله كان في الإثم بمنزلة المباشر بدليل أنه تعالى ذكر لفظ المثل ههنا. هذا إذا كان الجالس راضياً بذلك الجلوس، فأما إذا كان ساخطاً لقولهم وإنما جلس على سبيل التقية والخوف فالأمر ليس كذلك."(١)

وقال ابن كثير رحمه الله:" أي كما أشركوهم في الكفر كذلك يشارك الله بينهم في الخلود في نار جهنم أبدا ويجمع بينهم في دار العقوبة والنكال والقيود والأغلال وشراب الحميم والغسلين."(٢)

وقال ابن حزم رحمه الله:" فمن استجاز القعود في مكان هذه صفته فهو مثل المستهزئ الكافر بشهادة الله تعالى فمن أقام حيث حرم الله عز وجل عليه القعود فقعوده وإقامته معصية."(٣)

وقال الشهرستاني رحمه الله:" فنص تعالى على أن الاستهزاء بالله تعالى أو بآياته أو برسول من رسله كفر فخرج عن الإيمان، ولم يقل تعالى في ذلك أني علمت أن في قلوبكم كفرا بل جعلهم كفارا بنفس الاستهزاء ومن أدعى غير هذا فقد قول الله تعالى ما لم يقل وكذب على الله تعالى."(٤)

رابعا : ـــ قتل الولد خشية الفقر

قال تعالى:﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء:٣١] قال الرازي رحمه الله:" إن قتل الأولاد إن كان لخوف الفقر فهو سوء ظن بالله، وإن كان لأجل الغيرة على البنات فهو سعي في تخريب العالم. فالأول ضد التعظيم لأمر الله تعالى، والثاني ضد الشفقة على خلق الله تعالى وكلاهما مذموم والله أعلم."(٥) ومعلوم أن قتل الولد خشية الفقر سوء ظن بالله في كونه هو الرزاق المتكفل بإطعام خلقه، فمن فعله فهو مكذب للقرآن معطل لصفة الله كان على حافة الشرك إن لم يقع فيه.

---

(١) التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج ١١ صـــ ٦٥

(٢) تفسير ابن كثير ج ١ صـــ ٥٦٨

(٣) المحلى / ابن حزم ج ٤ صـــ ٤٥

(٤) الملل والنحل / الشهرستاني ج٣ صـــ ١١ ٤

(٥) التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج ٢٠ صـــ ١٥٧

القسم الثالث

التكفير في الردة

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَاعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢١٧] وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٤] وقال تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد:٣٨] قال ابن جرير:" وقوله تعالى: (وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ) يقول: وإن تتولوا أيها الناس عن هذا الدين الذي جاءكم به محمد ﷺ، فترتدّوا راجعين عنه (يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ) يقول: يهلككم ثم يجيء بقوم آخرين غيركم بدلاً منكم يصدّقون به، ويعملون بشرائعه (ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم) يقول: ثم لا يبخلوا بما أُمروا به من النفقة في سبيل الله، ولا يضيعون شيئا من حدود دينهم، ولكنهم يقومون بذلك كله على ما يُؤمرون به."(١)و قد أفردت فيما سبق بيان أحكامها."(٢)

والخلاصة : ــ أن هناك من الأعمال أعمال قد يكفر بها صاحبها كفرا مخرج من الملة لأنها تدل على كفره دلالة قطعية يقينية. بحيث يقوم فعله هذا مقام القول بلسانه في نطقه بالكفر كمثل من يدوس المصحف مع قصده بالفعل دون قصد الكفر، وكالذي يسب رسول الله ﷺ أو يسجد للصنم.

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره، وكلها من أعظم مداخل الكفر إن لم تكن كفرا، فينبغي للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها على نفسه، ويتق الوقوع فيها وإن كانت موطن خلاف عند بعض العلماء في تفصيلاتها، فإن لم تكن كفرا فتكون من باب الشبهة، والشبهة في العقيدة ليست كغيرها، فورودها مهلك موقع لعذاب الله وسخطه. وفي الصحيحين عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال ﷺ " إن الحلال بيّن وإن الحرام بيّن وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي حول الحمى يوشك إن يرتع فيه ألا ولكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب."(٣)

---

(١) تفسير الطبري ج ٢٦ صــ ٦٦

(٢) انظر المبحث الأول صــ ١١١

(٣) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه ج١ صــ ٢٨ حديث رقم ٥٢ والإمام مسلم في صحيحه كتاب المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات ج٣ صــ ١٢٥ حديث رقم ١٥٩٩

المطلب الثاني

دلالات التكفير في الأقوال

إن أكثر ما يدخل النار الأجوفان الفم والفرج، وإن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه، ولذلك تخوفه النبي ﷺ على أمته قال الرازي رحمه الله:" ويروى أن الإنسان تفكر أعضاؤه اللسان ويقلن اتق الله فينا، فإنك إن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا."(١) " ولما سأل عقبة بن عامر رضى الله عنه رسول الله ﷺ ما النجاة ؟ قال أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك."(٢)

والكلمة أنت تملكها فإذا تكلمت بها صرت أسيراً لها، وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه" ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت بلى يا نبي الله. فأخذ بلسانه قال: كف عليك هذا. فقلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم."(٣)

فحصائد الألسنة من أعظم أسباب دخول النار، يستهين بها العبد ولا يبالى وهى أشبه بسبع إن أرسلته أكلك. وذلك لكثرة آفات اللسان في الخطأ والكذب والغيبة والرياء والنفاق، والفحش والخصومة وتزكية النفس والخوض في الباطل والفضول والتحريف والزيادة والنقصان وإيذاء الخلق، وهتك العورات. فهذه آفات كثيرة ميُّسرة على اللسان وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان، ففي الخوض خطر وفى الصمت السلامة.

فالمؤمن لا يكون صمته إلا فكراً، ونظره إلا عبراً، ونطقه إلا ذكراً، ورأس مال العبد أوقاته فإن صرفها في مالا يعنيه ولم يدخرها ثواباً في الآخرة فقد ضيع رأس ماله قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨] قال الشيخ القاري رحمه الله:" الكلام أربعة أقسام قسم هو ضرر محض، وقسم هو نفع محض، وقسم فيه ضرر ومنفعة، وقسم لا ضرر فيه ولا منفعة. أما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه، وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا نفي بالضرر، وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران ظاهراً. فلا يبقى إلا القسم الرابع

---

(١) التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج٢٢ صـ ٤٢

(٢) رواه الترمذي في سننه كتاب الزهد باب ما جاء في حفظ اللسان ج ٤ صـ ٦٠٥ حديث رقم ٢٤٠٦ وقال عنه حديث حسن وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة ج١ مج٢ صـ ٥٥١ حديث رقم ٨٩٠ وصححه

(٣) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الإيمان عن رسول الله ﷺ باب ما جاء أن الحياء من الإيمان ج ٥ صـ ١١ حديث رقم ٢٦١٦ وقال عنه حديث حسن صحيح ، ورواه ابن ماجة ج٢ صـ ١٣١٤ حديث رقم ٣٩٧٣ ، والإمام أحمد في مسنده ج ٥ صـ ٢٣١ حديث رقم ٢٢٠٦٩ وأخرجه الحاكم في المستدرك ج٢ صـ ٤٤٧ حديث رقم ٣٨٤٥ وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وصححه الألباني في الجامع ج٥ صـ١١

وفيه خطر إذ قد يمتزج به ما فيه إثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجاً يخفي مدركه فيكون الإنسان به مخاطراً."(١)

قال تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء:١٤٠]

وذكر القرآن أن من أسباب دخول النار الكلام الذي يستهين به الإنسان فقال تعالى: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾ [المدثر:٤٥] و قد يتكلم الرجل بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخط إلى يوم القيامة، ويدخل في ذلك كلمات الاستهزاء بدين الله، والسخرية من السنن، وما يحدث فيما يسمى بالكوميديا من كلمات لإضحاك الناس على حساب المعاني الشرعية كالجنة والنار والملائكة، والاستهزاء بالعلماء ولباسهم وهيئاتهم. وهذه أمور قد توصل المتحدث بها إلى الكفر قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ ﴿ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة٦٥:٦٦]

وقد كثر في هذا الزمان التساهل في الكلام حتى أنه يخرج من بعضهم ألفاظ تخرجهم عن الإسلام ولا يرون ذلك ذنبًا فضلاً عن كونه كفرا، وذلك مصداق قوله ﷺ في حديث أبي هريرة رضى الله عنه في الصحيحين:" أن رسول الله ﷺ قال إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوى بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب."(٢) أي أن الإنسان قد يتكلم بالكلمة لا يراها ضارة له يستوجب بها النزول في قعر جهنم.

الأدلة على أن الكفر يكون بالقول

١ــ قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ ﴿ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة٦٥:٦٦] قال الرازي رحمه الله:" الحكم الأول: إن الاستهزاء بالدين كيف كان كفرا بالله، وذلك لأن الاستهزاء يدل على الاستخفاف، والعمدة الكبرى في الإيمان تعظيم الله تعالى بأقصى الإمكان والجمع بينهما محال. الحكم الثاني: أنه يدل على بطلان قول من يقول الكفر لا يدخل إلا في أفعال

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح / علي بن سلطان محمد القاري / دار الكتب العلمية / لبنان/ بيروت / ١٤٢٢هــ ــ ٢٠٠١م / الطبعة: الأولى / تحقيق: جمال عيتاني ج ٩ صــ ٧٣ ، وانظر إحياء علوم الدين / أبو حامد الغزالي ج ٣ صــ ١١١

(٢) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الرقاق باب حفظ اللسان ج٥ صــ ٢٢٧٧ حديث رقم ٦١١٢ والإمام مسلم في صحيحه كتاب الزهد والرقائق باب التكلم بالكلمة يهوى بها في النار وفي نسخة باب حفظ اللسان ج٤ صــ ٢٢٩٠ حديث رقم ٢٩٨٨واللفظ له

القلوب. الحكم الثالث: يدل على أن قولهم الذي صدر منهم كفر في الحقيقة وإن كانوا منافقين من قبل وأن الكفر يمكن أن يتجدد من الكافر حالاً فحالاً. الحكم الرابع: يدل على أن الكفر إنما حدث بعد أن كانوا مؤمنين."[١]

قال الجصاص رحمه الله:" قوله تعالى﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾[التوبة:٦٥] إلى قوله:(إِن نَّعْفُ) فيه الدلالة على أن اللاعب والجاد سواء في إظهار كلمة الكفر على غير وجه الإكراه لأن هؤلاء المنافقين ذكروا أنهم قالوا ما قالوا لعبا فأخبر الله عن كفرهم باللعب."[٢] وقال ابن تيمية رحمه الله:" فقد أخبر أنهم كفروا بعد إيمانهم مع قولهم إنا تكلمنا بالكفر من غير اعتقاد له."[٣]

٢ـــ قال تعالى:﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[النحل:١٠٦] قال ابن تيمية رحمه الله:" فإنه سبحانه استثنى المكره من الكفار، ولو كان الكفر لا يكون إلا بتكذيب القلب وجهله لم يستثن منه المكره لأن الإكراه على ذلك ممتنع، فعلم أن التكلم بالكفر كفر لا في حال الإكراه."[٤]

٣ـــ " عن ثابت بن الضحاك رضى الله عنه أنه بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة وأن رسول الله ﷺ قال: من حلف على يمين بملة غير الإسلام كاذباً متعمداً فهو كما قال."[٥] قال ابن حجر رحمه الله:" وقال بعض الشافعية ظاهر الحديث انه يحكم عليه بالكفر إذا كان كاذبا؛ والتحقيق التفصيل فان اعتقد تعظيم ما ذكر كفر، وان قصد حقيقة التعليق فينظر؛ فان كان أراد أن يكون متصفا بذلك كفر لأن إرادة الكفر كفر، وان أراد البعد عن ذلك لم يكفر."[٦] ونقل العيني عن ابن الجوزي رحمهما الله:" إنما يحلف الحالف بما كان عظيما عنده ومن اعتقد تعظيم ملة من ملل الكفر فقد ضاهى الكفار انتهى قلت فقد كفر حقيقة والمضاهاة دون ذلك."[٧]

---

(١) التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج١٦ صـــ ٩٩

(٢) أحكام القرآن / الجصاص ج٤ صـــ ٣٤٨

(٣) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٧ صـــ ٢٢٠

(٤) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٧ صـــ ٥٦٠

(٥) متفق عليه أخرجه الأمام البخاري في صحيحه كتاب الجنائز باب ما جاء في قاتل النفس ج١ صـــ ٤٥٩ حديث رقم ١٢٩٧ و الأمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وإن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ج١ صـــ ١٠٤ حديث رقم ١١٠

(٦) فتح الباري / ابن حجر ج١١ صـــ ٥٣٩

(٧) عمدة القاري / العيني ج٨ صـــ ١٩٠

٤ــ " عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من حلف قال إني بريء من الإسلام فان كان كاذبا فهو كما قال. وإن كان صادقا فلن يرجع إلى الإسلام سالما."[١]

٥ــ " عن ابن عمر قال ﷺ: من حلف بغير الله فقد كفر وأشرك."[٢]

وقد ذكر ابن الوزير في إيثار الحق جملة من الأحاديث والآثار تدلل على الكفر بالقول.[٣]

أما أقوال العلماء من السلف في إثبات أن الكفر يكون بالقول كما بالفعل والاعتقاد فهي أكثر من أن تحصي أورد بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر

١ــ **القاضي عياض** رحمه الله:" أجمعت الأمة على قتل متنقصه ــ أي النبي ﷺ ــ من المسلمين وسابه وكذلك حكي عن غير واحد الإجماع على قتله وتكفيره."[٤]

٢ــ **إسحاق ابن راهويه** رحمه الله:" أجمع المسلمون على أن من سب الله، أو سب رسوله ﷺ، أو دفع شيئاً مما أنزل الله عز وجل، أو قتل نبياً من أنبياء الله، أنه كافر بذلك، وإن كان مقراً بكل ما أنزل الله."[٥]

٣ــ **الإمام النووي** رحمه الله:" الردة في حقيقتها وهي قطع الإسلام ويحصل ذلك تارة بالقول الذي هو كفر وتارة بالفعل."[٦]

٤ــ **ابن تيمية** رحمه الله في شرح آية الإكراه:" ومعلوم أنه لم يرد بالكفر هنا اعتقاد القلب فقط، لأن ذلك لا يكره الرجل عليه، وهو قد استثنى من أكره ولم يرد من قال واعتقد. لأنه استثنى المكره وهو لا يكره على العقد والقول، وإنما يكره على القول فقط، فعلم أنه أراد من تكلم بكلمة الكفر فعليه غضب من الله وله عذاب عظيم، وأنه كافر بذلك إلا من أكره وهو مطمئن بالإيمان، ولكن من شرح بالكفر صدراً من المكرهين فإنه كافر أيضاً. فصار من تكلم بالكفر كافراً إلا من أكره فقال بلسانه كلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان وقال تعالى في حق

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين كتاب الأيمان والنذور ج٤ صــ ٣٣١ حديث رقم ٧٨١٨ وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه

(٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب النذور والأيمان باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله ج٤ صــ ١١٠ حديث رقم ١٥٣٥ وقال عنه حديث حسن وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ج٢ صــ ١٢٥ حديث رقم ٦٠٧٣، وأخرجه الحاكم في المستدرك كتاب الإيمان ج١ صــ ٦٥ حديث رقم ٤٥ وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وله شاهد على شرط مسلم وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ج٥ صــ ٦٩ حديث رقم ٢٠٤٢

(٣) انظر إيثار الحق على الخلق / ابن الوزير صــ ٣٨٠

(٤) الصارم المسلول / ابن تيمية ج٢ صــ ١٤

(٥) الصارم المسلول / ابن تيمية ج٢ صــ ١٥

(٦) روضة الطالبين وعمدة المفتين/ أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي / المكتب الإسلامي / بيروت / ١٤٠٥هــ / الطبعة: الثانية / ج ١٠ صــ ٦٤

المستهزئين﴿ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ ﴾ [التوبة:٦٦] فبين أنهم كفار بالقول مع أنهم لم يعتقدوا صحته."[١]

٥ـ **الأسيوطي** رحمه الله:" الردة : هي قطع الإسلام بنية أو قول كفرٍ أو فعل، سواء قاله استهزاءً أو عناداً أو اعتقاداً."[٢]

٦ـ **محمد بن عبد الوهاب** رحمه الله:" من استهزأ بالله، أو بكتابه، أو برسوله، أو بدينه، كفر ولو هازلاً لم يقصد حقيقة الاستهزاء، إجماعاً."[٣]

٧ـ **إبراهيم بن محمد بن ضويان** رحمه الله:" ويحصل الكفر بأحد أربعة أمور: بالقول، وبالفعل، وبالاعتقاد، وبالشك."[٤]

والكفر بالقول يصعب حصره في ألفاظ محدودة وذلك أنه يرجع إلى النطق باللسان، وما يشتهر في زمان من ألفاظ قد يندثر في زمان آخر، وما يحدثه العلم من محدثات يتابين فهمه من عقل لآخر، لذلك وضع علماء السلف ضوابط عامة للتكفير يقاس عليها في كل زمان ومكان.

" غير أن أربعة من العلماء فقط أفردوا لهذا الموضوع كتب خاصة جمعها المحقق محمد بن عبد الرحمن الخميس في كتاب أسماه (الجامع لألفاظ الكفر) جمع فيه أربعة كتب لكنها متخصصة في ألفاظ الكفر التي وردت في كتب فقه الشافعية والحنفية."[٥]

وتيسيرا لعرض الموضوع قمت بتقسيمه إلى أربعة أقسام رأيت أنها تجمع جل الألفاظ وسأورد على كل قسم منها بعض الأمثلة

القسم الأول : ـ في التوحيد ويشمل أنواعه الثلاثة الربوبية والألوهية والأسماء والصفات

القسم الثاني : ـ إدعاء النبوة أو تصديق مدعيها

---

(١) الصارم المسلول / ابن تيمية ج٣ صـ ٩٧٦

(٢) جواهر العقود / شمس الدين الأسيوطي ج٢ صـ ٢٥٠

(٣) تيسير العزيز الحميد / سليمان بن محمد عبد الوهاب صـ ٥٢٢

(٤) منار السبيل في شرح الدليل / إبراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان / مكتبة المعارف / الرياض / ١٤٠٥هـ / الطبعة: الثانية / تحقيق: عصام القلعجي / ج٢ صـ ٣٥٦ ، ٣٥٧

(٥) أنظر الجامع في ألفاظ الكفر و يشتمل على أربعة كتب هي ١ـ ألفاظ الكفر ـ لبدر الرشيد الحنفي ٢ـ الإعلام بقواطع الإسلام ـ لابن حجر الهيثمي الشافعي٣ـ رسالة في ألفاظ الكفر ـ لقاسم بن صلاح الدين الخاني ٤ـ رسالة في ألفاظ الكفر – لتاج الدين أبي المعالي مسعود بن أحمد الحنفي / تحقيق : محمد بن عبد الرحمن الخميس / دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع / الكويت / ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م / الطبعة: الأولى / صـ ١٠

القسم الثالث : ــ الاستهزاء بشيء من الدين أو القول بما يعارض القرآن صراحة

القسم الرابع : ــ إنكار شيء من الغيبيات كالملائكة والجن أو البعث أو الجنة أو النار أو عذاب القبر أو وعلامات الساعة أو الحشر الحساب أو الميزان أو الصراط وهكذا.

القسم الأول
في التوحيد

<u>أولا : ـــ الربوبية ومن أمثلة ذلك</u>

١ـــ القول بقدم العالم ووحدة الوجود وأمثال ذلك من المصطلحات الفلسفية المبنية على النظريات الباطلة وهو قول الفلاسفة و الدهرية[(١)]

يقول ابن تيمية رحمه الله:" وكان ما علم بالشرع مع صريح العقل أيضا راداً لما يقوله الفلاسفة الدهرية من قدم شيء من العالم مع الله، بل القول بقدم العالم قول اتفق جماهير العقلاء على بطلانه، فليس أهل الملة وحدهم تبطله بل أهل الملل كلهم، وجمهور من سواهم من المجوس وأصناف المشركين؛ مشركي العرب و مشركي الهند، وغيرهم من الأمم، وجماهير أساطين الفلاسفة كلهم معترفون بأن هذا العالم محدث كائن بعد أن لم يكن، بل وعامتهم معترفون بأن الله خالق كل شيء. والعرب المشركون كلهم كانوا يعترفون بأن الله خالق كل شيء، وأن هذا العالم كله مخلوق والله خالقه وربه."[(٢)]

وقال ابن القيم رحمه الله:" فتعطيل الرب سبحانه عن فعله القائم به كتعطيله عن صفاته القائمة به، والتعطيل أنواع تعطيل المصنوع عن الصانع وهو تعطيل الدهرية والزنادقة، وتعطيل الصانع عن صفات كماله ونعوت جلاله وهو تعطيل الجهمية نفاة الصفات، وتعطيله عن أفعاله وهو أيضا تعطيل الجهمية."[(٣)]

وقال الشوكاني رحمه الله:" وأما ابن الفارض وابن عربي وابن سبعين والتلمساني وأتباعهم فاعلم أنها قد جمعتهم خصلة كفرية هي القول بوحدة الوجود مع ما تفرق فيهم من خصال الخذلان والبلايا البالغة إلى حد ليس فوقه أشنع منه؛ كتحليل ابن عربي لجميع الفروج كما صرح بذلك الإمام ابن عبد

---

(١) الدهرية هم القائلون بأن العالم لا فاعل له لا علة ولا خالق ويقولون ليس بيننا وبين الفلاسفة خلاف إلا في واجب الوجود فإنهم يثبتونه وهو شيء لا حقيقة له، ويستهزئون بأسماء الله عز وجل ولا سيما هذا الاسم الذي هو الله فإن منهم من يكتبه على أسفل قدميه ويطؤه، يزعمون أن الأفلاك والكواكب واجبة الوجود لذواتها غنية عن موجد ومدبر وخالق وهي المدبرة لعالم الكون والفساد والقائلون كما قال الله تعالى عنهم: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾[المؤمنون:٣٧] أي يموت قوم ويحيى آخرون (انظر منهاج السنة النبوية / ابن تيمية ج٣ صـــ ٤٥٢ والبداية والنهاية / ابن كثير ج١ صـــ ١٢٥ والزواجر عن اقتراف الكبائر / الهيثمي ج٢ صـــ ٧١٢)

(٢) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٥ صـــ ٥٦٥

(٣) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل / أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي(ابن القيم)/ دار الفكر / بيروت / ١٣٩٨هـــ / تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني صـــ ١٥٣

السلام عند قدومه القاهرة لما سألوه عن ابن عربي فقال: هو شيخ سوء يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجا."[١]

وقد قرر سبحانه وتعالى أنه هو خالق كل شيء فقال:﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾[الأنعام:١٠٢] وقال تعالى:﴿أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾ [الرعد:١٦] وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الزُّمَر:٦٢]

فمن قال بقدم العالم عنى بذلك أنه غير مخلوق، فيكون عارض آية من صريح القرآن كالتي ذكرتها، وكذا عطل اسم الخالق في حق الله جل وعلا. وفي حديث البشرى عن عمران بن الحصين رضى الله عنه حين سأله أهل اليمن" قالوا: جئناك نسألك عن هذا الأمر قال كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء."[٢] قال ابن حجر رحمه الله:" قوله (كان الله ولم يكن شيء غيره) في الرواية الآتية في التوحيد (ولم يكن شيء قبله) وفي رواية غير البخاري (ولم يكن شيء معه) والقصة متحدة فاقتضى ذلك أن الرواية وقعت بالمعنى، ولعل راويها أخذها من قوله ﷺ في دعائه في صلاة الليل – كما تقدم من حديث ابن عباس (أنت الأول فليس قبلك شيء) ــ لكن رواية الباب أصرح في العدم، وفيه دلالة على أنه لم يكن شيء غيره لا الماء ولا العرش ولا غيرهما ، لأن كل ذلك غير الله تعالى."[٣] كما قال تعالى:﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[الحديد:٣] و فسر النبي ﷺ هذه الأسماء الأربعة في حديث الذهاب للنوم في قوله ﷺ :" اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء."[٤] وفيه إثبات وجود الله المطلق قبل أن يخلق سبحانه أي شيء، وأنه سبحانه هو الأول وليس قبله شيء.

٢ــ القول بنظرية التطور المعروفة باسم النشوء والارتقاء أو نظرية دارون التي تنص على تطور الإنسان من القرد

---

(١) الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد / محمد بن على بن محمد الشوكاني / دار الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع / صنعاء / اليمن /١٤١١هــ ــ ١٩٩٠م / الطبعة: الأولى / تحقيق محمد صبحي حسن الحلاق صـــ ٣٧

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق باب ما جاء في قول الله تعالى﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾[الروم:٢٧] ج٣ صـــ ١١٦٦ حديث رقم ٣٠١٩

(٣) فتح الباري / ابن حجر ج ٦ صـــ ٢٨٩

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ج٤ صـــ ٢٠٨٤ حديث رقم ٢٧١٣

ومن العجيب أنه لا زالت بعض الكتب المنهجية في بعض الدول الإسلامية تدرس هذه النظرية وكذا في بلادنا إلى عهد قريب. والأعجب من ذلك أن أولياء الأمور في الغرب يعترضون على ذلك ونحن لا نحرك ساكنا يقول وهبي سليمان غاوجي الألباني محقق كتاب ابن جماعة[١]"

لقد رفع مدير مركز الأبحاث العلمية في سان ديجو دعوى قضائية على إدارة مدرسة ابتدائية باعتباره أبا لأحد تلاميذها، وحجته في دعواه أن المدرسة تقوم بتدريس نظرية دارون في النشوء والارتقاء في علم الأحياء دون المقارنة أو الإشارة إلى أصل الخلق الإلهي للكائنات الذي جاء في التوراة والإنجيل. فماذا يجب أن يقول ويفعل الآباء المسلمون وعندهم الكتاب الحق؟ والذي فيه ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:٤] وهم يرون أولادهم يدرسون تلك النظرية ولو كانوا في الحرمين."[٢]

وقد قام المحقق بنقد هذه النظرية نقدا علميا بناءً ونقل عن الأستاذ فيصل تليلان[٣] قوله:" إن الاكتشاف العلمي الذي هدم نظرية دارون من أساسها هو اكتشاف وحدات الوراثة التي أثبتت استحالة تطور الكائن الحي وتحوله من نوع إلى آخر. هناك عوامل وراثية في خلية كل نوع تحتفظ له بخصائص نوعه، وتحتم أن يظل في دائرة النوع الذي نشأ منه ولا يخرج قط عن نوعه ولا يتطور إلى نوع جديد؛ فالقط أصله قط وسيظل قطا على توالي القرون، والكلب كلب والثور ثور والحصان والقرد والإنسان وكل ما يمكن أن يقع حسب نظرية الوراثة هو الارتقاء في حدود النوع نفسه دون الانتقال إلى نوع آخر."[٤]

---

(١) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي الكناني الحموي قاضي القضاة شيخ الإسلام ولد في ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وستمائة بحماة وأخذ أكثر علومه بالقاهرة عن القاضي تقي الدين ابن رزين وقرأ النحو على الشيخ جمال الدين بن مالك وولي قضاء القدس سنة سبع وثمانين قال الذهبي عنه :المفسر له تعاليق في الفقه والحديث والأصول والتأريخ وغير ذلك وله مشاركة حسنة في علوم الإسلام مع دين وتعبد وتصوف وأوصاف حميدة وأحكام محمودة وله النظم والنثر والخطب والتلاميذ وصنف كتبا في عدة فنون توفي في جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ودفن قريبا من الشافعي رضي الله عنه.(انظر طبقات الشافعية/ أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة / عالم الكتب / بيروت / ١٤٠٧هـ / الطبعة: الأولى / تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان / ج٢ صـ ٢٨٠ رقم الترجمة ٥٥٨)

(٢) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل / محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة / دار السلام للطباعة والنشر / مصر / ١٤١٠هـ ــ ١٩٩٠م / الطبعة: الأولى / تحقيق وهبي سليمان غاوجي الألباني صـ ١٨

(٣) بطلان نظرية دارون ومواقف العلماء والمفكرين منها / فيصل تليلاني مقال منشور في مجلة الأمة القطرية العدد ٢٣ سبتمبر ١٩٨٢

(٤) مجلة الأمة القطرية العدد ٢٣ سبتمبر ١٩٨٢م صـ ١٨

كما أن هذه النظرية تتعارض مع صريح القرآن من عدة وجوه : ــ

الوجه الأول : ــ أن الله سبحانه وتعالى خلق أدم بيديه وسماه بشرا ولم يسمه قردا أو مخلوقا آخر وكرمه بسجود الملائكة له قال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾[الحجر٢٨:٢٩] وقال عز وجل:﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴾ [ص:٧٥]

الوجه الثاني : ــ أن الله كرم بني آدم فقال سبحانه:﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[الإسراء:٧٠] فهل من كرامته لهم أن يجعل أصلهم قرد وقد ذم الله المخالفين من بني إسرائيل بجعلهم قردة وخنازير فقال تبارك وتعالى:﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [البقرة:٦٥] قال الشنقيطي رحمه الله:" قال بعض أهل العلم من تكريمه لبني آدم خلقه لهم على أكمل الهيئات وأحسنها؛ فإن الإنسان يمشي قائماً منتصباً على رجليه، ويأكل بيديه، وغيره من الحيوانات يمشي على أربع ويأكل بفمه."(١)

الوجه الثالث : ــ أن الله جل وعلا جعل صورة الإنسان أجمل صورة خلقها قال تعالى:﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[التين:٤] قال الثعالبي رحمه الله:" لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم؛ إي في أحسن تقويم ينبغي له، وقال بعض العلماء بالعموم إي الإنسان أحسن المخلوقات تقويما. ولم ير قوم الحنث على من حلف بالطلاق أن زوجته أحسن من الشمس محتجين بهذه الآية. وحسن التقويم يشمل جميع محاسن الإنسان الظاهرة والباطنة من حسن صورته وانتصاب قامته وكمال عقله وحسن تمييزه."(٢)

الوجه الرابع : ــ قال الله تعالى:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [غافر:٦٤] قال ابن كثير رحمه الله:"(وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ) أي فخلقكم في أحسن الأشكال ومنحكم أكمل الصور في أحسن تقويم."(٣)

٣ــ القول بوجود العالم صدفة

وهذا يعني أن العالم أوجد نفسه بنفسه والله سبحانه يقول:﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة:١١٧] قال الكلبي رحمه الله:"أي مخترعها وخالقها ابتداء."(٤)

---

(١) أضواء البيان / الشنقيطي ج٣ صــ ١٧٥

(٢) الجواهر الحسان في تفسير القرآن / الثعالبي ج٤ صــ ٤٢٥ ، ٤٢٦

(٣) تفسير ابن كثير ج٤ صــ ٨٧

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل / الكلبي ج١ صــ ٥٨

ثانيا : ـــ الإلوهية

وهى صرف عبادة من العبادات التي أمر الله بها لغيره قال تعالى:﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البيّنة:٥] وهذه هي دعوة الأنبياء كلهم بإخلاص التوجه لله عز وجل وعبادته على الوجه الذي شرع دونما إشراك احد معه. وهذا التوحيد هو أصل الدين، ومن أجله أرسلت الرسل عليهم السلام وأنزلت الكتب. ولأجله خلق الله الجن والأنس قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]

قال شيخ الإسلام رحمه الله:" فإن حقيقة التوحيد أن نعبد الله وحده فلا يُدعى إلا هو، ولا يُخشى إلا هو، ولا يُتقى إلا هو، ولا يُتوكل إلا عليه، ولا يكون الدين إلا له لا لأحد من الخلق، وأن لا نتخذ الملائكة والنبيين أربابا فكيف بالأئمة والشيوخ والعلماء والملوك وغيرهم."(١)

وقال ابن القيم رحمه الله:" فالسجود والعبادة والتوكل والإنابة والتقوى والخشية والتحسب والتوبة والنذر والحلف والتسبيح والتكبير والتهليل والتحميد والاستغفار وحلق الرأس خضوعا وتعبدا والطواف بالبيت والدعاء كل ذلك محض حق الله لا يصلح ولا ينبغي لسواه من ملك مقرب و لا نبي مرسل."(٢)

والدعاء وما يندرج تحته كالاستعانة والاستغاثة والاستعاذة له مقام كبير بين العبادات بل هو من أعظم العبادات وأجلها وقد سماه الله ورسوله ﷺ عبادة فقال تعالى:﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر:٦٠] وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" إن الدعاء هو العبادة ثم قرأ (وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ...الآية)"(٣)

وقد ذُكر الدعاء ومشتقاته في القرآن الكريم ما يربو على ثلاثمائة مرة (٤) وحث عليه النبي ﷺ كثيرا قال العيني رحمه الله:" إن الدعاء من أعظم العبادة فهو كالحديث الآخر الحج عرفة أي معظم الحج وركنه الأكبر، ويؤيده حديث أنس مرفوعا(الدعاء مخ العبادة)(٥) وقد

---

(١) منهاج السنة النبوية / ابن تيمية ج٣ صـــ ٤٩٠

(٢) الجواب الكافي (الداء والدواء) / ابن القيم صـــ ٩٣

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في سننه كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة البقرة ج٥ صـــ ٢١١ حديث رقم ٢٩٦٩ وقال حسن صحيح وصححه الألباني في التعليق وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ج٤ صـــ ٢٧١ حديث رقم ١٨٤١٠ وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ج١ صـــ ٢٠٨٤ حديث رقم ٢٧١٣ وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه

(٤) الجواب الكافي (الداء والدواء) / ابن القيم صـــ ٩٣

(٥) أخرجه الإمام الترمذي في سننه كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في فضل الدعاء ج٥ صـــ ٤٥٦ حديث رقم ٣٣٧١ وقال هذا حديث غريب من هذا الوجه ثم ذكر قول النبي ﷺ: (الدعاء هو العبادة) ثم قرأ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠] قال هذا حديث حسن صحيح انظر الحديث السابق وقد ضعفه اللألباني

تواترت الآثار عن النبي ﷺ بالترغيب في الدعاء والحث عليه لحديث أبي هريرة مرفوعا (ليس شيء أكرم على الله من الدعاء)(١) وحديث (من لم يسأل الله يغضب عليه)(٢) و حديث ابن مسعود مرفوعا(سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل)(٣)"(٤)

وأما في معنى الدعاء والاستغاثة وما شابههما، يقول الفيومي:" دعوت الله أدعوه ابتهلت إليه بالسؤال، ورغبت فيما عنده من الخير."(٥) وقال المناوي رحمه الله:" ومعنى الدعاء استدعاء العبد ربه عز وجل العناية، واستمداده إياه المعونة، وحقيقته إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله عز وجل، وإضافة الجود، والكرم إليه."(٦)

أما" الاستعانة فهي طلب المعونة بشيء على شيء."(٧)

وأما " الاستغاثة فهي طلب الغوث وهي نداء من يُخلّص من شدة أو يُعين على دفع بلية، ويقال في النصرة، وأغاثه إذا نصره."(٨) قال القاضي عياض رحمه الله:" وأصل الدعاء الاستغاثة قال الله تعالى: ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٣] قيل استغيثوا بهم."(٩)

وأما" الاستعاذة الالتجاء والاعتصام والتحرز وحقيقتها الهرب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه، ولهذا يسمى المستعاذ به مَعاذاً ومَلجأً ووزراً، فالعائذ بالله قد هرب مما يؤذيه أو يهلكه إلى ربه ومالكه، وفر إليه وألقى نفسه بين يديه واعتصم به واستجار به والتجأ إليه."(١٠)

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه كتب الرقائق باب الأدعية ج٣ صـــ ١٥١ حديث رقم ٨٧١ وأخرجه الحاكم في مستدركه ج١ صـــ ٦٦٦ حديث رقم ١٨٠١ وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه

(٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في فضل الدعاء ج٥ صـــ ٤٥٦ حديث رقم ٣٣٧٣ وقد ضعف الحديث ابن حجر في فتح الباري ج١١ صـــ ٩٥

(٣) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ باب في انتظار الفرج وغير ذلك ج٥ صـــ ٥٦٥ حديث رقم ٣٥٧١ وضعف سنده وكذا ابن قدامة في المغني ج٢ صـــ ١٠٦٢ رقم ٣٨٤٦

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري / العيني ج٢٢ صـــ ٢٧٦

(٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي / الفيومي ج١ صـــ ١٩٤ ، وانظر لسان العرب ج١٤ صـــ ٢٥٧، وفتح الباري / ابن حجر ج١١ صـــ ٩٤

(٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير / عبد الرؤوف المناوي / المكتبة التجارية الكبرى / مصر / ١٣٥٦هـــ / الطبعة: الأولى / ج١ صـــ ٢٢٨، وانظر التفسير الكبير / الرازي ج ٥ صـــ ٨٢ ، وانظر فض الوعاء في أحاديث رفع اليدين بالدعاء / عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي / مكتبة المنار / الأردن / صـــ ٢٣

(٧) التقرير والتحرير في علم الأصول / محمد بن أمير الحاج الحلبي / دار الفكر / بيروت / ١٤١٧هـــ ــ ١٩٩٦م / ج ٢ صـــ ٨٢ وانظر تفسير السمعاني ج١ صـــ ٧٤

(٨) المعجم الوسيط ج ٢ صـــ ٦٦٥ وانظر المفردات في غريب القرآن / الأصبهاني صـــ ٣٦٧

(٩) مشارق الأنوار / القاضي عياض ج١ صـــ ٢٦٠

(١٠) تيسير العزيز الحميد / سليمان بن محمد بن عبد الوهاب صـــ ١٦٧

وقال ابن تيمية رحمه الله:" فالاستعاذة والاستجارة والاستغاثة كلها من نوع الدعاء أو الطلب وهى ألفاظ متقاربة."[1]

وقال ابن الجوزي رحمه الله:" والدعاء في القرآن يأتي على سبعة أوجه: أحدها: القول ومنه قوله تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأعراف:٥] والثاني: العبادة ومنه قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ [الأنعام:٧١] والثالث: النداء ومنه قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء:٥٢] والرابع: الاستعانة ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٣] والخامس: السؤال ومنه قوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦] والسادس" الاستفهام ومنه قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾ [البقرة:٦٨] أي استفهم والسابع" العذاب ومنه قوله تعالى: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ ﴿تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [المعارج١٦:١٧] أي تعذب."[2]

وبعد أن تبيَّنت لنا مكانة الدعاء بين العبادات وأنه من أعظمها وأجلها، لذا توجب صرفه لله وحده لا شريك له، إذ لا يقدر على جلب الخير وصرف الضر سواه قال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس١٠٦:١٠٧]

وصرف الدعاء وما في معناه لغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل، كفر وخروج من الملة، سواء كان هذا الغير نبياً أو ولياً أو ملكاً أو جنياً أو غير ذلك من المخلوقات. قال تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٣] وقال عز وجل: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٨٨] وقال سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف٥:٦] وأكد سبحانه وتعالى أنه وحده القادر على كل شيء وأن هؤلاء الذين يدعون من دونه لا يملكون شيئا ليعطوه لمن دعاهم وطلب منهم قال سبحانه: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر١٣:١٥] وقال

---

(١) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج١٥ صـــ ٢٢٧

(٢) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر / جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي / مؤسسة الرسالة / لبنان / بيروت / ١٤٠٤هـــ ـــ ١٩٨٤م / الطبعة: الأولى / تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي / صـــ ٢٩٣ ـــ ٢٩٥ باختصار كبير

تعالى:﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ [الحج:١٢] وكذلك نص النبي ﷺ على وجوب إخلاص الدعاء لله وحده " قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : قال النبي ﷺ: كلمة وقلت أخرى. قال النبي ﷺ: من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار وقلت أنا من مات وهو لا يدعو لله ندا دخل الجنة."(١)

وأما علماء الأمة من السلف فقد ذكروا ذلك دونما اختلاف بينهم على أن من دعا واستغاث بغير الله فقد وقع في الشرك الأكبر المخرج من الملة. ومن تساهل في ذلك جعله من أكبر الكبائر ومدخلا من مداخل الكفر. وأقوالهم في ذلك أكثر من أن تحصي في هذا البحث أذكر بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر.

* **الألوسي** رحمه الله:" إن الناس قد أكثروا من دعاء غير الله تعالى من الأولياء الأحياء منهم والأموات وغيرهم، مثل يا سيدي فلان أغثني وليس ذلك من التوسل المباح في شيء. واللائق بحال المؤمن عدم التفوه بذلك وأن لا يحوم حول حماه وقد عده أناس من العلماء شركا وأن لا يكنه فهو قريب منه، و لا أرى أحدا ممن يقول ذلك إلا وهو يعتقد أن المدعو الحي الغائب أو الميت المغيب يعلم الغيب أو يسمع النداء ويقدر بالذات أو بالغير على جلب الخير ودفع الأذى وإلا لما دعاه ولا فتح فاه، وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم. فالحزم والتجنب عن ذلك وعدم الطلب إلا من الله تعالى القوى الغنى الفعال لما يريد. "(٢)

* **الأمام السعدي** رحمه الله في قول الله تعالى:﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [الشعراء٢١٣:٢١٦] " ينهى تعالى رسوله أصلا وأمته أسوة له في ذلك عن دعاء غير الله من جميع المخلوقين، وأن ذلك موجب للعذاب الدائم والعقاب السرمدي لكونه شركا﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة:٧٢] والنهي عن الشيء أمر بضده، فالنهي عن الشرك أمر بإخلاص العبادة له وحده لا شريك له محبة وخوفا ورجاء وذلا وإنابة إليه في جميع الأوقات."(٣)

* **ابن تيمية** رحمه الله:" لم يذكر أحد من العلماء دعاء غير الله والاستعانة المطلقة بغيره في حال من الأحوال، وان كان بينهما فرق فان دعاء غير الله كفر، ولهذا لم ينقل دعاء أحد من الموتى

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب قوله تعالي:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ﴾ [البقرة:١٦٥] يعني أضدادا واحدها ند ج ٤ صـــ ١٦٣٦ حديث رقم ٤٢٢٧

(٢) روح المعاني / الألوسي ج٦ صـــ ١٢٨ ، ١٢٩

(٣) تفسير السعدي ج١ صـــ ٥٩٨ ، ٥٩٩

والغائبين لا الأنبياء ولا غيرهم عن أحد من السلف وأئمة العلم، وإنما ذكره بعض المتأخرين ممن ليس من أئمة العلم المجتهدين."[1]

الشرك بادعاء الإلوهية

ومن مظاهر الشرك القولي في الألوهية وهو أعظم من الشرك في الدعاء إدعاء الألوهية. وقد ذكر القرآن من قال بذلك كالملك الذي حاجه إبراهيم عليه السلام قائلا ربى الذي يحي ويميت قال له الملك أنا أحي وأميت وبهذا ساوى نفسه بالله فجعل نفسه يفعل ما يفعله الله وهذا معناه أنه إله قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥]

وكذا فرعون نفى وجود آلهة سواه وقد تكرر زعمه كثيرا في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[القصص:٣٨] وقال تعالى على لسانه: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾ ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات٢٣:٢٤]

وفي عهد الرسول ﷺ ادعى أحدهم الألوهية وزعم أنه سينزل وحى مثل ما أنزل الله وهو هنا ساوى نفسه بالله قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [الأنعام:٩٣]

والله سبحانه علم أن من البشر من سيقول ذلك وبين عقابه وحكمه قال سبحانه: ﴿وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٢٩]

والأمثلة على أمثال هؤلاء وجدت في الماضي والحاضر منهم من صرح بإلوهيته أو وصف أحدا من البشر بذلك، ومنهم من وصف نفسه بصفات الله، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا. أذكر فيما يلي أمثلة منهم : ـــ

١ـــ **الشيعة** " وقد تخيل جماعة من الروافض ذلك في علي رضي الله عنه، وزعموا أنه الإله، وكان ذلك في زمانه حتى أمر بإحراقهم بالنار. فلم يرجعوا وقالوا

---

(١) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج١ صـــ ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، التوسل والوسيلة / ابن تيمية ج١ صـــ ١٤٧ ، وتوحيد الإلوهية / ابن تيمية ج١ صـــ ٣٤٧

بهذا يَبِين صدقنا في قولنا أنه الإله؛ لأن رسول الله ﷺ قال:(لا يعذب بالنار إلا ربها) [(١)]"[(٢)]

٢ــ بعض فرق الصوفية كالشاذلية[(٣)] قال ابن تيمية رحمه الله:" قال ابن عربي: أن الولي لا يعزب عن قدرته شيء من الممكنات والذي لا يعزب عن قدرته شيء من الممكنات هو الله وحده فهذا تصريح منهم بأن الولي مثل الله إن لم يكن هو الله، وصرح بعضهم بأنه يعلم كل ما يعلمه الله و يقدر على كل ما يقدر الله عليه. وادعوا أن هذا كان للنبي ثم انتقل إلى الحسن بن علي ثم من الحسن إلى ذريته واحدا بعد واحد حتى انتهى ذلك إلى أبي الحسن الشاذلي، ثم إلى ابنه خاطبني بذلك من هو من أكابر أصحابهم، وحدثني الثقة من أعيانهم أنهم يقولون إن محمدا هو الله."[(٤)]

٣ــ الباطنية قال ابن حزم رحمه الله:" وكقول الخطابية بإلوهية أبي الخطاب وأصحاب الحلاج بإلوهية الحلاج وسائر كفار الباطنية."[(٥)]

٤ــ الحلاج[(٦)] قال الشيخ البقاعي رحمه الله:" وأجمع فقهاء بغداد أيام المقتدر من المالكية وقاضي قضاتها أبو عمرو المالكي على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الإلوهية والقول بالحلول،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ (وإن النار لا يعذب بها إلا الله) كتاب الجهاد والسير باب التوديع ج٣ صــ ١٠٧٩ حديث رقم ٢٧٩٥

(٢) فضائح الباطنية / محمد بن محمد بن محمد الغزالي أبو حامد / مؤسسة دار الكتب الثقافية / الكويت / تحقيق: عبد الرحمن بدوي / صــ ١١٠

(٣) نسبة إلى أبي الحسين الشاذلي ٥٩٣- ٦٥٦هـولد بقرية عمارة قرب مرسية في بلاد المغرب، وانتقل إلى تونس ومات أخيراً في صحراء عيذاب بصعيد مصر قيل عنه: (إنه سهّل الطريقة على الخليقة) لأن طريقته أسهل الطرق وأقربها طريقة. يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية، وإن كانت تختلف عنها في سلوك المريد وطريقة تربيته بالإضافة إلى اشتهارهم بالذكر المفرد "الله" أو مضمرًا "هو" (انظر الموسوعة الميسرة مج١ صــ ٢٧٥)

(٤) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج١٤ صــ ٣٦٤ ، ٣٦٥

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل / ابن حزم ج٢ صــ ٣٣

(٦) هو جمال الدين يوسف بن احمد أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج ٢٤٤ ــ ٣٠٩هــ ولد بفارس حفيداً لرجل زرادشتي، ونشأ في واسط بالعراق، وهو أشهر الحلوليين والاتحاديين، رمي بالكفر وقتل مصلوباً لتهم أربع وُجِّهت إليه: ١ــ اتصاله بالقرامطة. ٢ــ قوله "أنا الحق".٣ــ اعتقاد أتباعه ألوهيته. ٤ــ قوله في الحج، حيث يرى أن الحج إلى البيت الحرام ليس من الفرائض الواجب أداؤها. كانت في شخصيته كثير من الغموض، فضلاً عن كونه متشدداً وعنيداً ومغالياً، له كتاب الطواسين الذي أخرجه وحققه المستشرق الفرنسي ماسنيون.(انظر الموسوعة الميسرة مج١ ٢٥٦)

وقوله أنا الحق مع تمسكه في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبته وكذلك حكموا في ابن أبي الغرافيد."(١)

٥ــ **أبو طاهر الجنابي**(٢) " زعيم القرامطة الذي قال بعد أن قتل كل الحجيج في البيت الحرام في الشهر الحرام: أنا الله و بالله أنا، أنا أخلق الخلق وأفنيهم أنا."(٣)

٦ــ " ومن المحدثين كذلك الشيرازي(٤) زعيم البابية حيث قال أتباعه بإلوهيته.

---

(١) مصرع التصوف / البقاعي ج١ صــ ٢٩

(٢) هو أبو طاهر الجنابي القرمطي من إحدى قرى الأهواز كان كيالا بالبصرة، استولى على كثير من بلاد الجزيرة العربية ودام ملكه فيها ٣٠ سنة، ويعتبر مؤسس دولة القرامطة الحقيقي ومنظم دستورها السياسي الاجتماعي، ملك الكوفة أيام المقتدر ٢٩٥ــ ٣٢٠هــ لمدة ستة أيام استحلها فيها. بلغ من سطوته أن دفعت له حكومة بغداد الإتاوة ومن أعماله الرهيبة أنه فتك هو ورجاله بالحُجاج حين رجوعهم من مكة ونهبوهم وتركوهم في الفقر حتى هلكوا. هاجم مكة عام ٣١٩هــ، وفتك بالحجاج، وهدم زمزم، وملأ المسجد بالقتلى، ونزع الكسوة، وقلع البيت العتيق، واقتلع الحجر الأسود، وسرقه إلى الأحساء، وبقي الحجر هناك عشرين سنة إلى عام ٣٣٩هــ (انظر العبر في خبر من عبر / الذهبي ج٢ صــ ٨٢ ، صــ ١٥٦ والموسوعة الميسرة مج١ صــ ٣٧٨)

(٣) انظر الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة / عبد القادر شيبة الحمد / مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٣٨٧ هــ / صــ ٨٣ ، ٨٤

(٤) هو الميرزا علي محمد رضا الشيرازي ١٢٣٥ ــ ١٢٦٦هــ مؤسس فرقة البابية تلقى في السادسة من عمره تعليمه الأولي على يد دعاة الشيخية من الشيعة. وفي السابعة عشر من عمره اشتغل بدراسة كتب الصوفية والرياضة الروحانية ــ في عام ١٢٥٩ م ذهب إلى بغداد وبدأ يرتاد مجلس إمام الشيخية في زمانه كاظم الرشتي ويدرس أفكاره وآراء الشيخية. وفي مجالس الرشتي تعرف عليه الجاسوس الروسي كينازد الغوركي والمدعي الإسلام باسم عيسى النكراني والذي بدأ يلقي في روعهم أن الميرزا علي محمد الشيرازي هو المهدي المنتظر والباب الموصل إلى الحقيقة الإلهية وفي عام ١٢٦٦ هــ ادعى الباب حلول الإلوهية في شخصه حلولاً مادياً وجسمانياً؛ لكن بعد أن ناقشه العلماء حاول التظاهر بالتوبة والرجوع، ولم يصدقوه فقد عرف بالجبن والتنصل عند المواجهة. وحكم عليه بالإعدام هو والزنوزي وكاتب وحيه حسين اليزدي الذي تاب وتبرأ من البابية قبل الإعدام فأفرج عنه وذلك في ٢٧ شعبان سنة ١٢٦٦ هــ ٨ يوليو ١٨٥٠ (انظر الموسوعة الميسرة مج١ ٤٠٩، وانظر الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة / شيبة الحمد صــ ٩٣)

وكذا الميرزا حسين علي الملقب بهاء الله [١] الإيراني زعيم البهائية. وزعيم فرقة الجمهوريين محمود محمد طه السوداني[٢] مؤسس الحزب الجمهوري الاشتراكي السوداني."[٣]

---

(١) الميرزا حسين علي الملقب بهاء الله المولود ١٨١٧م نازع أخاه خلافة الباب وأعلن في بغداد أمام مريديه أنه المظهر الكامل الذي أشار إليه الباب وأنه رسول الله الذي حلّت فيه الروح الإلهية لتنتهي العمل الذي بشر به الباب وأن دعوته هي المرحلة الثانية في الدورة العقائدية. حاول قتل أخيه صبح أزل، وكان على علاقة باليهود في أدرنة بسالونيك في تركيا والتي يطلق عليها البهائيون أرض السر التي أرسل منها إلى عكا فقتل من أتباع أخيه صبح أزل. وفي عام١٨٩٢م قتله بعض الأزليين ودفن بالبهجة بعكا وله الأقدس الذي نسخ به البيان والإيقان وكانت كتبه تدعو للتجمع الصهيوني على أرض فلسطين. (انظر الموسوعة الميسرة مج١ صـــ ٤١٠ وانظر الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة / شيبة الحمد صـــ ٩٤)

(٢) هو المهندس محمود طه الذي ولد عام ١٩١١م وتخرج في جامعة الخرطوم أيام الإنجليز عندما كان اسمها (كلية الخرطوم التذكارية) عام ١٩٣٦م يمتاز بالقدرة على المجادلة والملاحاة. تعرَّض للسجن في الفترة الأخيرة من حياته، ثم أُفرج عنه بعد ذلك، لكنه قاد نشاطاً محموماً فور خروجه من السجن معترضاً على تطبيق الشريعة الإسلامية في السودان ومحرضاً الجنوبيين النصارى ضدها مما أدى إلى صدور حكم بالإعدام ضده مع أربعة من أنصاره بتهمة الزندقة ومعارضة تطبيق الشريعة الإسلامية. أمهل ثلاثة أيام ليتوب خلالها، لكنه لم يتب، وقد أعدم شنقاً صباح يوم الجمعة ٢٧ ربيع الثاني ١٤٠٥هـــ الموافق ١٩٨٥/١/١٨م وعلى مرأى من أتباعه.(انظر الموسوعة الميسرة مج١ صـــ ٤٢١)

(٣) انظر الفرق القديمة والحديثة في التاريخ الإسلامي / الدكتور محمد حسن بخيت / دار النشر : مكتبة آفاق / فلسطين / غزة / ١٤٢٤ هـــ ـــ ٢٠٠٣ م / الطبعة: الثانية / صـــ ٢٩٨ ، ٣١٣ ، ٣٧٩

ثالثا : ــ الأسماء والصفات

ومذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب هو الإيمان بما وصف الله به نفسه، أو بما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل.

فهم وسط بين المعطلة والممثلة، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ، فيعطلون أسماءه وصفاته. ولا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه. ولا يشبهون صفاته بصفات خلقه. ولا يخوضون في كيفيه هذه الصفات لأن صفاته سبحانه من لوازم ذاته. وهو تبارك وتعالى ليس كمثله شيء فكذا صفاته ليست كصفات أحد غيره .

وعلى هذا يجب التقيد في هذا الباب بما ورد في القرآن والسنة قال الأمام أحمد رحمه الله:"﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١] في ذاته كما وصف نفسه، قد أجمل الله الصفة فحد لنفسه صفة ليس يشبهه شيء، وصفاته غير محدودة ولا معلومة إلا بما وصف به نفسه، قال فهو سميع بصير بلا حد ولا تقدير ولا يبلغ الواصفون صفته ولا نتعدى القرآن والحديث فنقول كما قال ونصفه بما وصف به نفسه ولا نتعدى ذلك."(١)

وهذا مذهب سلف الأمة وصالح خلفها وكتبهم كلها وأقوالهم تؤكد ذلك قال ابن تيمية رحمه الله:" فالذي اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، فإنه قد علم بالشرع مع العقل أن الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله كما قال تعالى:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١] وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥] وقال تعالى:﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢] وقال تعالى:﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٤]"(٢)

ومذهب السلف رحمهم الله أيضا أن القول في جميع الصفات واحد لا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل قال الشنقيطي رحمه الله:" إن جميع الصفات من باب واحد إذ لا فرق بينها البتة لأن الموصوف بها واحد وهو جل وعلا، لا يشبه الخلق في شيء من صفاتهم البتة، فكما أنكم أثبتم له سمعا وبصرا لائقين بجلاله لا يشبهان شيئا من أسماع الحوادث وأبصارهم، فكذلك يلزم أن تجروا هذا بعينه في صفة الاستواء والنزول والمجيء إلى غير ذلك من صفات الجلال والكمال التي أثنى الله بها على نفسه،

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية / ابن القيم صـــ ١٣٢، وانظر درء التعارض / ابن تيمية ج ٢ صـــ ٣١

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية / ابن تيمية ج ١ صـــ ٢٤ ، ٢٥ ، وانظر أضواء البيان / الشنقيطي ج٢ صـــ ٣٢ ، تفسير الطبري ج٢ صـــ ٣٢٩ ، التمهيد / ابن عبد البر ج ٧ صـــ ١٣٦ ، إعلام الموقعين / ابن القيم ج ٣ صـــ ٣٢٩ ، شرح العقيدة الطحاوية / أبو العز الحنفي ج ١ صـــ ٩٥ ، مؤلفات محمد بن عبد الوهاب صـــ ٨ ، التحفة المدنية في العقيدة السلفية ج ١ صـــ ٢٣ ، قطف الثمر / القنوجي صـــ ٣١ ، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية / أبو الحسن الأشعري ج٣ صـــ ٩١ وكل كتب السلف تشير إلى ما أوردناه اكتفيت بذكر هؤلاء خشية الإطالة

والقول في الصفات كالقول في الذات من باب واحد، فكما أننا نثبت ذات الله جل وعلا إثبات وجود وإيمان لا إثبات كيفية مكيفة محددة، فكذلك نثبت لهذه الذات الكريمة المقدسة صفات إثبات وإيمان ووجود لا إثبات كيفية وتحديد."[١]

وكل من خالف هذا النهج فوصف الله بصفة ليست من صفاته لا تليق بجلاله، أو شبهه بأحد من خلقه، أو كيف صفة من صفاته فهو مبتدع كافر ضال قال إبراهيم آل الشيخ رحمه الله:" وأن يوصف بما وصف به نفسه من صفات الكمال ونعوت الجلال، فمن خالف ما جاؤا به ونفاه وأبطله فهو كافر ضال، وإن قال لا إله إلا الله وزعم أنه مسلم؛ لأن ما قام به من الشرك يناقض ما تكلم به من كلمة التوحيد، فلا ينفعه التلفظ بقول لا إله إلا الله لأنه تكلم بما لم يعمل به، ولم يعتقد ما دل عليه. وأما قوله نقول بأن القول كفر ولا نحكم بكفر القائل فإطلاق هذا جهل صرف لأن هذه العبارة لا تنطبق إلا على المعين، ومسألة تكفير المعين مسألة معروفة إذا قال قولا يكون القول به كفرا، فيقال من قال بهذا القول فهو كافر لكن الشخص المعين إذا قال ذلك لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها وهذا في المسائل الخفية التي قد يخفى دليلها على بعض الناس، كما في مسائل القدر والإرجاء ونحو ذلك مما قاله أهل الأهواء. فإن بعض أقوالهم تتضمن أمورا كفرية من رد أدلة الكتاب والسنة المتواترة فيكون القول المتضمن لرد بعض النصوص كفرا ولا يحكم على قائله بالكفر لاحتمال وجود مانع كالجهل وعدم العلم بنقض النص أو بدلالته فإن الشرائع لا تلزم إلا بعد بلوغها."[٢]

وقد نص على ذلك جل علماء السلف[٣] وقد بسطنا البحث في ضوابط التكفير وشروطه مما يغني عن إعادته هنا. ونضرب هنا مثلا لمن وقع في هذا المنزلق فأول صفة الكلام.

إن إثبات صفة الكلام من المواضيع الخطيرة الجليلة، حدث فيها من الافتراق بين الأمة ما لم يحدث في أي موضوع آخر من موضوعات العقيدة، فقد كان أكثر موضوعات العقيدة خلافاً هو موضوع الإيمان هل هو قول وعمل، يزيد وينقص، حتى أختلف فيه أهل السنة والجماعة فيما بينهم، وبقى هذا الخلاف قائما منذ أن ابتدعته الخوارج إلى زماننا هذا، وكان من أكثر المجالات التي اختلفت فيها الآراء، وتصارعت فيها الفرق فكفر بعضهم بعضا.

فلما ظهر القول بخلق القرآن وإنكار كلام الله سبحانه وتعالى أصبحت قضية الكلام هي أخطر وأكبر قضية اختلف فيها الناس، وتجادلت فيها الفرق، وتنوعت فيها الآراء. وقد ذكر العلماء ومنهم

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات / محمد الأمين الشنقيطي / الدار السلفية / الكويت / ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م / الطبعة: الرابعة / صــ ٣٧ ، ٣٨

(٢) إجماع أهل السنة النبوية على تكفير المعطلة الجهمية / إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ / دار العاصمة / السعودية / ١٤١٥هـ / الطبعة: الأولى / تحقيق عبد العزيز بن عبد الله الزير آل حمد صــ ١٥٨

(٣) انظر المراجع التي ذكرتها في الصفحة السابقة حاشية رقم ٢

شيخ الإسلام ابن تيمية، وكذلك الإمام ابن القيم، و أبو العز الحنفي في شرحه على العقيدة الطحاوية وغيرهم: أن أقوال الناس في مسألة كلام الله متعددة ومختلفة، حتى ذكر بعضهم أنها تصل إلى تسعة أقوال، ولن أتعرض للأقوال كلها لأن بعضها قد انقرض، لكن أذكر ما تمس الحاجة إليه. ثم أختمها بقول أهل السنة والجماعة.

القول الأول: ــ قول الاتحادية

وهم الذين يقولون: إن الكون كله متحد في ذاته، ويقولون: إن كل كلام في الكون كله فهو لله تعالى، وهذا الكلام باطل لا شك في بطلانه، وبناءً عليه يكون الكفر والسحر والشتم واللعن والهجاء وكذلك الفحش كله كلام لله تعالى، قال ابن تيمية رحمه الله:" ومن جعل كلام الله لا يقوم إلا بغير الله كان المتصف به هو ذلك الغير فتكون الشجرة هى القائلة لموسى﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [طه:١٤] ولهذا اشتد نكير السلف على من قال ذلك وقالوا هذا نظير قول فرعون﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤] أي هذا كلام قائم بغير الله ولهذا صرح بحقيقة ذلك الاتحادية كابن عربي ونحوه الذين يقولون

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه " [(١)]

القول الثاني : ــ قول الفلاسفة

قال ابن تيمية رحمه الله:" وهو أن الكلام فيض فاض على العقل الفعَّال وعلى نفس فاضلة زكية، وهذا مبني على قولهم الباطل وهو أن الإنسان يمكن أن يخرج قرآناً، وأن يكون نبياً، ولذلك يقول الفلاسفة : إن النبوة مكتسبة."[(٢)] أي يمكن أن يكتسبها كل أحد، لكن بشروط: ١- قوة التأثير. ٢- قوة التصور والتخيل. ٣- قوة التعبير، فإذا وجدت هذه يمكن أن يكون الإنسان نبياً، وأن يخرج للناس قرآناً أياً كان هذا الشخص، بشرط أن توجد فيه هذه الشروط وهذا الكلام لا شك في بطلانه، بل هذا هو عين الكفر قال الشيخ حافظ حكمي رحمه الله:" مذهب (الفلاسفة) المتأخرين أتباع أرسطو و هم الذين يحكي ابن سينا و الفارابي و الطوسي قولهم: إن كلام الله فيض فاض من العقل الفعال على النفوس الفاضلة الزكية بحسب استعدادها، فأوجب لها ذلك الفيض تصورات و تصديقات بحسب ما قبلته منه، و لهذه النفوس عندهم ثلاث قوى:ــ قوة التصور و قوة التخيل و قوة التعبير، فتدرك بقوة تصورها من المعاني ما يعجز عن غيرها، و تدرك بقوة تخيلها شكل المعقول في صورة المحسوس فتتصور المعقول صورا نورانية تخاطبها و تكلمها بكلام تسمعه الآذان و هو عندهم كلام الله، ولا حقيقة له في الخارج وإنما ذلك كله من القوة الخيالية الوهمية."[(٣)]

---

(١) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج١٢ صـــ ١٧٤ ، وانظر معارج القبول / ابن القيم ج١ صـــ ٣٧٠

(٢) انظر مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج١١ صـــ ٦٠٧

(٣) معارج القبول / حافظ حكمي ج١ صـــ ٣٧٤

وقال ابن تيمية رحمه الله:" الملاحدة والفلاسفة الذين يقولون إنه فيض فاض على نفس النبي من العقل الفعال، ويقولون أنه جبريل ويقولون إن جبريل هو الخيال الذي يتمثل في نفس النبي يقولون أنه تلقاه معان مجردة، ثم انه تشكل في نفسه حروفا كما يتشكل في نفس النائم، كما يقول ذلك ابن عربي صاحب(الفصوص) وغيره من الملاحدة. ولهذا يدعى أنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به إلى الرسول فإن(المعدن) عنده هو العقل و(الملك) هو الخيال الذي في نفسه). والنبي عندهم يأخذ من هذا الخيال. وهذا الكلام من أظهر الكفر بإجماع المسلمين واليهود والنصارى وهو مما يعلم فساده بالاضطرار من دين المسلمين."(١)

القول الثالث: ــ قول الجهمية والمعتزلة وبعض الزيدية والإمامية(٢) وبعض الخوارج

قال ابن حجر رحمه الله:" فقالت الجهمية والمعتزلة وبعض الزيدية والإمامية وبعض الخوارج كلام الله مخلوق خلقه بمشيئته وقدرته في بعض الأجسام كالشجرة حين كلم موسى. وحقيقة قولهم أن الله لا يتكلم وإن نسب إليه ذلك فبطريق المجاز."(٣)

وقال ابن تيمية رحمه الله:" قول الجهمية من المعتزلة وغيرهم الذين يقولون كلام الله مخلوق يخلقه في بعض الأجسام فمن ذلك الجسم ابتدأ لا من الله ولا يقوم عندهم بالله كلام ولا إرادة وأول هؤلاء الجعد بن درهم."(٤)

القول الرابع : وهو قول الكلابية (أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب)

نظراً لأن أول من قال بالقدم في كلام الله تعالى هو: عبد الله بن سعيد بن كلاب، وهذا الرجل يقول: إن الكلام معنىً قائم بالنفس، لا يتعلق بالإرادة والمشيئة أبداً، وأنه لازم لذات الرب سبحانه وتعالى كلزوم

---

(١) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج ١٢ صـــ ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، وانظر شرح العقيدة الطحاوية / أبو العز الحنفي صـــ ٣٣٣

(٢) الشيعة الإمامية الإثنا عشرية الذين زعموا أن عليًا هو الأحق في وراثة الخلافة دون الشيخين وعثمان رضي الله عنهم أجمعين وقد أطلق عليهم الإمامية لأنهم جعلوا من الإمامة القضية الأساسية التي تشغلهم وسُمُّوا بالإثنى عشرية لأنهم قالوا باثني عشر إمامًا دخل آخرهم السرداب بسامراء على حد زعمهم. كما أنهم القسم المقابل لأهل السنة والجماعة في فكرهم وآرائهم المتميزة، وهم يعملون لنشر مذهبهم ليعم العالم الإسلامي. يتبرؤون من الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان وينعتونهم بأقبح الصفات لأنهم ــ كما يزعمون ــ اغتصبوا الخلافة دون علي الذي هو أحق منهم بها، كما يبدؤون بلعن أبي بكر وعمر بدل التسمية في كل أمر ذي بال، وهم ينالون كذلك من كثير من الصحابة باللعن، ولا يتورعون عن النيل من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. ولهم عقائد فاسدة منها الرجعة والتقية على أهل السنة ويحلون زواج المتعة ويقولون بعصمة الأئمة وتوارثهم العلم اللدني وجري المعجزات على أيديهم وغيبة الإمام الأخير. من أبرز شخصياتهم عبد الله بن سبأ اليهودي حيث أن أكثر العلماء ينسبون له التأسيس وذلك للتشابه الكبير بين معتقداتهم ومعتقدات اليهودية (انظر الموسوعة الميسرة مج١ صـــ ٥١ وما بعدها)

(٣) فتح الباري / ابن حجر ج١٣ صـــ ٤٥٥ ، وانظر تفسير السعدي ج ١ صـــ ٧٢٨

(٤) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج١٢ صـــ ١٦٢ ، وانظر تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري/ ابن عساكر الدمشقي ج١ صـــ ١٥٠

الحياة والعلم والقدرة، وأنه لا يسمع على الحقيقة، والحروف والأصوات ليست إلا حكاية عن كلام الله، وليست هي كلام الله، وهي مخلوقة من المخلوقات، وهذا يؤدي إلى نفي أن يكون الكلام صفة من صفات الله تعالى.

قال ابن حجر رحمه الله:" وقالت الكلابية الكلام صفة واحدة قديمة العين لازمة لذات الله كالحياة، وأنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته، وتكليمه لمن كلمه إنما هو خلق إدراك له يُسمع به الكلام، ونداؤه لموسى لم يزل لكنه اسمعه ذلك النداء حين ناجاه."(١) وقال ابن تيمية رحمه الله:" الكلابية والأشعرية الذين يقولون أن القرآن العربي ليس هو كلام الله وإنما كلامه المعنى القائم بذاته، والقرآن العربي خلق ليدل على ذلك المعنى، ثم إما أن يكون خلق في بعض الأجسام الهواء أو غيره أو ألهمه جبريل فعبر عنه بالقرآن العربي، أو ألهمه محمد فعبر عنه بالقرآن العربي، أو يكون أخذه جبريل من اللوح المحفوظ أو غيره."(٢)

وقد نقل أبي العز الحنفي رحمه الله اختلافهم فيما بينهم في كلام الله خمسة أقوال (٣) وهذا يدل على أن أهل الأهواء ليس لهم مذهب ثابت مبني على قواعد شرعية سليمة.

القول الخامس : ــ قول الأشاعرة ومن وافقهم

وهو أن كلام الله معنىً واحد، قائم بذات الرب سبحانه وتعالى، وهو صفة قديمة أزلية، وقالوا: هو معنىً نفسي، وليس بحرف ولا صوت، ولا ينقسم، ولا يتبعض ولا يتجزأ، ولا غير ذلك وقالوا: إن كلام الله واحد فقط، فالأمر والنهي معناه واحد، والتوراة والإنجيل معناهما واحد لا فرق بينهما قال ابن حجر رحمه الله:" وقالت الأشاعرة كلام الله ليس بحرف ولا صوت، وأثبتت الكلام النفسي؛ وحقيقته معنى قائم بالنفس وان اختلفت عنه العبارة كالعربية والعجمية، واختلافها لا يدل على اختلاف المعبر عنه، والكلام النفسي هو ذلك المعبر عنه."(٤)

القول السادس : ــ قول الكرامية(٥)

---

(١) فتح الباري / ابن حجر ج١٣ صــ ٤٥٥ ، وانظر معارج القبول / ابن القيم ج١ صــ ٣٧٦

(٢) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج١٢ صــ ١٢٠

(٣) انظر شرح العقيدة الطحاوية / أبو العز الحنفي صــ ١٩٨

(٤) فتح الباري / ابن حجر ج١٣ صــ ٤٦٠ ، وانظر البحر المحيط في أصول الفقه / الزركشي ج١ صــ ٣٠٥ ، وانظر شرح قصيدة ابن القيم / أحمد بن عيسى ج٢ صــ ٤٤١

(٥) الكرامية بخراسان ثلاثة أصناف وهذه الفرق الثلاث لا يكفر بعضها بعضا وان أكفرها سائر الفرق فلهذا عددناها فرقه واحدة وزعيمها المعروف محمد بن كرام وضلالات أتباعه اليوم متنوعة أنواعا فمنها أن ابن كرام دعا اتباعه إلى تجسيم معبوده، وزعم انه جسم له حد ونهاية من تحته والجهة التي منها يلاقى عرشه وقد وصف ابن كرام معبوده في بعض كتبه بأنه جوهر وأسمائه كلها عرض، وأتباعه اليوم لا يبوحون باطلاق لفظ الجوهر على الله =

حيث ذكروا أنه متعلق بالإرادة والمشيئة، وقائم بذات الرب سبحانه وتعالى، وهو حروف وأصوات، ولكنهم قالوا: إنه حدث بعد أن لم يكن، أي: حدث كلام الله بعد أن لم يكن متكلماً، كان الله غير متكلم ثم بعد ذلك تكلم. قال الرازي رحمه الله:" فهم يقولون إن كلام الله تعالى قديم بمعنى أن قدرته على القول قديمة أما القول فإنه حادث."(١)

القول السابع : ــ قول أهل السنة (السلف)

والسلف يقولون:" أنه تعالى لم يزل متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديما وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة."(٢)

قال ابن تيمية رحمه الله:" وأما السلف والأئمة فقالوا أن الله يتكلم بمشيئته وقدرته وان كان مع ذلك قديم النوع بمعنى أنه لم يزل متكلما إذا شاء؛ فان الكلام صفة كمال ومن يتكلم أكمل ممن لا يتكلم، ومن يتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن لا يكون متكلما بمشيئته وقدرته، ومن لا يزال متكلما بمشيئته وقدرته أكمل ممن يكون الكلام ممكنا له بعد أن يكون ممتنعا منه أو قدر أن ذلك ممكن، فكيف إذا كان ممتنعا لامتناع أن يصير الرب قادرا بعد أن لم يكن وان يكون التكلم والفعل ممكنا بعد أن كان غير ممكن."(٣)

وانظر رحمك الله ففي تعريف الشيخ وبيانه رد شافي على كل الأقوال التي ذكرتها آنفاً. وقد انبرى علماء السلف للرد على هذه الأقوال وأبطلوها، وقد أفرد بعض العلماء منهم أبوابا في كتبهم كالأمام ابن حجر وبعضهم أفرد لها مؤلفات كشيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم رحمهم الله.

وقد بينت فيما سبق أن أهل السنة يثبتون صفات الله سبحانه بالنقل الصحيح الثابت عن الله سبحانه أو عن رسوله ﷺ، لذا جاء قول واحد تلقاه الخلف عن السلف، قول واضح لا لبس فيه ولا اختلاف كما حدث عند غيرهم من الفرق، بحيث تجد أن لكل فرقة منهم أراء متعددة في الموضوع الواحد، منهم من خالف أهل فرقته، ومنهم من خالف معلمه وشيخه، وذلك نتج عن كون المصدر الذي اعتمدوه مصدر بشري، أما أهل السنة فقد عصمهم الله من هذا الخلاف؛ وذلك لتمسكهم بكتاب الله

تعالى عند العامة خوفا من الشناعة عند الاشاعة. وزعم ابن كرام وأتباعه أن معبودهم محل للحوادث والإيمان عندهم إقرار فقط وجوز ابن كلاب الصلاة بالثوب النجس واستكفى في صلاة السفر بتكبيرتين دون ركوع وسجود.(انظر الفرق بين الفرق / البغدادي ج١ صـ ٢٠٢ ــ ٢١٤ باختصار كبير)

(١) التفسير الكبير / الرازي ج١ صـ ٣٧ ، وانظر مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج١٢ صـ ١٧٧ ، وانظر شرح العقيدة الطحاوية / أبو العز الحنفي صـ ١٨٠ ، وانظر شرح قصيدة ابن القيم / أحمد بن عيسى ج١ صـ ٢٩٨ ، وانظر معارج القبول / حافظ حكمي ج ١ صـ ٣٧٩

(٢) شرح العقيدة الطحاوية / أبو العز الحنفي صـ ١٨٠

(٣) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج١٢ صـ ٣٧٢ ، ٣٧٣

الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكذا بسنة نبيه ﷺ التي لا يزيغ عنها إلا هالك ولا يتنكبها إلا ضال.

القسم الثاني

إدعاء النبوة أو تصديق مدعيها

إن الله خلق الخلق وفاضل بينهم فقال سبحانه:﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[القصص:٦٨] وقد اختار سبحانه من أرضه مكة، فجعلها مقر بيته العتيق الذي من دخله كان آمناً، ففضلها على سائر الأمكنة التي خلقها، واختار من الشهور شهر رمضان، ومن الليالي ليلة القدر، ومن الأيام يوم عرفة، ومن أيام الأسبوع يوم الجمعة، وفاضل الله بين الملائكة فاختار منهم حملة العرش، ومنهم الذين يحملون رسالته إلى رسله وأنبيائه، واصطفى الله من بني آدم الأنبياء، فالأنبياء أفضل البشر.

وقد أجمعت الأمة على تفضيل الأنبياء (١) على غيرهم من الصديقين والشهداء والصالحين وبعض أهل السنة فضلهم على الملائكة. (٢) ويدل على تفضيلهم قوله تعالى:﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام:١٢٤] وقال تبارك وتعالى:﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الحج:٧٥]

وقد رتب الله عباده السعداء الذين أنعم عليهم أربعة مراتب، قال تعالى:﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء:٦٩]. فأول هذه المراتب وأعلاها الأنبياء ثم الصديقون ثم الشهداء، ثم الصالحون .

قد يظن ظان أن للمصادفة هنا محلا، وأن من الأنبياء من أصابته النبوة وهو لا يستحقها، معاذ الله، ولكن الله العليم الحكيم الخبير نظر في معادن العباد وقلوبهم، واختار منهم واصطفى الأفضل والأكمل، وصدق الله إذ يقول:﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴾[الأنعام:١٢٤] إن حكمة الله وعلمه قاضيان بأن لا تمنح النبوة والرسالة إلا للمستعد لها والقادر على حملها والصابر في سبيل تبليغها، وإذا تأملنا في سير أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام رأيناهم أتقي وأنقي الناس قلوبا، وأكثرهم ورعا، وأعلاهم لله خشية، وأعمقهم علما وفهما، وأحضرهم بديهة، وأشدهم تحملاً وصبرا، وأرقهم طباعا، وأكثرهم على الخير حرصا، فلا عجب أن يختارهم الله ليكونوا أمناء وحيه، والعاملين على إقامة دينه وتبليغه، فهم القمم العالة التي تعجز النفوس عن أن تبلغ مداها.

---

(١) انظر تفسير البحر المحيط / أبو حيان الأندلسي ج٦ صــ ٤٩ ، وانظر الرسالة الصفدية / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية / دار الفضيلة / الرياض / ١٤٢١ هــ ــ ٢٠٠٠م / تحقيق: محمد رشاد سالم ج١ صــ ٢٤٨

(٢) انظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح / محمد القاري ج١٠ صــ ٤١٢ ، وشرح العقيدة الطحاوية / أبو العز الحنفي صــ ٣٤٠

إذا فالنبوة منةٌ من الله تعالى، وفضل منه عز وجل، وهي اصطفاء واختيار الله تعالى عبداً من عباده بتبليغ الوحي عنه، قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف:١٤٤] وقال سبحانه وتعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾ [الحج:٧٥]وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ ﴾ [مريم:٥٨] وإذا كانت النبوة كذلك، فهي لا تنال باكتساب أو مجاهدة. قال الأمام السفاريني:

ولا تنال رتبة النبوة ... بالكسب والتهذيب والفتوة

لكنها فضل من المولى الأجل ... لمن يشا من خلقه إلى الأجل

ولم تزل فيما مضى الأنباء ... من فضله تأتي لمن يشاء

حتى أتى بالخاتم الذي ختم ... به و أعلانا على كل الأمم[1]

وقد نبه النبي ﷺ على أنه سيكون في أمته مدعون للنبوة وبين عددهم بأنهم ثلاثون في حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ رضي الله عنه " وإنه سيكون من أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي."[2]

والله سبحانه وتعالى ختم النبوة بالنبي محمد ﷺ، وتلك إحدى العقائد الأساسية في الإسلام التي لا يصح إيمان العبد إلا بها، وهي من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، إلا أن هذه العقيدة تعرضت في القديم والحديث لكيد ماكر من أعداء الأمة بشتى أساليب المكر والخداع، وصدق النبي ﷺ في رواية مسلم " لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين. كلهم يزعم أنه رسول الله. وفي رواية: بمثله. غير أنه قال: ينبعث."[3] وقد باءت محاولات مدعي النبوة بالفشل في القديم وأغلق الباب في وجوههم، وأصبحت قصصهم وأخبارهم تنقل في كتب النوادر وأخبار الحمقى والمغفلين، وأصبح لا يذكر اسمهم إلا وصفة الكذب معهم، بيد أنه في العصر الحاضر وجد ادعاء النبوة قبولاً عند بعض المسلمين لجهلهم وبعدهم عن شرع ربهم، ونجح الاستعمار وأعداء الدين في استدارج بعض أصحاب

---

(١) العقيدة السفارينية (الدرة المضية في عقيدة أهل الفرقة المرضية) / محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني / مكتبة أضواء السلف / الرياض / ١٩٩٨م / الطبعة: الأولى / تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود صـ ٨٣

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الفتن باب خروج النار ج٦ صـ ٢٦٠٥ حديث رقم ٦٧٠٤ والإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ج٤ صـ ٢٢٣٩ حديث رقم ١٥٧

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء ج٤ صـ ٢٢٣٩ حديث رقم ٢٩٢٣

الدعوات الباطلة والفرق المنحرفة الكافرة، ومن هذه الفرق الضالة القاديانية[١] والبابية والبهائية[٢] وبعض غلاة الصوفية في نشر هذه العقيدة.

وأدلة ختم النبوة في الكتاب والسنة متعددة ولا مجال للحديث عنها أذكر نموذج منها على سبيل المثال لا الحصر.

قال تعالى:﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٤٠] وقال ﷺ:" لعلي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي."[٣]

وأما أقوال السلف في كفر مدعي النبوة فكثيرة أذكر منها : ــ

١ــ **ابن حزم** رحمه الله " وأما من قال أن بعد محمد ﷺ نبياً غير عيسى ابن مريم، فإنه لا يختلف اثنان في تكفيره لصحة قيام الحجة بكل هذا على كل أحد."[٤]

٢ــ **الأمام السعدي** رحمه الله " يخبر تعالى أنه لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الأنعام:٢١] ويدخل في هذا كل من كذب على الله بنسبة شريك له أو وصفه بما لا يليق بجلاله أو الإخبار عنه بما لم يقل أو ادعاء النبوة أو غير ذلك من الكذب على الله فهؤلاء أعظم الناس ظلما."[٥]

٣ــ **ابن تيمية** رحمه الله " وان كان المدعي للنبوة كاذبا فهو من أكفر خلق الله وشرهم كما قال تعالى:﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ ﴾ [الأنعام:٩٣] فالكذب أصل للشر، وأعظمه الكذب على الله عز وجل. والصدق أصل للخير وأعظمه الصدق على

---

(١) القاديانية حركة نشأت سنة ١٩٠٠م بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي في القارة الهندية، بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد بشكل خاص، حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام، وكان لسان حال هذه الحركة هو مجلة الأديان التي تصدر باللغة الإنجليزية ومؤسسها مرزا غلام أحمد القادياني ١٨٣٩ــ ١٩٠٨م (الموسوعة الميسرة مج١ صـــ ٤١٦)

(٢) البابية والبهائية حركة نبعت من المذهب الشيعي الشيخي سنة ١٢٦٠هــ ١٨٤٤م تحت رعاية الاستعمار الروسي واليهودية العالمية والاستعمار الإنجليزي بهدف إفساد العقيدة الإسلامية وتفكيك وحدة المسلمين وصرفهم عن قضاياهم الأساسية. أسسها الميرزا علي محمد رضا الشيرازي ١٢٣٥ــ١٢٦٦هــ حيث سميت حينها البابية. ثم جاء الميرزا حسين علي الملقب بهاء الله المولود ١٨١٧م نازع أخاه خلافة الباب وأعلن في بغداد أمام مريديه أنه المظهر الكامل الذي أشار إليه الباب وأنه رسول الله الذي حلّت فيه الروح الإلهية لتنهي العمل الذي بشر به الباب وأن دعوته هي المرحلة الثانية في الدورة العقائدية.(الموسوعة الميسرة مج١ صـــ ٤٠٩ وما بعدها)

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ج٤ صـــ ١٨٧٠ حديث رقم ٢٤٠٤

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل / ابن حزم ج٣ صـــ ١٣٩

(٥) تفسير السعدي ج١ صـــ ٣٧٩

الله تبارك وتعالى. فإن كان مدعي النبوة كاذبا فهذا من شر الناس وأكذبهم وأظلمهم وأفجرهم وملكه شر من ملك الظالم الذي لم يدع نبوة كبختنصر وسنجاريب."[1]

٤ــ **مرعي الحنبلي** رحمه الله " حكم المرتد وهو من كفر بعد إسلامه ويحصل الكفر بأحد أربعة أمور بالقول كسب الله تعالى ورسوله أو ملائكته أو ادعاء النبوة أو الشرك."[2]

٥ــ **ابن ضويان** رحمه الله " ويحصل الكفر بأحد أربعة أمور:ــ بالقول كسب الله تعالى أو رسوله أو ملائكته لأنه لا يسبه إلا وهو جاحد به، أو ادعاء النبوة، أو تصديق من ادعاها؛ لأن ذلك تكذيب لله تعالى في قوله: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ﴾ [الأحزاب:٤٠] ولحديث لا نبي بعدي ونحوه."[3]

الإجماع على تكفير من ادعى النبوة بعد النبي ﷺ

وقد نقل هذا الإجماع عدد من العلماء أذكر منهم : ــ

١ــ **البغدادي** رحمه الله في بيانه للأصول التي أجمع عليها المسلمون قال:" وقالوا بتكفير كل متنبئ، سواء كان قبل الإسلام كزرادشت ويوراسف وماني ودمصان ومرقيون ومزدك، أو بعده كمسيلمة و سجاح والأسود بن يزيد العنسي وسائر من كان بعدهم من المتنبئين."[4]

٢ــ **ابن تيمية** رحمه الله " فيمن قال لا بد لنا من واسطة بيننا وبين الله تعالى فإذا أراد بالواسطة أنه لا بد من واسطة تبلغه أمر الله ونهيه فهذا حق؛ لا بد للناس من رسول يبلغ عن الله أمره ونهيه ويعلمهم دين الله الذي تعبدهم به، فهذا مما أجمع عليه أهل الملل ومن أنكر ذلك فهو كافر بالإجماع."[5]

٣ــ **الألوسي** رحمه الله " وكونه ﷺ خاتم النبيين مما نطق به الكتاب، وصدعت به السنة، وأجمعت عليه الأمة، فيكفر مدعي خلافه، ويقتل إن أصر."[6]

٤ــ **أبو بكر الحصيني والنووي** رحمه الله " وكذا لو ادعى أنه أوحي إليه وإن لم يدع النبوة أو ادعى أنه يدخل الجنة ويأكل من ثمارها وأنه يعانق الحور العين فهو كفر بالإجماع."[7]

---

(١) الجواب الصحيح / ابن تيمية ج١ صــ ١٢٧ ، ج٥ صــ ٢٢٥

(٢) دليل الطالب / مرعي الحنبلي ج١ صــ ٣١٧

(٣) منار السبيل في شرح الدليل / ابن ضويان ج٢ صــ ٣٥٦

(٤) الفرق بين الفرق / البغدادي ج١ صــ ٣٣٥

(٥) مختصر الفتاوى المصرية / ابن تيمية صــ ٢٢٦

(٦) روح المعاني / الألوسي ج٢٢ صــ ٤١

(٧) كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار / تقي الدين أبي بكر بن محمد الحسيني الحصيني الدمشقي الشافعي / دار الخير / دمشق / ١٩٩٤م / الطبعة: الأولى / تحقيق: علي عبد الحميد بلطجي، و محمد وهبي سليمان / ج١ صــ ٤٩٣، وانظر روضة الطالبين وعمدة المفتين / النووي ج١٠ صــ ٧٠

القسم الثالث

الاستهزاء بشيء من الدين أو القول بما يعارض القرآن صراحة

والدين عندنا قائم على أصلين أساسين هما الكتاب والسنة، وقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ كتابه، وهيئ للسنة علماء قاموا على ترتيبها وشرحها وبيان الصحيح فيها من دونه.

فمن تعدى على أحد هذين الأصلين فكأنما طعن في هذا الدين الذي ارتضاه الله لهذه الأمة كالاستهزاء بآية من كتاب الله، أو قصة أوردها سبحانه وتعالى أو مثلا ضربه للفكر والتدبر لأنه بذلك يحاكي قول المشركين قال تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[البقرة:٢٦] وكذلك من الكفر القولي الاعتراض على حكم الله كقولهم أحل الله البيع وحرم الربا قال تعالى:﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة:٢٧٥] أو الاستهزاء بأمر أو نهى من الشارع أو بجملة الدين قال تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [العنكبوت:١٢] وأمثلة ذلك في القرآن كثيرة أوردنا منها ما يكفي للدلالة خشية الإطالة .

قال اليعمري رحمه الله:" ومن استخف بالقرآن أو بشيء منه أو جحده أو حرفا منه أو كذب شيئا منه أو أثبت ما نفاه أو نفى ما أثبته على علم منه بذلك، أو شك في شيء من ذلك فهو كافر عند أهل العلم بإجماع، وكذلك من غير شيئا منه أو زاد فيه كفعل الباطنية والإسماعيلية(١)."(٢)

وكذلك القول بما يعارض القرآن كسب الصحابة أو تكفيرهم، أو قذف عائشة رضي الله عنها، أو إنكار صحبة أبيها رضي الله عنه كما يفعل بعض الشيعة. قال ابن عابدين رحمه الله:" وأما قذف عائشة رضى الله عنها فكفر بالإجماع، وهكذا إنكار صحبة الصديق لمخالفة نص الكتاب. وأما من سب

---

(١) الإسماعيلية فرقة باطنية انتسبت إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق، ظاهرها التشيع لآل البيت، وحقيقتها هدم عقائد الإسلام، تشعبت فرقها وامتدت عبر الزمان حتى وقتنا الحاضر، وحقيقتها تخالف العقائد الإسلامية الصحيحة، وقد مالت إلى الغلوِّ الشديد لدرجة أن الشيعة الإثني عشرية يكفِّرون أعضاءها.(الموسوعة الميسرة مج١ صـــ ٣٨٣)

(٢) تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام / برهان الدين أبي الوفاء إبراهيم ابن الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن فرحون اليعمري / دار الكتب العلمية / لبنان / بيروت / ١٤٢٢هـــ ـــ ٢٠٠١م / حققه و خرج أحاديثه وعلق عليه وكتب حواشيه: الشيخ جمال مرعشلي / ج٢ صـــ ٢١٤

أحدا من الصحابة فهو فاسق ومبتدع بالإجماع إلا إذا اعتقد أنه مباح أو يترتب عليه ثواب كما عليه بعض الشيعة أو اعتقد كفر الصحابة فإنه كافر بالإجماع."(١)

وقد ذهب الأمام مالك رحمه الله إلى تكفير من عاب الصحابة رضى الله عنهم ، ومعلوم أن إعابتهم لا تقل جرما عن شتمهم حيث سأله هارون الرشيد:" هل لمن سب أصحاب رسول الله ﷺ في الفيء حق؟ قال: لا ولا كرامة ولا مسرة. قال: من أين قلت ذلك؟ قال: قال الله عز وجل:﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح:٢٩]فمن عابهم فهو كافر ولا حق لكافر في الفيء."(٢)

قال عتبة بن عبد الله الهمداني قاضي القضاة رحمه الله:" كنت يوما بحضرة الحسن بن زيد الداعي بطبرستان، وكان يلبس الصوف ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويوجه في كل سنة بعشرين ألف دينار إلى مدينة السلام تفرق على صغاير ولد الصحابة، وكان بحضرته رجل ذكر عائشة رضى الله عنها بذكر قبيح من الفاحشة فقال: يا غلام اضرب عنقه فقال له العلويون: هذا رجل من شيعتنا. فقال: معاذ الله هذا رجل طعن على النبيﷺ قال الله عز وجل: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور:٢٦] فإن كانت عائشة رضى الله عنها خبيثة فالنبي خبيث فهو كافر فاضربوا عنقه فضربوا عنقه وأنا حاضر."(٣)

وأما رد حديث النبي ﷺ مع ثبوت صحته فقال ابن حزم رحمه الله في ذلك:" إن إسحاق بن راهويه رحمه الله كان يقول من بلغه عن رسول الله ﷺ خبر يقر بصحته ثم رده بغير تقية فهو كافر. ولم نحتج في هذا بإسحاق وإنما أوردناه لئلا يظن جاهل أننا منفردون بهذا القول."(٤)

---

(١) حاشية ابن عابدين ج٧ صـــ ١٦٢

(٢) الاعتصام / أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي / المكتبة التجارية الكبرى / مصر / ج٢ صـــ ٩٦

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة / اللالكائي ج٧ صـــ ١٢٦٩

(٤) الإحكام في أصول الأحكام / ابن حزم ج١ صـــ ٩٥

القسم الرابع

إنكار شيء من الغيبيات كالملائكة والجن أو البعث أو الجنة أو النار أو عذاب القبر أو وعلامات الساعة أو الحشر الحساب أو الميزان أو الصراط وهكذا

الإيمان بالغيب من أهم صفات عباد الله المؤمنين، بل هو ما يتميز به الكافر عن المسلم ، إذ أن الأمور الحسية والملموسة لا يختلف اثنان على التصديق بها لذلك أثنى الله تعالى عليهم وميزهم بهذه الصفة قال تعالى:﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة٣:٥]

يقول الراغب الأصبهاني رحمه الله:" والغيب في قوله تعالى:(يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ) ما لا يقع تحت الحواس ولا تقتضيه بدائه العقول، وإنما يعرف بخبر الأنبياء عليهم السلام، وبدفعه يقع على الإنسان اسم الإلحاد."(١)

وأصل الإيمان هو الإيمان بالغيب قال الطحاوي رحمه الله:" بخلاف توبة الكافر لعدم الإيمان بالغيب لأنه قد شاهد ملائكة العذاب فيكون الإيمان منه قهريا، بسبب المعاينة والمطلوب الإيمان بالغيب."(٢) وأمور الغيب كثيرة متفرقة منها ما أخبرنا الله به في القرآن الكريم كالملائكة والجن والجنة والنار والصراط والميزان والحساب وأهوال يوم القيامة. ومنها ما اخبرنا به النبي ﷺ تفصيلا لما جاء في القرآن ؛ كعذاب القبر الذي يعذب به الذي لا يستنجي من بوله، وكذا سؤال الملكين عن الله والدين والرسول. وبعض تفاصيل طعام أهل الجنة وملبسهم، وعن دخول بعض المسلمين النار ثم خروجهم منها .

وكذا من أمور الغيب التي يجب الإيمان بها ما وصف الله بها نفسه أو وصفه به سيدنا محمد ﷺ دون تمثيل أو تعطيل أو تشبيه أو تكيف، وكذا بعض ما وصف ﷺ من أوصاف الملائكة كنافخ الصور وجبريل عليهم السلام، وأيضا ما جاء في وصف يأجوج ومأجوج وهكذا.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله:" وأصل الإيمان هو الإيمان بالغيب كما قال تعالى:﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة٢:٣]

---

(١) المفردات / الأصبهاني صـــ ٣٦٧

(٢) حاشية على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح / أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحاوي الحنفي / المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق / مصر / ١٣١٨هـــ / الطبعة: الثالثة / صـــ ٣٧٦ وانظر تفسير السمرقندي ج١ صـــ ٥١٤

والغيب الذي يُؤْمَنُ به ما أخبرت به الرسل من الأمور العامة ويدخل في ذلك الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وملائكته والجنة والنار. فالإيمان بالله وبرسله وباليوم الآخر يتضمن الإيمان بالغيب فان وصف الرسالة هو من الغيب وتفصيل ذلك هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر كما ذكر الله تعالى ذلك في قوله:﴿وَلَكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة:١٧٧] وقال:﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١٣٦]"(١)

وقال ابن القيم رحمه الله:" الإيمان بالغيب الذي أخبر به الحق سبحانه على لسان رسله من أمور المعاد وتفصيله والجنة والنار، وما قبل ذلك من الصراط والميزان والحساب، وما قبل ذلك من تشقق السماء وانفطارها وانتثار الكواكب ونسف الجبال وطي العالم، وما قبل ذلك من أمور البرزخ ونعيمه وعذابه. فقبول هذا كله إيمانا وتصديقا وإيقانا هو اليقين بحيث لا يخالج القلب فيه شبهة ولا شك ولا تناس ولا غفلة عنه، فإنه إن لم يُهلك يقينه أفسده وأضعفه."(٢)

وأضرب هنا مثلا لحكم من أنكر شيئا من الغيب يقاس عليه بقية الأمثلة خشية الإطالة

إنكار البعث

لقد ركز القرآن الكريم على هذه العقيدة حيث أن الإيمان بها يفتح للإنسان باب الخوف والرجاء اللذان يجعلان المؤمن دوما على اتصال بخالقه، واللذان إن خلا القلب منهما تاه في سلوكه وظل عن هدفه، فلو لم يعرف الجنة وما فيها من نعيم ما سعى لدخولها، ولم لم يعرف النار وأهوالها ما سعى للفرار منها، وكذا الإيمان بالبعث يعرف به الإنسان فضل الله وعدله في المجازاة على الأعمال الصالحة والسيئة، والموجب لكمال حمده، والثناء عليه بما هو أهله. إذ ما فائدة العمل دون جزاء قال تعالى:﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص:٢٨]

يقول الأمام السعدي رحمه الله:" ومنها أنه يعرف بذلك فضل الله وعدله في المجازاة على الأعمال الصالحة والسيئة الموجب لكمال حمده والثناء عليه بما هو أهله وعلى قدر علم العبد بتفاصيل الثواب والعقاب يعرف بذلك فضل الله وعدله وحكمته، ويقول أيضاً إن الإيمان بالبعث والجزاء أصل صلاح القلب، وأصل الرغبة في الخير، والرهبة من الشر اللذين هما أساس الخيرات."(٣) وقد أكد القرآن الكريم على كفر من أنكر البعث والمعاد في كثير من آياته فقال تعالى في المثل الذي ضربه بالمحاورة التي بين المؤمن والكافر حين قال الكافر:﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ

(١) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج١٣ صـ٢٣٢ ، ٢٣٣

(٢) مدارج السالكين / ابن القيم ج٢ صـ ٤٠٢

(٣) تفسير السعدي ج١ صـ ٣٧ ، ١٢٣

مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف٣٦:٣٧] فسماه الله على لسان محاوره كفرا لكونه أنكر البعث بقوله وما أظن الساعة قائمة. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴾ ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾[الإسراء٩٧:٩٨] وقال سبحانه: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَـٰفِرُونَ ﴾[السجدة:١٠] وفي حديث جبريل عليه السلام المشهور جعله النبي ﷺ من أركان الإيمان حين سأله ما الإيمان فقال ﷺ" قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر." [١]

وهذا الحكم مطردٌ في كتاب الله على كل من أنكر البعث وأقوال الأئمة في ذلك استنباطا من القرآن والسنة أكثر من أن تحصى في هذا البحث أذكر منها بعض الأمثلة : ـــ

* **أبو المظفر السمعاني** رحمه الله:" ولما حرم الكفر بالله تعالى حرم إنكار البعث للجزاء، لأن خلق الدنيا بدون البعث للجزاء عبث من الله تعالى، ووصف الله تعالى بالعبث كذب عليه كالكفر كذب على الله فكان بابا واحد وبالله التوفيق."[٢]

* **الرازي** رحمه الله في تفسير قوله الله تعالى:﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [الرعد:٥]:"(أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ) وهذا يدل على أن كل من أنكر البعث والقيامة فهو كافر، وإنما لزم من إنكار البعث الكفر بربهم من حيث إن إنكار البعث لا يتم إلا بإنكار القدرة والعلم والصدق."[٣]

* **ابن نُجيم** رحمه الله:" ويكفر بإنكاره رؤية الله عز وجل بعد دخول الجنة، وبإنكاره عذاب القبر، وبقوله لا أعلم أن اليهود والنصارى إذا بعثوا هل يعذبون بالنار، وبإنكار حشر بني آدم أو غيرهم."[٤]

---

(١) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة وبيان النبي ﷺ له ج١ صـــ ٢٧ حديث رقم ٥٠ والإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقه ج١ صـــ ٣٩ حديث رقم ٨

(٣) قواطع الأدلة في الأصول / أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤١٨هـــ ـــ ١٩٩٧م / تحقيق محمد حسن محمد إسماعيل الشافعي / ج٢ صـــ ٦٢

(٣) التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج١٩ صـــ ٨

(٤) البحر الرائق شرح كنز الدقائق/ ابن نُجيم الحنفي ج٥ صـــ ١٣٢

* **الصاوي** رحمه الله:" لأن فيه إنكار البعث ــ أي بالأجساد مع الأرواح ــ إن كان هذا الأمر إلى غير نهاية، و قيل إلى أن تصل الروح الطائعة إلى جنة و العاصية إلى النار و هذه طريقة من ينكر البعث الجسماني و يثبت الروحاني و كل كفر."(١)

* **الألوسي** رحمه الله " لأن إنكار البعث إنكار للقرآن."(٢)

وقد نقل بعض العلماء إجماع الأمة على كفر من أنكر البعث أذكر منهم : ــ

* **ابن عبد البر** رحمه الله:" وقد أجمع المسلمون على أن من أنكر البعث، فلا إيمان له ولا شهادة."(٣)

* **ابن حزم** رحمه الله:" اتفق جميع أهل القبلة على تنابذ فرقهم على القول بالبعث في القيامة، وعلى تكفير من أنكر ذلك."(٤)

* **ابن تيمية** رحمه الله:" وطوائف من الكفار والمشركين وغيرهم ينكرون المعاد بالكلية، فلا يقرون لا بمعاد الأرواح، ولا الأجساد، وقد تبين الله تعالى في كتابه على لسان رسوله أمر معاد الأرواح والأجساد، ورد على الكافرين والمنكرين لشيء من ذلك بياناً في غاية التمام والكمال. وأما المنافقون من هذه الأمة الذين لا يقرون بألفاظ القرآن والسنة المشهورة، فإنهم يحرفون الكلم عن مواضعه، ويقولون هذه أمثال ضربت لنفيهم المعاد الروحاني، وهؤلاء مثل القرامطة الباطنية الذين قولهم مؤلف من قول المجوس والصابئة المنتسبين إلى الإسلام، وطائفة ممن ضاهوهم من كاتب أو متطبب أو متكلم أو متصوف كأصحاب رسائل إخوان الصفا وغيرهم أو منافق، وهؤلاء و هؤلاء كفار يجب قتلهم باتفاق أهل الإيمان فإن محمداً ﷺ قد بين ذلك بياناً شافياً قاطعاً للعذر."(٥)

والخلاصة : ــ ربما لا يستطيع الإنسان حصر الدلائل على التكفير بالقول وذلك كما أشرت آنفا إلى اختلاف لغات الأمم فربما تكون لفظة واحدة بمعنيين مختلفين في اللغة الواحدة، وقد تكون الألفاظ المتعددة لمعنىً واحد. وقد يكون الناطق بالكفر لا تتوفر فيه شروط التكفير و لم تنتفِ موانعه؛ لذا وجب الحذر من الخوض في هذا المنزلق فهو من أهم أسباب تداعي الأمة وضعفها يقول الإمام الشوكاني رحمه الله:" ها هنا تسكب العبرات، و يناح على الإسلام وأهله بما جناه التعصب في الدين على غالب المسلمين من الترامي بالكفر. لا لسنة ولا لقرآن ولا لبيان من الله ولا لبرهان. بل لمّا غلت مراجل العصبية في الدين، وتمكن الشيطان الرجيم من تفريق كلمة المسلمين، لقنهم إلزامات بعضهم

---

(١) انظر بلغة السالك لأقرب المسالك / أحمد بن محمد الصاوي المالكي / دار الكتب العلمية / لبنان/ بيروت / ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٥م / الطبعة: الأولى / حققه ضبطه وصححه: محمد عبد السلام شاهين / ج٤ صـ ٢٢٥ ، ٢٢٦

(٢) روح المعاني / الألوسي ج١٢ صـ ١٣

(٣) التمهيد / ابن عبد البر ج٩ صـ ١١٦

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل / ابن حزم ج٤ صـ ٦٦

(٥) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٤ صـ ٣١٤

لبعض بما هو شبيه الهباء في الهواء، والسراب البقيعة. فيا لله وللمسلمين من هذه الفاقرة التي هي من أعظم فواقر الدين، والرزية التي ما رُزئ بمثلها سبيل المؤمنين.

وأنت إن بقي فيك نصيب من عقل وبقية من مراقبة الله عز وجل وحصة من الغيرة الإسلامية قد علمت وعلم كل من له علم بهذا الدين أن النبي ﷺ سئل عن الإسلام قال في بيان حقيقته وإيضاح مفهومه أنه إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان وشهادة أن لا إله إلا الله، والأحاديث بهذا المعنى متواترة. فمن جاء بهذه الأركان الخمسة وقام بها حق القيام فهو المسلم على رغم أنف من أبى ذلك كائنا من كان. فمن جاءك بما يخالف هذا من ساقط القول وزائف العلم بل الجهل فاضرب به في وجهه، وقل له قد تقدم هذيانك هذا برهان محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه."[١]

(١) السيل الجرار / الشوكاني ج٤ صــ ٤٨٥

المطلب الثالث

دلالات التكفير في الاعتقاد

انطلاقا من تعريفنا للإيمان عند أهل السنة والجماعة خلصنا على أنه يقوم على ركائز ثلاثة اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح. وبناءً عليه إذا انتفى أحد هذه الأركان انتفى الإيمان وحل مكانه نقيضه وهو الكفر. والكفر خمسة أنواع كما أسلفت في التمهيد؛ وهى كما قال ابن القيم رحمه الله:" وأما الكفر الأكبر فخمسة أنواع : كفر تكذيب وكفر استكبار وإباء مع التصديق وكفر إعراض وكفر شك وكفر نفاق."(١)

وأنواع الكفر هذه بواعث باطنية حملت صاحبها على الكفر الظاهر. أي على الإتيان بأسباب الكفر القولية أو الفعلية، وهذه البواعث الباطنية هي أعمال قلبية يضاد كل منها عملا من أعمال القلب الداخلية في أصل الإيمان؛ فكفر التكذيب يضاده تصديق القلب بما جاء به الرسول ﷺ إجمالاً. وكفر الاستكبار مع التصديق يضاده الخضوع والانكسار لله وهى من أعمال القلب. وأما كفر الإعراض فيضاده من أعمال القلب الحسد و إتباع الهوى. وأما كفر الشك فيضاده يقين القلب بصدق الرسول ﷺ فيما أخبر به عن ربه. وأما كفر النفاق فيضاده من أعمال القلب الإخلاص الذي لا يتم الإيمان إلا به. وأعمال القلب هذه كلها واجبة في أصل الإيمان.

ونحن نصدر الأحكام على ظواهر الناس إذ لا سبيل للإطلاع على قلوبهم. فيرجع مناط التكفير في الاعتقاد إلى كل إنسان بحسب ما يعتقد في نفسه، ومن هنا لا يمكن الحكم على إنسان بأنه كَفر كُفر اعتقاد إلا إذا ظهر منه ما يؤيد ذلك قولا أو عملا. وإذا ظهر منه ما يكفر بهما حكمنا عليه سواءً وافق اعتقاده أو خالفه. لأن من دل الدليل الشرعي على كفره فهوا كافر في الظاهر والباطن، لأن الدليل الشرعي وهو خبر الله تعالى لا يكون على الظاهر دون الباطن بل لا يكون إلا على الحقيقة المتضمنة للظاهر والباطن، فأهل السنة يرتبون الحكم بالكفر على الإتيان بسببه الظاهر من الأقوال والأفعال المكفرة دون النظر في البواعث القلبية التي لا يمكن ضبطها بضابط ظاهر، ومع هذا فإن الحكم بكفره ظاهراً وباطناً يدل على أنه لا بد أن يكون قد قام بقلبه نوع من أنواع الكفر من جهل أو تقليد أو استكبار أو بغض أو تكذيب أو شك كما أسلفت آنفا.

قال ابن تيمية رحمه الله:" فذكر سبحانه أنه سيجزي الصادف عن آياته مطلقا سواء كان مكذبا أو لم يكن﴿سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ﴾ [الأنعام:١٥٧] يبين ذلك أن كل من لم يقر بما جاء به الرسول فهو كافر سواء اعتقد كذبه أو استكبر عن الإيمان به أو أعرض عنه إتباعا لما يهواه أو ارتاب فيما جاء به فكل مكذب بما جاء به فهو كافر ، وقد يكون كافرا من لا يكذبه إذا لم يؤمن به ولهذا أخبر الله في غير

---

(١) مدارج السالكين / ابن القيم ج١ صـــ ٣٣٧

موضع من كتابه بالضلال والعذاب لمن ترك إتباع ما أنزله وإن كان له نظر وجدل واجتهاد في عقليات وأمور غير ذلك."[1]

وأول ما يؤتى الإنسان من قبله قلبه، فإن صلح القلب انعكس على أعماله وأقواله هذا الصلاح قال الشنقيطي رحمه الله:" والمراد بما في الصدور الأعمال وهذا كقوله تعالى:﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق:٩] ونص على الصدور هنا مع أن المراد القلوب لأنها هي مناط العمل ومعقد النية والعقيدة، وصحة الأعمال كلها مدارها على النية كما في حديث (إنما الأعمال بالنيات)[2] وحديث (ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله)[3] وقال الفخر الرازي رحمه الله: خصص القلب بالذكر لأنه محل لأصول الأعمال، ولذا ذكره في معرض الذم﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقرة:٢٨٣] وفي معرض المدح ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال:٢] ويشهد لذلك قوله تعالى:﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٩]"[4]

وقال عز وجل:﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[الشعراء٨٧:٨٩] وقال تبارك وتعالى:﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾[ق ٣٢:٣٣] وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قوله ﷺ : إنّ الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأشار بأصابعه إلى صدره."[5] وعند مسلم رحمه الله من حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه قوله ﷺ:" إلا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب."[6] لذا كانت أعمال القلوب أهم من أعمال الجوارح وأحبها إلى الله تعالى قال ابن القيم رحمه الله:" وعمل القلب كالمحبة له، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والخوف منه، والرجاء له، وإخلاص الدين له، والصبر على أوامره وعن نواهيه، وعلى أقداره والرضى به وعنه، والموالاة فيه والمعاداة فيه، والذل له والخضوع والإخبات إليه والطمأنينة به، وغير ذلك من أعمال القلوب التي

---

(١) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٣ صـــ ٣١٥

(٢) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ج١ صـــ ٣ حديث رقم ١ والإمام مسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب قوله ﷺ إنما الأعمال بالنية وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال ج٣ صـــ ١٥١٦حديث رقم ١٩٠٧

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها ج٤ صـــ ١٩٨٦ حديث رقم ٢٥٦٤

(٤) أضواء البيان / الشنقيطي ج٩ صـــ ٥٦

(٥) سبق تخريجه انظر حاشية رقم ٣

(٦) سبق تخريجه انظر حاشية رقم ٣

فرضُها أفرض من أعمال الجوارح، ومستحبها أحب إلى الله من مستحبها وعمل الجوارح بدونها إما عديم المنفعة أو قليل المنفعة."(١)

فلا إيمان إلا بتصديق القلب وعمله، والمنافقون لم تصدُق قلوبهم، وعملوا بجوارحهم ولكنهم في الدرك الأسفل من النار. ولكن قليلا منا من يقف أمام قلبه فهو يقضي جل وقته في عمله الظاهر، والقلب يُمتحن ففي الحديث:" تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربادا ــ أي شدة البياض في سواد ــ كالكوز مجخيا ــ أي منكوسا ــ لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه."(٢) وليس الامتحان والابتلاء بالشيء الظاهر كالسجن أو الفصل من العمل أو الإيذاء، ولكن الامتحان الأصعب هو امتحان القلوب. وفي قوله تعالى:﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[آل عمران:١٥٤] معنى للامتحان.

أمراض القلوب

والقلب كالبحر لاحتوائه على أسرار عجيبة وغموض كبير وأحوال متقلبة، سواءً كانت منكرة مذمومة كالغفلة والزيغ والإقفال والقسوة والرياء والحسد والنفاق. ونتيجتها الطبع والختم وعدم الفقه والموت وبذا تصير صفته أسود. أو كانت تلك الأحوال محمودة محببة للشارع كاللين والإخبات والخشوع والإخلاص والمحبة والتقوى والخوف والرجاء. ونتيجتها السلامة والحياة والإيمان وبذا تصير صفته أبيض. فالقلوب إذاً تمرض كما تمرض الأجساد لكن آثار مرضها أشد فتكا من مرض الجسد لأنها تمس الإنسان في عقيدته. ومن هذه الأمراض : ــ

أ ــ الرياء والعجب والكبر وحب الشهرة

وهذه من أهم صفات المنافقين إذ بنوا إظهار إسلامهم على هذه الصفات يقول الشيخ الدمشقي رحمه الله:" والرياء والعجب والكبر والشهرة إنما هي من أعمال القلب، فتوسل يا أخي إلى الله في إصلاح قلبك، فإن سلم قلبك وعلم الله من إرادتك أنها له خالصة خلصك الله من كل آفة دخلت عليك، والله يقسم الثناء كما يقسم الرزق، ومن خاف الله خوف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله

---

(١) مدارج السالكين / ابن القيم ج١ صـــ ١٠١

(٢) أخرجه الأمام مسلم رحمه الله في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا وإنه يأرز بين المسجدين ج١ صـــ ١٢٨ ، ١٢٩ حديث رقم ١٤٤

من كل شيء، ومن أحب الله أحبه كل شيء، ومن هاب الله في السريرة هابه الناس في العلانية ، وبقدر ما يستحي العبد من الله في الخلوة يستحي الناس منه في العلانية."[١]

ب ــ إتباع الهوى

يقول زين الدين البغدادي رحمه الله:" صلاح حركات العبد بجوارحه واجتنابه المحرمات واتقاءه للشبهات بحسب صلاح حركة قلبه. فإذا كان قلبه سليما ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله، وخشية الوقوع فيما يكرهه صلحت حركات الجوارح كلها، ونشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها وتوقي للشبهات حذرا من الوقوع في المحرمات، وإن كان القلب فاسدا قد استولى عليه إتباع الهوى وطلب ما يحبه ولو كرهه الله فسدت حركات الجوارح كلها، وانبعثت إلى كل المعاصي والمشتبهات بحسب إتباع هوى القلب، ولهذا يقال القلب ملك الأعضاء وبقية الأعضاء جنوده وهم مع هذا جنود طائعون له منبعثون في طاعته وتنفيذ أوامره لا يخالفونه في شيء."[٢]

ج ــ الحسد

قال ابن تيمية رحمه الله:" ومن أمراض القلوب الحسد وهو البغض والكراهة لما يراه من حسن حال المحسود؛ وهو نوعان: أحدهما: كراهة للنعمة عليه مطلقا فهذا هو الحسد المذموم. والنوع الثاني: أن يكره فضل ذلك الشخص عليه فيحب أن يكون مثله أو أفضل منه فهذا حسد وهو الذي سموه الغبطة."[٣]

أقوال علماء السلف في الكفر الاعتقادي

وقد نص علماء السلف على أن الكفر كما يكون بالقول والعمل فكذلك يكون بالاعتقاد وهذه طائفة من أقوالهم:

* قال الأسيوطي رحمه الله:" الردة وهي قطع الإسلام بنية أو قول كفر أو فعل سواء قاله استهزاء أو عنادا أو اعتقادا."[٤] ومعلوم أن النية مكانها القلب الذي هو مناط الاعتقاد.

* وقال السبكي رحمه الله:" التكفير حكم شرعي سببه جحد الربوبية، أو الوحدانية، أو الرسالة، أو قول أو فعل حكم الشارع بأنّه كفر، وإن لم يكن جحداً ."[٥] والجحود عمل من أعمال القلب.

---

(١) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل / عبد القادر بن بدران الدمشقي / مؤسسة الرسالة / بيروت / ١٤٠١هــ / الطبعة: الثانية / تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ج٣ صـــ ٥٤ باختصار

(٢) جامع العلوم والحكم / شهاب الدين البغدادي صـــ ٧٤

(٣) أمراض القلوب وشفاؤها / أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية / المطبعة السلفية / القاهرة / ١٣٩٩هــ / الطبعة: الثانية / صـــ ١٤

(٤) جواهر العقود / الأسيوطي ج٢ صـــ ٢٥٠

(٥) فتاوى السبكي / تقي الدين السبكي ج٢ صـــ ٥٨٦

* وقال الشيخ الأنصاري رحمه الله:" كتاب الردة: وهي قطع من يصح طلاقه الإسلام بكفر عزما أو قولا أو فعلا استهزاء أو عنادا أو اعتقادا، كنفي الصانع أو نبي أو تكذيبه، أو جحد مجمع عليه معلوم من الدين ضرورة بلا عذر، أو تردد في كفر، أو إلقاء مصحف بقاذورة أو سجود لمخلوق."(١)

* وقال الشيخ الإمام مرعي الحنبلي رحمه الله:" ويحصل الكفر بأحد أربعة أمور بالقول كسب الله تعالى ورسوله أو ملائكته، أو ادعاء النبوة، أو الشريك له تعالى، وبالفعل كالسجود للصنم ونحوه، وكإلقاء المصحف في قاذورة، وبالاعتقاد كاعتقاده الشريك له تعالى، أو أن الزنا أو الخمر حلال، أو أن الخبز حرام ونحو ذلك، ومما أجمع عليه إجماعا قطعيا، وبالشك في شيء من ذلك ."(٢) فجعل الشيخ الشك قسما رابعا والعلماء ادخلوا الشك تحت الاعتقاد لأنه من أعمال القلب فلا تضاد في التقسيم.

* وقال الدمياطي رحمه الله:" وحاصل الكلام على أنواع الردة أنها تنحصر في ثلاثة أقسام: اعتقادات، وأفعال، وأقوال، وكل قسم منها يتشعب شعباً كثيرة."(٣)

اعتقاد القلب يشمل القول والعمل

وحيث أن الاعتقاد محله القلب، ولا يكون إيمان إلا بتصديق القلب، وتصديق القلب يشمل عمل القلب وقوله كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" والمقصود هنا أن من قال من السلف الإيمان قول وعمل أراد قول القلب و اللسان و عمل القلب و الجوارح."(٤) ثم فسر رحمه الله المراد من كل من قول القلب وعمله فقال:" وأما الإيمان فأصله تصديق وإقرار ومعرفة، فهو من باب قول القلب المتضمن عمل القلب والأصل فيه التصديق ــ قول القلب ــ والعمل تابع له فلهذا فسر النبي ﷺ الإيمان بإيمان القلب وبخضوعه وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وفسر الإسلام باستسلام مخصوص هو المباني الخمس، وهكذا في سائر كلامه يفسر الإيمان بذلك النوع ويفسر الإسلام بهذا. وذلك النوع أعلى ."(٥)

وقال ابن القيّم رحمه الله:" وها هنا أصل آخر وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل، و القول قسمان : قول القلب وهو الاعتقاد ــ يعني التصديق ــ و قول اللسان و هو التكلم بكلمة الإسلام ــ يعني شهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله ــ والعمل قسمان: عمل القلب وهو نيته وإخلاصه،

---

(١) حاشية الجمل على المنهج / الأنصاري ج٥ صــ ١٢٢ ، ١٢٣ باختصار

(٢) دليل الطالب / مرعي الحنبلي ج١ صــ ٣١٧

(٣) حاشية إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين لشرح قرة العين بمهمات الدين / أبي بكر ابن محمد شطا الدمياطي/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت / ج٤ صــ ١٣٢

(٤) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٧ صــ ١٧١

(٥) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٧ صــ ٢٦٣

وعمل الجوارح فإذا زالت هذه الأربع زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة."[١]

ونقل ابن تيمية عن الحسن البصري رحمهم الله قوله:" ما زال أهل العلم يعودون بالتكلم على التفكر وبالتفكر على التدبر ويناطقون القلوب حتى نطقت وكما قال الجنيد (التوحيد قول القلب والتوكل عمل القلب) فجعلوا للقلب نطقا وقوة كما جعل النبي ﷺ للنفس حديثا في قوله(إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ثم قال: ما لم تتكلم به أو تعمل به.)[٢]"[٣] قال الشيخ مصطفى السيوطي رحمه الله معلقا على قول الجنيد رحمه الله:" التوحيد قول القلب والتوكل عمل القلب أراد بذلك التوحيد الذي هو التصديق فإنه لما قرنه بالتوكيل جعله أصله، وإذا أفرد لفظ التوحيد فإنه يتضمن قول القلب وعمله والتوكل من تمام التوحيد."[٤]

وقال ابن تيمية رحمه الله:" أصل الإيمان في القلب وهو قول القلب وعمله وهو إقرار القلب بالتصديق والحب والانقياد."[٥] وواضح أن الشيخ يقصد بقول القلب التصديق وضرب مثلا لعمل القلب بالحب والانقياد إذ أن أعمال القلب أكثر من ذلك حيث قال في موضع آخر:" ولابد فيه من عمل القلب مثل حب الله ورسوله وخشية الله وحب ما يحبه الله ورسوله وبغض ما يبغضه الله ورسوله وإخلاص العمل لله وحده وتوكل القلب على الله وحده، وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها من الإيمان."[٦] أما قول القلب فواحد هو التصديق كما وضح الشيخ ذلك جليا بقوله:" فأما قول القلب فهو التصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويدخل فيه الإيمان بكل ما جاء به الرسول ﷺ."[٧]

وقال شارح الطحاوية رحمه الله:" القول قسمان: قول القلب: وهو الاعتقاد. وقول اللسان: وهو التكلم بكلمة الإسلام. والعمل قسمان: عمل القلب: وهو نيته وإخلاصه. وعمل الجوارح. فإذا زالت هذه

---

(١) الصلاة وحكم تاركها / ابن القيم صـــ ٧٠ ، ٧١

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر ج١ صـــ ١١٦ حديث رقم ١٢٧

(٣) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج ١٢ صـــ ٤٠٥

(٤) مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى / مصطفى السيوطي الرحيباني / المكتب الإسلامي / دمشق / ١٩٦١م / ج٦ صـــ ٧٠٥

(٥) مختصر الفتاوى المصرية / ابن تيمية ج١ صـــ ١٤١ وانظر مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٧ صـــ ٦٣٨

(٦) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٧ صـــ ١٨٦

(٧) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٧ صـــ ٦٧٢ ، ج٢ صـــ ٤٠ ، صـــ ٢٦٣ ، صـــ ٦٣٨ وانظر معارج القبول / حافظ حكمي ج٢ صـــ ٥٨٨

الأربعة زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب لم ينفع بقية الأُخر؛ فإن تصديق القلب شرط في اعتبارها وكونها نافعة."[1]

نخلص مما سبق إلى أن مناط التكفير بالاعتقاد متعلق بقول القلب الذي هو أصل التصديق والإيمان بكل ما جاء به النبي ﷺ فإذا انتفى هذا حل مكانه الكفر. وأما عمل القلب فهو من الإيمان لا أصله، وبما أن الإيمان كما أسلفت يزيد وينقص فأعمال القلب تزيد وتنقص مع الإيمان كما سأذكر أمثلة على ذلك فيما بعد.

أولا : ـــ المكفرات الاعتقادية لقول القلب

كما ذكرت مسبقا تقرير السلف أن قول القلب الذي هو أصل الاعتقاد وهو التصديق هو المراد به عمل القلب الذي قد تطرأ عليه عوارض فتخرج صاحبها من دائرة الإيمان إلي دائرة الكفر وهو الجحود. قال ابن القيم رحمه الله:" وكفر الجحود نوعان: كفر مطلق عام، وكفر مقيد خاص؛ فالمطلق أن يجحد جملة ما أنزله الله وإرساله الرسول. والخاص المقيد أن يجحد فرضا من فروض الإسلام أو تحريم محرم من محرماته أو صفة وصف الله بها نفسه أو خبرا أخبر الله به عمدا. أو تقديما لقول من خالفه عليه لغرض من الأغراض."[2]

ومن أمثلة ذلك

١ـــ جحود الله تبارك وتعالى

قال تعالى:﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٦٢] وقال الله تعالى:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١٣٦] قال الطبري رحمه الله:" يعني بذلك جل ثناؤه (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟) بمن قبل محمد من الأنبياء والرسل، وصدقوا بما جاءوهم به من عند الله (ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ) يقول: صدّقوا بالله، وبمحمد رسوله، أنه لله رسول مرسل إليكم وإلى سائر الأمم قبلكم."[3]

ومما هو معروف عند العرب من لغتهم إذا كان المطلوب موجودا فالمراد منه الدوام عليه قال الرازي رحمه الله:" أن المراد منه يا أيها الذين آمنوا آمنوا دوموا على الإيمان واثبتوا عليه، وحاصله يرجع إلى هذا المعنى يا أيها الذين آمنوا في الماضي والحاضر آمنوا في المستقبل، ونظيره

(١) شرح العقيدة الطحاوية / أبو العز الحنفي صـــ ٣٨٤

(٢) مدارج السالكين / ابن القيم ج١ صـــ ٣٣٨

(٣) تفسير الطبري ج٥ صـــ ٣٢٦

قوله ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩]"(١) فذهب الطبري رحمه الله إلى أن الخطاب هنا لأهل الكتاب وذهب أكثر المفسرين على أنه خطاب للمؤمنين بالثبات على التصديق بالله ورسوله، ومفهوم من الكلام أنه إذا كان هذا الخطاب لأهل الكتاب فالمؤمنين أولى بالعمل به. ولذا كان النبي ﷺ يسأل ربه دوما الثبات على الدين والطاعة كما في حديث جابر رضي الله عنه:" كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك قلنا يا رسول الله تخاف علينا وقد آمنا بك فقال إن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يقول به هكذا."(٢)

قال الأمام البيهقي رحمه الله:" قال الشيخ رحمه الله ــ أبو الفضل الأنصاري ــ وقوله بين أصبعين من أصابع الرحمن أراد به كون القلب تحت قدرة الرحمن وقد أثنى الله عز وجل ربنا على الراسخين في العلم الذين يقولون ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا ﴾ [آل عمران:٨] وفيه وفي السنة دلالة على أن الله تعالى إن شاء هداهم وثبتهم وإن شاء أزاغ قلوبهم وأضلهم نعوذ بالله من زيغ القلوب."(٣)

وقال تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة:٥] قال الطبري رحمه الله:" فإن قال لنا قائل وما وجه تأويل من وجه قوله ومن يكفر بالإيمان إلى معنى ومن يكفر بالله قيل وجه تأويل ذلك كذلك: أن الإيمان هو التصديق بالله وبرسله وما ابتعثهم به من دينه والكفر جحود ذلك قالوا فمعنى الكفر بالإيمان هو جحود الله وجحود توحيده."(٤) وهذا هو قول القلب.

٢ــ التكذيب أو الشك في رسالة محمد ﷺ وجحد عموم رسالته ، وختمه ﷺ للنبوة

قال الشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله في مسائل الجاهلية:" وأهم ما فيها وأشده خطرا عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول ﷺ فإن انضاف إلى ذلك استحسان دين الجاهلية والإيمان به تمت الخسارة والعياذ بالله تعالى كما قال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [العنكبوت:٥٢]"(٥) وقال الله تعالى:﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ

---

(١) التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج١١ صــ ٦٠، وانظر تفسير القرطبي ج٥ صــ ٥١٤ ، و تفسير ابن كثير ج١ صــ ٥٦٧

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين كتاب التفسير ج٢ صــ ٣١٧ حديث رقم ٣١٤٠

(٣) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث / الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي / دار الآفاق الجديدة / بيروت /١٤٠١هــ / الطبعة: الأولى / تحقيق: أحمد عصام الكاتب / صــ ١٥٢

(٤) تفسير الطبري ج٦ صــ ١١٠

(٥) مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية / محمد بن عبد الوهاب صــ ٧٥

ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ [الأحزاب:٤٠] قال الطبري رحمه الله:" ولكنه رسول الله وخاتم النبيين الذي ختم النبوة فطبع عليها فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة."(١)

قال الشيخ الألوسي رحمه الله في تفسيره:" وختم النبوة مما أجمعت الأمة عليه واشتهرت فيه الأخبار، ولعلها بلغت مبلغ التواتر المعنوي، ونطق به الكتاب على قول، ووجب الإيمان به، وأكفروا منكره."(٢)

٣ــ جحد وجوب شيء معلوم من الدين بالضرورة

كالصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج وغيرها، أو التكذيب أو الشك في شيء من أركان الإسلام الخمسة، أو أركان الإيمان الستة، أو الجنة أو النار، أو الثواب والعقاب، أو الجن أو الملائكة، أو البعث والحساب، أو عذاب القبر، أو شيء مما هو مجمع عليه ، كالإسراء والمعراج وغيرها قال تعالى:﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥] وقال الله تعالى:﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحُجُرات:١٥]

٤ــ الاعتقاد بأن الرسول ﷺ كتم شيئاً مما أوحى الله تعالى إليه وهو مأمور بتبليغه، أو بلغه لبعض المسلمين دون بعض

قال الله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٦٧] ومعلوم أن الخطاب هنا عام في التبليغ بعموم الرسالة وعام في المبلغين لا وجه لتخصيصه بفئة دون فئة أو شخص دون غيره. ومن المعلوم أيضا أن النبي ﷺ قد بلغ الرسالة كما أمر الله سبحانه وتعالى فقال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة:٣] فكيف يكون الله أكمل الدين وأتم النعمة ورسوله لم يبلغ كل ما أُمر به ؟!

٥ــ تعدى حدود الله

باعتقاد تحريم مباح معلوم من الدين بالضرورة ، كالبيع والنكاح، أو اعتقاد إباحة محرم معلوم من الدين بالضرورة، كالقتل والزنا والربا أو إعطاء غير الله تعالى حق الأمر والنهي، وحق التحليل والتحريم، وحق التشريع، أو اعتقاد جواز الاحتكام إلى غيره تعالى قال سبحانه ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ

(١) تفسير الطبري ج٢٢ صـــ ١٦

(٢) روح المعاني / الألوسي ج٢٢ صـــ ٣٤

ٱلۡعَـٰبِدُونَ ٱلۡحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلۡأَمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[التوبة:١١٢]

٦ــ الإيمان بشريعة غير الإسلام، واعتقاد صلاحيتها للبشر والعمل بها وتطبيقها

قال الله تعالى:﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٣٧] وإن كان هذا خطاب لليهود والنصارى فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. وقال سبحانه في حق اليهود:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡۗ قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[البقرة:٩١]

٧ــ الاعتقاد بأن البعض يسعه الخروج عن شريعة الإسلام

وأنه يجوز للشخص أن يلتزم بدين آخر غير الإسلام قال تعالى:﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ﴾ ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [النور٤٧:٥١] وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾[النساء:٦٥] فقوله سبحانه تعالى:(ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا) يستلزم رضى القلب بهذا الحكم والرضى عمل من أعمال القلب يعتمد على التصديق بأن هذا هو الدين الحق والحكم العدل.

٨ــ الرضا بالكفر، أو العزم على الكفر، أو تعليق الكفر بأمر مستقبل

قال الله تعالى:﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾[النحل:١٠٦] قال الدمياطي: رحمه الله "(قوله حالا أو مآلا) يعني أن العزم على الكفر يقطع الإسلام سواء عزم أن يكفر حالا أو عزم أن يكفر غدا ومثل العزم على الكفر التردد فيه فيكفر به أيضا (قوله فيكفر به حالا) أي فيكفر بعزمه على الكفر في المآل أي المستقبل حالا."(١)

٩ــ إنكار شيء من القرآن، أو اعتقاد زيادة فيه، أو الاعتقاد أن للقرآن ظاهراً وباطناً، وأن باطنه يخالف ظاهره، وأن هذا الباطن مخصوص للبعض دون بعض، أو التكذيب بشيء منه

---

(١) حاشية إعانة الطالبين / الدمياطي ج٤ صـــ ١٣٣

قال ابن حجر رحمه الله:" ونقل ابن التين عن بعضهم أن معنى قوله ولو كنت متخذا خليلا لو كنت أخص أحدا بشيء من أمر الدين لخصصت أبا بكر، قال: وفيه دلالة على كذب الشيعة في دعواهم أن النبي ﷺ كان خص عليا بأشياء من القرآن وأمور الدين لم يخص بها غيره."(١)

وقال ابن حزم رحمه الله:" قول الإمامية كلها قديما وحديثا أن القرآن مبدل زيد فيه ما ليس منه ونقص منه كثير وبدل منه كثير حاشا علي بن الحسن بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب وكان إماميا يظاهر بالاعتزال مع ذلك فانه كان ينكر هذا القول، ويكفر من قاله، وكذلك صاحباه أبو يعلى ميلاد الطوسي وأبو القاسم الرازي."(٢)

١٠ــ اعتقاد وجوب سب الصحابة أو اعتقاد كفرهم

قال القرطبي رحمه الله:"(أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)(٣) فاستدل بهذا الروافض والإمامية وسائر فرق الشيعة على أن النبي ﷺ استخلف عليا على جميع الأمة حتى كفر الصحابةَ الإماميةُ قبحهم الله؛ لأنهم عندهم تركوا العمل الذي هو النص على استخلاف علي، واستخلفوا غيره بالاجتهاد منهم. ومنهم من كفر عليا إذ لم يقم بطلب حقه وهؤلاء لا شك في كفرهم وكفر من تبعهم على مقالتهم."(٤) وإنما يكفر هؤلاء لتكفيرهم للصحابة الذين شهد لهم القرآن والنبي ﷺ بالعدالة قال الخطيب البغدادي رحمه الله:" عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم في نص القرآن فمن ذلك قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠] وقوله:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة:١٤٣] وهذا اللفظ وان كان عاما فالمراد به الخاص، وقيل وهو وارد في الصحابة دون غيرهم وقوله:﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨] وقوله تعالى:﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[التوبة:١٠٠] ثم ذكر الشيخ رحمه الله عدد من الآيات وقال بعدها في آيات يكثر إيرادها ويطول تعدادها. ثم أورد الشيخ الأحاديث فقال ووصف رسول الله ﷺ الصحابة مثل ذلك، وأطنب في تعظيمهم، وأحسن الثناء عليهم، فمن الأخبار المستفيضة عنه في هذا المعنى عن عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال (خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين

---

(١) فتح الباري / ابن حجر ج٧ صــ ١٤ والألفاظ من حديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الصلاة باب الخوخة والممر في المسجد ج١ صــ ١٧٨ حديث رقم ٤٥٥ والإمام مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة رضى الله تعالى عنهم باب من فضائل أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ج٤ صــ ١٨٥٦ حديث رقم ٢٣٨٣

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل / ابن حزم ج٤ صــ ١٣٩

(٣) سبق تخريجه انظر صــ ٢٦٩

(٤) تفسير القرطبي ج٧ صــ ٢٧٧

يلونهم ثم يجيء قوم تسبق إيمانهم شهادتهم ويشهدون قبل أن يستشهدوا)[١] ثم أورد رحمه الله عددا من الأحاديث في ذلك ثم قال والأخبار في هذا المعنى تتسع وكلها مطابقة لما ورد في نص القرآن وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة والقطع على تعديلهم ونزاهتهم، فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم المطلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق. على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه، لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين، القطع على عدالتهم والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء."[٢]

صيانة القرآن وحفظ الله له من التحريف وكفر من اعتقد خلاف ذلك

وقد أجمع المسلمون جميعا، وعلى رأسهم أهل السنة والجماعة، على صيانة القرآن الكريم من التحريف والزيادة والنقص، وعلى أنه محفوظ بحفظ الله له، لقوله تعالى:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩] والسنة الصحيحة التي نقلتها للأمة كتب الثقات من الحفاظ وعلماء الحديث ليس فيها رواية واحدة صحيحة أو حديث واحد تخالف هذا، بل كل الأحاديث المعتمدة عند أهل السنة تؤكد أن القرآن محفوظ من أي تغيير أو تبديل أو تحريف. بل إن علماء أهل السنة أجمعوا على أن من اعتقد أن القرآن فيه زيادة أو نقص فقد خرج من دين الإسلام، وهذه العقيدة عند أهل السنة من الشهرة والتواتر بحيث أنها لا تحتاج إلى من يقيم أدلة عليها، بل إن هذه العقيدة من المتواترات عند المسلمين.

وأهل السنة مجمعون على أن القرآن لم يحدث فيه أي تبديل ولا نقص منه ولا زيد فيه، خلافًا للرافضة القائلين أن القرآن قد غُير وبُدل وخُولف بين نظمه وترتيبه، فالقرآن جُمع بمحضر من الصحابة رضي الله عنهم، وأجمعوا عليه ولم ينكر منكر ولا رد أحد من الصحابة ذلك ولا طعن فيه.

أمثلة على كفر من أنكر خبرا في القرآن

١ــ براءة عائشة رضي الله عنها التي ثبتت في سورة النور في حديث الإفك فقد كفر قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[النور:١١] قال ابن كثير رحمه الله:" هذا وعيد من الله تعالى للذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات خرج مخرج الغالب فأمهات المؤمنين أولى بالدخول في هذا من كل محصنة، ولا سيما التي كانت سبب النزول وهي عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما. وقد أجمع العلماء رحمهم الله

(١) سبق تخريجه انظر صــ ١٢١

(٢) انظر الكفاية في علم الرواية / أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي / المكتبة العلمية / المدينة المنورة / تحقيق: أبو عبد الله السورقي ، إبراهيم حمدي المدني / ج١ صـــ ٤٦ ــ ٤٩ باختصار كبير

قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية فإنه كافر لأنه معاند للقرآن."[1]

٢ـ سب أبا بكر أو عمر رضى الله عنهما قال ابن حجر الهيثمي رحمه الله:" ونقل بعضهم عن أكثر العلماء أن من سب أبا بكر وعمر كان كافرا."[2] وذلك للنصوص الواردة في القرآن والسنة على عدالتهم؛ والسب لا يكون إلا لغير العدل فكأن من سبهم نفي تعديل القرآن لهم فكذب القرآن.

٣ـ من اعتقد أن اليهود أو النصارى على صواب وتعامل معهم على أن دينهم الذي بين يديهم حق منزل من الله فقد كذب القرآن؛ لأن آيات القرآن في كفرهم وتحريفهم لدين الله واضحة جلية. وقول النبي ﷺ:" والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار."[3]

وأقوال العلماء في إثبات كفر المكذب أو المنكر لشيء من القرآن أكثر من أن أجمعها في هذا البحث أذكر منها: ـ

* قال ابن حزم رحمه الله:" بل الجحد لشيء مما صح البرهان أنه لا إيمان إلا بتصديقه كفر، والنطق بشيء من كل ما قام البرهان أن النطق به كفر كفر، والعمل بشيء مما قام البرهان بأنه كفر كفر."[4] إلا أنه رحمه الله قيد ذلك بقيد جميل عند النطق فقال:" إن الإقرار باللسان دون عقد القلب لا حكم له عند الله عز وجل؛ لأن أحدنا يلفظ بالكفر حاكيا وقارئا له في القرآن فلا يكون بذلك كافرا حتى يقر أنه عقده."[5]

* وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:" ولأن التصديق التام القائم بالقلب مستلزم لما وجب من أعمال القلب والجوارح، فإن هذه من لوازم الإيمان التام وانتفاء اللازم دليل على انتفاء الملزوم."[6]

* وقال الألوسي رحمه الله:" و لا نزاع في كفر من لم يصدق بما أنزل الله تعالى."[7]

ثانيا : ـ المكفرات الاعتقادية لعمل القلب

---

(١) تفسير ابن كثير ج٣ صـ ٢٧٧، وانظر تفسير القرطبي ج١٢ صـ ٢٠٥، وأحكام القرآن / ابن عربي ج٣ صـ ٣٦٦

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر / ابن حجر الهيثمي ج٢ صـ ٩٤٣

(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته ج١ صـ ١٣٤ حديث رقم ١٥٣

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل / ابن حزم ج٣ صـ ١١٩

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل / ابن حزم ج٣ صـ ١١٦

(٦) شرح العقيدة الطحاوية / ابن أبي العز الحنفي ج١ صـ ٣٨١ وانظر مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٧ صـ ١٢٢

(٧) روح المعاني / الألوسي ج٦ صـ ١٤٥

وأما عمل القلوب فلم أجد تعريفا له وضابطا يضبطه سوى ما أدرجه العلماء من الأعمال التي جاءت تحت هذا المسمى. لذا نجد علماء السلف ــ كما سيأتي لاحقا ــ منهم من ذكر عددا منها أوصلها إلى أربعة وعشرين عملا كابن حجر، ومنهم من ذكر جزءا منها دون ذكر العدد.

وقبل الشروع في الحديث عنها وما يؤدي منها إلى الكفر رأيت من المناسب أن أوضح أمرا وهو التميز بين حديث النفس، والهم بالقلب دون الفعل، وتحقق العمل لنرَ متى يؤاخذ الإنسان بأعمال قلبه ومتى يكون ملاما أو معذورا.

التميز بين عمل القلب والهم دون الفعل (حديث النفس)

وإنما سمَّي القلب كذلك لأنه كما قال شهاب الدين المصري رحمه الله:" القلب الفؤاد سمي قلبا لتقلبه بالخواطر والعزوم، وهو محل العزم والفكر والعلم والقصد."[١]

وقال شيخ الإسلام رحمه الله:" والقلب هو الملك الذي تصدر الأقوال والأفعال عنه، فإذا لم يعلم ما يقول لم يكن ذلك صادرا عن القلب بل يجري مجرى اللغو."[٢] وقال رحمه الله:" وحديث النفس ليس إرادة جازمة."[٣]

فالعمل قبل أن يصبح عملا مكتوبا في صحيفة المرء له مراحل يمر بها فيكون للنفس حديثا أو خاطرة، ثم تكون بعد ذلك فكرة مع رغبة، ثم تصبح عزما مقرونا بالهم بالفعل، ثم فعلا قال أبو بحر المرسي[٤] : ــ

والقلبُ يرغبُ أن يصير ساعداً ليفوزَ بالآمال منْ ضماتهِ
حتى إذا هامَ الكرى بجفونِه وامتدَّ في عَضديّ طوعَ سناتِهِ
عَزَمَ الغرامُ عليّ في تقبيلِهِ فجعلتُ أبدي الطوعَ عن عزماتِهِ

---

(١) التبيان في تفسير غريب القرآن / شهاب الدين المصري صــ ٥٥

(٢) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج١٤ صــ ١١٦

(٣) الزهد والورع والعبادة / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية / مكتبة المنار / الأردن / ١٤٠٧هــ / الطبعة: الأولى/ تحقيق: حماد سلامة ، محمد عويضة / صــ ١٧٦

(٤) صفوان بن إدريس أبو بحر المرسي الكاتب البليغ كان من الأولياء واعيان الرؤساء فصيحا جليل القدر له رسائل بديعة وكان من الفضل والدين بمكان توفي وله سبع وثلاثون سنة (انظر الوافي بالوفيات / صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي / دار إحياء التراث / بيروت / ١٤٢٠هــ ــ ٢٠٠٠م / تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى / ج١٦ صــ ١٨٧)

و أبَى عفافي أن أقبلَ ثغرهُ والقَلْبُ مطويٌّ على جمراتهِ [١]

قال الإمام الطحاوي رحمه الله:" ونظم بعض مراتب القصد فقال :

مراتب القصد خمسٌ هاجسٌ فخاطرٌ فحديثُ النفس فاستمعا

يليه همٌ فعزمٌ كلها رُفعت سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقعا

فالهاجس هو الذي يمر على القلب ولا يمكث، والخاطر الذي يتردد ترددا ما، وحديث النفس ما تتكلم به، والهم الإرادة والعزم التصميم والذي يكتب في العزم على السيئة إثم العزم لا فعل المعصية، والعلامة للملائكة على العزم على الحسنة رائحة طيبة وعلى السيئة رائحة خبيثة أفاده بعض المشايخ."[٢]

وقال المناوي رحمه الله:" وحديث النفس وهو ما كان في اليقظة كأن يكون في أمر مهم أو عشق صورة فيرى ما يتعلق به من ذلك الأمر أو معشوقه في النوم، وهذا لا عبرة به وتخويف من الشيطان بأن يريه ما يحزنه."[٣] وبعض الأحلام تسمى حديث نفس كما ورد في الحديث:" والرؤيا ثلاث فرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما تحدث المرء نفسه."[٤]

حكم حديث النفس

وحكم حديث النفس كما في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه:" قال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تكلم به."[٥]

والشارع لم يرتب المؤاخذة إلا على ما يكسبه القلب من الأقوال والأفعال الظاهرة كما قال تعالى:﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٥] ولم يؤاخذ على أقوال وأفعال لم يعلم بها القلب و لم يتعمدها، و كذلك ما يحدث به المرء نفسه لم يؤاخذ منه إلا بما قاله أو فعله،

---

(١) الوافي بالوفيات / صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ج١٦ صـ ١٨٧

(٢) حاشية على مراقي الفلاح / الطحاوي ج١ صـ ٤٣٨، وانظر تفسير البحر المحيط / أبو حيان الأندلسي ج٣ صـ ٤٧

(٣) فيض القدير / عبد الرؤوف المناوي ج٤ صـ ٦٤

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب التعبير باب القيد في المنام ج٦ صـ ٢٥٧٤ حديث رقم ٦٦١٤ والإمام مسلم في صحيحه كتاب الرؤا باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقرج٤ صـ ١٧٧٣ حديث رقم ٢٢٦٣

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الأيمان والنذور باب إذا حنث ناسيا في الأيمان ج٦ صـ ٢٤٥٤ حديث رقم ٦٢٨٧ والإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقرج١ صـ ١١٦ حديث رقم ١٢٧

و قال قوم إن الله قد أثبت للقلب كسبا فقال بما كسبت قلوبكم فليس لله عبد أسر عملا أو أعلنه من حركة في جوارحه أو هم في قلبه إلا يخبره الله به و يحاسبه عليه ثم يغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء."(١)

قال النووي رحمه الله:" فأما الخواطر وحديث النفس إذا لم يستقر ويستمر عليه صاحبه فمعفوٌ عنه باتفاق العلماء؛ لأنه لا اختيار له في وقوعه ولا طريق له إلا الانفكاك عنه."(٢) وبهذا قال جل علماء الأمة(٣)

ومن هنا يتضح الفرق بين حديث النفس الذي لا يؤاخذ المرء به وبين عمل القلب الذي يثاب المرء عليه، أو يترك لمشيئة الله إن شاء حاسبه أو عفا عنه إن لم يفعله، فإن فعله حوسب عليه وهو تحت المشيئة أيضا إن شاء عذب وإن شاء غفر.

فعمل القلب إذا من الأمور التي تحت التكليف وفي وسع الإنسان بين الترك أو العمل. قال ابن حجر رحمه الله:" والمراد بتقليب القلوب تقليب أعراضها وأحوالها لا تقليب ذات القلب، وفي الحديث دلالة على أن أعمال القلب من الإرادات والدواعي وسائر الأعراض."(٤) ومن هنا تبرز أهمية أعمال القلب في نقل الإنسان ما بين الكفر والإيمان. لذا قال شيخ الإسلام رحمه الله:" فان دخول أعمال القلب في الإيمان أولى من دخول أعمال الجوارح باتفاق الطوائف كلها."(٥) وقال رحمه الله:" ولهذا كانت أعمال القلب المجردة أفضل من أعمال البدن المجردة، كما قال بعض السلف قوة المؤمن في قلبه وضعفه في جسمه وقوة المنافق في جسمه وضعفه في قلبه."(٦)

عدد أعمال القلب

وأعمال القلوب كثيرة ذكرها بعض العلماء متفرقة في أبواب كالتوكل والمحبة والإخلاص واليقين والخشية والخوف والرجاء وذكر بعضهم جزءا منها سردا دون شرح وحصرها ابن حجر كما أسلفت رحمه الله في أربعة وعشرين عملا فقال:" فأعمال القلب فيه المعتقدات والنيات وتشتمل على أربع وعشرين خصلة الإيمان بالله ويدخل فيه الإيمان بذاته وصفاته وتوحيده بأنه ليس كمثله شيء، واعتقاد حدوث ما

---

(١) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج١٤ صـ ١١٦

(٢) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار / محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي / دار الكتب العربي / بيروت / ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م صـ ٢٧٣

(٣) انظر كشف المشكل من حديث الصحيحين / أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي / دار الوطن / الرياض / ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م/ تحقيق: علي حسين البواب / ج٣ صـ ٤٨٨، وتفسير الثعالبي ج ٤ صـ ١٩٠، وإحياء علوم الدين / محمد الغزالي ج٣ صـ ٤٣ ، والكشاف / الزمخشري ج١ صـ٣٧٥

(٤) فتح الباري / ابن حجر ج ١١ صـ ٥٢٧ وانظر عون المعبود / شمس الحق العظيم آبادي ج٩ صـ ٦٥

(٥) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٧ صـ ٥٠٦

(٦) الفتاوى الكبرى / ابن تيمية ج١ صـ ٥ ، ٦

دونه، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره والإيمان باليوم الآخر؛ ويدخل فيه المسألة في القبر والبعث والنشور والحساب والميزان والصراط والجنة والنار ومحبة الله والحب والبغض فيه ومحبة النبي ﷺ واعتقاد تعظيمه. ويدخل فيه الصلاة عليه واتباع سنته، والإخلاص ويدخل فيه ترك الرياء والنفاق والتوبة والخوف والرجاء والشكر والوفاء والصبر والرضا بالقضاء والتوكل والرحمة، والتواضع ويدخل فيه توقير الكبير ورحمة الصغير وترك الكبر والعجب وترك الحسد وترك الحقد وترك الغضب ."(١)

وعدها الغرناطي رحمه الله عشرين فقال:" الباب السابع في المأمورات المتعلقة بالقلوب وهي عشرون الخوف من الله تعالى و الرجاء و الصبر و الشكر و التوكل و التفويض و حسن الظن بالله و التسليم والرضا بالقضاء والإخلاص والمراقبة والمشاهدة والتفكر ومعرفة الله تعالى والتوحيد واليقين ومحبة الله تعالى والتواضع والحياء وسلامة الصدر للمسلمين."(٢)

وقال ابن منده رحمه الله:" فمن أفعال القلوب النيات والإرادات والعلم والمعرفة بالله وبما أمر به والاعتراف له والتصديق به وبما جاء من عنده والخضوع له ولأمره والإجلال والرغبة إليه والرهبة منه والخوف والرجاء والحب له ولما جاء من عنده والحب والبغض فيه والتوكل والصبر والرضاء والرحمة والحياء والنصيحة لله ولرسوله ولكتابه واخلاص الأعمال كلها مع سائر أعمال القلب."(٣)

وسأذكر من هذه الأعمال ما يخرج الإنسان به من دائرة الإيمان إلى الكفر إذ أن بعضها ليس كذلك، وسأورد نماذج منها باختصار في الختام إتماما للفائدة، ولكي يحرص المسلم على عدم الوقوع فيها خشية أن تتأصل في قلبه؛ فيهون عليه بعد ذلك الإقدام على ما يهلك من أعمال القلوب فمعظم النار من مستصغر الشرر.

أولا : ــ شرك النية والإرادة والقصد والعزم

تعريف النية

وجل علماء المسلمين على أن النية في الشرع هي:" قصد الشيء مقترنا بفعله."(٤) وقال ابن عابدين رحمه الله في تعريفها:" النية بالتشديد وقد تخفف وهي لغة عزم القلب على الشيء، واصطلاحا كما في التلويح قصد الطاعة والتقرب إلى الله تعالى في إيجاد الفعل."(٥) وتعريف ابن عابدين مقتصر على النية

---

(١) فتح الباري / ابن حجر ج ٣ صـــ ٥٢

(٢) القوانين الفقهية / محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي / دار الفكر للطباع والنشر والتوزيع / لبنان / بيروت / الطبعة: طبعة جديدة منقحة / ١٤٢٠هـــ ـــ ٢٠٠٠م / صـــ ٣٧١ ، ٣٧٢ باختصار كبير جدا

(٣) الإيمان / محمد بن إسحاق بن يحيى بن مندة / مؤسسة الرسالة / بيروت / ١٤٠٦هـــ / الطبعة: الثانية / تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي / ج١ صـــ ٣٦٢

(٤) انظر حاشية إعانة الطالبين / أبو بكر الدمياطي ج١ صـــ ٣٧، الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع / الخطيب الشربيني ج١ صـــ ٣٨ ، حاشية الجمل على المنهج زكريا الأنصاري ج١ صـــ ٣٣٠ ، وحاشية العدوي ج١ صـــ ٣٩٠، غمز عيون البصائر / ابن نجيم الحنفي ج٤ صـــ ٧٩، وحاشية قليوبي ج١ صـــ ١٥٩

(٥) حاشية ابن عابدين ج١ صـــ ١٠٥

الصحيحة الصادقة التي تسبق الفعل، فخالف بذلك تعريف السابقين إذ جعل العمل مفصولا عنها وهو الصواب ولكن لو عمم لتدخل النية الصالحة وغيرها لكان أصوب.

والتعريف الذي أرجحه تعريف النووي رحمه الله حيث قال:" قصد الشيء والعزيمة على فعله.[١] وقريبا منه قول القرافي رحمه الله في الذخيرة:" هي قصد الإنسان بقلبه ما يريده بفعله فهي من باب العزوم والإرادات لا من باب العلوم والاعتقادات."[٢] وذلك لأن التعريف الأول يقرن النية بالعمل والثاني يجعل العمل جزءا مستقلا عنها، ويؤيد ذلك حديث الصحيحين عن ابن عباس عن النبي ﷺ فيما روى عن ربه عز وجل:" إن الله عز وجل كتب الحسنات والسيئات ثم بيَّن ذلك. فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها وعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة. ومن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة."[٣] فلو كانت النية مقترنة بالعمل ما كان لكلٍ أجر منفصل.

النية عمل من أعمال القلب

وعلماء المسلمين على أن النية عمل من أعمال القلب، وقال البعض مكانها القلب ولا منافاة بين القولين. قال السيوطي رحمه الله:" أو عمل من أعمال القلب من نية صادقة أو خوف من الله أو شفقة على مسكين."[٤]

ولذلك جل علماء السلف رحمهم الله على عدم وجوب التلفظ بها في العبادة. بل عده بعض العلماء من البدع.[٥]

---

(١) مواهب الجليل لشرح مختصر خليل / محمد بن عبد الرحمن المغربي أبو عبد الله / دار الفكر / بيروت / ١٣٩٨ هـ / الطبعة: الثانية / ج١ صـ ٣٣٠

(٢) الذخيرة / شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي / دار الغرب / بيروت / ١٩٩٤م / تحقيق: محمد حجي / ج١ صـ ٣٤٠

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الرقاق باب من هم بحسنة أو بسيئة ج٥ صـ ٢٣٨٠ حديث رقم ٦١٢٦ والإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمانباب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب ج١ صـ ١١٨ حديث رقم ١٣١

(٤) الديباج على مسلم / عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي / دار ابن عفان / الخبر/ السعودية / ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦م / تحقيق: أبو إسحاق الحويني الأثري / ج١ صـ ٢٤٠، وانظر مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج١٨ صـ ٢٦٣، و مواهب الجليل لشرح مختصر خليل / محمد المغربي ج٢ صـ ٤٨٣ ، وتفسير القرطبي ج٣ صـ ٤٢٩

(٥) انظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح / محمد القاري ج١ صـ ٩٤ ، وانظر مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٢٢ صـ ٢١٩ ، منار السبيل / ابن ضويان ج١ صـ ٣٦

مكانة النية في الإسلام

ولأن النية من أعمال القلب، والعمل من أفعال الجوارح. وبما أن القلب أشرف من الجارحة، فما يصدر من القلب أيضا أشرف مما يصدر من الجارحة. لذا فإن للنية مكانة عظيمة في الإسلام؛ فهي التي تحدد هدف العمل الذي يعمله الإنسان هل هو لله وحده، أم لله و لغيره، أم لغير الله قال الله تعالى:﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البيّنة:٥] وقال النبي ﷺ:" إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى."[(١)] وهى أهم مرتكزات الدين بل من أسلم ونطق بالشهادة وليس في نيته الإسلام، وإن حكمنا بإسلامه ظاهرا فهو عند الله منافقا خالصا في الدرك الأسفل من النار. وقد شدد عليها علماء السلف في كل الأعمال وصنفوا لها الأبواب في كتبهم. إذ لا ينفع عمل بلا نية فكيف إذا كان هذا العمل من أعمال القلب الذي هو ملاك الجوارح وآمرها وناهيها. قال العجلوني رحمه الله:" وقد نظمها طاهر بن مفوز الاشبيلي ــ وقيل الإمام الشافعي ــ بقوله:

عمدة الدين عندنا كلمات ... أربع من كلام خير البرية

إتق الشبهات وازهد ودع ... ما ليس يعنيك واعملن بنية"[(٢)]

قال الصاوي رحمه الله:" (والنية الحسنة روح العمل) أي فصور الأعمال كالأجساد والنية الحسنة روحها. فكما أن الجسم لا قوام له بدون روحه كذلك لا قوام لصور الأعمال الصالحة بدون حسن النية، والدليل على ذلك قول ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) ولربما قلبت المعصية طاعة؛ وذلك كالكذب فإنه معصية، وتقلبه النية الحسنة طاعة؛ فتارة يكون واجبا كما في الكذب للتخلص من المهالك، وتارة يكون مندوبا كما في الكذب للإصلاح بين المتشاحنين، وهذا قلب لحقيقتها حال وقوعها وتارة يكون قلبها بعد وقوعها بوصف العصيان كما إذا أورثته أحزانا وإقبالاً وندما وأسفا وهو معنى قول صاحب الحكم رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزاً واستكبارا."[(٣)]
وكل عمل لا يراد به وجه الله فهو مردود على صاحبه لحديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:" إذا كان يوم القيامة جيء بالأعمال في صحف مختَّمة، فيقول تبارك وتعالى: اقبلوا

---

(١) سبق تخريجه انظر صـــ ٢٧٨

(٢) كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس / إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي / مؤسسة الرسالة / بيروت / ١٤٠٥هــ / الطبعة: الرابعة / تحقيق: أحمد القلاش / ج١ صـــ ١١

(٣) بلغة السالك لأقرب المسالك / أحمد الصاوي ج٤ صـــ ٤٤٩ ، ٤٥٠

هذا ودعوا هذا. فتقول الملائكة: وعزتك ما كتبنا إلا ما عمل. قال: صدقتم. إن عمله كان لغير وجهي فإني لا أقبل اليوم إلا ما كان لوجهي."(١)

والإنسان يؤجر على النية الصالحة ولو لم يفعلها ويأثم على النية الفاسدة ولو لم يعملها لحديث أبو كبشة الأنماري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:" إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقا. فهذا بأفضل المنازل. وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا، فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان فهو نيته فأجرهما سواء. وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقا، فهذا بأخبث المنازل. وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان، فهو نيته فوزرهما سواء."(٢)

كيف يكون شرك النية

قال ابن القيم رحمه الله:" وأما الشرك في الإرادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقل من ينجو منه؛ فمن أراد بعمله غير وجه الله ونوى شيئا غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيته وإرادته، والإخلاص أن يخلص لله في أفعاله وأقواله وإرادته ونيته وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم، ولا يقبل من أحد غيرها وهى حقيقة الإسلام كما قال تعالى:﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥] وهى ملة إبراهيم عليه السلام التي من رغب عنها فهو من أسفه السفهاء."(٣)

ومما ينبغي التأكيد عليه والتنبه له هنا أنه لا بد من التفريق بين شرك الإرادة المستوجب للشرك الأكبر والخلود في النار، وبين الشرك الأصغر المستوجب لحبوط العمل، وإن لم يكن مخرجاً من الملة. قال شيخ الإسلام رحمه الله:" ومن لم يكن مخلصاً لله عبداً له قد صار قلبه مستعبداً لربه وحده لا شريك له بحيث يكون هو أحب إليه مما سواه، ويكون ذليلاً خاضعاً له وإلا استعبدته الكائنات، واستولت على قلبه الشياطين، وكان من الغاوين إخوان الشياطين، وصار فيه من السوء والفحشاء ما لا يعلمه إلا الله، وهذا أمر ضروري لا حيلة فيه. فالقلب إن لم يكن حنيفا مقبلا على الله معرضا عما سواه وإلا كان مشركا قال تعالى:﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ج٦ صـــ ١٨٣ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد باب ما جاء في الحساب ج١٠ صـــ ٣٥٠ وقال رجاله رجال الصحيح

(٢) رواه الإمام الترمذي في سننه كتاب الزهد باب ما جاء أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ج٤ صـــ ٥٦٢ حديث رقم ٢٣٢٥ وقال حديث حسن صحيح وصححه الإمام الألبني

(٣) الجواب الكافي / ابن القيم ج١ صـــ ٩٤

ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم:٣٠] إلى قوله تعالى: ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم:٣٢]"[1]

والضابط الفارق في ذلك هو النظر إلى النية والباعث على العمل، ومدى الإخلاص في أداءها فمن كان عمله إتباعا للهوى مطلقاً وإرادة الدنيا أصلاً كان مشركاً شركاً أكبر، ومن كان الباعث له على العمل حب الله وابتغاء رضوانه والدار الآخرة لكن دخل مع ذلك العمل حب الجاه أو جمع المال أو التقرب إلى ذي سلطان أو نحو ذلك من أسباب الرياء كان مشركاً شركاً أصغر؛ و هو الذي حذر منه عليه النبي ﷺ بقوله:" إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر. قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء. يقول الله يوم القيامة إذا جُزي الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟"[2]

وقال ﷺ:" قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه."[3]

يقول الغرناطي رحمه الله:" فأما المأمورات فالإخلاص فيها عبارة عن خلوص النية لوجه الله بحيث لا يشوبها بنية أخرى، فإن كانت كذلك فالعمل خالص مقبول، وإن كانت النية لغير وجه الله من طلب منفعة دنيوية أو مدح أو غير ذلك فالعمل رياء محض مردود، وإن كانت النية مشتركة ففي ذلك تفصيل فيه نظر واحتمال."[4] فتأمل قول الشيخ رحمه الله فيه نظر واحتمال أي احتمال إلى خروجه من دركة الشرك الأصغر وهو الرياء إلى دركة الشرك الأكبر والعياذ بالله.

ثانيا : ـــ شرك المحبة

وهو أن يحب مع الله غيره كمحبته لله أو أشد من ذلك، قال تعالى مبيناً حال المشركين في هذا الباب:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [البقرة:١٦٥] فسماهم أنداداً من دون الله.

(١) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج١٠ صـــ ٢١٦ ، ٢١٧

(٢) مسند الأمام أحمد ج٥ صـــ ٤٢٨ حديث رقم ٢٣٦٨٠ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد باب في قوله: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ونحو هذا) ج١ صـــ ١٠٢ رجاله رجال الصحيح وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ج٢ صـــ ٦٣٤ حديث رقم ٩٥١

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الزهد والرقائق باب من أشرك في عمله غير الله وفي نسخة باب تحريم الرياء ج٤ صـــ ٢٢٨٩ حديث رقم ٢٩٨٥

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل / الغرناطي ج٤ صـــ ٢١٢

ومن أهل الشرك من يجعل لله تعالى مساوياً ومثيلاً يحبه كمحبته لله، وربما يزيد على ذلك، ويختلف المشركون في قدر محبتهم لمعبودهم من دون الله، ولكن المؤمنون يحبون الله أشد من محبة أهل الشرك لله ولما يعبدونه من دون الله. فإذا كان من أحب غير الله فوق محبة رسول الله ﷺ قال فيه ﷺ كما في حديث أنس رضي الله عنه:" لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين."(١) فنفى عنه الإيمان، فكيف بمن أحب غير الله فوق محبة الله.

وحقيقة المحبة أن يُحَب الشيء وما يحبه، ويكره ما يكرهه، فالمشرك يحب آلهته من صنم ووثن أو قبر وضريح، فيغضب إذا امتهنت وأهينت أشد من غضبه لله، ويسر لها أشد من سروره لله، وذلك لأنه يحب غير الله أشد من حبه لله .

قال شيخ الإسلام رحمه الله:" فمعلوم أن أصل الإشراك العملي بالله الإشراك في المحبة قال تعالي (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ) فأخبر أن من الناس من يشرك بالله فيتخذ أندادا يحبونهم كما يحبون الله وأخبر أن الذين آمنوا أشد حبا لله من هؤلاء. والمؤمنون أشد حبا لله من هؤلاء لأندادهم ولله فإن هؤلاء أشركوا بالله في المحبة، فجعل المحبة مشتركة بينه وبين الأنداد. والمؤمنون أخلصوا دينهم لله الذي أصله المحبة لله فلم يجعلوا لله عدلا في المحبة، بل كان الله ورسوله أحب إليهم مما سواهما، ومحبة الرسول هي من محبة الله وكذلك كل حب في الله وهو الحب لله ."(٢)

والمحبة تقتضي عدم مخالفة المحبوب، فبقدر ورود المخالفة للمحبوب يكون نقص المحبة له قال الله تعالى:﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران:٣١] قال ابن القيم رحمه الله في أقسام المحبة:" وههنا أربعة أنواع من الحب يجب التفريق بينها، وإنما ضل من ضل بعدم التمييز بينها. أحدها: محبة الله ولا تكفي وحدها في النجاة من عذابه والفوز بثوابه؛ فان المشركين وعباد الصليب واليهود وغيرهم يحبون الله. الثاني: محبة ما يحب الله، وهذه هي التي تدخله في الإسلام وتخرجه من الكفر، وأحب الناس إلى الله أقومهم بهذه المحبة وأشدهم فيها. الثالث: الحب لله وفيه، وهي من لوازم محبة ما يحب الله ولا يستقيم محبة ما يحب الله إلا بالحب فيه وله. الرابع: المحبة مع الله؛ وهى المحبة الشركية وكل من أحب شيئا مع الله لا لله ولا من أجله ولا فيه فقد اتخذه ندا من دون الله، وهذه محبة المشركين وبقى قسم خامس ليس مما نحن فيه وهى المحبة الطبيعية وهي ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه كمحبة العطشان للماء والجائع للطعام

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة ج١ صـــ ٦٧ حديث رقم ٤٤

(٢) قاعدة في المحبة / أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس / مكتبة التراث الإسلامي / القاهرة / تحقيق: د. محمد رشاد سالم / صـــ ٦٩

ومحبة النوم والزوجة والولد فتلك لا تذم إلا إن ألهت عن ذكر الله وشغلته عن محبته كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [المنافقون:٩] وقال تعالى: ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [النور:٣٧]"[١]

وقال رحمه الله:" والفرق بين الحب في الله والحب مع الله وهذا من أهم الفروق وكل أحد محتاج بل مضطر إلى الفرق بين هذا وهذا؛ فالحب في الله هو من كمال الإيمان والحب مع الله هو عين الشرك."[٢]

قال شيخ الإسلام رحمه الله:" وأبو طالب وإن كان عالما بأن محمد رسول الله وهو محب له فلم تكن محبته له كمحبة الله، بل لأنه ابن أخيه فيحبه للقرابة، وإذا أحب ظهوره فلما كان يحصل له به من الشرف والرياسة فأصل محبوبه الرياسة، ولهذا لما عرض عليه النبي ﷺ الشهادة عند الموت أحب دينه أكثر من دين ابن أخيه فلم يقر به لئلا يزول عن دينه، فلو كان حبه كحب أبي بكر رضي الله عنه وغيره من المؤمنين لنطق بالشهادتين قطعا، فلهذا كان حبه حبا مع الله لا حبا لله فلم يقبل الله منه مع ما فعله مع الرسول من نصرته ومؤازرته؛ لأنه لم يعمله لله بخلاف أبي بكر الذي فعله ابتغاء وجه ربه الأعلى."[٣]

ومما يندرج تحت هذه المحبة الفاسدة : ـ

* حب الأعداء قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة:١] وقال تعالى:﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢]

* وكذلك حب المسلمين في الظاهر وبغضهم في الباطن قال تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾ [البقرة:٢٠٤]

---

(١) الجواب الكافي / ابن القيم صـــ ١٣٤

(٢) انظر الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة / أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٣٩٥هـــ ــ ١٩٧٥م / صـــ ٢٥٣

(٣) مختصر الفتاوى المصرية / ابن تيمية ج١ صـــ ١٣٤

* وكذلك مساواة أحد من الخلق مع الله في المحبة قال شيخ الإسلام رحمه الله:" من أحب شيئا كما يحب الله أو عظمه كما يعظم الله فقد أشرك وجعله لله ندا وإن كان يقول: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُمَر:٣] وأنهم شفعاؤنا عند الله قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥] أي يحبونهم كما يحبون الله، والذين آمنوا أشد حبا لله منهم لأنهم أخلصوا لله فلم يجعلوا المحبة مشتركة بينه وبين غيره. فإن الاشتراك فيها يوجب نقصها والله لا يتقبل ذلك كما في الحديث الصحيح يقول الله تعالى:(أنا أغني الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو كله للذي أشرك.)(١) "(٢)

ثالثا : ــ عدم الانقياد المطلق لله ولحكم رسوله ﷺ، وعدم الرضى بالحكم أو التحرج منه

وهذا الأمر هو أساس الإسلام، و بدونه ينتفي الإيمان حتى عرف بعض العلماء الإسلام بذلك قال الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله:" الإسلام الذي سمي به الدين معناه: الانقياد لله تعالى ظاهرا وباطنا والإخلاص له فيهما لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء:١٢٥] ولقوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة:١١٢] ولقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ﴾ [آل عمران:٢٠] والدين كله انقياد لله وإخلاص له ولذلك سمي إسلاما لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البيِّنة:٥]"(٣)

وقال الشيخ على القاري رحمه الله:" الإسلام وهو لغة الانقياد مطلقاً. وشرعاً الانقياد الظاهر بشرط انقياد الباطن المعبر عنه بالإيمان لقوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾ [الحُجُرات:١٤] واللام فيه للحقيقة الشرعية، ولذلك أجاب عنه بالأركان الخمسة الإسلامية."(٤)

وقال الزركشي رحمه الله:" لأن الشهادة بها ــ الشهادتين ــ اعتقادها أو الإخبار بها على وجه الانقياد ومواطأة الظاهر للباطن."(٥)

(١) سبق تخريج ما في معناه وقريبا من لفظه انظر صــ ٢٩٨

(٢) قاعدة في المحبة / ابن تيمية صــ ١٠٢ ، ١٠٣

(٣) العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية / عبد الحميد بن باديس / دار الفتح / الشارقة / الإمارات العربية / ١٤١٦هــ ــ ١٩٩٥م / الطبعة: الأولى / تحقيق: محمد الصالح رمضان / ج١ صــ ٣٥

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح / على القاري ج١ صــ ١٠٩

(٥) المنثور في القواعد / محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله / وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية / الكويت / ١٤٠٥هــ / الطبعة: الثانية / تحقيق: د. تيسير فائق أحمد محمود / ج٢ صــ ١١٨ وانظر تفسير السعدي ج١ صــ ١٢٤

وقال العسكري رحمه الله:" والدين الجزاء وفي القرآن ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤] وقيل الدين هاهنا الحساب وأصل الدين الانقياد يقال دانوا لملكهم إذا انقادوا له."(١)

وقال تعالى:﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾[النساء:٦٥] فقد نفى سبحانه الإيمان عمن لم يحكم الله ولم ينقاد له، ووجه الدلالة هو في قوله تعالى في آخر الآية نفسها و يسلموا تسليما قال الطبري رحمه الله:" (ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ) مما قضيت يقول لا يجدوا في أنفسهم ضيقا مما قضيت، وإنما معناه ثم لا تحرج أنفسهم مما قضيت أي لا تأثم بإنكارها ما قضيت وشكها في طاعتك وأن الذي قضيت به بينهم حق لا يجوز لهم خلافه."(٢)

قال شيخ الإسلام رحمه الله:" كما كان الامتناع من الانقياد مع التصديق جزء مسمى الكفر فيجب أن يكون كل مؤمن مسلما منقادا للأمر وهذا هو العمل."(٣) ويقول أيضا رحمه الله شارحا معنى الإيمان من تعريف الإمام أحمد:" فيكون تصديق القلب عنده يتضمن أنه مع معرفة قلبه أنه رسول الله قد خضع له وانقاد فصدقه بقول قلبه وعمل قلبه محبة وتعظيما، وإلا فمجرد معرفة قلبه أنه رسول الله مع الإعراض عن الانقياد له ولما جاء به إما حسدا وإما كبرا وإما لمحبة دينه الذي يخالفه وإما لغير ذلك فلا يكون إيمانا، ولابد في الإيمان من علم القلب وعمله."(٤)

وقال ابن القيم رحمه الله:" فأهل السنة مجتمعون على زوال الإيمان وانه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب و هو محبته و انقياده."(٥)

وبذا يتبين أن إفراد الله تعالى بالحكم والانقياد لشرعه هو حقيقة الإسلام، وكما قال ابن تيمية:" فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده، فمن استسلم له ولغيره كان مشركا، ومن لم يستسلم له كان مستكبرا عن عبادته، والمشرك به والمستكبر عن عبادته كافر، والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده وطاعته."(٦) قال الطوسي رحمه الله:" بل لا بد أن يتعدى ذلك إلى القلب فكل حكم لله أو لرسوله ﷺ يجب على الإنسان المسلم أن يوطن نفسه ويروض فؤاده على الانشراح والسعادة والرضى بهما قال ﷺ:" لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به."(٧) لذا قال ابن القيم رحمه الله:" وأما الرضى

---

(١) جمهرة الأمثال / أبو هلال العسكري ج٢ صـ ١٦٨

(٢) تفسير الطبري ج٥ صـ ١٥٨

(٣) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٧ صـ ٢٩٢

(٤) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٧ صـ ٣٩٧

(٥) كتاب الصلاة / ابن القيم صـ ٧١

(٦) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٣ صـ ٩١

(٧) الأربعين / أبو الحسن محمد بن أسلم الطوسي / دار ابن حزم / بيروت / ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م / تحقيق: مشعل بن باني الجبرين المطيري صـ ٥١ قال ابن حجر في الفتح ج١٣ صـ ٢٨٩ أخرجه الحسن بن سفيان وغيره ورجاله ثقات وقد صححه النووي في آخر الأربعين

بدينه فإذا قال أو حكم أو أمر أو نهى رضي كل الرضى، ولم يبق في قلبه حرج من حكمه، وسلم له تسليما، ولو كان مخالفا لمراد نفسه أو هواه، أو قول مقلده وشيخه وطائفته."(١)

ولي هنا تنبه مهم وهو أن من كره وأبغض شيئاً مما جاء به النبي ﷺ من هدي وحكم فقد كفر بالله تعالى، وهو من صفات المنافقين النفاق الاعتقادي الأكبر الذي يخرج صاحبه من الإسلام، ويجعله في الدرك الأسفل من النار بنص الآيات السابقة والأحاديث وإجماع الأمة كما نقل ذلك ابن القيم. وهؤلاء المنافقون النفاق الاعتقادي موجودون في كل زمان، خاصة عند ظهور الإسلام وقوته على خصومه.

فمن كره شيئاً من شريعة الله وهدي محمد ﷺ وحكمه سواءً كان أمراً أو نهياً مما جاء به من العقائد والشرائع فقد أسرف على نفسه وعرضها لما لا طاقة له به. وهذا يصنعه كثير من منافقي العصر من العلمانيين والليبراليين ودعاة التقدم والتحضر ومن حذا حذوهم ممن اغتر بما عليه الغرب، فكرهوا الحكم بما أنزل الله كحد السرقة وجلد شارب الخمر وقتل القاتل العمد ودية المرأة نصف دية الرجل، فهؤلاء مبغضون لما جاء به رسول الله ﷺ من عند الله كفار خارجون من ملة الإسلام.

ولو عمل أحدهم بما أبغضه من شريعة الله لم ينفعه ذلك، كمن كره تعدد الزوجات مطلقاً وأبغض هذا التشريع فهو كافر بالله وإن عدد وتزوج أكثر من واحدة. ومثله من كره حكم الله وقضاءه في أن شهادة المرأتين بشهادة الرجل الواحد أو كره ما جاءت به بعض النصوص الثابتة من أخبار مغيبة بزعم أنها لا تتوافق مع العقل أو مع الواقع. قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ [محمد٨:٩] فسماهم الله تبارك وتعالى كفاراً بقوله (وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ) بسبب أنهم (كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ) ولكون الكفر لا يبقى معه من عمل الخير شيء فإنه يحبطه بالكلية قال (فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ).

وقد تجرأ كثير ممن يتسمى بالإسلام على كثير من أحكام الله، وهدي نبيه ﷺ، تصريحاً أو تلميحاً بالكراهية لها، فتنوعت أهوائهم بردها تارة بأنها ليست ملزمة، وتارة بأنها خاصة بزمان ولى وانقضى، وتارة بعدم وجود النص الصريح، وتارة بعدم التواتر، وكل هذا من محادّة الله ورسوله.

رابعا : ـــ شرك التوكل

قال تعالى: ﴿إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [آل عمران:١٢٢] وقال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾[هود:١٢٣] وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾[الفرقان:٥٨] وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾ [الأحزاب:٣] وقال تبارك تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [التغابن:١٣]

---

(١) مدارج السالكين / ابن القيم ج٢ صـــ ١٧٣

والتوكل في اللغة هو:" إظهار العجز والاعتماد على غيرك."(١) وشرعا قال المناوي رحمه الله:" التوكل الثقة بما عند الله واليأس مما في أيدي الناس."(٢) والتعريف يحمل المعنى اللغوي لأن الثقة بالله تعنى إظهار عجز الإنسان أمام قدرة الله تبارك وتعالى، وأنه لا يكون شيء إلا وفق مشيئته وإرادته، فلا يكون الاعتماد إلا عليه لأن الناس من مخلوقاته فلا يكون منهم نفعا ولا ضرا إلا بإذنه ومشيئته.

والذي عليه السلف إثبات وجوب الأخذ بالأسباب كما دل على ذلك الكتاب والسنة، ويقتضيه العقل والمنطق. فقد قال سبحانه لمريم عليها السلام:﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ [مريم:٢٥] والنخل يحتاج لهزه الأقوياء من الرجال، فكيف بامرأة قد أعياها ألم المخاض؟ وقال يعقوب لأبنائه كما قال تعالى في سورة يوسف عليه السلام:﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف:٦٧] فيعقوب عليه السلام أخذ بالأسباب ثم أظهر عجزه أمام قدرة الله سبحانه واثقا من حفظه ورعايته، وأنه سبحانه وتعالى لا يضيع من اعتمد عليه، وختمت الآية بقوله تعالى:(وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ) أي من أراد التوكل الصحيح المتحققة نتائجه فلا يكون إلا على الله وحده. لذا ضمن سبحانه للمتوكل عليه السؤدد والفلاح فقال تبارك وتعالى﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ [الطلاق:٣]

قال سليمان بن عبد الوهاب رحمه الله:" التوكل على الله عبادة، وإنه فرض، وإذا كان كذلك فصرفه لغير الله شرك قال شيخ الإسلام وما جاء أحد مخلوقاً أو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه فإنه مشرك﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾ [الحج:٣١]"(٣) وقال شيخ الإسلام رحمه الله:" ومن اعرض عن التوكل فهو عاص لله ورسوله بل خارج عن حقيقة الإيمان."(٤) وقال رحمه الله:" ومن توحيد الله وعبادته التوكل عليه والرجاء له والخوف منه فهذا يخلص به العبد من الشرك."(٥) وقال في وصف المشركين:" وهم قد جعلوا لله مالا يرضونه لأنفسهم وهذا يتناول كل من وصف الله بصفة ينزه عنها. والذين جعلوا بعض المخلوقات مماثلة له في شيء من الأشياء في عبادة له أو دعاء له أو توكل عليه ــ إلى أن قال رحمه الله ــ فلا يمثل به شيء من

(١) لسان العرب / ابن منظور ج١١ صــ ٧٣٦ وانظر مختار الصحاح / الرازي صــ ٣٠٦

(٢) التعاريف / المناوي صــ ٢١٧، وانظر التعريفات / الجرجاني صــ ٩٧

(٣) تيسير العزيز الحميد / سليمان بن عبد الوهاب صــ ٤١٨

(٤) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج١٠ صــ ٣٦

(٥) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج١ صــ ٥٣

المخلوقات في شيء من الأشياء إذ ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ولا فيما يستحقه من العبادة والمحبة والتوكل والطاعة والدعاء وسائر حقوقه."[١]

أقسام التوكل : ــ قال سليمان آل الشيخ رحمه الله:" أحدهما: التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، كالذين يتوكلون على الأموات والطواغيت في رجاء مطالبهم من النصر والحفظ والرزق والشفاعة، فهذا شرك أكبر، فإن هذه الأمور ونحوها لا يقدر عليها إلا الله تبارك وتعالى.

والثاني: التوكل في الأسباب الظاهرة العادية، كمن يتوكّل على أمير أو سلطان، فيما جعله الله بيده من الرزق أو دفع الأذى ونحو ذلك، فهذا شرك خفي."[٢]

وقال ابن القيم رحمه الله في نونيته الكافية :

لله حق لا يكون لغيره ولعبده حق هما حقان

فالحج للرحمن دون رسوله وكذا الصلاة وذبح ذي القربان

وكذا التوكل والإنابة والتقى وكذا الرجاء وخشية الرحمن[٣]

والتوكل من أصول الإيمان وقد قرنه جل وعلا في أكثر من آية فكلما زادت درجة التوكل زاد الإيمان، وكذا النقصان قال ابن القيم:" فإنه لا يستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيده، بل حقيقة التوكل توحيد القلب فما دامت فيه علائق الشرك فتوكله معلول مدخول، وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل، فإن العبد متى التفت إلى غير الله أخذ ذلك الالتفات شعبة من شعب قلبه فنقص من توكله على الله بقدر ذهاب تلك الشعبة."[٤]

وإتماما للفائدة أذكر بعض أعمال القلب التي تزيد وتنقص كما الإيمان وتؤثر فيه لكن لا تنفيه : ــ

١ــ الرياء والنفاق في الفروع (عدم الإخلاص في العبادة)

والإخلاص:" لغة ترك الرياء في الطاعات. وفي الاصطلاح تخليص القلب عن شائبة الشوب المكدر لصفاته و تحقيقه أن كل شيء يتصور أن يشوبه غيره فإذا صفا عن شوبه وخلص عنه يسمى خالصا ويسمى الفعل المخلص إخلاصا قال الله تعالى:﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا﴾ **[النحل:٦٦]** فإنما خلوص اللبن ألا يكون فيه شوب من الفرث والدم."[٥]

(١) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج ٢٧ صــ ٣٦٥ ، ٣٦٦ باختصار كبير

(٢) شرح كتاب التوحيد / سليمان آل الشيخ صــ ٤٣٩

(٣) شرح قصيدة ابن القيم / أحمد بن إبراهيم بن عيسى ج٢ صــ ٣٤٧

(٤) مدارج السالكين / ابن القيم ج٢ صــ ١٢٠

(٥) التعريفات / الجرجاني صــ ٢٨ وانظر التعاريف / المناوي صــ ٤٣

وقال الغرناطي رحمه الله: "الإخلاص لله تعالى ويسمى نية قصدا وهو: إرادة وجه الله تعالى بالأقوال والأفعال وضده الرياء وسببه المعرفة بأن الله لا يقبل إلا الخالص وإنه يطلع على النيات والضمائر كما يطلع على الظواهر."(١)

وقال ابن القيم رحمه الله:" وحق الله تعالى في الطاعة ستة أمور وهي الإخلاص في العمل والنصيحة لله فيه ومتابعة الرسول فيه وشهود مشهد الإحسان فيه وشهود منة الله عليه وشهود تقصيره فيه بعد ذلك كله فيحاسب نفسه هل وفى هذه المقامات حقها وهل أتى بها في هذه الطاعة." (٢)

وقال القرطبي رحمه الله:" ومنه قوله تعالى قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وفي هذا دليل على وجوب النية في العبادات فإن الإخلاص من عمل القلب وهو الذي يراد به وجه الله تعالى لا غيره."(٣) وقال الفضيل:" ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما."(٤) وقال الجرجاني:" الرياء ترك الإخلاص في العمل بملاحظة غير الله فيه."(٥)

٢ ـ الخشية والإشفاق والخوف و الرهبة من غير الله سبحانه

والخشية:" تألم القلب بسبب توقع مكروه في المستقبل يكون تارة بكثرة الجناية من العبد وتارة بمعرفة جلال الله وهيبته وخشية الأنبياء من هذا القبيل."(٦) قال تعالى في الخشية:﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء:٢٨] وقال سبحانه:﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البيّنة:٨] وقال في الخوف ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:٥١]﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل:٥٠] وقال في الرهبة:﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [النحل:٥١] ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء:٩٠]

قال السلمي رحمه الله:" الخشية والإشفاق اثنان باطنان وهما من أعمال القلب؛ والخشية سر في القلب والإشفاق من الخشية أخفى، وقيل الخشية انكسار القلب بدوام الانتصاب بين يديه ومن بعد هذه المرتبة

---

(١) القوانين الفقهية / محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي صـــ ٣٧٢

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان / محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله / دار المعرفة / بيروت / ١٣٩٥ هـــ ـــ ١٩٧٥م / الطبعة: الثانية / تحقيق: محمد حامد الفقي / ج١ صـــ ٨٢

(٣) تفسير القرطبي ج٢٠ صـــ ١٤٤

(٤) إحياء علوم الدين / الغزالي ج٤ صـــ ٣٨٢

(٥) التعريفات / الجرجاني صـــ ١٥١

(٦) التعريفات / الجرجاني صـــ ١٣٣

الإشفاق والإشفاق أرق من الخشية وألطف، والخشية أرق من الخوف، والخوف أرق من الرهبة ولكل منها صفة وأدب ومكان."(١)

٣ــ الرجاء في غير الله

والرجاء:" ترقب الانتفاع بما تقدم له سبب وقال ابن الكمال لغة الأمل وعرفا تعلق القلب بحصول محبوب مستقبلا وقال الراغب ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة ."(٢) قال تعالى:﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[الأعراف:٥٦]﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء:٥٧] ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[الزُّمَر:٥٣]

وفي الحديث:" عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد."(٣)

ويستحب للمؤمن بل يجب عليه أن يحرص على الجمع بين الرجاء والخوف قال العيني:" هذا باب في بيان استحباب الرجاء مع الخوف فلا يقطع النظر في الرجاء عن الخوف، ولا في الخوف عن الرجاء لئلا يفضي في الأول إلى الكبر وفي الثاني إلى القنوط وكل منهما مذموم، والمقصود من الرجاء أن من وقع منه تقصير فليحسن ظنه بالله ويرجو أن يمحو عنه ذنبه، وكذا من وقع منه طاعة يرجو قبولها. وأما من انهمك في المعصية راجياً عدم المؤاخذة بغير ندم ولا إقلاع فهذا غرور في غرور."(٤)

قال الأصبهانى رحمه الله:" قال تعالى في صفة المؤمنين:﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [الإسراء:٥٧] وقال أمير المؤمنين: خف الله خوفا ترى أنك لو أتيت بحسنات أهل الأرض لم تقبل منك، وأرجه رجاء ترى أنك لو أتيت بسيئات أهل الأرض غفرها لك. وقيل: أرج إذا خفت وخف إذا رجوت. وقال بعض الصالحين: لو أنزل الله كتابا إني معذب رجلا واحدا لخفت أن أكونه، أو أنه راحم رجلا واحدا رجوت أن أكونه. وقال رجل لابنه: خف الله خوفا لا يمنعك من الرجاء، وأرجه رجاء لا يمنعك من الخوف، فالمؤمن له قلبان يرجوه أحدهما ويخافه الآخر."(٥)

---

(١) تفسير السلمي (حقائق التفسير) / أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي / دار الكتب العلمية / لبنان / بيروت / ١٤٢١هـــ ــ ٢٠٠١م / الطبعة: الأولى / تحقيق: سيد عمران ج٢ صـــ ٢٥

(٢) التعاريف / المناوي صـــ ٣٥٦

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ج٤ صـــ ٢١٠٩ حديث رقم ٢٧٥٥

(٤) عمدة القاري / العيني ج٢٣ صـــ ٦٦

(٥) محاضرات الأدباء / الأصبهاني ج٢ صـــ ٤٢٢

٤ــ الخشوع والتعظيم لغير الله

قال الغزالي رحمه الله:" بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب: اعلم أن أدلة ذلك كثيرة فمن ذلك قوله تعالى:﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[طه:١٤] وظاهر الأمر الوجوب والغفلة تضاد الذكر؛ فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقيما للصلاة لذكره. وقوله تعالى:﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾[الأعراف:٢٠٥] نهى وظاهره التحريم ."[(١)]

وقال القنوحي رحمه الله:" الشروط الباطنة من أعمال القلب كالخشوع وحضور القلب وكالتعظيم وهذا ــ التعظيم ــ غير الخشوع إذ كم من حاضر القلب متوجه إليه ليس فيه تعظيم؛ لأنه إنما يتولد من معرفة جلال الله تعالى وعظمته ومعرفة حقارة النفس وكونها مسخرة لربها."[(٢)]

٥ ــ الإصرار على المعصية وعدم التوبة

والتوبة:" الرجوع إلى الله بحل عقدة الإصرار عن القلب، ثم القيام بكل حقوق الرب. والتوبة النصوح هي توثيق بالعزم على ألا يعود لمثله. قال ابن عباس رضي الله عنهما: التوبة النصوح الندم بالقلب، والاستغفار باللسان، والإقلاع بالبدن، والإضمار على ألا يعود، وقيل: التوبة في اللغة الرجوع عن الذنب، والتوبة في الشرع الرجوع عن الأفعال المذمومة إلى الممدوحة."[(٣)]

٦ــ جحود النعمة (عدم الشكر)

قال الجرجاني رحمه الله في تعريف الشكر:" عبارة عن معروف يقابل النعمة سواء كان باللسان أو باليد أو بالقلب، وقيل هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه. فالعبد يشكر الله؛ أي يثني عليه بذكر إحسانه الذي هو نعمة. والله يشكر العبد؛ أي يثني عليه بقبوله إحسانه الذي هو طاعته. والشكر العرفي هو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من السمع والبصر وغيرهما إلى ما خلق لأجله."[(٤)]

قال الأصبهاني رحمه الله:" والشكر ثلاثة أضرب شكر القلب وهو تصور النعمة، وشكر اللسان وهو الثناء على المنعم، وشكر سائر الجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقه قال تعالى﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣]"[(٥)]

٧ ــ السخط بالقضاء

والرضا بالقضاء كما قال الغرناطي رحمه الله: " سرور النفس بفعل الله وهو صادر عن المحبة وكل ما يفعل المحبوب محبوب."[(٦)] وقال الرازي رحمه الله:" وترك الرضا بالقضاء أمر من

---

(١) إحياء علوم الدين / الغزالي ج١ صــ ١٥٩

(٢) أبجد العلوم / القنوحي ج٢ صــ ٥٦

(٣) التعريفات / الجرجاني صــ ٩٥

(٤) التعريفات / الجرجاني صــ ١٦٨

(٥) المفردات / الأصبهاني صــ ٢٦٥

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل / الغرناطي ج١ صــ ٦٥

المنكرات."[١] وعده الشوكاني رحمه الله من باب معصية الله ورسوله[٢] وهنا أمر وجب التنبيه عليه وهو التفريق بين السخط بالقضاء وعدم الرضا به؛ والسخط بالمقضي وعدم الرضا به. ويتميز ذلك كما لو أن إنسان أصابه مرض فهو يتألم منه ولا يرضاه ولكن كونه من قضاء الله وجب عليه الرضى به، ألم تر رسول الله ﷺ حين مات ولده إبراهيم دمعت عيناه و قال:" إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون."[٣] وما يرضى الله هو الرضى بالقضاء ولا ينافيه دمع العين وحزن القلب.

٨ ــ عدم الرحمة

قال ابن منظور رحمه الله:" والرحمة في بني آدم عند العرب رقة القلب وعطفه ورحمة الله عطفه وإحسانه ورزقه."[٤] وقال الأصبهاني رحمه الله:" والرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة نحو رحم الله فلانا وإذا وصف به الباري فليس يراد به إلا الإحسان المجرد دون الرقة وعلى هذا روي أن الرحمة من الله إنعام وإفضال ومن الآدميين رقة وتعطف."[٥] وقد وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بالرحمن والرحيم فقال:﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣] وكذا وصف بذلك نبيه ﷺ فقال سبحانه:﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨] وبعض ما اتصف به النبي ﷺ من الرحمة وحثه عليها لا يتسع المجال لذكره هنا فكتب الحديث والسير والمؤلفات بذلك أكثر من أن تحصى. يكفي أن أذكر في هذا المقام قوله ﷺ :"من لا يرحم لا يُرحم."[٦]

٩ ــ عدم التواضع

ويدخل فيه عدم توقير الكبير، والكبر، والعجب، والحسد، والحقد، والغضب، والغرور، والسخط من الأقدار، وحب الجاهة، وحب المدح، وكراهة الذم، وتعظيم الأغنياء لأجل غناهم، واحتقار الفقراء لأجل فقرهم، وسببه عظمة الدنيا في القلوب ونسيان العبد عيوب نفسه لا سيما إن اشتغل مع ذلك بعيوب الناس. وآيات الدلالة على ذلك في القرآن والسنة كثيرة عدلنا عن إيرادها خشية الإطالة .

---

(١) التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج١٤ صــ ١٠٥

(٢) انظر فتح القدير / الشوكاني ج٤ صــ ٢٨٣

(٣) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الجنائز باب قول النبي ﷺ إنا بك لمحزونون ج١ صــ ٤٣٩ حديث رقم ١٢٤١ والإمام مسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب رحمته ﷺالصبيان والعيال وتواضع هو فضل ذلك ج٤ صــ ١٨٠٧ حديث رقم ٢٣١٥

(٤) لسان العرب / ابن منظور ج١٢ صــ ٢٣١

(٥) المفردات / الأصبهاني صــ ١٩١

(٦) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ج٥ صــ ٢٢٣٥ حديث رقم ٥٦٥١

والخلاصة: ــ لمَّا كان الإيمان أصله في القلب، فكذلك الكفر والنفاق، وما يظهر من النواقض القولية والفعلية الظاهرة دليل ولازم من لوازم ما في القلب من كفر أو نفاق، لذا نحن نصدر الحكم بالتكفير وفق القول أو العمل مشروطا بعدم الإكراه خاليا من الموانع. أما الكفر الاعتقادي الذي موطنه القلب فهو موكول إلى المرء نفسه إذ لا سبيل للإطلاع عليه.

قال ابن القيم رحمه الله:" الإيمان له ظاهر وباطن؛ وظاهره قول اللسان وعمل الجوارح، وباطنه تصديق القلب وانقياده ومحبته، فلا ينفع ظاهر لا باطن له وان حُقن به الدماء، وعصم به المال والذرية. ولا يجزئ باطن لا ظاهر له إلا إذا تعذر بعجز أو إكراه وخوف هلاك. فتخلف العمل ظاهرا مع عدم المانع دليل علي فساد الباطن وخلوه من الإيمان، ونقصه دليل نقصه وقوته دليل قوته. فالإيمان قلب الإسلام ولبه، واليقين قلب الإيمان ولبه وكل علم وعمل لا يزيد الإيمان واليقين قوة فمدخول وكل إيمان لا يبعث على العمل فمدخول."[١] وقال الرازي رحمه الله:" إن عمل القلب غير معلوم واجتناب الظن واجب وإنما يحكم بالظاهر؛ فلا يقال لمن يفعل فعلاً هو مرائي ولا لمن أسلم هو منافق ولكن الله خبير بما في الصدور."[٢]

(١) الفوائد / أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٣٩٣هـ ــ ١٩٧٣م / الطبعة: الثانية / صـ ٨٥ ، ٨٦

(٢) التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج٢٨ صـ ١٢٠

الفصل الثانـي

دلائل الكفر

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : ــ ألفاظ الكفر

المبحث الثانـي : ــ ألفاظ غير مخرجة من الملـة

المبحث الأول

ألفاظ الكفر

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : ــ المواضع التي ينصرف فيها المعنى إلى الكفر

المطلب الثاني : ــ المواضع التي يتردد فيها المعنى بين الكفر والترهيب

معنى اللفظ ودلالته

لقد أنزل الله القرآن ليكون هداية للناس وبشرى لمن اهتدى فقال تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء:٩] ويحمل رسالة الله الخاتمة إلى الناس كافة﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام:١٩] فجعله الله كتاباً مصدقاً لما قبله من الكتب ومهيمناً عليها﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [المائدة:٤٨] وأنزله الله كتاباً مبيناً واضحا لمن كان له عقلا واعيا وقلبا سليما، وعربياًسهل الفهم على أمة عشقت لغتها وجعلت لها مواسم وأعياد تفتخر بها على سائر الأمم قال تعالى:﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف١:٢] وتحداهم رغم كل ذلك بالمجيء بشيء من مثله فقال سبحانه وتعالى:﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨]

لكنه رغم وضوحه وبيانه وجلاء الرسالة التي يحملها يكتنف من المعاني ما لا ينقضي، ومن الدلائل ما لا ينفد مهما طال البحث عنها، فهو كتاب إلاهي يخاطب العالمين، وهو كما وصف كتاب لا يخلق على كثرة الرد، ولا يحيط بكلماته زمان أو مكان قال عز وجل:﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهف:١٠٩] هذه الميزات لكتاب الله عز وجل تجعل الواجب نحوه أكبر وأعمق من أن يختزل في كونه نص للتعبد فقط، ففيه نظام وإحكام لم يكتشف منه الباحثون والدارسون لمعانيه وألفاظه إلا القليل.

وألفاظ القرآن الكريم لها دلالات نابعة من معانيها في اللغة العربية التي نزل بها، إلا أن بعض ألفاظه اكتسبت دلالة خاصة في مواضع معينة قد تكون مباينة لما عهده الناس وتعودوه. حتى أن بعض هذه الألفاظ التي اعتادها الناس جاءت في القرآن بما يخالف ويضاد ما أرادوه منها كالمطر والترف كما سأبينه لاحقا.

وقد ألمح الجاحظ إلى هذه الخصوصية الدلالية بقوله:" وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها. ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر. والناس لا يذكرون السغب

ويذكرون الجوع في حالة القدرة والسلامة. وكذلك ذكر المطر بأنك لا تجد في القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام. والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث."(١)

لذا سيكون البحث في هذا الفصل مبنيا على بيان هذه الدلالة الخاصة لألفاظ الذم في القرآن الكريم سواء وافقت المعنى اللغوي أو باينته إلى جانب بيان المعنى اللغوي لها. وتجنبت فيه خشية الإطالة ما كان مذموما بفعل أو قول أو فيما هو بمعناهما كالكسب والمجيء والجزاء، حيث أنني أفردت في الفصل السابق مطالب خاصة بذلك وحصرت لها ضوابط عامة تندرج تحتها وضربت من الأمثلة ما حسبت أنه يفي بالمراد.

وكذا تجنبت ألفاظ الذم التي تتعلق بطبيعة جسم الإنسان المتوقفة على المسببات والعادات و لا علاقة لها بالإيمان أو الكفر كالهلاك إذا ذكر في سياق الجوع والمرض والحزن والموت.

وكذا تركت ما كان من الألفاظ مركبا ومعتمدا على ما بعده أو ما يترتب عليه كالعهد والميثاق والوعد والوحي. وكذا تجنبت ما جاء منفيا أو منهيا عنه إذ يغلب أن يكون له معنى مضادا يندرج تحته كقوله لا يؤمنون ولا يوقنون ولا يعقلون فغالبا ما تندرج تحت لفظة الكفر.

وإذا جاءت اللفظة مترددة بين معنى ديني شرعي وبين معني لغوي حملته على المعني الشرعي إن كان هناك مجالا لحمله عليه كالربا. وإن لم يكن مجالا تركناه كالكفر إذا أريد به الزارع مثلا. قال أبو إسحاق الشيرازي رحمه الله:" إذا ورد لفظ قد وضع في اللغة لمعنى وفي العرف لمعنى حمل على ما ثبت له في العرف لأن العرف طارئ على اللغة فكان الحكم له، وإن كان قد وضع في اللغة لمعنى وفي الشرع لمعنى حمل على عرف الشرع لأنه طارئ على اللغة ولأن القصد بيان حكم الشرع فالحمل عليه أولى."(٢)

وقد أوضحت في الفصل السابق معنى الدلالة وأذكر هنا معنى اللفظ وأقسامه وأنواع الدلالة له قبل الشروع في ذكر الأمثلة على دلالة الألفاظ.

اللفظ في اللغة:

قال الجرجاني رحمه الله:" اللفظ ما يتلفظ به الإنسان أو من في حكمه مهملا كان أو مستعملا."(٣)

وذكر الأنصاري رحمه الله أقسامه فقال:" هو صوت مشتمل على بعض الحروف، وهو صريح وكناية وتعريض، فالصريح ما لا يحتمل غير المقصود كأنت زان. والكناية لفظ أريد به

---

(١) البيان والتبيين / عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان الجاحظ / دار صعب / بيروت / تحقيق: فوزي عطوي / ج١ صـ ٢٦

(٢) اللمع في أصول الفقه / أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م / الطبعة: الأولى / صـ ١٠

(٣) التعريفات / الجرجاني صـ ٢٤٧

لازم معناه مع جواز إرادته معه نحو زيد كثير الرماد كناية عن كرمه. والتعريض ما سوى ذلك كأنا لست بزان."(١)

وأما دلالة الألفاظ على المعاني التي يقصدها المتكلم فهي أيضا ثلاث قال ابن القيم:" الألفاظ بالنسبة إلى مقاصد المتكلمين ونياتهم وإراداتهم لمعانيها ثلاثة أقسام : ــ

القسم الأول : ــ من أقسام الألفاظ أن تظهر مطابقة للقصد تنتهي إلى اليقين والقطع بمراد المتكلم مع ما يقترن به من القرائن الحالية واللفظية وحال المتكلم به وغير ذلك؛ كما إذا سمع العاقل والعارف باللغة قوله ﷺ:"إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب، وكما ترون الشمس في الظهيرة صحوا ليس دونها سحاب لا تضارون في رؤيته إلا كما تضارون في رؤيتها"(٢) فإنه لا يستريب ولا يشك في مراد المتكلم وأنه رؤية البصر حقيقة وليس في الممكن عبارة أوضح ولا أنص من هذه، ولو اقترح على أبلغ الناس أن يعبر عن هذا المعنى بعبارة لا تحتمل غيره لم يقدر على عبارة أوضح ولا أنص من هذه، وعامة كلام الله ورسوله من هذا القبيل فإنه مستول على الأمد الأقصى من البيان.

القسم الثاني : ــ ما يظهر بأن المتكلم لم يرد معناه كالمكره والنائم والمجنون ومن اشتد به الغضب والسكران والمعرض والموري والملغز والمتأول.

القسم الثالث : ــ ما هو ظاهر في معناه ويحتمل إرادة المتكلم له ويحتمل إرادته غيره ولا دلالة على واحد من الأمرين. واللفظ دال على المعنى الموضوع له وقد أتى به اختيارا .

إذا عرف هذا فالواجب حمل كلام الله تعالى ورسوله وحمل كلام المُكَلَّف على ظاهره الذي هو ظاهره؛ وهو الذي يُقصد من اللفظ عند التخاطب ولا يتم التفهيم والفهم إلا بذلك، ومدعي غير ذلك على المتكلم القاصد للبيان والتفهيم كاذب عليه."(٣)

---

(١) الحدود الأنيقة / زكريا الأنصاري صــ ٧٨

(٢) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب مواقيت الصلاة باب فضل صلاة العصر ج١ صــ ٢٠٣ حديث رقم ٥٢٩ والإمام مسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ج١ صــ ٤٤٠ حديث رقم ٦٣٣

(٣) إعلام الموقعين / ابن القيم ج٣ صــ ١٠٩ باختصار

المطلب الأول

الألفاظ التي ينصرف فيها المعنى إلى الكفر

والألفاظ التي سأذكرها في هذا المطلب جاءت وصفا للكفار أو عقابا لفعلهم، لكنها إذا انفردت في غير القرآن فلا تُحمل على الكفر إلا إذا اقترنت بقرينة تدل على ذلك.

١) أَبَى

" الإباء هو شدة الامتناع باختيار، وأبى الشيء لم يرضه وأبى عليه امتنع."(١)

قال الراغب رحمه الله:" فكل إباء امتناع وليس كل امتناع إباء."(٢) والإباء نوع من أنواع الكفر قال ابن القيم رحمه الله:" وأما كفر الإباء والاستكبار فنحو كفر إبليس فإنه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالإنكار وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار."(٣)

وبهذا المعنى ورد اللفظ في القرآن الكريم في وصف إبليس في ثلاثة مواضع قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤] ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر:٣١] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ [طه:١١٦]

وفي وصف فرعون مرة قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾ [طه:٥٦]

وفي المشركين مرة قال تعالى: ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة:٨]

وفي وصف أكثر أهل الأرض مرتين قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء:٨٩] ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء:٩٩]

٢) أَدَد (أَدَّ)

" الإد والإدة العجب والأمر الفظيع العظيم والداهية والمنكر."(٤)

قال الطبري رحمه الله:" وفي الإد لغات ثلاث يقال لقد جئت شيئا إدا بكسر الألف وأدا بفتح الألف وآدا بفتح الألف ومدها."(٥) قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا﴾ [مريم٨٨:٨٩] قال ابن الجوزي رحمه الله:" لقد جئتم شيئا إدا أي شيئا عظيما من الكفر."(٦)

٣) أَشِر

---

(١) الكليات / الكفومي صـ ٢٨، وانظر تاج العروس / الزبيدي ج٧ صـ ٣٨٠ و ج٣٧ صـ ١١

(٢) المفردات في غريب القرآن / الأصبهاني صـ ٧

(٣) مدارج السالكين / ابن القيم ج١ صـ ٣٣٧ للمزيد راجع صـ ٢٩

(٤) لسان العرب / ابن منظور ج٣ صـ ٧١، وانظر مختار الصحاح / الرازي صـ ٤

(٥) تفسير الطبري ج١٦ صـ ١٢٩

(٦) زاد المسير / ابن الجوزي ج٥ صـ ٢٦٤ وانظر التبيان في تفسير غريب القرآن / المصري صـ ٢٨٤

" الأَشِر كفر النعمة وشدة البطر وهو الجافي عن الموعظة."[1] قال تعالى:﴿ أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴾ ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴾ [القمر٢٥:٢٦] قال الطبري رحمه الله:" وقوله بل هو كذاب أشر يقول قالوا ما ذلك كذلك بل هو كذاب أشر يعنون بالأشر المرح ذا التجبر والكبرياء."[2]

٤) بِئْسَ

" البأساء اسم الحرب والمشقة والضرب، والبأس العذاب والشدة في الحرب و بئس مهموز فعل جامع لأنواع الذم وهو ضد نعم."[3]

قال الكفومي رحمه الله:" نِعْمَ وبئس هما فعلان للمدح والذم بعدما نقلا عن أصلهما وهو النعم والبؤس."[4]

وجاءت الكلمة ومشتقاتها في القرآن بمعاني متعددة كما ذُكر في التعريف اللغوي يهمنا منها ما ورد بمعنى يتعلق بالذم وهو العذاب قال تعالى في متعلمي السحر العاملين به:﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٠٢] وقال جلا وعلا متوعدا الكفار:﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴾ [النساء:٨٤]﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ ﴾ [الأنعام:٤٣]﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام:١٤٧] وقال سبحانه على لسان المؤمن من آل فرعون:﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ ﴾ [غافر:٢٩]

٥) بَتَك

"البتك القطع وبابه ضرب ونصر وبتك آذان الأنعام قطعها شدد للكثرة."[5] قال الأصبهاني رحمه الله:" البتك يقارب البت لكن البتك يستعمل في قطع الأعضاء والشعر يقال بتك شعره وأذنه."[6]

وقد وردت اللفظة في موضع واحد في وصف فعل الكفار قال تعالى:﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [النساء:١١٩] قال الشوكاني رحمه الله:" وقد فعل الكفار ذلك امتثالا لأمر الشيطان واتباعا لرسمه فشقوا آذان البحائر والسوائب كما ذلك معروف."[7]

---

(١) التعاريف / المناوي صـــ ٦٧ وانظر تهذيب اللغة / أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري / دار إحياء التراث العربي / بيروت / ٢٠٠١م / الطبعة: الأولى / تحقيق: محمد عوض مرعب ج٣ صـــ ٢٠٤

(٢) تفسير الطبري ج٢٧ صـــ ١٠٠

(٣) لسان العرب / ابن منظور ج٦ صـــ ٢٠ ـــ ٢٢ باختصار كبير وانظر مختار الصحاح / الرازي صـــ ١٦

(٤) الكليات / الكفومي صـــ ٩١٣

(٥) مختار الصحاح / الرازي صـــ ١٧

(٦) المفردات في غريب القرآن / الأنصاري صـــ ٣٦

(٧) فتح القدير / الشوكاني ج١ صـــ٥١٧

٦) بَرَم

" برم من باب طرب وتبرم به أي سئمه، وأبرمه أمله وأضجره، وأبرم الشيء أحكمه."[١]

وقد وردت اللفظة مرة واحد ة في القرآن بنفس المعنى قال تعالى:﴿أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴾ [الزُخرُف:٧٩] أي أحكموا المكر برسول الله ﷺ ليقتلوه (فَإِنَّا مُبْرِمُونَ) في أمر مجازاتهم.

٧) بَسَرَ

" البُسر أوله ــ أي ثمر النخل ــ طلع، ثم خَلال بالفتح، ثم بلح بفتحتين، ثم بُسر ثم رطب ثم تمر. وبَسَر الرجلُ وجهه كلح."[٢] قال الأصبهاني رحمه الله:" أي أظهر العبوس قبل أوانه وفي غير وقته."[٣]

وقد ورد اللفظ في القرآن مرتين في وصف الوليد بن المغيرة [٤] حين كان يسمع من النبي ﷺ ثم طلب منه مهلة للتفكير في ما قرأه عليه قال تعالى:﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ [المدَّثر:٢٢] وفي وصف وجوه الكفار يوم القيامة قال تعالى:﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٤] قال ابن كثير رحمه الله:" هذه وجوه الفجار تكون يوم القيامة باسرة. قال قتادة رحمه الله كالحة، وقال السدي رحمه الله تغير ألوانها، وقال ابن زيد رحمه الله عابسة."[٥]

٨) بَسَلَ

" بَسَل الرجلُ عبس من الغضب أو الشجاعة، وتبسل لي فلان إذا رأيته كريه المنظر، وبسل فلان وجهه تبسيلا إذا كرهه و تُبسل وجهه كُرهت رؤيته."[٦] قال المصري رحمه الله:" (تُبْسَلَ نَفْسٌ) ترتهن وتسلم للهلكة، وأصل الكلمة البَسْل وهو المنع أي ترهن حتى لا محيص لها."[٧] قال تعالى:﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴾[الأنعام:٧٠] ولم يرد سواها في القرآن الكريم.

٩) بَطَأَ

" البُطء و الإبطاء نقيض الإسراع تقول منه بَطُؤ مجيئك و بطؤ في مشيه يبطؤ بطْأ و بَطأ فلانٌ بفلان إذا ثبطه عن أمر عزم عليه."[٨]

---

(١) مختار الصحاح / الرازي صـــ ٢٠ وانظر الكليات / الكفومي صـــ ٣٣

(٢) مختار الصحاح / الرازي صـــ ٢٠ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج٤ صـــ ٥٨

(٣) المفردات / الأصبهاني صـــ ٤٦

(٤) تفسير الطبري ج٢٩ صـــ ١٥٥

(٥) تفسير ابن كثير ج٤ صـــ ٤٥١

(٦) لسان العرب / ابن منظور ج١١ صـــ ٥٣

(٧) التبيان في تفسير غريب القرآن / شهاب الدين المصري صـــ ١٩٢

(٨) لسان العرب / ابن منظور ج١ صـــ ٣٤

قال القرطبي رحمه الله:" والتبطئة والإبطاء التأخر تقول ما أبطأك عنا فهو لازم ويجوز بطأت فلانا عن كذا أي أخرته فهو متعد."(١)

وقد ورد اللفظ مرة واحدة في القرآن في قوله تعالى عن المنافقين:﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء:٧٢] قال الطبري:" وهذا نعت من الله تعالى ذكره للمنافقين نعتهم لنبيه ﷺ وأصحابه ووصفهم بصفتهم فقال: وإن منكم أيها المؤمنون يعني من عدادكم وقومكم ومن يتشبه بكم ويظهر أنه من أهل دعوتكم وملتكم وهو منافق يبطئ من أطاعه منكم عن جهاد عدوكم وقتالهم إذا أنتم نفرتم إليه."(٢)

١٠) بَطَر

" البَطَر النشاط وقيل التبختر، وقيل قلة احتمال النعمة، وقيل الدهش والحيرة، وأبْطَره أي أدهشه. وقيل البطر الطغيان في النعمة، وقيل هو كراهة الشيء من غير أن يستحق الكراهية، و البطر الأَشْر وهو شدة المرح."(٣)

قال المناوي رحمه الله:" البَطَر محركا دهش يعتري الإنسان من سوء احتمال النعمة وقلة القيام بحقها وصرفها إلى غير وجهها."(٤)

وورد اللفظ مرتين في القرآن قال تعالى:﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الأنفال:٤٧]﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ﴾ [القصص:٥٨]

١١) بَعِد و بَعُد

" البُعد ضد القرب وقد بعُد بالضم بعدا فهو بعيد أي متبعد، والبعد أيضا الهلاك."(٥)

وقد ورد البعد في القرآن في السوء والهلاك بسبب الكفر كقوله تعالى في قوم نوح وفي ثمود: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود:٤٤]،[المؤمنون:٤١] وقوله تعالى:﴿ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾ [هود:٩٥] و جاء لفظ البعد أيضا في وصف ما هو كفر كقوله تعالى:﴿ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [الحج:٥٣] ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [البقرة:١٧٦] ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ [الحج:١٢] قال الأصبهاني رحمه الله:" والبعد أكثر ما يقال في الهلاك نحو (بَعِدَتْ ثَمُودُ) ويقال فيه وفي ضد القرب قال تعالى:(بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ) ﴿ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [المؤمنون:٤٤] وقوله تعالى:﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا

---

(١) تفسير القرطبي ج٥ صـ ٢٧٥

(٢) تفسير الطبري ج٥ صـ ١٦٥، وانظر تفسير ابن كثير ج١ صـ ٥٢٥، والكشاف / الزمخشري ج١ صـ ٥٦٥

(٣) لسان العرب / ابن منظور ج٤ صـ ٦٨ ، ٦٩

(٤) التعاريف / المناوي صـ ١٣٤

(٥) مختار الصحاح / الرازي صـ ٢٣ وانظر النهاية في غريب الحديث والأثر / ابن الأثيرج١ صـ ١٤٠

يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴾ [سبأ:٨] أي الضلال الذي يصعب الرجوع منه إلى الهدى تشبيها بمن ضل عن محجة الطريق بعدا متناهيا فلا يكاد يرجى له العود إليه."[١]

١٢) بكَم

" البُكم الخرس مع عي وبله."[٢] وقال صاحب التبيان:" آفة في اللسان مانعة من الكلام، والأبكم الذي يولد أخرس، وقيل هو المسلوب الفؤاد الذي لا يعي شيئا ولا يفهم."[٣]

وبهذا المعنى ورد في القرآن قال تعالى في وصف المنافقين والكفار:﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [البقرة:١٨]﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة:١٧١]﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ [الأنعام:٣٩]﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الأنفال:٢٢]

١٣) بلَس

" أبلس من رحمة الله أي يئس ومنه سمي إبليس وكان اسمه عزازيل، والإبلاس أيضا الانكسار والحزن يقال أبلس فلان إذا سكت غما."[٤] قال السجستاني رحمه الله:" مبلسون آيسون وملقون بأيديهم، ويقال المُبلس الحزين النادم، ويقال المبلس المتحير الساكت المنقطع الحجة."[٥] قال تعالى في وصف الكفار:﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [الروم:١٢] ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ [الزُخرُف:٧٥]

١٤) بوَر

" البُور الرجل الفاسد الهالك الذي لا خير فيه، وامرأة بور أيضا وقوم بور هلكى."[٦] قال الراغب رحمه الله:" البوار فرط الكساد ولما كان فرط الكساد يؤدي إلى الفساد كما قيل كسد حتى فسد عبر بالبوار عن الهلاك."[٧] قال تعالى في وصف مكر الكفار:﴿ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ [فاطر:١٠] وقال سبحانه عن كفار مكة:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾ [إبراهيم:٢٨] وقال سبحانه في حال المنافقين في غزوة أحد:﴿ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴾ [الفتح:١٢]

١٥) بيَت

---

(١) المفردات / الأصبهاني صـــ ٥٣

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج١٢ صـــ ٥٣

(٣) التبيان في تفسير غريب القرآن / شهاب الدين المصري صـــ ٦١

(٤) مختار الصحاح / الرازي صـــ ٢٦

(٥) غريب القرآن / السجستاني صـــ ٤٣٨

(٦) مختار الصحاح / الرازي صـــ ٢٨

(٧) المفردات / الأصبهاني صـــ ٦٥

" بات يفعل كذا إذا فعله ليلا، و بيَّت العدو أوقع بهم ليلا والاسم البَيات، بيت أمرا دبره ليلا ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [النساء:١٠٨]"(١) وبهذا المعنى جاء الذم لهذا العمل في وصف المنافقين قال تعالى:﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ﴾ [النساء:٨١] ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ [النساء:١٠٨]

١٦) ترَف

" الترَف التنعم والتُرفة النعمة والتتريف حسن الغذاء، وصبي مترف إذا كان منعم البدن مدللا، والمُتْرَف الذي قد أبطرته النعمة وسعة العيش، وأترفته النعمة أي أطغته."(٢)

وقد ورد ذكر الترف في القرآن الكريم في ثمانية مواضع كلها في موضـــــع الذم له والتحذير منه قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ [سبأ:٣٤] ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء:١٦] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴾[المؤمنون:٦٤]

١٧) تعِس

" التعْس الهلاك وأصله الكَب ــ على الوجه ــ وهو ضد الانتعاش، وقد تَعَس من باب قطع وأتعسه الله ويقال تَعْسا لفلان أي ألزمه الله هلاكا."(٣) قال تعالى مبكتا للكفار:﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد:٨] قال القرطبي رحمه الله:" وفيه عشرة أقوال الأول: بعدا لهم، الثاني: حزنا لهم، الثالث: شقاءً لهم، الرابع: شتما لهم من الله، الخامس: هلاكا لهم، السادس: خيبة لهم، السابع: قبحا لهم، الثامن: رغما لهم، التاسع: شرا لهم، العاشر: شقوة لهم، وقيل إن التعس الانحطاط والعثار والهلاك"(٤) ولم ترد سوى هذه اللفظة في القرآن الكريم.

١٨) ثبَر

" المثابرة على الأمر المواظبة عليه والثبور الهلاك والخسران."(٥) وفي اللسان" المثبور الملعون المطرود المعذب."(٦) قال تعالى على لسان موسى في حق فرعون:﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ

---

(١) مختار الصحاح / الرازي صـــ ٢٨ وانظر غريب القرآن / السجستاني صـــ ١٩٩

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج٩ صـــ ١٧

(٣) مختار الصحاح / الرازي صـــ ٣٢

(٤) تفسير القرطبي ج١٦ صـــ ٢٣٢ ، ٢٣٣ باختصار

(٥) مختار الصحاح / الرازي صـــ ٣٥

(٦) لسان العرب / ابن منظور ج٤ صـــ ٩٩

يَنفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ [الإسراء:١٠٢]وفي معنى الهلاك قال سبحانه:﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ [الفرقان١٣:١٤] ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴾ [الانشقاق:١١]

١٩) ثَنَى

" ثنى الشيء ثَنْيا رد بعضه على بعض وأثناؤه ومثانيه قواه وطاقاته واحدها ثني، وأثناء الحية مطاويها إذا تحوت وثني الحية انثناؤها وهو أيضا ما تعوج منها إذا تثنت."(١) قال الراغب رحمه الله:" وقوله عز وجل (ثَانِىَ عِطْفِهِۦ) وذلك عبارة عن التنكر والإعراض نحو لوى شدقه ونأي بجانبه:"(٢) قال المناوي رحمه الله:" وثنيت الشيء أثنيه لويته أو عقدته."(٣)

وحول هذا المعنى ورد في القرآن مرتين قال تعالى:﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ﴾ [هود:٥] ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الحج:٩]

٢٠) جَبَت

" الجِبْت كل ما عبد من دون الله، وقيل هي كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر."(٤) وبهذا المعنى ورد في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴾ [النساء:٥١]

٢١) جَبَر

" والجبار المتكبر الذي لا يرى لأحد عليه حقا والتِجْبار هو بمعنى الكبر، وتجبر الرجل تكبر والجبار المتكبر عن عبادة الله تعالى ومنه قوله تعالى:﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ [مريم:١٤] وكذلك قول عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام:﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ [مريم:٣٢] أي متكبرا عن عبادة الله تعالى. والجبار من الملوك العاتي وقيل كل عات جبار وجبير، وقلب جبار لا تدخله الرحمة، وقلب جبار ذو كبر لا يقبل موعظة، ورجل جبار مسلط قاهر قال الله عز وجل:﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ﴾ [ق:٤٥] أي بمسلط فتقهرهم على الإسلام والجبار الذي يقتل على الغضب والجبار القتال في غير حق وكله راجع إلى معنى التكبر."(٥)

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج١٤ صـــ ١١٥

(٢) المفردات / الأصبهاني صـــ ٨٢

(٣) التعاريف / المناوي صـــ ٢٢٥

(٤) لسان العرب / ابن منظور ج٢ صـــ ٢١ وانظر التبيان في تفسير غريب القرآن / شهاب الدين المصري صـــ ١٦٩ والمفردات / الأصبهاني صـــ ٨٥ للمزيد انظر صـــ ٢٥٠

(٥) لسان العرب / ابن منظور ج٤ صـــ ١١٣ باختصار كبير

قال الراغب رحمه الله:" والجبار في صفة الإنسان يقال لمن يجبر نقيصته بادعاء منزلة من التعالي لا يستحقها، وهذا لا يقال إلا على طريق الذم."[1] وقال تعالى في وصف سكان أهل الأرض المقدسة: ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ﴾ [المائدة:٢٢] وقال سبحانه في وصف عاد: ﴿ وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴾ [هود:٥٩] ﴿وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ ﴾ [الشعراء:١٣٠] وقال سبحانه في وصف الكفار عامة: ﴿ وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴾ [إبراهيم:١٥] ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾ [غافر:٣٥]

٢٢) جَحَد

" الجُحُود الإنكار مع العلم يقال جحده حقه وجحده بحقه والجَحْد قلة الخير."[2]

قال الراغب رحمه الله:" الجحود نفي ما في القلب إثباته وإثبات ما في القلب نفيه، يقال رجل جحد شحيح قليل الخير يظهر الفقر وأرض جحدة قليلة النبت."[3] وقال الكفومي رحمه الله:" وأما الجحود فإنما يقال فيما ينكر باللسان دون القلب."[4] وقال المناوي رحمه الله:" الجحد إنكار ما سبق له وجود وهو خلاف النفي إذ هو إنكار نفس وجود المدعى."[5]

ولذا وصف الله عز وجل الذي يجحد آياته بالكفر والظلم فقال سبحانه:﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٧] ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٩] وكذلك جاء وصف الجحود في الأمم السابقة قال تعالى:﴿ وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ﴾ [هود:٥٩] وكذا توعد سبحانه كل من يجحد آياته فقال:﴿ كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ [غافر:٦٣] ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِۖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾ [فصلت:٢٨] وقد عده ابن القيم رحمه الله كما أسلفت قسما من أقسام الكفر الأكبر.[6]

٢٣) جَرَم

" جَرَم جَرْما أذنب ويقال جَرَمَ نفسه وقومه وجرم عليهم وإليهم جنى جناية، وفلان لأهله كسب، والرجل أكسبه جرما وفي التنزيل العزيز﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ

(١) المفردات / الأصبهاني صــ ٨٦

(٢) مختار الصحاح / الرازي صــ ٤٠ ولسان العرب / ابن منظور ج٣ صــ ١٠٦

(٣) المفردات / الأصبهاني صــ ٨٨

(٤) الكليات / الكفومي صــ ١٦٠

(٥) التعاريف / المناوي صــ ٢٣٢

(٦) انظر صــ ٢٧

﴿ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾ [المائدة:٨] لا يحملنكم بغض قوم على الاعتداء عليهم. والشيء قطعه والنخل ونحوه جرما وجراما جنى ثمره، والتمر جناه، وأجرم ارتكب جرما، ويقال أجرم عليهم وإليهم جنى جناية، والنخل والتمر حان جرامه، والرجل أكسبه جرما ."(١) وقال الفراء رحمه الله:" لا جرم كلمة كانت في الأصل بمنزلة لا محالة ولا بد فجرت على ذلك وكثرت حتى تحولت إلى معنى القسم وصارت بمنزلة حقا."(٢) وقال الكفومي رحمه الله:" والجُرم بالضم لا يطلق إلا على الذنب الغليظ والمجرمون هم الكافرون."(٣)

وقد وصف سبحانه الكفار بهذا الفعل وسماهم به فقال تبارك وتعالى:﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ [الأنعام:٥٥] ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا لِيَمۡكُرُواْ فِيهَاۖ ﴾ [الأنعام:١٢٣]﴿ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام:١٢٤] ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ [يونس:١٧]﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ﴾ [هود:٣٥]﴿ وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴾[إبراهيم:٤٩]﴿ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾[الحجر:١٢]﴿ وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ﴾ [الكهف:٥٣]﴿ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ﴾[مريم:٨٦]﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴾ [طه:٧٤]﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ ﴾ [الروم:٤٧]﴿ إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة:٢٢]﴿ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ [سبأ:٢٥]﴿ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾ [الزخرف:٧٤]﴿ يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ ﴾ [الرحمن:٤١]﴿ يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ﴾ [المعارج:١١]﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴾ [المطفّفين:٢٩]

٢٤) حَجَب

" الحِجاب الستر حسيا كان أو معنويا، حجب الشيء يَحْجُبُه حَجْبا و حِجابا ستره وقد احتجب وتحجب إذا اكتن من وراء حجاب، وحجبه أي منعه عن الدخول، وكل ما حال بين شيئين حجاب والجمع حُجُب وقوله تعالى:﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴾ [فصلت:٥] معناه ومن بيننا وبينك حاجز في النِحلة والدين، وكل شيء منع شيئا فقد حجبه."(٤) وبمعنى الحول بين الشيئين جاء قوله تعالى:﴿ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَٰهُمۡۚ ﴾ [الأعراف:٤٦] قال المصري رحمه الله:" ليس يعني

---

(١) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صـ ١١٨ وانظر مختار الصحاح / الرازي صـ ٤٣ وانظر المفردات / الأصبهاني صـ ٩١

(٢) تاج العروس / الزبيدي ج٣١ صـ ٣٩٠

(٣) الكليات / الكفومي صـ ٤١

(٤) لسان العرب / ابن منظور ج١ صـ ٢٩٨ وانظر معجم ألفاظ القرآن الكريم / مجمع اللغة العربية مج١ صـ ٣٣٦

به ما يحجب البصر وإنما يعني ما يمنع من وصول لذة أهل الجنة إلى أهل النار، وأذية أهل النار إلى أهل الجنة."[1] ومنه قوله تعالى:﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ [الإسراء:٤٥]

وجاء الحجب تبكيتا للكفار في منعهم من رؤية الله يوم القيامة فلا تطالهم رحمته في قوله تعالى:﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين:١٥]

٢٥) حَدَد (حَدَّ)

" الحَدُّ الفصل بين الشيئين لئلا يختلط أحدهما بالآخر أو لئلا يتعدى أحدهما على الآخر وجمعه حدود، وفصل ما بين كل شيئين حد بينهما ومنتهى كل شيء حده."[2] وبهذا تكون محادّة الله ورسوله كمن جعل بينه وبين هدى الله ورسوله ﷺ حدا فكان كلا منهما في جانب فلا يصل الهدى إلى قلوبهم، قال ابن كثير:" من حادَّ الله عز وجل أي شاقَّه وحاربه وخالفه وكان في حد والله ورسوله في حد."[3]

لذا توعد سبحانه وتعالى من كانت هذه صفته من الكفار بالكبت والخلود في النار فقال سبحانه:﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾ [التوبة:٦٣] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [المجادلة:٥] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴾ [المجادلة:٢٠] قال الكفومي رحمه الله:"(يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ) يعادونهما أو يختارون حدوداً غير حدودهما."[4] وقال السجستاني رحمه الله:" يحادُّون الله يحاربون الله جل وعز ويعادونه ويخالفونه."[5]

٢٦) حَسَر

" حَسَر الرجل يَحْسِر حَسْرَة وحَسْرًا إذا كمد على الشيء الفائت وتلهف عليه."[6] وقال الأزهري رحمه الله:" حسر فلان إذا اشتدت ندامته على أمر فاته."[7] وقال ابن منظور رحمه الله:" الحَسْر والحُسُور الإعياء والتعب حسرت الدابة والناقة حسرا واستحسرت أعيت وكلت."[8] وقال شهاب الدين

---

(١) المفردات / الأصبهاني صـــ ١٠٨

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج٣ صـــ ١٤٠

(٣) تفسير ابن كثير ج٢ صـــ ٣٦٧

(٤) الكليات / الكفومي صـــ ٩٨٩

(٥) غريب القرآن / السجستاني صـــ ٥٣٨

(٦) جمهرة اللغة / أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي المصري / دار العلم للملايين / بيروت / ١٩٨٧م / الطبعة: الأولى / تحقيق: رمزي منير بعلبكي / ج١ صـــ ٥١١

(٧) تهذيب اللغة / الأزهري ج٤ صـــ ١٦٨

(٨) لسان العرب / ابن منظور ج٤ صـــ ١٨٨

المصري رحمه الله:" الحسرة الندامة والاغتمام على ما فات ولا يمكن ارتجاعه."[1] وقال الكفومي رحمه الله:" كل ما في القرآن من حسرة فهي الندامة إلا ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران:١٥٦] فإن معناه الحزن."[2]

قال تعالى في وصف الكفار:﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [الأنفال:٣٦]﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الحاقة:٥٠]﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة:١٦٧]﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم:٣٩]

٢٧) حمَم (حَمَّ)

" الحَمَّة العين الحارة يستشفي بها الأعلاء والمرضى. حمَّ الماء سخنه، و حمَّ الرجل أيضا من الحمى، وأحمه الله فهو محموم وهو من الشواذ. والحميم الماء الحار وقد استحم أي اغتسل بالحميم هذا هو الأصل ثم صار كل اغتسال استحماما بأي ماء كان، وحممه تحميما سخم وجهه بالفحم والحِمَم الرماد والفحم وكل ما احترق من النار و اليحموم الدخان."[3]

وقد جاء اللفظ بمعاني ثلاث: ــ أولها: الماء المغلي شرابا أو أداة عذاب عليهم. وثانيها: وصفا للماء شرابا لأهل النار. والثالثة: دخانا فوق رؤوسهم قال الله تعالى في الأول:﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام:٧٠]﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ [الحج:١٩] وفي الثاني قال تبارك وتعالى:﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد:١٥] وقال جل وعلا في الثالث:﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة:٤٣]

٢٨) حمَى

" حَماه يحميه حِماية دفع عنه، وهذا شيء حَمِي أي محظور لا يقرب، وأحميت المكان جعلته حِمَى. الحامي الفحل من الإبل الذي طال مكثه عندهم ومنه قوله تعالى:﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [المائدة:١٠٣] قال الفراء رحمه الله: إذا لقح ولد ولده فقد حمى ظهره فلا يركب ولا يجز له وبر ولا يمنع من مرعى."[4]

وجاء اللفظ بمعنيين ذمهم الله سبحانه الأول: في عمل الجاهلية بجعلهم الحام من الإبل في قوله تعالى:﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [المائدة:١٠٣] والحام كما ذُكر في التعريف سابقا

---

(١) التبيان / شهاب الدين المصري صــ ١١٧

(٢) الكليات / الكفومي صــ ٣٥٩

(٣) مختار الصحاح / الرازي صــ ٦٦ وانظر تهذيب اللغة / الأزهري ج٤ صــ ١٣، ١٤ والتعاريف / المناوي صــ ٢٩٧

(٤) مختار الصحاح / الرازي صــ ٦٦

وقيل:" هو الذكر من الإبل كانت العرب إذا نتج من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا حمي ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى."[١] والمعنى الثاني: الحميَّة وهي " العار والأنفة والغيرة."[٢] و قد جاء هذا اللفظ مرة واحدة في القرآن مضافا إلى الجاهلية قال تعالى:﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ [الفتح:٢٦]

قال الرازي رحمه الله:" لأن الحميَّة في نفسها صفة مذمومة وبالإضافة إلى الجاهلية تزداد قبحاً، وللحمية في القبح درجة لا يعتبر معها قبح القبائح كالمضاف إلى الجاهلية."[٣]

٢٩) حنَك

" حنك الفرس جعل في فيه الرسن، واحتنك الجراد الأرض أكل ما عليها وأتى على نبتها، وقوله تعالى حاكيا عن إبليس:﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[الإسراء:٦٢] قال الفراء رحمه الله:لأستولين عليه."[٤]

وقال السجستاني رحمه الله:" لأستأصلنهم يقال هو من حنك دابته إذا شد حبلا في حنكها الأسفل يقودها به؛ والمعنى لأقتادنهم كيف شئت لاهية قلوبهم بمعنى متشاغلة وغافلة ساهية؛ مشغولة بالباطل عن الحق وتذكره."[٥]

وقال شهاب الدين المصري رحمه الله:" لأقتادنهم كيف شئت."[٦] وهل يقودهم الشيطان إلا إلي الشرك والكفر والظلال ؟

٣٠) خبَل

" الخَبْل بالتسكين فساد الأعضاء حتى لا يدري كيف يمشي، وخَبَل بالتحريك الجن. والخبال النقصان وهو الأصل ثم سمي الهلاك خبالا، وقيل الخبال في الأصل الفساد ويكون في الأفعال والأبدان والعقول، وطينة الخبال ما سال من جلود أهل النار."[٧]

---

(١) المستطرف في كل فن مستظرف / شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م / الطبعة: الثانية / تحقيق: مفيد محمد قميحة ج٢ صـ ١٧٢ وانظر التبيان/ المصري صـ ١٨٧

(٢) مختار الصحاح / الرازي صـ ٦٦ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج ١٤ صـ ٩٩

(٣) التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج٢٨ صـ ٨٨

(٤) مختار الصحاح / الرازي صـ ٦٧

(٥) غريب القرآن / السجستاني صـ ٤٩٨

(٦) التبيان / المصري صـ ٢٦٧

(٧) لسان العرب/ ابن منظور ج١١ صـ ١٩٧، ١٩٨ باختصار كبير وانظر المفردات / الأصبهاني صـ ١٤٢

وبهذا المعنى جاء في القرآن وصفا للمنافقين قال تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾ [آل عمران:١١٨] ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ﴾ [التوبة:٤٧] قال المفسرون في ذلك:" لا يقصرون في إفسادكم."(١)

٣١) خَتَر

" الَختَر شبيه بالغدر والخديعة وقيل هو الخديعة بعينها وقيل هو أسوأ الغدر وأقبحه. والخَتْر الفساد يكون ذلك في الغدر وغيره وخترت نفسه أي خبثت."(٢)

وقد جاء اللفظ في القرآن مرة واحدة بصيغة المبالغة في وصف الكافر قال تعالى:﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ [لقمان:٣٢]

٣٢) خَدَع

" خدعه ختله وأراد به المكروه من حيث لا يعلم."(٣) قال المناوي رحمه الله:" إظهار خير يتوسل به إلى إبطان شر يؤول إليه أمر ذلك الخير المظهر، وقيل إنزال الغير عما هو بصدده بأمر يبديه على خلاف ما يخفيه."(٤)

وبهذا المعنى ورد في القرآن قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ ﴾ [النساء:١٤٢] قال شهاب الدين المصري:" بمعنى يخدعون أي يظهرون غير ما في قلوبهم، وقيل يظهرون من الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ ويضمرون خلاف ما يظهرون فالخداع منهم يقع بالاحتيال والمكر ومن الله عز وجل بأن يظهر لهم من الإحسان."(٥)

وكل ما ورد في القرآن عن الخداع كان في حق المنافقين قال تعالى:﴿ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة:٩] ﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ﴾ [الأنفال:٦٢]

٣٣) خَذَل

" الخَاذِل ضد الناصر خذله وخذل عنه يخْذُله خَذْلا وخِذلانا ترك نصرته وعونه، والتخذيل حمل الرجل على خذلان صاحبه وتثبيطه عن نصرته."(٦)

---

(١) تفسير الطبري ج٤ صـ ٦١ وانظر تفسير القرطبي ج٤ صـ ١٧٩ و التسهيل لعلوم التنزيل / الكلبي ج١ صـ ١١٦والكشاف / الزمخشري ج١ صـ ٤٣٤ و التفسير الكبير / الرازي ج٨ صـ ١٨٣ وتفسير أبى السعود ج٤ صـ ٧١ وتفسير البغوي ج١ صـ ٣٥٤ وتفسير الواحدي ج ١ صـ ٢٢٨

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج٤ صـ ٢٢٩ وانظر التبيان / المصري صـ ٣٣٧ والمفردات / الأصبهاني صـ ١٤٢ وغريب القرآن / السجستاني صـ ٢١١

(٣) مختار الصحاح / الرازي صـ ٧٢

(٤) التعاريف / المناوي صـ ٣٠٩

(٥) التبيان / شهاب الدين المصري صـ ٥٦

(٦) لسان العرب / ابن منظور ج١١ صـ ٢٠٢ وانظر مختار الصحاح / الرازي صـ ٧٢

قال المناوي رحمه الله:" الخذلان خلق قدرة المعصية في العبد، ورجل خِذْلة كثيرا ما يخذل، وخذله تخذيلا حملة على الفشل وترك القتال."[1] وقال الأصبهاني رحمه الله:" والخذلان ترك من يظن به أن ينصر نصرته."[2] قال تعالى:﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ ﴾ [آل عمران: ١٦٠]

و جاء الخذلان في القرآن وصفا للمشرك والشيطان قال تعالى:﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومًا مَّخۡذُولًا ﴾ [الإسراء:٢٢]﴿ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان:٢٩]

٣٤) خَرَص

" الخَرْص حرز ما على النخل من الرطب تمرا، والخرص أيضا الكذب والخراص الكذاب وتخرص أيضا كذب."[3] قال الأصبهاني رحمه الله:" إن كل قول مقول عن ظن وتخمين يقال خرص سواء كان مطابقا للشيء أو مخالفا له من حيث إن صاحبه لم يقله عن علم ولا غلبة ظن ولا سماع بل اعتمد فيه على الظن والتخمين كفعل الخارص في خرصه، وكل من قال قولا على هذا النحو قد يسمى كاذبا وإن كان قوله مطابقا للمقول المخبر عنه كما حكي عن المنافقين في قوله عز وجل:﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾[المنافقون:١]"[4]

وبهذا المعني ورد في القرآن في وصف الكفار قال تعالى:﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴾ [الأنعام:١١٦]﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ﴾ [الأنعام:١٤٨]﴿ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ﴾ [الذاريات:١٠]

٣٥) خَرَق

" والتَخَرُّق لغة في التخلق من الكذب وخرق الكذب وتخرقه وخرقه كله اختلقه قال الله عز وجل:﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنعام:١٠٠] قرأ نافع وحده وخرّقوا له بتشديد الراء وسائر القراء قرؤوا وخرقوا بالتخفيف. قال الفراء رحمه الله: معنى خرقوا افتعلوا ذلك كذبا وكفرا وقال وخرقوا واخترقوا وخلقوا واختلقوا واحد. قال أبو الهيثم الاختراق والاختلاق والاختراص والافتراء واحد. ويقال خلق الكلمة واختلقها وخرقها واخترقها إذا ابتدعها كذبا وتخرق الكذب وتخلقه. والخَرَق والخَرْق نقيض الرفق والخرق مصدره وصاحبه أخرق."[5]

---

(١) التعاريف / المناوي صــ ٣١٠

(٢) المفردات / الأصبهاني صــ ١٤٤

(٣) مختار الصحاح / الرازي صــ ٧٣ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج٧ صــ ٢١

(٤) المفردات / الأصبهاني صــ ١٤٦

(٥) لسان العرب / ابن منظور ج١٠ صــ ٧٥ وانظر التبيان / المصري صــ ١٩٦ وغريب القرآن / السجستاني صــ ٢٠٧

ولم يرد سواها في القرآن وهى بمعنى الكذب والافتراء والخرص وقد نزلت في اليهود والنصارى ومشركي العرب ."[(١)]

٣٦) خَزِي أو خَزَا

" المخزي في اللغة المُذَل المَحْقُور بأمر قد لزمه بحجة، كذلك أخزيته ألزمته حجة إذا أذللته بها، والخِزِي الهوان وقد أخزاه الله أي أهانه الله وأقامه على خزية ومخزاة وقال أبو العباس : خَزِي الرجل خِزْيا من الهوان، وخَزِي يخزى خَزَاية من الاستحياء قال بعضهم أخزيته أي فضحته ومنه قوله تعالى حكاية عن لوط لقومه:﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ﴾ [هود:٧٨] أي لا تفضحون وقال في قوله عز وجل:﴿ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [المائدة:٣٣] الخزي الفضيحة وقد خزي يخزى خزيا إذا افتضح وتحير."[(٢)] قال المناوي رحمه الله:" الخزي إظهار القبائح التي يستحى من إظهارها عقوبة له، وقيل هو أن يفضح صاحبه؛ وهو وضع من القدر للغم الذي يلحق به وأصله التغيير وقال بعضهم الذل والهوان والانكسار."[(٣)]

وقد فرق الجرجاني رحمه الله في معني المصدر بين الخزي والخَزَاية كما ذهب ابن منظور فقال:" خزي الرجل لحقه انكسار إما من نفسه وإما من غيره؛ فالذي يلحقه من نفسه هو الحياء المفرط ومصدره الخَزَاية، والذي يلحقه من غيره يقال هو ضرب من الاستخفاف ومصدره الخزي قال تعالى: (ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَا) وقوله تعالى:﴿يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ﴾ [التحريم:٨] فهو من الخزي أقرب وإن جاز أن يكون منهما جميعا وقوله تعالى:﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ﴾ [آل عمران:١٩٢] فمن الخَزَاية ويجوز أن يكون من الخزي وكذا قوله:﴿مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ﴾ [هود:٣٩] وقوله:﴿وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ [آل عمران:١٩٤] وقوله:﴿وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الحشر:٥] وعلى نحو ما قلنا في خزي قولهم ذل وهان فإن ذلك متى كان من الإنسان نفسه يقال له الهَون والذل ويكون محمودا ومتى كان من غيره يقال له الهُون والهوان والذل ويكون مذموما."[(٤)]

وسوى ما ورد على لسان لوط عليه السلام في قوله تعالى:﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ﴾ [هود:٧٨] فقد جاء الخزي في وصف الكفار وهو بمعنى الذل والهوان والفضيحة كما ذكر أهل اللغة والشرع.

---

(١) انظر تفسير الطبري ج٧ صـــ ٢٩٧ وتفسير القرطبي ج٧ صـــ ٥٣ والتفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج١٣ صـــ ٩٦ والتسهيل لعلوم النزيل / الكلبي ج٢ صـــ ١٧

(٢) مختار الصحاح / الرازي صـــ ٧٤

(٣) التعاريف / المناوي صـــ ٣١٣

(٤) المفردات / الأصبهاني صـــ ١٤٧

وقد انقسم الخزي في القرآن قسمين: القسم الأول: في الدنيا للكفار وأهل الكتاب والمنافقين كقوله تعالى في اليهود:﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [البقرة:٨٥] وقوله تعالى في كفار قريش في منع المسلمين من دخول مكة وقيل هو في النصارى منعوا بيت المقدس[1]:﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:١١٤] وقوله تعالى في المنافقين وأهل الكتاب:﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[المائدة:٤١]

والقسم الثاني: في الآخرة كقوله تعالى في الكفار:﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [النحل:٢٧]وقوله تعالى في المنافقين:﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ﴾[التوبة:٦٣]

وقد جمع الله لعاد الخزي في الدنيا والآخرة فقال سبحانه:﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فصلت:١٦]

٣٧) خَسَأ

" الخاسئ من الكلاب والخنازير والشياطين البعيد الذي لا يترك أن يدنو من الإنسان، و الخاسئ المطرود المبعد ويكون الخاسئ بمعنى الصاغر القمىء، وخسأ بصره إذا كل وأعيا."[2] قال الأصبهاني رحمه الله:" خسأ البصر أي انقبض عن مهانة."[3]

وبهذه المعاني ورد في القرآن قال تعالى في حق اليهود وأهل النار:﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة:٦٥]﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون:١٠٨]﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك:٤]

٣٨) خَسِر

" الخَسَار والخَسَارة والخَيْسَري الضلال والهلاك والخاسر الذي ذهب ماله وعقله أي خسرهما، وخسر التاجر وَضع في تجارته أو غبن."[4]

قال الأصبهاني رحمه الله:" الخُسْر والخُسْران انتقاص رأس المال ويستعمل ذلك في المقتنيات الخارجة كالمال والجاه في الدنيا وهو الأكثر وفي المقتنيات النفسية كالصحة والسلامة والعقل والإيمان والثواب، وهو الذي جعله الله تعالى الخسران المبين وقال تعالى:﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ

---

(١) أنظر التسهيل لعلوم التنزيل / الكلبي ج١ صـ ٥٧
(٢) لسان العرب / ابن منظور ج١ صـ ٦٥
(٣) المفردات / الأصبهاني صـ ١٤٨
(٤) لسان العرب / ابن منظور ج٤ صـ ٢٣٨

يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الزُمَر:١٥] وقوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن:٩] يجوز أن يكون إشارة إلى تحري العدالة في الوزن وترك الحيف فيما يتعاطاه في الوزن، ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى تعاطي ما لا يكون به ميزانه في القيامة خاسرا فيكون ممن قال فيه: ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ [الأعراف:٩] وكلا المعنيين يتلازمان. وكل خسران ذكره الله تعالى في القرآن فهو على هذا المعنى الأخير دون الخسران المتعلق بالمقتنيات الدنيوية والتجارات البشرية."[١]

وبهذا المعنى الذي رجحه الأصبهاني ورد في القرآن أكثر من خمسين مرة وبألفاظ متعددة منها الفعل الماضي للمفرد والجمع قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء:١١٩] ﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام:١٢] ومنها الفعل المضارع قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [الجاثية:٢٧] ومنها المصدر بصيغة الخُسْر والخَسَار والخُسران والتخسير وكذلك جمع المذكر السالم واسم المرة قال تعالى: ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴾ [الطلاق:٩] ﴿ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [فاطر:٣٩] ﴿ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الزُمَر:١٥] ﴿ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾ [النازعات:١٢]

٣٩) خَسَفَ

" الخَسْفُ سؤوخ الأرض بما عليها، وخسف الله به الأرض خَسْفا أي غاب به فيها ومنه قوله تعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ [القصص:٨١] وخسف هو في الأرض و خسف به."[٢] وجاء الخسف في القرآن وصفا للكفار أو تهديدا لهم قال تعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ [القصص:٨١] ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ ﴾ [العنكبوت:٤٠] ﴿ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [سبأ:٩] ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ ﴾ [النحل:٤٥]

٤٠) خَمَدَ

" خمدت النار خُمودا سكن لهبها ولم يطفأ جمرها، وهمدت همودا إذا أطفئ جمرها البتة. وقوم خامدون لا تسمع لهم حسا وفي التنزيل العزيز: ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴾ [يس:٢٩] قال الزجاج رحمه الله: فإذا هم ساكتون قد ماتوا وصاروا بمنزلة الرماد الخامد الهامد، خمد المريض أغمي عليه أو مات، والمُخْمَد الساكن الساكت."[٣]

(١) المفردات / الأصبهاني صـــ ١٤٧ ، ١٤٨ باختصار

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج ٩ صـــ ٦٧ باختصار وانظر مختار الصحاح / الرازي صـــ ٧٤ وانظر المفردات / الأصبهاني صـــ ١٤٨

(٣) لسان العرب / ابن منظور ج٣ صـــ ١٦٥

وبهذا المعنى ورد عقابا للكفار قال تعالى:﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴾ [الأنبياء:١٥]﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ [يس:٢٩]

٤١) خَوَض

" خاض الماء يخوضه خَوْضا وخِياضا بالكسر دحله ومشى فيه، وخاض بالفرس أورده الماء، وخاض الشراب في المجدح خلطه وحركه، ومن المجاز خاض الغمرات يخوضها خوضا اقتحمها، والمخاضة ما جاز الناس فيه مشاة وركبانا وهو الموضع الذي يتخضخض ماؤه فيخاض عند العبور، والخَوْض اللُبس في الأمر ومن الكلام ما فيه الكذب والباطل."(١)

وقال الراغب رحمه الله:" الخوض هو الشروع في الماء والمرور فيه ويستعار في الأمور وأكثر ما ورد في القرآن ورد فيما يذم الشروع فيه نحو قوله تعالى:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾[التوبة:٦٥] "(٢)

وقد جاء اللفظ وصفا للكفار عندما كانوا يتحدثون عن القرآن أو عن الإسلام والمسلمين فقال سبحانه:﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾[النساء:١٤٠] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام:٦٨]﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام:٩١]﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [التوبة:٦٩]﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَٰقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [الزخرف:٨٣] ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾[الطور١١:١٢]﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ [المدثر:٤٥]

٤٢) خَيَب

" خاب يخيب خَيْبَة حرم ولم ينل ما طلب"(٣) وقد ورد اللفظ بهذا المعنى في القرآن قال تعالى واصفا الكفار في الدنيا والآخرة:﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[ابراهيم:١٥]﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه:١١١]﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:١٠]﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴾ [آل عمران:١٢٧] قال الطبري رحمه الله:" لم يصيبوا منكم شيئا مما رجوا أن ينالوه منكم."(٤)

---

(١) تاج العروس / الزبيدي ج١٨ صـ ٣٢٢ باختصار وانظر المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صـ ٢٦٢

(٢) المفردات / الأصبهاني صـ ١٦١ وانظر التعاريف / المناوي صـ ٣٢٨

(٣) لسان العرب / ابن منظور ج١ صـ ٣٦٨ ومختار الصحاح / الرازي صـ ٨١ والمفردات / الأصبهاني صـ ١٦٠

(٤) تفسير الطبري ج٤ صـ ١٦٠ وانظر الكشاف / الزمخشري ج١ صـ ٤٤٠ والبيضاوي ج٢ صـ ٩٠

٤٣) خَيَل

" والخال والخيلاء بضم الخاء وكسرها الكبر تقول منه اختال فهو ذو خيلاء وذو خال وذو مخيلة أي ذو كبر، وخال الشيء ظنه يخاله خيلا وخيلة ومخيلة وخيلولة."(١) قال الكفومي رحمه الله:" المتكبر الذي يستنكف عن أقاربه وجيرانه وأصحابه."(٢)

وقد صرح الله تبارك وتعالى بعدم محبة المختال في مواضع ثلاثة في القرآن قال تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء:٣٦]﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان:١٨]﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [الحديد:٢٣]

٤٤) دَحَر

" دحره يدحره دَحْرا ودُحُورا دفعه وأبعده. الأزهري الدَحْر تبعيدك الشيء عن الشيء والدحر الدفع بعنف على سبيل الإهانة والإذلال والدحق الطرد والإبعاد."(٣)

وقد جاء اللفظ في القرآن بهذا المعنى وصفا لإبليس قال تعالى:﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الأعراف:١٨] وجاء وعيدا للكافر والمشرك في قوله تعالى:﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء:١٨] ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء:٣٩]﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴾ ﴿ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴾ [الصافات٨:٩]

٤٥) دَسَس (دَسَّ)

" دسَّ الشيء في التراب أخفاه فيه."(٤) وقال الأصبهاني رحمه الله:" الدس إدخال الشيء في الشيء بضرب من الإكراه."(٥)

ووردت اللفظة في القرآن مرة واحدة وصفا لكفار مكة في الموؤدة قال تعالى:﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ ﴾ [النحل:٥٩] ويؤيده قوله تعالى:﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٩٣]

٤٦) دَسا أو دَسَو أو دسي

---

(١) مختار الصحاح / الرازي صـ ٨٢

(٢) الكليات / الكفومي صـ ٨٨٥، وانظر تفسير أبو السعود ج٢ صـ ١٧٦، وروح المعاني / الألوسي ج٥ صـ ٢٩

(٣) لسان العرب / ابن منظور ج٤ صـ ٢٧٨ وانظر المفردات / الأصبهاني صـ ١٦٥ وتفسير الطبري ج٨ صـ ١٣٨

(٤) مختار الصحاح / الرازي صـ ٨٦

(٥) المفردات / الأصبهاني صـ ١٩٦

" دسا يدسو دَسَوا ودَسْوَة وهو نقيض زكا يزكو زكاء وزكاة وهو داس لا زاك، ودسي نفسه ودسي يدسي لغة و يدسو أصوب ودسا كقولك غوى."[1] قال ابن منظور رحمه الله:" دسا إذا استخفى قال أبو الهيثم دسي فلان نفسه إذا أخفاها، وأخملها لؤما مخافة أن يتنبه له فيستضاف ودسي نفسه و تدسي و دساه أغراه وأفسده."[2] " وقيل دساها وهي دسسها فقلبت إحدى سيناتها ياء."[3]

وعلى اختلاف العلماء في أصلها هذا لم ترد في القرآن إلا مرة واحدة في قوله تعالى:﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:١٠] وعلى هذا اللفظ احتملت معنيين أيضا في عود الضمير في قوله دساها على صاحب النفس أو على الخالق سبحانه قال الطبري:" وقد خاب في طلبته فلم يدرك ما طلب والتمس لنفسه من الصلاح.(مَن دَسَّىٰهَا) يعني من دسس الله نفسَه فأخملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله، وقيل دساها وهي دسسها فقلبت إحدى سيناتها ياء."[4] وعلى هذا المعنى يعود الضمير على صاحب النفس.

٤٧) دَعَع (دَعَّ)

" دعع دَعَّه يدُعه دعا دفعه في جفوة وقال ابن دريد دعه دفعه دفعا عنيفا وفي التنزيل ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الماعون:٢] أي يعنف به عنفا دفعا وانتهارا وفيه (يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا) وبذلك فسره أبو عبيدة فقال يدفعون دفعا عنيفا."[5]

وقد ورد الدَّع وصفا للكافر قال تعالى:﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴾﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الماعون١:٢] قال ابن عطية رحمه الله:" قال ابن جريج كان أبو سفيان ينحر كل أسبوع جزورا فجاءه يتيم فقرعه بعصا فنزلت السورة فيه."[6] وكذا جاء الدعُّ وصفا لحال الكفار يوم القيامة عند ولوجهم النار قال تعالى:﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾ [الطور:١٣]

٤٨) دَهَن

" دَهَن الرجلُ الرَّجُلَ إذا نافق، ودهن غلامه إذا ضربه، وقال الفراء في قوله جل وعز:﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم:٩] يقال ودوا لو تلين في دينك فيلينون وقال أبو الهيثم الإدهان المقاربة في الكلام والتليين في القول، ومعناه ودوا لو تكفرون فيكفرون. وقال في قوله عز وجل:﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم

---

(١) العين / الخليل بن أحمد الفراهيدي / دار ومكتبة الهلال / تحقيق: د مهدي المخزومي ، د إبراهيم السامرائي / ج٧ صـــ ٢٨٣ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج١٤ صـــ ٢٥٤

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج١٤ صـــ ٢٥٦ باختصار وانظر تاج العروس / الزبيدي ج٣٨ صـــ ٤٥

(٣) تفسير الطبري ج٣٠ صـــ ٢١٢ وانظر التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج ٣١ صـــ ١٧٦

(٤) تفسير الطبري ج٣٠ صـــ ٢١٢

(٥) لسان العرب / ابن منظور ج٨ صـــ ٨٥ وانظر العين / الفراهيدي ج١ صـــ ٨٠ وانظر المفردات / الأصبهاني صـــ ١٦٩

(٦) المحرر الوجيز / ابن عطية ج٥ صـــ ٥٢٧

مُّدۡهِنُونَ ﴾ [الواقعة:٨١] قال مكذبون ويقال كافرون وقال أبو إسحاق الزجاج المدهن والمداهن الكذاب المنافق وقال في قوله:(وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ) أي ودوا لو تصانعهم في الدين فيصانعونك."(١) وقال الكفومي:" مدهنون متهاونون وأصله الجري في الباطل."(٢) وقال السجستاني:" مدهنون مكذبون ويقال كافرون ويقال مسرون غير ما يظهرون وكذلك قوله جل وعز:(وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ) أي لو تكفر فيكفرون ويقال لو تصانع فيصانعون ويقال أدهن الرجل في دينه وداهن إذا كان منافقا وأظهر خلاف ما أضمر."(٣)

وجاء اللفظ في القرآن بالمعاني السابقة الذكر وكلها تحمل صفات الكفار ولم يرد سوي الآيتين التي ذكرت آنفا.

٤٩) ذأَم

" ذأم الرجلَ يذأمه ذأما حقره وذمه وعابه، وقيل حقره وطرده فهو مذءوم وفي التنزيل العزيز:﴿ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومًا مَّدۡحُورًاۖ ﴾ [الأعراف:١٨] ويكون معناه مذموما ويكون مطرودا وقال مجاهد مذؤوما منفيا ومدحورا مطرودا وذأمه ذأما أخزاه والذأم العيب يهمز ولا يهمز."(٤) و إلى هذا المعنى ذهب شيخ المفسرين.(٥)

ولم يرد اللفظ في القرآن إلا مرة واحدة في الآية التي ذكرت.

٥٠) ذَمَم (ذَمَّ)

" الذَمُّ نقيض المدح والعرب تقول ذم يذم ذما وهو اللوم في الإساءة، والذم والمذموم واحد و المذمة الملامة ومنه التذمم، ويقال أتيت موضع كذا فأذممته أي وجدته مذموما."(٦)

وبهذا المعنى ورد قوله تعالى:﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومًا مَّدۡحُورًا ﴾ [الإسراء:١٨]﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومًا مَّخۡذُولًا ﴾ [الإسراء:٢٢] وكذلك جاء اللفظ في قصة سيدنا يونس عليه السلام في قوله تعالى:﴿لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴾ [القلم:٤٩] وهنا مسألة يقول فيها الرازي رحمه الله :" هل يدل قوله (وَهُوَ مَذۡمُومٞ) على كونه فاعلاً للذنب الجواب من ثلاثة أوجه: الأول: أن كلمة لولا دلت على أن هذه المذمومية لم تحصل. الثاني:

---

(١) تهذيب اللغة / الأزهري ج٦ صـــ ١١٦ وانظر تاج العروس / الزبيدي ج٣٥ صـــ ٤١

(٢) الكليات / الكفومي صـــ ٨٨٥

(٣) غريب القرآن / السجستاني صـــ ٤٥١ وانظر التبيان / شهاب الدين المصري صـــ ٤٠٨

(٤) لسان العرب / ابن منظور ج١٢ صـــ ٢١٩ وانظر مختار الصحاح / الرازي صـــ ٩٢

(٥) انظر تفسير الطبري ج٨ صـــ ١٣٨ والتفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج١٤ صـــ ٣٧

(٦) لسان العرب / ابن منظور ج١٢ صـــ ٢٢٠

لعل المراد من المذمومية ترك الأفضل فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين. الثالث: لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة لقوله:﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القلم:٥٠] والفاء للتعقيب."(١)

٥١) رِجز

" الرِجْز داء يصيب الإبل في أعجازها وهو أن تضطرب رجل البعير أو فخذاه إذا أراد القيام ثم تنبسط، وهو ارتعاد يصيب البعير والناقة في أفخاذهما ومؤخرهما عند القيام. والرجز القذر مثل الرجس، والرجز العذاب، والرجز عبادة الأوثان، وقيل هو الشرك ما كان تأويله أن من عبد غير الله تعالى فهو على ريب من أمره واضطراب من اعتقاده كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج:١١] أي على شك وغير ثقة ولا سكينة ولا طمأنينة."(٢) قال الكفومي:" كل ما في القرآن من الرجز فهو العذاب وأما ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر:٥] بالضم فالمراد الصنم."(٣) وقوله تعالى:﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الأنفال:١١] قال الطبري والزمخشري رحمهما الله:" الذي ألقى في قلوبكم ليس لكم بهؤلاء طاقة ووسوسته إليهم وتخويفه إياهم من العطش وقيل الجنابة لأنها من تخييله."(٤)

ومن معنى العذاب قوله تعالى:﴿رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة:٥٩] [الأعراف:١٦٢] [العنكبوت:٣٤] ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [سبأ:٥]و [الجاثية:١١]﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾ [الأعراف:١٣٤]﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ﴾ [الأعراف:١٣٥]

٥٢) رِجَس

" الرِجْس القذر وقد يعبر به عن الحرام والفعل القبيح والعذاب واللعنة والكفر."(٥)

قال الأصبهاني رحمه الله:" والرجس يكون على أربعة أوجه: إما من حيث الطبع، وإما من جهة العقل، وإما من جهة الشرع، وإما من كل ذلك، كالميتة فإنما الميتة تعاف طبعا وعقلا وشرعا. والرجس من جهة الشرع الخمر والميسر، وجعل الكافرين رجسا من حيث إن الشرك بالعقل أقبح الأشياء قال تعالى:﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة:١٢٥] وقوله تعالى:﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس:١٠٠] قيل الرجس النتن وقيل العذاب وذلك كقوله

---

(١) التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج٣٠ صـ ٨٧

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج٥ صـ ٣٤٩ ، ٣٥٢ وانظر مختار الصحاح / الرازي صـ ٩٩

(٣) الكليات / الكفومي صـ ٤٦٤

(٤) تفسير الطبري ج ٩ صـ ١٩٦ وانظر الكشاف / الزمخشري ج٢ صـ ١٩٣ وانظر تفسير أبي السعود ج٤ صـ ٩

(٥) لسان العرب / ابن منظور ج٦ صـ ٩٥ وانظر مختار الصحاح / الرازي صـ ٩٩

تعالى:﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة:٢٨] وقال سبحانه:﴿مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ [الأنعام:١٤٥]وذلك من حيث الشرع."(١)

٥٣) رَجَم

" الرَجْمُ القتل وقد ورد في القرآن الرجم القتل في غير موضع من كتاب الله عز وجل وإنما قيل للقتل رجم لأنهم كانوا إذا قتلوا رجلا رموه بالحجارة حتى يقتلوه. قال ابن سيدة: الرجم الرمي بالحجارة رجمه يرجمه رجما فهو مرجوم ورجيم، والرجم اللعن ومنه الشيطان الرجيم أي المرجوم بالكواكب صرف إلى فعيل من مفعول، وقيل رجيم ملعون مرجوم باللعنة مبعد مطرود وهو قول أهل التفسير. والرجم الهجران والرجم الطرد والظن والسب والشتم والقول بالظن والحدس. وفي الصحاح أن يتكلم الرجل بالظن ومنه قوله عز وجل:﴿رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ﴾ [الكهف:٢٢] وفي التنزيل العزيز: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مريم:٤٦] أي لأهجرنك ولأقولن عنك بالغيب ما تكره. والمَرَاجم الكلم القبيحة."(٢) قال الكفومي:" كل ما في القرآن من الرجم فهو القتل إلا ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ [يس:١٨] فإن معناه لأشتمنكم و(رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ) أي ظنا."(٣)

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى على لسان قوم شعيب عليه السلام:﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود:٩١] وقوله تعالى حكاية عن أبي إبراهيم:﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾ [مريم:٤٦] وقوله تعالى عن أصحاب القرية:﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يس:١٨] وقوله تعالى عن قوم نوح عليه السلام:﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء:١١٦].

وجاء أيضا اللفظ بوزن فعيل بمعنى مفعول وهو في وصف الشيطان فقط قال تعالى:﴿وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران:٣٦] ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل:٩٨]

وجاء أيضا غير معرف في قوله تعالى:﴿وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ [الحجر:١٧] ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ [التكوير:٢٥] ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [ص:٧٧] .

٥٤) رَدَى

" الرَدى الهلاك والردِي الهالك وأرداه الله وأرديته أي أهلكته ورجل ردٌ للهالك وامرأة رَدْيَة على فعْلة وفي التنزيل العزيز:﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ [الصافات:٥٦] قال الزجاج رحمه

(١) المفردات / الأصبهاني صـــ ١٨٨ وانظر التعاريف / المناوي صـــ ٣٥٧
(٢) لسان العرب / ابن منظور ج١٢ صـــ ٢٢٦ ـــ ٢٢٩ باختصار كبير وانظر المفردات / الأصبهاني صـــ ١٩٠ والتبيان / شهاب الدين المصري صـــ ٣٢٠
(٣) الكليات / الكفومي صـــ ٤٦٥

الله: معناه لتهلكني وفيه﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ [طه:١٦]"[١] وبهذا المعنى أي الهلاك بفساد أمر الدين وسوء العاقبة في الآخرة ورد في القرآن قال تعالى:﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ [طه:١٦] ﴿ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴾ [الصافات:٥٦] ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [فصّلت:٢٣] وقد يأتي الردى بمعنى الموت الجسماني كقوله تعالى:﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴾ [الليل:١١] وكذا المتردية في الدابة تسقط عن الجبل فتموت.

٥٥) ركَس

" الركْس الجماعة من الناس، وقيل الكثير من الناس، والركس شبيه بالرجيع وأركسته إذا رددته ورجعته، والركس قلب الشيء على رأسه أو رد أوله على آخره."[٢]

وقد ورد اللفظ مرتين في القرآن وصفا للمنافقين في قوله تعالى:﴿ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ﴾ [النساء:٨٨]﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ﴾ [النساء:٩١] قال أبو السعود رحمه الله:" هم قوم من أسد وغطفان كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسليمن فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم ليأمنوا قومهم، وقيل هم بنو عبد الدار وكان ديدنهم ما ذكر."[٣]

٥٦) زرَق

" الزُرْقُة في العين تقول زَرِقت عينه بالكسر تزرق زَرَقا. قال ابن سيدة رحمه الله: الزرقة البياض حيثما كان، والزرقة خضرة في سواد العين، وقيل هو أن يتغشى سوادها بياض، وقيل الزرق بياض لا يطيف بالعظم كله ولكنه وضح في بعضه."[٤] قال شهاب الدين المصري رحمه الله:" الزرقة : بيض الوجوه من العمى قد ذهب البياض وبقي السواد."[٥] وقال القرطبي رحمه الله." هي حال من المجرمين والزرق خلاف الكحل والعرب تتشاءم بزرق العيون وتذمه أي تشوه خلقتهم بزرقة عيونهم وسواد وجوههم وقال الكلبي والفراء رحمهما الله (زُرْقًا) أي عميا. وقال الأزهري رحمه الله عطاشا قد ازرقت أعينهم من شدة العطش، وقاله الزجاج رحمه الله قال: لأن سواد العين يتغير ويزرق من العطش، وقيل إنه الطمع الكاذب إذا تعقبته الخيبة."[٦]

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج ١٤ صـ ٣١٦ وانظر المفردات / الأصبهاني صـ ١٩٤

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج٦ صـ ١٠٠ وانظر شفاء العليل / ابن القيم صـ ١٠١ وانظر المفردات / الأصبهاني صـ ٢٠٢

(٣) تفسير أبي السعود ج٢ صـ ٢١٤

(٤) لسان العرب / ابن منظور ج١٠ صـ ١٣٩

(٥) التبيان / شهاب الدين المصري صـ ٢٩٠

(٦) تفسير القرطبي ج١١ صـ ٢٤٤ وانظر زاد المسير / ابن الجوزي ج٥ صـ ٣٢١

وقد وردت اللفظة في القرآن الكريم مرة واحدة حول هذه المعاني وصفاً لحال المشركين يوم القيامة قال الله تبارك تعالى:﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ [طه:١٠٢]

٥٧) زَلِق

" الزَّلَق معروف زَلِقَ يزلَقُ زَلَقاً وأزلقت الفرسُ إزلاقاً إذا ألقت ولدها قبل تمامه، ويُستعمل في كل أنثى أيضا، ويقال نظر فلان إلى فلان فأزلقَه ببصره إذا أحدَّ النظر إليه نظر متسخط أو متغيِّظ، وكل مَدْحَض لا تثبت القدم فيه فهو مَزْلَق."(١) قال الأصبهاني:" الزلق والزلل متقاربان قال ﴿صَعِيدًا زَلَقًا﴾ [الكهف:٤٠] أي دحضا لا نبات فيه ويقال زلقه و أزلقه فزلق قال يونس لم يسمع الزلق والإزلاق إلا في القرآن وروي أن أبي بن كعب رضى الله عنه قرأ ﴿ وأزلقنا ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ ﴾ [الشعراء:٦٤] أي أهلكنا."(٢)

قال تعالى في الأرض:﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾ [الكهف:٤٠] وهى في وصف عقاب الكافر صاحب الجنة وقال سبحانه في وصف الكفار حين سماع القرآن:﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴾ [القلم:٥١] قال الزمخشري رحمه الله:" يعنى أنهم من شدة تحديقهم ونظرهم إليك شزرا بعيون العداوة والبغضاء يكادون يزلون قدمك."(٣)

٥٨) زَنَم

" الزنيم ذو الزَنَمة والدعيُّ وهو الملحق بقوم واللئيم المعروف بلؤمه أو شره."(٤) وقال ابن منظور: هو ولد العاهرة (٥)

وقد ورد اللفظ في القرآن مرة واحدة ضمن صفات الوليد بن المغيرة قال الجلالان رحمهما الله:" زنيم دعي في قريش وهو الوليد بن المغيرة ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة قال ابن عباس: لا نعلم أن الله وصف أحدا بما وصفه به من العيوب فألحق به عارا لا يفارقه أبدا."(٦) قال تعالى ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم:١٣] قال الطبري رحمه الله:" والزنيم في كلام العرب الملصق بالقوم وليس منهم: ومنه قول حسان بن ثابت:

---

(١) جمهرة اللغة / ابن دريد ج٢ صـــ ٨٢٢ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج١٠ صـــ ١٤٤

(٢) المفردات / الأصبهاني صـــ ٢١٥

(٣) الكشاف / الزمخشري ج٤ صـــ ٦٠٠

(٤) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صـــ ٤٠٣

(٥) لسان العرب / ابن منظور ج١٢ صـــ ٢٧٦

(٦) تفسير الجلالين / جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي ج١ صـــ ٧٥٨

وأنت زنيم نيط في آل هاشم   كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وقال آخر زنيم ليس يعرف من أبوه بغي الأم."(١)

٥٩) سَحَق

" سحقت الشيء أسحقَه سَحْقا إذا دققته وأسحق الرجل إسْحاقا إذا بَعُد، وأسحقه الله إسحاقا مثل قولهم أبعده الله إبعادا، وتقول العرب للرجل بعدا له وسحقا أي أبعده الله وأسحقه، وانسحق الرجل انسحاقا إذا بعد عنك ومكان سحيق بعيد."(٢)

وبهذا المعنى جاء قوله تعالى:﴿فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:١١] قال الرازي رحمه الله:" والمعنى أسحقهم الله سحقاً أي باعدهم الله من رحمته مباعدة."(٣) وبمعنى البعد المكاني جاء قوله تعالى:﴿أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾[الحج:٣١]

٦٠) سَطَو

" السَطْو البسط على الناس بقهرهم من فوق، يقال سطوت عليه وبه، والسطو شدة البطش وإنما سمي الفرس ساطيا لأنه يسطو على سائر الخيل فيقوم على رجليه ويسطو بيديه، ويقال اتق سطوته أي أخذته."(٤)

وبهذا المعنى الأخير وردت في القرآن قال تعالى:﴿يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ﴾ [الحج:٧٢] قال الطبري رحمه الله:" يكادون يبطشون بالذين يتلون عليهم آيات كتاب الله من أصحاب النبي ﷺ لشدة تكرههم أن يسمعوا القرآن ويتلى عليهم."(٥)

٦١) سَفَل

" السفل بضم السين وكسرها والسفول والسفال والسفالة بالضم ضد العلو، والسافل ضد العالي والسفالة بالفتح النذالة والسفلة بكسر الفاء السقاط من الناس."(٦)

وبهذه المعاني ورد السُفل في القرآن بمعنى ضد العلو المعنوي قال تعالى:﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ﴾ [التوبة:٤٠] وبمعنى السفل الحسي قال تعالى:﴿جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ [هود:٨٢]

---

(١) تفسير الطبري ج٢٩ صـ ٢٥

(٢) جمهرة اللغة / ابن دريد ج١ صـ ٥٣٢ وانظر مختار الصحاح / الرازي صـ ١٢٢

(٣) التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج٣٠ صـ ٥٨

(٤) العين / الفراهيدي ج٧ صـ ٢٧٧ باختصار بسيط

(٥) تفسير الطبري ج١٧ صـ ٢٠١

(٦) مختار الصحاح / الرازي صـ ١٢٧ باختصار وانظر لسان العرب / ابن منظور ج ١١ صـ ٣٣٧ وانظر النهاية في غريب الحديث والأثر / ابن الأثير ج٢ صـ ٣٧٦

وفي وصف الكفار جاء في ثلاثة مواضع بألفاظ مختلفة أولها: الأسفل في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [النساء:١٤٥] قال شهاب الدين المصري رحمه الله:" النار دركات أي طبقات بعضها دون بعض قال ابن مسعود: الدرك الأسفل توابيت من حديد مبهمة عليهم أي لا أبواب لها أي والمنافق في أسفلها دركا، وقيل هي عبارة عن التفاوت أي ليسوا بمتساويين."(١) وثانيها: الأسفلين قال تعالى:﴿ فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ [الصافات:٩٨] قال الطبري رحمه الله:" فجعلنا قوم إبراهيم الأسفلين يعني الأذلين حجة وغلبنا إبراهيم عليهم بالحجة وأنقذناه مما أرادوا به من الكيد."(٢) وثالثها: سافلين في قوله تعالى:﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ [التين:٥]

٦٢) سلَخ

" السَلْخ كشط الإهاب سلخ يسلخه سلخا كشطه والسلخ نزع جلد الحيوان، وسلخت الشهر إذا أمضيته وصرت في آخره، وانسلخ الشهر من سنته، والرجل من ثيابه، والحية من قشرها، والنهار من الليل."(٣) قال الكفومي رحمه الله:" ويستعمل تارة بمعنى النزع والكشط كقولك سلخت الإهاب عن الشاة أي نزعته منها، وأخرى بمعنى الإخراج والإظهار كقولك سلخت الشاة من الإهاب أي أخرجتها منه فآية﴿نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾[يس:٣٧] على المعنى الثاني."(٤)

والذي يعنينا هنا قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ [الأعراف:١٧٥] قال ابن كثير رحمه الله:" عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه هو رجل من بني إسرائيل يقال له بلعم بن باعوراء، وعن ابن عباس رضى الله عنه هو رجل من أهل اليمن يقال له بلعم آتاه الله آياته فتركها، وقال مالك بن دينار كان من علماء بني إسرائيل وكان مجاب الدعوة يقدمونه في الشدائد بعثه نبي الله موسى عليه السلام إلى ملك مدين يدعوه إلى الله فأقطعه وأعطاه فتبع دينه وترك دين موسى عليه السلام. وعن مجاهد رحمه الله عن ابن عباس رضى الله عنه قال هو بلعام، وقال عبد الله بن عمرو رضى الله عنه هو صاحبكم أمية بن أبي الصلت، وقد روي من غير وجه عنه وهو صحيح إليه؛ وكأنه إنما أراد أن أمية بن أبي الصلت يشبهه فإنه كان قد اتصل إليه علم كثير من علم الشرائع المتقدمة ولكنه لم ينتفع بعلمه؛ فإنه أدرك زمان رسول الله ﷺ

---

(١) التبيان / شهاب الدين المصري صـــ ١٧٥

(٢) تفسير الطبري ج٢٣ صـــ ٧٥

(٣) لسان العرب /ابن منظور ج٣ صـــ ٢٤ و انظر مختار الصحاح / الرازي صـــ ١٣٠ وانظر المفردات / الأصبهاني صـــ ٢٨٣

(٤) الكليات / الكفومي صـــ ٥١٣

وبلغته أعلامه وآياته ومعجزاته وظهرت لكل من له بصيرة ومع هذا اجتمع به ولم يتبعه، وصار إلى موالاة المشركين ومناصرتهم وامتداحهم."[1] قال الشوكاني رحمه الله:" (فَٱنسَلَخَ مِنْهَا) أي من هذه الآيات التي آوتيها كما تنسلخ الشاة عن جلدها فلم يبق له بها اتصال."[2]

٦٣) سَلَق

" سلقه بالكلام آذاه وهو شدة القول باللسان، وقال ابن المبارك من سلق أي خمش وجهه عند المصيبة، ومن السَلْق رفع الصوت سلقه بلسانه أسمعه ما يكره فأكثر سلقه بالكلام سلقا إذا آذاه وهو شدة القول باللسان وفي التنزيل﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ [الأحزاب:١٩] أي بالغوا فيكم بالكلام وخاصموكم في الغنيمة أشد مخاصمة وأبلغها."[3] وقال الأصبهاني رحمه الله:"السلق بسط بقهر إما باليد أو باللسان."[4]

ولم يرد اللفظ في القرآن إلا مرة واحدة في الآية المذكورة آنفا.

٦٤) سَلَل (سَلَّ)

" السَلّ انتزاع الشيء وإخراجه في رفق، والانسلال المضي والخروج من مضيق أو زحام."[5] وقال الراغب رحمه الله:" سَلَّ الشيء من الشيء نزعه كسل السيف من الغمد، وسل الشيء من البيت على سبيل السرقة، وسل الولد من الأب ومنه قيل للولد سليل."[6] وقال السجستاني رحمه الله:" يتسللون يخرجون من الجماعة واحدا واحدا كقولك سللت كذا من كذا إذا أخرجته."[7]

وجاء اللفظ بهذا المعنى في القرآن مرة واحدة وصفا لحال المنافقين حين كان يثقل عليهم المكوث في مجلس النبي ﷺ فيختلقون الأعذار الكاذبة لترك مجلسه، فينصرفون واحدا تلو الآخر قال تعالى:﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور:٦٣]

٦٥) سَمَد

(١) تفسير ابن كثير ج٢ صـ ٢٦٥ وانظر تفسير الطبري ج٩ صـ ١٢١

(٢) فتح القدير / الشوكاني ج٢ صـ ٢٦٥

(٣) لسان العرب / ابن منظور ج ١٠ صـ ١٦٠ وانظر مختار الصحاح / الرازي صـ ١٣٠

(٤) المفردات / الأصبهاني صـ ٢٣٩

(٥) لسان العرب / ابن منظور ج١١ صـ ٣٣٨

(٦) المفردات / الأصبهاني صـ ٢٣٧

(٧) غريب القرآن / السجستاني صـ ٥١٨ وانظر التبيان / شهاب الدين المصري صـ ٣١٤

" سَمَد سُمُودا رفع رأسه تكبرا وعلا، والإبل جدت في السير، ودأب في العمل وقام متحيرا ولَهاً والسُمود يكون حزنا وسرورا."[١] ونقل الألوسي عن أبي عبيدة رحمها الله " السمود الغناء بلغة حمير يقولون يا جارية أسمدي لنا أي غني لنا، وروي نحوه عن عكرمة وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال هو الغناء باليمانية وكانوا إذا سمعوا القرآن غنوا تشاغلا عنه، وقيل يفعلون ذلك ليشغلوا الناس عن استماعه."[٢]

وقد وردت اللفظة مرة واحدة في القرآن حول هذه المعاني قال تعالى﴿ ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴾ [النجم:٦١] قال القرطبي رحمه الله:" أي لاهون معرضون. وقال الضحاك رحمه الله: سامدون شامخون متكبرون. والسمود اللهو، والسامد اللاهي يقال للقينة أسمدينا، أي ألهينا بالغناء، وروي عن علي رضي الله عنه أن معنى (سَٰمِدُونَ) أن يجلسوا غير مصلين ولا منتظرين الصلاة. والمعروف في اللغة سمد يسمد سمودا إذا لَها وأعرض. وقال المبرد رحمه الله: سامدون خامدون."[٣]

٦٦) سَيَب

" السائبة الناقة التي كانت تسيب في الجاهلية لنذر أو نحوه، وقيل هي أم البحيرة كانت الناقة إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث سيبت فلم تركب ولم يشرب لبنها إلا ولدها أو الضيف حتى تموت، فإذا ماتت أكلها الرجال والنساء جميعا وبحرت أذن بنتها الأخيرة فتسمى البحيرة وهي بمنزلة أمها في أنها سائبة، والسائبة أيضا العبد كان الرجل إذا قال لعبده أنت سائبة عتق ولا يكون ولاؤه له بل يضع ماله حيث شاء وقد ورد النهي عنه."[٤]

وقد ورد اللفظ في القرآن مرة واحدة في وصف الإبل بالمعنى الذي ذُكر قال تعالى:﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [المائدة:١٠٣] قال الطبري رحمه الله:" يقول تعالى ذكره ما بحر الله بحيرة ولا سيب سائبة ولا وصل وصيلة ولا حمى حاميا ولكنكم الذين فعلتم ذلك أيها الكفرة فحرمتموه افتراء على ربكم، وروى عن النبي

(١) القاموس المحيط / محمد بن يعقوب الفيروزآبادي / مؤسسة الرسالة / بيروت / صـ ٣٦٩ وانظر المفردات / الأصبهاني صـ ٢٤١ وانظر فتح القدير / الشوكاني ج٥ صـ ١١٨

(٢) روح المعاني / الألوسي ج ٢٧ صـ ٧٢ وانظر تفسير القرطبي ج١٧ صـ ١٢٣

(٣) تفسير القرطبي ج١٧ صـ ١٢٣

(٤) مختار الصحاح / الرازي صـ ١٣٦ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج١ صـ ٤٧٨ والمفردات / الأصبهاني صـ ٢٤٦ والتبيان / شهاب الدين المصري صـ ١٨٧

ﷺ قوله:(رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا ورأيت عمرا يجر قصبه وهو أول من سيب السوائب)[1] "[2]

٦٧) شَطَن

وردت المادة في القرآن بلفظ واحد هو الشيطان مفردا ومجموعا و" الشَّطَن الحبل والجمع أشطان ورجل شاطن إذا كان خبيثاً ومنه اشتقاق الشيطان."[3] قال الحموي رحمه الله:" جمع شيطان قيل هو فيعال من شطن إذا بعد، وقيل الشيطان فعلان من شاط يشيط إذا هلك واحترق مثل هيمان وعيمان. وعندي أن الأولى في اشتقاق الشيطان أن يكون من شطنه يشطنه شطنا إذا خالفه عن نيته ووجهه لمخالفته في السجود لآدم. أو من الشطن وهو الحبل الطويل الشديد الفتل يشد به الفرس الأشر."[4]

وقال الكفومي رحمه الله:" الشيطان هو إما من شاط بمعنى هلك. أو من شطن بمعنى بعد، وهو المحرق في الدنيا والآخرة والعصي الآبي الممتلئ شرا ومكرا أو المتمادي في الطغيان الممتد إلى العصيان. وله في القرآن صفات مذمومة وأسماء مشؤومة. خلق من قوة النار ولذلك اختص بفرط القوة الغضبية والحمية الذميمة فامتنع من السجود لآدم عليه السلام، وإغواؤه إنما يؤثر في من كان مختل الرأي مائلا إلى الفجور."[5]

وبهذا المعنى ورد في القرآن وأطلق على شياطين الجن كقوله تعالى:﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ ﴾ [البقرة:٣٦] وأطلق على شياطين الإنس كقوله تعالى:﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [البقرة:١٤] قال الغرناطي رحمه الله:" هم رؤساء الكفر، وقيل شياطين الجن وهو بعيد."[6] وجمع الله النوعين في قوله:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ ﴾ [الأنعام:١١٢]

٦٨) شَقَق (شَقَّ)

" الشَقُّ مصدر وهو الصدع في عود أو حائط أو زجاجة، والشق الموضع المشقوق وشق ناب الصبي في أول ما يظهر، و شق بصر الميت شُقُوقا شخص ونظر إلى شيء لا

---

(١) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ﴾ [المائدة:١٠٣] ج٤ صـــ ١٦٩١ حديث رقم ٤٣٤٨ والإمام مسلم في صحيحه كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ج٤ صـــ ٢١٩٢ حديث رقم ٢٨٥٦ واللفظ للبخاري عن عائشة رضى الله عنها

(٢) تفسير الطبري ج٧ صـــ ٨٦ ، ٨٧

(٣) جمهرة اللغة / ابن دريد ج٢ صـــ ٨٦٧ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج١٣ صـــ ٢٣٧

(٤) معجم البلدان / ياقوت الحموي ج٥ صـــ ٣٤٤ ، ٣٤٥ وانظر التبيان / شهاب الدين المصري صـــ ٢

(٥) الكليات / الكفومي صـــ ٥٤٠

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل / الكلبي ج١ صـــ ٣٨

يرتد إليه طرفه، والشَق والشَقة بالكسر نصف الشيء. وشق بالكسر من المشقة ويقال هم بشِق من العيش إذا كانوا في جهد، و شق علي الأمر ثقل علي، والشقة السفر البعيد والسير إلى الأرض البعيدة، واشتق الخصمان و تشاقا تلاحا وأخذا في الخصومة يمينا وشمالا مع ترك القصد."(١)

وقد جاء اللفظ في القرآن بمعاني حول التي ذكرت وهي : ــ

١ــ صعوبة العذاب قال تعالى:﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ [الرعد:٣٤]

٢ــ طول المسافة على المنافقين إذا استنفروا للجهاد في سبيل الله قال تعالى:﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُ﴾ [التوبة:٤٢]

٣ــ المخالفة لله والرسول ﷺ ومعاداتهما قال تعالى:﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الحشر:٤] ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ [النساء:١١٥]﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأنفال:١٣]

٤ــ الخصام قال تعالى:﴿وَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمۡ﴾ [النحل:٢٧] قال الشنقيطي رحمه الله:" ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه يسأل المشركين يوم القيامة سؤال توبيخ فيقول لهم أين المعبودات التي كنتم تخاصمون رسلي وأتباعهم بسببها، قائلين إنكم لا بد لكم أن تشركوها معي في عبادتي؟"(٢)

٥ــ العداوة قال تعالى:﴿وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٣٧] قال السعدي رحمه الله:" ويلزم من المشاقة المحادة والعداوة البليغة التي من لوازمها بذل ما يقدرون عليه من أذية الرسول فلهذا وعد الله رسوله أن يكفيه إياهم."(٣)

٦ــ المخالفة الناتجة عن عدم إتباع الحق والهدى قال تعالى:﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾ [البقرة:١٧٦] قال الرازي رحمه الله:"هؤلاء الذين يختلفون في كيفية تحريف التوراة والإنجيل لأجل عداوتك هم فيما بينهم في شقاق بعيد ومنازعة شديدة فلا ينبغي أن تلتفت إلى اتفاقهم على العداوة فإنه ليس فيما بينهم مؤالفة وموافقة."(٤)

وكما ترى فإن كل ما ذكر في الشقاق جاء قي وصف الكفار أو المنافقين أو أهل الكتاب.

٦٩) شقا أو شقو أو شقي

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج١٠ صــ ١٨١ ــ ١٨٥ باختصار كبير وتصرف يسير وانظر المفردات / الأصبهاني صــ ٢٦٤

(٢) أضواء البيان / الشنقيطي ج٢ صــ ٣٦٦

(٣) تفسير السعدي ج١ صــ ٦٨

(٤) التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج٥ صــ ٣٠

قال الزبيدي:" انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها."(١) وفي اللسان شقا قال ابن منظور:" شقا الشَقَاء والشَقَاوة بالفتح ضد السعادة يمد ويقصر شقي يشقى شقا و شقاوة و شقوة و شقوة و الشقاء الشدة والعسرة، والمشاقاة المعالجة في الحرب وغيرها، والمشاقاة المعاناة والممارسة و الشاقي حيد من الجبل طويل لا يستطاع ارتقاؤه."(٢)

قال الراغب رحمه الله:" شقا الشقاوة خلاف السعادة فالشقوة كالردة والشقاوة ضربان: أخروية، و دنيوية وهي ثلاثة أضرب نفسية وبدنية وخارجية. قال بعضهم قد يوضع الشقاء موضع التعب نحو شقيت في كذا. وكل شقاوة تعب وليس كل تعب شقاوة فالشقاوة أعم من التعب."(٣) وفي الشقاوة الأخروية قال تعالى:﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه:١٢٣] وقال: ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ [المؤمنون:١٠٦] وفي الدنيوية قال: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾ [طه:١١٧]"(٤)

ومن الشقاوة النفسية والجسدية في الآخرة قوله تعالى"﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ [هود:١٠٦] قال الألوسي رحمه الله:" أي نار الحرمان عن المراد وآلام ما اكتسبوه من الآثام، وهو عذاب النفس."(٥) وهذا بالطبع مضافا إلى عذاب الجد المستفاد من قوله سبحانه زفير وشهيق من شدة الأنين قال ابن زمين:" قال قتادة هذا حين يقول الله عز وجل لهم: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون:١٠٨] فينقطع كلامهم فما يتكلمون بعدها بكلمة إلا هواء الزفير والشهيق فشبه أصواتهم بأصوات الحمير."(٦) وهذا هو قمة العذاب النفسي.

ومن الشقاوة النفسية والجسدية في الدنيا قوله تعالى:﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴾ [طه:٢] قال الشنقيطي رحمه الله:" وجهان من التفسير وكلاهما يشهد له قرآن الأول: أن المعنى ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى أي لتتعب التعب الشديد بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا وهذا

---

(١) تاج العروس / الزبيدي ج ٣٨ صــ ٣٨٦ وانظر العين / الفراهيدي ج٥ صــ ١٨٤ وجمهرة اللغة / ابن دريد ج٢ صــ ٨٧٦ وانظر أساس البلاغة / أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري / دار الفكر / ١٣٩٩هــ ــ ١٩٧٩م / صــ ٣٣٥

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج١٤ صــ ٤٣٨،٤٣٩ باختصار كبير و تاج العروس / الزبيدي ج٣٨ صــ ٣٨٧

(٣) المفردات / الأصبهاني صــ ٢٦٤ باختصار وانظر الكليات / الكفومي صــ ٥٢٣ والتعاريف / المناوي صــ ٤٣٤

(٤) المفردات / الأصبهاني صــ ٢٦٥

(٥) روح المعاني / الألوسي ج١٢ صــ ١٦٨

(٦) تفسير القرآن العزيز/ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين / الفاروق الحديثة / مصر/ القاهرة / ١٤٢٣هــ ــ ٢٠٠٢م / الطبعة: الأولى / تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز / ج٢ صــ ٣٠٩

الوجه جاءت بنحوه آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر:٨] الوجه الثاني: أنه ﷺ صلى بالليل حتى تورَّمتْ قدماه فأنزل الله (مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ) أي تنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة وما بعثناك إلا بالحنيفية السمحة وهذا الوجه تدل له ظواهر آيات من كتاب الله كقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨]"[١]

وقد اجتمعت على الكفار في النار في الآخرة كل أصناف الشقاوة فهم تحت العذاب الجسماني، وتذوب أنفسهم حسرات على ما فرطوا في الدنيا وتبكيت الله والملائكة والمؤمنين لهم، وفوق كل ذلك فهو عذاب مسلط عليهم خارج عن إرادتهم لا يستطيعون دفعه أو تخفيفه.

وقد أطلق الشقاء على ما يضاد العبادة وهو الدعاء في قوله تعالى على لسان زكريا وإبراهيم عليهما السلام: ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم:٤] ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾ [مريم:٤٨]

وأُطلق الشقاء على الظلال والكفر كما قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم:٣٢] وأطلق أيضا وأريد به كافر بعينه وإن أريد به العموم كما في قوله تعالى: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى﴾ [الأعلى:١١] ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ [الليل:١٥] ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾ [الشمس:١٢]

٧٠) شكك (شَكَّ)

" الشَكُّ نقيض اليقين."[٢] وقيل هو" حالة نفسية يتردد معها الذهن بين الإثبات والنفي ويتوقف عن الحكم."[٣] وقال الأصبهاني رحمه الله:" الشك اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما؛ وذلك قد يكون لوجود أمارتين متساويتين عند النقيضين، أو لعدم الأمارة فيهما. والشك ربما كان في الشيء هل هو موجود أو غير موجود، وربما كان في جنسه من أي جنس هو، وربما كان في بعض صفاته، وربما كان في الغرض الذي لأجله أوجد. والشك ضرب من الجهل وهو أخص منه لأن الجهل قد يكون عدم العلم بالنقيضين رأسا فكل شك جهل وليس كل جهل شكا."[٤]

وقد جاء الشك في القرآن بهذا المعنى وصفا لحال الكافرين من الأمم السابقة كقوله تعالى في قوم صالح عليه السلام: ﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود:٦٢] وفي وعاد وثمود و قوم نوح ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [إبراهيم:٩] وجاء

(١) أضواء البيان / الشنقيطي ج٤ صـ ٤
(٢) لسان العرب / ابن منظور ج١٠ صـ ٤٥١ وانظر مختار الصحاح / الرازي صـ ١٤٥
(٣) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صـ ٤٩١
(٤) المفردات / الأصبهاني صـ ٢٦٥

الشك وصفا لكفار قريش قال تعالى:﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي ﴾ [ص:٨]﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴾ [الدخان:٩] وكذا جاء وصفا لليهود قال تعالى:﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ﴾ [غافر:٣٤]﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ [الشورى:١٤] وجاء الشك أيضا وصفا للكفار على تكذيبهم بالحياة الآخرة قال تعالى:﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴾ [النمل:٦٦]

وقد جعله ابن القيم رحمه الله قسما من أقسام الكفر الأكبر. (١)

٧١) شَمْأَز أو شَمَز

" الشَّمْز التقبض، اشمأز اشمئزازا انقبض واجتمع بعضه إلى بعض، وقال أبو زيد ذعر من الشيء وهو المذعور والشمز نفور النفس من الشيء تكرهه."(٢)

وقد ورد اللفظ مرة واحدة في القرآن بهذا المعنى وصفا للكفار عند ذكر الله وقراءة القرآن في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزُّمَر:٤٥]

٧٢) صَبَأَ

" قال أبو إسحاق في قوله: (وَٱلصَّٰبِـِٔينَ) معناه الخارجين من دين إلى دين يقال صبَأَ فلانٌ يَصْبَأُ إذا خرج من دينه قال الليث رحمه الله الصابئون قوم يشبه دينهم دين النصارى إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب يزعمون أنهم على دين نوح وهم كاذبون. وكان يقال للرجل إذا أسلم في زمن النبي ﷺ قد صبَأَ عنوا أنه خرج من دين إلى دين."(٣) قال السجستاني رحمه الله:" وقال قتادة الأديان ستة: خمسة للشيطان وواحد للرحمن؛ الصابئون يعبدون الملائكة ويصلون للقبلة ويقرؤون الزبور، والمجوس يعبدون الشمس والقمر، والذين أشركوا يعبدون الأوثان، واليهود، والنصارى."(٤)

ووردت الكلمة بجمع المذكر السالم ثلاث مرات وصفا لدين الكفار في قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

---

(١) للمزيد انظر صـ ٣٣

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج٥ صـ ٣٦٢ وانظر تاج العروس / الزبيدي ج١٥ صـ ١٨٢ والمفردات / الأصبهاني صـ ٢٦٧

(٣) تهذيب اللغة / الأزهري ج١٢ صـ ١٨٠ وانظر تاج العروس / الزبيدي ج١ صـ ٣٠٧ ولسان العرب / ابن منظور ج١ صـ ١٠٨ والعين / الفراهيدي ج٧ صـ ١٧١

(٤) غريب القرآن / السجستاني صـ ٢٩٦ وانظر معجم ألفاظ القرآن / مجمع اللغة العربية مج١ صـ ٦٦١

﴿يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٦٢]﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ [المائدة:٦٩]﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[الحج:١٧]

وقد اختلف الناس في تعريفهم للصابئ لخصه ابن الجوزي فقال:" أصل هذه الكلمة أعني الصابئين من قولهم صبأت إذا خرجت من شيء إلى شيء، وصبأت النجوم إذا ظهرت، وصبأ به إذا خرج، والصابئون الخارجون من دين إلى دين وللعلماء في مذاهبهم عشرة أقوال : ـــ

أحدها: أنهم قوم بين النصارى والمجوس، والثاني: أنهم بين اليهود والمجوس، والثالث: أنهم بين اليهود والنصارى، والرابع: أنهم صنف من النصارى ألين قولا منهم، والخامس: أنهم قوم من المشركين لا كتاب لهم، والسادس: أنهم كالمجوس، والسابع: أنهم فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور، والثامن: أنهم قوم يصلون إلى القبلة ويعبدون الملائكة ويقرؤون الزبور، والتاسع: أنهم طائفة من أهل الكتاب، والعاشر: أنهم كانوا يقولون لا إله إلا الله وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي إلا قول لا إله إلا الله، وهذه أقوال المفسرين مثل ابن عباس والقاسم والحسن وغيرهم فأما المتكلمون فقالوا مذهب الصابئين مختلف فيه فمنهم من يقول أن هناك هيولي كان لم يزل ولم يزل يصنع العالم وسموا الكواكب ملائكة وسماها قوم منهم آلهة وعبدوها، وزعم بعضهم أنه لا يوصف الله عز وجل إلا بالنفي دون الإثبات ويقال ليس بمحدث ولا موات ولا جاهل ولا عاجز، وبعضهم يقول هذا العالم لا يفنى وأن الثواب والعقاب في التناسخ."(١)

٧٣) صَدَد (صَدَّ)

" صدَّ عنه يصد بضم الصاد وفتحها صدودا أعرض و صده عن الأمر منعه وصرفه عنه والصدد القرب يقال داري صدد داره أي قبالتها."(٢) وقال الراغب رحمه الله:" والصد قد يكون انصرافا عن الشيء وامتناعا وقد يكون صرفا ومنعا نحو﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل:٢٤] والصديد ما حال بين اللحم والجلد من القيح وضرب مثلا لمطعم أهل النار قال تعالى:﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ [ابراهيم:١٦]"(٣)

" وجاء هذا اللفظ القرآني إحدى وأربعين مرة في أربعين آية، منها ثماني عشرة آية مكية، واثنتان وعشرون آية مدنية، وقد جاءت هذه الآيات في ثلاث وعشرين سورة من كتاب الله تعالى، منها إحدى عشرة سورة مكية، واثنتا عشرة سورة مدنية، وقد جاء بعدة صيغ واشتقاقات، منها الماضي المجرد من الضمائر المبني للمعلوم والمبني للمجهول أيضاً، والماضي المتصل

---

(١) تلبيس إبليس / ابن الجوزي صـــ ٩٢ ـــ ٩٤ باختصار كبير

(٢) مختار الصحاح / الرازي صـــ ١٥٠ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج٣ صـــ ٢٤٥

(٣) المفردات / الأصبهاني صـــ ٢٧٦

بضمائر رفع أو نصب، أو رفع ونصب معاً، ومنها ما هو بصيغة المضارع المتصل بضمائر الرفع أو النصب أوكليهما معاً، ومنها ما هو بصيغة المصدر المجرد من الإضافة، والمصدر المضاف للضمير، ومنها ما هو بصيغة المفعول المطلق."(١)

وقد جاء اللفظ في سياقات متعددة، مسندا إلى فئات مختلفة، دالاً على معان متنوعة، والمعاني التي وردت منه في القرآن هي: ــ

١ــ الإعراض والعدول قال تعالى:﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء:٥٥]

٢ــ المنع والصرف قال تعالى:﴿ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النساء:٦١]

٣ــ التعرض والمقابلة قال تعالى:﴿ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ [عبس:٦]

٤ــ التصفيق قال تعالى:﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾ [الأنفال:٣٥]

٥ــ شراب أهل النار قال تعالى:﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴾ [ابراهيم:١٦]

وقد تقدم أن هذه المعاني كلها تعود إلى الإعراض والمنع، والخلاصة أن معاني كلمة الصد الواردة في القرآن تطابق معانيها الأساسية في اللغة، إلا أن هناك بعض المعاني اللغوية الفرعية لهذه الكلمة لم ترد في القرآن، كما أن هناك توسعة لبعضها في القرآن، حيث ورد فيه الصديد لما يطعمه أهل النار، على سبيل التمثيل، إظهارا لقبحه وبشاعته. وقد قيل هو:" ما يسيل من جلود أهل النار، واشتقاقه من الصدّ، لأنه يصدّ الناظرين عن رؤيته أو تناوله."(٢) فيكون معناه حينئذ مطابقا للمعنى اللغوي.

وباستقراء الآيات التي وردت في الصد وجدت أنها جاءت مسندة وفق التقسيم التالي: ــ

١ــ إلى النفس في ثلاث آيات كقوله تعالى:﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَـٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴾ [سبأ:٣٢]

٢ــ إلى الشيطان في ثلاث آيات كقوله تعالى:﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة:٩١]

٣ــ إلى المشركين في أربع عشرة آية كقوله تعالى:﴿ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:٢١٧]

٤ــ إلى أهل الكتاب في أربع آيات كقوله تعالى:﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[آل عمران:٩٩]

---

(١) انظر مجلة الجامعة الإسلامية سلسلة الدراسات الشرعية المجلد الثاني عشر / العدد الثاني / يونيو ٢٠٠٤ م الصد عن سبيل الله في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية د/ عبد السلام حمدان اللوح ، د/ زكريا إبراهيم الزميلي صـــ ٣٣ ــ ٦٥

(٢) انظر فتح القدير / الشوكاني ج٣ صـــ ١٠٠

٥ــ إلى المنافقين في آيتين كقوله تعالى:﴿رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النساء:٦١]
٦ــ عام محتمل لكل الفئات في ست آيات كقوله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[النساء:١٦٧]
٧ــ التحذير عن الصد والصادين في خمس آيات كقوله تعالى:﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [الأنفال:٤٧]
٨ــ أمور لغوية في خمس آيات كقوله تعالى:﴿صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾[الأنفال:٣٥]

٧٤) صَدَف

" الصُدُوف الميل عن الشيء وأصدفني عنه كذا وكذا أي أمالني وصدف عنه عدل وأصدفه عنه عدل به وصدف عني أي أعرض و صدف ونكب إذا عدل."(١) قال الكفومي رحمه الله:" صدف حيث يستعمل لازما بمعنى أعرض ومتعديا بمعنى صدف غيره (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا) [الأنعام:١٥٧] والآية محتملة لها."(٢) وقال الراغب رحمه الله:" أعرض إعراضا شديدا يجري مجرى الصدف أي الميل في أرجل البعير، أو في الصلابة كصدف الجبل أي جانبه، أو الصدف الذي يخرج من البحر."(٣)

وقد ورد اللفظ قي القرآن بمعنى حسي في قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ ﴾ [الكهف:٩٦] أي الجانبين وبالمعنى الذي ذكرته وهو الإعراض بنفسه أو إعراض الغير كقوله تعالى:﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَاۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٧] وقوله تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ [الأنعام:٤٦] ولم يرد سوا ما ذُكر في القرآن.

٧٥) صَرَر (صَرَّ)

" الصِرُّ بالكسر والصِرَة شدة البرد وقيل هو البرد عامة، وريح صِر وصَرْصَر شديدة البرد وقيل شديدة الصوت، وصَر القلم والباب يصِر صَريرا أي صوت، وصِرة القيظ شدته وشدة حره، وأصل الصِر الجمع والشد ومنه قيل للأسير مصرور لأن يديه جمعتا إلى عنقه، و أصر على الأمر عزم عليه ومنها عزيمة محتومة قال وهي مشتقة من أصررت على الشيء إذا أقمت ودمت عليه ومنه قوله تعالى:﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران:١٣٥] وقال أصر على الشيء يصر إصرارا إذا لزمه وداومه وثبت عليه، وأكثر ما يستعمل في الشر والذنوب ومن أتبع الذنب الاستغفار فليس بمصر عليه."(٤)

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج٩ صــ ١٨٧
(٢) الكليات / الكفومي صــ ٢٩
(٣) المفردات / الأصبهاني صــ ٢٧٦
(٤) لسان العرب / ابن منظور ج٤ صــ ٤٥٠ ــ ٤٥٣ باختصار كبير

وقد جاءت اللفظة في القرآن بهذه المعاني ففي معنى شدة البرد وشدة الصوت والقوة جاءت في وصف الريح في قوله تعالى:﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ [آل عمران:١١٧]﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا ﴾ [فصّلت:١٦]﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾ [القمر:١٩] قال ابن كثير:" قال بعضهم وهي شديدة الهبوب وقيل الباردة وقيل هي التي لها صوت. والحق أنها متصفة بجميع ذلك فإنها كانت ريحا شديدة قوية لتكون عقوبتهم من جنس ما اغتروا به من قواهم وكانت باردة شديدة البرد جدا."(١)

وجاءت في معنى الإصرار والإقامة على الذنب في قوله تعالى:﴿وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴾ [نوح:٧]﴿ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ﴾ [الجاثية:٨]﴿ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة:٤٦] وهذا كل ما جاء في هذه اللفظة .

و قوله تعالى: ﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ [الذاريات:٢٩] و لم أدرج هذا المعنى حيث أنه من سجية ابن آدم لا مدح فيه ولا ذم قال الأندلسي:" وقوله فصكت وجهها معناه ضربت وجهها قال ابن عباس لطمت وهذا مما يفعله الذي يرد عليه أمر يستهوله."(٢)

٧٦) صَغِر

" الصَغار مصدر الصغير في القدر، والصاغر الراضي بالذل والضيم، وأصغره جعله صاغرا، وتصاغرت إليه نفسه صغرت و تحاقرت ذلا ومهانة، وفي الحديث (إذا قلت ذلك تصاغر حتى يكون مثل الذباب)(٣) يعني الشيطان أي ذل وأمحق ويجوز أن يكون من الصِّغر و الصَغَار وهو الذل والهوان."(٤)

قال ابن الجوزي:" الصغار أشد الذل."(٥)

وبهذا المعنى ورد في القرآن قال تعالى:﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:١٢٤] ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة:٢٩]﴿ وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [النمل:٣٧] ﴿ فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ [الأعراف:١٣]

٧٧) صَمَم (صَمَّ)

" الصَمَم انسداد الأذن وثقل السمع، وأصمه الله فصمَّ، والأصم هو الذي لا يسمع وأراد به الذي لا يهتدي ولا يقبل الحق من صمم العقل لا صمم الأذن. الليث الصمم في الأذن ذهاب سمعها، وفي القناة

---

(١) تفسير ابن كثير ج٤ صـــ ٩٦

(٢) المحرر الوجيز / ابن عطية الأندلسي ج٥ صـــ ١٧٨

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين كتاب الأدب ج٤ صـــ ٣٢٥ حديث رقم ٧٧٩٣

(٤) لسان العرب / ابن منظور ج٤ صـــ ٤٥٩ وانظر مختار الصحاح / الرازي صـــ ١٥٢وانظر المفردات / الأصبهاني صـــ ٢٨٢

(٥) التبيان / شهاب الدين المصري صـــ ١٩٨

اكتناز جوفها، وفي الحجر صلابته، وفي الأمر شدته، ويقال أذن صماء وقناة صماء وحجر أصم وفتنة صماء. وصميم كل شيء خالصه. يقال هو في صميم قومه، وصميم الحر والبرد شدته، وصميم القيظ أشده حرا وصميم الشتاء أشده بردا. وكان أهل الجاهلية يسمون رجبا شهر الله الأصم قال الخليل: إنما سمي بذلك لأنه كان لا يسمع فيه صوت مستغيث ولا حركة قتال ولا قعقعة سلاح لأنه من الأشهر الحرم. قال الله تعالى في صفة الكافرين:﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [البقرة:١٨]"(١)

قال الأزهري رحمه الله:" يقول القائل كيف جعلهم الله صما وهم يسمعون وبكما وهم ناطقون وعميا وهم يبصرون؟ والجواب في ذلك أن سمعهم لما لم ينفعهم لأنهم لم يعوا به ما سمعوا، وبصرهم لما لم يجد عليهم لأنهم لم يعتبروا بما عاينوه من قدرة الله وخلقه الدال على أنه واحد لا شريك له، ونطقهم لما لم يغن عنهم شيئا إذ لم يؤمنوا به إيمانا ينفعهم كانوا بمنزلة من لا يسمع ولا يبصر ولا يعي."(٢)

وورد الصمم في القرآن بالمعنى الحسي الذي هو تعطل حاسة السمع كقوله تعالى:﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [هود:٢٤] وبالمعنى الشرعي الذي هو عدم الإصغاء للحق لفساد في الطبع لا لخلل في الحاسة كان وروده الأغلب قال تعالى:﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ ﴾ [المائدة:٧١][يونس:٤٢][الفرقان:٧٣] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ [محمد:٢٣] ومما يحتمل المعنيين قوله تعالى:﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ﴾ [الإسراء:٩٧]

٧٨) ضَغَن

" ضَغَن العود ونحوه ضَغَنا اعوج والتوى، والدابة عسرت واستصعبت على القياد، وضغن إليه مال واشتاق، وعليه حقد وأبغضه بغضا شديدا، ويقال ضغن صدره انطوى على حقد فهو ضَغَن و ضاغن."(٣) قال السجستاني رحمه الله:" ضغن وهو ما في القلب مستكن من العداوة."(٤)

ولم يأت اللفظ في القرآن إلا مرتين مقرونا بالإخراج في سورة واحدة قال تعالى:﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴾ [محمد:٢٩] ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴾

(١) لسان العرب ج١٢ / ابن منظور صـــ ٣٤٢ وما بعدها بتصرف يسير واختصار كبير وانظر المفردات / الأصبهاني صـــ ٢٨٦

(٢) تهذيب اللغة / الأزهري ج١٢ صـــ ٨٨

(٣) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صـــ ٥٤١ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج١٣ صـــ ٢٥٥

(٤) غريب القرآن / السجستاني صـــ ٨٠ وانظر التبيان / شهاب الدين المصري صـــ ٣٨٢

[محمد:٣٧] قال الألوسي رحمه الله:" أي أحقادكم لمزيد حبكم للمال وضمير (وَيُخۡرِجۡ) لله تعالى ورويت أيضا عن ابن عباس (ونخرج) بالنون مضمومة وجوز أن يكون للسؤال أو للبخل فإنه سبب إخراج الأضغان والإسناد على ذلك مجازي."[١]

٧٩) ضَنَك

" ضنك قال الله جلّ وعزّ : ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا ﴾ [طه:١٢٤] قال أبو إسحاق رحمه الله: الضَّنك أصلُه في اللغة الضيق والشدة ومعناه والله أَعلم أَن هذه المعيشة الضَّنْكَ في نار جهنم قال فأكثر ما جاء في التفسير أنه عذاب القبر قال قتادة رحمه الله: معيشة ضنكا جهنم. وقال الضحاك رحمه الله: الكسب الحرام. وقال ابن مسعود رضى الله عنه: عذاب القبر. وقال الليث رحمه الله: في تفسيره أَكْلُ ما لم يكن من حلال فهو ضَنْكٌ وإن كان موسعا عليه. وقد ضَنُكَ عيشه قال والضَّنْكُ ضيق العيش وكل ما ضاق فهو ضَنْكٌ."[٢] وبهذا المعنى قال جل المفسرين.[٣]

٨٠) طَبَع

" الطَبْع والطبيعة الخليقة والسجية التي جبل عليها الإنسان، وهو ما طُبع عليه من طباع الإنسان في مأكله ومشربه وسهولة أخلاقه وحزونتها وعسرها ويسرها وشدته ورخاوته وبخله. وطبع الله على قلبه ختم ويقال طبع الله على قلوب الكافرين نعوذ به منه أي ختم فلا يعي وغطى فلا يوفق لخير. وقيل طبع في اللغة وختم واحد وهو التغطية على الشيء والاستيثاق من أن لا يدخله شيء. قال ابن الأثير رحمه الله: كانوا يرون أن الطبع هو الرين قال مجاهد رحمه الله: الرين أيسر من الطبع والطبع أيسر من الإقفال والإقفال أشد من ذلك كله. وأما طَبَع القلب بتحريك الباء فهو تلطيخه بالأدناس، وأصل الطبع الصدأ يكثر على السيف وغيره، وطبعه ملؤه والطبع ملؤك السقاء حتى لا مزيد فيه من شدة ملئه."[٤]

قال الراغب رحمه الله:" الطبع مصدر طبعت وهو تأثير الشيء كنقش الخاتم والطابع، والثاني: الأثر الحاصل عن النقش ويتجوز بذلك تارة في الاستيثاق من الشيء والمنع منه اعتبارا بما يحصل من المنع بالختم على الكتب والأبواب نحو﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ [البقرة:٧]

---

(١) روح المعاني / الألوسي ج٢٦ صـ ٨١

(٢) تهذيب اللغة / الأزهري ج١٠ صـ ٢٥ وانظر تاج العروس / الزبيدي ج٢٧ صـ ٢٥٨ ولسان العرب / ابن منظور ج١٠ صـ ٤٦٢

(٣) انظر تفسير الطبري ج١٦ صـ ٢٢٥ والتفسير الكبير / الرازي ج٢٢ صـ ١١٢ وتفسير القرطبي ج١١ صـ ٢٥٩

(٤) لسان العرب / ابن منظور ج٨ صـ ٢٣٢ ، ٢٣٣ باختصار كبير وانظر النهاية في غريب الحديث والأثر / ابن الأثير ج٣ صـ ١١٢

وتارة في تحصيل أثر عن شيء اعتبارا بالنقش الحاصل وتارة يعتبر منه بلوغ الآخر ومنه قيل ختمت القرآن أي انتهيت إلى آخره فقوله (خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ) إشارة إلى ما أجرى الله به العادة أن الإنسان إذا تناهى في اعتقاد باطل أو ارتكاب محظور ولا يكون منه تلفت بوجه إلى الحق يورثه ذلك هيئة تمرنه على استحسان المعاصي وكأنما يختم بذلك على قلبه."(١) وقال ابن القيم:" الختم والطبع يشتركان فيما ذكر ويفترقان في معنى آخر وهو أن الطبع ختم يصير سجية وطبيعة فهو تأثير لازم لا يفارق."(٢)

ولم يأت الطبع في القرآن إلا على القلب وبهذا المعني جاء وصفا لقلوب أهل الكتاب قال تعالى:﴿ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء:١٥٥] والكفار كذلك قال تعالى:﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف:١٠١] والمنافقين قال تعالى: ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة:٨٧] والمرتدين بعد إسلام قال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [النحل:١٠٨]

٨١) طَعَن

" طعنه بالرمح، وطعن في السن، وطعن فيه أي قدح فيه أو في عرضه."(٣) فالطعن إذا له معنى واحد ينصرف إلى الحسي تارة كطعن الرمح، ومعنوي كطعن في الدين أو النسب.

وقد ورد مرتين في القرآن قصد به الطعن في الدين من قبل أهل الكتاب في قوله تعالى:﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ ﴾ [النساء:٤٦] ومن قبل الكفار في قوله تعالى:﴿ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ ﴾[التوبة:١٢]

٨٢) طَغَا أو طَغَو أو طَغَي

" طَغْيا وطُغْيانا جاوز الحد المقبول، والماء فاض وتجاوز الحد في الزيادة، ويقال طغى الموج وفلان غلا في العصيان وتجبر وأسرف في الظلم، الطاغوت الطاغي المعتدي أو كثير الطغيان، و كل رأس في الضلال يصرف عن طريق الخير، والشيطان والكاهن والساحر وكل ما عبد من دون الله من الجن والإنس والأصنام وفي التنزيل العزيز﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ [البقرة:٢٦٥] وبيت الصنم جمعه طواغيت وطواغ، والطاغية العظيم الظلم الكثير الطغيان والتاء

---

(١) المفردات / الأصبهاني صــ ١٤٣

(٢) شفاء العليل / ابن القيم صــ ٩٢

(٣) أنظر مختار الصحاح / الرازي صــ ١٦٥

للمبالغة الطَغوى الطُغيان وفي التنزيل العزيز﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ [الشمس:١١] والطغيان تجاوز الحد في الظلم أو في الماء."(١)

وقد ورد لفظ الطغيان في القرآن تسعا وثلاثين مرة، والله والطاغوت نقيضان، ولا يمكن الإيمان بهما في نفس الوقت والإيمان بالله يتطلب الكفر بالطاغوت، والإيمان بالطاغوت كفر بالله قال تعالى:﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٦٥]

والكفر بالله ولاية للطاغوت قال تعالى:﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ [البقرة:٢٥٧] ولا يمكن لمن يؤمن بالكتاب أن يؤمن بالطاغوت في نفس الوقت قال تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء:٥١] ولا يمكن أن يكون الطاغوت حكما بين الناس دون الشريعة الإلهية:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء:٦٠] ومن يقاتل في سبيل الله غير الذي يقاتل في سبيل الطاغوت قال تعالى:﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ﴾ [النساء:٧٦] والعبادة لله وحده وليس للطاغوت قال تعالى:﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ﴾ [النحل:٣٦]

والطغيان جاء وصفا لفرد كفرعون قال تعالى:﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ [طه:٢٤] ووصف به نظامه الذي أسسه على ذلك قال تعالى:﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر١٠:١١] وقد يتبناه أي نظام اجتماعي لقوم طاغين قال تعالى:﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات٥٢:٥٣] والطغيان مجرد حلم لا يتحقق ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الطور:٣٢] وهو باختيار من الناس وليس إملاء عليهم من أحد قال تعالى:﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾ [الصافات:٣٠] وليس إغواء من قرين أو صديق قال تعالى:﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [ق:٢٧] وقد يطغى الإنسان من نفسه بناء على مسؤوليته الخاصة إذا ما شعر أنه ليس بحاجة لأحد، وأنه قادر على كل شيء قال تعالى:﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ﴾ ﴿أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ [العلق٦:٧] والطغيان يخيف لأن الإنسان يأباه بطبعه وينفر منه قال تعالى:﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ [طه:٤٥] وإذا ما خاف الإنسان فإنه قد يزداد طغيانا ليعطي لنفسه الأمان الزائف قال تعالى:﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٦٠] والطغيان يعادل الكفر بالله، فالطاغية كافر بالله قال تعالى:﴿وَقَالَتِ

(١) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـــ ٥٥٨ ، ٥٥٩ باختصار، وانظر تهذيب اللغة / الأزهري ج٨ صـــ ١٥٣ والتعاريف / المناوي صـــ ٤٨٣

ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ﴾ [المائدة:٦٤] والكفر والطغيان إرهاق للإنسان لا يستطيع أن يتحملهما قال تعالى:﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَـٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ﴾ [الكهف:٨٠]

ويثبت التاريخ أن الطغيان لا يدوم مثل عاد وثمود وقوم نوح قال سبحانه:﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴾ ﴿ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴾ ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴾ [النجم٥٠:٥٢] وكذا هلكت ثمود لأنها كانت طاغية بالطاغية ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴾ [الحاقة:٥] والطغيان عاقبته الخسران في الدنيا وفي الآخرة قال تعالى:﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴾ ﴿ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ ﴿ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات٣٧:٣٩]

وللطاغين شر عاقبة في الآخرة خزايا نادمين قال تبارك وتعالى:﴿ هَـٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّـٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴾ [ص:٥٥] وهل هناك أسوأ من جهنم مآبا﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾ ﴿ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ﴾ [النبأ٢١:٢٢] وحينئذ لا ينفع الندم ﴿ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَـٰغِينَ ﴾ [القلم:٣١] والله لن يمنع أحدا من طغيانه لأنها مسؤولية شخصية يحاسب عليها يوم القيامة ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقرة:١٥] فاليقظة من الداخل، ومن لا يستطع أن يدرك خطورة الطغيان وآثاره الوخيمة فلن يستطيع أحد أن ينقذه منه قال تعالى:﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأنعام:١١٠] ولو ساعده الله ورحمه فإنه قد يظل في طغيانه ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَـٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [المؤمنون:٧٥]

٨٣) طَفَف

" الطَّفَف التقتير طفَّف عليه تطفيفاً إذا قتّر عليه."(١) وقال الزبيدي رحمه الله:" وطَفَّفَ تَطْفِيفاً بخس في الكيل والوزن ونقص المكيال وهو أن لا يملأه إلى أصباره ومنه قوله تعالى:﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ [المطفّفين:١] فالتطفيف نقص يخون به صاحبه في كيل أو وزن. وقد يكون النقص ليرجع إلى مقدار الحق فلا يسمى تطفيفا، ولا يسمى بالشيء اليسير مطففا على إطلاق الصفة حتى يصير إلى حال تتفاحش."(٢) وقال المناوي رحمه الله:" التطفيف التقليل ومنه قيل طفف الميزان والمكيال تطفيفا ولا يستعمل إلا في الإيجاب فلا يقال ما طففت."(٣)

---

(١) جمهرة اللغة / ابن دريد ج٢ صــ ١٠١١

(٢) تاج العروس / الزبيدي ج٢٤ صــ ٩٤ وانظر الكليات / الكفومي صــ ٣١٨

(٣) التعاريف / المناوي صــ ١٨٢

وجاء اللفظ مرة واحدة في القرآن مفسرا بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ﴾ [المطففين١:٣]

٨٤) طَمَس

"طَمَس الشيء طُمُوسا تغيرت صورته، ويقال طمس القمر أو النجم أو البصر أو نحوه ذهب ضوؤه، والقلب ونحوه فسد فلا يعي شيئا، والشيء وعليه طمسا شوهه أو محاه وأزاله، يقال طمست الريح الأثر، ويقال طمس الغيم الكواكب حجب ضوءها، وطمس عينه وعليها أعماها."(١)

وجاء الطمس في القرآن للوجه والعين والمال قال تعالى في الوجه:﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ﴾ [النساء:٤٧] قال الكلبي رحمه الله:" عن ابن عباس طمسها أن تزال العيون منها وترد في القفا فيكون ذلك ردا على الدبر، وقيل طمسها محو تخطيط صورها من أنف أو عين أو حاجب حتى تصير كالأدبار في خلوها عن الحواس."(٢) وجاء الطمس للعين متعديا بحرف الجر ومتعديا بنفسه قال تعالى واصفا حال الكفار يوم القيامة:﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ﴾ [يس:٦٦] وقال تعالى في قوم لوط:﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر:٣٧] قال الرازي رحمه الله:" إنه تعالى حكى ههنا ما وقع وهو طمس العين وإذهاب ضوئها وصورتها بالكلية حتى صارت وجوههم كالصفحة الملساء ولم يمكنهم الإنكار لأنه أمر وقع، وأما هناك فقد خوفهم بالممكن المقدور عليه فاختار ما يصدقه كل أحد ويعرف به وهو الطمس على العين لأن إطباق الجفن على العين أمر كثير الوقوع وهو بقدرة الله تعالى وإرادته فقال: (وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ) وما شققنا جفنهم عن عينهم وهو أمر ظاهر الإمكان كثير الوقوع، والطمس على ما وقع لقوم لوط نادر فقال هناك على أعينهم ليكون أقرب إلى القبول."(٣)

وجاء الطمس على المال في دعاء موسى على فرعون وقومه قال تعالى:﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ [يونس:٨٨] قال الطبري:" أن يغير أموالهم عن هيئتها ويبدلها إلى غير الحال التي هي بها، وذلك نحو قوله:﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ﴾ [النساء:٤٧] يعني به من قبل أن نغيرها عن هيئتها التي هي عليها وقال محمد بن القرظي رحمه الله: اجعل سُكَرَهم حجارة.

---

(١) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـ ٥٦٥ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج٦ صـ ١٢٦ وانظر غريب القرآن / السجستاني صـ ١٠٦

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل / الكلبي ج١ صـ ١٤٤

(٣) التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج٢٩ صـ ٥٥

وقال الربيع بن أنس وقتادة وسفيان وابن زيد: صارت أموالهم حجارة. وقال آخرون: معنى ذلك أهلكها وذلك مروي عن ابن عباس ومجاهد."[1]

وجاء الطمس أيضا وصفا للنجوم يوم القيامة وهو ذهاب نورها[2] في قوله تعالى:﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ﴾ [المرسلات:٨]

٨٥) عَتَل

" العُتُل هو الشديد الجافي والفظ الغليظ من الناس والشديد، وقيل الأكول المنوع، وقيل هو الجافي الخلق اللئيم الضريبة، وقيل هو الشديد من الرجال والدواب وفي التنزيل(عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ) [القلم:١٣] قيل هو الشديد الخصومة وقيل هو ما تقدم."[3] وجاء اللفظ مرتين بصيغة الفعل في قوله تعالى:﴿خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الدخان:٤٧] قال الرازي رحمه الله :" فجروه بقهر وقيل اقصفوه كما يقصف الحطب."[4] وجاء صفة للوليد بن المغيرة على الراجح والمشهور في قوله تبارك تعالى:﴿عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم:١٣] بالمعني الذي ذُكر آنفا.

٨٦) عَتَا أو عَتَو

" عتا يعْتُو عُتوا و عُتيا بالضم والكسر استكبر وجاوز الحد. قال الأزهري: العتا العصيان والعاتي الجبار وجمعه عتاة، والعاتي الشديد الدخول في الفساد المتمرد الذي لا يقبل موعظة. و عتا الشيخ عتيا بفتح العين وكسرها أسن وكبر وولى وفي التنزيل﴿وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم:٨] والعُتو التجبر والتكبر وتعتيت مثل عتوت ولا تقل عتيت."[5]

قال الراغب رحمه الله:" عتا العتو النبو عن الطاعة يقال عتا يعتو عتوا وعتيا قال تعالى:﴿وَعَتَوۡ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾[الفرقان:٢١] (مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيًّا) أي حالة لا سبيل إلى إصلاحها ومداواتها وقيل إلى رياضة."[6] وسوى ما جاء في قوله تعالى على لسان زكريا:﴿وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم:٨] فمعناه مجاوزة الحد والشدة كقوله تعالى في وصف الريح التي أهلكت عادا:﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ﴾ [الحاقة:٦] وفي وصف الكفار كذلك بمجاوزة الحد في التمرد والطغيان والجبروت قال تعالى:﴿فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾

---

(١) تفسير الطبري ج١١ صـ ١٥٧ ، ١٥٨ باختصار كبير

(٢) انظر أضواء البيان / الشنقيطي ج٨ صـ ٤٠١

(٣) لسان العرب / ابن منظور ج١١ صـ ٤٢٣ وانظر جمهرة اللغة / ابن دريد ج١ صـ ٤٣١ و الكليات / الكفومي صـ ٥٩٨ ،٦٦٠ والمفردات / الأصبهاني صـ ٣٢١

(٤) التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج٢٥ صـ ١٣٣ باختصار

(٥) لسان العرب / ابن منظور ج١٥ صـ ٢٧ ، ٢٨ باختصار وانظر العين / الفراهيدي ج٢ صـ ٢٢٦

(٦) المفردات / الأصبهاني صـ ٣٢١

[الأعراف:١٦٦] ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴾ [مريم:٦٩] ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا ﴾[الطلاق:٨]﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾[الملك:٢١]

٨٧) عَشَا أو عَشَئ أو عَشَو أو عَشَي

" العَشا يكون سوء البصر من غير عمى، ويكون الذي لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار، وقال أبو زيد الأعشى هو السيّء البصر بالنهار وبالليل، وقيل إذا ضعف بصره. والصحيح أن عشا كمَال بحسب ما يتعدى به فإن كان متعديا بعن فمعناه الإعراض وإن تعدى بإلى فمعناه القصد والإقبال، فكل واحد منهما ضدّ الآخر كقولك عدلت إلى بني فلان إذا قصدتهم وعدلت عنهم إذا مضيتَ عنهم، وكذلك ملت إليهم وملت عنهم، ومضيت إليهم ومضيت عنهم وهكذا."(١)

قال السجستاني رحمه الله:"(يَعْشُ) يظلم بصره عنه كأن عليه غشاوة، ويقال عشوت إلى النار أعشو إذا استدللت إليها ببصر ضعيف. ومن قرأ يعش بفتح الشين أي يعم عنه يقال عشي الرجل يعش فهو أعش إذا لم يبصر بالليل، وقيل معنى يعشو عن ذكر الرحمن يعرض عنه."(٢)

وورد اللفظ بهذا المعنى مرة واحدة في قوله تعالى:﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [الزُخرُف:٣٦] قال البيضاوي:" يتعام ويعرض عنه لفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات، وقرىء يعش بالفتح أي يعْمَّ وقرئ يعشو على أن (من) موصولة (نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ) يوسوسه ويغويه دائما ومن رفع يعشو ينبغي أن يرفع (نُقَيِّضْ)"(٣)

٨٨) عَضَض (عَضَّ)

" عضض العَضُّ الشد بالأسنان على الشيء وكذلك عض الحية."(٤) وقد جرت العادة عند أكثر الناس عند الندم أو الغيظ أن يَعَضوا أيديهم أو أناملهم، وقد يستعمل ذلك مجازا. قال الراغب رحمه الله:" العض أزم بالأسنان وذلك عبارة عن الندم لما جرى به عادة الناس أن يفعلوه عند ذلك."(٥)

وقد تكرر اللفظ في القرآن مرتين بهذا المعنى في وصف المنافقين في الدنيا مما رأوا من ألفة ومحبة بين المسلمين قال تعالى:﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ [آل عمران:١١٩] وفي وصف الكافر يوم القيامة ندما على عدم إتباع الرسول ﷺ قال تعالى:﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ

---

(١) تهذيب اللغة / الأزهري ج٣ صـــ ٣٥ ، ٣٦ باختصار كبير وتصرف يسير

(٢) غريب القرآن / السجستاني صـــ ٥٢٣ وانظر التبيان / شهاب الدين المصري صـــ ٣٧٤ ، ٣٧٥

(٣) تفسير البيضاوي ج٥ صـــ ١٤٦

(٤) لسان العرب / ابن منظور ج٧ صـــ ١٨٨

(٥) المفردات / الأصبهاني صـــ ٣٣٧

﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٢٧] قال الشوكاني رحمه الله:" الظاهر أن العض هنا حقيقة، ولا مانع من ذلك ولا موجب لتأويله. وقيل هو كناية عن الغيظ والحسرة، والمراد بالظالم كل ظالم يرد ذلك المكان وينزل ذلك المنزل، ولا ينافيه ورود الآية على سبب خاص ــ عقبة بن أبي معيط كان نطق بالشهادتين ثم رجع إرضاء لأبي ابن خلف(١) ــ فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب."(٢)

٨٩) عَضَه أو عَضَو أو عَضَي

" اختلف أهل العربية في اشتقاق أصله وتفسيره فمنهم من قال واحدها عِضَة وأصلها عِضْوَة من عضَّيتُ الشيء إذا فرَّقتَه، والمعنى أنهم فرَّقوا يعنى المشركون أقاويلهم في القرآن أي فجعلوه مرة كذبا ومرة سحرا ومرة شعرا ومرة كهانة ومنهم من قال أصل العِضَة عِضْهة فاستثقلوا الجمع بين هاءين فقالوا عِضَة، وروي عن عكرمة رضى الله عنه أنه قال: العِضْهُ السحر بلسان قريش وهم يقولون للساحر عاضه."(٣) قال الكفومي رحمه الله:"(عِضِينَ) حيث قالوا عنادا بعضه حق وبعضه باطل، أو قسموه إلى سحر وشعر وكهانة وأساطير الأولين."(٤)

وجاء اللفظ مرة واحدة في وصف المشركين للقرآن في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر:٩١] وقيل بل هم أهل الكتاب قال الشنقيطي رحمه الله:" وعلى أنهم أهل الكتاب فالمراد بالقرآن كتبهم التي جزؤوها فآمنوا ببعضها وكفروا ببعضها، أو القرآن لأنهم آمنوا بما وافق هواهم منه وكفروا بغيره."(٥)

٩٠) عَقَر

" العَقْرُ عند العرب كَسْفُ عرقوب البعير ثم جُعِل النحر عقرا لأن العَقْر سبب لنحره، وناحِرُ البعير يَعقِره ثم ينحره."(٦) قال الراغب رحمه الله:" وعقرت البعير نحرته"(٧)

ولم يرد العقر في القرآن إلا في فعلة ثمود قوم صالح منسوبا مرة للقوم جمعا في قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ﴾ [الأعراف:٧٧] ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود:٦٥] وجاء منسوبا لواحد فقط في قوله تعالى:﴿فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ [القمر:٢٩]

---

(١) تفسير الجلالين / المحلي والسيوطي صـــ ٤٧٤

(٢) فتح القدير / الشوكاني ج٤ صـــ ٧٢

(٣) تهذيب اللغة / الأزهري ج٣ صـــ ٤٤ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج١٣ صـــ ٥١٦

(٤) الكليات / الكفومي صـــ ٦٦٠ وانظر غريب القرآن / السجستاني صـــ ٣٤٦ والمفردات / الأصبهاني صـــ ٣٣٨

(٥) أضواء البيان / الشنقيطي ج٢ صـــ ٣١٨

(٦) تاج العروس / الزبيدي ج١٣ صـــ ١٠٣ وانظر تهذيب اللغة / الأزهري ج١ صـــ ١٤٥

(٧) المفردات / الأصبهاني صـــ ٣٤١

وقد جمع الشنقيطي رحمه الله بين ذلك فقال:" وإيضاح ذلك أن الله تعالى فيها نسب العقر لواحد لا لجماعة لأنه قال فتعاطى فعقر بالإفراد مع أنه أسند عقر الناقة في آيات أخر إلى ثمود كلهم ووجه إشارة الآية إلى إزالة هذا الإشكال هو أن قوله تعالى (فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ) يدل على أن ثمود اتفقوا كلهم على عقر الناقة فنادوا واحداً منهم لينفذ ما اتفقوا عليه أصالة عن نفسه ونيابه عن غيره، ومعلوم أن المتمالئين على العقر كلهم عاقرون، وصحت نسبة العقر إلى المنفذ المباشر للعقر، وصحت نسبته أيضاً إلى الجميع لأنهم متمالئون كما دل عليه ترتيب تعاطي العقر بالفاء. وجمع بعض العلماء بين هذه الآيات بوجه آخر وهو أن إطلاق المجموع مراداً به بعضه أسلوب عربي مشهور وهو كثير في القرآن وفي كلام العرب."(١)

٩١) عَمِه

قال الكفومي رحمه الله:" العَمَه التحير والتردد بحيث لا يدري أين يتوجه، وهو في البصيرة كالعمى في البصر، قيل العمى عام في البصر والرأي والعمه في الرأي خاصة."(٢)

وقد ورد اللفظ مرة واحدة مكررا سبع مرات بصيغة المضارع لجمع المذكر السالم وصفا للمنافقين قال تعالى:﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقرة:١٥] وللكفار قال تعالى:﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[الأنعام:١١٠] قال الطبري رحمه الله:" في ضلالهم وكفرهم الذي قد غمرهم يترددون حيارى ضلالا لا يجدون إلى المخرج منه سبيلا؛ لأن الله قد طبع على قلوبهم وختم عليها وأعمى أبصارهم عن الهدى وأغشاها فلا يبصرون رشدا ولا يهتدون سبيلا."(٣)

٩٢) عَمَى أو عَمِي

" العَمَى ذهاب البصر وقد عمي فهو أعمى وقوم عميٌّ، وأعماه الله وتعامى الرجل أرى من نفسه ذلك وعُمي عليه الأمر التبس ومنه قوله تعالى:﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾ [القصص:٦٦] ورجل عمى القلب أي جاهل، وامرأة عمية عن الصواب وعمية القلب وقوم عمون. وعَميتُهم أي جهلهم. وقولهم ما أعماه إنما يراد به ما أعمى قلبه لأن ذلك ينسب إلي الكثير الضلال ولا يقال في عمى العيون ما أعماه لأن ما لا يتزيد لا يتعجب منه."(٤)

قال الراغب رحمه الله:" العمى يقال في افتقاد البصر والبصيرة ويقال في الأول أعمى وفي الثاني أعمى وعم وعلى الأول قوله:﴿أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ [عبس:٢]وعلى الثاني ما ورد من ذم العمى في القرآن نحو

---

(١) أضواء البيان / الشنقيطي ج٧ صـ ٤٨١

(٢) الكليات / الكفومي صـ ٦٥٢ وانظر تاج العروس / الزبيدي ج٣٦ صـ ٤٤٨ ولسان العرب / ابن منظور ج١٣ صـ ٥١٩ والمعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـ ٦٢٩

(٣) تفسير الطبري ج١ صـ ١٣٦

(٤) مختار الصحاح / الرازي صـ ١٩١

قوله تعالى﴿ صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٌ ﴾ [البقرة:١٨] بل لم يعد افتقاد البصر في جنب افتقاد البصيرة عمى حتى قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج:٤٦] وعمي عليه أي اشتبه حتى صار بالإضافة إليه كالأعمى."(١)

والذي نحن بصدده عمى القلب وسماه البعض عمى البصيرة وقد جاءت البصيرة في القرآن مناقضة للعمى قال تعالى:﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ ﴾ [الأنعام:١٠٤] وقد أثبت القرآن أيضا أن العمى الحقيقي هو عمى القلوب لا الأبصار فقال سبحانه:﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج:٤٦] وبكلا المعنيين جاء العمى مذموما في القرآن للكفار وصفا لهم أو جزاء على إعراضهم. فهم قوم لا يتذكرون قال سبحانه:﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [الرعد:١٩] وهم قوم سكرت أبصارهم وأن بدوا أنهم يشاهدون فالعبرة بالبصيرة لا بالبصر قال تبارك تعالى:﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٌ مَّسۡحُورُونَ ﴾ [الحجر:١٥] وهو وصف ملازم لليهود لحبهم للفتنة قال تعالى:﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾ [المائدة:٧١] وهم أهل فساد وقطع أرحام فاستحقوا بذلك لعنة الله قال تعالى:﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴾ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴾ [محمد٢٢:٢٣] لذا ختم على قلوبهم فلا تتأثر بالقرآن رغم وضوح دلالته قال سبحانه وتعالى:﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٌ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ ﴾ [فصّلت:٤٤] لذا أصبحوا كالبهائم قال تبارك تعالى:﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءًۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٌ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ [البقرة:١٧١] وهم لا يؤمنون بالآخرة قال تعالى:﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ﴾ [النمل:٦٦] لذا عوقبوا بالعمى فيها قال تبارك تعالى:﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾ [الإسراء:٧٢] ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ [طه:١٢٤] وكذا المنافقون لما ترددوا بين الكفر والهدى أصبحوا بمعزل عن الهدى لا يستطيعون العودة إليه قال الله تعالى:﴿ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٌ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴾[البقرة:١٨] وهم متبعون لأهوائهم مستكبرون في الأرض أحبوا العمى على الهدى قال تبارك تعالى:﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ ﴾ [فصّلت:١٧] وبهذه الصفات قسم الله سبحانه عز و جل الخلق قسمين وضرب مثل لكل قسم فأهل الهدى كالمبصر واهل الضلال كالأعمى قال تعالى:﴿مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ ﴾ [هود:٢٤]

---

(١) المفردات / الأصبهاني صـــ ٣٤٨

٩٣) عَنَد

" عَنَدا وعُنودا تباعد وانصرف، والناقة تباعدت عن الإبل ورعت وحدها، وفلان استكبر وتجاوز الحد في العصيان وخالف الحق ورده وهو يعرفه فهو عاند وعَنود وعَنيد."[١] قال الرازي" وعند بمعنى الحضور والدنو وفيها ثلاث لغات كسر العين وفتحها وضمها."[٢] وقال المناوي رحمه الله:" العِناد الاعوجاج والخلاف، وقيل المبالغة في الإعراض ومخالفة الحق."[٣]

قال الراغب:" والعنيد المعجب بما عنده، والمعاند المباهي بما عنده، والعنود قيل مثله لكن بينهما فرق لأن العنيد الذي يعاند ويخالف والعَنود الذي يعند عن القصد."[٤]

وقد ورد اللفظ في القرآن بصيغة عنيد فقط في قوله تعالى:﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [هود:٥٩]﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [ابراهيم:١٥]﴿ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [ق:٢٤]﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴾ [المدثر:١٦] قال الشوكاني رحمه الله:" والعنيد الطاغي الذي لا يقبل الحق ولا يذعن له."[٥] و به قال جل المفسرين.

٩٤) عَوِج

" العَوَج كل ما كان ينتصب كالحائط والعود قيل فيه عَوَج بالفتح، والعِوج بالكسر هو ما كان في أرض أو دين أو معاش، وقد يستعمل المكسور في المحسوس تنبيها على دقته ولطفه بحيث لا يدرك إلا بالقياس الهندسي وعليه قوله تعالى:(لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا)"[٦]

والعوج في القرآن جاء في الحسي والمعنوي في الحسي كقوله تعالى: ﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾ [طه:١٠٧] وفي المعنوي كقوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [هود:١٩] ومما يحتمل الوجهين قوله تعالى:﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ﴾ [طه:١٠٨] قال الشنقيطي رحمه الله:" أي لا يحيدون عنه ولا يميلون يمينا ولا شمالا، وقيل لا عوج لدعاء المَلك عن أحد أي لا يعدل بدعائه عن أحد بل يدعوهم جميعا:"[٧]

---

(١) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـــ ٦٣٠، وانظر التبيان / المصري صـــ ٢٣٥

(٢) مختار الصحاح / الرازي صـــ ١٩١

(٣) التعاريف / المناوي صـــ ٥٢٨

(٤) المفردات / الأصبهاني صـــ ٣٤٩ وانظر الكليات / الكفومي صـــ ٦٥٤

(٥) فتح القدير / الشوكاني ج٢ صـــ ٥٠٦ وانظر تفسير القرطبي ج٩ صـــ ٥٤ وتفسير البحر المحيط / أبو حيان الأندلسي ج٥ صـــ ٢٢٥

(٦) الكليات / الكفومي صـــ ٥٩٦ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج٢ صـــ ٣٣٢ وتهذيب اللغة / الأزهري ج٣ صـــ ٣٢ والمفردات / الأصبهاني صـــ ٣٥١

(٧) أضواء البيان / الشنقيطي ج٤ صـــ ١٠٠

٩٥) عَوَق

" رجل عَوْق لا خير عنده والجمع أعواق، ورجل عوق جبان، وعاقه عن الشيء يعوقه عَوَقا صرفه وحبسه ومنه التعويق والاعتياق وذلك إذا أراد أمرا فصرفه عنه صارف."(١) وجعله الراغب في الصرف عن الخير فقط."(٢)

وقد ورد اللفظ مرة واحدة في القرآن في وصف المنافقين وقيل في اليهود وذلك في قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب:١٨] قال الشوكاني رحمه الله:" قال المفسرون هؤلاء قوم من المنافقين كانوا يثبطون أنصار النبي ﷺ وذلك أنهم قالوا لهم ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس، ولو كانوا لحما لالتقمهم أبو سفيان وحزبه فخلوهم وتعالوا إلينا، وقيل إن قائل هذه المقالة اليهود قالوا (لِإِخْوَٰنِهِمْ) من المنافقين (هَلُمَّ إِلَيْنَا)"(٣)

٩٦) غَبَر

" غبر الشيء يَغْبُر غُبورا مكث وذهب، وغبر الشيء يغبر أي بقي، والغابر الباقي والغابر الماضي وهو من الأضداد. وغُبْر كل شيء بقيته والجمع أغبار. قولهم جرح غبر وداهية الغبر بلية لا تكاد تذهب. والغَبَرَة اغبرار اللون يغبر للهم ونحوه ويقال أصابه غبر في عرقه أي لا يكاد يبرأ."(٤)

وقد جاء اللفظ مرتين في القرآن دلالة على الهلاك والعذاب؛ مرة في الدنيا تكرر ست مرات في وصف امرأة لوط عليه السلام كقوله تعالى:﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [الأعراف:٨٣] ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [الصافات:١٣٥] ومرة واحدة في الآخرة في وصف وجوه الكفار وهى يعلوها التراب قال تعالى:﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴾ [عبس:٤٠] قال الطبري رحمه الله:" وجوه الكفار يومئذ عليها غبرة ذكر أن البهائم التي يصيرها الله ترابا يومئذ بعد القضاء بينها يحول ذلك التراب غبرة في وجوه أهل الكفر."(٥)

٩٧) غَثَا أو غَثأ أو غثي

" غثا الغُثاء بالضم والمد ما يحمله السيل من القُمْش، وكذلك الغُثَّاء بالتشديد وهو أيضا الزبد والقذر. وحده الزجاج فقال الغثاء الهالك البالي من ورق الشجر الذي إذا خرج السيل رأيته مخالطا زبده."(٦)

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج١٠ صـــ ٢٧٩ وانظر مختار الصحاح / الرازي صـــ٣٥٣

(٢) المفردات / الأصبهاني صـــ ٣٥٣

(٣) فتح القدير / الشوكاني ج٤ صـــ ٢٦٩

(٤) لسان العرب / ابن منظور ج٥ صـــ ٣ــ ٥ باختصار كبير وانظر المفردات / الأصبهاني صـــ ٣٥٧

(٥) تفسير الطبري ج٣٠ صـــ ٦٢

(٦) لسان العرب / ابن منظور ج١٥ صـــ ١١٦

وقال الزبيدي رحمه الله:" وغُثَاءُ الناس أَرذالهم وسقطهم ــ وأصلها عنده غثي ــ"(١)

وقال السجستاني رحمه الله:" غثاء أي يابسا والغثاء ما يبس من النبت فحملته الأودية والمياه، والقول الآخر فجعله غثاء أي يابسا أحوى أي أسود من قِدمه واحتراقه أي فكذلك يميتكم بعد الحياة كقوله جل وعز﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المؤمنون:٤١] "(٢)

وبهذا المعنى ورد في القرآن مرتين الآية السالفة الذكر في وصف حال الكفار بعد العذاب. وقوله تعالى في وصف الزرع بعد جفافه: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴾ ﴿ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴾ [الأعلى٤:٥]

٩٨) غَرِق

" الغَرَق غرق في الماء أي ذهب فيه فهو غَرِق إذا لم يمت بعد وإذا مات فهو غريق."(٣) وقال ابن دريد رحمه الله:" غَرِقَ الرجلُ يغرَق غرَقاً فهو غريق وأصله في الماء، ثم كثر ذلك حتى قالوا غَرِقَ في الماء وغَرِقَ في الطيب وما أشبهه إذا أكثر منه، وكذلك غَرِقَ في الذنوب وجمع غريق غَرْقَى، وأغرقَ في الشيء يُغْرِق إغراقاً إذا جاوز الحد فيه وأصله من النَّزْع في السهم حتى يخرجه عن كبد القوس."(٤)

وبهذا المعنى جاء الغرق في القرآن عذابا لمن كفر كفرعون وآله قال تعالى:﴿ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة:٥٠]﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ ﴾ [يونس:٩٠]﴿ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴾ [الإسراء:١٠٣] ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ [الأعراف:١٣٦] و قوم نوح عليه السلام وكذا ابنه قال تعالى:﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا ﴾ [نوح:٢٥]﴿ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ [هود:٣٧]﴿ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾[هود:٤٣]

وجاء تهديدا للكفار قال تعالى:﴿ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ﴾ [الإسراء:٦٩]

وجاء أيضا في وصف حال الكفار حين تنزع الملائكة أرواحهم عند الموت قال تعالى:﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴾ [النازعات:١] قال القرطبي رحمه الله:" يرى الكافر نفسه في وقت النزع كأنها تغرق، وقال السدي رحمه الله: والنازعات هي النفوس حين تغرق في الصدور."(٥)

---

(١) تاج العروس /الزبيدي ج٣٩ صـ ١٤٣ وانظر المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـ ٦٤٥

(٢) غريب القرآن / السجستاني صـ ٣٥٤ ، ٣٥٥ وانظر المفردات / الأصبهاني صـ ٣٥٨

(٣) الكليات / الكفومي صـ ٦٧٢ وانظر تاج العروس / الزبيدي ج٢٦ صـ ٢٣٨ ولسان العرب / ابن منظور ج١٠ صـ ٢٣٨

(٤) جمهرة اللغة / ابن دريد ج٢ صـ ٧٨٠ وانظر المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـ ٦٥٠

(٥) تفسير القرطبي ج ١٩ صـ ١٩٢ وانظر تفسير أبي السعود ج٩ صـ ٩٦

٩٩) غَسَق

" غسقت عينه غَسْقا وغُسُوقا دمعت، وقيل انصبت وقيل أظلمت وقيل هو هملان العين بالعمش والماء، والغَسَقان الانصباب وغسق اللبن انصب من الضرع وغسقت السماء انصبت وأرشت وغسق الليل انصب وأظلم، والغَساق بالتخفيف والتشديد ما يسيل من صديد أهل النار وغسالتهم، وقيل ما يسيل من دموعهم، وقيل الغَساق والغُساق المنتن البارد الشديد البرد الذي يحرق من برده كإحراق الحميم، وقيل البارد فقط والغسق من قماش الطعام."(١)

وجاء اللفظ في القرآن مرتين بلفظ الغساق مكررا في قوله تعالى:﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ [ص:٥٧] ﴿ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾ [النبأ:٢٥] وذُكر أن فيها قرائتين بالتخفيف والتشديد للسين وعليها يختلف المعنى قال الطبري رحمه الله:" والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان قد قُرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، وإن كان التشديد في السِّين أتم عندنا في ذلك، لأن المعروف ذلك في الكلام، وإن كان الآخر غير مدفوعة صحته.

واختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: هو ما يسيل من جلودهم من الصديد والدم. قال عبد الله بن عمرو: هو القَيْح الغليظ لو أن قطرة منه تُهَرَاق في المغرب لأنتنت أهل المشرق، ولو تُهَرَاق في المشرق لأنتنت أهل المغرب. وقال آخرون: هو البارد الذي لا يستطاع من برده. ويقول آخرون: لا بل هو أنْتَن النَّتْن. وقال آخرون: بل هو المُنْتِن. وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: هو ما يسيل من صديدهم، لأن ذلك هو الأغلب من معنى الغُسُوق، وإن كان للآخر وجه صحيح."(٢)

وجاء باسم الفاعل في قوله تعالى:﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ [الفلق:٣] وقد جاء للمفسرين وأهل اللغة في هذا أقوال كثيرة ذكرها الأمام الطبري رحمه الله ثم قال:" وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال إن الله أمر نبيه أن يستعيذ من شر غاسق وهو الذي يظلم يقال قد غسق الليل يغسق غُسوقا إذا أظلم، إذا وقب يعني إذا دخل في ظلامه، والليل إذا دخل في ظلامه غاسق والنجم إذا أفل غاسق والقمر غاسق إذا وقب، ولم يخصص بعض ذلك بل عم الأمر بذلك فكل غاسق فإنه كان يؤمر بالاستعاذة من شره إذا وقب."(٣)

١٠٠) غَصَب

" الغَصْب أخذ الشيء ظلما، غصب الشيء فهو غاصب وغصبه على الشيء قهره و غصبه منه والاغتصاب مثله، والشيء غَصْب و مغصوب وتكرر في الحديث ذكر الغصب وهو أخذ مال الغير

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج١٠ صــ ٢٨٨ ــ ٢٨٩ باختصار كبير وانظر معجم ألفاظ القرآن الكريم / مجمع اللغة العربية مج٢ صــ ١٠١ والمفردات / الأصبهاني صــ ٣٦٠

(٢) تفسير الطبري ج٢٣ صــ ١٧٧ باختصار كبير

(٣) تفسير الطبري ج٣٠ صــ ٢٥٣

ظلما وعدوانا وغصبها نفسها واقعها كرها استعاره للجماع."[١] وقال الجرجاني رحمه الله:" الغصب في اللغة أخذ الشيء ظلما مالا كان أو غيره وفي الشرع أخذ مال متقوم محترم بلا إذن مالكه بلا خفية."[٢]

ووردت اللفظة مرة واحدة في وصف الملك الكافر[٣] في قصة صاحب موسى عليه السلام حين خرق السفينة في قوله تعالى:﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف:٧٩]

١٠١) غَلَف

" الغِلاف غِلاف السيف والقارورة وغَلَف الشيء جعله في الغلاف، وأغلفه جعل له غلافا و جعله في الغلاف أيضا. وقلب أغلف كأنما أغشي غلافا فهو لا يعي قال تعالى:﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ [البقرة:٨٨] ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ [النساء:١٥٥] وكذا كل شيء في غلاف فهو أغلف."[٤] قال الكفومي رحمه الله:" في غطاء محجوبة عما تقول أو أوعية للعلم فكيف تجيئنا بما ليس عندنا ."[٥] قال الأزهري:" فمن قرأ (غُلُفٌ) فهو جمع غلاف أي قلوبنا أوعية للعلم كما أن الغِلافَ وعاء لما يُوعى فيه قال وإذا سكنت اللام كان جمع أغلف وهو الذي لا يعي شيئا ."[٦] وقد جاء اللفظ في القرآن مرة واحدة مكرر في وصف قلوب اليهود في الآيتين السالفتي الذكر.

١٠٢) غَلَل (غَلَّ)

" الغِلُ والغُلَةُ والغَلَل والغَليل كله شدة العطش وحرارته قل أو كثر وربما سميت حرارة الحزن والحب غليلا. والغليل حر الجوف لوحا وامتعاضا، والغل بالكسر والغليل الغش والعداوة والضغن والحقد والحسد. ورجل أغل خان وخص بعضهم به الخون في الفيء والمغنم، وكل من خان في شيء خفية فقد غل، وسميت غَلولا لأن الأيدي فيها مغلولة أي ممنوعة مجعول فيها غل وهو الحديدة التي تجمع يد الأسير إلى عنقه."[٧] وقال الألوسي رحمه الله:" قيل للحقد غل أخذا له من أنغل في كذا وتغلل إذا دخل فيه، ومنه قيل للماء الجاري بين الشجر غلل وقد يستعمل الغل فيما يضمر في القلب مما يذم كالحسد والحقد وغيرهما."[٨]

---

(١) لسان العرب ج١ صـــ ٦٤٨ وانظر تاج العروس / الزبيدي ج٣ صـــ ٤٨٤

(٢) التعريفات / الجرجاني صـــ ٢٠٨

(٣) انظر تفسير الجلالين / جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي صـــ ٣٩٢

(٤) مختار الصحاح / الرازي صـــ ٢٠٠

(٥) الكليات / الكفومي صـــ ٦٧٣ وانظر غريب القرآن / السجستاني صـــ ٣٥٣

(٦) تهذيب اللغة / الأزهري ج٨ صـــ ١٣٢ وانظر تاج العروس / الزبيدي ج٢٤ صـــ ٢٢٤ ومعجم ألفاظ القرآن الكريم / مجمع اللغة العربية مج٢ صـــ ١١١

(٧) لسان العرب / ابن منظور ج١١ صـــ ٤٩٩ ، ٥٠٠ باختصار وانظر المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـــ ٦٦٠ والمفردات / الأصبهاني صـــ ٣٦٣

(٨) روح المعاني / الألوسي ج١٤ صـــ ٥٨

وقد ورد اللفظ في القرآن بالمعنى الحسي والمعنوي فالحسي كقوله تبارك تعالى:﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [آل عمران:١٦١] وهو هنا بمعنى الخيانة في المغنم وكذلك كل ما ورد في معنى الأغلال وهى القيد كقوله تعالى:﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ﴾ [المائدة:٦٤]﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾ [الحاقة:٣٠] ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾ [غافر:٧١] وبالمعنى المعنوي جاء في قوله تعالى:﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾[الأعراف:٤٣]﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[الحشر:١٠]

١٠٣) غَمَر

" الغَمْر الماء الكثير الغمر بفتح الغين وسكون الميم الكثير أي يغمر من دخله ويغطيه. و الغَمْرة الشدة، وغمرة كل شيء منهمكه وشدته كغمرة الهم والموت ونحوهما، وغمرات الحرب والموت وغمارها شدائدها وشجاع مغامر يغشى غَمَرات الموت وهو في غمرة من لهو وشبيبة وسكر. والغمرة حيرة الكفار وقال الليث الغمرة منهمك الباطل ومرتكض الهول، ويقال هو يضرب في غمرة اللهو ويتسكع في غمرة الفتنة وغمرة الموت شدة همومه."(١)

قال الراغب رحمه الله:" والغمرة معظم الماء الساترة لمقرها وجعل مثلا للجهالة التي تغمر صاحبها وإلى نحوه أشار بقوله تبارك تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [المؤمنون:٥٤] الذين هم في غمرة ساهون وقيل للشدائد غمرات قال تبارك تعالى:﴿فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنعام:٩٣] وقولهم فلان مغامر إذا رمى بنفسه في الحرب إما لتوغله وخوضه فيه كقولهم يخوض الحرب، وإما لتصور الغمارة منه فيكون وصفه بذلك كوصفه بالهودج ونحوه."(٢)

وبهذا المعنى ورد في القرآن حسيا ومعنويا وصفا للكفار فالحسي كقوله تعالى:﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنعام:٩٣] وفي المعنوي قال تعالى:﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَـٰذَا ﴾ [المؤمنون:٦٣] قال الطبري رحمه الله:" ولكن قلوبهم في غمرة عمى عن هذا القرآن، وعنى بالغمرة ما غمر قلوبهم فغطاها عن فهم ما أودع الله كتابه من المواعظ والعبر والحجج، وعنى بقوله من هذا من القرآن."(٣)

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج٥ صـــ ٢٩ ، ٣٠

(٢) المفردات / الأصبهاني صـــ ٣٦٥

(٣) تفسير الطبري ج١٨ صـــ ٣٥

١٠٤) غَمَز

" غمزه بيده وغمز بالعين والجفن والحاجب أشار كرمز من المجاز، غمز بالرجل غمزا إذا سعى به شرا. ما فيه مغمز أي مطعن أي ما فيه ما يطعن به ويُعاب."(١) وقال الكفومي:" الغَمْز الإشارة بعين أو حاجب أو يد طلبا إلى ما فيه معاب ومنه قيل ما في فلان غمزة أي نقيصة يشار إليه بها."(٢)

وقد ورد اللفظ مرة واحدة في وصف الكفار حين مرور المسلمين بهم في قوله تعالى:﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴾ [المطفّفين:٣٠] قال القرطبي رحمه الله:" يغمز بعضهم بعضا ويشيرون بأعينهم وقيل أي يعيرونهم بالإسلام ويعيبونهم به."(٣)

١٠٥) فَجَر

" الفَجْر ضوء الصباح وهو حمرة الشمس في سواد الليل، وأصل الفجر الشق ثم استعمل في الانبعاث في المعاصي والمحارم والزنى وركوب كل أمر قبيح من يمين كاذبة أو كذب، ويسمى الكاذب فاجرا لميله عن القصد وفجر فجورا عصى وخالف."(٤)

وقال شهاب الدين المصري رحمه الله:" فاجرا أي مائلا عن الحق وأصل الفُجُور الميل فقيل للكاذب فاجر لأنه مال عن الصدق وللفاسق فاجر لأنه مال عن الحق."(٥)

وقال المناوي رحمه الله:" الفجور هيئة حاصلة للنفس بها يباشر الأمور على خلاف الشرع وهو شق ستر الديانة."(٦)

وحول هذه المعاني ورد الفجور في القرآن بصيغ متعددة منها المصدر كقوله تعالى:﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴾ [الشمس:٨] ومنها الفعل المضارع قال تعالى:﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ﴾ [القيامة:٥] ومنها اسم الفاعل قال تعالى:﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ﴾ [نوح:٢٧] ومنها صيغ المبالغة على وزن فَعَلَة وفُعَال قال تعالى﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ﴾ [عبس:٤٢]﴿وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴾ [الانفطار:١٤] وكما ترى كلها في وصف الكفار والكفر.

---

(١) تاج العروس / الزبيدي ج١٥ صـــ ٢٦٠ ، ٢٦١ باختصار كبير

(٢) التعاريف / المناوي صـــ ٥٤١ وانظر المفردات / الأصبهاني صـــ ٣٦٥

(٣) تفسير القرطبي ج١٩ صـــ ٢٦٧ وانظر فتح القدير / الشوكاني ج٥ صـــ ٤٠٣

(٤) تاج العروس / الزبيدي ج١٣ صـــ ٢٩٩ ـــ ٣٠٢ باختصار كبير جدا وانظر المفردات / الأصبهاني صـــ ٣٧٣

(٥) التبيان / شهاب الدين المصري صـــ ٤٢٨ وانظر غريب القرآن / السجستاني صـــ ٣٦٦

(٦) التعاريف / المناوي صـــ ٥٥٠ وانظر التعريفات / الجرجاني صـــ ٢١٢ والمفردات / الأصبهاني صـــ ٣٧٩

١٠٦) فَزَز (فَزَّ)

" فَزَّه وأفزه أفزعه وأزعجه وطير فؤاده، واستفزه الخوف أي استخفه، ورجل فَزٌّ أي خفيف وفي التنزيل العزيز (وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ) قال أهل اللغة كادوا ليستخفونك إفزاعا يحملك على خفة الهرب ."[١]

وتكرر اللفظ ثلاث مرات في القرآن **الأولى:** في وصف الشيطان وهو بمعنى الإستخفاف والإستجهال[٢] قال تعالى:﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴾ [الإسراء:٦٤] **والثانية:** في وصف كفار قريش أو اليهود قال تعالى:﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ﴾ [الإسراء:٧٦] وقد جاءت هنا بمعني الإخراج على الأرجح من أقوال المفسرين، ثم اختلفوا هل هي في اليهود بالمدينة أو في قريش بمكة قال الرازي رحمه الله:" في هذه الآية قولان: ــ الأول: قال قتادة هم أهل مكة هموا بإخراج النبي ﷺ من مكة ولو فعلوا ذلك ما أمهلوا، ولكن الله منعهم من إخراجه حتى أمره الله بالخروج وهذا قول مجاهد. والقول الثاني: قال ابن عباس رضى الله عنه إن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فقالوا: يا أبا القاسم إن الأنبياء إنما بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة، وكانت مسكن إبراهيم فلو خرجت إلى الشام آمنا بك واتبعناك. فالقول الأول اختيار الزجاج وهو الوجه لأن السورة مكية فإن صح القول الثاني كانت الآية مدنية."[٣] **والثالثة:** جاءت في وصف فرعون واستخفافه وتسلطه على بني إسرائيل بغية إخراجهم من مصر قال تعالى: ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴾ [الإسراء:١٠٣]

١٠٧) قَرَن

"القَرْن للثور وغيره، والقرن أيضا الخصلة من الشعر، والقرن مثلك في السن تقول هو على قرني أي على سني، والقرن في الناس أهل زمان، واحد والقِرن بالكسر كفؤك في الشجاعة. وقَرَن بين الحج والعمرة يقرُن بالضم والكسر قَرانا أي جمع بينهما. وقرن الشيء بالشيء وصله به، وقرَّنت الأسارى في الحبال شدد للكثرة قال الله تعالى: (مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ) [إبراهيم:٤٩] و اقترن الشيء بغيره، وقارنته قِرانا صاحبته، وأقرن له أطاقه وقوي عليه قال الله تعالى:(وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ) [الزُخرُف:١٣] أي مطيقين والقَرين الصاحب و قرينة الرجل امرأته."[٤]

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج٥ صـــ ٣٩١ وانظر تاج العروس / الزبيدي ج١٥ صـــ ٢٧٢
(٢) انظر تفسير الطبري ج١٥ صـــ ١١٨ والكشاف / الزمخشري ج٤ صـــ ٢٦١
(٣) التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج٢١ صـــ ١٩ ، ٢٠ باختصار
(٤) مختار الصحاح / الرازي صـــ ٢٢٢

وبهذه المعاني ورد اللفظ في القرآن ففي معنى الصاحب والملازم جاء قوله تعالى:﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ﴾ [النساء:٣٨]﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ [ق:٢٣]﴿وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ ﴾ [فصلت:٢٥] وفي معنى شد الأشياء بعضها إلى بعض قال تعالى:﴿ وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴾ [إبراهيم:٤٩] وفي معنى القدرة على الشيء وإطاقته قال تعالى:﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ﴾ [الزُخرُف:١٣]

١٠٨) قَسَم

" القَسْم مصدر قسم الشيء يقسمه قسما فانقسم وقِسمه جزأه وهي القسمة والقسم بالكسر النصيب والحظ والجمع أقسام."(١)

والقسم بحسب ما يضاف إليه فإن كان في الخير فهو كذلك وما جاء في القرآن من قسم المخلوقات فهو أما في موطن الذم أو الندم أو على فعل ما هو شر فالأول كقوله سبحانه: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ ﴾ [النور:٥٣] وفي باب الندم قسم الكفار في النار على قصر الزمن الذي لبثوه في الدنيا قال تعالى:﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ ﴾ [الروم:٥٥] وفي القسم لفعل الشر كقوله تعالى:﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف:٢١] والقسم بمعني النصيب كذا جاء مرتين في وصف الكفار في قوله تعالى:﴿وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ﴾ [المائدة:٣] وفي وصف أهل الكتاب حين قسموا القرآن بقولهم أن بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل وبعضه باطل مخالفا لهما قال تعالى:﴿كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ﴾ [الحِجر٩٠:٩١](٢)

١٠٩) قَصَم

" قال الليث رحمه الله القَصْمُ دقُّ الشيء، ويقال للظالم قَصَمَ الله ظهره، ورجل قَصِمٌ أي هارٍ ضعيف سريع الانكسار، وقناة قَصِيمة أي منكسرة، والأقْصَمُ هو الذي انقصمت ثنيتُه من النصف."(٣)

وقد جاء اللفظ في القرآن مرة واحدة بهذا المعنى قال تعالى:﴿وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ ﴾ [الأنبياء:١١]

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج١٢ صـ ٤٧٨

(٢) راجع صـ ٣٦١ مادة عضه

(٣) تهذيب اللغة / الأزهري ج٨ صـ ٢٩٧ وانظر المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـ ٧٤١ والعين / الفراهيدي ج٥ صـ ٧٠ والمفردات / الأصبهاني صـ ٤٠٥

١١٠) قَمَح

" القَمْح مصدر قَمَحت السويق وقمح الشيء والسويق واقتمحه سفه، واقتمحه أيضا أخذه في راحته فلطعه. والقامح الكاره للماء لأية علة كانت. قال الجوهري: وقَمَح البعير بالفتح قَموحا وقامح إذا رفع رأسه عند الحوض وامتنع من الشرب فهو بعير قامح. والمُقْمَح الذليل وفي التنزيل:﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ [يس:٨] أي خاشعون أذلاء لا يرفعون أبصارهم."[١]

وبهذا المعنى وردت اللفظة مرة واحدة في القرآن الكريم وصفا للكفار في نار جهنم. وقال السجستاني رحمه الله:" رافعون رؤوسهم مع غض أبصارهم، ويقال المُقْمَح الذي جذب ذقنه إلى صدره ثم رفع رأسه مظلمون داخلون في الظلام."[٢]

١١١) كبَت

" الكَبْت الصرع، وقيل صرع الشيء لوجهه وفي الحديث (أن الله كبت الكافر)[٣] أي صرعه وخيبه، وكبته الله لوجهه كبتا أي صرعه الله لوجهه فلم يظفر. وقيل أصل الكبت الكبد فقلبت الدال تاء أُخذ من الكَبِد وهو معدن الغيظ والأحقاد فكأن الغيظ لما بلغ بهم مبلغه أصاب أكبادهم فأحرقها، يقال كبت الله العدو أي صرفه وأذله والكبت كسر الرجل وإخزاؤه. وكبت الله العدو كبتا رده بغيظه."[٤] قال الزمخشري:" معنى كبت أحزن وأغاظ وأذل."[٥]

وقد جاء اللفظ في القرآن فعلا مضارعا مبنيا للمعلوم قال تعالى محذرا للكفار واصفا لحالهم بعد هزيمتهم:﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴾ [آل عمران:١٢٧] وماضيا في قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [المجادلة:٥]

١١٢) كَبِر

" الكبير في صفة الله تعالى الذي تكبر عن ظلم عباده، والكبير المعلم في لغة الحجاز، و أكبرت الشيء أي استعظمته، واستكبار الكفار الشرك وعدم قول لا إله إلا الله، والاستكبار الامتناع عن قبول الحق معاندة وتكبرا، و كَبُر الأمر كُبرا و كُبارة عظم ، وكِبر الشيء أيضا معظمه. ابن سيده و الكِبر معظم الشيء بالكسر وقيل الكبر الإثم وهو من الكبيرة كالخطء من الخطيئة. الكبائر واحدتها كبيرة وهي الفعلة القبيحة من الذنوب المنهي عنها شرعا العظيم أمرها كالقتل والزنا والفرار من الزحف

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج٢ صـــ ٥٦٥ باختصار كبير

(٢) غريب القرآن / السجستاني صـــ ٤٧٧

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الهبة وفضلها باب إذا قال أخدمتك هذه الجارية على ما يتعارف الناس فهو جائز ج٢ صـــ ٩٢٨ حديث رقم ٢٤٩٢

(٤) لسان العرب / ابن منظور ج٢ صـــ ٧٦ وانظر مختار الصحاح / الرازي صـــ ٢٣٤

(٥) فتح القدير / الشوكاني ج١ صـــ ٣٧٨

وغير ذلك؛ وهي من الصفات الغالبة والمتكبرون يرون أنهم أفضل الخلق، وأن لهم من الحق ما ليس لغيرهم، وهذه الصفة لا تكون إلا لله خاصة لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لأحد مثله."(١)

وقد جعل منه الراغب محمودا ومذموما فقال:" والكبر والتكبر والاستكبار تتقارب فالكبر الحالة التي يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه؛ وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره وأعظم، والتكبر على الله بالامتناع من قبول الحق والإذعان له بالعبادة، والاستكبار يقال على وجهين: أحدهما: أن يتحرى الإنسان ويطلب أن يصير كبير وذلك متى كان على ما يجب وفي المكان الذي يجب وفي الوقت الذي يجب فمحمود. والثاني: أن يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له وهذا هو المذموم وعلى هذا ما ورد في القرآن."(٢)

وقد عرفه النبي ﷺ فقال كما روى ابن مسعود عنه في الصحيحين:"لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبر. قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة. قال إن الله جميل يحب الجمال. الكِبر بطر الحق وغمط الناس."(٣) قال النووي رحمه الله:" ومعناه احتقارهم أما بطر الحق فهو دفعه وإنكاره ترفعا وتجبرا."(٤) وقد جاء الكبر في القرآن بألفاظ متعددة وصيغ متباينة في وصف الكفار والمنافقين وأهل الكتاب والأمم السابقة وكذا بعض الأفراد ممن خلوا وممن كانوا في عصر النبي ﷺ أستعرض أمثلة منه إذ أن الإحاطة بموضوع الكِبر في القرآن محتاج إلى بحث منفرد.

١ــ في وصف إبليس قال تعالي:﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ [البقرة:٣٤]﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ [الأعراف:١٣]﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [ص:٧٤]

٢ــ في عقاب المتكبر بعدم توفيقه للهدى قال تعالى:﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ [الأعراف:١٤٦]﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾ [غافر:٣٥]

٣ــ في وصف أفراد كقارون وفرعون وهامان والنضر بن الحارث و الوليد بن المغيرة قال تعالى:﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ [العنكبوت:٣٩] ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا﴾ [لقمان:٧]﴿يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا﴾ [الجاثية:٨]﴿ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ [المدثّر:٢٣]

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج٥ صـــ ١٢٥ ــ ١٣٠ باختصار كبير وتصرف يسير

(٢) المفردات / الأصبهاني صـــ ٤٢١

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب تحريم الكبر وبيانه ج١ صـــ ٩٣ حديث رقم ٩١

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ج٢ صـــ ٩٠

٤ـ توبيخا للكافر يوم القيامة قال تعالى:﴿ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ ﴾ [الزُّمَر:٥٩] ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام:٩٣] ﴿قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأعراف:٤٨] ﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأحقاف:٢٠]

٥ـ في وصف بني إسرائيل قال تعالى:﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ [البقرة:٨٧] ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف:١٣٣] ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ﴾ [فاطر:٤٣] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ﴾ [غافر:٥٦]

٦ـ توعدا بالعذاب قال تعالى:﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء:١٧٣] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ [الأعراف:٣٦] ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء:١٧٢] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر:٦٠]

٧ـ في وصف الأقوام السابقة الذين كذبوا رسلهم قال تعالى:﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ [الأعراف:٧٦] ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ ﴾ [الأعراف:٨٨] ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴾ [المؤمنون:٤٦] ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [فصّلت:١٥] ﴿وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴾ [نوح:٧] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصافات:٣٥]

٨ ـ في وصف كفار قريش قال تبارك تعالى:﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان:٢١] ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ [النحل:٢٢] ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴾ [المؤمنون:٦٧]

٩ـ في تخاصم أهل النار قال تعالى:﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ [سبأ٣٢:٣٣] ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ ﴾ [غافر:٤٧]

١٠ـ الاستعاذة بالله من كل متكبر قال تعالى:﴿إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ ﴾ [غافر:٢٧]

١١ـ وصفا للمنافقين قال تعالى:﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المنافقون:٥]

١٢ـ الحكم عليهم بعدم محبة الله لهم ومن لم يحبه فقد نزع الإيمان من قلبه قال تعالى:﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [النحل:٢٣]

١١٣) كَدَى

" كدت فهي كادية إذا أبطأ نباتها، الكادي البطيء الخير من الماء، وكدا الزرع وغيره من النبات ساءت نبتته، والكَدية الأرض الغليظة وقيل الأرض الصلبة، أكدى المطر قل ونكد، وكدى الرجل يكدي وأكدى قلل عطاءه."(١)

وورد اللفظ مرة واحدة في وصف أحد الكفار قال تعالى﴿ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴾ [النجم:٣٤] قال الشوكاني رحمه الله:" وأكدى الرجل إذا قل خيره قال الفراء: معنى الآية أمسك من العطية وقطع. وقال المبرد: منع منعا شديدا. قال مجاهد وأبن زيد ومقاتل رحمهم الله: نزلت في الوليد بن المغيرة وكان قد اتبع رسول الله ﷺ على دينه فعيره بعض المشركين فترك ورجع إلى شركه. قال مقاتل رحمه الله: كان الوليد مدح القرآن ثم أمسك عنه فأعطى قليلا من لسانه من الخير ثم قطعه. وقال الضحاك نزلت في النضر بن الحارث وقال محمد بن كعب القرظي نزلت في أبي جهل."(٢)

١١٤) كَسِلِ

" الكَسَل التثاقل عما لا ينبغي أن يُتثاقل عنه."(٣)

وورد اللفظ مرة واحدة في القرآن في وصف المنافقين عن قيامهم للصلاة قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء:١٤٢]

١١٥) كَفَر

وقد جاء في اللغة بعدة معاني: ــ قال ابن منظور:"الأول: الكُفْر نقيض الإيمان آمنا بالله وكفرنا بالطاغوت. الثاني: بمعنى جحود النعمة، وهو ضد الشكر وقوله تعالى﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾ [القصص:٤٨] أي جاحدون. الثالث: بمعنى البراءة، كقول الله تعالى حكاية عن الشيطان في خطيئته إذا دخل النار:﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ﴾ [إبراهيم:٢٢] أي تبرأْت.
والكَفْرُ، بالفتح: التغطية. و بالكسر الستر. ومن ذلك سُمي الكافر كافرا لأَنه ستر نعم الله عز وجل."(٤)

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج١٥ صــ ٢١٦ باختصار وانظر المفردات / الأصبهاني صــ ٨١ وغريب القرآن / السجستاني صــ ٣٩٥

(٢) انظر فتح القدير / الشوكاني ج٥ صــ ١١٤

(٣) لسان العرب / ابن منظور ج١١ صــ ٥٨٧ وانظر تاج العروس / الزبيدي ج٣٠ صــ ٣٢٦ والمفردات / الأصبهاني صــ ٤٣١

(٤) لسان العرب / ابن منظور ج٥ صــ ١٤٤ ــ ١٥١ باختصار كبير جدا وتصرف يسير وقد أوفيت فيه البحث في التمهيد ويمكن الرجوع إليه صــ ١٦

١١٦) كَلَح

" الكُلُوح تكشر في عبوس وهو بدو الأسنان عند العبوس. قال أبو إسحق: الكالح الذي قد قلصت شفته عن أسنانه نحو ما ترى من رؤوس الغنم إذا برزت الأسنان وتشمرت الشفاه.(١) وقد ورد اللفظ مرة واحدة في وصف الكفار في نار جهنم قال تعالى:﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠٤] قال الكفومي رحمه الله:" كالحون عابسون فإنهم من شدة الاحتراق تتقلص شفاههم عن الأسنان."(٢) وورد في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ "(تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ) قال: تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته."(٣)

١١٧) لبس

" لبس الثوب يلبسه بالفتح و بالضم و لبَس عليه الأمر خلط وبابه ضرب ومنه قوله تعالى:﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [الأنعام:٩] وفي الأمر لبُسة بالضم أي شبهة يعني ليس بواضح. ولابس الأمر خالطه، ولابس فلانا عرف باطنه، والتبس عليه الأمر اختلط واشتبه، والتلبيس كالتقديس والتخليط شدد للمبالغة."(٤) قال الكفومي رحمه الله:" اللَبس بالفتح الخلط من باب ضرب وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها بغيره، والتباس ككتاب الزوج والزوجة والاختلاط والاجتماع ولباس التقوى الإيمان أو الحياء أو ستر العورة."(٥)

واللبس منه المادي والمعنوي أما المادي فلا إيمان ولا كفر يلحقه كقوله تعالى:﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ﴾ [الأعراف:٢٦] وأما المعنوي فجاء بالإضافة كقوله تعالى:﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف:٢٦] والذي يعنينا هنا اللبس الذي بمعنى الاختلاط والاشتباه والذي جاء في القرآن مقرونا بالكفر كقوله تعالى حين طلب المشركون من النبي ﷺ أن يكون معه ملك يصدقه في نبوته:﴿وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَـٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [الأنعام:٩] وكما جاء في ذم أهل الكتاب في قوله تعالى:﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج٢ صـــ ٥٧٤ وانظر تهذيب اللغة / الأزهري ج٤ صـــ ٦٣

(٢) الكليات / الكفومي صـــ ٧٧٥

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين كتاب القراءات / تفسير سورة الرعد ج٢ صـــ ٤٢٨ حديث رقم ٣٤٩٠ وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأخرجه الترمذي في سننه كتاب صفة جهنم باب ما جاء في صفة طعام أهل النار ج٤ صـــ ٧٠٨ حديث رقم ٢٥٨٧ وقال عنه حسن صحيح غريب وقال الشيخ الألباني ضعيف

(٤) مختار الصحاح / الرازي صـــ ٢٤٦ باختصار يسير وانظر المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـــ ٨١٣

(٥) الكليات / الكفومي صـــ ٨٠٠

ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [آل عمران:٧١] وكذلك تحذيرا لمن خالف أمر الله سبحانه قال تعالى:﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابًا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ﴾ [الأنعام:٦٥] وكذلك جاء اللبس بمعنى الشرك في قوله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [الأنعام:٨٢] وكذلك جاء في تزين الشيطان للمشركين بقتل البنات فخلط عليهم دينهم الذي اخترعوه بدين إبراهيم عليه السلام فظنوا أن فعلهم هذا من الحنيفية السمحاء قال تعالى:﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ لِيُرۡدُوهُمۡ وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ ﴾ [الأنعام:١٣٧] وجاء أيضا بمعنى الشك قال تعالى:﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴾ [ق:١٥]

١١٨) لَحَد

" اللَحد و اللُحد الشق الذي يكون في جانب القبر موضع الميت؛ لأنه قد أميل عن وسط إلى جانبه. ولحد في الدين يلْحَد وألحد مال وعدل، وقيل لحد مال. والمُلحد العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس فيه، يقال قد ألحد في الدين ولحد أي حاد عنه والإلحاد في اللغة الميل عن القصد، و لحد علي في شهادته أثم، ولحد إليه بلسانه مال. وأصل الإلحاد الميل والعدول عن الشيء و المُلْتَحد الملجأ لأن اللاجئ يميل إليه."(١) وقال الراغب رحمه الله:" والإلحاد ضربان: إلحاد إلى الشرك بالله وإلحاد إلى الشرك بالأسباب؛ فالأول: ينافى الإيمان ويبطله. والثاني: يوهن عراه ولا يبطله ومن هذا النحو قوله:﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ [الحج:٢٥] وقوله تعالى:﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ ﴾ [الأعراف:١٨٠]

والإلحاد في أسمائه على وجهين أحدهما أن يوصف بما لا يصح وصفه به، والثاني أن يتأول أوصافه على ما لا يليق به."(٢)

وقد ورد الإلحاد في القرآن علاوة على المعنيين الذين ذكرهما الراغب معنيين آخرين الأول كما قال القرطبي رحمه الله: " بمعنى الطعن والتأويل الفاسد أي يميلون عن الحق في أدلتنا بقولهم ليس القرآن من عند الله، أو هو شعر أو سحر، وقيل عند تلاوة القرآن بالمكاء والتصدية واللغو والغناء. وقيل هو تبديل الكلام ووضعه في غير موضعه وقيل الكذب وكلها معاني متقاربة.(٣) وذلك في قوله تبارك تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ ﴾ [فصّلت:٤٠] والثاني: بمعنى النسب الزور والخطأ كنسبتهم تعليم القرآن

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج٣ صـ ٣٨٣ باختصار

(٢) المفردات / الأصبهاني صـ ٤٤٨ وانظر التعاريف / المناوي صـ ٦١٨

(٣) تفسير القرطبي ج١٥ صـ ٣٦٦ بتصرف يسير

للنبي من أحد الأعاجم قال تعالى:﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل:١٠٣]

١١٩) لَحَن

" لَحَنَ في كلامه لَحْنا أخطأ الإعراب وخالف وجه الصواب في النحو فهو لاحِن ولَحَّان، والرجل تكلم بلغته، ويقال لحن بلحن بني فلان تكلم بلغتهم، ولحن له لحنا قال له قولا يفهمه عنه ويخفى على غيره فهو لاحن، وألحن فلانا القول أفهمه إياه، ولاحنه كلمه بكلام يفهمه ويخفى على غيره. واللحن اللغة يقال هذا كلام ليس من لحني ولا من لحن قومي، وقد روى عن عمر (إن القرآن نزل بلحن قريش) ولحن القول فحواه وما يفهمه السامع بالتأمل فيه من وراء لفظه."(١)

وقد ورد اللفظ مرة واحدة في القرآن مضافا إلى القول وصفا للمنافقين في قوله تعالى:﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِى لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَـٰلَكُمۡ ﴾ [محمد:٣٠] ومن أمثلة لحنهم في القول حين أرادوا الفرار من الحرب أن بيوتهم عورة فكشف الله لحنهم وأبان نياتهم فقال سبحانه:﴿وَيَسۡتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [الأحزاب:١٣]

١٢٠) لَدَد(لَدَّ)

" اللديدان جانبا الوادي وقيل هما جانبا كل شيء، و تلدد تلفت يمينا وشمالا وتحير متبلدا، ولدَّه عن الأمر إذا حبسه، والألد الخَصم الجدِل الشحيح الذي لا يزيغ إلى الحق، ولددته ألده خصمته وفي التنزيل العزيز (وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ) ومعنى الخصم الألد في اللغة الشديد الخصومة الجدل واشتقاقه من لديدي العنق وهما صفحتاه وتأويله أن خصمه أي وجه أخذ من وجوه الخصومة غلبه في ذلك، يقال رجل ألد بيّن اللدد شديد الخصومة، وقوم لد ولددت فلانا ألدَّه إذا جادلته فغلبته."(٢)

وبهذا المعنى ورد في القرآن الكريم مرتين بصيغة أفعل التفضيل في وصف الأخنس بن شريق(٣) قال تبارك تعالى:﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾ [البقرة:٢٠٤] وفي وصف أهل قريش بشدة جدالهم وخصامهم بالباطل قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمًا لُّدًّا﴾ [مريم:٩٧]

١٢١) لَعَن

" اللَعْنُ الإبعاد والطرد من الخير. ومن الخلق السب والدعاء، واللعين الذي يلعنه كل أحد وهو المشتوم المسبوب والمطرود، وكل من لعنه الله فقد أبعده عن رحمته

---

(١) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـ ٨٢٩ وانظر مختار الصحاح / الرازي صـ ٢٤٨ وانظر تفسير القرطبي ج١٦ صـ ٢٥٣

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج٣ صـ ٣٩٠ ، ٣٩١ باختصار كبير وانظر المفردات / الأصبهاني صـ ٤٤٩

(٣) انظر التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج٥ صـ ١٦٨

واستحق العذاب فصار هالكا، واللعن التعذيب ومن أبعده الله لم تلحقه رحمته وخلد في العذاب، واللعين الشيطان صفة غالبة لأنه طرد من السماء، وقيل لأنه أبعد من رحمة الله، والملاعنة بين الزوجين إذا قذف الرجل امرأته أو رماها برجل أنه زنى بها فالإمام يلاعن بينهما. واللعنة في القرآن العذاب، و اللعن المسخ أيضا، والملاعنة واللعان المباهلة، والمَلاعن مواضع التبرز وقضاء الحاجة و الملعنة قارعة الطريق."(١)

وقال المناوي رحمه الله :" اللعن إبعاد في المعنى والمكانة والمكان إلى أن يصير الملعون بمنزلة النعل في أسفل القامة يلاقي به ضرر الموطئ، واللعن من الله إبعاد العبد بسخطه ومن الإنسان الدعاء بسخطه وقال الراغب رحمه الله: اللعن طرد وإبعاد على سبيل السخط وهو لله تعالى في الدنيا انقطاع عن قبول فيضه وتوقيعه في الآخرة عقوبة. ومن الإنسان دعاء على غيره."(٢)

وجاء اللعن في القرآن بطريقين من الله سبحانه وتعالى ومن المخلوق بالمعنى الذي ذُكر آنفا ومثال الذي من الله وهو الأكثر في القرآن وجاء بمعنيين السخط والغضب والإبعاد من رحمة الله وبمعنى المسخ وهو خاص باليهود، والأول هو الأكثر كقوله تبارك تعالى:﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾[البقرة:٨٨]﴿ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾[آل عمران:٦١]﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ ﴾ [النساء:١١٨]﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ ﴾ [المائدة:١٣]﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ ﴾ ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ ﴾ [الإسراء:٦٠] [النور:٢٣]﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ﴾ [الأحزاب:٦٤]﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴾ [الأحزاب:٦٨]﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [ص:٧٨] وبمعنى المسخ جاء في آية واحدة في قوله تبارك تعالى:﴿ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ ﴾[النساء:٤٧] وأما اللعن من المخلوق كقوله تبارك تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ [البقرة:١٥٩]﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ﴾ [المائدة:٧٨]﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ ﴾ [الأعراف:٣٨]﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴾[الأحزاب:٦٨]

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج١٣ صـ ٣٨٧ ـ ٣٨٩ باختصار كبير

(٢) التعاريف / المناوي صـ ٦٢١ وانظر التعريفات / الجرجاني صـ ٢٤٧

١٢٢) مَجَس

" مجس في حديث الفطرة (يهوِّدانِهِ أو يمجِّسَانِهِ)[١] معناه أنهما يعلمانه دين المجوسيَّة والمَجُوسُ جمع المَجُوسيِّ وهو معرب أصله مِنْج قُوش وكان رجلاً صغير الأذنين كان أول من دان بدين المَجُوسِ ودعا الناس إليه فعرَّبته العرب."[٢]

وقال ابن الجزري رحمه الله:" القدرية مجوس هذه الأمة؛ قيل إنما جعلهم مجوسا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالأصلين وهما النور والظلمة؛ يزعمون أن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة وكذا القدرية يضيفون الخير غالى الله والشر إلى الإنسان والشيطان والله تعالى خالقهما معا لا يكون شيء منهما إلا بمشيئته، فهما مضافان إليه خلقا وإيجادا وإلى الفاعلين لهما عملا واكتسابا."[٣] وقيل:" الماجوس قوم كانوا يعبدون الشمس والقمر والنار وأطلق عليهم هذا اللقب منذ القرن الثالث للميلاد."[٤] قال قتادة رحمه الله:" الأديان ستة خمسة للشيطان وواحد للرحمن الصابئون يعبدون الملائكة ويصلون القبلة ويقرءون الزبور، والمجوس يعبدون الشمس والقمر، والذين أشركوا يعبدون الأوثان، واليهود، والنصارى."[٥]

وقد ورد اللفظ مرة واحدة في القرآن بالتعريف الذي ذكرت آنفا قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ﴾ [الحج:١٧]

١٢٣) مَحَق

" المَحْقُ النقصان وذهاب البركة، وشيء ماحق ذاهب، وكل شيء أبطلته حتى لا يبقى منه شيء فقد محقته، وقال ابن الأعرابي: المحق أن يذهب الشيء كله حتى لا يرى منه شيء المُحاق آخر الشهر إذا امحق الهلال فلم ير."[٦]

---

(١) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الجنائز باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام ج١ صـ٤٥٦ حديث رقم ١٢٩٣ والإمام مسلم في صحيحه كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين ج٤ صـ ٢٠٤٧ حديث رقم ٢٦٥٨

(٢) تهذيب اللغة / الأزهري ج١ صـ ٣١٧ ، ٣١٨ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج٦ صـ ٢١٣

(٣) النهاية في غريب الحديث / ابن الأثير ج٤ صـ ٢٩٩ وانظر تاج العروس / الزبيدي ج١٦ صـ ٤٩٦

(٤) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـ ٨٥٥

(٥) التبيان / شهاب الدين المصري صـ ٣٠١ وانظر غريب القرآن / السجستاني صـ ٢٩٥

(٦) لسان العرب / ابن منظور ج١٠ صـ ٣٣٨ وانظر المفردات / الأصبهاني صـ ٤٦٤

وقد ورد اللفظ مرتين في القرآن الأولى: في وصف المال الذي دخله الربا في قوله تعالى:﴿ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [البقرة:٢٧٦] والثانية: توعدا للكفار في تأيد المسلمين بنصره و إيقاع الهزيمة والذلة عليهم وقتلهم وسبيهم وبذا ينقص عددهم قال تعالى:﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤١]

١٢٤) مَرَد

" المارد العاتي والمرتفع، مرُد على الأمر بالضم وتمرد أقبل وعتا. وتأويل المرود أن يبلغ الغاية التي تخرج من جملة ما عليه ذلك الصنف، والمرود على الشيء المرون عليه و مرد على الكلام أي مرن عليه لا يعبأ به. والمَريد من شياطين الإنس والجن. وقد تمرد علينا أي عتا، مرد على الشر وتمرد أي عتا وطغى والمَريد الخبيث المتمرد الشرير وشيطان مارد و مَريد ، و المَرد التمليس ومردت الشيء ومردته لينته وصقلته."(١)

وقد ورد اللفظ في القرآن وصفا للمنافقين قال تعالى:﴿ وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ ﴾ [التوبة:١٠١] وورد كذلك وصفا للشيطان قال تعالى:﴿وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾ [النساء:١١٧] ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴾ [الحج:٣] ﴿ وَحِفۡظًا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴾ [الصافات:٧]

١٢٥) مَسَخ

" المَسْخُ تحويل خَلْقٍ إلى صورة أخرى، وكذلك المُشوه الخَلْق، والمسيخ من الناس الذي لا ملاحة له، ومن الطعام الْمَسِيخُ الذي لا ملح فيه ولا طعم له ولا لون، ومن الفواكه مالا طعم له."(٢) وقال المناوي رحمه الله:" المسخ تحويل صورة إلى أقبح منها، وقيل تشويه الخَلق والخُلق وتحويلهما من صورة لأخرى. قال بعض الحكماء: المسخ ضربان: مسخ خاص يحصل نادرا وهو مسخ الخَلق. ومسخ يحصل في كل زمن وهو مسخ الخُلق وذلك أن يصير الإنسان متخلقا بخلق ذميم من أخلاق الحيوان."(٣)

وقد ورد اللفظ مرة واحدة في القرآن في قوله تعالى:﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيًّا وَلَا يَرۡجِعُونَ ﴾ [يس:٦٧] قال ابن كثير رحمه الله:" عن ابن عباس رضي الله عنهما

(١) لسان العرب / ابن منظور ج٣ صــ ٤٠٠ وانظر العين / الفراهيدي ج٨ صــ ٣٧ والمفردات / الأصبهاني صــ ٤٦٦

(٢) تهذيب اللغة / الأزهري ج٧ صــ ٩١

(٣) التعاريف / المناوي صــ ٦٥٥

أهلكناهم، وقال السدي رحمه الله: يعني لغيَّرنا خلقهم، وقال أبو صالح: لجعلناهم حجارة، وقال الحسن البصري وقتادة: لأقعدهم على أرجلهم."(١)

قال القرطبي رحمه الله:" المسخ تبديل الخلقة وقلبها حجرا أو جمادا أو بهيمة. قال الحسن: أي لأقعدناهم فلا يستطيعون أن يمضوا أمامهم ولا يرجعوا وراءهم وكذلك الجماد لا يتقدم ولا يتأخر. وقد يكون المسخ تبديل صورة الإنسان بهيمة ثم تلك البهيمة لا تعقل موضعا تقصده فتتحير فلا تقبل ولا تدبر."(٢)

وهذا الذي قاله القرطبي رحمه الله جميل جمع بين كل المعاني والمفهوم الواضح من الآية التي ختمت بما يوحى أنهم تسمروا في أماكنهم لا يقدرون على السير إلى الأمام أو الخلف. وقد جاء المسخ بالمعنى دون اللفظ لبني إسرائيل في قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴾ [البقرة:٦٥]

١٢٦) مَطَر

" المَطَر الماء المنسكب من السحاب، وماء السحاب والجمع أمطار، ومطرت السماء و أمطرها الله، وأمطرتهم أصابتهم بالمطر وهو أقبحهما. وناس يقولون مطرت السماء وأمطرت بمعنى. وأمطرهم الله مطرا أو عذابا ابن سيده: أمطرهم الله في العذاب خاصة كقوله تعالى (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم)"(٣)

وقال السجستاني رحمه الله:" أمطرنا عليهم يقال لكل شيء من العذاب أمطرت بالألف وللرحمة مطرت."(٤)

والذي ذهب إليه السجستاني مؤيد بما ورد في القرآن فقال الله على لسان قريش ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] فدل على أنهم استعملوا أمطر في العذاب.

وكل مطر جاء في القرآن الكريم جاء في العذاب للكفار قال تبارك تعالى:﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف:٨٤] ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴾ [هود:٨٢] ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ [الحجر:٧٤] ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ ﴾ [الفرقان:٤٠] ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ [الشعراء:١٧٣][النمل:٥٨]

---

(١) تفسير ابن كثير ج٣ صـ ٥٧٩

(٢) تفسير القرطبي ج١٥ صـ ٥٠

(٣) لسان العرب / ابن منظور ج٥ صـ ١٧٩

(٤) غريب القرآن / السجستاني صـ ٦١

١٢٧) مطا أو مطط أو مَطَّ أو مطو أو مطي

" المَطُو الجد والنجاء في السير، وأصل المطو المد، ومطا إذا تمطى ومطا بالقوم مطوا مد بهم، وتمطى الرجل تمدد، والتمطي التبختر ومد اليدين في المشي، والمُطَيطَاء الخيلاء والتبختر."[١]

وقد ورد اللفظ مرة واحدة بهذا المعنى في وصف أبى جهل[٢] قال تعالى:﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾ [القيامة:٣٣]

١٢٨) مكَا أو مكَو

" مُكَاء ومكَوَ صفر بفيه أو شبك بأصابع يديه ثم أدخلها في فيه ونفخ فيها."[٣] وقال أهل التفسير والمفردات أن المُكاء هنا هو الصفير[٤]

وورد اللفظ مرة واحدة في القرآن الكريم وصفا لصلاة كفار مكة عند الكعبة قال تعالى:﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ﴾ [الأنفال:٣٥]

١٢٩) مَلا أو ملَو

" المَلاوَة والمَلا والمَلي كله مدة العيش، وقد تملى العيش ومليه وأملاه الله إياه وملاه و أملى الله له أمهله وطول له. والإملاء الإمهال والتأخير وإطالة العمر، وتمليت عمري استمتعت به. وأملى للبعير في القيد أرخى ووسع فيه، وأملى له في غيه أطال اشتقاقه من المَلوة وهي المدة من الزمان."[٥] قال السجستاني رحمه الله:" أملى لهم أطال لهم المدة مأخوذ من الملاوة وهي الحين أي تركهم حينا ومنه قولهم تمليت حبيبا أي عشت معه حينا."[٦]

وجاء اللفظ في القرآن بهذا المعنى منسوبا إلى الباري عز وجل في إمهاله للكفار وعدم إهلاكهم فور حدوث المعصية حتى ظنوا أنهم لن يصيبهم مكروه قال تعالى:﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [آل عمران:١٧٨] وكذا جاء وصف الإملاء للأمم السابقة قال تعالى:﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ﴾ [الرعد:٣٢] وجاء

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج١٨ صـ ٢٨٤ باختصار وانظر تاج العروس / الزبيدي ج٢٠ صـ ١٠٨ والمعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـ ٨٧٦ ومختار الصحاح / الرازي صـ ٢٦١

(٢) انظر تفسير الطبري ج٢٩ صـ ٢٠٠ وتفسير القرطبي ج١٩ صـ ١١٤

(٣) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـ ٨٨٢ وانظر تاج العروس / الزبيدي ج٣٩ صـ ٥٥٠

(٤) انظر غريب القرآن / السجستاني صـ ٤٣٩ وانظر تفسير ابن كثير ج٢ صـ ٣٠٧ وفتح القدير / الشوكاني ج٢ صـ ٣٠٥ وأضواء البيان / الشنقيطي ج٢ صـ ٥٤

(٥) لسان العرب / ابن منظور ج١٥ صـ ٢٩٢ باختصار وانظر العين / الفراهيدي ج٨ صـ ٣٤٤

(٦) غريب القرآن / السجستاني صـ ٧٩ وانظر التبيان / شهاب الدين المصري صـ ٣٨٢

كذلك توعدا لكفار مكة وطمأنة للنبي ﷺ بأن العقاب واقع بالكفار لا محالة قال تعالى:﴿وَأُمْلِى لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [القلم:٤٥] وكذا جاء الإملاء وصفا لتظليل الشيطان ووسوته للكفار قال تعالى:﴿ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد:٢٥]

١٣٠) نَجِس

" نجس النجِس والنجَس والنجُس القذر من الناس ومن كل شيء قذرته."[١] قال الراغب :" نجس النجاسة القذارة وذلك ضربان: ضرب يدرك بالحاسة، وضرب يدرك بالبصيرة والثاني وصف الله تعالى به المشركين فقال:﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة:٢٨] ومنه تنجيس العرب وهو شيء كانوا يفعلونه من تعليق عوذة على الصبي ليدفعوا عنه نجاسة الشيطان. والناجس والنجيس داء خبيث لا دواء له."[٢] وورد اللفظ معنويا مرة واحدة في القرآن وصفا للمشركين في الآية السالفة الذكر.

١٣١) نَزَغ

" النَزْغُ أن تنزغ بين قوم فتحمل بعضهم على بعض بفساد بينهم، ونزغ بينهم أغرى وأفسد وحمل بعضهم على بعض، والنزغ الكلام الذي يغري بين الناس. ونزغ الشيطان وساوسه ونخسه في القلب بما يسول للإنسان من المعاصي؛ يعني يلقي في قلبه ما يفسده على صاحبه. و النزغ شبه الوخز والطعن ونزغه بكلمة نزغا نخسه وطعن فيه، ونزغه طعنه بيد أو رمح وفي حديث ابن الزبير فنزغه إنسان من أهل المسجد بنزيغة أي رماه بكلمة سيئة ."[٣]

وقال السجستاني رحمه الله:" ولا يكون النزغ إلا في الشر."[٤] وقال الشوكاني رحمه الله:" النزغ الوسوسة وكذا النغز والنخس قال الزجاج: النزغ أدنى حركة تكون ومن الشيطان أدنى وسوسة، وأصل النزغ الفساد يقال نزغ بيننا أي أفسد، وقيل النزغ الإغواء والمعنى متقارب."[٥]

ولم يأت النزغ في القرآن إلا منسوبا للشيطان قال تعالى:﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۚ﴾ [الأعراف:٢٠٠] [فصّلت:٣٦]﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓۚ﴾ [يوسف:١٠٠]﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ﴾ [الإسراء:٥٣]

١٣٢) نَسَأ

" المِنْسأة بكسر الميم العصا تُهمز وتُلين، والنسيئة كالفعيلة التأخير، وكذا النَساء بالمد، و النسيء في الآية فعيل بمعنى مفعول من قولك نسأه من باب قطع أي أخره فهو منسوء فحول منسوء إلى نسيء

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج٦ صـــ ٢٢٦

(٢) المفردات / الأصبهاني صـــ ٤٨٣

(٣) لسان العرب / ابن منظور ج٨ صـــ ٤٥٤

(٤) غريب القرآن / السجستاني صـــ ٥٠٨ وانظر التبيان / شهاب الدين المصري صـــ ٢١٥

(٥) فتح القدير / الشوكاني ج٢ صـــ ٢٧٩ وانظر تفسير القرطبي ج٧ صـــ ٣٤٨

كما حول مقتول إلى قتيل والمراد به تأخيرهم حرمة المحرم إلى صفر."[1] قال ابن الجوزي:" وهو التأخير وكانت العرب قد تمسكت من ملة إبراهيم بتحريم الأشهر الأربعة، فإذا احتاجوا إلى تحليل المحرم للحرب أخروا تحريمه إلى صفر، ثم يحتاجون إلى صفر كذلك حتى يتدافع التحريم إلى الشهور كلها فيستدير التحريم على السنة كلها فكأنهم يستنسؤون الحرام ويستقرضونه، فاعلم الله أن ذلك زيادة في كفرهم."[2]

وبهذا المعنى جاء مرة واحدة وصفا لفعل المشركين قال تعالى:﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٣٧]

١٣٣) نَعَق

" نعق النَعِيق دعاء الراعي الشاء، يقال انعق بضأنك أي ادعها، ونعق الراعي بالغنم صاح بها وزجرها يكون ذلك في الضأن والمعز."[3]

وورد اللفظ في القرآن مرة واحدة قال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءًۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡىٌ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة:١٧١] قال ابن كثير رحمه الله:" (وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ) أي فيما هم فيه من الغي والضلال والجهل كالدواب السارحة التي لا تفقه ما يقال لها، بل إذا نعق بها راعيها أي دعاها إلى ما يرشدها لا تفقه ما يقول ولا تفهمه بل إنما تسمع صوته فقط. هكذا روي عن ابن عباس وأبي العالية ومجاهد وعكرمة وعطاء والحسن وقتادة وعطاء الخراساني والربيع بن أنس نحو هذا.

وقيل إنما هذا مثل ضرب لهم في دعائهم الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل شيئا. اختاره ابن جرير والأول أولى لأن الأصنام لا تسمع شيئا ولا تعقله ولا تبصره ولا بطش لها ولا حياة فيها."[4]

١٣٤) نَغَض

" نَغَضَ الشيء كالرّأس والثنية وغيرهما أي تحرك واضطرب في ارتجاف كأَنْغَضَ وتَنَغَّضَ وكل حركة في ارتجاف نَغْضٌ. وقال أَبو الهيثم رحمه الله يقال للرجل إذا حدث بشيء فحرك رأسه إنكارا له قد أَنْغَضَ رأسه وقال شمر: النَّاغِضُ من الإنسان أصل العنق حيث يَنْغُضُ رأسه ونُغْضُ

---

(١) مختار الصحاح / الرازي صـ ٢٧٣ وانظر العين / الفراهيدي ج٧ صـ ٣٠٦ ولسان العرب / ابن منظور ج٤ صـ ٤٦٣ والمفردات / الأصبهاني صـ ٤٩٢

(٢) زاد المسير / ابن الجوزي ج٣ صـ ٣٤٥ وانظر غريب القرآن / السجستاني صـ ٤٦٣

(٣) لسان العرب / ابن منظور ج١٠ صـ ٢٥٦ وانظر مختار الصحاح / الرازي صـ ٢٧٨ وغريب القرآن / السجستاني صـ ٥٠٣ والتبيان / شهاب الدين المصري صـ ١١٧

(٤) تفسير ابن كثير ج١ صـ ٢٠٥ وانظر تفسير الطبري ج٢ صـ ٧٩

الكتف هو العظم الرقيق على طرفها."[1] وقال أهل التفسير والمفردات والمصطلحات أن المراد من الإنغاض حركة الرأس التي يفهم منها إنكار المستمع واستهزائه وسخريته مما يسمع[2].

وقد ورد اللفظ مرة واحدة وصفا للكفار حين كلمهم النبي ﷺ عن البعث فأنكروه وسخروا من قوله ﷺ قال تعالى:﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ [الإسراء:٥١]

١٣٥) نَفَث

" النَفْث أقل من التفل لأن التفل لا يكون إلا معه شيء من الريق، والنفث شبيه بالنفخ وقيل هو التفل بعينه. والحية تنفث السم حين تنكز.، والجرح ينفث الدم إذا أظهره."[3] قال الكفومي رحمه الله:" (ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ) النفوس أو النساء السواحر اللاتي يعقدن عقداً في خيوط وينفثن عليها، والنَّفْثُ النفخ مع ريق."[4]

و قد ورد اللفظ مرة واحدة في القرآن قال تعالى:﴿ وَمِن شَـرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَـدِ ﴾ [الفلق:٤] وقال أهل التفسير أن المراد من النفاثات السواحر قال الشوكاني رحمه الله:" النفاثات هن السواحر أي ومن شر النفوس النفاثات أو النساء النفاثات والنفخ كما يفعل ذلك من يرقى ويسحر قيل مع ريق وقيل بدون ريق، والعقد جمع عقدة وذلك أنهن كن ينفثن في عقد الخيوط حين يسحرن بها، قال أبو عبيدة: النفاثات هي بنات لبيد الأعصم اليهودي سحرن النبي صلى ﷺ."[5]
وقد بسطت القول في السحر في المبحث السابق مما يغني عن إعادته هنا.[6]

١٣٦) نَقَم

" نقم منه نَقْما ونَقوما عاقبه، والشيء أنكره وعابه يقال نقمت عليه الأمر ونقمت منه ويقال ما تنقم منا ما تطعن فيه منا، نقم الشيء بالغ في إنكاره وعيبه، النقم يقال ضربه ضربة نقم أي ضربة عدو له. والنَقِمة العقوبة جمعها نِقم."[7] وقال الراغب رحمه الله:" نَقَمتُ الشيء إذا نكرته إما باللسان وإما بالعقوبة."[8]

---

(١) تاج العروس / الزبيدي ج١٩ صـــ ٧٨،٧٩ باختصار وانظر المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـــ ٩٣٧

(٢) انظر التبيان / المصري صـــ ٢٦٦ وتفسير الطبري ج١٥ صـــ ١٠٠ وتفسير القرطبي ج١٠ صـــ ٢٧٤

(٣) لسان العرب / ابن منظور ج٢ صـــ ١٩٥ وانظر النهاية في غريب الحديث / ابن الأثير ج٥ صـــ ٨٧

(٤) الكليات / الكفومي صـــ ٩١٥

(٥) فتح القدير / الشوكاني ج٥ صـــ ٥٢٠ وانظر تفسير ابن كثير ج٤ صـــ ٥٧٤ والطبري ج ٣٠ صـــ ٣٥٣

(٦) انظر صـ ٢٣٠

(٧) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـــ ٩٤٩ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج١٢ صـــ ٥٩١ ومختار الصحاح / الرازي صـــ ٢٨٢

(٨) المفردات / الأصبهاني صـــ ٥٠٤

وورد الانتقام في القرآن على ضربين من الله للكفار ومن الكفار للمؤمنين وانتقام الله من الكفار على ضربين أيضا في الدنيا كقوله تعالى:﴿ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ ﴾ [الأعراف:١٣٦] ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ [الزُخرُف:٢٥] وفي الآخرة كقوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ [آل عمران:٤] ﴿إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة:٢٢] ومن الكفار للمؤمنين قال تعالى:﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ [المائدة:٥٩] ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ ﴾ [الأعراف:١٢٦] ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ [البروج:٨]

١٣٧) نَكَب

" نكب عن الطريق عدل، ويقال نكب عنه وتَنَكَّب عنه أي مال وعدل، ونكبه عدل عنه واعتزله، وتنكبه تجنبه والنَكبة واحدة نكبات الدهر. ونُكِب الرجل على ما لم يسم فاعله فهو منكوب والمَنكَب كالمجلس مجمع عظم العضد والكتف."[١] وورد اللفظ مرة واحدة في القرآن وصفا للكفار يوم القيامة قال تعالى:﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴾ [المؤمنون:٧٤]

١٣٨) نَكَث

" النَكْثُ نقض ما تعقده وتصلحه من بيعة وغيرها، وتناكث القوم عهودهم نقضوها، ونكث العهد والحبل فانتكث أي نقضه فانتقض، نكث العهد وهو نقضه بعد إحكامه كما تنكث خيوط الصوف المغزول بعد إبرامه."[٢]

وجاء النكث في القرآن وصفا لبنى إسرائيل قال تعالى:﴿ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴾ [الأعراف:١٣٥] ﴿ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴾ [الزُخرُف:٥٠] وجاء متعلقا عليه حكما شرعيا في قوله تعالى:﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ ﴾ [التوبة:١٢] وجاء تحذيرا للمؤمنين من نكث بيعة الرضوان قال تعالى:﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ ﴾ [الفتح:١٠]

١٣٩) نَكَس

" النَكْسُ قلب الشيء على رأسه، ونكس رأسه أماله والناكس المطأطئ رأسه، ونكس رأسه إذا طأطأه من ذل. قال شمر: النكس في الأشياء معنى يرجع إلى قلب الشيء ورده وجعل أعلاه أسفله ومقدمه مؤخره

---

(١) مختار الصحاح / الرازي صـ ٢٨٢ وانظر المفردات / الأصبهاني صـ ٥٠٤ والتبيان / شهاب الدين المصري صـ ٣٠٩ وتفسير الطبري ج١٨ صـ ٤٤

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج٢ صـ ١٩٦ وانظر العين / الفراهيدي ج٥ صـ ٣٥١ والمفردات / الأصبهاني صـ ٥٠٤ وغريب القرآن / السجستاني صـ ٦٧

والنَكس والنُكس والنِكاس كله العود في المرض وقيل عود المريض في مرضه بعد مثالته معناه قد عاودته العلة بعد النقه. نكست فلانا في ذلك الأمر أي رددته فيه بعدما خرج منه."(١) وقال السجستاني رحمه الله:" (نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ) معناه ثبتت الحجة عليهم ونكس فلان إذا سفل رأسه وارتفعت رجلاه ونكس المريض إذا خرج عن مرضه ثم عاد إلى مثله."(٢)

وقد ورد اللفظ في القرآن ثلاث مرات الأول: بمعنى العودة في الضلال بعد أن عرفوا الحق وذلك في قوم إبراهيم عليه السلام حين حطم أصنامهم قال تعالى:﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ [الأنبياء:٦٥] والثاني: في الكفار يوم القيامة بمعنى الذلة والانكسار والخجل، وذلك في يوم البعث الذي أنكروه في الدنيا قال تعالى:﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ﴾ [السجدة:١٢] والثالث: بمعنى الرجوع إلى الضعف بعد القوة للإنسان قال تعالى:﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ [يس:٦٨] وهذا أمر طبعي في الخلق لا علاقة له بالمعنى الشرعي.

١٤٠) نكص

" نَكَصَ الرجل عن الأمر نَكْصا ونُكُوصا إذا تكأكأ عنه، ونكص على عقبيه رجع عما كان عليه من خير، وكذا فسر في التنزيل والله أعلم. ولا يقال ذلك إلا في الرجوع عن الخير خاصة وربما قيل في الشر."(٣)

وبهذا المعنى ورد في وصف الشيطان مرة ووصف الكفار مرة قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ [الأنفال:٤٨] ﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴾ [المؤمنون:٦٦] قال الطبري رحمه الله:" (قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ) يعني آيات كتاب الله يقول كانت آيات كتابي تقرأ عليكم فتكذبون بها وترجعون مولين عنها إذا سمعتموها كراهية منكم لسماعها."(٤)

١٤١) نكف

" نَكَفَ عن الشيء نَكَفاً امتنع أنفة والدمع نحاه عن خده بإصبعه والبئر نزحها، ويقال جيش لا يُنْكَف لا يحصى ولا يبلغ آخره، وعنده شجاعة لا تُنْكَف أي لا تدرك كلها، ناكفه الكلام عاوده إياه في عنف، تناكف الرجلان الكلام تداولاه وتعاوراه، استنكف من الشيء وعنه أنف وامتنع، ويقال استنكف عن العمل امتنع مستكبرا."(٥)

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج٦ صـ ٢٤١ـ٢٤٣ باختصار كبير وانظر المفردات / الأصبهاني صـ ٥٠٥

(٢) غريب القرآن / السجستاني صـ ٤٧٥

(٣) جمهرة اللغة / ابن دريد ج٢ صـ ٨٩٦ وانظر تاج العروس / الزبيدي ج١٨ صـ ١٩٠

(٤) تفسير الطبري ج١٨ صـ ٣٨

(٥) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـ ٩٥٣ وانظر تهذيب اللغة / الأزهري ج١٠ صـ ١٥٤ والمفردات / الأصبهاني صـ ٥٠٦ والتبيان / شهاب الدين المصري صـ ١٧٦

وقد ورد اللفظ مرتين الأولى: صفة مقابلة للإيمان والثانية: في نفيه عن المسيح عليه السلام قال تعالى:﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء:١٧٢]﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء:١٧٣]

١٤٢) نَمَم (نَمَّ)

" النَمُّ التوريش والإغراء ورفع الحديث على وجه الإشاعة والإفساد، وقيل تزيين الكلام بالكذب والفعل، والنَّمام معناه في كلام العرب الذي لا يمسك الأحاديث ولم يحفظها من قولهم جلود نَمَّة إذا كانت لا تمسك الماء، والنميمة نقل الحديث من قوم إلى قوم على جهة الإفساد والشر."(١)

قال الراغب رحمه الله :" النم إظهار الحديث بالوشاية ورجل نمام قال تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم:١١] وأصل النميمة الهمس والحركة الخفيفة ومنه أسكت الله نامته أي ما ينم عليه من حركته."(٢)

وقد ورد اللفظ مرة واحدة في القرآن في وصف الوليد بن المغيرة.

١٤٣) هَبَا أو هَبَو

" الهَبَاء كسماء الغبار مطلقا أو غبار يشبه الدخان ساطع في الهواء، وقيل هو دقاق التراب ساطعة ومنثورة على وجه الأرض، وقيل هو التراب الذي تطيره الريح فتراه على وجوه الناس وجلودهم وثيابهم يلزق لزوقا، وقيل الهباء هو ما تثيره الخيل بحوافرها من دقاق الغبار، ويقال لما يظهر في الكوى من ضوء الشمس هباء."(٣)

وجاء اللفظ معنويا وحسيا مرة واحدة فالحسي يوم القيامة قال تعالى عن الجبال:﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾ ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾ [الواقعة٥:٦] والمعنوي قوله تعالى ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان:٢٣] قال الشوكاني رحمه الله:" هذا وعيد آخر وذلك أنهم كانوا يعملون أعمالا لها صورة الخير من صلة الرحم وإغاثة الملهوف وإطعام الطعام وأمثالها ولم يمنع من الإثابة عليها إلا الكفر الذي هم عليه، فمثلت حالهم وأعمالهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم إلى ما معهم من المتاع فأفسده ولم يترك منها شيئا."(٤)

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج١٢صـــ ٥٩٢ وانظر النهاية في غريب الحديث والأثر / ابن الأثير ج٥ صـــ ١١٩

(٢) المفردات / الأصبهاني صـــ ٥٠٦ وانظر التعاريف / المناوي صـــ ٧١١

(٣) تاج العروس / الزبيدي ج٤٠ صـــ ٢٧٢ وانظر الكليات / الكفومي صـــ ٩٦٤ وغريب القرآن / السجستاني صـــ ٤٩٣ والمفردات / الأصبهاني صـــ ٥٣٦

(٤) فتح القدير / الشوكاني ج٤ صـــ ٧٠ وانظر تفسير القرطبي ج١٣ صـــ ٢٢

١٤٤) هَزَأ أو هَزِىء

" هَزَأَ منه وبه كمنع وسمع يتعدى بمن تارة وبالباء أخرى. يَهْزَأُ هُزْءًا بالضم وهُزُءًا بضمتين وهُزُوءًا بالضم والمد ومَهْزُأة أي سخر منه. ورجل هُزْأَة ٌ بالضم يُهْزَأُ منه وقيل يُهْزَأُ به، و رجل هُزَأَة ٌيهزأ بالناس لكونه موضوعا للدلالة على الفاعل. و هَزَأَ إبله هَزْءًا قتلها بالبرد وهَزَأَ راحلته حركها لتسرع. وهَزَأَ زيد مات مكانه أي فجأة ."[1] قال الراغب رحمه الله:" هزؤ الهُزء مزح في خفية وقد يقال لما هو كالمزح فمما قصد به المزح قوله تعالى:﴿ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ [المائدة:٥٨] فقد عظم تبكيتهم ونبه على خبثهم من حيث إنه وصفهم بعد العلم بها والوقوف على صحتها بأنهم يهزءون بها."[2]

قال ابن تيمية رحمه الله:" والاستهزاء هو السخرية وهو حمل الأقوال والأفعال على الهزل واللعب لا على الجد والحقيقة، فالذي يسخر بالناس هو الذي يذم صفاتهم وأفعالهم ذما يخرجها عن درجة الاعتبار."[3] وقال الكفومي رحمه الله:" ويكون الاستهزاء صريحا بالدين كالسجود للصنم وإلقاء المصحف في القاذورات والكفر بتكذيب سيدنا ومولانا محمد ﷺ في شيء مما جاء به من الدين ضرورة."[4] يقصد الشيخ طبعا أن هذا إضافة إلى الاستهزاء القولي الذي جرى عليه المعنى في القرآن. والاستهزاء من الأخلاق الذميمة والتي تعتبر من أبرز صفات الكفار والمنافقين واليهود، ويترتب عليها الإثم والعقاب في الدنيا والآخرة، ويظهر ذلك من خلال النصوص الشرعية والتي تعددت وتنوعت أساليبها في عرض هذه الصفة المذمومة أوجزها فيما يلي : ـ

١ـ أنه وصفاً من أفعال الجاهلين والاستعاذة بالله من الوقوع فيه قال تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ [البقرة:٦٧]

٢ـ التحذير من الوقوع فيه قال تعالى:﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ﴾ [البقرة:٢٣١]

٣ـ النهى عن موالاة الكفار واليهود لأنهم اتخذوا دين الله وآياته هزوا أو الجلوس معهم عند استهزاءهم قال تعالى:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ﴾ [المائدة:٥٧]﴿إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ﴾ [النساء:١٤٠]

---

(١) تاج العروس / الزبيدي ج١ صـــ ٥٠٩ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج١ صـــ ١٧٣

(٢) المفردات / الأصبهاني صـــ ٤٤٢

(٣) الفتاوى الكبرى / ابن تيمية ج٣ صـــ ١١٣

(٤) الكليات / الكفومي صـــ ٧٦٤

٤ـ هو صفة من صفات المنافقين يتسلطون بها على المسلمين قال تعالى:﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة:١٤]﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ [المائدة:٥٨]﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة:٦٤]

٥ـ صفة من صفات الكفار من الأمم السابقة أدت إلى عقابهم قال تعالى:﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الزخرف:٧]﴿إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الأحقاف:٢٦]

٦ـ توعدهم الله بالجزاء على فعلهم في الدنيا والآخرة بإحباط عملهم قال سبحانه:﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴾ [الكهف:١٠٦] ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [لقمان:٦]﴿ فَقَدْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الأنعام:٥]

٧ـ وقوع العقوبة عليهم في الدنيا قال تعالى:﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الأنعام:١٠] [الأنبياء:٤١] ﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [هود:٨]﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [النحل:٣٤]﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الروم:١٠]﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الزُمَر:٤٨]

٨ـ تعهد الله سبحانه وتعالى برد كيد المستهزئين إلى نحورهم وإهلاكهم بغيظ قلوبهم فلن يضروا النبي ﷺ حتى يبلغ أمر ربه قال سبحانه وتعالى:﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ [الحجر٩٤:٩٥]

٩ـ استهزاء الله بهم قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقرة:١٥] قال الطبري رحمه الله بعد أن نقل مجموعة من أقوال الناس في هذه الآية ومثيلاتها من وقوع الفعل منه سبحانه كالمكر والخداع والنسيان:" والصواب في ذلك من القول والتأويل عندنا أن معنى الاستهزاء في كلام العرب إظهار المُستَهزِئ للمُستهزَئ به من القول والفعل ما يرضيه ويوافقه ظاهرا وهو بذلك من قيله وفعله به مورثه مساءة باطنا، وكذلك معنى الخداع والسخرية والمكر، وإذ كان ذلك كذلك وكان الله جل ثناؤه قد جعل لأهل النفاق في الدنيا من الأحكام بما أظهروا بألسنتهم من الإقرار بالله وبرسوله، وبما جاء به من عند الله المدخل لهم في عداد من يشمله اسم الإسلام، وإن كانوا لغير ذلك مستبطنين من أحكام المسلمين، المصدقين إقرارهم بألسنتهم بذلك بضمائر قلوبهم و صحائح عزائمهم وحميد أفعالهم المحققة لهم صحة إيمانهم، مع علم الله عز وجل بكذبهم واطلاعه على خبث اعتقادهم وشكهم فيما ادعوا بألسنتهم أنهم مصدقون، حتى ظنوا في الآخرة إذ حشروا في عداد من كانوا في عدادهم في الدنيا أنهم واردون موردهم وداخلون مدخلهم، والله جل جلاله مع إظهاره ما قد أظهر لهم من الأحكام لملحقتهم في عاجل الدنيا وآجل الآخرة إلى حال تمييزه بينهم وبين أوليائه، وتفريقه بينهم وبينهم معد لهم من أليم عقابه ونكال عذابه ما أعد منه

لأعدى أعدائه وأشر عباده حتى ميز بينهم وبين أوليائه فألحقهم من طبقات جحيمه بالدرك الأسفل، كان معلوما أنه جل ثناؤه بذلك من فعله بهم وإن كان جزاء لهم على أفعالهم وعدلا ما فعل من ذلك بهم لاستحقاقهم إياه منه بعصيانهم له، كان بهم بما أظهر لهم من الأمور التي أظهرها لهم من إلحاقه أحكامهم في الدنيا بأحكام أوليائه وهم له أعداء وحشره إياهم في الآخرة مع المؤمنين وهم به من المكذبين إلى أن ميز بينهم وبينهم مستهزئا وساخرا ولهم خادعا وبهم ماكرا، إذ كان معنى الاستهزاء والسخرية والمكر والخديعة ما وصفنا قبل دون أن يكون ذلك معناه في حال فيها المستهزئ بصاحبه له ظالم، أو عليه فيها غير عادل، بل ذلك معناه في كل أحواله إذا وجدت الصفات التي قدمنا ذكرها في معنى الاستهزاء وما أشبهه من نظائره."(١)

١٤٥) هَطَع

" هَطْعا وهُطوعا أقبل مسرعا خائفا ومد عنقه وصوب رأسه وأقبل على الشيء ببصره فلم يرفعه عنه، ونظر في ذل وخشوع، وفي سيره أسرع واستهطع مد عنقه وصوب رأسه وفي سيره أسرع المُهطِع من ينظر في ذل وخضوع والساكت في تذلل وخوف ينطلق إلى من دعاه."(٢)

وقد جاء اللفظ ثلاث مرا ت في القرآن بمعنيين: الأول: وصفا للكفار عند القيام من القبور حين البعث قال تعالى:﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ [ابراهيم:٤٣]﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر:٨] والمعنى الثاني: وصفا لكفار قريش في استماعهم للنبي ﷺ مع تكذيبهم له قال تعالى:﴿ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴾ [المعارج:٣٦] قال القرطبي رحمه الله:" والمعنى ما بالهم يسرعون إليك ويجلسون حواليك ولا يعملون بما تأمرهم، وقيل أي ما بالهم مسرعين في التكذيب لك، وقيل أي ما بال الذين كفروا يسرعون إلى السماع منك ليعيبوك ويستهزئوا بك، وقال عطية: مهطعين معرضين، وقال الكلبي ناظرين إليك تعجبا، وقال قتادة: عامدين والمعنى متقارب."(٣)

١٤٦) هَلَك

" هلك الهُلْك الهَلاك الموت وفي الحديث عن أبي هريرة (إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم)(٤) يروى بفتح الكاف وضمها؛ فمن فتحها كانت فعلا ماضيا ومعناه أن الغالين الذين يؤيسون الناس من رحمة الله تعالى يقولون هلك الناس أي استوجبوا النار والخلود فيها بسوء أعمالهم، وأما الضم فمعناه أنه إذا قال ذلك لهم فهو أهلكهم أي أكثرهم هلاكا. استهلك المال أنفقه وأنفده والتَهْلُكة الهلاك وقيل

---

(١) تفسير الطبري ج١ صـــ ١٣٣

(٢) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـــ ٩٨٨ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج٨ صـــ ٣٧٢ وتفسير الطبري ج١٧ صـــ ١٣٠

(٣) تفسير القرطبي ج١٨ صـــ ٢٩٣

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب باب النهى من قول هلك الناس ج٤ صـــ ٢٠٢٤ حديث رقم ٢٦٢٣

التهلكة كل شيء تصير عاقبته إلى الهلاك، والمُهْتَلِك الذي ليس له هم إلا أن يتضيفه الناس يظل نهاره فإذا جاء الليل أسرع إلى من يكفله خوف الهلاك، والهُلاك الصعاليك الذين ينتابون الناس ابتغاء معروفهم من سوء حالهم، وقيل المنتجعون الذين قد ضلوا الطريق. والهلكى الشرهون من النساء والرجال يقال رجال هلكى ونساء هلكى الواحد هالك وهالكة و الهالكة النفس الشرهة، والهالكة من السحاب الذي يصوب المطر ثم يقلع فلا يكون له مطر فذلك هلاكه."(١)

مما سبق يتضح أن الهلاك في اللغة جاء بمعنى حسي وهو الموت وجاء بمعنى معنوي متعدد.
وقد قسمه الراغب رحمه الله فقال:" هلك الهلاك على ثلاثة أوجه: افتقاد الشيء عنك وهو عند غيرك موجود كقوله تعالى:﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة:٢٩] وهلاك الشيء باستحالة وفساد كقوله تعالى:﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ [البقرة:٢٠٥] ويقال هلك الطعام والثالث: الموت كقوله تعالى:﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ﴾ [النساء:١٧٦] والرابع بطلان الشيء من العالم وعدمه رأسا وذلك المسمى فناء المشار إليه بقوله تعالى:﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨] ويقال للعذاب والخوف والفقر الهلاك. وعلى هذا قوله تعالى:﴿وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام:٢٦] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ [مريم:٧٤] ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف:٣٥] هو الهلاك الأكبر، والهُلك بالضم الإهلاك والتهلكة ما يؤدي إلى الهلاك قال تعالى:﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥] وامرأة هَلوك كأنها تتهالك في مشيها وكني بالهلوك عن الفاجرة لتمايلها."(٢) من الملاحظ أن الراغب عد الهلاك ثلاثة أوجه ثم ذكر أربعة وأضاف خامسا بمعنى العذاب والخوف والفقر. وقال المناوي رحمه الله:" الهلك تداعي الشيء إلى أن يبطل ويفنى."(٣)

وجاء الهلاك في القرآن الكريم على أضرب ومعاني متعددة يمكن حصرها فيما يلي : ــ

١ــ من لم ينتفع بعقله في الاهتداء إلى توحيد خالقه فانحرف عن دين الله فكأنما فني بفناء عقله إذ لم يستعمله استعمالا صحيحا فأضحى وكأنه لا وجود له قال تعالى:﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٤٢]

٢ــ انتقال الشيء من صاحبه إلى غيره أو ضياعه منه قال تعالى:﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة:٢٩]

٣ــ إطلاق الهلاك على زمان وقوعه أو مكانه قال تعالى:﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف:٥٩]﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [النمل:٤٩]

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج١٠ صـــ ٥٠٣ ــ ٥٠٨ باختصار كبير جدا

(٢) المفردات / الأصبهاني صـــ ٤٤٤ ، ٤٤٥ بتصرف يسير

(٣) التعاريف / المناوي صـــ ٧٤٢

٤ــ ما يؤدي إلى الهلاك قال تعالى:﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ﴾ [البقرة:١٩٥]
٥ــ إهلاك المرء نفسه بنفسه بسبب سوء عمله:﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام:٢٦]﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة:٤٢]
٦ــ بمعنى الإفساد المادي والإتلاف:﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾ [البقرة:٢٠٥]﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١١٧]﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ [البلد:٦]
٧ــ إيقاع الهلاك على الفرد أو الجماعة عقوبة لهم بسبب جرمهم وكفرهم، وهذا الضرب أكثر ما ورد في القرآن أورد من كل لفظة والتي بلغت خمس عشرة لفظة آية واحدة للدلالة قال تعالى:﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا﴾ [الأنعام:٦]﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام:٤٧]﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ [الأنعام:١٣١]﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف:٤]﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ [الأعراف:١٢٩]﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ [الأعراف:١٥٥]﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ [الأعراف:١٦٤]﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الحجر:٤]﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ [الإسراء:١٦]﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم:١٣]﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ [القصص:٧٨]﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾ [المؤمنون:٤٨]﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [العنكبوت:٣١]﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [القصص:٥٩]﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة:٥]

١٤٧) هَمَزَ

" همز رأسه غمزه، وقد همزت الشيء في كفي والدابة غمزها والمِهماز ما همزت به. قال شمر: والمَهامز عصيّ واحدتها مِهمزة وهي عصا في رأسها حديدة ينخس بها الحمار، والهَمْز مثل الغمز. وهمزه دفعه وضربه وهمزته ولمزته ولهزته ونهزته إذا دفعته والهامز و الهمّاز العياب والهُمَزَة مثله ورجل هُمَزَة وامرأة هُمَزَة وهو الذي يخلف الناس من ورائهم ويأكل لحومهم، ويكون ذلك بالشدق والعين والرأس. قال الليث: الهماز والهمزة الذي يهمز أخاه في قفاه من خلفه، واللمز في الاستقبال والهُماز العيابون في الغيب، واللُماز المغتابون بالحضرة ومنه قوله عز وجل:﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[الهمزة:١]."(١)

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج٥ صــ ٤٢٥ ، ٤٢٦ باختصار وانظر المفردات / الأصبهاني صــ ٥٤٦ والتبيان / شهاب الدين المصري صــ ٣٠٩

وقال الشوكاني رحمه الله:" الهمز في اللغة النخس والدفع يقال همزه ولمزه ونخسه دفعه، قال الليث الهمز كلام من وراء القفا واللمز مواجهة والشيطان يوسوس فيهمس في وسواسه في صدر بن آدم وهو قوله أعوذ بك من همزات الشياطين أي نزغات الشياطين الشاغلة عن ذكر الله تعالى."(١)

وقد ورد الهمز في القرآن ثلاث مرات وصفا للشيطان مرة في قوله تعالى:﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَاطِينِ﴾ [المؤمنون:٩٧] ومرتين وصفا فيمن كان يغتاب النبي ﷺ والمؤمنين كأمية ابن خلف والوليد بن المغيرة وغيرهما قال تعالى:﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم:١١]﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة:١]

١٤٨) هَوَا أو هَوَى

" الهوى مقصور وقيل ممدود هوى النفس، وإذا أضفته إليك قلت هواي، والهوى العشق يكون في مداخل الخير والشر، والهوي: المَهوِي. وهوى النفس: إرادتها والجمع الأهواء. قال اللغويون: الهوى محبة الإنسان الشيء وغلبته على قلبه، ومتى تكلم بالهوى مطلقا لم يكن إلا مذموما حتى ينعت بما يخرج معناه كقولهم هوى حسن وهوى موافق للصواب."(٢) قال الراغب:" الهوى ميل النفس إلى الشهوة، ويقال ذلك للنفس المائلة إلى الشهوة، وقيل سمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية وفي الآخرة إلى الهاوية، والهوي سقوط من علو إلى سفل."(٣) وقال المناوي:" الهوى ميل النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع، وقال الحرالي: نزوع النفس لسفل شهواتها في مقابلة معتلى الروح المنبعث انبساطه."(٤)

وقال ابن القيم رحمه الله:" وأما الهوى فهو ميل النفس إلى الشيء، وفعله هوي يهوى هوى مثل عمي يعمى عمى وأما هوى يهوي بالفتح فهو السقوط ومصدره الهُوي بالضم. ويقال الهوى أيضا على نفس المحبوب، ويقال هذا هوى فلان وفلانة أي مهويته ومحبوبته وأكثر ما يستعمل في الحب المذموم كما قال الله تعالى:﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات٤٠:٤١] وقد يستعمل في الحب الممدوح استعمالا مقيدا."(٥)

---

(١) تفسير القرطبي ج١٢ صـ ١٤٨ وانظر العين / الفراهيدي ج٤ صـ ١١ ولسان العرب / ابن منظور ج٦ صـ ٢٥٠

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج١٥ صـ ٣٧٣ ، ٣٧٤ باختصار كبير وتصرف يسير

(٣) المفردات / الأصبهاني صـ ٥٤٨

(٤) التعاريف / المناوي صـ ٧٤٤ وانظر التعريفات / الجرجاني صـ ٣٢٠

(٥) روضة المحبين ونزهة المشتاقين / محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي الدمشقي أبو عبد الله / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤١٢هـ ــ ١٩٩٢م / صـ ٢٢ ، ٢٣

وقال القرطبي رحمه الله:" قال الشعبي إنما سمي الهوى هوى لأنه يهوى بصاحبه في النار، وقال ابن عباس: ما ذكر الله هوى في القرآن إلا ذمه."(١) حتى أن ابن الجوزي رحمه الله ألف كتابا في (ذم الهوى) أسماه كذالك ربا على الستمائة صفحة.

وقد وعد الله من نهى نفسه عن الهوى، وحذر وتوعد من إتباع الهوى، وما أشد تشنيعه على من اتبع هواه وآثره على أمر ربه وهداه، ومن ذلك التحذير والتشنيع : ـ

١ـ أخبر الله أن إتباع الهوى يمنع من الاستجابة لداعي الإيمان، وأنه لا أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله، ومن كان هذا حاله فما أعظم بغيه وظلمه لنفسه قال الله تعالى:﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص:٥٠]

٢ـ نهى الله عن إتباع الهوى في كل الأحوال، وإن كان ظاهره مصلحة الأبوين في حال فقرهما أو غناهما فقال الله تعالى:﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ ﴾ [النساء:١٣٥] وكذلك حذر من إتباع أهواء المخالفين لدين الله و تشريعاته:﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:١٢٠]

٣ـ حذر القرآن من إتباع الهوى لأنه سببٌ للظلال والردى، والهلاك في الحياة الدنيا والآخرة قال تعالى:﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ [طه:١٦] ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ﴾ [ص:٢٦] ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف:٢٨]

٤ـ مثَّل الله من يترك الهدى ويتبع الهوى بأخس الحيوانات، فصوره بأبشع تصوير، وعيره أسوأ تعيير قال تعالى:﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ ۚ ﴾ [الأعراف:١٧٦]

٥ـ جعل الله من يتبع هواه بمنزلة من يعبد غير الله من الأوثان والأصنام قال تعالى:﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ [الفرقان:٤٣] ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية:٢٣]

٦ـ وعد الله من نهى نفسه عن إتباع الهوى، وخاف مقام ربه سبحانه بجنة المأوى قال تعالى:﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ [النازعات:٤٠]

٧ـ إتباع الهوى كان سببا للتكبر عن طاعة الله قال تعالى:﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة:٨٧]

٨ـ إتباع الهوى يسبب مفسدة السماء والأرض بما فيهما قال تعالى:﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ ﴾ [المؤمنون:٧١]

(١) تفسير القرطبي ج١٦ صـــ ١٦٧

٩ـ إتباع الهوى من صفات الظالمين قال تعالى:﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ﴾ [الروم:٢٩]

١٠ـ إتباع الهوى من صفات المنافقين قال تعالى:﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ [محمد:١٦]

١١ـ مُتبع الهوى استجاب لأمر الشيطان ووسوسته فأوقعه في الظلال والحيرة قال تعالى:﴿قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ﴾[الأنعام:٧١]

١٤٩) وزَر

" الوزَر الملجأ وأصل الوزر الجبل المنيع وكل معقل وزر وفي التنزيل العزيز﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ [القيامة:١١] ومعنى الآية لا شيء يعتصم فيه من أمر الله، و الوَزْر الحمل الثقيل و الوِزْر الذنب لثقله، وأوزار الحرب وغيرها الأثقال والآلات، والوِزْر الإثم والثقل والكارة والسلاح قال ابن الأثير: وأكثر ما يطلق في الحديث على الذنب والإثم يقال وَزِر يزر إذا حمل ما يثقل ظهره من الأشياء المثقلة ومن الذنوب وفي التنزيل العزيز﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ﴾ [الإسراء:١٥] [الزُمَر:٧] [النجم:٣٨] أي لا يؤخذ أحد بذنب غيره ولا تحمل نفس آثمة وزر نفس أخرى ولكن كل مجزي بعمله، والآثام تسمى أوزارا لأنها أحمال تثقله."(١)

وقال الكفومي رحمه الله:" والإثم والوزر هما واحد في الحكم العرفي وإن اختلفا في الوضع؛ فإن وضع الوزر للقوة لأنه من الإزار وهو ما يقوي الإنسان، ومنه الوزير لكن غلب استعماله لعمل الشر لمكان أن صاحب الوزر يتقوى ولا يلين للحق، ووضع الإثم للذة وإنما خص به فعل الشر لأن الشرور لذيذة، والوزير إما من الوِزر لأنه يحمل الثقل عن أميره، أو من الوَزَر وهو الملجأ لأن الأمير يعتصم برأيه ويلتجئ إليه في أموره."(٢)

وقد جاء الوزر في القرآن بألفاظ متعددة ومعاني متقاربة مشابهة للمعاني اللغوي والتي تتلخص في التالي

١ـ الحمل والثقل كقوله تعالى:﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ [طه:٨٧]

٢ـ الآلام الجسدية والنفسية كقوله تعالى:﴿فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ﴾ [محمد:٤]

٣ـ الكفر بالرسالة كقوله تعالى:﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ﴾ [الأنعام:١٦٤]﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ﴾ [الإسراء:١٥][الزُمَر:٧] [النجم:٣٨]

٤ـ الخطيئة والإثم كقوله تعالى:﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام:٣١]﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل:٢٥]﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ﴾ [فاطر:١٨]

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج٥ صـ ٢٨٢ وانظر العين / الفراهيدي ج٧ صـ ٣٨٠ والمفردات / الأصبهاني صـ ٥٢١

(٢) الكليات / الكفومي صـ ٤٠ ، صـ ٩٤٧

٥ـ الجزاء كقوله تعالى:﴿ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴾ [طه:١٠٠]

٦ـ الملجأ والملاذ والمعتصم كقوله تعالى:﴿ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴾﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴾﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴾ [القيامة١٠:١٢]

٧ـ وبقي معنى واحد اختلف فيه العلماء وهو الذي جاء في النبي ﷺ في قوله تعالى:﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ [الشرح:٢] فقال المفسرون ما أوجزه الأمام الطبري بقوله:" (وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ) يقول وغفرنا لك ما سلف من ذنوبك وحططنا عنك ثقل أيام الجاهلية التي كنت فيها. عن قتادة كانت للنبي ﷺ ذنوب قد أثقلته فغفرها الله له. وعن الضحاك يعني الشرك الذي كان فيه. وعن ابن زيد وغفر له ذنبه الذي كان قبل أن ينبأ فوضعه."[١] وقول الضحاك رحمه الله فيه نظر إذ لو كان النبيﷺ في شرك فلمَ كان يذهب إلى غار حراء يبحث عن الهداية؟!

١٥٠) وَسَس أو وَسْوَس

" وَسَس الوَسْوَسة و الوَسْوَاس الصوت الخفي من ريح، وصوت الحلي، وهي حديث النفس وكل ما حدثك ووسوس إليك فهو اسم وقوله تعالى:﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [الأعراف:٢٠] يريد إليهما و الوسوسة الكلام الخفي في اختلاط، ورجل موسوس إذا غلبت عليه الوسوسة والوسواس بالفتح الاسم وهو الشيطان، وقيل في التفسير إن له رأسا كرأس الحية يجثم على القلب فإذا ذكر العبد الله خنس، وإذا ترك ذكر الله رجع إلى القلب. ووسوس الرجل كلمه كلاما خفيا وتكلم بكلام لم يبينه."[٢]

قال الكفومي رحمه الله:" الوسوسة القول الخفي لقصد الإضلال من وسوس إليه ووسوس له أي فعل الوسوسة لأجله؛ وهي حديث النفس والشيطان بما لا نفع فيه ولا خير كالوِسواس بالكسر والاسم بالفتح. يقال لما يقع في النفس من عمل الشر وما لا خير فيه وسواس ولما يقع من عمل الخير إلهام."[٣]

وقد ورد لفظ الوسوسة في القرآن منسوبا للنفس مرة واحدة وثلاث مرات للشيطان قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ﴾ [ق:١٦] ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ﴾ [الأعراف:٢٠] ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [طه:١٢٠] ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾ [الناس:٤] ﴿ ٱلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس٤:٥]

---

(١) تفسير الطبري ج٣٠ صـ ٢٣٤ ، ٢٣٥ وانظر تفسير القرطبي ج٢٠ صـ ١٠٥ وفتح القدير / الشوكاني ج٥ صـ ٤٦١ والتفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج٢٢ صـ ٧ والمفردات / الأصبهاني صـ ٥٢١

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج٦ صـ ٢٥٤ ، ٢٥٥ باختصار وتصرف يسير وانظر العين / الفراهيدي ج٧ صـ ٣٣٥

(٣) الكليات / الكفومي صـ ٩٤١ ، ٩٤٢ وانظر غريب القرآن / السجستاني صـ ٤٨٣ والمفردات / الأصبهاني صـ ٥٢٢

١٥١) وَعَى أو وَعَا

" الوِعاء والوِعا واحد الأوعية، وأوعى الزاد والمتاع جعله في الوعاء، ووعى الحديث يعيه وعيا حفظه و﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٢] ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ [الانشقاق:٢٣] أي يضمرون في قلوبهم من التكذيب."[١]

وقد ورد اللفظ مرتين بالمعنى الشرعي وصفا للكافر الذي جمع المال وكنزه وأخفاه ولم ينفق منه في وجوه الخير قال تعالى:﴿تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ ﴿وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ﴾ [المعارج١٧:١٨] وورد في وصف الكفار قال تعالى:﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ﴾ [الانشقاق:٢٢]﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ [الانشقاق٢٢:٢٣] قال الطبري رحمه الله:" تُوعيه صدور هؤلاء المشركين من التكذيب بكتاب الله ورسوله."[٢] وقيل المنافقون لأنهم أخفوا وأضمروا في صدرهم الكفر والنفاق والقول الأول أولى لإن سورة الإنشقاق مكية ولا مانع من احتمال المعنى الثاني لأن المنافق يدخل تحت الكافر.

١٥٢) وَيْل

" ويل كلمة مثل ويح إلا أنها كلمة عذاب يقال ويله وويلك وويلي وفي الندبة ويلاه، وتقول ويل لزيد وويلا لزيد فالرفع على الابتداء والنصب على إضمار الفعل، وقال عطاء بن يسار: الويل واد في جهنم لو أرسلت فيه الجبال لماعت من حره."[٣] قال الكفومي رحمه الله:" الويل كلمة دعاء بالهلاك والعذاب وهي في الأصل مصدر لم يستعمل له فعل يقال ويل لزيد وويلاً له بالرفع ، وأما إذا أضيف فليس له إلا النصب يقال ويلاً لمن وقع فيه وويل فلان أي الخزي له."[٤] وعند الأمام أحمد عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال:" ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره. والصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا يهوي منه كذلك أبدا."[٥]

وجاء الويل في القرآن توعدا ودعاء أما التوعد فمثل قوله تعالى:﴿ فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَوَيۡلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ﴾ [البقرة:٧٩]﴿وَوَيۡلٌ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [ابراهيم:٢]﴿وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:١٨]﴿فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص:٢٧]﴿فَوَيۡلٌ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر:٢٢]﴿وَوَيۡلٌ لِّلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [فصلت:٦]﴿فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾

(١) مختار الصحاح / الرازي صــ ٣٠٣ وانظر غريب القرآن / السجستاني صــ ٨٣

(٢) تفسير الطبري ج٣٠ صــ ١٢٦

(٣) مختار الصحاح صــ ٣٠٧ وانظر تهذيب اللغة ج١٥ صــ ٣٢٧ ولسان العرب ج١١ صــ ٧٣٩

(٤) الكليات / الكفومي صــ ٩٤٥

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج٣ صــ ٧٥ حديث رقم ١١٧٣٠ وأخرجه الحاكم في مستدركه كتاب الأهوال ج٤ صــ ٦٣٩ حديث رقم ٨٧٦٤ وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه

[الزُّخرُف:٦٥] ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الجاثية:٧] ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الذاريات:٦٠] ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الطور:١١] [المرسلات:١٥] ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين:١] ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهُمَزة:١] ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون٤:٥]

وأما الدعاء فهو على ضربين من مخلوق على غيره كقوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [طه:٦١] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ﴾ [القصص:٨٠] ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأحقاف:١٧] ومن مخلوق على نفسه مفردا كقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى﴾ [المائدة:٣١] ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان:٢٨] ومجموعا كقوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف:٤٩] ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:١٤] ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٤٦] ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس:٥٢] ﴿وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [الصافات:٢٠] ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾ [القلم:٣١]

١٥٣) يَأَس أو يَئِس

" اليأْسُ القنوط، وقيل اليأس نقيض الرجاء، واليأس من السل لأن صاحبه ميؤوس منه، و يئس علم مثل حَسِب وفي التنزيل العزيز ﴿أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد:٣١] أي أفلم يعلم. وقال أهل اللغة: معناه أفلم يعلم الذين آمنوا علما يئسوا معه أن يكون غير ما علموه، وقيل معناه أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء الذين وصفهم الله بأنهم لا يؤمنون."[١]

وقال الكفومي رحمه الله:" اليأس هو انقطاع الرجاء يقال يئست فأنا يائس وآيس وأيست لغةٌ فيه. وكل يأس في القرآن فهو قنوط إلا التي في الرعد فإنها بمعنى العلم."[٢] وهي الآية التي أشار إليها ابن منظور. وقال الراغب رحمه الله:" وقوله (أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟) قيل معناه أفلم يعلموا ولم يرد أن اليأس موضوع في كلامهم للعلم وإنما قصد أن يأس الذين آمنوا من ذلك يقتضي أن يحصل بعد العلم بانتفاء ذلك؛ فإذا ثبوت يأسهم يقتضي ثبوت حصول علمهم."[٣] وما سوى هذه الآية فقد جاء بالمعنى اللغوي وما تعلق منه بموضوعنا هو اليأس بالمراد الشرعي فقد وقع من الكفار أو جاء وصفا لهم قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة:٣] ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ﴾ [هود:٩] ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج٦ صـــ ٢٥٩

(٢) الكليات / الكفومي صـــ ٩٧٨ ، ٩٨٥

(٣) المفردات / الأصبهاني صـــ ٥٥٢

﴿لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧] ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا﴾ [الإسراء:٨٣] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى﴾ [العنكبوت:٢٣] ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ [فصلت:٤٩] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ [الممتحنة:١٣]

المطلب الثاني

الألفاظ التي يتردد فيها المعنى بين الكفر والترهيب

والألفاظ التي تردد معناها بين الكفر والترهيب في القرآن الكريم هي الألفاظ التي جاءت تارة تصف حال الكفار وأخرى تصف حال المسلم حين يزيغ عن الصراط القويم. لكنها في وصف الكفار غالبا ما تمس أمر من أمور العقيدة فتكون وصفا مكفرا لوحده، بينما في جانب المسلم تكون في ارتكاب أمر منهي عنه كشرب الخمر والكذب والتهاون في أداء الواجبات، أو ترك أمر من الأوامر كالبر والإحسان وصلة الرحم.

وسأتكلم هنا عن هذه الألفاظ مرتبة ترتيبا معجميا ذاكرا الفعل ثم مصدره شارحا معناه. وبعد ذلك المواضع التي جاء فيها وصفا للكفار، ثم المواضع التي جاء منهيا فيها عن ارتكابه، أو منفرا من فعله متوعدا فيه فاعل النهى أو تارك الأمر.

١) أَثِم

قال الزبيدي رحمه الله:" الإِثْمُ بالكسر الذنب قال الراغب: هو أَعم من العدوان. وقال غيره: هو فعل مبطئ عن الثواب. قال الفراء: الإثم ما دون الحد. وقيل الإثم الخمر والإثم القمار وهو أن يهلك الرجل ماله ويذهبه. وقال الفراء رحمه الله: أثمه الله يأثمه جازاه جزاء الإثم، فالعبد مأثوم أي مجزي جزاء الإثم وقوله تعالى: ﴿كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[البقرة:٢٧٦] أي متحمل للإثم، وقيل أي كذاب."[١]

وقال المناوي رحمه الله:" الإثم والآثام اسم للأفعال المبطئة عن الثواب وتسمية الكذب إثما كتسمية الإنسان حيوانا لكونه من جملتهم، والآثم بالمد المتحمل للإثم."[٢] وقال الجرجاني رحمه الله:" الإثم ما يجب التحرر منه شرعا وطبعا."[٣] وفرق الكفومي رحمه الله بين الإثم والذنب فقال:" الإثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه ولا يصح أن يوصف به إلا المحرَّم سواء أريد به العقاب أو ما يستحق به من الذنوب، وبين الذنب والإثم فرق من حيث أن الذنب مطلق الجرم عمدا كان أو سهوا، بخلاف الإثم فإنه ما يستحق فاعله العقاب فيختص بما يكون عمدا."[٤]

وقد جاء الإثم ومشتقاته في القرآن بمعاني متعددة منها ما هو بمعنى الكفر المخرج من الملة ويغلب ذلك على المكي منه، وما دون ذلك وغالبه ما نزل بالمدينة وهو متعلق بمخالفة الأحكام الشرعية الفرعية لا مخالفة أصول الدين. ومثال الأول قوله تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ

---

(١) تاج العروس / الزبيدي ج٣١ صـــ ١٨٥ ، ١٨٦ باختصار كبير وانظر لسان العرب / ابن منظور ج١٤ صـــ ٢٧ وما بعدها ومختار الصحاح / الرازي صـــ ٥

(٢) التعاريف / المناوي صـــ ٣٤، وانظر المفردات / الأصبهاني صـــ ١٠

(٣) التعريفات / الجرجاني صـــ ٢٣

(٤) الكليات / الكفومي صـــ ٤٠

بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۚ ﴾ [البقرة:٢٠٦] ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة:٢٧٦] ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورًا﴾ [الإنسان:٢٤] قال القرطبي رحمه الله:" وقيل الآثم المنافق والكفور الكافر الذي يظهر الكفر."(١)

وقال الرازي رحمه الله:" الآثم هو المُقدم على المعاصي أي معصية كانت والكفور هو الجاحد للنعمة؛ فكل كفور آثم أما ليس كل آثم كفوراً، وإنما قلنا إن الآثم عام في المعاصي كلها لأنه تعالى قال: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨] فسمى الشرك إثماً وقال: ﴿وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥ﴾ [البقرة:٢٨٣] وقال: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ﴾ [الأنعام:١٢٠] وقال: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ﴾ [البقرة:٢١٩] فدلت هذه الآيات على أن هذا الإثم شامل لكل المعاصي. واعلم أن كل من عبد غير الله فقد اجتمع في حقه هذان الوصفان لأنه لما عبد غيره فقد عصاه وجحد إنعامه."(٢) ويتضح من كلام الشيخ رحمه الله ما قصدت بيانه من إطلاق الإثم على الكفر وما دونه.

وقد يطلق الإثم ويراد منه معاني متعددة أخرى منها:

ا ــ **المعصية** قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [المائدة:٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المجادلة:٩]

ب ــ **الذنب** قال تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾ [البقرة:٢٠٣] ﴿وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء:٢٠]

جـ ــ **الزنا**(٣) قال تعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ﴾ [الأنعام:١٢٠]

د ــ **الخطأ المتعمد**(٤) قال تعالى: ﴿فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ﴾ [البقرة:١٨٢]

هـ ــ **الخمر والميسر** قال الله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة:٢١٩]

---

(١) تفسير القرطبي ج١٩ صـ ١٥٠

(٢) التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج٣٠ صـ ٢٢٧

(٣) انظر تفسير الطبري ج٨ صـ ١٤ وتفسير ابن كثير ج٢ صـ ١٦٩ وفتح القدير / الشوكاني ج٢ صـ ١٥٧

(٤) انظر التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج٥ صـ ٥٧ وتفسير ابن كثير ج١ صـ ١٤٨

٢) آذى

"الأذى كل ما تأذيت به، آذاه يؤذيه أذى وأذاة وأذية." [١] وقال شهاب الدين المصري:" الأذى ما يكره ويغتم به."[٢] وقال الراغب رحمه الله:" الأذى ما يصل إلى الحيوان من الضرر إما في نفسه أو جسمه أو تبعاته دنيويا كان أو أخرويا."[٣]

وقد جاء الأذى في القرآن في صفات الكفار والمنافقين قال تعالى:﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة:٦١] ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [الأحزاب:٤٨] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب٥٧ :٥٨]﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [الصف:٥]

وجاء الأذى بمعنى دون الكفر كالعقاب أو الحد الشرعي في قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ ﴾ [النساء:١٦] وبمعنى المعصية كقوله تعالى:﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٣] وجاء أيضا كسبب لإحباط العمل قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [البقرة:٢٦٤]

٣) أفف (أفَّ)

" الأُف الوسخ الذي حول الظفر والتف الذي فيه. وقيل الأُف وسخ الأذن والتف وسخ الأظفار. يقال ذلك عند استقذار الشيء، ثم استعمل ذلك عند كل شيء يضجر منه ويتأذى به وقيل أف معناه قلة مأخوذ من الأَفف وهو الشيء القليل .قال القتيبي: في قوله عز وجل:﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾[الإسراء:٢٣] أي لا تستثقل شيئا من أمرهما وتضق صدرا به ولا تغلظ لهما. قال والناس يقولون لما يكرهون ويستثقلون أف له وأصل هذا نفخك للشيء يسقط عليك من تراب أو رماد وللمكان تريد إماطة أذى عنه فقيلت لكل مستثقل." [٤]

وقد ورد اللفظ في القرآن ثلاث مرات دعاء من إبراهيم عليه السلام على الأصنام التي عبدها قومه وتحقيرا لشأنها في قوله تعالى:﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنبياء:٦٧] وكذا في قول العبد

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج١٤ صـــ ٢٧ ومختار الصحاح / الرازي صـــ ٥

(٢) التبيان في تفسير غريب القرآن / شهاب الدين المصري صـــ ١٢٣

(٣) المفردات / الأصبهاني صـــ ١٥ وانظر التعاريف / المناوي صـــ ٤٦

(٤) لسان العرب ج٩ صـــ ٦ ، ٧ باختصار

الكافر العاق لوالديه المنكر للبعث والحساب قال تعالى:﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ ﴾ [الأحقاف:١٧] وورد اللفظ بمعنى الذنب المنهى عنه في قوله تعالى:﴿إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا ﴾ [الإسراء:٢٣]

٤) أَفَك

" أَفَك فلانٌ أَفْكاً كذب و افترى، وأَفَك فلاناً أَفْكاً كذب عليه وخدعه، وفلانا عن الشيء أفكا صرفه وفي التنزيل العزيز:﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا﴾ [الأحقاف:٢٢] والأمر عن وجهه قلبه وصرفه عنه، ائتفكت الأرض انقلبت بمن عليها، والرياح هبت من كل ناحية، والقوم اضطربوا وانقلبت أحوالهم من الخير إلى الشر، تأفك اصطنع الكذب، والأَفكة الكذبة العظيمة جمعها أفائك. والمؤتفكات الرياح تختلف مهابها ومدائن قوم لوط التي قلبها الله على قومه."[(١)]

وقال الراغب رحمه الله:" أفك الإفك كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه، وقوله تعالى:﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [المنافقون:٤] أي يصرفون عن الحق في الاعتقاد إلى الباطل ومن الصدق في المقال إلى الكذب، ومن الجميل في الفعل إلى القبيح ومنه قوله تعالى: ﴿يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ﴾ [الذاريات:٩] وقوله (أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ) وقوله (قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا) فاستعملوا الإفك في ذلك لما اعتقدوا أن ذلك صرف من الحق إلى الباطل فاستعمل ذلك في الكذب كما قلنا. وقال تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ ﴾ [النور:١١] وقال:﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ﴾ [الجاثية:٧] وقوله:﴿ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الصافات:٨٦] فيصح أن يجعل تقديره أتريدون آلهة من الإفك، ويصح أن يجعل إفكا مفعول تريدون ويجعل آلهة بدلا منه ويكون قد سماهم إفكا."[(٢)] والذي ذهب إليه الراغب في حصر الإفك بمعنى الصرف كما وَضُح يحمل كل معاني اللغة التي ذكرها أهل المعاجم.

وقد أُطلق الإفك في القرآن وأريد به الكفر أو ما نتج عنه كقوله تعالى:﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ﴾ [الأعراف:١١٧] وقوله:﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ﴾ ﴿وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [الصافات١٥١:١٥٢] وقوله سبحانه:﴿ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ﴾ [الشعراء٢٢١:٢٢٢]

---

(١) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وغيره ج١ صـــ ٢١ وانظر مختار الصحاح / الرازي صـــ ٨

(٢) المفردات / الأصبهاني صـــ ٢٠

وأطلق وأريد به الذنب كقوله تعالى:﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ﴾ [النور:١٢] قال الشنقيطي رحمه الله: ومعلوم أن القذف ليس بمخرج عن الملة ويدل له قوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ)"[١]

ومما يحتمل المرادين قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النور:١١] فإن حمل على المنافقين فكفر لإرادتهم الفتنة والإفساد من ذلك، وإن حمل على المسلمين منهم كحسان كان ذنبا ومعصية. قال الجلالان رحمهما الله:" والذي تولى كبره منهم أي تحمل معظمه فبدأ بالخوض فيه وأشاعته وهو عبد الله بن أبي له عذاب عظيم هو النار في الآخرة."[٢]

٥) بَخِل

قال الجرجاني رحمه الله:" البُخل هو المنع من مال نفسه، وقيل البخل ترك الإيثار عند الحاجة قال حكيم: البخل محو صفات الإنسانية وإثبات عادات الحيوانية."[٣] وقال المناوي رحمه الله:" البخل إمساك المقتنيات عما لا يحل حبسها عنه، وضده الجود. والبخيل من يكثر منه البخل والبخل ضربان بخل بمقتنيات نفسه وبخل بمقتنيات غيره وهو أكثرهما ذما والبخل شرعا منع الواجب."[٤]

وقد جاء البخل وصفا للكفار كقوله تعالى:﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ [آل عمران:١٨٠] ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [النساء:٣٧] ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾ ﴿وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ [الليل٨:١٠]

وجاء مذموما يحمل معنى المعصية في قوله تبارك تعالى:﴿إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكُمۡ تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ﴾﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُمۚ﴾ [محمد٣٧:٣٨]

---

(١) أضواء البيان / الشنقيطي ج١ صـــ ٤١١

(٢) تفسير الجلالين / المحلي والسيوطي صـــ ٤٥٩

(٣) التعريفات / الجرجاني صـــ ٦٢

(٤) التعريفات / الجرجاني صـــ ١١٧ وانظر تاج العروس / الزبيدي ج٢٨ صـــ ٦٣

٦) بَطَش

" البطش التناول بشدة عند الصولة، والأخذ الشديد في كل شيء، بطش يبطِش ويبطُش بطشا وفي الحديث (فإذا موسى باطش بجانب العرش)(١) أي متعلق به بقوة، و البطش الأخذ القوي الشديد وفي التنزيل﴿وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء:١٣٠] قال الكلبي رحمه الله: معناه تقتلون عند الغضب. وقال غيره: تقتلون بالسوط، وقال الزجاج رحمه الله: جاء في التفسير أن بطشهم كان بالسوط والسيف وإنما أنكر الله تعالى ذلك لأنه كان ظلما، فأما في الحق فالبطش بالسيف والسوط جائز، والبطْشَة السطوة والأخذ بالعنف."(٢)

وقد جاء البطش وصفا لبعض الأمم الكافرة السابقة كقوله تعالى:﴿وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء:١٣٠] وقوله تعالى:﴿ فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [الزُخرُف:٨]﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ﴾ [ق:٣٦] وكذا توعد الله الكفار بالبطش قال تعالى:﴿ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ [الدخان:١٦]﴿ وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ ﴾ [القمر:٣٦]

وجاء البطش كذنب في وصف الغوي من بني إسرائيل لفعل موسي حين ظن أنه قاتله قال الله على لسانه:﴿ فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوّٞ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ ﴾ [القصص:١٩]

٧) بَطَل

"بطل الشيء يبطل بطْلا وبطلانا ذهب ضياعا وخسرا فهو باطل، ويقال ذهب دمه بَطَلا أي هدرا وبطَل في حديثه بطَالة وأبطَل هزل. والباطل نقيض الحق والجمع أباطيل."(٣) قال الراغب:" الباطل نقيض الحق وهو ما لا ثبات له عند الفحص عنه قال تعالى:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [لقمان:٣٠]"(٤)

وقد جاء الباطل في القرآن بمعنى الكفر الذي هو نقيض الحق وهو أكثره كقوله تعالى:﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأعراف:١٣٩] ﴿ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾ [الأعراف:١٧٣] ﴿ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ [الأنفال:٨]﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴾ [الإسراء:٨١]

---

(١) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الخصومات باب ما يذكر في الإشخاص والملازمة والخصومة بين المسلم واليهودي ج٢ صـــ ٨٤٩ حديث رقم ٢٢٨٠ والإمام مسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب من فضائل موسى ﷺ ج٤ صـــ ١٧٤٤ حديث رقم ٢٣٧٣

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج٦ صـــ ٢٦٧ وانظر العين / الفراهيدي ج٦ صـــ ٢٤٠ والمفردات / الأصبهاني صـــ ٥٠

(٣) لسان العرب / ابن منظور ج١١ صـــ ٥٦

(٤) المفردات / الأصبهاني صـــ ٥٠

وجاء بمعنى المعصية قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة:٢٦٤]﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ ﴾ [النساء:٢٩]﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [محمد:٣٣]

٨) بغا أو بغى

" بغا الشيء نظر إليه كيف هو، وابتغاه طلبه والاسم البَغية والبُغية وبغى الرجل حاجته أو ضالته طلبها، والباغي الذي يطلب الشيء الضال، وقيل البَغيُّ الأَمة فاجرة كانت أو غير فاجرة. وقيل البَغيُّ أيضا الفاجرة حرة كانت أو أمة. والبغْي الاستطالة على الناس. وقال الأزهري: معناه الكبر. والبغْي: الظلم والفساد ومعظم الأمر وقيل: قصد الفساد ويقال فلان يبغي على الناس إذا ظلمهم وطلب أذاهم. والفئة الباغية هي الظالمة الخارجة عن طاعة الإمام العادل. وأصل البغي مجاوزة الحد والبغي أصله الحسد ثم سمي الظلم بغيا لأن الحاسد يظلم المحسود جهده بإرادة زوال نعمة الله عنه. وبغى بغيا كذب وبغى في مشيته بغيا اختال وأسرع."(١)

قال المناوي رحمه الله:" والبغي ضربان: أحدهما محمود وهو تجاوز العدل إلى الإحسان والفرض إلى التطوع، والثاني مذموم وهو تجاوز الحق إلى الباطل أو ما يجاوره من الأمور المشتبهات. وبغى الجرح تجاوز الحد في فساده فالبغي في أكثر المواضع مذموم."(٢) وقال الكفومي رحمه الله:" البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى تارة يعتبر في القدر الذي هو الكمية وتارة يعتبر في الوصف الذي هو الكيفية. وقال بعضهم: البغي الحسد وقصد الاستعلاء والترقي في الفساد."(٣)

وقد جاء البغي في القرآن بهذه المعاني يحمل معنى الكفر أحيانا وأخرى يحمل معنى المعصية والذنب فمن الأول قوله تعالى:﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الأنعام:١٤٦]﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ [القصص:٧٦] ومن الثاني قوله تعالى:﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ﴾ [البقرة:١٧٣]﴿قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ [ص:٢٢]﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي﴾ [الحُجُرات:٩]

٩) بَهَت

" بهت الشيء بهتا أدهشه وحيره، وبهت فلانا قذفه بالباطل وفي حديث الغيبة (و إن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته)(٤) وبُهت الرجل بهتا دُهش مأخوذا بالحجة فشحب لونه. وبهت اللون ضعف و

(١) لسان العرب / ابن منظور ج١٤ صـــ ٧٥ ــ ٧٩ باختصار كبير وتصرف ، وانظر تهذيب اللغة / الأزهري ج٨ صـــ ١٨٠

(٢) التعاريف / المناوي صـــ ١٣٨

(٣) الكليات / الكفومي صـــ ٢٤٧

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الغيبة ج٤ صـــ ٢٠٠١ حديث رقم ٢٥٨٩

شحب يقولون ثوب باهت و لون باهت. وباهت فلانا استقبله بالبهتان قالوا فلان يباحث فيباهت. وتباهت القوم قذف بعضهم بعضا بالباطل والبُهت و البُهتان الكذب المفترى."(١)

وبمعنى الدهشة والحيرة ورد البُهت وصفا للكافر الذي حاج إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى:﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ [البقرة:٢٥٨] و كذا في وصف حال الكفار عند قيام الساعة قال الله تعالى:﴿ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ [الأنبياء:٤٠] و في قذف اليهود لمريم بالزنا وهى عندهم في التوراة مطهرة قال تعالى: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:١٥٦]

وفي معنى الذنب والمعصية قال تعالى:﴿ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء:٢٠] ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء:١١٢] ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة:١٢] قال الراغب رحمه الله:" كناية عن الزنا قيل بل ذلك لكل فعل شنيع يتعاطينه باليد والرجل من تناول ما لا يجوز والمشي إلى ما يقبح."(٢)

١٠) ثَقِل

" الثِقَل نقيض الخفة وهو رجحان الثقيل. والثِقْل الحمل الثقيل والجمع أثقال وقوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة:٢] أثقالها كنوزها وموتاها والثِقَل الذنب وفي التنزيل﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ [العنكبوت:١٣] وهو مثل ذلك يعني أوزارهم وأوزار من أضلوا وهي الآثام وقوله عزوجل:﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل:٥] يعني الوحي الذي أنزله الله عليه جعله ثقيلا من جهة عظم قدره وجلالة خطره، وأنه ليس بسفساف الكلام الذي يستخف به. وتثاقل القوم استنهضوا لنجدة فلم ينهضوا إليها، والتثاقل التباطؤ والثِقَل بالتحريك المتاع والحشم."(٣)

وقال الكفومي رحمه الله:" والثقل كل شيء له قدر ووزن ينافس فيه فهو ثقل وهو ضد الخفة، والثقل بالتحريك هو متاع المسافر وحشمه وكل شيء نفيس مصون. والثقل قوة يحس من محلها بواسطتها مدافعة هابطة كالحجر. وهو أصل في الأجسام ثم يقال في المعاني. والثقلان الإنس والجن سميا بذلك لكونهما ثقيلين على وجه الأرض وهي كالحمولة لهما، أو لأنهما مثقلان بالتكليف أو

(١) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين صـــ ٧٢ ، ٧٣ بتصرف يسير وانظر مختار الصحاح / الرازي صـــ ٢٧

(٢) المفردات / الأصبهاني صـــ ٦٣ وانظر التعريفات / الجرجاني صـــ ١٠٨

(٣) لسان العرب / ابن منظور ج١١ صـــ ٨٥ ، ٨٦

لرزانة آرائهم وأقدارهم. والأثقال كنوز الأرض وموتاها، والذنوب والأحمال الثقيلة وقوله تبارك تعالى:﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:١٨٧] يعني الساعة أي خفي علمها على أهلها وإذا خفي الشيء فقد ثقل."(١)

وقد جاء اللفظ في القرآن يحمل معنى الكفر في قوله تعالى:﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت:١٣]

وجاء بمعنى الذنب والمعصية في قوله تبارك وتعالى محذرا المؤمنين:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة:٣٨]

١١) جَهِل

" الجهل نقيض العلم، و تجاهل أرى من نفسه الجهل وليس به، واستجهله عده جاهلا واستخفه أيضا وقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ﴾ [البقرة:٢٧٣] يعني الجاهل بحالهم ولم يرد الجاهل الذي هو ضد العاقل إنما أراد الجهل الذي هو ضد الخبرة."(٢)

وقال الكفومي رحمه الله:" الجهل يقال للبسيط وهو عدم العلم عما من شأنه أن يكون معلوما. ويقال أيضا للمركب وهو عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق سمي به لأنه يعتقد الشيء على خلاف ما هو عليه فهذا جهل آخر قد تركبا معا ويقرب من البسيط."(٣)

والجهل ورد في القرآن بمعنيين الأول هو الخلو من المعرفة كقوله تعالى:﴿ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [البقرة:٦٧]﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [البقرة:٢٧٣] وهذا مما لا إثم فيه والثاني بمعنى الطيش والسفه والذي جاء في القرآن محتملا للكفر كقوله تعالى:﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٩]﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [النمل:٥٥]

وجاء بمعنى المعصية كقوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ [الحُجُرات:٦] ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴾ [يوسف: ٨٩]

١٢) حَبِط

" الحَبَط آثار الجرح أو السياط بالبدن. وقال الجوهري رحمه الله: حَبِطَ الجرح حَبَطاً بالتحريك أي عرب ونكس. وقال ابن عباد: حبط الجرح إذا بقيت له آثار بعد البرء. والحَبَط وجع ببطن البعير من كلإٍ يستوبله.

---

(١) الكليات / الكفومي صـ ٣٢٣ وانظر التعاريف / المناوي صـ ٢٢١

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج١١ صـ ١٢٩

(٣) الكليات / الكفومي صـ ٣٥٠ وانظر التعريفات / الجرجاني صـ ١٠٨

وحَبِطَ جلده ورم. ومن المجاز حَبِطَ عمله كسمع وعليه اقتصر الجوهري وغيره من الأئمة. وقال الأزهري رحمه الله: إذا عمل الرجل عملاً ثم أفسده قيل حَبِطَ عمله."(١)

قال المناوي رحمه الله:" الحَبُوط بطلان العمل من حبط بطنه إذا فسد بالمأكل الرديء. والحبط فساد في الشيء الصالح يأتي عليه من وجه تظن به صلاحه وهو في الأعمال بمنزلة البطح في الشيء القائم الذي يقعده عن قيامه، كذلك الحبط في الشيء الصالح يفسده عن وهم صلاحه."(٢)

وقد قسم الراغب رحمه الله الحبوط أقساما ثلاثة فقال:" وحَبِط العمل على أضرب أحدها أن تكون الأعمال دنيوية فلا تغني في القيامة غناءً كما أشار إليه بقوله:﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان:٢٣]. والثاني: أن تكون أعمالا أخروية لكن لم يقصد بها صاحبها وجه الله تعالى كما روي (أنه يؤتى يوم القيامة برجل فيقال له بم كان اشتغالك قال بقراءة القرآن فيقال له قد كنت تقرأ ليقال هو قارئ وقد قيل ذلك، فيؤمر به إلى النار.) (٣) والثالث: أن تكون أعمالا صالحة ولكن بإزائها سيئات توفى عليها وذلك هو المشار إليه بخفة الميزان."(٤)

وجاء الحَبوط للإهمال في القرآن على قسمين: قسم وصِف به الكفار وهو أكثره كقوله تعالى:﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ ﴾ [البقرة:٢١٧]﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة:٥]﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ ﴾ [الأحزاب:١٩]﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزُّمَر:٦٥]

وقسم جاء بمعنى الذنب الذي يذهب ثواب العمل ولا ينزع الإيمان وقد ورد مرة واحدة وصفا لمن عامل النبي في الحديث كمعاملة بقية الناس في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحُجُرات:٢]

قال القرطبي رحمه الله:" و ليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة، لأن ذلك كفر والمخاطبون مؤمنون. وإنما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر الكبراء، فيتكلف الغض منه ورده إلى حد يميل به إلى ما يستبين فيه المأمور به من التعزير والتوقير. ولم يتناول النهي أيضا رفع الصوت الذي

---

(١) تاج العروس / الزبيدي ج١٩ صـ ١٩٢ ، ١٩٣ باختصار كبير وانظر لسان العرب / ابن منظور ج٧ صـ ٢٦٩ وما بعدها

(٢) التعاريف / المناوي صـ ٢٦٦

(٣) انظر صحيح الإمام مسلم ج٣ صـ ١٥١٤ حديث رقم ١٥٠٩

(٤) المفردات / الأصبهاني صـ ١٠٦

يتأذى به رسول الله ﷺ، وهو ما كان منهم في حرب أو مجادلة معاند أو إرهاب عدو أو ما أشبه ذلك، ففي الحديث أنه قال عليه السلام للعباس بن عبد المطلب لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ بالناس، وكان العباس أجهر الناس صوتا. يروى أن غارة أتتهم يوما فصاح العباس يا صاحباه فأسقطت الحوامل لشدة صوته."(١)

١٣) حَلَف

" الحَلف والحُلف القسم لغتان. حلف أي أقسم ورجل حالف وحلاف وحلافة كثير الحلف وأحلفت الرجل وحلفته واستحلفته بمعنى واحد، وقد استحلفه بالله ما فعل ذلك و حلفه وأحلفه وفي الحديث (من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها) (٢) الحَلف اليمين وأصلها العقد بالعزم والنية والحِلف بالكسر العهد يكون بين القوم، وقد حالفه أي عاهده وتحالفوا أي تعاهدوا."(٣)

وقال الراغب رحمه الله:" الحَلف العهد بين القوم والمحالفة المعاهدة وجعلت للملازمة التي تكون بمعاهدة والحَلف أصله اليمين الذي يأخذ بعضهم من بعض بها العهد ثم عبر به عن كل يمين والمحالفة أن يحلف كل للآخر."(٤)

وجاء لفظ الحلف وصفا لفعل المنافقين قال تعالى:﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَـٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴾ [النساء:٦٢]﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴾ [التوبة:٤٢]﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ [التوبة:١٠٧]﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ﴾ [المجادلة:١٨] وجاء وصفا للوليد بن المغيرة في قوله تعالى:﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [القلم:١٠]

وجاء الحلف بمعنى الإثم والمعصية إذا كان يمينا لم يتم الوفاء به في قوله تعالى:﴿ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ﴾ [المائدة:٨٩]

١٤) حَنِث

" الحِنْثُ الخُلف في اليمين حنث في يمينه حَنثا وحِنثا لم يبر فيها وهو من الحِنث الإثم. وحنث في يمينه أي أثم وقال خالد بن جنبة الحنث أن يقول الإنسان غير الحق، والحنث الذنب العظيم والإثم وفي التنزيل العزيز﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة:٤٦] وقيل هو الشرك وفي الحديث (أن رسول الله ﷺ

---

(١) تفسير القرطبي ج١٦ صـــ ٣٠٧ وانظر الكشاف / الزمخشري ج٤ صـــ ٣٥٥

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الأيمان باب ندب من حلف يمينا فرأى غيرها خيرا منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه ج٣ صـــ ١٢٧٢ حديث رقم ١٦٥٠

(٣) لسان العرب / ابن منظور ج٩ صـــ ٥٣ باختصار وانظر العين / الفراهيدي ج٣ صـــ ٢٣١

(٤) المفردات / الأصبهاني صـــ ١٢٩

كان قبل أن يوحى إليه يأتي حراء وهو جبل بمكة فيه غار وكان يتحنث فيه الليالي)[1] أي يتعبد قال ابن سيدة رحمه الله: وهذا عندي على السلب كأنه ينفي بذلك الحنث الذي هو الإثم عن نفسه كقوله تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء:٧٩] أي انف الهجود عن عينك. ونظيره تأثم وتحوب أي نفى الإثم والحوب."[2]

وورد اللفظ في وصف المشركين في قوله تعالى:﴿وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلۡحِنثِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾[الواقعة:٤٦] قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله:" أي يديمون ويعزمون على الذنب الكبير كالشرك وإنكار البعث، وقيل المراد بالحنث حنثهم في اليمين الفاجرة."[3]

وورد اللفظ بمعنى الذنب الذي هو عدم الوفاء باليمين عن الحلف في قوله تعالى لسيدنا أيوب عليه السلام:﴿ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثًا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡ ﴾ [ص:٤٤]

١٥) خَبُث

" خَبُث الشيء صار فاسدا رديئا مكروها، وفلان صار ذا خبث فهو خبيث وتخابث تظاهر بالخبث، والأخبثان البول و الغائط، والخَبَث ما ينفيه الكير من الحديد و نحوه عند إحمائه و طرقه. والنجس في الحديث (إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا)[4] والمخبثة المفسدة وطعام مخبثة تخبث عنه النفس أو هو من غير حلة."[5]

قال الراغب رحمه الله:" خبث المخبث والخبيث ما يكره رداءة وخساسة محسوسا كان أو معقولا، وأصله الرديء الدخلة الجاري مجرى خبث الحديد، وذلك يتناول الباطل في الاعتقاد والكذب في المقال والقبيح في الفعال قال عز وجل:﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف:١٥٧] أي ما لا يوافق النفس من المحظورات وقوله تعالى:﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعۡمَلُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأنبياء:٧٤] فكناية عن إتيان

---

(١) انظر صحيح مسلم كتاب الإيمان باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ج١ صـــ ١٣٩ حديث رقم ١٦٠

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج٢ صـــ ١٣٨ ، ١٣٩ باختصار كبير وانظر التعاريف / المناوي صـــ ٢٩٨ وغريب القرآن / السجستاني صـــ ٥٣٧ وتفسير ابن منظور للتحنث بالعبادة فيه نظر من كون العبادة قيد لا تكون إلا وفق منهج، ولم يكن الرسول ﷺ قد أوحي إليه بعد، وبذا يحسن تأويل ابن سيدة.

(٣) أضواء البيان / الشنقيطي ج٧ صـــ ٤٥٨ وانظر التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج٢٩ صـــ ١٤٩ وتفسير ابن كثير ج٤ صـــ ٢٩٦

(٤) أخرجه الحاكم في مستدركه / كتاب الطهارة ج١ صـــ ٢٢٦ حديث رقم ٤٦١ وقال عنه صحيح وأخرجه الإمام ابن ماجة في سننه كتاب الطهارة وسننها باب مقدار الماء الذي لا ينجس ج١ صـــ ١٧٢ حديث رقم ٥١٧ لكنه قال إذا بلغ الماء قلتين لم ينجسه شيء وقال الألباني حديث صحيح

(٥) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وغيره ج١ صـــ ٢١٤ وانظر مختار الصحاح / الرازي صـــ ٧١

الرجال وقال تعالى:﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ [آل عمران:١٧٩] أي الأعمال الخبيثة من الأعمال الصالحة والنفوس الخبيثة من النفوس الزكية وقال تعالى:﴿ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ﴾ [النساء:٢] أي الحرام بالحلال وقال تعالى:﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ﴾ [النور:٢٦] أي الأفعال الردية والاختيارات المبهرجة لأمثالها وقال تعالى:﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾ [المائدة:١٠٠] أي الكافر والمؤمن والأعمال الفاسدة والأعمال الصالحة وقوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ [إبراهيم:٢٦] فإشارة إلى كل كلمة قبيحة من كفر وكذب ونميمة وغير ذلك."[١]

وواضح من كلام الراغب رحمه الله ما أردت إيراده من أن الخبث يحمل معنى الكفر والمعصية.

١٦) خَضَع

" خضع الخضوع التواضع والتطامن الذل، ورجل أخضع وامرأة خضعاء وهما الراضيان بالذل، وأخضعتني إليك الحاجة، الخُضْع اللواتي قد خضعن بالقول وملن. والرجل يخاضع المرأة وهي تخاضعه إذا خضع لها بكلامه وخضعت له ويطمع فيها ومن هذا قوله عزوجل:﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾ [الأحزاب:٣٢] والخضوع الانقياد والمطاوعة والخضع تطامن في العنق ودنو من الرأس إلى الأرض وفي التنزيل﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾ [الشعراء:٤] قال أبو عمرو خاضعين ليست من صفة الأعناق إنما هي من صفة الكناية عن القوم فكأنه في التمثيل فظلت أعناق القوم لها خاضعين. وقال الفراء رحمه الله: الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون فجعل الفعل أولاً للأعناق ثم جعل خاضعين للرجال."[٢] وقال المناوي رحمه الله " الخضوع الاستكانة وهو قريب من الخشوع إلا أن الخشوع أكثر ما يستعمل في الصوت والخضوع في غيره."[٣]

وقد ورد اللفظ مرتين في القرآن تهديدا للكافرين المكذبين بآيات الله المستهزئين بها قال تعالى:﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾ [الشعراء:٤]

وجاء ذنبا منهيا عنه في حق نساء النبي ﷺ قال تعالى:﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾ [الأحزاب:٣٢]

١٧) خَطَأَ

" الخطأ ضد الصواب وقد يمد وقرئ بهما قوله تعالى: ﴿ إِلَّا خَطَـًٔا ﴾ [النساء:٩٢] وأخطأ وتخطأ بمعنى ولا تقل أخطيت وبعضهم يقوله. والخَطْء الذنب وهو مصدر خَطِئ بالكسر والاسم الخطيئة

---

(١) المفردات / الأصبهاني صـ ١٤١ وانظر الكليات / الكفومي صـ ٤٢٩

(٢) لسان العرب ج٨ صـ ٧٢ ، ٧٣ بتصرف واختصار

(٣) التعاريف / المناوي صـ ٣١٦

ويجوز تشديدها والجمع الخطايا، المُخطئ: من أراد الصواب فصار إلى غيره، والخاطئ من تعمد ما لا ينبغي."(١)

قال الكفومي رحمه الله:" الخطأ هو ثبوت الصورة المضادة للحق بحيث لا يزول بسرعة، وقيل هو العدول عن الجهة وذلك أضرب: ـ أحدها: أن تريد غير ما يحسن إرادته فتفعله وهذا هو الخطأ التام المأخوذ به الإنسان يقال فيه خَطَأَ يخطِأ خَطَأً وخَطَاء بالمد. والثاني: أن تريد ما يحسن فعله ولكن يقع عنه بخلاف ما تريده فيقال فيه أخطأ يخطئ خطأ فهو مخطئ وهذا قد أصاب في الإرادة وأخطأ في الفعل وهذا هو المعنى لقوله ﷺ (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان) (٢) وبقوله ﷺ (من اجتهد وأخطأ فله أجر) (٣) والثالث: أن تريد ما لا يحسن فعله ويتفق منه خلافه فهذا مخطئ في الإرادة مصيب في الفعل وهو مذموم بقصده غير محمود على فعله."(٤)

والخطأ الغير مقصود غير مؤاخذ عليه كقوله تعالى:﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ﴾ [البقرة:٢٨٦] وأما الخطأ المقصود في القرآن فجاء بمعنى الكفر كقوله تعالى:﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ [نوح:٢٥]﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَـٰطِـُٔونَ﴾ [الحاقة:٣٧]

وجاء بمعنى الذنب والمعصية كقوله تعالى:﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ [يوسف:٢٩]﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا﴾ [النساء:١١٢]

١٨) دبَر

"الدُبر مخففا ومثقلا الظهر قال الله تعالى:﴿ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر:٤٥] وهو ضد القبل والدَبَرة بفتحتين الهزيمة في القتال وهي اسم من الإدبار، يقال فلان لا يصلي الصلاة إلا دَبَريا بفتحتين أي في آخر وقتها. وقطع الله دابرهم أي آخر من بقي منهم و الدَبار بالفتح الهلاك و دَبَر الرجل ولى وشيخ. والإدبار ضد الإقبال ودَابَره عاداه، والتدبير في الأمر

---

(١) مختار الصحاح صـ ٧٥ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج١ صـ ٦٦

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين كتاب الطلاق ج٢ صـ ٢١٦ حديث رقم ٢٨٠١ ولكنه قال بدل رفع عن أمتي تجاوز وقال عنه الحاكم حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه

(٣) متفق عليه أخرجه الإمغم البخاري في صحيحه كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ج٦ صـ ٢٦٧٦ حديث رقم ٦٩١٩ والإمام مسلم في صحيحه كتاب الأقضيه باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ج٣ صـ ١٣٤٢ حديث رقم ١٧١٦ واللفظ له

(٤) الكليات / الكفومي صـ ٤٢٤ وانظر المفردات / الأصبهاني صـ ١٥١

النظر إلى ما تئول إليه عاقبته و التدبر التفكر فيه وتدابروا تقاطعوا وفي الحديث (لا تدابروا) (١)."(٢)

وقال الكفومي رحمه الله:" الدابر التابع وآخر كل شيء، والدبر محركة رأي يسنح أخيرا عند فوت الحاجة، والصلاة في آخر وقتها وتسكن الباء ولا تقل بضمتين فإنه من لحن المحدثين."(٣)

وقد ورد الإدبار في القرآن الكريم بكل تلك المعاني وجاء وصفا للكفار في قوله تعالى:﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:٤٥] ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾ [النمل:٨٠]﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر:٤٥]

وجاء وصفا كفعل مذموم وذنب منهي عنه في قوله تعالى:﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة:٢٥] وقوله:﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال:١٦] قال الشوكاني رحمه الله:" وقد اشتملت هذه الآية على هذا الوعيد الشديد لمن يفر عن الزحف وفي ذلك دلالة على أنه من الكبائر الموبقة."(٤)

١٩) دَلا أو دَلَو

" الدلو التي يستقى بها. ودلا الدلو نزعها وأدلاها أرسلها في البئر ودلاه بغرور أوقعه فيما أراد من تغريره وهو من إدلاء الدلو. ودلوت بفلان إليك أي استشفعت به إليك. وفي حديث عمر عن العباس رضى الله عنه:(ودلونا به إليك مستشفعين)(٥) وأدلى بحجته أي احتج بها، وهو يدلي برحمه أي يمت

---

(١) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر ج٥ صــ ٢٢٥٣ حديث رقم ٥٧١٧ والإمام مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر ج ٤ صــ ١٩٨٤ حديث رقم ٢٥٥٩

(٢) مختار الصحاح / الرازي صــ ٨٣ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج٤ صــ ٢٧٠

(٣) الكليات / الكفومي صــ ٤٥١

(٤) فتح القدير / الشوكاني ج٢ صــ ٢٩٤

(٥) أصل الحديث: الحديث المشهور في التوسل عن أنس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال:(اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال فيسقون) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب ذكر العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أما الزيادة التي ذكرها الرازي فقد وردت في غريب الحديث للخطابي وابن قتيبة انظر غريب الحديث / الخطابي ج٢ صــ ٢٤٣ ، غريب الحديث / ابن قتيبة ج٢ صــ ١٨٢ وقال ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ولكن قد نقله جماعة من الصحابة فيهم عمر وعمران بن حصين وابن عمر وأبو موسى الأشعري انظر ج١ صــ ٢٥٤

بها، وأدلى بماله إلى الحاكم دفعه إليه ومنه قوله تعالى: ﴿وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ﴾ [البقرة:١٨٨] يعني الرشوة."(١)

قال الكفومي رحمه الله:" الإدلاء كل إلقاء قول أو فعل فهو إدلاء يقال للمحتج: أدلى بحجته كأنه يرسلها ليصل إلى مراده."(٢)

وقد ورد اللفظ مرة في وصف إبليس حين أغرى أدم عليه السلام فجرأه على مخالفة أمر الله سبحانه قال تعالى:﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ﴾ [الأعراف:٢٢]

وورد كذنب منهي عنه في بذل المال للقاضي بغية استمالته عن الحق قال تعالى:﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ﴾ [البقرة:١٨٨] قال المفسرون هي الرشوة.(٣)

٢٠) ذَنَب

" الذنب الإثم والجرم والمعصية والجمع الذنوب، وقد أذنب الرجل صار ذا ذنب. وقد قالوا إن هذا من الأفعال التي لم يسمع لها مصدر على فعلها."(٤)

قال المناوي رحمه الله:" الإثم أصله الأخذ بذنب الشيء ويستعمل في كل فعل تستوخم عاقبته ولذلك سمي تبعة اعتبارا بما يحصل من عاقبته والذنب عند أهل الله يحجب عن الله تعالى:"(٥) وقال الراغب:" والذنب في الأصل الأخذ بذَنَب الشيء يقال ذنبته أصبت ذنبه ويستعمل في كل فعل يستوخم عقباه اعتبارا بذَنَب الشيء ولهذا يسمى الذنب تبعة اعتبارا لما يحصل من عاقبته."(٦)

وقد جاء اللفظ في القرآن وصفا للكفر كقوله تعالى:﴿ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ﴾ [العنكبوت:٤٠] ﴿فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:١١]﴿ فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا﴾ [الشمس:١٤]

---

(١) مختار الصحاح / الرازي صـ ٨٨ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج١٤ صـ ٢٦٦ والتعاريف / المناوي صـ ٤٥

(٢) الكليات / الكفومي صـ ٦

(٣) انظر تفسير القرطبي ج٢ صـ ٣٤٠ والكشاف / الزمخشري ج١ صـ ٢٦٠ والتفسير الكبير/ فخر الدين الرازي ج٥ صـ ١٠١ وروح المعاني / الألوسي ج٢ صـ ٧٠

(٤) تاج العروس / الزبيدي ج٢ صـ ٤٣٦ وانظر تهذيب اللغة / الأزهري ج١٤ صـ ٣١٥

(٥) التعاريف / المناوي صـ ٣٥١ وانظر التعريفات / الجرجاني صـ ١٤٣

(٦) المفردات / الأصبهاني صـ ١٨١

وجاء وصفا للمعصية كقوله تعالى:﴿ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:١٣٥]﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٥٣]﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحزاب:٧١]

٢١) رَيَب

" الريب الظن والشك والتهمة والحاجة وصرف الدهر وريب المنون حوادث الدهر."(١)

قال المناوي رحمه الله:" الريب حوادث الدهر لأنه يرتاب فيها أي يشك في الخلاص منها."(٢)
وقال الكفومي رحمه الله:" والريب قد يجيء بمعنى القلق والاضطراب والحديث (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة)(٣) ومنه ريب الدهر لنوائبه فيوصف به الشك كما في قوله تعالى:﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [هود:١١٠]"(٤)

والشك في أمور الدين أمر مذموم لذلك نفاه الله عن كتابه فقال تعالى:﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢]
والريب في القرآن جاء وصفا للكفار كقوله تعالى:﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [التوبة:٤٥]﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ﴾ [ق:٢٥]
وجاء بمعنى الذنب والمعصية كقوله تعالى:﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ ﴾ [البقرة:٢٨٢]

٢٢) زَلَل (زلَّ)

" زلَّ السهم عن الدرع والإنسان عن الصخرة زلق، وزللت يا فلان إذا زل في طين أو منطق أو خطيئة وقولهم أصابت القوم زلزلة التخويف والتحذير من قوله تعالى: ﴿وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة:٢١٤] أي خوفوا وحذروا الزلازل الشدائد والأهوال، وقال بعضهم الزلزلة مأخوذة من الزلل في الرأي فإذا قيل زلزل القوم فمعناه صرفوا عن الاستقامة وأوقع في قلوبهم الخوف والحذر."(٥)
قال الراغب رحمه الله:" الزلة في الأصل استرسال الرجل من غير قصد، والزلة المكان الزلق وقيل للذنب من غير قصد زلة تشبيها بزلة الرجل قال تعالى:﴿ فَإِن زَلَلْتُم ﴾ [البقرة:٢٠٩]﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [البقرة:٣٦] واستزله إذا تحرى زلته وقوله:﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [آل عمران:١٥٥] أي استجرهم الشيطان حتى زلوا؛ فإن الخطيئة الصغيرة إذا ترخص الإنسان فيها تصير مسهلة لسبيل

---

(١) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صـــ ٣٤٨ وانظر مختار الصحاح / الرازي صـــ ١١١
(٢) التعاريف / المناوي صـــ ٣٨٥
(٣) أخرجه الإمام الترمذي في سننه كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ج٤ صـــ ٦٦٨ حديث رقم ٢٥١٨ وقال عنه حسن صحيح وصححه الإمام الألباني
(٤) الكليات / الكفومي صـــ ٥٢٨
(٥) لسان العـــرب / ابن منظور صـــ ٣٠٦ باختصار كبير

الشيطان على نفسه. والتزلزل الاضطراب وتكرير حروف لفظه تنبيه على تكرير معنى الزلل فيه قال: ﴿وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب:١١] أي زعزعوا من الرعب."(١)

وقد جاء الزلل في القرآن وصفا لفعل للشيطان قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة:٣٦] ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ﴾ [آل عمران:١٥٥] وبمعنى الكفر قال تعالى: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [البقرة:٢٠٩]

وبمعنى الذنب قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ [النحل:٩٤]

٢٣) زَوَر

" الزور الباطل و شهادة الباطل والكذب ومجلس اللهو أو الغناء."(٢) قال المناوي:" الزور الانحراف عن الدليل كالشرك المؤدي إلى لزوم عجز الإله وتحريم ما لم ينزل الله به سلطانا."(٣)

وقال الكفومي رحمه الله:" الزور كل ما في القرآن من الزور فهو الكذب مع الشرك إلا ﴿مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا﴾ [المجادلة:٢] فإنه كذب بلا شرك."(٤)

ومن أمثلة الزور بمعنى الكذب مع الشرك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان:٤]

ومن أمثلة الزور بمعنى الكذب بلا شرك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [المجادلة:٢] ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾ [الفرقان:٧٢] ونقل الشوكاني عن الواحدي قوله:" أكثر المفسرين على أن الزور هاهنا بمعنى الشرك."(٥)

ومما يحتمل الوجهين قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج:٣٠]

٢٤) زَيَغ

" الزيغ الميل عن الاستقامة والانحراف عن جهة الصواب والتزايغ التمايل."(٦)

وقال الكفومي رحمه الله:" الزيغ الميل عن الصواب في الفهم وكل الزيغ قي القرآن بمعنى الانحراف والميل عن الإيمان إلا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأحزاب:١٠] فإن معناها شخصت."(٧)

---

(١) المفردات / الأصبهاني صـــ ٢١٤ وانظر التعاريف / المناوي صـــ ٣٨٨

(٢) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صـــ ٤٠٦

(٣) التعاريف / المناوي صـــ ٣٩٠

(٤) الكليات / الكفومي صـــ ٤٨٥

(٥) فتح القدير / الشوكاني ج٤ صـــ ٨٩

(٦) التعاريف / المناوي صـــ ٣٩١ وانظر تهذيب اللغة / الأزهري ج٨ صـــ ١٥١

(٧) الكليات / الكفومي صـــ ٤٩٠ ، ٤٨٦

وقوله تعالى:﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:١١٧] قال ابن كثير رحمه الله:" أي عن الحق ويشك في دين الرسول ﷺ ويرتاب للذي نالهم من المشقة والشدة في سفرهم وغزوهم (ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ) يقول ثم رزقهم الإنابة إلى ربهم والرجوع إلى الثبات على دينه (إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ)"(١)

ومن أمثلة الزيغ بمعنى الكفر والميل عن دين الله قوله تعالى:﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران:٧]﴿وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سبأ:١٢] ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [الصف:٥]

والخلاصة أن الزيغ إذا تعلق بالقلب انصرف معناه إلى الكفر، وإذا تعلق بالنظر كان معناه الخوف والجزع، وقد يكون طبيعيا من هول موقف أو مفاجأة وهذا مما لا إثم فيه. وقد يكون ناتجا عن عدم ثقة بالله كاملة وهذا مما يحمل إثما.

٢٥) سَحَت

" سحت الشيء استأصله. يقال سحت رأسه استأصله حلقا، وسحت البركة أذهبها والشحم عن اللحم قشره، ويقال سحت وجه الأرض، وفي تجارته اكتسب السُحت."(٢)

وقال الكفومي رحمه الله:" السُحت كل حرام قبيح الذكر يلزم منه العار كثمن الكلب والخنزير فهو سحت. وقيل السحت مبالغة في صفة الحرام ويقال هو حرام لا سحت، وقيل السحت الحرام الظاهر."(٣)

وقد جاء السحت عقابا لمن كفر بمعنى الاستئصال في قوله تعالى:﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ﴾ [طه:٦١] وجاء يحتمل الوجهين ــ الكفر والذنب ــ في قوله تعالى:﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ﴾ [المائدة:٤٢] قال الطبري رحمه الله عن ابن مسعود رضي الله عنه:" من شفع شفاعة ليرد بها حقا أو يرفع بها ظلما فأهدي له فقبل فهو سحت فقيل له يا أبا عبد الرحمن ما كنا نرى ذلك إلا الأخذ على الحكم قال الأخذ على الحكم كفر قال الله تعالى:﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]"(٤) قال الزمخشري:" وكانوا يأخذون الرشا على الأحكام وتحليل الحرام. وعن الحسن كان الحاكم في بني إسرائيل إذا أتاه

---

(١) تفسير ابن كثير ج٢ صـــ ٣٩٧
(٢) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صـــ ٤١٨ وانظر مختار الصحاح / الرازي صـــ ١٢١
(٣) الكليات / الكفومي صـــ ٤٩٤
(٤) تفسير الطبري ج٦ صـــ ٢٤٠

احدهم برشوة جعلها في كمه فأراها إياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر إلى خصمه فيأكل الرشوة."(١)

٢٦) سَحَر

وقد جاء السحر في اللغة بعدة معاني أهمها كما قال ابن منظور:" الأخذة، وكل ما لطف مأخذه ودق. وهو عمل تُقُرِّبَ فيه إلى الشيطان وبمعونة منه. وأَصل السحر صَرْفُ الشيء عن حقيقته إلى غيره فكأن الساحر لما أَرَى الباطلَ في صورة الحق وخَيَّلَ الشيء على غير حقيقته، قد سحر الشيء عن وجهه أَي صرفه. والسحر: الخديعة و الفساد."(٢)

والسحر نوعان منه ما هو خيال يترآى للعين وليس له حقيقة ملموسة كالذي جاء في قوله تعالى:﴿ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف:١١٦] وقوله تعالى:﴿قَالَ بَلْ أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه:٦٦] ومنه ما هو حقيقة كالذي يؤثر في الصحيح فيجعله سقيما، ويدخل البغض والكره إلى قلوب العباد، والتعلق أو التفريق بين اثنين؛ وذلك لأنه يعتمد على تعاويذ وآثارا ملموسة للمراد سحره. ومثل ذلك المذكور في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة:١٠٢]

وقد أفضت البحث فيه وخلاف العلماء المشهور في حكمه.(٣)

٢٧) سَخِر

" سخر منه وبه هزئ به والاسم السُخرية والسِخري والسُخري وقرئ بهما قوله تعالى:﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزُخرُف:٣٢] وقوله تعالى:﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴾ [الصافات:١٤] قال ابن الرماني رحمه الله معناه يدعو بعضهم بعضا إلى أن يسخر أي يسخرون ويستهزئون. والسخرة ما تسخرت من دابة أو خادم بلا أجر ولا ثمن."(٤)

وقال السجستاني رحمه الله:" سِخريا بكسر السين من الهُزء وسُخريا بالضم من السخرة وهو أن يضطهد ويكلف عملا بلا أجر."(٥)

---

(١) الكشاف / الزمخشري ج١ صـــ ٦٦٧

(٢) انظر لسان العرب / ابن منظور ج٤ صـــ ٤٥٢ باختصار كبير وتصرف ومختار الصحاح / الرازي صـــ ١٢٢ وفتح الباري / ابن حجر ج٩ صـــ ٢٠٢ ، ج١٠ صـــ ٢٢٢

(٣) لمعرفة المزيد انظر صـــ ٢٢٨

(٤) لسان العرب / ابن منظور ج٤ صـــ ٣٥٢ ، ٣٥٣

(٥) غريب القرآن / السجستاني صـــ ٢٨٢

وقال الكفومي رحمه الله:" كل ما في القرآن من سخر فهو الاستهزاء إلا﴿سُخۡرِيّٗا﴾ [الزُخرُف:٣٢] في الزخرف فان المراد التسخير والاستخدام."(١)

وحمل اللفظ في القرآن معنيي الكفر والذنب فمن الكفر قوله تعالى:﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [الأنعام:١٠] [الأنبياء:٤١]﴿بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ﴾ [الصافات:١٢] ﴿فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ﴾ [المؤمنون:١١٠]﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ﴾ [هود:٣٨]

وفي معنى الذنب جاء مرة واحدة في قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾ [الحُجُرات:١١]

٢٨) سَخِط

" السَخَط أو السُخْط ضد الرضا، وسخط الشيء سخطا كرهه، وسخط غضب فهو ساخط، وأسخطه أغضبه، وتسخط عطاءه أي استقله، وتسخطه لم يُرضه والسُخط الكراهية للشيء وعدم الرضا به، ومنه الحديث (إن الله يسخط لكم كذا) (٢) أي يكرهه لكم ويمنعكم منه ويعاقبكم عليه أو يرجع إلى إرادة العقوبة عليه."(٣)

وقال المناوي رحمه الله:" السخط الغضب الشديد المقتضي للعقوبة وهو من الله في الدنيا انقطاع عن قبول فيضه وتوفيقه، وفي الآخرة إنزال العذاب والعقوبة ومن الإنسان دعاء على غيره."(٤)

وقال الكفومي رحمه الله:" السخط هو لا يكون إلا من الكبراء والعظماء دون الأكفاء والنظراء والغضب يستعمل في النوعين."(٥)

وقد جاء السخط في القرآن على ضربين: ـ الأول: وصفا للمنافقين عند تقسيم الصدقات قال تعالى:﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ﴾ [التوبة:٥٨]

والضرب الثاني: من الله عز وجل وجاء في ثلاثة مواضع: ـ الأول: في وصف أهل الكتاب قال تعالى:﴿لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ [المائدة:٨٠] والثاني: في

---

(١) الكليات / الكفومي صــ ٤٩٤

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الأقضية باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة ج٣ صــ ١٣٤٠ حديث رقم ١٧١٥

(٣) لسان العرب / ابن منظور ج٧ صــ ٣١٢ ، ٣١٣

(٤) التعاريف / المناوي صــ ٤٠٠ ، ٦٢١ بتصرف يسير

(٥) الكليات / الكفومي صــ ٥١٥

وصف المنافقين قال تعالى:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ [محمد:٢٨] والثالث: قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران:١٦٢] قال الإمام الطبري رحمه الله:" فمعنى قوله أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله إذاً أفمن ترك الغلول وما نهاه الله عنه من معاصيه وعمل بطاعة الله في تركه ذلك وفي غيره مما أمره به ونهاه من فرائضه متبعا في كل ذلك رضا الله ومجتنبا سخطه كمن باء بسخط من الله؛ يعني كمن انصرف متحملا سخط الله وغضبه فاستحق بذلك سكنى جهنم يقول ليسا سواء."[١]

فانظر إلى قول الإمام رحمه الله حين فسر السخط من الله لم يقيده بالغلول فعمم إذ أن الغلول وحده مستحق لسخط الله، والغلول غير مخرج من الملة فهو ذنب كسائر الذنوب قد يعفو الله عنه؛ فالسخط هنا من الله يكون على الذنب لا على الكفر كالآيتين السابقتين والله أعلم.

٢٩) سَرَفَ

" الإسراف مجاوزة القصد، وأسرف في ماله عجل من غير قصد، والسرف ضد القصد وأكله سرفا أي عجلة، أسرف في الكلام وفي القتل أفرط، والسرف تجاوز ما حد لك وهو الخطأ والإغفال والجهل، ورجل سَرْف الفؤاد مخطئ الفؤاد غافله وقد تكرر ذكر الإسراف في الحديث والغالب على ذكره الإكثار من الذنوب والخطايا واحتقاب الأوزار والآثام."[٢]

قال الكفومي رحمه الله ناقلا أن من أقوال العرب " لا خير في السرف ولا سرف في الخير."[٣] وقال الراغب رحمه الله:" السرف تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر، ويقال تارة اعتبارا بالقدر وتارة بالكيفية، ولهذا قال سفيان ما أنفقت في غير طاعة الله فهو سرف وإن كان قليلا قال الله تعالى:﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنعام:١٤١] أي المتجاوزين الحد في أمورهم. وسمي قوم لوط مسرفين من حيث إنهم تعدوا في وضع البذر في الحرث المخصوص له المعني بقوله:﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة:٢٢٣] ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الزُّمَر:٥٣] فتناول الإسراف في المال وفي غيره."[٤]

وجاء الإسراف في القرآن على ضربين: ـ الأول: وصفا للكافر الذي لم تطله محبة الله قال تعالى:﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنعام:١٤١] [الأعراف:٣١] وجاء وصفا لفرعون قال تعالى:

---

(١) تفسير الطبري ج٤ صـــ ١٦١ ، ١٦٢

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج٩ صـــ ١٤٨ ، ١٤٩ باختصار كبير وتصرف يسير

(٣) الكليات / الكفومي صـــ ٦٣٣

(٤) المفردات / الأصبهاني صـــ ٢٣٠ ، ٢٣١ باختصار يسير وانظر التعاريف / المناوي صـــ ٤٠٣

﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [يونس:٨٣] وقضى سبحانه بالهلاك على المسرفين فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ [طه:١٢٧] ﴿فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنبياء:٩] ﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [غافر:٤٣] وكذا قضى سبحانه بالضلال على المسرفين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر:٢٨]

والضرب الثاني: جاء فيه الإسراف كذنب منهي عنه كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا﴾ [آل عمران:١٤٧] ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزُمَر:٥٣] وقوله في القِصاص: ﴿فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء:٣٣] " فسرفه أن يقتل غير قاتله إما بالعدول عنه إلى من هو أشرف منه أو بتجاوز قتل القاتل إلى غيره حسبما كانت الجاهلية تفعله."(١)

٣٠) سَفِه

" السفه والسِفاه والسفاهة خفة الحلم، وقيل نقيض الحلم، وأصله الخفة والحركة. وقيل الجهل وهو قريب بعضه من بعض."(٢)

وقال الجرجاني رحمه الله:"السَفَه خفة تعرض للإنسان من الفرح والغضب فتحمله على العمل بخلاف طور العقل وموجب الشرع في الأشياء الدنيوية والأخروية، وفي المصباح نقص في العقل."(٣) وقال الكفومي:" السفه ضد الحلم، والسفيه من ينفق ماله فيما لا ينبغي من وجوه التبذير ولا يمكن إصلاحه بالتمييز والتصرف فيه بالتدبير، وحاصل تفسير السفه في صفة المنافقين على مجموع اللغات أنه ظاهر الجهل عديم العقل خفيف اللب ضعيف الرأي رديء الفهم مستخف القدر سريع الذنب حقير النفس مخدوع الشيطان أسير الطغيان دائم العصيان ملازم الكفران لا يبالي بما كان."(٤)

ووصف السفه في القرآن في أمور الدين جاء بمعنى الكفر كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٣] ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة:١٣٠] ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ﴾ [البقرة:١٤٢] ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾ [الجن:٤]

---

(١) المفردات / الأصبهاني صـــ ٢٣١ وانظر فتح القدير / الشوكاني ج٣ صـــ ٢٢٣ وتفسير الطبري ج٢ صـــ ٢٠٦

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج١٣ صـــ ٤٩٧

(٣) التعاريف / المناوي صـــ ٤٠٧

(٤) الكليات / الكفومي صـــ ٥١٠

وجاء بمعنى الذنب والمعصية كقوله تعالى:﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء:٥] قال ابن كثير رحمه الله:" ومن ها هنا يؤخذ الحجر على السفهاء وهم أقسام فتارة يكون الحجر للصغر فإن الصغير مسلوب العبارة وتارة يكون الحجر للجنون وتارة لسوء التصرف لنقص العقل أو الدين."[١]

٣١) سَهَا أو سَهَو أو سَهَى

" قال الليث السَّهْو الغَفْلة عن الشيء وذَهابُ القلب عنه، وسها الرجل في صلاته إذا غفل عن شيء منها."[٢] وقال الزبيدي رحمه الله:" وقال ابن الأثير سَهَا في الشيء تركه عن غير علم وسَهَا عنه تركه مع العلم."[٣]

قال الراغب رحمه الله:" السهو خطأ عن غفلة وذلك ضربان: ــ أحدهما: أن لا يكون من الإنسان جوالبه ومولداته كمجنون سب إنسانا. والثاني: أن يكون منه مولداته كمن شرب خمرا ثم ظهر منه منكر لا عن قصد إلى فعله والأول معفو عنه والثاني مأخوذ به، وعلى نحو الثاني ذم الله تعالى فقال:﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ [الذاريات:١١] ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون:٥]"[٤]

وورد اللفظ مرتين في القرآن مرة في وصف الكفار قال تعالى:﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ [الذاريات:١١]

ومرة في وصف المقصرين في الصلاة وهو ذنب لا يخرج من الملة قال تعالى:﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون:٥] قال الطبري رحمه الله:" روى الضحاك عن ابن عباس قال هو المصلي الذي إن صلى لم يرج لها ثوابا وإن تركها لم يخش عليها عقابا. وعنه أيضا الذين يؤخرونها عن أوقاتها، وكذا روى المغيرة عن إبراهيم قال ساهون بإضاعة الوقت، وعن أبي العالية لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها ولا سجودها."[٥]

٣٢) شَحَح (شحَّ)

" شحَّ الماء قل وعسر، وفلان بالشيء بخل، وعليه حرص، فهو شحيح .وشاح فلانا خاصمه وماحكه. ويقول العلماء لا مشاحة في الاصطلاح لا مجادلة فيما تعارفوا عليه والشُح البخل وفي

(١) تفسير ابن كثير ج١ صــ ٤٥٣

(٢) تهذيب اللغة / الأزهري ج٦ صــ ١٩٤

(٣) تاج العروس/ الزبيدي ج٣٨ صــ ٣٤٠ وانظر المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صــ ٤٥٩

(٤) المفردات / الأصبهاني صــ ٣٤٠

(٥) تفسير القرطبي ج٢٠ صــ ٢١١

التنزيل العزيز ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ [النساء:١٢٨] والشحيح البخيل جمعها شِحاح و أشِحة وأشِحاء و في التنزيل العزيز ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [الأحزاب:١٩] وإبل شَحائح قليلة الدر."(١)

وقال الجرجاني رحمه الله:" البخل هو المنع من مال نفسه والشح هو بخل الرجل من مال غيره. قال عليه الصلاة والسلام:(اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم) (٢)"(٣) وقال المناوي رحمه الله :" الشح بخل مع حرص وذلك فيما كان عادة."(٤)

وقد ورد اللفظ وصفا للمنافقين في منعهم المال عن فقراء المسلمين قال تعالى:﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [الأحزاب:١٩] وورد وصفا لطبيعة الإنسان فقال تعالى ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ [النساء:١٢٨]

وقد حث القرآن على الابتعاد عنه فقال سبحانه تعالى:﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩][التغابن:١٦]

٣٣) شَرَر (شرّ)

" الشر السوء والفعل للرجل الشرير، والمصدر الشرارة والفعل شرَّ يشِر وقوم أشرار ضد الأخيار، وهو شر منك ولا يقال أشر حذفوه لكثرة استعمالهم إياه. وشرَّ إنسانا يشره إذا عابه. قال الجوهري: ولا يقال أشر الناس إلا في لغة رديئة، ورجل شرير مثال فسيق أي كثير الشر وأشررت الرجل نسبته إلى الشر والمشارة المخاصمة."(٥)

وقال المناوي رحمه الله:" الشر عدم ملائمة الشيء للطبع وفي المصباح السوء والفساد."(٦)

والشر في كتاب الله جل وعلا جاء على ثلاثة أقسام: ــ الأول: دخول الشر في عموم خلق الله جل وعلا قال تعالى:﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد:١٦] فلم يأت أن الله خلق الشر أبداً وإنما دخل في العموم. والقسم الثاني: أن الشر إذا جاء في كتاب الله حذف فاعله كما قال مؤمن الجن﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن:١٠] ولما جاء الرشد والخير أضافه إلى الله والشر حذف فاعله لأنه من المخلوق. والقسم الثالث: أن يضاف إلى المخلوق كقوله تعالى :﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق:٢] وهذا هو الأدب الذي يجب أن يسلك مع الله سبحانه في صفاته،

(١) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صــ ٤٧٤

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم ج٤ صــ ١٩٩٦ حديث رقم ٢٥٧٨

(٣) التعريفات / الجرجاني صــ ٦٢

(٤) التعاريف / المناوي صــ ٤٢٥

(٥) لسان العرب / ابن منظور ج٤ صــ ٤٠٠ باختصار وانظر المفردات / الأصبهاني صــ ٢٥٧

(٦) التعاريف / المناوي صــ ٤٢٧ وانظر التعريفات / الجرجاني صــ ١٦٦

ولهذا يقول الرسول ﷺ:" والشر ليس إليك."[1] ينزه ربه أن يكون الشر مضافاً إليه لا وصفا ولا فعلا.

وقد جاء الشر وصفا لجزاء فعل الكفار كما قال سبحانه في حق اليهود حين اعترضوا على قوله سبحانه:﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾ [الحديد:١١] " فقال فنحاص أو حيي بن أخطب أو غيرهما إنما يستقرض الفقير من الغنى فالله فقير ونحن أغنياء فنزلت هذه الآية وكان ذلك القول منهم اعتراضا على القرآن أوجبه قلة فهمهم أو تحريفهم للمعاني فإن كانوا قالوه باعتقاد فهو كفر وإن قالوه بغير اعتقاد فهو استخفاف وعناد."[2] فبين سبحانه أن بخلهم وعدم إنفاقهم سينقلب شر عليهم يوم القيامة قال سبحانه:﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ ﴾ [آل عمران:١٨٠] وكذا جاء الشر وصفا لفعل الشيطان قال تعالى ﴿ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ﴾ [الناس:٤] وكذا وصف من كفر بأنه شر من الدواب التي لا عقل لها قال سبحانه:﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأنفال:٥٥] بل وصفهم سبحانه بأنهم شر مخلوقاته جميعا فقال:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البيِّنة:٦]

وجاء الشر وصفا لذنب غير مكفر كما هو حال أخوة يوسف حين وصفهم عليه السلام في قوله تبارك وتعالى تعالى ﴿ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗا﴾ [يوسف:٧٧] وقوله تعالى في الحسد:﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق:٥] وكذا في وصف هذا الفعل من مخلوقاته وذلك يتفاوت بين الكفر وعدمه بحسب الجرم الذي وقع عليه اسم الشر قال تعالى:﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ [الفلق:٢] وكذلك في فعل السحرة على ما فصلناه سابقا[3] قال سبحانه تعالي:﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ﴾ [الفلق ٣:٤]

٣٤) شَرَك

" جمع الشريك شركاء وشاركه صار شريكه وشركة في البيع والميراث يشركه مثل علمه يعلمه والاسم الشرك وجمعه أشراك كشبر وأشبار. والشرك أيضا الكفر وقد أشرك بالله فهو مشرك وقوله تعالى: ﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾[طه:٣٢] أي اجعله شريكي فيه. والشَرَك بفتحتين حبالة الصائد."[4]

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ج١ صـ ٥٣٥ جزء من حديث رقم ٧٧١

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل / الكلبي ج١ صـ ١٢٦ وانظر تفسير ابن كثير ج١ صـ ٤٣٤

(٣) انظر صـ ٢٢٨

(٤) مختار الصحاح / الرازي صـ ١٤٢

وقال المناوي رحمه الله:" الشرك إسناد الأمر المختص بواحد إلى من ليس معه أمره، وقال الراغب أكبر وهو إثبات الشريك لله وأصغر وهو مراعاة غير الله في بعض الأمور."(١) وقال الكفومي رحمه الله:" وأشرك بالله كفر فهو مشرك والشرك أنواع: ــ شرك الاستقلال: وهو إثبات إلهين مستقلين كشرك المجوس. وشرك التبعيض: وهو تركيب الإله من آلهة كشرك النصارى. وشرك التقريب: وهو عبادة غير الله ليقرب إلى الله زلفى كشرك متقدمي الجاهلية. وشرك التقليد: وهو عبادة غير الله تبعا للغير كشرك متأخري الجاهلية. وشرك الأسباب: وهو إسناد التأثير للأسباب العادية كشرك الفلاسفة والطبائعيين ومن تبعهم على ذلك. وشرك الأغراض: وهو العمل لغير الله. فحكم الأربعة الأولى الكفر بإجماع، وحكم السادس المعصية من غير كفر بإجماع، وحكم الخامس التفصيل؛ فمن قال في الأسباب العادية إنها تؤثر بطبعها فقد حكي الإجماع على كفره، ومن قال إنها تؤثر بقوة أودعها الله فيها فهو فاسق."(٢)

وكل ما ورد في القرآن من شرك فهو أكبر مخرج من الملة إلا الآيات التالية: قوله تعالى ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٢١] قال القرطبي رحمه الله " قوله تعالى: (وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ) أي في تحليل الميتة (إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ) فدلت الآية على أن من استحل شيئا مما حرم الله تعالى صار به مشركا؛ وقد حرم الله سبحانه الميتة نصا فإذا قبل تحليلها من غيره فقد أشرك. قال ابن العربي: إنما يكون المؤمن بطاعة المشرك مشركا إذا أطاعه في الاعتقاد فأما إذا أطاعه في الفعل وعقده سليم مستمر على التوحيد والتصديق فهو عاص فأفهموه."(٣) وقوله تعالى:﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١] وقد وصفهم النبي ﷺ في حديث عدي بالشرك لطاعتهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال وهذا راجع للاعتقاد في الكفر من عدمه. والآية الثالثة قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴾ [المؤمنون:٥٩] و حيث أنها جاءت في صفات المؤمنين فقد احتملت الوجهين من الشرك الأكبر والأصغر قال الأمام السعدي رحمه الله:" أي لا شركا جليا كاتخاذ غير الله معبودا يدعونه ويرجونه، ولا شركا خفيا كالرياء ونحوه، بل هم مخلصون لله في أقوالهم وأعمالهم وسائر أحوالهم."(٤)

---

(١) التعاريف / المناوي صـــ ٤٢٨

(٢) الكليات / الكفومي صـــ ٥٣٣

(٣) تفسير القرطبي ج٧ صـــ ٧٧ ، ٧٨ وانظر أحكام القرآن / ابن العربي ج٢ صـــ ٢٧٥ وانظر تفسير الطبري ج٨ صـــ ٢١

(٤) تفسير السعدي ج١ صـــ ٥٥٤ وانظر تفسير الطبري ج١٨ صـــ ٣٢ وتفسير البيضاوي ج٤ صـــ ١٥٩

قال الراغب رحمه الله مضيفا آيات أخرى:" وشرك الإنسان في الدين ضربان: ــ أحدهما: الشرك العظيم وهو إثبات شريك لله تعالى يقال أشرك فلان بالله وذلك أعظم كفر قال:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء:٤٨] ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦]﴿مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [المائدة:٧٢] والثاني: الشرك الصغير وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور وهو الرياء والنفاق المشار إليه بقوله:﴿شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الأعراف:١٩٠] ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦] وقال بعضهم معنى قوله (إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ) أي واقعون في شرك الدنيا أي حبالتها قال ومن هذا ما قال عليه السلام (الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل على الصفا) [(١)] قال ولفظ الشرك من الألفاظ المشتركة وقوله:﴿وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾[الكهف:١١٠] محمول على الشركين."[(٢)]

٣٥) شَطَط

" شطَّ شُطوطا و شَطَطا بَعُد، يقال شطت الدار، وفي الأمر والطلب أمعن وجاوز الحد، ويقال شط في المساومة، وشط عليه في حكمه جار."[(٣)]

وقد ورد الشطط في القرآن بمعنى الكفر في قوله تعالى:﴿ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا﴾ [الكهف:١٤] ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطٗا﴾ [الجن:٤]

و بمعنى المعصية والذنب في قوله تبارك تعالى:﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾[ص:٢٢]

٣٦) صَعِد

" صَعِد المكان وفيه ارتقى مشرقا، وجبل مُصْعَد مرتفع الصعود والطريق صاعدا والعقبة الشاقة. والصَعْود المشقة على المثل وفي التنزيل﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر:١٧] أي على مشقة من العذاب وهو المشقة من الأمر، وإنما اشتقوا ذلك لأن الارتفاع في صعود أشق من الانحدار في هبوط، ويقال بل جبل في النار من جمرة واحدة يكلف الكافر ارتقاءه ويضرب بالمقامع فكلما وضع عليه رجله ذابت إلى أسفل وركه ثم تعود مكانها صحيحة."[(٤)]

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين / كتاب التفسير ج٢ صـــ ٣١٩ حديث رقم ٣١٤٨ وقال عنه حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه

(٢) المفردات / الأصبهاني صـــ ٢٥٩ ، ٢٦٠

(٣) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صـــ ٤٨٣ وانظر مختار الصحاح / الرازي صـــ ١٤٢ والمفردات / الأصبهاني صـــ ٢٦٠ والتعاريف / المناوي صـــ ٤٢٩

(٤) لسان العرب / ابن منظور ج٣ صـــ ٢٥١

قال الكفومي رحمه الله:" الصُعُود صعد في السلم صُعُودا وفي الجبل وعليه تَصْعِيدا وأصعد في الأرض وهو أن يتوجه مستقبل أرض أرفع من الأخرى. والصَعَود بالفتح ضد الهبوط وبلغ كذا فصاعدا أي فما فوق ذلك."[١]

وقد جاء اللفظ في القرآن الكريم دلالة على الكفر إلا في موضع واحد ذل على الذنب والمعصية ففي الأول كقوله تبارك و تعالى:﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [الأنعام:١٢٥] ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن:١٧] ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر:١٧]

وجاء اللفظ كذنب ومعصية مرة واحدة في قوله تعالى:﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران:١٥٣] قال الرازي رحمه الله:" كأنه قال وعفا عنكم اذو تصعدون لأن عفوه عنهم لا بد وان يتعلق بأمر اقترفوه وذلك الأمر هو ما بينه بقوله(إِذْ تُصْعِدُونَ) والمراد به ما صدر عنهم من مفارقة ذلك المكان والأخذ في الوادي كالمنهزمين."[٢] قال الغرناطي رحمه الله:" فأثابكم أي جازاكم غما بغم قيل أثابكم غما بسبب الغم الذي أدخلتموه على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين إذ عصيتم وتنازعتم. قيل أثابكم غما متصلا بغم؛ وأحد الغمين ما أصابهم من القتل والجراح والآخر ما أرجف به من قتل رسول الله ﷺ على ما فاتكم من النصر والغنيمة ولا ما أصابكم من القتل والجراح والانهزام."[٣]

٣٧) ضَرَر (ضرَّ)

" الضُر والضَر لغتان ضد النفع، والضُر بالضم الهزال وسوء الحال فكل ما كان من سوء حال وفقر أو شدة في بدن فهو ضر. والضَرر فعل واحد والضِرار منهما معا، والبأساء و الضراء الشدة وهما اسمان مؤنثان من غير تذكير، والاضطرار الاحتياج إلى الشيء. ورجل ذو ضارورة و ضرورة أي ذو حاجة. والضَرَر الضيق ومكان ذو ضَرَر ومكان ضَرَر أي ضيق."[٤]

---

(١) الكليات / الكفومي صـــ ٥٦١

(٢) التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج٩ صـــ ٣٣ وانظر تفسير الطبري ج٤ صـــ ١٣٤ والكشاف / الزمخشري ج١ صـــ ٤٥٤

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل / الكلبي ج١ صـــ ١٢١

(٤) لسان العرب / ابن منظور ج٤ صـــ ٤٨٣ ، ٤٨٤ باختصار كبير

قال الراغب رحمه الله:" والإضرار حمل الإنسان على ما يضره وهو في التعارف حمله على أمر يكرهه، وذلك على ضربين: ـ أحدهما: إضرار بسبب خارج كمن يضرب أو يهدد حتى يفعل منقادا ويؤخذ قهرا فيحمل على ذلك كما قال تعالى:﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٢٦] والثاني: بسبب داخل وذلك إما بقهر قوة له لا يناله بدفعها هلاك كمن غلب عليه شهوة خمر أو قمار وإما بقهر قوة يناله بدفعها الهلاك كمن اشتد به الجوع فاضطر إلى أكل ميتة وعلى هذا قوله: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة:١٧٣] وقال:﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل:٦٢] فهو عام في كل ذلك."(١)

وقد جاء الضرر في القرآن صفة لأفعال الكفار كقوله تعالى في السحر:﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٠٢] ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ [آل عمران:١١١] وكذا جاء عقابا لهم قال تعالى:﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة:١٢٦]

وجاء الضرر كذنب منهي عن إتيانه كقوله تعالى:﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [البقرة:٢٨٢]﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾ [الطلاق:٦]

٣٨) ضَلَل (ظلَّ)

" ضلل الضَلال والضَلالة ضد الهدى والرشاد، يقال أضللت فلانا إذا وجهته للضَلال عن الطريق. قال أبو منصور والأصل في كلام العرب وجه آخر يقال أضللت الشيء إذا غيبته، و أضللت الميت دفنته، وقد يقع أضلهم في غير هذا الموضع على الحمل على الضلال والدخول فيه، والضالة من الإبل التي بمضيعة لا يعرف لها رب، وقد تطلق الضالة على المعنى ومنه (الكلمة الحكيمة ضالة المؤمن) (٢) وفي رواية ضالة كل حكيم أي لا يزال يتطلبها كما يتطلب الرجل ضالته، وضل الشيء خفي وغاب، وضل الناسي إذا غاب عنه حفظ الشيء، و أضله أي أضاعه وأهلكه، وضل الرجل مات وصار ترابا فضل فلم يتبين شيء من خلقه، والإضلال عدم المجازاة والأجر على عمل الخير وهذا كما تقول للذي عمل عملا لم يعد عليه نفعه قد ضل سعيك."(٣)

---

(١) المفردات / الأصبهاني صــ ٢٩٤

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه كتاب العلم عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ج٥ صــ ٥١ حديث رقم ٢٦٨٧ وقال عنه حديث ضعيف وقال الألباني ضعيف جدا

(٣) لسان العرب / ابن منظور ج١١ صــ ٣٩٠ ــ ٣٩٤ باختصار كبير جدا

قال المناوي رحمه الله:" الضلال فَقْدُ ما يوصل إلى المطلوب، وقيل سلوك طريق لا يوصل إلى المطلوب كذا حكاه ابن الكمال. وقال الراغب: الضلال العدول عن الطريق المستقيم و يضاده الهداية. ويقال الضلال لكل عدول عن المنهج عمدا أو سهوا قليلا أو كثيرا."(١)

وبكل المعاني التي ذكرها ابن منظور ورد اللفظ في القرآن أما في المعنى الشرعي فقد ورد الظلال وأريد به الكفر في مواطن عدة من القرآن وبألفاظ مختلفة أذكر منها: ــ

١ــ **ضَلَّ** قال تعالى:﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾[البقرة:١٠٨]

٢ــ **ضَلال** قال تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام:٧٤]

٣ــ **الضَلال** قال تعالى:﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس:٣٢]

٤ــ **الضَلالة** قال تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾[البقرة:١٦]

٥ــ **تَضْلْيل** قال تعالى:﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴾[الفيل:٢]

٦ــ **الضالون** قال تعالى:﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾[الواقعة:٥١]

٧ــ **الضالين** قال تعالى:﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾[الفاتحة:٧]

٨ــ **مضل** قال تعالى:﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾[القصص:١٥]

٩ــ **المضلين** قال تعالى:﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[الكهف:٥١]

ومن معاني الضلال التي لا تخرج من الملة قوله تعالى في آية المواريث:﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [النساء:١٧٦] ومعلوم أن من وقع في الخطأ في تقسيم المواريث عمدا أو سهوا فهو غير خارج عن ملة الإسلام إلا بشروط الكفر كتفضيله حكمه على حكم الله أو إنكار حكم الله في المواريث. وقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام:﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الشعراء:٢٠] قال الشوكاني رحمه الله:" من الضالين أي الجاهلين فنفى عليه السلام عن نفسه الكفر وأخبر أنه فعل ذلك علي الجهل قبل أن يأتيه العلم الذي علمه الله، وقيل المعنى من الجاهلين أن تلك الوكزة تبلغ القتل."(٢)

٣٩) طَيَر

" الطائر جمعه طير وطائر الإنسان عمله الذي قلده والطير أيضا الاسم من التَطَيُر ومنه قولهم لا طير إلا طير الله كما يقال لا أمر إلا أمر الله. وقال ابن السكيت رحمه الله يقال طائر الله لا طائرك ولا تقل طير الله. وأرض مَطَارة بالفتح كثيرة الطير و تطاير الشيء تفرق وتطاير أيضا طال وتطير من الشيء وبالشيء والاسم الطِيَرة بوزن العنبة وهو ما يتشاؤم به

(١) التعاريف / المناوي صــ ٤٧٤وانظر المفردات / الأصبهاني صــ ٢٩٧والتعريفات / الجرجاني صــ ١٨١

(٢) فتح القدير / الشوكاني ج٤ صــ ٩٦ وانظر تفسير القرطبي ج١٣ صــ ٩٥

من الفأل الرديء وفي الحديث (أنه كان يحب الفأل ويكره الطيرة) [(١)] وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ﴾ [النمل:٤٧] أصله تطيرنا فأُدغم."[(٢)]

وقال ابن منظور رحمه الله:" تطير من الشيء وبالشيء واطيّر أي تشاءم من الفأل الرديء، ويسمّى الشؤم طيرا وطائرا وطيرة على وزن عنبة. وكانت العرب في الجاهلية تتطير بالسوانح والبوارح، ومفردهما السانح والبارح، وهما ما مرَّ من الطير والوحش من يمينك إلى يسارك، وكانوا ينفرون الضباء والطيور، فإن أخذت ذات اليمين، تبركوا به، ومضوا في سفرهم وحوائجهم، وإن أخذت ذات الشمال رجعوا عن سفرهم وحاجتهم وتشاءموا بها، فكانت تصدّهم في كثير من الأوقات عن مصالحهم. وقال أبو عبيد الطائر عند العرب الحظ وهو الذي تسميه العرب البخت. وقال الفراء الطائر معناه عندهم العمل، وطائر الإنسان عمله الذي قلده وقيل رزقه، والطائر الحظ من الخير والشر."[(٣)]

وأراد المشركون في عهد النبي ﷺ أيضا أن يوهموا الناس أن ما أصابهم من مصيبة فهو بسبب النبي ﷺ قال تعالى:﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء:٧٨] فأمر الله رسوله أن يقول لهم أننا جميعا تحت مشيئة الله وقدره وهو مولانا وملجؤنا ونحن متوكلون عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل فقال سبحانه:﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[التوبة:٥١]

وقد جاء اللفظ وصفا لفعل الكفار فقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [النمل:٤٧] وقال سبحانه:﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [يس١٨:١٩]

وقال ابن القيم رحمه الله:" التطير هو التشاؤم من الشيء المرئي أو المسموع، فإذا استعملها الإنسان فرجع بها من سفره وامتنع بها مما عزم عليه فقد قرع باب الشرك بل ولجه وبريء من التوكل على الله وفتح على نفسه باب الخوف والتعلق بغير الله، والتطير مما يراه أو يسمعه وذلك قاطع له عن مقام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]،﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ﴾ [هود:١٢٣]،﴿عَلَيْهِ

---

(١) صحيح ابن حبان ج١٣ صـ ٤٩٠ حديث رقم ٦١٢١ وله أصل عند الأمام مسلم بلفظ لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل. قال: قيل وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة (انظر صحيح مسلم كتاب السلام باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم ج٤ صـ ١٧٤٦ حديث رقم ٢٢٢٤)

(٢) مختار الصحاح / الرازي صـ ١٦٩

(٣) لسان العرب / ابن منظور ج٢ صـ ٣٩٩ ، ج٤ صـ ٥١١ وانظر الديباج على شرح مسلم / السيوطي ج٥ صـ ٢٤١

تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [الشورى:١٠] فيصير قلبه متعلقا بغير الله عبادة وتوكلا فيفسد عليه قلبه وإيمانه وحاله ويبقى هدفا لسهام الطيرة ويساق إليه من كل أوب، ويقيض له الشيطان من ذلك ما يفسد عليه دينه ودنياه."(١)

وواضح من كلام ابن القيم رحمه الله أن التطير ذنب وإثم كبير وهو شرك أصغر قد يصل بصاحبه إلى الشرك الأكبر إذا اعتقد أن الشيء المتطير به يتحكم في الأقدار.

٤٠) ظَلَم

" الظُلم وضع الشيء في غير موضعه، ومن أمثال العرب في الشبه مَنْ أشبه أباه فما ظلم. والظلم الميل عن القصد، والظَلَمة المانعون أهل الحقوق حقوقهم، والظلم النقص."(٢)

وقال الجرجاني رحمه الله:" الظلم وضع الشيء في غير موضعه، وفي الشريعة عبارة عن التعدي عن الحق إلى الباطل وهو الجور، وقيل هو التصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد"(٣) وقال الراغب رحمه الله:" الظلمة عدم النور وجمعها ظلمات قال تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾ [النور:٤٠] ويعبر بها عن الجهل والشرك والفسق كما يعبر بالنور عن أضدادها قال الله تعالى: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلنُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٧] وقوله: ﴿فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ [الزُمَر:٦] أي البطن والرحم والمشيمة. والظلم عند أهل اللغة وكثير من العلماء وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بنقصان أو بزيادة وإما بعدول عن وقته أو مكانه، ومن هذا يقال ظلمت السقاء إذا تناولته في غير وقته، وظلمت الأرض حفرتها ولم تكن موضعا للحفر، والظلم يقال في مجاوزة الحق فيما يكثر وفيما يقل من التجاوز ولهذا يستعمل في الذنب الكبير وفي الذنب الصغير ولذلك قيل لآدم في تعديه ظالم، وفي إبليس ظالم، وإن كان بين الظالمين بون بعيد. قال بعض الحكماء الظلم ثلاثة: ــ الأول: ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى وأعظمه الكفر والشرك والنفاق ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣] وإياه قصد بقوله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود:١٨] في آي كثيرة. والثاني: ظلم بينه وبين الناس وإياه قصد بقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورى:٤٠] والثالث: ظلم بينه وبين نفسه وإياه قصد بقوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر:٣٢] وقوله: ﴿إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ [النمل:٤٤] [القصص:١٦] وكل

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة / ابن القيم ج٢ صـــ ٢٤٦

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج١٢ صـــ ٣٧٣ باختصار وانظر تهذيب اللغة / الأزهري ج١٤ صـــ ٢٧٤ وتاج العروس / الزبيدي ج٣٣ صـــ ٣٣

(٣) التعريفات / الجرجاني صـــ ١٨٦ وانظر الكليات / الكفومي صـــ ٥٩٤

هذه الثلاثة في الحقيقة ظلم للنفس فإن الإنسان في أول ما يهم بالظلم فقد ظلم نفسه ولهذا قال تعالى في غير موضع﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٠]"[١]

وقد بيَّن النبي ﷺ أن الظلم قسمين في حديث عبد الله بن مسعود " لما نزلت﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام:٨٢] شقَّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: أينا لا يظلم نفسه فقال رسول الله ﷺ: ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم."[٢]

وأمثلة ذلك في القرآن كثيرة تدل على القسمين وذلك حسب السياق فمن الظلم المخرج من الملة قوله تعالى:﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ [البقرة:٥٤]﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء:٦٤]﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ﴾ [النساء:١٥٣]﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام:٢١]﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ﴾ [الأنعام:٤٥] [الأعراف:١٦٢]﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ [يونس:١٣]﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾ [هود:٣٧]﴿وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ [الكهف:٥٩]﴿فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا﴾ [الفرقان:٤]﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان:١٣]﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ﴾ [الذاريات:٥٩]

ومن الظلم غير المخرج من الملة قوله تعالى:﴿وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ﴾ [البقرة:٢٣١]﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ﴾ [النساء:١٠]﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ﴾ [النساء:١٤٨]﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ﴾ [المائدة:٣٩]﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢]﴿قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ﴾ [ص:٢٤]

ومما جاء يحتمل المرادين قوله تبارك تعالى:﴿وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ﴾ [الطلاق:١]

٤١) عَبَس

" عبس فلان عَبْسا وعُبُوْسا جلَّد ما بين عينيه وجلَّد جبهته وتجهَّم، واليوم اشتد فهو عابس وعَبَّاس وعَبُوس. وعَبُس اتسخ يقال: عَبُس فلان وعَبُس الثوب والعبَّاس الأسد الذي تهرب منه الأسود. والعَبَس ما تعلق بأذناب الإبل من أبوالها وأبعارها وجف عليها ."[٣]

---

(١) المفردات / الأصبهاني صـ ٣١٥ ، ٣١٦

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب صدق الإيمان وإخلاصه ج١ صـ ١١٤ حديث رقم ١٢٤

(٣) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـ ٥٨٠ باختصار يسير، وانظر لسان العرب / ابن منظور ج٦ صـ ١٢٩ والمفردات / الأصبهاني صـ ٣٢٠

وقد ورد اللفظ في وصف الوليد بن المغيرة بعد سماعه القرآن من النبي ﷺ قال تعالى:﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ [المدثر:٢٢] وورد في وصف أهوال يوم القيامة وكيف تكون وجوه الكفار عابسة من شدة ما يرون ويتوقعون(١) قال تعالى:﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان:١٠]

وجاء وصفا للنبي ﷺ لمخالفته فعل الأولى قال جل وعلا:﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [عبس:١]

٤٢) عثَا أو عثَو أو عثِي

" عثا فيه المشيب أي أفسد. قال ابن سيده: عثا عُثوا و عثي عِثوا أفسد أشد الإفساد وفي التنزيل﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف:٧٤] القراء كلهم قرؤوا (وَلَا تَعْثَوْاْ) بفتح الثاء من عثي يعثى عِثوا وهو أشد الفساد. والأعثى الكثير الشعر الجافي السمج والكثيف اللحية وعَتَا عُتُوا وعِتِيا أسن وكبر."(٢)

والعِثُو كما ذكر هو الفساد وليس كل فساد كفر وإنما يفسر بحسب نوعه فقوله تعالى:﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة:٦٠] قال القرطبي" و مفسدين حال وتكرر المعنى تأكيدا لاختلاف اللفظ وفي هذه الكلمات إباحة النعم وتعدادها والتقدم في المعاصي والنهي عنها."(٣) ومعلوم أن معاصي بني إسرائيل قد تعددت مابين كفر كعبادة العجل وقتل الأنبياء، وما بين معاصي لا تكفر كأكل الربا وامتهان الضعفاء. وقوله تعالى:﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف:٧٤] ومعلوم أن عدم ذكر آلاء الله ليس بكفر وكذا قوله تعالى:﴿وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [هود:٨٥] [الشعراء:١٨٣] وأما قوله تعالى ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت:٣٦] قال القرطبي رحمه الله:" أي لا تكفروا فإنه أصل كل فساد والعثو والعثي أشد الفساد وقيل وارجوا اليوم الآخر أي صدقوا به فإن القوم كانوا ينكرونه."(٤) فسمى إنكار اليوم الآخر فسادا وهو كفر.

٤٣) عذَب

" العذاب النكال والعقوبة يقال عذبته تعذيبا وعذابا وقوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ [المؤمنون:٧٦] قال الزجاج رحمه الله: الذي أخذوا به الجوع. وعَذَب كل شيء طرفه وعذبة

---

(١) انظر فتح القدير / الشوكاني ج٥ صـ ٣٤٨ ، تفسير الطبري ج٢٩ صـ ٢١١

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج١٥ صـ ٢٩ وانظر مختار الصحاح / الرازي صـ ١٧٤ والتبيان / شهاب الدين المصري صـ ٨٨ والمعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـ ٥٨٤

(٣) تفسير القرطبي ج١ صـ ٤٢١

(٤) تفسير القرطبي ج١٣ صـ ٣٤٣

الشجر غصنه، والعَذَبة الطحلب والكدرة تعلوا على الماء، وهو أردئ ما يخرج من الطعام فيرمى."(١)

قال المناوي رحمه الله:" التعذيب إكثار الضرب بعذبه السوط أي طرفها وقيل في الأصل حمل الإنسان على أن يعذب أي يجوع ويسهر من قولهم عَذَب الرجل إذا أكثر الأكل والنوم فهو عاذب. وقال الفيومي: التعذيب أصله في كلام العرب الضرب ثم استعمل في عقوبة مؤلمة، ثم استعير للأمور الشاقة. والعذاب كل مؤلم للنفس إذا كان جزاء على سوء واشتقاقه من عذب الشيء إذا استمر وجرى وإن لم يستمر في النفس ويتغلغل فيها. وقيل أصله عند العرب الضرب ثم استعمل في عقوبة مؤلمة واستعير للأمور الشاقة فقيل السفر قطعة من العذاب."(٢)

وقد ورد العذاب في القرآن فعلا من الكفار وجزاء لهم فمن أفعالهم قوله تعالى:﴿وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة:٤٩] وعقابا لهم كقوله تعالى:﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة:٧]﴿وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [البقرة:٩٠]﴿ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم:٧] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَـٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يونس:٥٠]

وجاء العذاب وصفا لعقاب على المعصية والذنب كقوله تعالى:﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَـٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَـٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ﴾ [النساء:٢٥]﴿وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [النور:٨]﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:٢]

٤٤) عَرَض

" المُعْرِض الذي يستدين ممن أمكنه من الناس، وقال الأصمعي رحمه الله: قوله فأدان معْرِضاً أي أخذ الدين ولم يبال أن لا يؤديه، ولا ما يكون من التبعة، و أعرض عن الشيء إذا ولاه ظهره، والإعراض عن الشيء: الصد عنه، والإعراض الصدود، أعرض عنه: صد وولى وتولى عنه أعرض: وولى هارباً: أي أدبر وقد ولى الشيء وتولى إذا ذهب هارباً ومدبراً، وتولى عنه إذا أعرض، والتولي يكون بمعنى الإعراض، ويكون بمعنى الإتباع قال الله تعالى﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم ﴾ [محمد:٣٨] أي إن تعرضوا عن الإسلام."(٣)

قال الكفومي رحمه الله:" الإعراض وهو أن تولي الشيء عرضك أي جانبك ولا تقبل عليه، والتولي الإعراض مطلقا ولا يلزمه الإدبار؛ فإن تولي الرسول عن ابن أم مكتوم لم يكن

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج١ صـــ ٥٨٥، وانظر معجم ألفاظ القرآن الكريم / مجمع اللغة العربية مج٢ صـــ ٢٣

(٢) التعاريف / المناوي صـــ ١٨٥ ، صـــ ٥٠٨

(٣) لسان العرب / ابن منظور ج٧ صـــ ١٧٦ وما بعدها وانظر مختار الصحاح / الرازي صـــ ٤٣٥ وتاج العروس / الزبيدي ج١٨ صـــ ٤١١

بالإدبار والإعراض الانصراف عن الشيء بالقلب. قال بعضهم المعرض والمتولي يشتركان في ترك السلوك إلا أن المعرض أسوأ حالا؛ لأن المتولي متى ندم سهل عليه الرجوع، والمعرض يحتاج إلى طلب جديد، وغاية الذم الجمع بينهما."(١)

والإعراض الذي يكفر صاحبه كما قال ابن القيم رحمه الله:" وأما كفر الإعراض فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول لا يصدقه ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه ولا يصغي إلى ما جاء به البتة."(٢) وقد بسطت الكلام عليه في التمهيد عند ذكر أنواع الكفر(٣)

والإعراض جاء وصفا للكفار على ضربين: ــ الضرب الأول: الإعراض عن آيات الله تبارك وتعالى الكونية بعدم التدبر فيها والاهتداء إلى دلالتها على وجوده قال تعالى:﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [يوسف:١٠٥] والضرب الثاني: الإعراض عن دين الله كقوله تعالى:﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ [الكهف:٥٧]

وجاء الإعراض كذنب كقوله تعالى:﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾[النساء:١٢٨]﴿وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[النساء:١٣٥]

وجاء الإعراض مأمور به من جانب أهل الهدى عن أهل الظلال تبكيتا لهم واستهانة بهم قال تعالى:﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:١٠٦] ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٩] ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ ﴾ [التوبة:٩٥]

٤٥) عَصَا أو عَصَو أو عَصَي

" العصيان خلاف الطاعة. وعصى العبد ربه إذا خالف أمره، وعصى فلان أميره يعصيه عِصيا وعِصيانا وجاءت المعصية في القرآن بمعنى الكفر كقوله تعالى:﴿ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ ﴾ [البقرة:٩٣] ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأنعام:١٥] [الزُمَر:١٣ [يونس:٩١] ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴾ [مريم:٤٤] ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ ﴾ [الحُجُرات:٧] ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن:٢٣]

وجاءت المعصية بمعنى الذنب غير المكفر كقوله تعالى في الرماة على الجبل يوم أحد:﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران:١٥٢] ﴿قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾ [الكهف:٦٩] ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴾ [طه:٩٣] ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ﴾ [الممتحنة:١٢]

---

(١) الكليات / الكفومي صـــ ٢٨

(٢) مدارج السالكين / ابن القيم ج١ صـــ ٣٣٨

(٣) انظر صـــ ٣١

٤٦) غَرَر (غَرَّ)

" غَرَّه خدعه وأطمعه بالباطل، واغتر هو قَبِل الغرور، وأنا الذي غرك منه أي لم يكن الأمر على ما تحب. وفي الحديث (المؤمن غِرٌ كريم) (١) أي ليس بذي نكر فهو ينخدع لانقياده ولينه وهو ضد الخِب يريد أن المؤمن المحمود من طبعه الغرارة وقلة الفطنة للشر وترك البحث عنه وليس ذلك منه جهلا ولكنه كرم وحسن خلق، والغَرور ما غرك من إنسان وشيطان. والغُرور بالضم ما اغتر به من متاع الدنيا وفي التنزيل العزيز:﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [لقمان:٣٣] يقول لا تغرنكم الدنيا فإن كان لكم حظ فيها ينقص من دينكم فلا تؤثروا ذلك الحظ. و الغرور الشيطان يغر الناس بالوعد الكاذب والتمنية والغرور الباطل، وغرر بنفسه وماله عرضهما للهلكة من غير أن يعرف، والغرر الخطر (ونهى رسول الله ﷺ عن بيع الغرر) (٢) وهو مثل بيع السمك في الماء والطير في الهواء وقيل بيع الغرر المنهي عنه ما كان له ظاهر يغر المشتري وباطن مجهول."(٣)

وقال الراغب رحمه الله:" غرر يقال غررت فلانا أصبت غرته ونلت منه ما أريده، والغرة غفلة في اليقظة والغِرار غفلة مع غفوة، وأصل ذلك من الغُر وهو الأثر الظاهر من الشيء، ومنه غرة الفرس، والغرور كل ما يغر الإنسان من مال وجاه وشهوة وشيطان وقد فسر بالشيطان إذ هو أخبث الغارين، وبالدنيا لما قيل الدنيا تغر وتضر وتمر."(٤)

وقال الكفومي رحمه الله:" الغَرور كل من غر شيئأ فهو غَرور بالفتح والغُرور بالضم الباطل وهو تزيين الخطأ بما يوهم أنه صواب، ويقال له الغرر أيضا وهو ما يكون مجهول العاقبة لا يدرى أيكون أم لا."(٥) وقال المناوي رحمه الله :" الغرور سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع وقال الحرالي هو إخفاء الخدعة في صورة النصيحة."(٦)

وورد اللفظ وصفا للشيطان ووسوسته واسما له، وصفة لحال الكفار والمنافقين فيما بينهم واغترارهم بالحياة الدنيا وتوبيخا لمن اغتر على الله وتجرأ على معصيته وكفر بآياته قال تعالى: ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [النساء:١٢٠] [الإسراء:٦٤]﴿ شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين كتاب الإيمان ج١ صـ ١٠٣ حديث رقم ١٢٩ والترمذي في سننه كتاب البر والصلة باب ما جاء في البخيل ج٤ صـ ٣٤٤ حديث رقم ١٩٦٤ وقال عنه حديث غريب

(٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب البيوع باب ما جاء في كراهية بيع الغرر ج٣ صـ ٥٣٢ حديث رقم ١٣٢٠ وقال حديث حسن صحيح

(٣) لسان العرب / ابن منظور ج٥ صـ ١١ ، ١٢ بتصرف يسير واختصار كبير

(٤) المفردات / الأصبهاني صـ ٣٥٨ ، ٣٥٩ باختصار

(٥) الكليات / الكفومي صـ ٦٦٧ ، ٦٧٢

(٦) التعاريف / المناوي صـ ٥٣٧ وانظر التعريفات / الجرجاني صـ ٢٠٨

﴿وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾ [الأنعام:١١٢] ﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام:١٣٠]﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ﴾ [الأعراف:٢٢] ﴿وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا﴾ [الأحزاب:١٢] ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [لقمان:٣٣] ﴿بَلۡ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعۡضُهُم بَعۡضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ [فاطر:٤٠][فاطر:٥] ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ [الجاثية:٣٥] ﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [الحديد:١٤]﴿إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ [الملك:٢٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [الانفطار:٦]

وكذا وصفا للدنيا وبحسب اغترار الإنسان بها فقد توصله إلى الكفر وقد توصله إلى اقتراف الذنوب والمعاصي، لذا حذر سبحانه من الاغترار بالدنيا أو بأحوال الكفار ويسر حالهم وعدم لحاق العذاب بهم قال تعالى:﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥][الحديد:٢٠]﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ [آل عمران:١٩٦]﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ [غافر:٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [فاطر:٥]

٤٧) غَضِب

" الغَضَب نقيض الرضا، وغضب له: غضب على غيره من أجله، وذلك إذا كان حيا فإن كان ميتا قلت غضب به. الغضب من المخلوقين شيء يداخل قلوبهم ومنه محمود ومذموم فالمذموم ما كان في غير الحق، والمحمود ما كان في جانب الدين والحق. وأما غضب الله فهو إنكاره وسخطه على من عصاه وإعراضه عنه ومعاقبته له وفي التنزيل العزيز:﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا﴾ [الأنبياء:٨٧] قيل مغاضبا لربه وقيل مغاضبا لقومه."(١)

وجاء الغضب من الله على الكفار لكفرهم كقوله تعالى:﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٧] ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة:٦١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ [الأعراف:١٥٢] ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النحل:١٠٦] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الممتحنة:١٣]

وجاء الغضب من الله على المعصية كقوله تعالى:﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا﴾ [النساء:٩٣]﴿وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا

(١) لسان العرب / ابن منظور ج١ صـــ ٦٤٨ باختصار كبير

﴿إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الأنفال:١٦] ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [النور:٩] ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى:٣٧]

٤٨) غَوَى

" الغَي الضلال والخيبة والفساد وقوله عز وجل: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه:١٢١] أي فسد عليه عيشه، وقيل غوى أي ترك النهي وأكل من الشجرة فعوقب بأن أخرج من الجنة، ويقال لكل مهلكة مغواة والتغاوي التعاون في الشر."(١)

قال الراغب رحمه الله:" الغي جهل من اعتقاد فاسد؛ وذلك أن الجهل قد يكون من كون الإنسان غير معتقد اعتقادا لا صالحا ولا فاسدا، وقد يكون من اعتقاد شيء فاسد وهذا النحو الثاني يقال له غي قال تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم:٢] وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم:٥٩] أي عذابا فسماه الغي لما كان الغي هو سببه وذلك كتسمية الشيء بما هو سببه، وقيل معناه فسوف يلقون أثر الغي وثمرته."(٢)

وقد جاء الغيُّ في القرآن بمعنى نقيض الإيمان قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ [البقرة:٢٦٥] ﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ﴾ [الأعراف:١٤٦] ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء:٩٤] ومن أفعال الكفار والشيطان كقوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الأعراف:١٧٥] ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر:٤٢] ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ﴾ [القصص:٦٣] ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص:٨٢]

وجاء بمعنى الذنب والمعصية والخسران قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه:١٢١] ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء:٢٢٤] ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص:١٨]

٤٩) فَتَن

قال الأزهري رحمه الله:" جماع معنى الفتنة في كلام العرب: الابتلاء والامتحان، وأصلها مأخوذ من قولك: فتنت الفضة والذهب، أذبتهما بالنار ليتميز الرديء من الجيد، ومن هذا قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات:١٣] أي يحرقون بالنار. ومن هذا قيل للحجارة السود التي كأنها أحرقت بالنار الفتين."(٣)

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج١٥ صـــ ١٤٠ ، ١٤١ باختصار كبير

(٢) المفردات / الأصبهاني صـــ ٣٦٩

(٣) تهذيب اللغة / الأزهري ج١٤ صـــ ٢١٢

وقال ابن الأثير رحمه الله:" الفتنة الامتحان والاختبار وقد كثر استعمالها فيما أخرجه الاختبار من المكروه، ثم كثر حتى استعمل بمعنى الإثم والكفر والقتال والإحراق والإزالة والصرف عن الشيء."(١)

وقد لخص ابن الأعرابي رحمه الله معاني الفتنة بقوله:" الفتنة: الاختبار والمحنة والمال والأولاد و الكفر، والفتنة اختلاف الناس بالآراء، والإحراق بالنار. وقيل الفتنة في التأويل الظلم. يقال فلان مفتون بطلب الدنيا قد غلا في طلبها."(٢)

ووردت الفتنة في القرآن بمعنى الابتلاء والاختبار كما في قوله تعالى:﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت:٢]

ووردت الفتنة بمعانٍ تدل على الكفر مثل: ــ

١ــ الصد والرد عن السبيل: كما في قوله تعالى:﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة:٤٩] قال القرطبي رحمه الله:" يصدوك ويردوك."(٣)

٢ــ العذاب من الكفار للمؤمنين قال تعالى:﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل:١١٠]

٣ــ الشرك والكفر كما في قوله تعالى:﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٩٣] قال جمهور المفسرين أي شرك(٤) .

٤ــ الوقوع في المعاصي والنفاق قال تعالى في حق المنافقين:﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [الحديد:١٤] قال البغوي رحمه الله:" أي أوقعتموها في النفاق وأهلكتموها باستعمال المعاصي والشهوات."(٥)

٥ــ اشتباه الحق بالباطل: كما في قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال:٧٣] فالمعنى" ألا يوالى المؤمن من دون الكافر، وإن كان ذا رحم به (تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ) أي شبهة في الحق والباطل."(٦)

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر / ابن الأثير ج ٣ صـــ ٤١٠ ، ٤١١ باختصار

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج١٣ صـــ ٣١٧

(٣) تفسير القرطبي ج٦ صـــ ٢١٣

(٤) انظر تفسير الطبري ج٢ صـــ ١٩٤و تفسير القرطبي ج٦ صـــ ١٤٦ وتفسير ابن كثير ج١ صـــ ٢٢٨ وأضواء البيان / الشنقيطي ج٥ صـــ ٢٨٩

(٥) تفسير البغوي ج٤ صـــ ٢٩٦ وانظر الكشاف / الزمخشري ج٤ صـــ ٤٧٤

(٦) السيرة النبوية / ابن هشام ج٣ صـــ ٢٣٢ وأنظر سيرة ابن إسحاق ج٣ صـــ ٢٨٨

٦ــ الإضلال: كما في قوله تعالى:﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا﴾ [المائدة:٤١]

٧ــ القتل والأسر: ومنه قوله تعالى:﴿فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ﴾ [النساء:١٠١] والمراد: حمل الكفار على المؤمنين وهم في صلاتهم ساجدون حتى يقتلوهم أو يأسروهم.

٨ــ اختلاف الناس وعدم اجتماع قلوبهم: كما في قوله تعالى:﴿ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التوبة:٤٧]

٩ــ الإحراق بالنار كما كان يفعل الكفار بضعفاء المؤمنين لقوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [البروج:١٠]

ووردت الفتنة وأريد بها الغفلة كما قال ابن حجر رحمه الله في شرحه لقوله تعالى:﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ [الأنفال:٢٨] " تستعمل الفتنة في الغفلة عن المطلوب كقوله ﴿أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ ."[١]

و جاءت الفتنة بمعنى المعصية والذنب في قوله تعالى:﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ ﴾ [التوبة:٤٩] فالفتنة الأولى قصد بها الفتنة بالنساء وهى غير مكفرة، أما التي وقعوا فيها فهي فتنة النفاق وهي مخرجة من الملة. قال ابن تيمية رحمه الله:" وقد ذكر في التفسير أنها نزلت في الجد بن قيس لما أمره النبي بالتجهز لغزو الروم (فقال: يا رسول الله إني رجل لا أصبر عن النساء واني أخاف الفتنة بنساء بني الأصفر فائذن لي ولا تفتني)[٢]"[٣]

٥٠) فَخَر

" الفخر التمدح بالخصال، والافتخار عدَّ القديم والتفاخر التعاظم والتفخر التعظم والتكبر يوم الفخار وهو نشر المناقب وذكر الكرام بالكرم، وفخر فلان اليوم على فلان في الشرف والجَلَد والمنطق أي فضل عليه، وفي الحديث (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) [٤] الفخر ادعاء العِظَم والكبر

---

(١) فتح الباري / ابن حجر ج١١ صـــ ١٧٧

(٢) رواه الطبراني في الكبير والأوسط (انظر الأوسط ج٥ صـــ ٣٧٥ حديث رقم ٥٦٠٤) وقال الهيثمي وفيه يحيى الحماني وهو ضعيف انظر مجمع الزوائد الهيثمي / ج٧ صـــ ٣٠

(٣) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج٢٨ صـــ ١٦٦ وانظر الكشاف / الزمخشري ج٢ صـــ ٢٦٤

(٤) أخرجه الحميدي في الجمع بين الصحيحين ج٢ صـــ ٦٦٠ حيث رقم ٤١٨٩ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأخرجه الإمام الترمذي في سننه كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة بني إسرائيل ج٥ صـــ ٣٠٨ حديث رقم ٣١٤٨ وقال عنه حسن صحيح وصححه الإلباني

والشرف أي لا أقوله تبجحا ولكن شكرا وتحدثا بنعمه. والفاخر من البسر الذي يعظم ولا نوى له و الفاخر الجيد من كل شيء."(١)

وقال الراغب رحمه الله:" الفخر المباهاة في الأشياء الخارجة عن الإنسان كالمال والجاه، ورجل فاخر وفخور و فخير على التكثير قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان:١٨] ويقال فخرت فلانا على صاحبه أفخره فخرا حكمت له بفضل عليه."(٢) وقال الجرجاني رحمه الله:" الفخر التطاول على الناس بتعديد المناقب."(٣)

وجاءت مادة فخر في القرآن بهذا المعنى بلفظ المصدر وصيغة المبالغة بوزن فعول والثانية جاءت بوصف الكافر وإثبات عدم محبة الله له قال تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء:٣٦]﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد:٢٣] وكذا في وصف الإنسان بصفة عامة إذا انعم الله عليه قال سبحانه:﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود:١٠] وجاء التفاخر في أمور الدنيا والحرص عليها مذموما في قوله تعالى:﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ [الحديد:٢٠] قال الطبري رحمه الله:" يفخر بعضكم على بعض بما أُولِيَ فيها من رياشها وتكاثر في الأموال والأولاد يقول تعالى ذكره: ويباهي بعضكم بعضا بكثرة الأموال والأولاد."(٤) وذكر القرطبي رحمه الله" أن ذلك تفاخر بالخلقة والقوة وقيل بالأنساب على عادة العرب في المفاخرة بالآباء."(٥)

٥١) فَرَط

" فرط عجل وأسرع وفي التنزيل العزيز﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾ [طه:٤٥] يتعجل العقوبة ومنه كلام سبق بغير روية. ويقال فرط منه خير أو شر سبق وإلى سيفه أسرع إلى سله وفرط عليه في القول أسرف وفي الأمر قصر وفرط القوم تقدمهم و أفرط جاوز الحد والقدر في قول أو فعل. فرط الشيء ضيعه حتى فات وتركه وأغفله. والفَرط من الأمور المُجاوز فيه حده والمتروك المضيع."(٦)

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج٥ صـ ٤٩ وانظر تاج العروس / الزبيدي ج١٣ صـ ٣٠٥

(٢) المفردات / الأصبهاني صـ ٣٧٤

(٣) التعريفات / الجرجاني صـ ٢١٢ وانظر التعاريف / المناوي صـ ٥٥١

(٤) تفسير الطبري ج٢٧ صـ ٢٣٢

(٥) تفسير القرطبي ج١٧ صـ ٢٥٥

(٦) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـ ٦٨٣ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج٧ صـ ٣٦٦ وما بعدها

قال المناوي رحمه الله:" التفريط التضييع من فرط الأمر إذا سبق على غير وجه الصواب ذكره أبو البقاء. وقال غيره التقصير يقال ما فرطت في ذا أي ما قصرت وفرط في الأمر تفريطا قصر فيه وضيعه، وأفرط إفراطا أسرف وجاوز الحد والإفراط الإسراف في التقدم."(١)

وجاء اللفظ وصفا لحال الكفار في الآخرة كقوله تعالى:﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا﴾ [الأنعام:٣١]﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ﴾ [النحل:٦٢]﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهف:٢٨]﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ﴾ [طه:٤٥] ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ [الزُّمَر:٥٦]

وجاء اللفظ بمعنى الذنب والتقصير في القرآن مرة واحدة في حق إخوة يوسف عليه السلام قال تعالى:﴿قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ﴾ [يوسف:٨٠]

٥٢) فَرَو أو فَرَى

" فرو الفرو معروف والجمع الفِراء. وافترى الفرو لبسه، و فرى الشيء قطعة لإصلاحه وفرى كذبا خلقه، وافتراه اختلقه والاسم الفِرية وقوله تعالى:﴿شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا﴾ [مريم:٢٧] أي مصنوعا مختلقا وقيل عظيما، وأفرى الأوداج قطعها، وأفرى الشيء شقه فانفرى، و تفرى أي انشق، يقال تفرى الليل عن صبحه وأفرى الذئب بطن الشاة، وأفرى الأديم قطعه على جهة الإفساد و فراه قطعه على جهة الإصلاح."(٢)

وقال الراغب رحمه الله:" فرى الفري قطع الجلد للخرز والإصلاح و الإفراء للإفساد والافتراء فيهما وفي الإفساد أكثر، وكذلك استعمل في القرآن في الكذب والشرك والظلم."(٣)

وقد جاء اللفظ في القرآن بمعنى الكفر كقوله تعالى:﴿وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [آل عمران:٢٤] ﴿فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [آل عمران:٩٤] ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨] ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ﴾ [المائدة:١٠٣] ﴿وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [الأنعام:١٣٨] ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام:١٤٠]﴿قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ﴾ [يونس:٥٩]﴿تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ﴾ [النحل:٥٦]﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [السجدة:٣]

---

(١) التعاريف / المناوي صــ ١٩٢ وانظر المفردات / الأصبهاني صــ ٣٧٧

(٢) مختار الصحاح / الرازي صــ ٢١٠ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج١٥ صــ ١٥٢

(٣) المفردات / الأصبهاني صــ ٣٧٩

وجاء اللفظ مرة واحدة بمعنى الذنب والمعصية في قوله تعالى:﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ﴾ [الممتحنة:١٢] قال ابن مندة:" من أصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه أراد به ما خلا الشرك كما أراد بقوله فعوقب به ما خلا الشرك فجعل الحد كفارة لما أصاب من الذنب بعد الشرك، وجعل ما لم يحد فيه موكولا إلى مشيئة الله عز وجل إن شاء غفر له وإن شاء عذبه."(١)

٥٣) فَسَد

" الفساد نقيض الصلاح وتفاسد القوم تدابروا وقطعوا الأرحام واستفسد السلطان قائده إذا أساء إليه حتى استعصى عليه، والمفسدة خلاف المصلحة، والاستفساد خلاف الاستصلاح."(٢)

قال الراغب رحمه الله:" الفساد خروج الشيء عن الاعتدال،قليلا كان الخروج عنه أو كثيرا، و يضاده الصلاح، ويستعمل ذلك في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستفادة."(٣)

والإفساد في القرآن على ضربين: الأول يحمل معنى الكفر والآخر معنى الذنب والمعصية وبمعنى الكفر له صور متعددة منها: ـــ

١ـــ **الشرك بالله** قال الله تبارك تعالى:﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴾ [النحل:٨٨] ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس:٤٠]

٢ـــ **النِّــفاق** قال تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [البقرة:١١]

٣ـــ **تكذيب الرسل ورد الحق برغم الإيقان به** قال الله تعالى عن آل فرعون:﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [النمل:١٤] وقوله تبارك و تعالى على لسان صالح عليه السلام لقومه:﴿ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ [الشعراء١٥١:١٥٢]

٤ـــ **الصدّ عن سبيل الله** قال تعالى:﴿ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف:٨٦]

٥ـــ **قتل النفس** وخصوصا إذا كان المقتول مُصلحاً قال الله تبارك وتعالى:﴿ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ [النمل:٤٨]

---

(١) شعب الإيمان / ابن مندة ج١ صـــ ٢٧٥

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج٣ صـــ ٣٣٥ وانظر تهذيب اللغة / الأزهري ج١٢ صـــ ٢٥٧

(٣) المفردات / الأصبهاني صـــ ٣٧٩

٦ـ **قتل الأنفس البريئة وانتهاك حرمات الله** قال تعالى عن فرعون:﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص:٤] ولذا قالت الملائكة:﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ [البقرة:٣٠]

٧ـ **بخس الموازين والتطفيف في الكيل** قال تعالى على لسان شعيب:﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف:٨٥]

٨ـ **نقض العهد، وعدم الوفاء به، وقطع ما أمر الله به أن يُوصل** قال تعالى:﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [البقرة:٢٧] ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد:٢٥]

٩ـ **إيقاد نيران الحروب بين عباد الله** واليهود هم أهل هذا التخصص في هذا قال تعالى:﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة:٦٤]

١٠ـ **موالاة الكفار على المؤمنين** قال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال:٧٣]

وقد جعل سبحانه وتعالى الفساد مقابلا للإيمان قال تعالى:﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ [ص:٢٨]

ومن صور الإفساد التي تتردد بين الكفر والمعصية وفق نية الفاعل واعتقاده : ـ

١ـ **السِّـحـر** قال تعالى:﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس:٨١] (١)

٢ـ **الجبروت والتكبّر على عباد الله** والإفراط في الفرح والأشر والبَطَر قال تعالى عن قارون رمز الثراء الفاحش:﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص:٧٧]

---

(١) للمزيد يمكن الرجوع إلى صــ ٢٢٨

٣ــ **ارتكاب المنكرات وإتيان ما حرّم الله من الفواحش** قال الله تعالى على لسان لوط عليه السلام:﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [العنكبوت:٣٠]

٤ــ **السرقة** قال تعالى عن إخوة يوسف عليه السلام:﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴾ [يوسف:٧٣]

٦ــ **الإسراف ومجاوزة الحد في الغي والتمادي في المعاصي** قال الله تبارك و تعالى على لسان موسى عليه الصلاة والسلام:﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾ [البقرة:٦٠]

٧ــ **التقاطع في الأرحام** قال تعالى:﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴾ [محمد:٢٢] قال الرازي:" إن إظهار معصية الله تعالى إنما كان إفسادا في الأرض لأن الشرائع سنن موضوعة بين العباد، فإذا تمسك الخلق بها زال العدوان ولزم كل أحد شأنه فحقنت الدماء وسكنت الفتن وكان فيه صلاح الأرض وصلاح أهلها، أما إذا تركوا التمسك بالشرائع وأقدم كل أحد على ما يهواه لزم الهرج والمرج والاضطراب ولذلك قال تعالى:(فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ) نبههم على أنهم إذا أعرضوا عن الطاعة لم يحصلوا إلا على الإفساد في الأرض."(١)

٥٤) فَسَق

" الفِسق العصيان والترك لأمر الله عز وجل، والخروج عن طريق الحق، وفَسُق بالضم أي فجر. وقيل الفسوق الخروج عن الدين، وكذلك الميل إلى المعصية كما فسق إبليس عن أمر ربه أي جار ومال عن طاعته، والعرب تقول إذا خرجت الرطبة من قشرها قد فسقت الرطبة من قشرها، وكأن الفأرة إنما سميت فويسقة لخروجها من جحرها على الناس. والفسق الخروج عن الأمر وفسق فلان ماله إذا أهلكه وأنفقه. ويقال إنه لفسق أي خروج عن الحق والفواسق من النساء الفواجر."(٢) وقال الزبيدي رحمه الله:" قال بعض فقهاء اللغة أن الفِسْقَ من الألفاظ الإسلامية لا يعرف إطلاقها على هذا المعنى قبل الإسلام وإن كان أصل معناها الخروج فهي من الحقائق الشرعية التي صارت في معناها حقيقة عرفية في الشرع."(٣) وقال ابن منظور رحمه الله:" وقد يكون الفسوق شركا ويكون إثما والفسق في قوله عز

---

(١) التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج٢ صـــ ٦٠

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج١٠ صـــ ٣٠٨

(٣) تاج العروس / الزبيدي ج٢٦ صـــ ٣٠٤ وانظر معجم ألفاظ القرآن الكريم / مجمع اللغة العربية مج ٢ صـــ ١٥١

وجل: ﴿أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ﴾ [الأنعام:١٤٥] روي عن مالك رحمه الله أنه الذبح. وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ [الحُجُرات:١١] أي بئس الاسم أن تقول له يا يهودي ويا نصراني بعد أن آمن؛ أي لا تعيروهم بعد أن آمنوا، ويحتمل أن يكون كل لقب يكرهه الإنسان، وإنما يجب أن يخاطب المؤمن أخاه بأحب الأسماء إليه."(١)

وقال الراغب رحمه الله:" فسق فلان خرج عن حجر الشرع وذلك من قولهم فسق الرطب إذا خرج عن قشره وهو أعم من الكفر، والفسق يقع بالقليل من الذنوب وبالكثير لكن تُعورف فيما كان كثيرا، وأكثر ما يقال الفاسق لمن التزم حكم الشرع وأقر به ثم أخل بجميع أحكامه أو ببعضه. وإذا قيل للكافر الأصلي فاسق فلأنه أخل بحكم ما ألزمه العقل واقتضته الفطرة."(٢) وقال الكفومي:" وهو في القرآن على وجوه بمعنى الكفر نحو﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ﴾ [السجدة:١٨] والمعصية نحو﴿ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة:٢٥] والكذب نحو ﴿وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [النور:٤] و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحُجُرات:٦] والإثم نحو ﴿وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ﴾ [البقرة:٢٨٢] والسيئات نحو﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ﴾ [البقرة:١٩٧] وكله راجع في اللغة إلى الخروج من قولهم فسقت الرطبة عن القشر.﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ﴾ [الأنعام:١٢١] أي خروج عن الحق ويختلف الخروج فتارة خروج فعلا وأخرى خروج اعتقادا وفعلا. والفاسق أعم من الكافر والظالم أعم من الفاسق والفاجر يطلق على الكافر والفاسق ."(٣)

وكذلك أطلق الفسق وأريد به المنافق قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[التوبة:٦٧] وأطلق الفسق وأريد به الذبح لغير الله قال سبحانه:﴿أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ﴾ [الأنعام:١٤٥]

٥٥) قَنَط

" القُنوط اليأس وفي التهذيب اليأس من الخير وقيل أشد اليأس من الشيء."(٤)

وقال الراغب: "القنوط اليأس من الخير."(٥)

وقد ورد القنوط بمعنى الكفر كقوله تعالى:﴿لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ﴾ [فصّلت:٤٩] وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ

(١) لسان العرب / ابن منظور ج١٠ صـ ٣٠٨ وانظر معجم ألفاظ القرآن الكريم / مجمع اللغة العربية مج ٢ صـ ١٥١

(٢) المفردات / الأصبهاني صـ ٣٨٠

(٣) الكليات / الكفومي صـ ٦٩٣

(٤) لسان العرب / ابن منظور ج٧ صـ ٣٨٦

(٥) المفردات / الأصبهاني صـ ٤١٣

يَقۡنَطُونَ ﴾ [الروم:٣٦] قال القرطبي رحمه الله:"(وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ) أي بلاء وعقوبة قاله مجاهد. وقال السدي قحط المطر (بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ) أي بما عملوا من المعاصي (إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ) أي ييأسون من الرحمة والفرج قاله الجمهور وقال الحسن إن القنوط ترك فرائض الله سبحانه وتعالى في السر، والآية صفة للكافر يقنط عند الشدة ويبطر عند النعمة، كما قيل كحمار السوء إن أعلفته رمح الناس وإن جاع نهق، وكثير ممن لم يرسخ الإيمان في قلبه بهذه المثابة."[1]

وجاء القنوط بمعنى الذنب والمعصية كقوله تعالى:﴿قُلۡ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزُمَر:٥٣] وقوله تعالى:﴿ قَالُواْ بَشَّرۡنَـٰكَ بِٱلۡحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَـٰنِطِينَ ﴾ ﴿ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر٥٥:٥٦] قال البغوي رحمه الله:" والقنوط من رحمة الله كبيرة كالأمن من مكره."[2]

٥٦) كَذَب

" كذب أخبر عن الشيء بخلاف ما هو عليه في الواقع، وكذب عليه أخبر عنه بما لم يكن فيه وأخطأ. يقال كذب الظن والسمع والعين والرأي، والشيء لم يتحقق ما يبنى عنه وما يرجى منه، يقال كذب البرق والطمع. وفلانا أخبره بالكذب ويقال كَذَبَه الحديث، ويقال كَذَبَت فلانا نفسه حدثته بالأماني البعيدة، ويقال كذب نفسه، وكذبته عينه أرته ما لا حقيقة له فهو كاذب، وكذب بالأمر تكذيبا وكِذابا أنكره، ويقال كذب السلاح لم تنطلق قذيفته والكاذبة اسم يوضع موضع المصدر كالعاقبة والعافية والكذب خلاف الصدق والكذَّاب كثير الكذب."[3]

قال الأمام النووي رحمه الله:" واعلم أن مذهب أهل السنة أن الكذب هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو سواء تعمدت ذلك أم جهلته، لكن لا يأثم في الجهل وإنما يأثم في العمد."[4] وقال الكفومي رحمه الله :" الكذب الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو مع العلم به وقصد الحقيقة؛ فخرج بالأول الجهل، وبالثاني المجاز، وهو يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم بدليل تقييد﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [آل عمران:٧٥] بقوله (وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ) ويستعمل غالبا في الأقوال والحق في المعتقدات."[5] وقال الراغب:" وأنه يقال في المقال والفعال قال تعالى:﴿ إِنَّمَا

(١) تفسير القرطبي ج١٤ صـــ ٣٤

(٢) تفسير البغوي ج٣ صـــ ٥٣

(٣) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـــ ٧٨٠ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج١ صـــ ٧٠٤ وما بعدها

(٤) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار / النووي صـــ ٣٠٢ وانظر التبيان / المصري صـــ ٥٧

(٥) الكليات / الكفومي صـــ ٧٦٨

يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل:١٠٥] وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾[المنافقون:١] وقد تقدم أنه كذبهم في اعتقادهم لا في مقالهم ومقالهم كان صدقا."(١)

وقد ورد الكذب ومشتقاته في القرآن أربع وأربعين مرة وتكررت بعض المشتقات أكثر من مرة فبلغت ثلاث وثمانون ومئتين .(٢)

وكل ما ورد في القرآن من كذب فهو كذب مقابل للكفر إلا في موضعين في سورة يوسف حين راودته امرأة العزيز، وحين جاء إخوته على قميصه بدم كذب. والموضع الثاني في آيات الملاعنة في سورة النور. وجاء الكذب في القرآن ودل على دلالات متعددة وإن كانت كلها كما أسلفت تفضي إلى معنى الكفر أو الوصف للكفار ومن أمثلة دلالات الكذب في القرآن : ــ

١ــ **الإخبار بخلاف الواقع** كقوله تبارك تعالى:﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة:١٠] ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الزُّمَر:٣٢] فزعم أن له ولداً أو شريكاً أو صاحبة.(٣)

٢ــ خداع النفس بالاعتماد على من ليس أهلا لذلك كقوله تعالى:﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام:٢٤]

٣ــ ادعاء الباطل على الغير كقوله تعالى في اليهود:﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة:٨٧] وفي المنافقين ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ ﴾ [التوبة:٩٠]

٤ــ الإنكار وعدم التصديق بالرسل مع العلم بصدقهم لوجود الأدلة الدامغة على ذلك وهو أكثر ما ورد في القرآن كقوله تعالى:﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ ﴾ [الأنعام:٢١]﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام:٣٣]﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴾ [الحج:٤٢]﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل:٨٤]﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا ﴾ [الملك:٩]

٥ــ عدم الإيمان كقوله تعالى:﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ ﴾ [الأنعام:٥٧]﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴾ [الفرقان:٧٧]

٦ــ التشريع المخالف لحكم الله كفعل الأحبار والرهبان قال تعالى:﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [النحل:١١٦]

٧ــ بمعنى الوزر والعاقبة قال تعالى:﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر:٢٨]

---

(١) المفردات / الأصبهاني صــ ٤٢٧

(٢) أنظر معجم ألفظ القرآن الكريم / مجمع اللغة العربية مج٢ صــ ٢٩٧ مادة كذب

(٣) فتح القدير / الشوكاني ج٤ صــ ٢٦٤

٥٧) لَغَو أو لَغا

" لغا في القول لغوا أخطأ وقال باطلا ويقال لغا فلان عن الصواب، وعن الطريق مال عنه والشيء بطل، ولغى بالأمر أولع به، وبالشيء لزمه فلم يفارقه، وبالماء والشراب أكثر منه وهو مع ذلك لا يروى، وألغى الشيء أبطله. اللاغية ما لا يعتد به ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع. ولاغية الكلمة الفاحشة وفي التنزيل العزيز﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً﴾ [الغاشية:١١] واللغو ما لا يعتد به من كلام وغيره ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع والكلام الذي يَبدُر من اللسان ولا يراد معناه ومنه اللغو في اليمين وهو ما لا عَقد عليه القلب مثل قول القائل لا والله وبلى والله. وما لا يحسب في العدد في الدية والبيع ونحوهما لصغره، وسقط المتاع."[١]

وقال الراغب رحمه الله:" اللغو من الكلام ما لا يعتد به وهو الذي يورد لا عن روية وفكر فيجري مجرى اللَغا وهو صوت العصافير ونحوها من الطيور، وقد يسمى كل كلام قبيح لغوا."[٢]

وقد جاء اللغو فعل كفر قال تعالى:﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصّلت:٢٦] قال الزمخشري:" والمعنى لا تسمعوا له إذا قُرىء وتشاغلوا عند قراءته برفع الأصوات بالخرافات والهذيان والزمل وما أشبه ذلك حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوه على قراءته، وكانت قريش يوصي بذلك بعضهم بعضاً."[٣]

وجاء اللغو بمعنى حلف اليمين بغير قصد وهو معفوٌ عنه لكن على المسلم أن يتجنب ذلك قال تعالى:﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٥]﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ [المائدة:٨٩]

وجاء اللغو بمعنى الشرك والكفر والمعاصي كلها قال تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون:٣] قال الشنقيطي رحمه الله:" ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن من صفات المؤمنين المفلحين إعراضهم عن اللغو؛ وأصل اللغو ما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال فيدخل فيه اللعب واللهو والهزل وما توجب المروءة تركه، وقال ابن كثير الباطل وهو يشمل الشرك كما قال بعضهم والمعاصي كما قاله آخرون."[٤] وقال سبحانه:﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾ [الفرقان:٧٢] وقال جل وعلا:﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ﴾ [القصص:٥٥] وذكر سبحانه بعض صور

---

(١) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صـ ٢٥٠ وانظر تهذيب اللغة / الأزهري ج٨ صـ ١٧٢ ومختار الصحاح / الرازي صـ ٢٥٠

(٢) المفردات / الأصبهاني صـ ٤٥١

(٣) الكشاف / الزمخشري ج٤ صـ ٢٠٣ وانظر تفسير القرطبي ج١٥ صـ ٣٥٦ والطبري ج٢٤ صـ ١١٢

(٤) أضواء البيان / الشنقيطي ج٥ صـ ٣٠٦

إنعامه على أهل الجنة بعدم سماعهم كلاماً تافهاً ساقطاً كما يُسمع في الدنيا فقال عز وجل:﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ﴾ [مريم:٦٢]﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴾ [الواقعة:٢٥]﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴾ [النبأ:٣٥]﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً﴾ [الغاشية:١١]

٥٨) لَمَز

" اللمز كالغمز في الوجه تلمزه بفيك بكلام خفي وقوله تعالى:﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [التوبة:٥٨] أي يحرك شفتيه، ورجل لُمَزَة يعيبك في وجهك ورجل هُمُزَة يعيبك بالغيب. والأصل في الهمز واللمز الدفع، ويقال لمزه يلمزه لمزا إذا دفعه وضربه، واللمز العيب في الوجه وأصله الإشارة بالعين والرأس والشفة مع كلام خفي، وقيل هو الاغتياب وفي الحديث (أعوذ بك من همز الشيطان ولمزه) (١) اللمز العيب والوقوع في الناس."(٢)

قال الراغب رحمه الله:" اللمز الاغتياب وتتبع المعاب قال تعالى:﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجُرات:١١] أي لا تلمزوا الناس فيلمزوكم فتكونوا في حكم من لمز نفسه، ورجل لماز ولُمَزَة كثير اللمز قال تعالى:﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهُمَزة:١] "(٣)

وجاء اللمز في القرآن وصفا لفعل الكفار قال تعالى:﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهُمَزة:١] وجاء وصفا لفعل المنافقين قال تعالى:﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [التوبة:٥٨]﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [التوبة:٧٩]

وجاء اللمز ذنب نهى عنه في قوله تعالى:﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ [الحجُرات:١١]

٥٩) لها أو لهو

" اللهو ما لهوت به ولعبت به وشغلك من هوى وطرب ونحوهما، يقال لهَوت بالشيء و تلهيت به إذا لعبت به وتشاغلت وغفلت به عن غيره، وقد يكنى باللهو عن الجماع، واللهو واللهوة المرأة الملهو بها وفي التنزيل العزيز﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء:١٧] أي امرأة ويقال ولدا تعالى الله عز وجل، وجاء في التفسير أن لهو الحديث الغناء؛ لأنه يُلْهَى به عن ذكر الله عز وجل وكل لعب لهو وقيل إن لهو الحديث هنا الشرك."(٤)

---

(١) أنظر سنن الدارقطني باب دعاء الاستفتاح بعد التكبير ج١ صـ ٢٩٩ حديث رقم ٦ لكنه قال (من همز الشيطان ونفخه ونفثه) ثم قال والصواب أنه موقوف على عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج٥ صـ ٤٠٧

(٣) المفردات / الأصبهاني صـ ٤٥٤

(٤) لسان العرب / ابن منظور ج١٥ صـ ٢٥٩ ، ٢٦٠ باختصار كبير

وقال الجرجاني رحمه الله:" اللهو كل باطل ألهى عن الخير وعما يعني."[1] وقال المناوي:" اللهو الشيء الذي يَلتذ به الإنسان ثم ينقضي، وقيل ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه، قال الطرسوسي: وأصل اللهو الترويح عن النفس بما لا تقتضيه الحكمة."[2] وقال الكفومي رحمه الله:" اللهو كل باطل ألهى عن الخير وعما يعني، وقيل هو صرف الهم بما لا يحسن أن يصرف به، وقيل الاستمتاع بلذات الدنيا، وقيل الميل عن الجد إلى الهزل، وقيل الإعراض عن الحق. ولهيت عن الشيء بالكسر إذا سلوت عنه وتركت ذكره وأضربت عنه وعليه قوله تعالى: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء:٣]"[3]

وجاء اللهو من صفات الكفار في إعراضهم عن التوحيد قال تعالى:﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ﴾ [الحجر:٣] وقال سبحانه:﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء:٣] أو الاستهزاء بالدين كقوله تعالى:﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [الأنعام:٧٠] وجاء في وصف الكافر الذي ينفق ماله للصد عن سبيل الله قال تعالى:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ [لقمان:٦] وجاء اللهو في وصف أعمال الدنيا إذا قيست بأعمال الآخرة في قوله تعالى:﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [الأنعام:٣٢]﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [محمد:٣٦]﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد:٢٠]

وجاء اللهو بمعنى الذنب والمعصية في قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [المنافقون:٩]﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ [الجمعة:١١]﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر:١]﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر:٢:١] وجاء اللهو في حق النبي ﷺ بفعله خلاف الأولى باهتمامه بكبار قريش رجاء إسلامهم وترك بسطاء المسلمين إذا اجتمعوا عنده في وقت واحد قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾ ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ [عبس٨:١٠]

٦٠) لَوَي

" لوى الحبل فتله، ولوى رأسه وألوى برأسه أماله وأعرض، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا﴾ [النساء:١٣٥] بواوين قال ابن عباس رضي الله عنهما هو القاضي يكون ليه وإعراضه لأحد الخصمين على الآخر، وقرئ بواو واحدة مضموم اللام من ولي قال مجاهد أي إن تلوا الشهادة

(١) التعريفات / الجرجاني صــ ٢٤٨

(٢) التعاريف / المناوي صــ ٦٢٩

(٣) الكليات / الكفومي صــ ٧٧٨ ، ٧٩٩

فتقيموها أو تعرضوا عنها فتتركوها. وألوى بحقي أي ذهب به ــ وألوت به عنقاء مغرب ــ ذهبت به."(١)

وقال الراغب رحمه الله:" لوى يده و لوى رأسه وبرأسه أماله قال تعالى:﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ [المنافقون:٥] أمالوها، و لوى لسانه بكذا كناية عن الكذب وتخرص الحديث قال تعالى: ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾ [آل عمران:٧٨] وقال: ﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ [النساء:٤٦] ويقال: فلان لا يلوي على أحد إذا أمعن في الهزيمة قال تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ﴾ [آل عمران:١٥٣] واللوي ما يلوى فيدخر من الطعام، ولوى مدينَه أي ماطله، وألوى بلغ لوى الرمل وهو منعطفه."(٢)

وجاء اللفظ وصفا لليهود في تحريفهم للكتاب قال الله تبارك وتعالى:﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران:٧٨]﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ [النساء:٤٦] وجاء وصفا للمنافقين في إعراضهم عن النبي ﷺ في قوله تبارك تعالى:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ [المنافقون:٥]

وبمعنى الذنب والمعصية جاء اللي في قوله تعالى:﴿وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء:١٣٥] حيث جاء هذا التحذير من الله تبارك وتعالى بعد الأمر بإقامة الشهادة والعدل بين الناس حتى ولو كان الخصام مع الأبوين أو أحد الأقارب، ومعلوم أن عدم العدل وكتم الشهادة من الكبائر لكنه لا يخرج من الملة.

٦١) مَرَح أو مَرِح

" مرح فلان مرحا اشتد مرحه ونشاطه وتبختر واختال، والأرض بالنبات أخرجته، ويقال مرح الزرع خرج سنبله، والسحاب أرسل المطر، وعينه مرحا فسدت وهاجت وسال الدمع منها كثيرا، ويقال مرحت عينه بمائها وقذاها إذا رمت به وضعفت، ويقال لا تمرح بعِرْضِك لا تعرضه للطعن، والمرح شدة الفرح أو النشاط والعجب والاختيال وفي التنزيل العزيز﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء:٣٧]"(٣)

---

(١) مختار الصحاح / الرازي صــ ٢٥٤

(٢) المفردات / الأصبهاني صــ ٤٥٧ ، ٤٥٨

(٣) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صــ ٨٦١ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج٢ صــ ٥٩١ والمفردات / الأصبهاني صــ ٤٦٦

وقد جاء المرح وصفا للكفار في قوله تبارك تعالى:﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر:٧٥] وجاء منهيا عنه كذنب وفي وصية لقمان لابنه ينهاه عن المرح ويحذره منه قال سبحانه تعالى:﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء:٣٧] [لقمان:١٨]

٦٢) مَرِض

" المريض معروف، والمَرَض السقم نقيض الصحة يكون للإنسان والبعير، والمرض الشك، قال أبو إسحق: يقال المرض والسقم في البدن والدين جميعا كما يقال الصحة في البدن والدين جميعا، والمرض في القلب يصلح لكل ما خرج به الإنسان عن الصحة في الدين وقال ابن عرفة: المرض في القلب فتور عن الحق، وفي الأبدان فتور الأعضاء، وفي العين فتور النظر وعين مريضة فيها فتور."(١)

فالمرض في اللغة على قسمين كما قال الراغب رحمه الله:" المرض الخروج عن الاعتدال الخاص بالإنسان وذلك ضربان: الأول: مرض جسمي وهو كالمذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور:٦١] والثاني: عبارة عن الرذائل كالجهل والجبن والبخل والنفاق وغيرها من الرذائل الخلقية نحو قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة:١٠] ويُشبَه النفاق والكفر نحوهما من الرذائل بالمرض، إما لكونها مانعة عن إدراك الفضائل كالمرض المانع للبدن عن التصرف الكامل، وإما لكونها مانعة عن تحصيل الحياة الأخروية المذكورة في قوله تعالى:﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:٦٤] وإما لميل النفس بها إلى الاعتقادات الرديئة ميل البدن المريض إلى الأشياء المضرة ولكون هذه الأشياء متصورة بصورة المرض."(٢)

قال شيخ الإسلام رحمه الله:" وكذلك مرض القلب هو نوع فساد يحصل له يفسد به تصوره وإرادته، فتصوره بالشبهات التي تعرض له حتى لا يرى الحق أو يراه على خلاف ما هو عليه وإرادته بحيث يبغض الحق النافع ويحب الباطل الضار؛ فلهذا يفسر المرض تارة بالشك والريب كما فسر مجاهد وقتادة قوله تعالى: (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ)أي شك. وتارة يفسر بشهوة الزنا كما فسر به قوله تعالى: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب:٣٢] ومرض القلب ألم يحصل في القلب كالغيظ من عدو استولى عليك فإن ذلك يؤلم القلب، وكذلك الشك والجهل يؤلم القلب قال النبي ﷺ:(قتلوه قتلهم الله ألم يكن شفاء العي السؤال)(٣) والشاك في الشيء المرتاب فيه يتألم قلبه حتى يحصل له العلم واليقين.

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج٧ صـــ ٢٣١ ، ٢٣٢ باختصار كبير

(٢) المفردات / الأصبهاني صـــ ٤٦٦ باختصار وانظر غريب القرآن / السجستاني صـــ ٤٠٨

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين كتاب الطهارة ج١ صـــ ٢٨٦ حديث رقم ٦٣٠

والمرض دون الموت فالقلب يموت بالجهل المطلق ويمرض بنوع من الجهل فله موت ومرض وحياة وشفاء، وحياته وموته ومرضه وشفاؤه أعظم من حياة البدن وموته ومرضه وشفائه، فلهذا مرض القلب إذا ورد عليه شبهة أو شهوة قوت مرضه، وإن حصلت له حكمة وموعظة كانت من أسباب صلاحه وشفاءه."(١)

وقد ورد المرض في القرآن بالمعنى المعنوي الذي ذكره شيخ الإسلام وكان خاصا بقلوب المنافقين قال تعالى:﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ [البقرة:١٠]﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ ﴾ [المائدة:٥٢]﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ﴾ [الأنفال:٤٩]﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾ [التوبة:١٢٥]﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحج:٥٣]﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ ﴾ [النور:٥٠]﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب:١٢]﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ﴾ [الأحزاب:٦٠]﴿ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ [محمد:٢٠]﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴾ [محمد:٢٩]﴿ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ [المدثر:٣١]

ومما احتمل الوجهين قوله تعالى:﴿ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾ [الأحزاب:٣٢] قال الطبري رحمه الله:" وقوله فيطمع الذي في قلبه مرض يقول فيطمع الذي في قلبه ضعف فهو لضعف إيمانه في قلبه إما شاك في الإسلام منافق فهو لذلك من أمره يستخف بحدود الله وإما متهاون بإتيان الفواحش." (٢)

٦٣) مَقَت

" قال الليث رحمه الله: المَقْتُ بغض من أمر قبيح رَكِبه، وقال الزجاج: في قول الله جل وعز:﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [النساء:٢٢] المقت أشدُّ البغض، والمعنى أنهم علموا أن ذلك في الجاهلية كان يقال له مَقْت وكان المولود عليه يقال له المَقْتيّ فأُعلِموا أن هذا الذي حُرم عليهم من نكاح امرأة الأب لم يزل منكرا في قلوبهم ممقوتا عندهم."(٣)

---

(١) أمراض القلوب وشفاؤها / ابن تيمية صـ ٤ باختصار كبير

(٢) تفسير الطبري ج٢٢ صـ ٣ وانظر التسهيل لعلوم التنزيل الكلبي ج٣ صـ ١٤٤

(٣) تهذيب اللغة / الأزهري ج٩ صـ ٧٠ وانظر تاج العروس / الزبيدي ج٥ صـ ٩٥ ولسان العرب / ابن منظور ج٢ صـ ٩٠

وقال الراغب:" المقت البغض الشديد لمن تراه تعاطى القبيح."(١)

وجاء المقت من الله سبحانه وتعالى للكافرين تبكيتا لهم يوم القيامة و زيادة لهم في الضيق فوق العذاب الذي هم فيه حتى وصلوا من شدته كرههم أنفسهم قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [غافر:١٠] وأخبر سبحانه انه يزداد مقته للكافر كلما أمعن وتمادى في كفره فقال سبحانه:﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ [فاطر:٣٩]

و جاء المقت وصفا لكبيرة من الكبائر وهى نكاح ما نكح الآباء قال تعالى:﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [النساء:٢٢] و جاء ذنبا منهيا عنه في قوله تعالى:﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٣]

٦٤) مكَر

" قال الليث رحمه الله: المكر احتيال في خفية، وسمعنا أن الكيد في الحروب حلال والمكر في كل حلال حرام. قال ابن سيده: المكر الخديعة والاحتيال، وأصل المكر الخداع. ورجل مكار و مكور وماكر نعت للرجل وهو القصير اللئيم الخلقة ويقال في الشتيمة."(٢) وقال الطبري:" وأما المكر فإنه الخديعة والاحتيال للمَمكور به بالغدر ليورطه الماكر به مكروها من الأمر."(٣) وقال الراغب:" المكر صرف الغير عما يقصده بحيلة وذلك ضربان: مكر محمود وذلك أن يتحرى بذلك فعل جميل وعلى ذلك قال:﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران:٥٤] ومذموم وهو أن يتحرى به فعل قبيح قال:﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر:٤٣] وقال في الأمرين:﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ [النمل:٥٠] وقال بعضهم: من مكر الله إمهال العبد وتمكينه من أعراض الدنيا ولذلك قال أمير المؤمنين على رضي الله عنه من وسع عليه دنياه ولم يعلم أنه مكر به فهو مخدوع عن عقله."(٤)

وأما في الاصطلاح فكثير من العلماء فرقوا بين المكر المضاف إلى الله عز وجل والمكر الواقع من الخلق، كما قال الجرجاني رحمه الله:" المكر من جانب الحق تعالى هو إرداف النعم مع المخالفة، وإبقاء الحال مع سوء الأدب وإظهار الكرامات من غير جهد. ومن جانب العبد إيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر."(٥)

---

(١) المفردات / الأصبهاني صـــ ٤٧٠ وانظر التعاريف / المناوي صـــ ٦٧٠

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج٥ صـــ ١٨٣ باختصار

(٣) تفسير الطبري ج٨ صـــ ٢٥

(٤) المفردات / الأصبهاني صـــ ٤٧١

(٥) التعريفات / الجرجاني صـــ ٢٩٣ وانظر التعاريف / المناوي صـــ ٦٧٣

وورد لفظ المكر في القرآن الكريم في مواضيع كثيرة، تارة مضافا إلى الله عز وجل وأخرى مضافا إلى العباد، وأحيانا يكون في سياق الذم وأخري في مقام العقوبة. واعتقادنا أن الله عز وجل منزه عن كل ما لا يليق به سبحانه من النقائض وصفات المخلوقين كما قال سبحانه:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] وتنزيه الله تعالى يكون وفق المنهج الرباني الذي ورد في النصوص الشرعية، بحيث لا يثبت الإنسان لله تعالى ما لم يثبته لنفسه ولا رسول الله ﷺ ولا ينفي عنه ما أثبته له رسول الله ﷺ وإنما يقف مع النصوص الشرعية إثباتاً ونفيا مع اعتقاد كمال الله.

ومن هذا القبيل لفظ المكر حيث أضيف في القرآن إلى الله تعالى ومنهجنا في ذلك ما قرره السلف الصالح قال ابن القيم:" وقد قيل إن تسمية ذلك مكرا وكيدا واستهزاء وخداعا من باب الاستعارة ومجاز المقابلة نحو:﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ ﴾ [الشورى:٤٠] ونحو قوله:﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ ﴾ [البقرة:١٩٤] وقيل وهو أصوب بل تسميته ذلك حقيقة على بابه فإن المكر إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي وكذلك الكيد والمخادعة ولكنه نوعان قبيح وهو إيصال ذلك لمن لا يستحقه، وحسن وهو إيصاله إلى مستحقه عقوبة له، فالأول مذموم والثاني ممدوح والرب تعالى إنما يفعل من ذلك ما يحمد عليه عدلا منه وحكمة، وهو تعالى يأخذ الظالم والفاجر من حيث لا يحتسب لا كما يفعل الظلمة بعباده، ولا ريب أن العقوبة تسوء صاحبها فهي سيئة له حسنة من الحكم العدل."(١)

وعلى هذا المعنى جاءت الآيات التي أضيف فيها المكر إلى الله عز وجل مثل قوله تعالى ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران:٥٤] قال الطبري رحمه الله:" وأما مكر الله بهم فإنه فيما ذكر السدي رحمه الله إلقاؤه شبه عيسى عليه السلام على بعض أتباعه حتى قتله الماكرون بعيسى وهم يحسبونه عيسى، وقد رفع الله عز وجل عيسى قبل ذلك، وقد يحتمل أن يكون معنى مكر الله بهم استدراجه إياهم ليبلغ الكتاب أجله."(٢) ومثلها قوله عز وجل:﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ [يونس:٢١] قال ابن كثير رحمه الله:" يخبر تعالى أنه إذا أذاق الناس رحمة من بعد ضراء مستهم كالرخاء بعد الشدة والخصب بعد الجدب والمطر بعد القحط ونحو ذلك (إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا) قال مجاهد رحمه الله: استهزاء وتكذيب، وقوله:(قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا) أي أشد استدراجا وإمهالا حتى يظن الظان من المجرمين أنه ليس بمعذب وإنما هو في مهلة ثم يؤخذ على غرة منه."(٣)

---

(١) إعلام الموقعين / ابن القيم ج٣ صـ ٢١٨

(٢) تفسير الطبري ج٣ صـ ٢٨٩

(٣) تفسير ابن كثير ج٢ صـ ٤١٣

وأمثلة المكر المضاف إلى الله سبحانه وتعالى في كل المواضع يصار في تفسيره على منهاج السلف الذي أوردته آنفا. وإنما ذكرنا مكر الله في هذا المطلب لأنه جاء عقوبة للكفار وجزاء منه سبحانه على فعلهم ومكرهم بالموحدين.

وأما المكر المضاف إلى العباد فقد جاء في مواضع كثيرة، والمقصود به في الجملة مخالفة الرسل والإعراض عن دين الله تعالى والصد عن سبيل الله مما استوجب العقوبة والجزاء كقوله عز وجل:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الأنعام:١٢٣] وقال تبارك وتعالى:﴿ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الرعد:٣٣] وقال عز وجل مبيناً عظم ذلك المكر وشناعة أمره فقال عز وجل:﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴾ [نوح:٢٢] وقال تعالى:﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾ [إبراهيم:٤٦]

وبين سبحانه أن ذلك المكر متواصل ومستمر للصد عن دين الله فقال عز وجل:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ﴾ [سبأ:٣٣] قال ابن كثير رحمه الله:" أي بل كنتم تمكرون بنا ليلاً ونهاراً، وتغرونا وتمنونا وتخبرونا أنا على هدى وأنا على شيء فإذا جميع ذلك باطل وكذب، قال قتادة وابن زيد: بل مكر الليل والنهار بل مكركم بالليل والنهار." (١)

وأما نتيجة ذلك المكر الباطل فهو العقوبة الشديدة في الدنيا والآخرة كما قال عز وجل:﴿ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ﴾ [فاطر:١٠]

وورد المكر بمعنى المعصية مرتين في سورة يوسف عليه السلام الأول: في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ ﴾ [يوسف:٣١] قال الرازي:" المراد أنها سمعت قولهن وإنما سمي قولهن مكرا لوجوه: الأول: أن النسوة إنما ذكرت ذلك الكلام استدعاء لرؤية يوسف عليه السلام والنظر إلى وجهه لأنهن عرفن أنهن إذا قلن ذلك عرضت يوسف عليهن ليتمهد عذرها عندهن. الثاني: أن امرأة العزيز أسرت إليهن حبها ليوسف وطلبت منهن كتمان هذا السر فلما أظهرن السر كان ذلك غدرا ومكرا. الثالث: أنهن وقعن في غيبتها والغيبة إنما تذكر على سبيل الخفية فأشبهت المكر."(٢)

---

(١) تفسير ابن كثير ج٣ صـــ ٥٤٠

(٢) التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج١٨ صـــ ١٠١

والثاني: قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ﴾ [يوسف:١٠٢] قال الشنقيطي رحمه الله:" لم يبين هنا هذا الذي أجمعوا أمرهم عليه ولم يبين هنا أيضاً المراد بمكرهم ولكنه بين في أول هذه السورة الكريمة أن الذي أجمعوا أمرهم عليه هو جعله في غيابة الجب، وأن مكرهم هو ما فعلوه بأبيهم يعقوب وأخيهم يوسف وذلك في قوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ ﴾ [يوسف:١٥] إلى قوله: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف:١٨]"(١)

والخلاصة أن المكر من الله في القرآن الكريم يعني دقة الصنع والخلق ودقة القوانين التي تحكم البيئة والكون والطبيعة والمجتمع، وليس الخديعة بمعناها البشع لأن الله عز وجل ليس مضطرا لها طالما أن قدرته تتجلى في أن يقول للشيء كن فيكون.

٦٥) مَنَع

" المَنْع أن تحول بين الرجل وبين الشيء الذي يريده، وهو خلاف الإعطاء، ويقال هو تحجير الشيء ورجل مَنُوع ومانع ومنَّاع ضنين ممسك وفي التنزيل﴿مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ﴾ [ق:٢٥] وفيه﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج:٢١] ومنيع لا يخلص إليه في قوم مُنَعَاء."(٢)

قال الراغب رحمه الله:" المنع يقال في ضد العطية يقال: رجل مانع ومناع أي بخيل قال الله تعالى: ﴿ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ﴾ [الماعون:٧] وقال(مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ) ويقال في الحماية ومنه: فلان ذو منعة أي عزيز ممتنع على من يرومه قال:﴿أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ ﴾ [النساء:١٤١]وقوله:﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ ﴾ [الأعراف:١٢] أي ما حملك وقيل ما الذي صدك وحملك على ترك ذلك." (٣)

وقال الكفومي رحمه الله:" منع يتعدى تارة إلى ممنوع وممنوع فيه بنفسه تقول: منعته كذا ويتعدى إلى الثاني بعن مذكورا يقال: منعت فلانا عن حقه، وتارة بحذف حرف الجر."(٤)

وقد جاء المنع في وصف أفعال الكفار كقوله تعالى:﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ ﴾ [البقرة:١١٤] قال الرازي رحمه الله:" وقد ذكرنا أن منهم من تأوله على النصارى، ومنهم من تأوله على مشركي العرب، ونحن قد تأولناه على اليهود."(٥) وجاء وصفا للمنافقين في ادعائهم بنصرة المؤمنين أحيانا وأخرى بالمؤامرة عليهم وفي عدم قبول أعمال الخير منهم بسبب كفرهم قال

---

(١) أضواء البيان / الشنقيطي ج٢ صـــ ٢١٨ وانظر تفسير الطبري ج١٣ صـــ ٧٥

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج٨ صـــ ٣٤٣

(٣) المفردات / الأصبهاني صـــ ٤٧٥ وانظر التعاريف / المناوي صـــ ٦٦٢

(٤) الكليات / الكفومي صـــ ٨٧٣

(٥) التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج٤ صـــ ٢١ وانظر تفسير ابن كثير ج١ صـــ ١٥٧

تعالى:﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء:١٤١] ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾[التوبة:٥٤] وجاء في وصف إبليس حين أمر بالسجود لآدم في قوله تعالى:﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف:١٢] وجاء وصفا للكافر إذا أعطاه الله الخير [١]قال تعالى:﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج٢١:٢٢] وقال تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ﴾[ق٢٤:٢٥]

وفي معنى الذنب أو عقابا عليه جاء قوله تعالى:﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾ [يوسف:٦٣] وقوله تعالى:﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ﴾ ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ [طه٩٢:٩٣] وقوله تعالى:﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون:٧]

٦٦) مَنَي

" مَنَاه الله يُمَنِيه مَنِيا قدره والماني القادر وبه سميت المنية للموت لأنها مقدرة بوقت مخصوص. والمُنَى القصد ومُنِيَّ لكذا وفق له وتمناه تمنيا أراده، قال ثعلب: التمني حديث النفس بما يكون وبما لا يكون، وقال ابن الأثير: التمني تشهي حصول الأمر المرغوب فيه، وقال ابن دريد: تمنيت الشيء أي قَدَّرته وأحببت أن يصير إليَّ من المنى وهو القدر، و تمنى الحديث اخترعه وافتعله ولا أصل له."[٢]

قال الجرجاني رحمه الله:" التمني طلب حصول الشيء سواء كان ممكنا أو ممتنعا."[٣] وقال الكفومي رحمه الله:" التمني هو الكلام المُتَمنى به أو التلفظ به قال صاحب الكشاف ليس التمني من أعمال القلوب إنما هو قول الإنسان بلسانه ليت لي كذا، والتمني محبة حصول الشيء سواء كان ينتظره ويترقب حصوله أولا، والترجي في القريب والتمني في البعيد، والتمني في المعشوق للنفس والترجي في غيره، والتمني نوع من الطلب إلا أن الطلب يكون باللسان والتمني شيء يهجس في القلب يقدره المتمني، والتمني مغاير للقصد والتصديق."[٤]

وقال المناوي رحمه الله:" التمني طلب حصول الشيء ممكنا أم ممتنعا ذكره ابن الكمال، وقال الراغب رحمه الله: تقدير شيء في النفس وتصويره فيها وذلك يكون عن تخمين وظن، ويكون عن روية وبناء على أصل، لكن لما كان أكثره تخمينا صار الكذب له أملك فأكثر التمني تصور ما لا

---

(١) انظر تفسير الطبري ج٢٩ صـ ٧٨

(٢) تاج العروس / الزبيدي ج٣٩ صـ ٥٥٦ ـ ٥٦٤ باختصار كبير جدا وتصرف وانظر لسان العرب / ابن منظور ج١٥ صـ ٢٩٢ وما بعدها

(٣) التعريفات / الجرجاني صـ ٩٢

(٤) الكليات / الكفومي صـ ٣١٤ ، صـ ٤٦٨

حقيقة له، والأمنية الصورة الحاصلة في النفس من تمني الشيء."(١) وقال الخطابي رحمه الله:" التمني يتصرف على ثلاثة أوجه: ــ أحدها: أن يقال تمنى الرجل بمعنى قدر وأحب وهو مأخوذ من المَنى وهو القدر يقال مَنَى الله لك ما تحب أي قدر لك ومنه قوله: ﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ [النجم:٤٦] أي تقدر، والوجه الثاني: أن يكون بمعنى كذب فوضع حديثا لا أصل له وقال أعرابي لابن دأب وهو يحدث أهذا شيء رويته أم تمنيته يريد افتعلته، والوجه الثالث: أن يكون تمنى بمعنى تلا وقرأ ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج:٥٢]"(٢)

وجاء التمني فعلا منسوبا للشيطان قال تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [النساء:١١٩] وقال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء:١٢٠] وجاء وصفا لاعتقاد المشركين في آلهتهم بالشفاعة(٣) لهم قال تعالى: ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ [النجم:٢٤] وجاء التمني الباطل وصفا لأهل الكتاب قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾ [البقرة:٧٨] ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ﴾ [البقرة:١١١] وجاء في وصف المنافقين قال تعالى ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [الحديد:١٤]

وجاء التمني فعلا مذموما منهيا عنه قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾ [النساء:٣٢] وقال تبارك وتعالى ذاماً التمني الباطل: ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾ [القصص:٨٢]

٦٧) مَيَل

" المَيْل العدول إلى الشيء والإقبال عليه، ومال عن الحق ومال عليه في الظلم وأمال. وإذا مَيَل بين هذا وهذا فهو شاك. والمَيَل بالتحريك في الخلقة والبناء تقول: رجل أَمْيَلُ العاتق أي في عنقه مَيْل وتقول في الحائط مَيَل."(٤)

قال المناوي رحمه الله:" المَيل العدول عن الوسط إلى أحد الجانبين. والمال سمي به لكونه مائلا أبدا وزائلا ولذلك سمي عرضا وعليه دل من قال المال قحبة تكون يوما في بيت عطار ويوما في دار بيطار."(٥) وقال الكفومي رحمه الله:" الميل بالفتح والسكون ما كان فعلا. يقال: مال عن الحق ميلا

---

(١) التعاريف / المناوي صــ ٢٠٥ وانظر المفردات / الأصبهاني صــ ٤٧٦

(٢) غريب الحديث / الخطابي ج٣ صــ ١٠١

(٣) انظر تفسير القرطبي ج١٧ صــ ١٠٤ وفتح القدير / الشوكاني ج٥ صــ ١١٠

(٤) لسان العرب / ابن منظور ج١١ صــ ٦٣٦

(٥) التعاريف / المناوي صــ ٦٨٨

والميل بفتحتين ما كان خلقة يقال في الشجر ميل والميل إما قسري كميل الحجر المرمي إلى فوق، وإما مقرون بالشعور وصادر عن الإرادة فهو الميل النفساني كميل الإنسان في حركته الإرادية."(1)

وجاء الميل في القرآن وصفا للكفار في حبهم القضاء على المسلمين في قوله تعالى:﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ﴾ [النساء:102] وكذا في حب الكفار رجوع المسلمين عن دينهم قال تعالى:﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا﴾[النساء:27]

وجاء ذنبا منهيا عنه في قوله تعالى:﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ﴾ [النساء:129]

68) نَدِم

" ندم على الشيء وندم على ما فعل أسف، والنَدَم الأثر وذكره الزمخشري بسكون الدال وهو الغم اللازم إذ يندم صاحبه لما يعثر عليه من سوء آثاره."(2)

قال الراغب رحمه الله:" الندم والندامة التحسر من تغير رأي في أمر فائت قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّادِمِينَ ﴾ [المائدة:31] وقال: ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴾ [المؤمنون:40] وأصله من منادمة الحزن له والنديم، وقال بعضهم الشريبان سميا نديمين لما يتعقب أحوالهما من الندامة على فعليهما."(3) وقال الجرجاني رحمه الله:" الندم هو غم يصيب الإنسان ويتمنى أن ما وقع منه لم يقع."(4)

وقد جاء الندم على فعل كفري من ابن آدم القاتل قال تعالى:﴿قَالَ يَاوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّادِمِينَ ﴾ [المائدة:31] وجاء تهديدا للمنافقين بفوات أمنيتهم بهزيمة المسلمين قال تعالى:﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ [المائدة:52] وجاء وصفا للكفار حين إقبالهم على النار يوم القيامة في قوله تعالى:﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ﴾ [يونس:54][سبأ:33] وجاء وعيدا ووصفا للكفار على كفرهم ومخالفتهم أمر رسل ربهم قال تعالى: ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴾ [المؤمنون:40]﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَادِمِينَ ﴾ [الشعراء:157]

وجاء الندم عقابا على المعصية والذنب في قول الله يبارك تعالى:﴿يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [الحُجُرات:6]

---

(1) الكليات / الكفومي صـ 862

(2) لسان العرب / ابن منظور ج12 صـ 572

(3) المفردات / الأصبهاني صـ 486

(4) التعريفات / الجرجاني صـ 308

٦٩) نَسِي

" النِسيان بكسر النون ضد الذكر والحفظ، وتناساه و أنساه إياه وقوله عز وجل:﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ ﴾ [التوبة:٦٧] قال ثعلب رحمه الله: لا ينسى الله عز وجل إنما معناه تركوا الله فتركهم؛ فلما كان النسيان ضربا من الترك وضعه موضعه، وفي التهذيب أي تركوا أمر الله فتركهم من رحمته. والنسيان الترك وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾ [الأنعام:٤٤] يجوز أن يكون معناه تركوا، ويجوز أن يكونوا في تركهم القبول بمنزلة من نسي. والنَسِيُّ أيضا ما نُسي وما سقط في منازل المرتحلين من رذال أمتعتهم تقول العرب إذا ارتحلوا من المنزل انظروا أنْسَاءَكم تريد الأشياء الحقيرة التي ليست عندهم ببال مثل العصا والقدح والشظاظ. قال الأخفش: النَسيُّ ما أغفل من شيء حقير، وقال الزجاج رحمه الله: النَسيُّ في كلام العرب الشيء المطروح لا يؤبه له."(١)

قال الراغب رحمه الله:" النسيان ترك الإنسان ضبط ما استودع إما لضعف قلبه وإما عن غفلة وإما عن قصد حتى ينحذف عن القلب ذكره. وكل نسيان من الإنسان ذمه الله تعالى به فهو ما كان أصله عن تعمد وما عذر فيه نحو ما روي عن النبي ﷺ (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان) (٢) فهو ما لم يكن سببه منه وقوله:﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ ﴾[الحشر:١٩] فتنبيه أن الإنسان بمعرفته بنفسه يعرف الله فنسيانه لله هو من نسيانه نفسه وقوله تعالى:﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾[الكهف:٢٤] قال عكرمة معنى نسيت ارتكبت ذنبا ومعناه: اذكر الله إذا أردت وقصدت ارتكاب ذنب يكن ذلك دافعا لك."(٣) وقال الكفومي رحمه الله:" النسيان غيبة الشيء عن القلب بحيث يحتاج إلى تحصيل جديد. قال بعضهم: النسيان زوال الصورة عن القوة المدركة مع بقائها في الحافظة، وقيل النسيان لما غاب بعد حضوره."(٤)

وقد ورد في القرآن الكريم لفظ النسيان في مواضع عديدة، تارة يكون فيها موضع إخبار وبيان، وتارة يكون موضع تهديد ووعيد، تارة يضاف إلى العبد وتارة يضاف إلى الشيطان، وأحياناً يضاف إلى الرحمن، ومما سبق يتضح أن النسيان في اللغة له أصلان صحيحان يدل أحدهما على إغفال الشيء، والثاني على تركه.

فالنسيان المضاف إلى الله تعالى يأتي بمعنى الرفع والنسخ قال تعالى:﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ ﴾ [البقرة:١٠٦] وقد يرد النسيان مضافا إلى الله عز وجل بمعنى الترك والإهمال

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج١٥ صـــ ٣٢٢ ، ٣٢٣

(٢) أخرجه الإمام ابن ماجة في سننه كتاب الطلاق باب طلاق المكره والناسي ج١ صـــ ٦٥٩ حديث رقم ٢٠٤٣ وقال الألباني صحيح وأخرجه الحاكم في مستدركه ج٢ صـــ ٢١٦ حديث رقم ٢٨٠١ وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه

(٣) المفردات / الأصبهاني صـــ ٤٩١ ، ٤٩٢ وانظر التعاريف / المناوي صـــ ٦٩٨

(٤) الكليات / الكفومي صـــ ٥٠٦

عقوبة وجزاء وهذا خاص بالكفار والمنافقين وأهل الكتاب قال تعالى:﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴾ [الأعراف:٥١] ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة:٦٧] ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ ﴾ [الكهف:٥٧] ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه:١٢٦] ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ ﴾ [السجدة:١٤] ﴿وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [الجاثية:٣٤]

وأما النسيان المضاف إلى العبد فجاء بمعنى الكفر أو من أفعال الكفار أو من فعل الشيطان كما في قوله تعالى:﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ ﴾ [البقرة:٤٤]﴿ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ ﴾ [المائدة:١٣] ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ ﴾ [الأنعام:٤٤] ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام:٦٨] ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ ﴾ [الأعراف:٥٣] ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴾ [الأعراف:١٦٥] ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ﴾ [يوسف:٤٢] ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ ﴾ [الكهف:٦٣] ﴿ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي ﴾ [المؤمنون:١١٠] ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ ﴾ [الحشر:١٩] ﴿ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ ﴾ [المجادلة:١٩]

وجاء بمعنى الذنب والمعصية قال تعالى:﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ ﴾ [البقرة:٢٣٧]﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا ﴾ [الكهف:٧٣] ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ﴾ [طه:١١٥] قال الطبري عن مجاهد رحمهما الله:" ترك أمر ربه."(١)

٧٠) نقض

" النَقْض إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء، وفي الصحاح النقض نقض البناء والحبل والعهد وغيره. والنقض ضد الإبرام نقضه ينقضه نقضا وناقضه في الشيء مناقضة خالفه والمناقضة في القول أن يتكلم بما يتناقض معناه. ويقال انتقض الجرح بعد البرء، وانتقض الأمر بعد التئامه، وانتقض أمر الثغر بعد سده، و أنقض الجمل ظهره أثقله وجعله ينقض من ثقله أي يصوت وفي التنزيل العزيز ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ﴾ ﴿ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ﴾ [الشرح٢:٣] أي جعله يسمع له نقيض من ثقله والأصل فيه أن الظهر إذا أثقله الحمل سمع له نقيض أي صوت خفي."(٢)

---

(١) تفسير الطبري ج١٦ صـ ٢٢٠ وانظر الكشاف / الزمخشري ج٣ صـ ٩١

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج٧ صـ ٢٤٢ وانظر تاج العروس / الزبيدي ج١٩ صـ ٨٨ و الكليات / الكفومي صـ ٩١٠ والمفردات / الأصبهاني صـ ٥٠٤

وقال المناوي رحمه الله:" النقض حل أجزاء الشيء بعضها عن بعض."(١) وجاء لفظ النقض في القرآن على أشياء ثلاثة في تشبيه الكفر بعد الإيمان بالتي نقضت غزلها بعد الجهد الذي بذلته في بناءه وصناعته قال تعالى:﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا ﴾ [النحل:٩٢] وجاء بمعنى نقض اليمين وهو أمر مذموم منهي عنه قال تعالى:﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ ﴾ [النحل:٩١]

وجاء بمعنى نقض العهد والميثاق مع الله ومع نبيه ﷺ وذلك في الكفار عامة وبني إسرائيل خاصة قال تعالى:﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ [البقرة:٢٧]﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾ [الأنفال:٥٦] ولذا مدح الله المؤمنين بعدم نقضهم للعهد فقال سبحانه:﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴾ [الرعد:٢٠] قال أبو السعود:" وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه: البغي والنكث والمكر قال تعالى:﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾ [يونس:٢٣]﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[الأنعام:١٢٣]﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ [الفتح:١٠]"(٢)

وقال سبحانه في بني إسرائيل:﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:١٥٥]﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ ﴾ [المائدة:١٣]

٧١) نَكِر

" النُكر و النَكراء الدهاء والفطنة، والإنكار الجحود و المُناكرة المحاربة، و ناكره أي قاتله لأن كل واحد من المتحاربين يناكر الآخر أي يداهيه ويخادعه يقال فلان يناكر فلانا وبينهما مناكرة أي معاداة وقتال، والاستنكار استفهامك أمرا تنكره، والمُنْكَر من الأمر خلاف المعروف وقد تكرر في الحديث الإنكار و المنكر وهو ضد المعروف وكل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه فهو منكر."(٣)

وقال الكفومي رحمه الله:" الإنكار ثلاثيه فيما يرى بالبصر ورباعية فيما لا يرى من المعاني وإنكار الشيء قطعا أو ظنا إنما يتجه إذا ظهر امتناعه بحسب النوع أو الشخص."(٤) وقال المناوي رحمه الله:" الإنكار ضد العرفان وأصله أن يرد على القلب ما لا يتصوره وذلك ضرب من الجهل، وربما ينكر الإنسان الشيء مع حصول صورته في القلب فيكون كاذبا."(٥)

---

(١) التعاريف / المناوي صـــ ٧٠٩

(٢) تفسير أبي السعود ج٤ صـــ ١٣٦ وانظر فتح القدير/ الشوكاني ج٢ صـــ ٤٣٦ وإعلام الموقعين / ابن القيم ج٤ صـــ ٢٣١

(٣) لسان العرب / ابن منظور ج٥ صـــ ٢٣٢، ٢٣٣ باختصار كبير وانظر المفردات / الأصبهاني صـــ ٥٠٥

(٤) الكليات / الكفومي صـــ ٢٠٠

(٥) التعاريف / المناوي صـــ ١٠١ وانظر المفردات / الأصبهاني صـــ ٥٠٥

وقد جاء الإنكار وصفا لفعل الكفار والمنافقين وأهل الكتاب بمعنى الجحود والتكذيب قال تعالى:﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [التوبة:٦٧] ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ ﴾ [الرعد:٣٦]﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل:٢٢]﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [النحل:٨٣]﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ [الأنبياء:٥٠]﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ ﴾ [الحج:٧٢]﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [المؤمنون:٦٩]﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴾[غافر:٨١]

وجاء بمعنى الذنب والمعصية كقوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ ﴾ [النحل:٩٠]﴿ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾ [الكهف:٧٤]﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ ﴾ [العنكبوت:٤٥]﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ ﴾ [المجادلة:٢]

وجاء يحتمل معنى الكفر والذنب كقوله تعالى:﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران:١٠٤]﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ ﴾ [المائدة:٧٩]﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ ﴾ [النور:٢١]﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ ﴾ [العنكبوت:٢٩]

٧٢) نَكَل أو نَكِل

" نكل عن الأمر نُكولا جبن ونكص، يقال نكل عن العدو وعن اليمين وعن الشيء نحاه عنه وأنكله عن الشيء أو الأمر دفعه وصرفه، ونكل به عاقبة بما يردعه ويروع غيره من إتيان مثل صنيعه، والشيء قيده، وفلانا عن الشيء صرفه عنه، والناكل الجبان الضعيف والنِكال العقاب أو النازلة وفي التنزيل العزيز﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:٦٦] و﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ﴾ [المائدة:٣٨] النِكْل القيد وضرب من اللجم وحديدة اللجام أو الزمام، ويقال رجل نِكْل ونَكَل يغلب أقرانه وهو شر قوي قال تعالى:﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴾ [المزّمل:١٢] قيودا."[(١)]

وجاء التنكيل في القرآن وصفا لعقاب الله لأهل الكتاب وللكفار في قوله تعالى:﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:٦٦]﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ

---

(١) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـ ٩٥٣ وانظر تاج العروس / الزبيدي ج٣٣ صـ ٥٠١ وتهذيب اللغة / الأزهري ج١٠ صـ ١٣٧ والكليات / الكفومي صـ ٩١٢ والمفردات / الأصبهاني صـ ٥٠٦

بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴾ [النساء:٨٤]﴿إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ﴾ [المزَّمل:١٢] ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ﴾ [النازعات:٢٥]

وجاء وصفا للحد على ذنب السرقة في قوله تعالى:﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [المائدة:٣٨]

٧٣) وَهَن

" الوَهْن الضعف في العمل والأمر، وكذلك في العظم ونحوه وفي التنزيل العزيز﴿حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ﴾ [لقمان:١٤] جاء في تفسيره ضعفا على ضعف، أي لزمها بحملها إياه أن تضعف مرة بعد مرة، وقيل (وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ) أي جهدا على جهد. ورجل موهون في جسمه وامرأة وهنانة فيها فتور عند القيام وأناة وقوله عز وجل:﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٤٦] أي ما فتروا وما جبنوا عن قتال عدوهم."(١) وقال المناوي رحمه الله:" الوهن ضعف من حيث الخَلْق أو الخُلُق."(٢)

وقد جاء الوهن في القرآن فعلا من الله على الكافرين في إحباط كيدهم قال تعالى:﴿ ذَٰلِكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [الأنفال:١٨] وكذا جاء على وزن أفعل في المشابهة بين الكفار وبيت العنكبوت قال تعالى:﴿وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤١]

وجاء الوهن كذنب مدح الله المسلمين بنفيه عنهم في سبيل طاعته ومرضاته قال سبحانه:﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٤٦] لذا نهى تبارك وتعالى المسلمين عن تسلل الوهن إلى قلوبهم بصفة عامة قال تعالى:﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ ﴾ [آل عمران:١٣٩] وبصفة خاصة في مجالدة أعداء الله قال تعالى:﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَ ﴾ [النساء:١٠٤]

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج١٣ صـــ ٤٥٣

(٢) التعاريف / المناوي صـــ ٧٣٥ وانظر المفردات / الأصبهاني صـــ ٥٣٥

المبحث الثانـي

ألفاظ غير مخرجة من الملـة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول :ــ ألفاظ الذم المراد منـها الترهيب فقط

المطلب الثاني :ــ ألفاظ اشترك فيـها المدح والذم

المطلب الأول

ألفاظ الذم المراد منها الترهيب فقط

الألفاظ التي يدور البحث حولها في هذا المطلب ألفاظ لصفات وأفعال حذر الشارع سبحانه وتعالى المسلمين من الإتيان أو الاتصاف بها، متوعدا من فعل ذلك بالعقاب، فهي بمجملها خطاب للمسلمين خاصة، وإن عُمم فيها الخطاب فهي للكافر صفه تضاف لكفره لا يكون بها وحدها كافرا، وللمؤمن صفة تُنقص إيمانه.

١) أَسَى

" والأسى مفتوح مقصور المداواة والعلاج وهو أيضا الحزن."(١) قال الراغب رحمه الله:" والأسى الحزن وحقيقته إتباع الفائت بالغم، يقال: أسيت عليه أسى وأسيت له. قال تعالى:﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[المائدة:٦٨]"(٢)

وقد جاء الأسى في القرآن منهيا عنه في ثلاث مواضع، ومرة واحدة في الاعتزاز بعدمه قال تعالى:﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة:٢٦] ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٦٨] ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد:٢٣] ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف:٩٣]

٢) أَنِس ، أَنُس ، أَنَس

" أنس الإنسان معروف. والأُنس خلاف الوحشة بالضم وقد جاء فيه الكسر قليلا ورواه بعضهم بفتح الهمزة والنون. فلان ابن إنس فلان أي صفيه وأنيسه وخاصته وهو الطمأنينة. وآنس الشيء أحسه، وآنس الشخص واستأنسه رآه وأبصره ونظر إليه، وآنس الشيء علمه يقال: آنست منه رشدا أي علمته، وآنست الصوت سمعته. قال الزجاج: معنى تستأنسوا في اللغة تستأذنوا ولذلك جاء في التفسير تستأنسوا فتعلموا أيريد أهلها أن تدخلوا أم لا؟ والإيناس اليقين والأنيس المؤانس وكل ما يؤنس به وما بالدار أنيس أي أحد."(٣)

وقد ورد اللفظ بالمعنى الشرعي كذنب منهي عنه في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ﴾ [الأحزاب:٥٣] قال الزمخشري:" نهوا عن أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لأجل حديث يحدثه به، أو عن أن يستأنسوا حديث أهل البيت واستئناسه تسمعه وتوجسه."(٤)

---

(١) مختار الصحاح / الرازي صـــ ٧ وانظر المصباح المنير / الفيومي ج١ صـــ ١٥ وجمهرة اللغة / أبو بكر بن دريد ج١ صـــ ٢٣٨

(٢) المفردات / الأصبهاني صـــ ١٨ وانظر التعاريف / المناوي صـــ ٥٤

(٣) لسان العرب / ابن منظور ج٦ صـــ ١٠ ـــ صـــ ١٦ باختصار كبير جدا

(٤) الكشاف / الزمخشري ج٣ صـــ ٥٦٤ وانظر البحر المحيط / أبو حيان ج٧ صـــ ٢٣٧

٣) بَخَس

قال الراغب رحمه الله:" البَخْس نقص الشيء على سبيل الظلم قال تعالى: ﴿مَن وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هود:١٥]وقال تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [هود:٨٥] والبخس والباخس الشيء الطفيف الناقص وقوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [يوسف:٢٠] قيل معناه باخس أي ناقص، وقيل مبخوس أي منقوص، ويقال تباخسوا أي تناقصوا وتغابنوا فبخس بعضهم بعضا"[1] وقال الكفومي رحمه الله:" كل ما في القرآن من بخس فهو النقص إلا (بِثَمَنٍ بَخْسٍ) معناه حرام لكونه ثمن الحر؛ وهو سيدنا يوسف النبي عليه الصلاة والسلام."[2]

وقد جاء البخس كذنب منهيا عنه مُحذَرا من الوقوع فيه قال تبارك تعالى: ﴿فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ [البقرة:٢٨٢] وقال سبحانه وتعالى على لسان شعيب عليه السلام: ﴿وَلَا تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الأعراف:٨٥] [هود:٨٥] [الشعراء:١٨٣]

ولما في البخس من ظلم وإهدار حق فقد نفاه سبحانه عن نفسه فقال: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هود:١٥] وشهد الجن المؤمن لله بهذا العدل فقال سبحانه على لسان المؤمنين منهم: ﴿فَمَن يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ [الجن:١٣]

٤) بَذَر

" قال الليث رحمه الله البذر ما عزل للزرع وللزراعة من الحبوب كلها، ويقال للنسل أيضا البذر يقال إن هؤلاء لبذر سوء، والتبذير إفساد المال وإنفاقه في السرف قال الله جل وعز: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء:٢٦] وقيل التبذير إنفاق المال في المعاصي، وقيل هو أن يبسط يده في إنفاقه حتى لا يبقي منه ما يقتاته واعتباره بقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء:٢٩]"[3]

قال المناوي رحمه الله:" التبذير تفريق المال على وجه الإسراف وأصله إلقاء البذر فاستعير لكل مضيع لماله؛ فتبذير البذر تضييع في الظاهر لأنه لا يعرف مآل ما يلقيه."[4] وقال الكفومي رحمه الله:"

---

(١) المفردات / الأصبهاني صـ ٣٨ وانظر التعاريف / المناوي صـ ١١٧ المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صـ ٤١ ولسان العرب / ابن منظور ج٦ صـ ٢٤

(٢) الكليات / الكفومي صـ ٢٢٥

(٣) تهذيب اللغة / الأزهري ج١٤ صـ ٣٠٧ ، ٣٠٨ وانظر تاج العروس / الزبيدي ج١٠ صـ ١٤٧ ولسان العرب / ابن منظور ج٤ صـ ٥٠

(٤) التعاريف / المناوي صـ ١٥٨ وانظر المفردات / الأصبهاني صـ ٤٠

التبذير صرف الشيء فيما لا ينبغي والإسراف تجاوز في الكمية فهو جهل بمقادير الحقوق، والتبذير تجاوز في موضع الحق فهو جهل بمواقعها يرشدك إلى هذا قوله تعالى في تعليل الإسراف: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام:١٤١] وفي تعليل التبذير ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسراء:٢٧] فإن تعليل الثاني فوق الأول."(١)

وقد نهى سبحانه عن التبذير فقال: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء:٢٦] وإمعانا في تقبيح هذا الفعل جعل سبحانه المبذر مساويا للشيطان في هذا الفعل القبيح قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسراء:٢٧]

٥) بَرَج

" البَرج تباعد ما بين الحاجبين، وكل ظاهر مرتفع فقد بَرَجَ، والتَبَرُج إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال، وتبرجت المرأة أظهرت وجهها وإذا أبدت المرأة محاسن جيدها ووجهها قيل تبرجت، وترى مع ذلك في عينيها حسن نظر. وقال أبو إسحق رحمه الله في قوله عز وجل: ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾ [النور:٦٠] التبرج إظهار الزينة وما يُستدعى به شهوة الرجل، وقيل إنهن كن يتكسرن في مشيهن ويتبخترن.(٢)

وقد عدَّه الأمام الذهبي رحمه الله من الكبائر فقال :" ومن الأفعال التي تلعن عليها المرأة إظهار الزينة والذهب واللؤلؤ من تحت النقاب، وتطيبها بالمسك والعنبر والطيب إذا خرجت، ولبسها الصباغات والأُزر والحرير والأقبية القصار مع تطويل الثوب وتوسعة الأكمام وتطويلها إلى غير ذلك إذا خرجت، وكل ذلك من التبرج الذي يمقت الله عليه، ويمقت فاعله في الدنيا والآخرة."(٣)

وقد نهى سبحانه وتعالى عن التبرج وعدَّه من معايب الجاهلية قال سبحانه جل وعلا : ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣] وقال سبحانه ناهيا حتى للنساء القواعد اللواتي لا يُشتهين: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾ [النور: ٦٠]

٦) جَسَس (جَسَّ)

" الجَسُّ اللمس باليد، وجس الشخص بعينه أَحَدَ النظر إليه ليستبينه ويستثبته، والجس جس الخبر ومنه التجسس، وجس الخبر وتجسسه بحث عنه وفحص بالتفتيش عن بواطن الأمور وأكثر ما يقال في

---

(١) الكليات / الكفومي صــ ١١٣ وانظر التعريفات / الجرجاني صــ ٣٩

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج٢ صــ ٢١١ وانظر المفردات / الأصبهاني صــ ٤١

(٣) الكبائر / الذهبي صــ ١٣٥

الشر، والجاسوس صاحب سر الشر والناموس صاحب سر الخير، وقيل التجسس بالجيم أن يطلبه لغيره وبالحاء أن يطلبه لنفسه. وقيل بالجيم البحث عن العورات وبالحاء الاستماع وقيل معناهما واحد."(١)

وقال الراغب رحمه الله:" أصل الجس مس العرق وتعرف نبضه للحكم به على الصحة والسقم وهو أخص من الحس؛ فإن الحس تعرف ما يدركه الحس والجس تعرف حال ما من ذلك ومن لفظ الجس اشتق الجاسوس."(٢)

وقد جاء التجسس فعلا مذموما منهيا عنه في قوله تعالى:﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ ﴾ [الحُجُرات:١٢] قال الطبري رحمه الله:" وقوله ولا تجسسوا يقول ولا يتتبع بعضكم عورة بعض ولا يبحث عن سرائره يبتغي بذلك الظهور على عيوبه ولكن اقنعوا بما ظهر لكم من أمره وبه فاحمدوا أو ذموا لا على ما لا تعلمونه من سرائره."(٣)

٧) جَنَف أو جَنِف

" الجَنَف في الزَوَر (أعلى الصدر) دخول أحد شقيه وانهضامه مع اعتدال الآخر، ورجل أجْنَف في أحد شقيه ميل عن الآخر، والجَنَف الميل والجوز، والجنافي الذي يتجانف في مشيته فيختال فيها، وجنف عليه مال عليه في الحكم والخصومة والقول وغيرها، وفي التنزيل العزيز﴿فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا﴾ [البقرة:١٨٢] قال الليث رحمه الله الجنف الميل في الكلام وفي الأمور كلها (فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا) أي ميلا أو إثما أي قصدا لإثم وفي التنزيل﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ ﴾ [المائدة:٣] أي متمايل متعمد."(٤)

وقال الراغب رحمه الله:" أصل الجنف ميل في الحكم فقوله (فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا) أي ميلا ظاهرا وعلى هذا غير متجانف لإثم أي مائل إليه."(٥) وقال شهاب الدين المصري رحمه الله:" جنفا أي ميلا وعدولا عن الحق يعني متعمدا للجنف بلغة قريش وفي المائدة (مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ) أي متعمد يقال جنف على أي مال."(٦)

وبهذا المعنى ورد الجنف ذنبا منهيا عنه قال تعالى:﴿فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ ﴾ [البقرة:١٨٢] وقال سبحانه:﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة:٣]

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج٦ صـ ٣٨ وانظر غريب الحديث / ابن الجوزي ج١ صـ ١٥٦

(٢) المفردات / الأصبهاني صـ ٩٣

(٣) تفسير الطبري ج٢٦ صـ ١٣٥

(٤) لسان العرب / ابن منظور ج٩ صـ ٣٢ ، ٣٣ باختصار وانظر العين / الفراهيدي ج٦ صـ ١٤٣

(٥) المفردات / الأصبهاني صـ ١٠١

(٦) التبيان في تفسير غريب القرآن / شهاب الدين المصري صـ ١٢٠

٨) حَرِج

" مكان حَرَج وحرِج بكسر الراء وفتحها أي ضيق كثير الشجر وقرئ بهما قوله تعالى: ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام:١٢٥] وحرِج صدره من باب طرب أي ضاق والحرج أيضا الإثم و الحِرج بوزن العِلج لغة فيه، وأحرجه آثمه، و التحريج التضييق، و تحرج أي تأثم، و حرج عليه الشيء حرم من باب طرب."(١)

وقال الكفومي رحمه الله:" الحرج محركة أصله مجتمع الشيء وتصور منه الضيق فقيل للضيق حرج وللإثم حرج."(٢)

وبمعنى الإثم جاء الحرج في القرآن قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾ [التوبة:٩١] ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور:٦١] وبمعنى الضيق جاء في قوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة:٦] ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨] ومما يحتمل المعنيين جاء قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ [الأحزاب:٣٧] ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٠]

٩) حَوَب

" الحُوُب الجهد والحاجة والغم والهم والبلاء والشدة والحزن وقيل الوحشة والحوب الوجع و التحوب التوجع والشكوى والتحزن، ويقال فلان يتحوب من كذا أي يتغيظ منه ويتوجع. والحوب والحوب والحاب الإثم فالحوب بالفتح لأهل الحجاز والحوب بالضم لتميم."(٣)

وقال الراغب رحمه الله:" الحوب الإثم قال عز وجل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء:٢] والأصل فيه حوب لزجر الإبل وفلان يتحوب من كذا أي يتأثم، وقولهم ألحق الله به الحوبة أي المسكنة والحاجة وحقيقتها هي الحاجة التي تحمل صاحبها على ارتكاب الإثم، وقيل بات فلان بحيبة سوء والحوباء قيل هي النفس وحقيقتها هي النفس المرتكبة للحوب وهي الموصوفة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف:٥٣]"(٤)

وقد ورد اللفظ مرة واحدة في القرآن بمعنى الإثم في الآية السابقة الذكر.

١٠) حاف أو حَيَف

---

(١) مختار الصحاح / الرازي صـ ٥٤ وانظر العين / الفراهيدي ج٣ صـ ٧٧

(٢) التعاريف / المناوي صـ ٢٧٣ وانظر غريب الحديث والأثر / ابن الأثير ج١ صـ ٣٦١

(٣) لسان العرب / ابن منظور ج١١ صـ ٣٣٨ ، ٣٣٩ بتصرف يسير

(٤) المفردات / الأصبهاني صـ ١٣٤ باختصار يسير

" حاف عليه حَيْفا جار وظلم وفي التنزيل العزيز ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ [النور:٥٠] والأب فضل بعض أولاده على بعض في العطاء فهو حائف."[١] وقال المناوي:" الحَيْف الميل في الحكم والجنوح إلى أحد الجانبين."[٢]

وقد ورد اللفظ في القرآن مرة واحدة منفيا ومستبعدا أن يتصف به سبحانه وتعالى قال سبحانه:﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾ [النور:٥٠]

١١) خَبَط

قال الراغب رحمه الله:" الخَبْطُ الضرب على غير استواء كخبط البعير الأرض بيده والرجل الشجر بعصاه، وقوله تعالى:(يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ) فيصح أن يكون من خبط الشجر وأن يكون من الإختباط الذي هو طلب المعروف يروى عنه ﷺ (اللهم إني أعوذ بك أن يتخبطني الشيطان من المس)[٣] "[٤]

وقد ورد اللفظ وصفا لآكل الربا حين يقوم من قبره يوم القيامة في قوله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة:٢٧٥]

١٢) خَلَط

" خلط الشيء بالشيء خَلْطًا ضمه إليه، وقد يمكن التمييز بعد ذلك كما في الحيوانات أو لا يمكن كما في بعض المائعات. وخلط القوم داخلهم، وخالطه الداء خامره، وخولط في عقله اضطرب عقلهن وخلط في أمره أفسد، واختلط الشيء بالشيء خالطه. ويقال اختلطوا في الحديث اشتبكوا. والخليط ما اختلط من صنفين أو أصناف والمخالط للواحد والجمع ويطلق على الشريك و الصاحب والجار المصافي والزوج وابن العم."[٥]

قال المناوي رحمه الله:" الخلط الجمع بين أجزاء شيئين فأكثر مائعين أو جامدين أو متخالفين وهو أعم من المزج، ويقال للصديق والمجاور والشريك ومنه الخليطان في الفقه ذكره الراغب. قال المرزوقي: أصله تداخل الأشياء بعضها في بعض وتوسع فيه حتى قيل رجل خليط إذا اختلط بالناس كثيرا."[٦]

---

(١) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صـــ ٢١٢، و لسان العرب / ابن منظور ج٩ صـــ ٦٠

(٢) التعاريف / المناوي صـــ ٣٠٣، وانظر المفردات / الأصبهاني صـــ ١٣٧

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر ج١ صـــ ٧١٣ حديث رقم ١٩٤٨ وقال عنه صحيح الإسناد ولم يخرجاه وصححه الإلباني في صحيح الجامع حديث رقم ١٢٨٢

(٤) المفردات / الأصبهاني صـــ ١٤٢ وانظر التعاريف / المناوي صـــ ٣٠٧ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج٧ صـــ ٢٨١ والعين / الفراهيدي ج٥ صـــ ٢٢٣

(٥) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صـــ ٢٥٠ باختصار يسير

(٦) التعاريف / المناوي صـــ ٣٢٣ وانظر تاج العروس / الزبيدي ج١٩ صـــ ٢٥٨

وجاء الخلط مذموما في القرآن لمن خلط العمل الصالح مع السيئ قال تعالى:﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:١٠٢] وقال تعالى:﴿ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ ﴾ [ص:٢٤]

١٣) زَنَى أو زَنَا

قال القرطبي رحمه الله:" كان الزنى في اللغة معروفا قبل الشرع مثل اسم السرقة والقتل وهو اسم لوطء الرجل امرأة في فرجها من غير نكاح ولا شبهة نكاح بمطاوعتها؛ وإن شئت قلت هو إدخال فرج في فرج مشتهى طبعا محرم شرعا."(١)

وقال الجصاص رحمه الله:" والزنا اسم لوطء في غير ملك ولا نكاح ولا شبهة عن واحد منهما، فأما إذا صدر عن عقد فإن ذلك لا يسمى زنا سواء كان العقد فاسدا أو صحيحا."(٢)
وقال الراغب رحمه الله:" الزنا وطىء المرأة من غير عقد شرعي."(٣)

وقد حذر تبارك وتعالى من الاقتراب من الزنا خشية الوقوع فيه فقال سبحانه:﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴾ [الإسراء:٣٢] وأوجب سبحانه الحد على من ثبتت في حقه هذه الجريمة فقال تعالى ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ ﴾ [النور:٢] وعاقب الله الزاني والزانية بأن جعل قلوبهم تتآلف على هذه الجريمة فقال سبحانه:﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةٗ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [النور:٣] قال الشنقيطي رحمه الله:" هذا خبر من اللَّه تعالى بأن الزاني لا يطأ إلا زانية أو مشركة؛ أي لا يطاوعه على مراده من الزنا إلا زانية عاصية أو مشركة لا ترى حرمة ذلك، وكذلك الزانية لا ينكحها إلا زان أي عاص بزناه أو مشرك لا يعتقد تحريمه."(٤)

ومن صفات المؤمنين حق الإيمان أنهم لا يفعلون هذه الفاحشة قال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ ﴾ [الفرقان:٦٨] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الممتحنة:١٢]

---

(١) تفسير القرطبي ج١٢ صـــ ١٥٩
(٢) أحكام القرآن / الجصاص ج٣ صـــ ٦٤
(٣) المفردات / الأصبهاني صـــ ٢١٥
(٤) أضواء البيان / الشنقيطي ج٥ صـــ ٤١٩

١٤) سَرَق

قال الجرجاني رحمه الله:" السرقة هي في اللغة أخذ الشيء من الغير على وجه الخفية، وفي الشريعة في حق القطع أخذ مكلف خفية قدر عشرة دراهم مضروبة محرزة بمكان أو حافظ بلا شبهة، فإذا كانت قيمة المسروق أقل من عشرة مضروبة لا يكون سرقة."(١)

وعرفها المناوي رحمه الله بقوله:" أخذ ما ليس له أخذه في خفاء، وصار ذلك في الشرع لتناول الشيء من موضع مخصوص وقدر مخصوص على وجه مخصوص."(٢) وقال الكفومي رحمه الله:" السرقة أخذ مال معتبر من حرز أجنبي لا شبهة فيه خفية، وهو قاصد للحفظ في نومه أو غيبته."(٣)

والسرقة ذنب عظيم جعل الله فيها الحد بقطع اليد فقال سبحانه:﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ ﴾ [المائدة:٣٨] وتكرر اللفظ في قصة يوسف عليه السلام من إخوته حين اتهموه وأخيه بالسرقة في قوله تعالى:﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ ﴾ [يوسف:٧٧] وكذا حين نفوا عن أنفسهم الفساد في الأرض بالسرقة قال سبحانه على لسانهم:﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ [يوسف:٧٣]

وقد يستعمل اللفظ في المعنى المعنوي كقوله تعالى:﴿ إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ ﴾ [الحجر:١٨]

١٥) سفَح

" السَفْح عرض الجبل، وسَفَح الدمع أرسله والسفح للدم كالصب. ورجل سفَّاح للدماء سفاك و سَفَحت الماء هرقته والسِفاح المُسافحة وهو الزنا والفجور وفي التنزيل﴿ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ ﴾ [النساء:٢٤] وهو أن تقيم امرأة مع رجل على فجور من غير تزويج صحيح وقال تعالى:﴿ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ ﴾ [النساء:٢٥] وقال أبو إسحق رحمه الله: المسافحة التي لا تمتنع عن الزنا قال: وسمي الزنا سفاحا لأنه كان من غير عقد كأنه بمنزلة الماء المسفوح الذي لا يحبسه شيء، وكان أهل الجاهلية إذا خطب الرجل المرأة قال أنكحيني فإذا أراد الزنا قال سافحيني."(٤)

---

(١) التعريفات / الجرجاني صـــ ١٥٦ وانظر المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صـــ ٤٢٨

(٢) التعاريف / المناوي صـــ ٤٠٣، وانظر المفردات صـــ ٢٣١

(٣) الكليات / الكفومي صـــ ٥١٤

(٤) لسان العرب / ابن منظور ج٢ صـــ ٤٨٥ باختصار

وقال شهاب الدين المصري رحمه الله:" والمسافح الذي يصب ماؤه حيث اتفق."[١] وقال الكفومي رحمه الله:" هو المجاهر بالزنا."[٢] وقال الرازي رحمه الله:" قال الشعبي الزنا ضربان السفاح وهو الزنا على سبيل الإعلان واتخاذ الخدن والزنا في السر."[٣]

وقد حرم الله المسفوح من الدم على المسلمين بقوله تعالى:﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ [الأنعام:١٤٥] ونهى سبحانه عن السفاح للمرأة فقال تعالى:﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ [النساء:٢٥] وحذر الرجال من الوقوع فيه بقوله سبحانه:﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ [المائدة:٥]

١٦) سَفَكَ

" السَفْك صب الدم ونثر الكلام، سفك الدم والدمع والماء فهو مسفوك صبه وهراقه وكأنه بالدم أخص. والسفك الإراقة والإجراء لكل مائع، ورجل سفَّاك للدماء سفَّاك للكلام، والسفاك السفاح وهو القادر على الكلام، وخطيب سفاك بليغ، ورجل سفاك بالكلام كذاب."[٤]

وجاء السفك في القرآن وأُريد به القتل في موضعين فقط الأول: في قول الملائكة واصفين البشر في قوله تعالى على لسانهم:﴿قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة:٣٠] والثاني: وصفا لبني إسرائيل في أخذ الميثاق عليهم بعدم قتل أنفسهم قال تعالى:﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ [البقرة:٨٤]

١٧) صَعَر

" الصَعَر ميل في الوجه، وقيل الميل في الخد خاصة وربما كان خلقة في الإنسان والظليم، وقيل هو ميل في العنق وانقلاب في الوجه إلى أحد الشقين. وقد صعَّر خده وصاعره أماله من الكبر، والتصعير إمالة الخد عن النظر إلى الناس تهاونا من كبر كأنه معرض."[٥]

وقد ورد اللفظ مرة واحدة في القرآن في عظة لقمان لابنه قال الله تعالى على لسانه:﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [لقمان:١٨] ونقل الشوكاني عن الهروي رحمهما الله قوله:" أي لا تعرض عنهم تكبرا. يقال أصاب البعير صعر إذا أصابه داء يلوي عنقه. وقيل المعنى ولا تلو شدقك إذا ذكر

---

(١) التبيان في تفسير غريب القرآن / شهاب الدين المصري صـــ ١٦٥

(٢) الكليات / الكفومي صـــ ٨٧٧

(٣) التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج١١ صـــ ١١٧

(٤) لسان العرب ج١٠ صـــ ٤٣٩ بتصرف يسير وانظر المفردات / الأصبهاني صـــ ٢٣٤

(٥) لسان العرب / ابن منظور ج٤ صـــ ٤٥٦ باختصار وانظر العين / الفراهيدي ج١ صـــ ٢٩٨

الرجل عندك كأنك تحتقره، وقال ابن حويز منداد كأنه نهى أن يذل الإنسان نفسه من غير حاجة ولعله فهم من التصعير التذلل."(١)

١٨) طَرَد

" طرده أبعده من باب نصر وطَرَدا أيضا بفتحتين ويقال طرده فذهب وهو مطرود وطريد و أطرده السلطان بالألف أمر بإخراجه من بلده. قال ابن السكيت أطرد الرجل غيره صيره طريدا و طرده نفاه عنه وقال له اذهب عنا. واطَرَد الشيء اطِرَادا تبع بعضه بعضا وجرى تقول اطرد الأمر أي استقام والأنهار تطرد أي تجري."(٢)

و قال المناوي رحمه الله:" الطَرْد لغة الإزعاج والإبعاد على سبيل الاستخفاف. ومطاردة الأقدار مدافعة بعضها بعضا. واستطرد له في الحرب فر منه كيدا ثم كر عليه فكأنه اجتذبه من موضعه الذي لا يتمكن منه إلى موضع يتمكن منه ووقع ذلك على وجه الاستطراد مأخوذ من ذلك وهو الاجتذاب."(٣)

وطرد المؤمنين فيه إثم عظيم لذا نهى الله نبيه ﷺ عنه قال تعالى:﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٢] ومعلوم أن الخطاب وإن كان للنبي ﷺ فهو عام يشمل جميع المسلمين، وهذا نهج الأنبياء جمعيا فهذا سيدنا نوح عليه السلام يرفض دعوة كبار قومه بطرد الضعفاء من المؤمنين معه قال الله سبحانه:﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ ﴾ ﴿ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [هود٢٩:٣٠]﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:١١٤]

١٩) عَوَل

" العَوْل الميل في الحكم إلى الجور. عال يعول عولا جار ومال عن الحق وفي التنزيل العزيز ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ [النساء:٣] والعَوْل النقصان وعال الميزان عولا فهو عائل مال.

وفي حديث عثمان رضي الله عنه كتب إلى أهل الكوفة إني لست بميزان لا أعول؛ أي لا أميل عن الاستواء والاعتدال، يقال عال الميزان إذا ارتفع أحد طرفيه عن الآخر، وقال أكثر أهل التفسير معنى قوله:﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ [النساء:٣] أي ذلك أقرب أن لا تجوروا وتميلوا."(٤) ولم يرد في القرآن سواه.

---

(١) فتح القدير / الشوكاني ج٤ صـــ ٢٣٩

(٢) مختار الصحاح / الرازي صـــ ١٦٣ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج٣ صـــ ٢٦٧

(٣) التعاريف / المناوي صـــ ٤٨٠ ، ٤٨١ باختصار وانظر المفردات / الأصبهاني صـــ ٣٠٢

(٤) لسان العرب / ابن منظور ج١١ صـــ ٤٨١ ، ٤٨٢ وانظر الكليات / الكفومي صـــ ٦٤٣، و التعاريف / المناوي صـــ ٥٣٠ والتعريفات / الجرجاني ٢٠٥

٢٠) غَيَب

قال الجرجاني رحمه الله:" الغِيبة بكسر الغين أن تذكر أخاك بما يكرهه فإن كان فيه فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته؛ أي قلت عليه ما لم يفعله وذكر مساوئ الإنسان في غيبته وهي فيه وإن لم تكن فيه فهي بهتان وإن واجهه فهو شتم."(١)

وقد ورد اللفظ مرة واحدة في القرآن ناهيا تبارك وتعالى عن فعله فقال:﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ﴾ [الحُجُرات:١٢]

٢١) فَحَش أو فَحِش

" الفُحْش والفَحشاء والفاحشة القبيح من القول والفعل وجمعها الفواحش. والمُتَفَحِش الذي يتكلف سب الناس ويتعمده. والفحش والفاحشة هو كل ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصي. قال ابن الأثير رحمه الله وكثيرا ما ترد الفاحشة بمعنى الزنا ويسمى الزنا فاحشة وقال الله تعالى:﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ﴾ [النساء:١٩] قيل الفاحشة المبينة أن تزني فتخرج للحد، وقيل الفاحشة خروجها من بيتها بغير إذن زوجها، و فَحَش بالشيء شنع وفَحَشت المرأة قبحت وكبرت والمتفحش الذي يأتي بالفاحشة المنهي عنها وكل أمر لا يكون موافقا للحق والقَدْر فهو فاحشة. والعرب تسمي البخيل فاحشا وقال ابن بري الفاحش السيئ الخلق المتشدد البخيل."(٢)

وقال المناوي رحمه الله:" الفحشاء ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل السليم ، وقال الحرالي ما يكرهه الطبع من رذائل الأعمال الظاهرة، كما ينكره العقل، ويستخبثه الشرع، فيتفق في حكمه آيات الله الثلاث من الشرع والعقل والطبع وبذلك يفحش العقل. وقال الراغب: الفحش والفحشاء ما عظم قبحه من الأقوال والأفعال وفي المصباح كل شيء جاوز الحد فهو فاحش، ومنه غبن فاحش إذا جاوز الزيادة بما لا يعتاد مثله."(٣) وقال الشيخ السعدي رحمه الله :" ولا تقربوا الفواحش هي الذنوب العظام المستفحشة، وما ظهر منها وما بطن أي لا تقربوا الظاهر منها والخفي أو المتعلق منها بالظاهر والمتعلق بالقلب والباطن، والنهي عن قربان الفواحش أبلغ من النهي عن مجرد فعلها؛ فإنه يتناول النهي عن مقدماتها ووسائلها الموصلة إليها."(٤)

والشيطان هو الذي يأمر بالفحشاء قال تعالى:﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ﴾ [البقرة:١٦٩] وقال سبحانه:﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [البقرة:٢٦٨] والصلاة تنهى عن الفحشاء قال

---

(١) التعريفات / الجرجاني صـ ٢١٠ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج١ صـ ٦٥٦ و مختار الصحاح / الرازي صـ ٢٠٣

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج٦ صـ ٣٢٥ ، ٣٢٦ باختصار

(٣) التعاريف / المناوي صـ ٥٥١ وانظر المفردات / الأصبهاني صـ ٣٧٤

(٤) تفسير السعدي ج١ صـ ٢٨٠

تعالى:﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت:٤٥] والله سبحانه وتعالى ينهى عن الفحشاء قال جل وعلا:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠] ومن صفات المؤمنين تجنب الفواحش قال تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ [الشورى:٣٧] وقال سبحانه:﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾ [النجم:٣٢] وفعل الفاحشة من صفات الشاذين والزناة قال تعالى لقوم لوط:﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٨٠] وقال تعالى عن نكاح المحرمات:﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَمَقۡتٗا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [النساء:٢٢] وقال تعالى عن الزنا:﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء:٣٢]

وقال تعالى في عقوبة الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا سواء بالفعل أو الترويج أو التسهيل أو الفتوى أو بفتح أبوابها والدعوة إليها:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النور:١٩]

وبما أن لكل داء دواء فالذي عمل فاحشة مازالت أمامه فرصة للتوبة إلى الله والله لا يظلم عبده قال سبحانه:﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٥]

٢٢) فَضَح

" الفَضْح والفِضْح فعل مجاوز من الفاضح إلى المفضوح، والاسم الفضيحة، ويقال افتضح الرجل يفتضح افتضاحا إذا ركب أمرا سيئا فاشتهر به، ويقال للنائم وقت الصباح فَضَحك الصبح فقم معناه: أن الصبح قد استنار وتبين حتى بينك لمن يراك وشهرك. وسئل بعض الفقهاء عن فضيح البسر فقال ليس بالفضيح ولكنه الفَضَوح أراد أنه يسكر فيفضح شاربه إذا سكر منه، و الفضيحة اسم من هذا لكل أمر سيء يشهر صاحبه بما يسوء."(١)

وقال المناوي رحمه الله:" الفضيحة انكشاف مساوئ الإنسان من الفَضْحَة وهي الشهرة."(٢)

وبذا يكون معنى اللفظ وفق ما فسر به الأمر الذي أشتهر به إن كان كفرا فكفر وإن كان ذنبا فذنب ولم يرد اللفظ في القرآن الكريم إلا مرة واحدة على لسان لوط عليه السلام في طلبه من قومه الالتزام بالأدب أمام ضيوفه في قوله تبارك وتعالى:﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ﴾ [الحجر:٦٨]

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج٢ صـــ ٥٤٥

(٢) التعاريف / المناوي صـــ ٥٦٠

٢٣) فَضَض أو فضَّ

" الفَضُّ الكسر بالتفرقة ويقال الفض تفريقك حلقة من الناس بعد اجتماعهم يقال فَضَضْتُهم فانفضوا؛ أي فرقتهم فتفرقوا. والفض الكسر والفض فك خاتم الكتاب، ويقال فضضت الخاتم عن الكتاب وفضضت ختمه وفككته أي كسرته، وكل شيء كسرته فقد فضضته والفض النفر المتفرقون يقال بها فّضٌ من الناس أي نفر متفرقون."(١)

وجاء اللفظ في القرآن بهذا المعنى في قوله تعالى:﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران:١٥٩] ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ﴾ [الجمعة:١١] وكان دأب المنافقين دوما العمل على انفضاض المؤمنين من حول رسول الله ﷺ بشتى الوسائل حقدا وحسدا وكبرا قال الله يصف إحدى وسائلهم لذلك ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ﴾ [المنافقون:٧]

٢٤) فَظَظ أو فَظَّ

قال الكفومي رحمه الله:" الفَضُّ في كل القرآن بالضاد إلا﴿ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ ﴾ [آل عمران:١٥٩] فإنه بالظاء."(٢) وكأنه أرجع اللفظين لنفس المعنى وهو التفريق والتكسير وقال ابن منظور:" الفظ الخشن الكلام، وقيل الفظ الغليظ، والفظظ خشونة في الكلام، ورجل فظٌّ جاف غليظ في منطقه غلظ وخشونة. وأفظظت الرجل وغيره رددته عما يريد. وفي الصحاح الفظ ماء الكرش وهو أن يسقي بعيره ثم يشد فمه لئلا يجتر، فإذا أصابه عطش شق بطنه فقطر فرثه فشربه."(٣)

وقد ورد اللفظ مرة واحدة في القرآن الكريم كصفة منفية عن النبي ﷺ في قوله تبارك و تعالى:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران:١٥٩]

٢٥) قَتَر

" القَتْر والتَقْتِير الرمقة من العيش، وأَقْتَر الرجل افتقر يقال قَتَر وأَقْتَر وقَتَّر بمعنى واحد و قتر على عياله أي ضيق عليهم في النفقة، وأقتر قل ماله وله بقية مع ذلك. والقَتَر جمع القترة وهي الغبرة ومنه قوله تعالى:﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴾ ﴿ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ [عبس٤٠:٤١] وفي التهذيب القترة غبرة يعلوها سواد كالدخان والقَتَار ريح القدر وقد يكون من الشواء والعظم المحرق وريح اللحم المشوي. والتقتير أن تدني متاعك بعضه من بعض أو بعض ركابك إلى بعض تقول قتر بينها أي

---

(١) تاج العروس / الزبيدي ج١٨ صـــ ٤٨٩ وانظر مختار الصحاح / الرازي صـــ ٢١٢، والمفردات / الأصبهاني صـــ ٣٨١

(٢) الكليات / الكفومي صـــ ٦٧٥

(٣) لسان العرب / ابن منظور ج٧ صـــ ٤٥١ ، ٤٥٢ باختصار كبير وانظر التبيان في تفسير غريب القرآن / شهاب الدين المصري صـــ ١٥٨

قارب. و أبو قِتْرة كنية إبليس وفي الحديث (تعوذوا بالله من قترة وما ولد)(١) هو بكسر القاف وسكون التاء اسم إبليس."(٢)

قال المناوي رحمه الله:" القتر والتقتير تقليل النفقة وهو بإزاء الإسراف وكلاهما مذموم."(٣)

وقد ذم سبحانه هذه الصفة في الإنسان فقال جل وعلا:﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ [الإسراء:١٠٠] ومدح سبحانه المؤمنين بوصفهم حين الإنفاق بالوسطية فلا إسراف ولا تقتير فقال:﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان:٦٧]

٢٦) كلَف

" الكَلَف والكُلْفَة حمرة كدرة تعلو الوجه، وقيل لون بين السواد والحمرة، وقيل هو سواد يكون في الوجه، والكَلفاء الخمر التي تشتد حمرتها حيث تضرب إلى السواد والمُكَلف والمُتكلِف الواقع فيما لا يعنيه، والكلف الولوع بالشيء مع شغل قلب ومشقة، وكلفه تكليفا أي أمره بما يشق عليه، وتكلفت الشيء تجشمته على مشقة وعلى خلاف عادتك وفي الحديث (أنا وأمتي براء من التكلف)(٤) وفي حديث عمر رضي الله عنه (نهينا عن التكلف)(٥) أراد كثرة السؤال والبحث عن الأشياء الغامضة التي لا يجب البحث عنها والأخذ بظاهر الشريعة وقبول ما أتت به."(٦)

قال الجرجاني رحمه الله ": التكلف أن يحمل الأمر على أن يكلف بالأمر كلفة بالأشياء التي يدعوه إليها طبعه. وقال الراغب رحمه الله:" اسم لما يفعله الإنسان بمشقة أو بتصنع أو بتشبع ولذلك صار التكلف ضربين محمود: وهو ما يتحراه الإنسان ليتوصل به إلى أن يصير الفعل الذي يتعاطاه سهلا عليه ويصير كلفا به ومحبا له. الثاني: ما يتحراه مباهاة ورياء وهو مذموم ومنه وما أنا من المتكلفين."(٧) وقال الكفومي رحمه الله:" المتكلفين المتصنعين بما لست من أهله."(٨)

---

(١) رواه أبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط (انظر معجم الطبراني الأوسط ج٦ صـــ ١٦٦ حديث رقم ٦٠٩٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس وبقية رجال أبي يعلى رجال الصحيح انظر ج٥ صـــ ١١٠ كتاب الأطعمة باب ما جاء في الرقى للعين والمرض وغير ذلك

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج٥ صـــ ٧٣ وانظر العين / الفراهيدي ج٥ صـــ ١٢٥ والمفردات / الأصبهاني صـــ ٣٩٣

(٣) التعاريف / المناوي صـــ ١٩٥ ، صـــ ٥٧٣ وانظر المفردات / الأصبهاني صـــ ٣٩٣

(٤) أورده أبو الفضل العراقي في المغني عن حمل الأسفار ج١ صـــ ٤٨٢ حديث رقم ١٨٣٩ وقال عنه حديث ضعيف

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه ج٦ صـــ ٢٦٥٩ حديث رقم ٦٨٦٣

(٦) لسان العرب / ابن منظور ج٩ صـــ ٣٠٧ وانظر المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـــ ٧٩٥

(٧) التعاريف / المناوي صـــ ٢٠٢ وانظر المفردات / الأصبهاني صـــ ٤٣٩

(٨) الكليات / الكفومي صـــ ٨٨٢

ولما كان التكلف صفة مذمومة نفاه الله عن نفسه فقال سبحانه:﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام:١٥٢] [الأعراف:٤٢][المؤمنون:٦٢]﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق:٧] ونهى جل وعلا نبيه ﷺ أن يكلف أحدا من المسلمين بالقتال لأنه غير مسؤول عن تقصير غيره وما عليه إلا تحريضهم قال تعالى:﴿فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء:٨٤] بل أمره أن يخبر قومه بأنه ليس مُدعيا أو كاذبا أو مُتصنعا لهذا الأمر الذي جاء به قال سبحانه:﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص:٨٦]

قال الزمخشري في قوله تبارك وتعالى:"(وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ) من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من أهله وما عرفتموني قط متصنعاً ولا مدّعياً ما ليس عندي حتى أنتحل النبوّة وأتقوّل القرآن﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [يوسف:١٠٤] من الله للثقلين أوحى إليّ فأنا أبلغه."(١)

٢٧) نَشَز

" النَشِز والنَشُز والنَشْز المتن المرتفع من الأرض، وهو أيضا ما ارتفع عن الوادي إلى الأرض وليس بالغليظ وفي التنزيل العزيز﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾ [المجادلة:١١] بكسر الشين ورفعها قال أبو إسحق رحمه الله: معناه إذا قيل انهضوا فانهضوا وقوموا، والنُشُوز يكون بين الزوجين وهو كراهة كل واحد منهما صاحبه وسوء عشرته له، ونَشَزَت المرأة بزوجها وعلى زوجها ارتفعت عليه واستعصت عليه وأبغضته وخرجت عن طاعته قال الله تعالى:﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ [النساء:٣٤] و نشز هو عليها نشوزا كذلك وضربها وجفاها وأضر بها وفي التنزيل العزيز﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ [النساء:١٢٨] ورجل نشز غليظ، ونشز بالقوم في الخصومة نشوزا نهض بهم للخصومة و نشز بقرنه ينشز به نشوزا احتمله فصرعه والنشز الغليظ الشديد ودابة نشيزة إذا لم يكد يستقر الراكب والسرج على ظهرها."(٢)

وورد النشوز في القرآن مكروها ومذموما في حق الزوجين قال تعالى:﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ [النساء:٣٤]﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء:١٢٨] وقد عد الإمام الذهبي رحمه الله نشوز المرأة من الكبائر.(٣)

---

(١) الكشاف / الزمخشري ج٤ صـــ ١١٠ وانظر تفسير النسفي ج٤ صـــ ٤٦ وتفسير روح المعاني / الألوسي ج٢٣ صـــ ٢٣٠

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج٥ صـــ ٤١٧ ، ٤١٨ باختصار وانظر تاج العروس / الزبيدي ج١٥ صـــ ٣٥٤ ومختار الصحاح / الرازي صـــ ٢٧٥

(٣) انظر الزواجر عن اقتراف الكبائر/ الهيثمي صـــ ٦١٧ ، ٦٢٢

٢٨) نَهَر

" نهر الرجل ينهره نهرا وانتهره زجره، وفي التهذيب نهرته إذا استقبلته بكلام تزجره عن خبر."(١)

قال الراغب رحمه الله:" والنهر والانتهار الزجر بمغالظة، يقال نهره وانتهره قال تعالى:﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا﴾ [الإسراء:٢٣]﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾ [الضُحى:١٠]"(٢)

وبهذا المعنى ورد اللفظ في القرآن الكريم منهيا عن إتيانه مرتين في حق الوالدين قال تعالى:﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا﴾ [الإسراء:٢٣] وجاء نهيا عاما للنبي ﷺ وعامة المسلمين في حق السائل قال تعالى:﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾ [الضُحى:١٠]

٢٩) هَلَع

" الهَلَع الحرص، وقيل الجزع وقلة الصبر، وقيل هو أسوأ الجزع وأفحشه. ورجل هَلِع و هالع جزوع حريص والهَلَع الحزن والهَلِع الحزين وشح هالع محزن وفي التنزيل﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج:١٩] والهَلوع الذي يفزع ويجزع من الشر قال أبو العباس المبرد: رجل هلوع إذا كان لا يصبر على خير ولا شر حتى يفعل في كل واحد منهما غير الحق. و الهَلَعَان الجبن عند اللقاء."(٣)

وقد ورد اللفظ في وصف الإنسان بصفة عامة في قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج:١٩] قال الشوكاني رحمه الله:" قال الواحدي والمفسرون يقولون تفسير الهلع ما بعده يعني قوله:﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا﴾﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج٢٠:٢١] أي إذا أصابه الفقر والحاجة أو المرض أو نحو ذلك فهو جزوع أي كثير الجزع، وإذا أصابه الخير من الغنى والخصب والسعة ونحو ذلك فهو كثير المنع والإمساك."(٤)

وقال ابن تيمية رحمه الله:" والهلع من الحرص. ولهذا كان كلام السلف في تفسيره يتضمن هذه المعاني فروى عن ابن عباس قال هو الذي إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا. و روى عنه أنه قال هو الحريص على ما لا يحل له، وعن سعيد بن جبير شحيحا، وعن عكرمة ضجورا، وعن جعفر حريصا، وعن الحسن والضحاك بخيلا، وعن مجاهد شرها، وعن الضحاك الذي لا يشبع، وعن مقاتل ضيق القلب وعن عطاء عجولا."(٥)

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج٥ صـ ٢٣٩ وانظر تاج العروس / الزبيدي ج١٤ صـ ٣٠٦

(٢) المفردات / الأصبهاني صـ ٥٠٧

(٣) لسان العرب / ابن منظور ج٨ صـ ٣٧٤، صـ ٣٧٥ باختصار وانظر المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـ ٩٩١ والتبيان / شهاب الدين المصري صـ ٤٢٦

(٤) فتح القدير / الشوكاني ج٥ صـ ٢٩٢ وانظر روح المعاني / الألوسي ج٢٩ صـ ٦١

(٥) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج١٧ صـ ٢٣٤

٣٠) وَنَى

" الوَنَي أو الوَنْي الضعف والخور والفتور والكِلال والإعياء. يقال وَنَى في الأمر يَنِي بالكسر ونى ونيا أي ضعف فهو وان وفلان لا يني يفعل كذا أي لا يزال يفعله، وتوانى في حاجته قصر."[١]

وقد ورد اللفظ في القرآن الكريم مرة واحدة في توجيه الله سبحانه وتعالى لموسى وهارون عليها السلام في عدم الفتور والملل والتقصير في ذكره قال سبحانه فقال:﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى﴾ **[طه:٤٢]**

(١) مختار الصحاح / الرازي صـــ ٣٠٧ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج١٥ صـــ ٤١٥، وغريب القرآن / السجستاني صـــ ٨٨ والتبيان في تفسير غريب القرآن / شهاب الدين المصري صـــ ٤٨٢

المطلب الثاني

ألفاظ اشترك فيها المدح والذم

والألفاظ هنا قمت باستنباطها بناء على ورودها بمدح الله لها، أو الحث عليها، أو الأمر بها، أو مجيئها وصفا للمؤمنين؛ فكانت مواضع مدح. وأما مواضع الذم فهي ما نهى الله عنه من الصفات والأفعال أو جاء وصفا للكافر. ومن هنا فإن ألفاظ الذم تحتمل انصرافها إلى كفر مخرج من الملة، أو ذنب منهي عنه يفهم ذلك من سياق النص القرآني.

١) آل أو أوّل

" التأويل تفسير ما يئول إليه الشيء وقد أوله تأويلا وتأوله بمعنى، وآل الرجل أهله وعياله وآله أيضا أتباعه، والآل الشخص، والآل أيضا الذي تراه في أول النهار وآخره كأنه يرفع الشخوص وليس هو السراب." (١) قال الله تعالى في أهل الضلال(٢) : ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ﴾ [آل عمران:٧] وقد بحثت اللفظ ومعناه بشيء من التفصيل في ضوابط التكفير عند السلف الصالح ومتى يكون التأويل عذرا في الكفر.(٣)

٢) بَسَط

" بسط في أسماء الله تعالى الباسط هو الذي يبسط الرزق لعباده ويوسعه عليهم بجوده ورحمته، ويبسط الأرواح في الأجساد عند الحياة والبَسْطُ نقيض القبض، وبسط الشيء نشره وبالصاد أيضا، و بسط فلان يده بما يحب ويكره، وبسطها مدها وفي التنزيل العزيز ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى﴾ [المائدة:٢٨] والبسطة الفضيلة وفي التنزيل العزيز قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ﴾ [البقرة:٢٤٧]"(٤)

وقال المناوي رحمه الله:" البسط توسعة المجتمع إلى حد غاية قاله الحرالي وقال الراغب رحمه الله: بسط الشيء نشره وتوسيعه، فتارة يتصور منه الأمران وتارة أحدهما، والبساط الأرض المتسعة والبسيطة الأرض واستعير البسيط لكل شيء لا يتصور فيه تركيب

---

(١) مختار الصحاح / الرازي صـ ١٣، وانظر لسان العرب ج١١ صـ ٣٢

(٢) قال الكلبي في التسهيل أنها نزلت في نصارى نجران انظر ج١ صـ ١٠٠ ونقل السيوطي في الدر المنور عن ابن جريج أنهم المنافقون وأورد حديثا عند الطبراني أنهم هم الخوارج انظر ج٢ صـ ١٤٧ ، ١٤٨ وانظر تفسير ابن كثير ج١ صـ ٣٤٧ وتفسير الطبري ج٣ صـ ١٧٦ وتفسير القرطبي ج٤ صـ ٩ وقال الزمخشري في الكشاف ج١ صـ ٣٦٦ أنهم أهل البدع وقال الشوكاني في فتح القدير ج١ صـ ٣١ هم اليهود

(٣) راجع صـ ١٦٢

(٤) لسان العرب / ابن منظور ج٧ صـ ٢٥٨ ، ٢٥٩ باختصار كبير وانظر المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صـ ٥٦

وتأليف ونظم نحو قوله تعالى:﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ﴾ [الشورى:٢٧] أي وسعه، وبسط الكف يستعمل تارة للطلب نحو قوله تبارك وتعالى:﴿ كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ ﴾ [الرعد:١٤] وتارة للأخذ نحو قوله سبحانه:﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الأنعام:٩٣] وتارة للصولة والضرب نحو:﴿ وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾ [الممتحنة:٢] وتارة للبذل والإعطاء نحو قوله عز وجل:﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤] وتارة لغير ذلك."[١]

وجاء البسط في القرآن ممدوحا في مواضع عدة قال تعالى في وصف طالوت:﴿ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ﴾ [البقرة:٢٤٧] وقال سبحانه يمن على عاد:﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ﴾ [الأعراف:٦٩]

وجاء البسط في معرض الذم فقال سبحانه وتعالى:﴿ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ﴾ [المائدة:١١] ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ﴾ [المائدة:٢٨] ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ ﴾ [الرعد:١٤] ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء:٢٩]

٣) بَغَض

" البُغْض ضد الحب، وقد بَغُض الرجل من باب ظرف أي صار بغيضا، وبَغَضَّه الله إلى الناس تبغيضا فأبغضوه أي مقتوه فهو مُبْغَض، والبغضاء شدة البغض وكذا البِغضة بالكسر و التباغض ضد التحاب."[٢]

قال الراغب رحمه الله:" البغض نفار النفس عن الشيء الذي ترغب عنه وهو ضد الحب، يقال بغض الشيء بغضا وبغضته بغضاء قال الله عز وجل: ﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [المائدة:٦٤] وقوله عليه السلام: (إن الله تعالى يبغض الفاحش المتفحش)[٣] فذكر بغضه له تنبيه على نزع فيضه وتوفيق إحسانه منه."[٤]

والبغض جاء في القرآن بلفظ البغضاء كمصدر في خمسة مواضع: ممدوحا مرة واحدة في قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام لقومه:﴿ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ

---

(١) التعاريف / المناوي صـــ ١٢٩ ، ١٣٠ وانظر المفردات / الأصبهاني صـــ ٤٦

(٢) مختار الصحاح / الرازي ج١ صـــ ٢٤ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج٧ صـــ ١٢٢

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين كتاب الإيمان ج١ صـــ ٥٦ حديث رقم ٢٨ إلا أنه قال لا يحب بدل يبغض وأخرجه ابن حبان في صحيحه بنفس اللفظ ج١٢ صـــ ٥٠٦ حديث رقم ٥٦٩٤

(٤) المفردات في غريب القرآن / الأصبهاني صـــ ٥٥

وَحۡدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة:٤]

وأربعة في الذم وهي قوله تعالى:﴿قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُ ﴾ [آل عمران:١١٨]﴿فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ [المائدة:١٤]﴿وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ﴾ [المائدة:٦٤]﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ﴾ [المائدة:٩١]

٤) بَوَء

" باء إلى الشيء يبوء بَوءا رجع، والباء النكاح وهو من المباءة لأن الرجل يتبوأ من أهله أي يستمكن من أهله كما يتبوأ من داره، وباء بذنبه وبإثمه احتمله وصار المذنب مأوى الذنب، وقيل اعترف به وقوله تعالى:﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ﴾[المائدة:٢٩] وباؤوا في اللغة احتملوا يقال قد بؤت بهذا الذنب أي احتملته، وقيل باؤوا بغضب أي بإثم استحقوا به النار قال الأصمعي باء بإثمه فهو يبوء به بوءا إذا أقر به. و بوأهم منزلا نزل بهم إلى سند جبل و أبأت بالمكان أقمت به و بوأتك بيتا اتخذت لك بيتا وقوله عز وجل:﴿أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا﴾[يونس:٨٧] أي اتخذا."[1]

وقال الكفومي رحمه الله:" باء انصرف ولا يقال إلا بشر. وقال الكسائي رحمه الله: لا يكون باء إلا بشيء إما بخير وإما بشر ولا يكون لمطلق الانصراف."[2]

وقال المناوي رحمه الله :" والباءة بالمد الموضع الذي تبوء إليه الإبل ثم جعل عبارة عن المنزل."[3]

وبهاذين المعنيين ورد في القرآن الكريم ففي معنى الرجوع جاء وصف الذم وفي معنى المنزل والمقام جاء مدحا قال تعالى:﴿وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [يونس:٩٣]﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ ﴾ [يوسف:٥٦]﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ﴾ [الزُمَر:٧٤]﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ﴾ [الحشر:٩]

وفي معنى الرجوع قال جل وعلا:﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٦١] ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [البقرة:٩٠]﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٦٢]﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ﴾ [المائدة:٢٩] ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[الأنفال:١٦]

٥) ثَبَت

" ثبت فلان في المكان إذا أقام به، وأثبته السقم إذا لم يفارقه، وثبته عن الأمر كثبطه، ورجل ثبت

(١) لسان العرب / ابن منظور ج١ صـ ٣٦ وانظر المفردات / الأصبهاني صـ ٧٠
(٢) الكليات / الكفومي صـ ٢٥٠ وانظر التبيان / المصري صـ ٩٠ وغريب القرآن / السجستاني صـ ١١٧
(٣) التعاريف / المناوي ج١ صـ ١٠٩

الغدر إذا كان ثابتا في قتال أو كلام. وتثبت في الأمر والرأي و استثبت تأنى فيه ولم يعجل، ورجل ثبت أي ثابت القلب فارس شجاع، وأُثبت فلان فهو مُثبت إذا اشتدت به علته أو أثبتته جراحة فلم يتحرك وقوله تعالى:﴿لِيُثۡبِتُوكَ﴾ [الأنفال:٣٠] أي يجرحوك جراحة لا تقوم معها."(١)

وقال الراغب رحمه الله :" الثبات ضد الزوال يقال ثبت يثبت ثباتا قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ﴾ [الأنفال:٤٥] ورجل ثبت يقال ذلك للموجود بالبصر أو البصيرة فيقال فلان ثابت عندي ونبوة النبي ﷺ ثابتة والإثبات والتثبيت تارة يقال بالفعل فيقال لما يخرج من العدم إلى الوجود نحو أثبت الله كذا، وتارة لما يثبت بالحكم فيقال أثبت الحاكم على فلان كذا وثبته، وتارة لما يكون بالقول سواء كان ذلك صدقا أو كذبا فيقال أثبت التوحيد وصدق النبوة وفلان أثبت مع الله إلها آخر."(٢)

وقد جاء الثبات في القرآن ممدوحا في عدة مواضع منها قوله تعالى:﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ [البقرة:٢٦٥] وقال سبحانه:﴿وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٧] وقال عز وجل:﴿ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٧٤] وقال سبحانه:﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ ﴾ [الأنفال:١٢] وقال تبارك وتعالى:﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ ﴾ [ابراهيم:٢٧]

وجاء اللفظ في مقام الذم في موضع واحد وصفا لكفار قريش حين تأمروا على رسول الله ﷺ ليلة الهجرة قال سبحانه:﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ ﴾ [الأنفال:٣٠]

٦) جَدِل

" الجَدْل بتسكين الدال شدة الفتل، وجدلت الحبل اجدله جدْلا إذا شددت فتله. وجدَل بفتح الدال ولد الناقة والظبية. وجدَله رماه بالأرض و انجدل سقط على الأرض. و الجَدَل اللدد في الخصومة والقدرة عليها وقد جادله مجادلة وجدلا. ويقال رجل جَدِل ومجدَل ومجدال شديد الجدل جادلت الرجل فجدلته جدلا أي غلبته. ورجل جدِل إذا كان اقوي في الخصومة. والجدل مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة المناظرة والمخاصمة."(٣)

من المعاني السابقة يتضح معنى الجدل وكأن أحد المتجادلين كالحبل يفتل على صاحبه ليضيق عليه، وبالمعنى الأخر وكأن المجادل يصرع خصمه ويغلبه بالحجة كمن يصرعه بقوته فيسقطه أرضا.

وقال الجرجاني رحمه الله:" الجدل هو القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات والغرض منه إلزام الخصم وإقحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان، وهو دفع المرء خصمه عن إفساد قوله

(١) لسان العرب ج٢ / ابن منظور صـــ ١٩ ، ٢٠ باختصار

(٢) المفردات / الأصبهاني صـــ ٧٨

(٣) لسان العرب / ابن منظور ج١١ صـــ ١٠٣٢ ـــ ١٠٦ باختصار كبير جدا

بحجة أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة."[١] ثم قال الجرجاني في تعريف آخر مفرق بين الجدل والجدال:" الجدال عبارة عن مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها." [٢]

ونرى في هذا التعريف كأن الجرجاني وضع الجدل في قسم واحد وهو الخصومة مما يعنى أن الجدل كله مذموم لأنه في الحقيقة خصومة وهل يذم مثل الخصومة أمر؟!

لكن الإمام الرازي رحمه الله قال قولا فصلا في هذا المعنى مبينا أن الجدل على قسمين مذموم وممدوح:" من الناس من عاب الاستدلال والبحث والنظر والجدال واحتج بوجوه: أحدها: أنه تعالى قال: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٧] وهذا يقتضي نفي جميع أنواع الجدال، ولو كان الجدال في الدين طاعة وسبيلاً إلى معرفة الله تعالى لما نهى عنه في الحج، بل على ذلك التقدير كان الاشتغال بالجدال في الحج ضم طاعة إلى طاعة فكان أولى بالترغيب فيه. وثانيها: قوله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًاۢ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزُّخرُف:٥٨] عابهم بكونهم من أهل الجدل وذلك يدل على أن الجدل مذموم .

وأما جمهور المتكلمين فإنهم قالوا: الجدال في الدين طاعة عظيمة واحتجوا عليه بقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل:١٢٥] وبقوله تعالى حكاية عن الكفار إنهم قالوا لنوح عليه السلام: ﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا ﴾ [هود:٣٢] ومعلوم أنه ما كان ذلك الجدال إلا لتقرير أصول الدين.إذا ثبت هذا فنقول لا بد من التوفيق بين هذه النصوص فنحمل الجدل المذموم على الجدل في تقرير الباطل وطلب المال والجاه. والجدل الممدوح على الجدل في تقرير الحق ودعوة الخلق إلى سبيل الله والذب عن دين الله تعالى." [٣]

وربما حمل المعرفين للجدل على انه صنف واحد مذموم لأنه ورد في القرآن في موضع الذم ما يربو على خمس وعشرين مرة بينما ورد في سياق المدح أربع مرات أورد أمثلة لها فيما يلي ثم أتبعها بأمثلة على الجدل المذموم .

أما الجدل الممدوح فجاء في مواضع أربع وهي : ــ

أولا : ــ في الدعوة إلى الله تعالى

قال سبحانه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل:١٢٥]

ثانيا : ــ في مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن

قال سبحانه: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ﴾ [العنكبوت:٤٦]

---

(١) التعريفات صـــ ١٠١ وانظر الكليات / الكفومي صـــ ٣٥٣

(٢) التعريفات / الجرجاني صـــ ١٠١ التعاريف / المناوي صـــ ٢٣٣ وتاج العروس / الزبيدي ج٢٨ صـــ ١٩٤ و فيض القدير / عبد الرؤوف المناوي ج٦ صـــ ١١١

(٣) التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج٥ صـــ ١٤٢ ، ١٤٣

ثالثا : ــ في المجادلة لمعرفة الصواب والحقوق والواجبات

قال تعالى:﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة:١]

رابعا : ــ في المجادلة للاستفسار عن أمر خفي

قال تعالى:﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود:٧٤]

ومن أمثلة الجدل المذموم

أولا : ــ كفار قريش

وقد تعدد جدالهم في أمور عدة منها: ــ

١ــ جدالهم في أكل الميتة بزعمهم أن ما يأكله المسلمون بالذبح ميتة فقالوا كيف تأكلون ما تميتونه ولا تأكلون ما أماته الله؟ قال تعالى:﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ [الأنعام:١٢١]

٢ــ مجادلتهم للنبي ﷺ بالباطل وطلب المعجزات من اجل الاستهزاء لا للإيمان قال تعالى:﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [الكهف:٥٦]

٣ــ مجادلة النظر بن الحارث في قدرة الله سبحانه وصفاته دون دليل أو برهان حين قال إن الملائكة إناثا والقرآن أساطير الأولين ولا يبعث الله الموتى(١) قال تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الحج:٣]

٤ــ مجادلتهم بعد ظهور الأدلة والبراهين على وجود الله تعالى قال سبحانه:﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحج:٦٨]

٥ــ مجادلة الكفار بشكل عام قال تعالى:﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [غافر:٤]

٦ــ مجادلتهم لمجرد الجدل دون دليل أو برهان قال تعالى:﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [غافر:٥]

٧ــ مجادلتهم لكبر في صدورهم وعمى في قلوبهم ووقر في آذنهم دون دليل أو برهان قال عز وجل:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ [غافر:٥٦] وقال سبحانه:﴿ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ [الشورى:٣٥]

٨ــ مجادلتهم لمجرد المجادلة ومقارنة بين الله سبحانه وبين ما يعبدون من أصنام قال تعالى:﴿ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ﴾ [الزخرف:٥٨]

ثانيا : ــ الأقوام السابقة

---

(١) انظر أضواء البيان / الشنقيطي ج٧ صــ ١٦٢، ج٨ صــ ٢٥٦ ، والتسهيل لعلوم التنزيل / الكلبي ج٢ صــ ٢٠٦

في قوم هود عليه السلام حين جادلهم في عبادة الأصنام قال تعالى:﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [الأعراف:٧١]

وفي قوم نوح حين جادلهم في المؤمنين معه حين طلبوا منه طردهم من عنده قال تعالى على لسانهم:﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود:٣٢]

ثالثا : ــ جدل الإنسان عامة في الدنيا والآخرة

كمجادلة كل نفس عن نفسها لا هم لها إلا خلاصها يوم القيامة قال تعالى:﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [النحل:١١١] وفى طبيعة الإنسان أنه خلق مجادلا ومخاصما لا ينيب للحق ولا ينزجر لموعظة قال تعالى:﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[الكهف:٥٤]

رابعا : ــ في الحج

الجدال في الحج المراد منه القول البذيء الذي لا ينبغي للحاج أن يتلفظ به قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٧]

خامسا : ــ المنافقين

في طعمة بن أبيرق حين سرق درعا ووضعها في بيت يهودي ليتهمه، وجاء أهله إلى النبي ﷺ ليدافع عنه فدافع عنه[١] قال تعالى:﴿ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [النساء:١٠٩]

سادسا: ــ أهل الكتاب

مجادلتهم في وجود الله ووحدانيته قال تعالى:﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد:١٣] قال الطبري رحمه الله:" عن مجاهد قال جاء يهودي إلى النبي ﷺ فقال أخبرني عن ربك من أي شيء هو من لؤلؤ أو من ياقوت فجاءت صاعقة فأخذته فأنزل الله :﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾"[٢]

٧) جَهَر

" الجَهْرَة ما ظهر، ورآه جهرة لم يكن بينهما ستر، ورأيته جهرة وكلمته جهرة وفي التنزيل العزيز﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء:١٥٣] أي غير مستتر عنا بشيء وقوله عز وجل:﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ

---

(١) انظر الكشاف / الزمخشري ج١ صـــ ٥٩٥

(٢) تفسير الطبري ج١٣ صـــ ١٢٥ وانظر تفسير القرطبي ج١٤ صـــ ٧٤

جَهۡـرَةٗ﴾ [البقرة:٥٥] قال ابن عرفة أي غير محتجب عنا، وقيل أي عيانا يكشف ما بيننا وبينه. و الجهر العلانية يقال جهر بالقول إذا رفع به صوته و جهر الشيء علُن وبدا و جهر بكلامه ودعائه وصوته وصلاته وقراءته أعلن به وأظهره. وقال بعضهم: جهر أعلى الصوت و أجهر أعلن، ورجل جهير الصوت أي عالي الصوت وكذلك رجل جهوري الصوت رفيعه."(١)

و قال الراغب رحمه الله:" جهر يقال لظهور الشيء بإفراط حاسة البصر أو حاسة السمع أما البصر فنحو رأيته جهارا قال الله تعالى:﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡـرَةٗ﴾ [البقرة:٥٥]﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ [النساء:١٥٣] ومنه جهر البئر واجتهرها إذا أظهر ماءها: وأما السمع فمنه قوله تعالى:﴿ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ [الرعد:١٠] وقال عز وجل:﴿ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾ [طه:٧] وقيل كلام جوهري وجهير يقال لرفيع الصوت ولمن يجهر بحسنه."(٢)

وجاء اللفظ ممدوحا في القرآن كقوله تعالى:﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ﴾ [النحل:٧٥] وقوله تعالى:﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا﴾ [نوح:٨]

وجاء في سياق الذم والنهى فقال سبحانه:﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡـرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة:٥٥] ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء:١١٠]﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ [الحجُرات:٢]

وجاء اللفظ مجتمعا بين المدح والذم في قوله تعالى:﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء:١٤٨]

٨) حَبَب

"الحب نقيض البغض، والحب الوداد والمحبة وكذلك الحِب بالكسر، والمحبة أيضا اسم للحب و الحِباب بالكسر المحابة والموادة والحب."(٣)

وقال الكفومي رحمه الله:" الحب هو عبارة عن ميل الطبع في الشيء الملِذ. فإن تأكد الميل وقوي يسمى عشقا."(٤) وقال المناوي رحمه الله:" الحب إحساس بوصلة لا يدرى كنهها."(٥)

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج٤ صـ ١٤٩ ، ١٥٠ باختصار كبير، وانظر المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفي وآخرين ج١ صـ ١٤٢

(٢) الكليات / الكفومي صـ ٣٥٦ ، ٣٥٧

(٣) لسان العرب / ابن منظور ج١ صـ ٢٨٩

(٤) الكليات / الكفومي صـ ٣٩٨

(٥) التعاريف / المناوي صـ ٢٦٥

وقد فصل السجستاني رحمه الله في المحبة وقسمها ثلاثة أقسام فقال:" وحبة القلب تشبيها بالحبة في الهيئة وحببت فلانا يقال في الأصل بمعنى أصبت حبة قلبه نحو شغفته وكبدته وفأدته وأحببت فلانا جعلت قلبي معرضا لحبه. والمحبة إرادة ما تراه أو تظنه خيرا وهي على ثلاثة أوجه محبة للذة كمحبة الرجل المرأة ومنه﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان:٨] ومحبة للنفع كمحبة شيء ينتفع به ومنه﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ﴾ [الصف:١٣] ومحبة للفضل كمحبة أهل العلم بعضهم لبعض لأجل العلم."(١)

وقال شيخ الإسلام رحمه الله:" فأصل المحبة المحمودة التي أمر الله بها وخلق خلقه لأجلها هي ما في عبادته وحده لا شريك له إذ العبادة متضمنة لغاية الحب بغاية الذل. والمحبة لما كانت جنسا لأنواع متفاوتة في القدر والوصف كان أغلب ما يذكر منها في حق الله ما يختص به ويليق به مثل العبادة والإنابة ونحوهما فإن العبادة لا تصلح إلا لله وحده وكذلك الإنابة، وقد تذكر المحبة المطلقة لكن تقع فيها الشركة كما قال تعالي:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة:١٦٥] ولهذا كان هذا الحب أعظم الأقسام المذمومة في المحبة، كما أن حب الله أعظم الأنواع المحمودة، بل عبادة الله وحده لا شريك له هي أصل السعادة ورأسها التي لا ينجو أحد من العذاب إلا بها، وعبادة إله آخر من دونه هو أصل الشقاء ورأسه الذي لا يبقي في العذاب إلا أهله.

فأهل التوحيد الذين أحبوا الله وعبدوه وحده لا شريك له لا يبقي منهم في العذاب أحد، والذين اتخذوا من دونه أندادا يحبونهم كحبه وعبدوا غيره هم أهل الشرك الذين قال الله تعالي فيهم:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾[النساء:٤٨] وجماع القرآن هو الأمر بتلك المحبة ولوازمها والنهي عن هذه المحبات ولوازمها ثم ضرب رحمه الله الأمثال والمقاييس للنوعين وذكر قصص أهل النوعين."(٢)

وقد جاء لفظ المحبة والحب في القرآن كثيرا يصعب حصره في هذا المبحث أكتفي بذكر بعض الأمثلة على النوعين ففي المحبة الممدوحة قال سبحانه:﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة:١٦٥] ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران:٣١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة:٥٤]﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى ﴾ [طه:٣٩] ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف:١٣]

وفي المذموم منها قال جل وعلا:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ﴾ [البقرة:١٦٥]﴿هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ﴾ [آل عمران:١١٩]﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى

---

(١) غريب القرآن / السجستاني صـــ ٣٠٥ ، ٣٠٦

(٢) قاعدة في المحبة / ابن تيمية الحراني صـــ ١٠ ، ١١ وانظر إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان / ابن القيم ج٢ صـــ ١٣٣

﴿وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف:٧٩]﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ﴾ [ابراهيم:٣]﴿كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ﴾ [القيامة:٢٠]﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر:٢٠]

٩) حَجَج

" المحاجة مأخوذة من الحَجِّ، وأصل الحَجُّ الغلبة بالحُجَّة، يقال : حجَّه يحجُّه حجّاً إذا غلبه على حجَّته. وفي الحديث (فحجَّ آدمُ موسى)[١] أي أغلبه بالحجَّة والحَجُّ كثرة الاختلاف والتردُّد، وقد حجَّ بنو فلان فلاناً إذا أَطالوا الاختلاف إليه وتقولُ: حججتُ فلاناً إذا أَتَيْتَه مرّةً بعد مرّة فقيل : حُجَّ البيت؛ لأَنّهم يأْتونه كلَّ سنة. وفي حديث الدجال في مسلم (إن يخرج وأنَا فيكم فأنا حجيجه)[٢] أي مُحاججه ومغالبه بإظهار الحُجَّة."[٣]

قال الكفومي رحمه الله:" الحج معناه اللغوي القصد على جهة التعظيم، والحُجة بالضم البرهان وعند النظار أعم منه لاختصاصه عندهم بيقين المقدمات وما ثبت به الدعوى من حيث إفادته للبيان يسمى بينة، ومن حيث الغلبة به على الخصم يسمى حُجة، والمجادلة الباطلة قد تسمى حجة كقوله تعالى: ﴿حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ﴾ [الشورى:١٦] إما على حسبانهم ومساقهم أو على أسلوب قولهم."[٤] وعرفها الراغب رحمه الله فقال:" أن يطلب كل واحد أن يرد الآخر عن حجته ومحجته."[٥] قال المناوي رحمه الله:" المحاجة تثبيت القصد والرأي لما يصححه."[٦]

وقد تأتى الحجة بمعنى البينة الواضحة كقوله تعالى:﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الأنعام:١٤٩] وحجة الله قد يهبها لعباده فيلهمهم البرهان على قولهم كما تفضل بها على سيدنا إبراهيم عليه السلام قال سبحانه:﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ﴾ [الأنعام:٨٣]

وما عدا هاتين الآيتين جاءت المحاجة مذمومة في القرآن منها ما نهى المسلمون عن القيام به كقوله تعالى:﴿لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ﴾ [الشورى:١٥] و منها ما كان من فعل الكفار

---

(١) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب قوله تعالى: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾ [طه:٤١] ج٤ صـ ١٧٦٤ حديث رقم ٤٤٥٩ والإمام مسلم في صحيحه كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ج٤ صـ ٢٠٤٣ حديث رقم ٢٦٥٢

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ذكر الدجال وصفته وما معه ج٤ صـ ٢٢٥٠ حديث رقم ٢٩٣٧

(٣) تاج العروس / الزبيدي ج٥ صـ ٤٦٠

(٤) الكليات / الكفومي صـ ٤٠٥

(٥) المفردات / الأصبهاني صـ ١٠٨

(٦) التعاريف / المناوي صـ ٦٤٠

أو أهل الكتاب فمن محاجة أهل الكتاب المذمومة قوله تعالى:﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:٦١] و قوله تعالى:﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾ [آل عمران:٢٠]

ومن أمثلة المحاجة المذمومة الواقعة من الكفار قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ [البقرة:٢٥٨] وقوله تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ [الشورى:١٦] وقوله تعالى:﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ﴾ [غافر:٤٧]

ومما اجتمع فيه المدح والذم قوله تعالى:﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [آل عمران:٦٦]

١٠) حَذِر

" حذر حَذَرا تيقظ واستعد، وحذر الشيء ومنه خافه واحترز منه فهو حاذر وحَذِر. و الشيء محذور ومحذور منه و حذره من الشيء خوفه وفي التنزيل العزيز﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران:٢٨] وحذار اسم فعل أمر بمعنى احذر، و المحذور ما يتقى و يحترز منه و في التنزيل العزيز﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء:٥٧] والمحذورة الفزع عينه والداهية والصيحة والخيل المغيرة."(١)

وقال الكفومي رحمه الله:" الحذر هو اجتناب الشيء خوفا منه قيل الحذر بكسر الذال المتيقظ والحاذر المستعد وقيل الحاذر من يحذرك ."(٢) وقال المناوي رحمه الله:" الحذر محركا احتراز عن مخيف ومنه﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران:٢٨] و﴿خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء:٧١]"(٣)

وقد قسم القرآن الكريم الحذر إلى نوعين ممدوح ومذموم: أما الحذر الممدوح فهو من علامات الإيمان قال تعالى:﴿وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٢]

وأمر سبحانه عباده بالحذر منه ومن عذابه فقال تبارك وتعالى:﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقرة:٢٣٥] ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران:٢٨] [آل عمران:٣٠] وقال سبحانه:﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟﴾ [المائدة:٩٢] وقال سبحانه﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء:٥٧]

وكذالك حذر نبيه ﷺ من الضلال؛ بإتباع أهواء وشهوات الفاسقين بأن يحكم بغير ما أنزل الله في قوله تعالى:﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ﴾ [المائدة:٤٩]

وأمر سبحانه بالحذر من المنافقين فقال:﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون:٤]

---

(١) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صـ ١٦٢ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج٤ صـ ١٧٥

(٢) الكليات / الكفومي صـ ٤٠٩

(٣) التعاريف / المناوي صـ ٢٧١ وانظر المفردات / الأصبهاني صـ ١١١

وأمر تبارك وتعالى بالحذر من الكفار ومجاهدتهم فقال:﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴾ [النساء:٧١] وقال سبحانه:﴿وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ﴾ [النساء:١٠٢]

وكذا حذر سبحانه من الوقوع في فتنة المال والولد فقال:﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ [التغابن:١٤]

ومدح سبحانه العابد الساجد المحاذر من عذاب الله يوم القيامة قال تبارك وتعالى:﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ [الزمر:٩]

وأما الحذر المذموم فهو الذي يصدر من ضعيف الإيمان، أو الكافر الطاغوت، أو المنافق. وقد يصدر من النفس، أو من تحذير الآخرين للإنسان

و ضرب الله مثلا لضعيف الإيمان بأهل القرية التي فرت من الموت بسبب الطاعون أو الجهاد."[١] قال سبحانه:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ [البقرة:٢٤٣]

وذم الله حذر الكفار والطواغيت كقوله تعالى عن فرعون وملئه في كيدهم لموسى عليه السلام ومن معه:﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ [الشعراء:٥٦]

وذم الله حذر المنافقين من الموت فقال سبحانه:﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ [البقرة:١٩]
وكذلك حذرهم من انكشاف ما يبطنونه من مؤامرات ونوايا خبيثة ضد الإسلام والمسلمين، كما في قوله تعالى:﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة:٦٤]

وكذلك ذم الله فعل اليهود في تحذير بعضهم بعضا من القبول بحكم النبي ﷺ في جلد وتحميم الزاني المحصن[٢] قال سبحانه:﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ﴾ [المائدة:٤١]

١١) حَرَص

" الحِرْصُ شدة الإرادة والشره إلى المطلوب، وقال الجوهري: الحرص الجشع."[٣]

وقال المناوي رحمه الله:" فرط الشهوة وفرط الإرادة، وقال أبو البقاء: شدة الانكماش على الشيء والجد في طلبه، وعبر عنه بعضهم بقوله طلب الشيء باجتهاد في إصابته."[٤]

---

(١) انظر تفسير الطبري ج٢ صــ ٥٨٦

(٢) انظر أضواء البيان / الشنقيطي ج١ صــ ٤٠٤

(٣) لسان العرب / ابن منظور ج٧ صــ ١١ وانظر المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صــ ١٦٦

(٤) التعاريف / المناوي صــ ٢٧٤ وانظر التعريفات / الجرجاني صــ ١١٤ والمفردات / الأصبهاني صــ ١١٣

وقد ورد اللفظ وصفا للنبي ﷺ في حبه وحرصه على دخول كل الناس في الإسلام قال تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم﴾ [التوبة:١٢٨] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣] وقال تعالى: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [النحل:٣٧] وجاء كذلك مدحا لحال المسلم المتزوج من اثنتين فأكثر قال سبحانه: ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ﴾ [النساء:١٢٩]

وجاء اللفظ مرة واحدة في سياق الذم في وصف اليهود والمشركين وتعلقهم بالحياة الدنيا قال تبارك وتعالي ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ﴾ [البقرة:٩٦]

١٢) حَرَف

" حرفا الرأس شقاه و حرف السفينة والجبل جانبهما و الحرف من الجبل ما نتأ في جنبه منه، وحرف كل شيء طرفه وشفيره وحده، و حرف الشيء ناحيته، وفلان على حرف من أمره أي ناحية منه كأنه ينتظر ويتوقع فإن رأى من ناحية ما يحب وإلا مال إلى غيرها، وتحريف القلم قطه، و تحريف الكلم عن مواضعه تغييره، والتحريف في القرآن والكلمة تغيير الحرف عن معناه والكلمة عن معناها وهي قريبة الشبه كما كانت اليهود تغير معاني التوراة بالأشباه فوصفهم الله بفعلهم فقال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء:٤٦] وحرفت الشيء عن وجهه حَرْفا، ويقال ما لي عن هذا الأمر مَحْرَف وما لي عنه مصرف بمعنى واحد."[١]

وقال المناوي رحمه الله:" التحريف الإمالة، وتحريف الشيء إمالته، كتحريف العلم وتحريف الكلام أن تجعله على حرف من الاحتمال يمكن حمله على الوجهين."[٢]

وقد جاء اللفظ بصيغة التَحَرْف ممدحوا في قوله تبارك تعالى: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا﴾ [الأنفال:١٦]

وجاء في سياق الذم بصيغة التحريف والحرف أما التحريف ففي قوله تعالى عن اليهود في تحريفهم لكتاب الله: ﴿وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٧٥] ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء:٤٦] ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ﴾ [المائدة:١٣] ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ﴾ [المائدة:٤١]

وأما لفظ الحرف فجاء في وصف ضعاف الإيمان الشاكين المترددين قال تعالى يصف بعض الأعراب: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ﴾ [الحج:١١] قال الطبري رحمه الله:" يعني

(١) لسان العرب / ابن منظور ج٩ صـ ٤٢ ، ٤٣ باختصار كبير وانظر المفردات / الأصبهاني صـ ١١٤
(٢) التعاريف / المناوي صـ ١٦٣

جل ذكره بقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف أعرابا كانوا يقدمون على رسول الله ﷺ مهاجرين من باديتهم، فإن نالوا رخاء من عيش بعد الهجرة والدخول في الإسلام أقاموا على الإسلام، وإلا ارتدوا على أعقابهم. فقال الله ومن الناس من يعبد الله على شك فإن أصابه خير اطمأن به؛ وهو السعة من العيش وما يشبهه من أسباب الدنيا اطمأن به يقول استقر بالإسلام وثبت عليه."(١)

١٣) حَرَم

" الحُرْم بوزن القُفْل الإحرام قالت عائشة رضي الله عنها (كنت أطيب رسول الله لحله وحُرْمه)(٢) أي عند إحرامه و الحُرْمة ما لا يحل انتهاكه وكذا المُحرمة بضم الراء وفتحها، و حُرْمة الرجل حرمه وأهله ورجل حَرَام أي مُحْرِم والجمع حُرُم ومن الشهور أربعة حرم أيضا. والحرام ضد الحلال، ومكة حَرَم الله والحرمان مكة والمدينة والمُحَرَّم الحرام ويقال هو ذو محرم منها إذا لم يحل له نكاحها. والتحريم ضد التحليل و حريم البئر وغيرها ما حولها من مرافقها وحقوقها وأحرمه أيضا إذا منعه إياه، وأحرم الرجل دخل في الشهر الحرام وأحرم بالحج والعمرة لأنه يحرم عليه ما كان حلالا من قبل كالصيد والنساء. والإحرام أيضا بمعنى التحريم يقال أحرمه وحرمه بمعنى."(٣)

وقال المناوي رحمه الله:" التحريم تكرار الحرِمة بالكسر وهي المنع من الشيء لدناءته، والحُرمة بالضم المنع من الشيء لعلوه."(٤)

وقد ورد اللفظ في القرآن الكريم بإسهاب وبصيغ متعددة ويدور معناه على الأصل اللُغوي وهو المنع ومنها ما جاء ممدوحا ومنها ما جاء في سياق الذم ومما جاء في المدح كتحريم الله لبعض الأماكن كالمسجد الحرام والمشعر الحرام وبعض الأزمنة كالأشهر الحرم وذلك تفضل من الله على عباده للطمأنينة فيها وتشريفا وتكريما لها قال تعالى:﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ [البقرة:١٤٤]﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ﴾ [البقرة:١٩٨]﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ [البقرة:٢١٧]﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة:٣٦]﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ﴾ [إبراهيم:٣٧]﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا ﴾ [القصص:٥٧]

وكذلك كل تحريم في كتاب الله فهو ممدوح لأنه تشريع من الله في مصلحة خلقه كتحريم الفواحش والخبائث والتعدي والبغي والشرك والأمر بالمنكر والكذب على الله وقتل النفس وشرب الخمر قال

---

(١) تفسير الطبري ج١٧ صـ ١٢٢ وانظر تفسير ابن كثير ج٣ صـ ٢١٠

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الحج باب الطيب للمحرم عند الإحرام ج٢ صـ ٨٤٦ حديث رقم ١١٨٩

(٣) مختار الصحاح / الرازي صـ ٥٦ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج١٢ صـ ١١٩ وما بعدها

(٤) التعاريف / المناوي صـ ١٦٣

تعالى:﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣] وقال سبحانه:﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ [الأعراف:١٥٧] وقال سبحانه:﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الإسراء:٣٣]

وقد جاء اللفظ في حق النبي ﷺ لفعله خلاف الأولى قال سبحانه:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التحريم:١]

ومما جاء في مضمار الذم تحريم الخلق ما لم يحرمه الله لمصلحة عندهم أو جاء من الله عقابا لهم أو وصفا لحالهم يوم القيامة ومن أمثلة ذلك:ـ

١ـ قوله تعالى في اليهود والنصارى والكفار:﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء:١٦٠] ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ ﴾ [المائدة:٢٦] ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ ﴾ [الأنعام:١٤٦]﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ [التوبة:٢٩] ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [النحل:١١٨] ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ ﴾ [المائدة:٧٢]

٢ـ قوله تعالى في تعدي المشركين بتحريمهم ما أحل الله:﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ ﴾[الأنعام:١٣٩]﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الأنعام:١٤٠]﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ ﴾ [الأعراف:٣٢]﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا ﴾ [التوبة:٣٧]﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾[يونس:٥٩]﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ ﴾ [النحل:١١٦]

٣ـ قوله تعالى ناهيا المؤمنين عن ارتكاب هذا الإثم العظيم:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ﴾ [المائدة:٨٧]

٤ـ في وصف الكفار يوم القيامة عقابا لهم قال تعالى:﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف:٥٠]﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [الواقعة:٦٧][القلم:٢٧]

١٤) حَسَب أو حَسِب

" حَسَب المال و نحوه حِسابا وحُسُبانا عده وأحصاه وقدره. وحَسِب الشيء كذا حسبانا ظنه

وأحسب و يقال أحسب الشيء فلانا أعطاه أو أطعمه وسقاه حتى قال حسبي. وحاسبه ناقشه الحساب وجازاه، واحتسب بكذا اكتفى به، وعلى فلان الأمر أنكره، والأمر حِسِبه وظنه وفي التنزيل العزيز ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٣] واحتسب الأجر على الله فعله مدخرا أجره عند الله. والحساب العد و الكثير الكافي و في التنزيل العزيز ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ:٣٦] ويوم الحساب يوم القيامة. ويقال حسبك هذا اكتف به والحسبان العد و التدبير الدقيق و في التنزيل العزيز ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن:٥] والمحتسب من كان يتولى منصب الحسبة ."[١]

وقال الكفومي رحمه الله:" الحُسبان بالضم مصدر (حَسَب) بفتح السين وبالكسر، والكسر والفتح في مضارعه لغتان بمعنى واحد وما كان في القرآن من الحسبان قرئ باللغتين جميعا والفتح عند أهل اللغة أقيس كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران:١٦٩] وقد يأتي حسِب لليقين كقوله حسبت التقى والجود خير تجارة ."[٢] وقال المناوي رحمه الله:" الحساب استعمال العدد و ما يحاسب عليه فيجازى بحسبه."[٣]

وجاء اللفظ في القرآن بصيغ متعددة ومعاني متباينة منها في سياق المدح ومنها محمولا على الذم ومن هذه المعاني:

١ــ الظن

وقد ورد في سياق المدح فقال سبحانه: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان:١٩] ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف:٩] ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٣]

ومما جاء في مضمار الذم وهو أكثر ما ورد في القرآن قوله سبحانه ناهيا المؤمنين: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم﴾ [البقرة:٢١٤] ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ [التوبة:١٦]

وقوله سبحانه عن اليهود: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران:٧٨] ﴿وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟﴾ [المائدة:٧١] وقوله سبحانه ذاما الكفار على ظنهم الخاطئ في عدم تعجيل العذاب لهم وبخلهم وفرحهم بالمدح على ما لم يفعلوا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران:١٧٨] ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾ [آل عمران:١٨٠] والآيات

---

(١) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صـــ ١٧١ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج١ صـــ ٣١٠

(٢) الكليات / الكفومي صـــ ٣٩٧ ، ٣٩٨

(٣) التعاريف / المناوي صـــ ٢٧٨

فيما شابه ذلك كثيرة منها ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾ [الأنفال:٥٩] ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ [الكهف:١٠٢] ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:١٠٤] ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴾ [المؤمنون:٥٥] ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٥] ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ [النور:١٥] ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت:٢] ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ ﴾ [العنكبوت:٤] ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزُخرف:٣٧] ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمۚ ﴾ [الزُخرف:٨٠] ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [الجاثية:٢١] ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴾ [محمد:٢٩] ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ [المجادلة:١٨]

وكذلك ورد بمعنى الظن في وصف الإنسان بصفة عامة كقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ [القيامة:٣] ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:٣٦] ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ [البلد:٥] ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ [البلد:٧] ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ [الهُمَزة:٣]

٢ــ العد والإحصاء

ومما جاء ممدحوا كقوله تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًاۚ ﴾ [الأنعام:٩٦] ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ [الرحمن:٥] ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾ [الأنعام:٦٢] ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧] ﴿لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾ [يونس:٥] [الإسراء:١٢]

وفي سياق الذم قال سبحانه: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء:١٤]

٣ــ العد والإحصاء من أجل الجزاء

قال تعالى في المدح: ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [البقرة:٢٠٢] [آل عمران:١٩] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران:٣٧] ﴿ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّىۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴾ [الشعراء:١١٣] ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ [الحاقة:٢٠] ﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ:٣٦]

وقال سبحانه في الذم: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُۚ ﴾ [البقرة:٢٠٦] ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ ﴾ [التوبة:٦٨] ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [الرعد:١٨] ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزُمَر:٤٧] ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْۚ ﴾ [المنافقون:٤] ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَاۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [المجادلة:٨] ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا

﴿وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا﴾ [الطلاق:٨] ﴿وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ﴾ [الحاقة:٢٦] ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية:٢٦]

٤ــ بمعنى الكفاية

وجاء مدحا في اعتماد النبي ﷺ والمؤمنون على ربهم قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣] ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأنفال:٦٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٤] ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ [التوبة:١٢٩] ﴿قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر:٣٨] ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق:٣]

وجاء اللفظ بهذا المعنى في سياق الذم مرة واحدة في قوله تعالى حكاية عن الكفار: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ﴾ [المائدة:١٠٤]

٥ــ بمعنى البلاء والهلاك

قال تبارك تعالى: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا﴾ [الكهف:٤٠] ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾ [الأنبياء:١] ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ [المؤمنون:١١٧] ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا﴾ [الطلاق:٨]

١٥) حَصِر

" حَصِرت الناقة حَصَرًا ضاق إحليلها، وفلانا ضيق عليه وأحاط به، ويقال حَصِره المرض أو الخوف منعه عن المضي لأمره وحَصِر فلان حَصَرا ضاق صدره وبخل وحاصره محاصرة و حَصارا أحاط به ومنعه من الخروج من مكانه، والحَصُور الممتنع عن الانغماس في الشهوات و في التنزيل العزيز ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا﴾ [آل عمران:٣٩] والحَصِير البساط المنسوج و في التنزيل العزيز ﴿وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء:٨] "(١)

قال الكفومي رحمه الله: " الحَصَر كل من امتنع من شيء لم يقدر عليه فقد حُصِر عنه ولهذا قيل حصر في القراءة وحصر عن أهله."(٢) وقال الجرجاني رحمه الله: " الحصر عبارة عن إيراد الشيء على عدد معين، وهو إما عقلي وإما استقرائي، وهو على ثلاثة أقسام: حصر عقلي كالعدد للزوجية والفردية، وحصر وقوعي كحصر الكلمة في ثلاثة أقسام، وحصر جعلي كحصر الرسالة على مقدمة وثلاث مقالات وخاتمة."(٣)

---

(١) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صـ ١٧٩ وانظر مختار الصحاح / الرازي صـ ٥٩

(٢) الكليات / الكفومي صـ ٣٦٠

(٣) التعريفات / الجرجاني صـ ١١٨ ، ١١٩ باختصار يسير

وظاهر من تعريف الشيخ أن معنى الحصر يدور حول المنع. وبهذه المعاني ورد اللفظ في القرآن ممدوحا فقال سبحانه في الفقراء الذين لم يستطيعوا تجهيز أنفسهم للقتال:﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ ﴾ [البقرة:٢٧٣] وعن يحي عليه السلام:﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [آل عمران:٣٩] وقال سبحانه آمرا المسلمين أن يجاهدوا الكفار ويضيقوا عليهم:﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ ﴾ [التوبة:٥] فالخطاب من الله للمسلمين أمر وأمر الله لهم ممدوح، وفي جانب الكفار عقابا لهم ومن هذا الباب يكون ذما لهم.

وجاء اللفظ في سياق الذم في قوله تعالى:﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ۚ ﴾ [النساء:٩٠] قال ابن كثير رحمه الله :" وقوله (أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ) الآية هؤلاء قوم آخرون من المستثنين من الأمر بقتالهم؛ وهم الذين يجيئون إلى المصاف وهم حصرة صدروهم أي ضيقة صدورهم مبغضين أن يقاتلوكم ولا يهون عليهم أيضا أن يقاتلوا قومهم معكم بل هم لا لكم ولا عليكم."(١)

وقال القرطبي رحمه الله:" وقال محمد بن يزيد: حصرت صدورهم هو دعاء عليهم كما تقول لعن الله الكافر. وقاله المبرد وضعفه بعض المفسرين، وقال هذا يقتضي ألا يقاتلوا قومهم وذلك فاسد لأنهم كفار وقومهم كفار وأجيب بأن معناه صحيح فيكون عدم القتال في حق المسلمين تعجيزا لهم وفي حق قومهم تحقيرا لهم."(٢)

١٦) حَكَم

" قال الأصمعي رحمه الله: أصل الحكومة رد الرجل عن الظلم ومنه سميت حكمة اللجام لأنها ترد الدابة. قال ابن سيده رحمه الله: الحكم القضاء وجمعه أحكام، والحكم مصدر قولك حكم بينهم يحكم أي قضى وحكم له وحكم عليه. الأزهري الحكم القضاء بالعدل، والحكمة العدل، ورجل حكيم عدل. وأحكم الأمر أتقنه، ويقال للرجل إذا كان حكيما قد أحكمته التجارب، والحكيم المتقن للأمور، و حكم الشيء وأحكمه كلاهما منعه من الفساد. يقال أحكمت فلانا أي منعته وبه سمي الحاكم لأنه يمنع الظالم، وقيل هو من حكمت الفرس و أحكمته و حكمته إذا قدعته وكففته، و حكمت السفيه و أحكمته إذا أخذت على يده."(٣)

---

(١) تفسير ابن كثير ج١ صــ ٥٣٤

(٢) تفسير القرطبي ج٥ صــ ٣١٠

(٣) لسان العرب / ابن منظور ج١٢ صــ ١٤٠ وما بعدها باختصار كبير جدا وانظر المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صــ ١٩٠

قال المناوي رحمه الله:" الحكم عند أهل الميزان إسناد أمر لآخر إيجابا أو سلبا. وعند أهل اللغة أن يقضى في شيء بأنه كذا أو ليس بكذا سواء ألزم ذلك غيره أم لا. والحكمة إصابة الحق بالعلم والعمل؛ فالحكمة من الله معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات بها والحكم أعم من الحكمة؛ فكل حكمة حكم ولا عكس؛ فإن الحكم له أن يقضي على شيء بشيء فيقول هو كذا أو ليس بكذا، ومنه حديث (إن من الشعر لحكمة)(١) أي قضية صادقة، وحكم الذهن على شيء بشيء تصديق واقسامه سبعة علم واعتقاد وتقليد وجهل وظن وشك ووهم."(٢)

من التعريفات السابقة يتبين أن اللفظ في أصله جاء للمدح لذا وصف الله به نفسه فقال سبحانه:﴿أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة:٣٢] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٧]﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [الأعراف:٨٧] [يونس:١٠٩] ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [هود:٤٥] ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [يوسف:٨٠] ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [التين:٨]

وكذلك وصف كتابه فقال سبحانه:﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ [آل عمران:٧]﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران:٥٨]﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:١]﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ ﴾ [محمد:٢٠]

وكذلك تفرد سبحانه في تقرير الأحكام فقال جل وعلا:﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ﴾ [الأنعام:٥٧] [يوسف:٤٠] [يوسف:٦٧]﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص:٧٠][القصص:٨٨]﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴾ [غافر:١٢]

وقد منَّ سبحانه على أنبيائه وأصفيائه بالحكمة فقال جل وعلا:﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ﴾ [البقرة:٢٥١] ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾ [البقرة:٢٦٩] ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ [آل عمران:٤٨] ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ [آل عمران:٨١] ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٥٤] ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ [المائدة:١١٠] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ﴾ [لقمان:١٢] ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ [ص:٢٠]

ومنَّ على المؤمنين بإرسال الرسل لتعليمهم الحكمة فقال جل وعلا:﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه ج٥ صـ ٢٢٧٦ حديث رقم ٥٧٩٣

(٢) التعاريف / المناوي صـ ٢٩١ ، ٢٩٢ باختصار وانظر التعريفات / الجرجاني صـ ١٢٤

ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤] ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [الجمعة:٢]

و كانت دعوة إبراهيم عليه السلام في صفة سيدنا محمد ﷺ قال سبحانه:﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ﴾ [البقرة:١٢٩] ومَنَّ الله على المؤمنين باستجابة دعوته فقال سبحانه:﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:١٥١]

وأمر سبحانه نبيه ﷺ بدعوة الناس بالحكمة فقال:﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾ [النحل:١٢٥]

وجاء الحكم في سياق الذم وهو الواقع من الكفار في عدد من المسائل مثل: ـــ

١ــ عدم تميزهم بين الله والمعبودات التي لا تضر ولا تنفع قال سبحانه:﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ [يونس:٣٥]

٢ــ قسمتهم للأنعام قال سبحانه:﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ [الأنعام:١٣٦]

٣ــ في وأدهم للبنات قال عز وجل:﴿أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ [النحل:٥٩]

٤ــ في ظنهم الإفلات من عذاب الله قال سبحانه:﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ [العنكبوت:٤]

٥ــ في كونهم يفضلون البنين على البنات ثم يصفون الله تبارك وتعالى باصطفاء الملائكة من الإناث قال تبارك وتعالى:﴿ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ﴾ ﴿مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ [الصافات١٥٣:١٥٤]

٦ــ في ظنهم الفاسد من مساواة المؤمن بالكافر في الدنيا والآخرة قال سبحانه وتعالى:﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ [الجاثية:٢١]﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [القلم:٣٥]﴿مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ [القلم٣٥:٣٦]

٧ــ في اعتقادهم الفاسد بأن حالهم وحال المؤمنين في الآخرة في الدنيا سيكون كما هو في الدنيا قال جل وعلا:﴿أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ﴾ [القلم:٣٩] قال الزمخشري:" كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها، فإذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين قالوا إن صح أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم تكن حالهم وحالنا إلا مثل ما هي في الدنيا، وإلا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا وأقصى أمرهم أن يساوونا فقيل أنحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين، ثم قيل لهم على طريقة الالتفات (مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ) هذا الحكم الأعوج كأنّ أمر

الجزاء مفوّض إليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم."(١)

١٧) حَلَل

" حلَّ الشيء حلالا صار مباحا فهو حِل وحلال والمرأة جاز تزوجها و في التنزيل العزيز﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ﴾ [البقرة:٢٣٠] والمُحْرِم جاز له ما كان ممنوعا منه و في التنزيل العزيز﴿وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ﴾ [المائدة:٢] والدَّين حلولا وجب أداؤه، وغضب الله على الناس نزل وفي التنزيل العزيز﴿فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ﴾ [طه:٨١] والعقدة حلا فكها، و يقال حل المشكلة ونحوها، والجامد أذابه، والكلام المنظوم نثره، والمكان وبه نزل به، وفي التنزيل العزيز﴿أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمۡ﴾ [الرعد:٣١] ويقال حللت القوم وحللت بهم وحللت عليهم والبيت سكنه فهو حال، وأحل المكان وبه جعله يحله وفي التنزيل العزيز﴿ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [فاطر:٣٥] والشيء أباحه وفي التنزيل العزيز﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾ [البقرة:٢٧٥]"(٢)

قال الكفومي رحمه الله:" الحلول حل بمعنى نزل في مضارعه الضم فيجوز في اسم المكان منه الكسر والفتح، وحل بمعنى وجب في مضارعه الكسر وأما (أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبًا) فبالضم بمعنى تنزل وحللته تحليلا وتحلة قال الله تعالى:﴿قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ﴾ [التحريم:٢] أي شرع لكم تحليلها بالكفارة فالتحلة ما تنحل به عقدة اليمين، والحلول هو أن يكون الشيء حاصلا في الشيء ومختصا به بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر تحقيقا أو تقديرا، والحلول أعم من القيام لأن العرض ما يحل في الجسم والحلول اختصاص الناعت بالمنعوت."(٣) وقال الجرجاني رحمه الله عن الحلال في الشرع:" الحلال كل شيء لا يعاقب عليه باستعماله وما أطلق الشرع فعله مأخوذ من الحَل وهو بالفتح."(٤)

والحلال من الأحكام الشرعية فلا يكون إلا من الله وقد قال العلماء الأصل في الأشياء الإباحة وما كان من تحريم فلا بد له من نص لذا كل ما نص الشارع على تحريمه فأحله المشرع له كان تعديا على حدود الله. وهذا يكون كل تحليل سواء ورد فيه نص أم لا فهو من باب المدح لأنه من الله.

ومما جاء فيه نص فمنه عام كقوله تعالى:﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف:١٥٧] ومنه خاص كقوله تعالى:﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ﴾ [البقرة:١٨٧]

---

(١) الكشاف / الزمخشري ج٤ صـ ٥٩٦ ، ٥٩٧

(٢) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صـ ١٩٣ ، ١٩٤ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج١١ صـ ١٦٣ وما بعدها وانظر التعاريف / المناوي صـ ٢٩٣

(٣) الكليات / الكفومي صـ ٣٩٠

(٤) التعريفات / الجرجاني صـ ١٢٤ وانظر التعاريف / المناوي صـ ٢٩٢

و جاء اللفظ في سياق الممدوح بمعنى الإزالة في قوله تعالى﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي﴾ [طه:٢٧]﴿قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [التحريم:٢]

وفي سياق التشريع جاء بمعنى الإباحة قال تعالى:﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ ﴾ [البقرة:٢٣٠]﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ ﴾ [الأحزاب:٥٠]

وجاء في سياق الذم كتحريم ما أحل الله والعكس قال تعالى:﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ ﴾ [النحل:١١٦] وتحليلهم للربا قال سبحانه﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ ﴾ [البقرة:٢٧٥]و تغير الأشهر الحرم قال تعالى:﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ ﴾ [التوبة:٣٧]

وفي معنى النزول والحلول قال تعالى في مقام المدح:﴿ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴾ [فاطر:٣٥]﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ [البلد:٢]

وقال سبحانه في سياق الذم:﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴾ [إبراهيم:٢٨]﴿وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴾[طه:٨١]﴿مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴾[الزُمَر:٤٠]

١٨) خَتَم

قال الكفومي رحمه الله:" الخَتْم وهو قريب من الكتم لفظا لتوافقهما في العين واللام وكذا معنى؛ لأن الختم على الشيء يستلزم كتم ما فيه، وختم الله على قلبه جعله بحيث لا يفهم شيئا ولا يخرج عنه شيء، وختم الشيء بلغ آخره، والخاتم بكسر التاء فاعل الختم وهو الإتمام والبلوغ وبفتحها بمعنى الطابع وتسمية نبينا خاتم الأنبياء لأن الخاتم آخر القوم قال الله تعالى:﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ ﴾ [الأحزاب:٤٠]"[(١)]

وقال المناوي رحمه الله:" الختم إخفاء خبر الشيء بجمع أطرافه عليه على وجه ينحفظ به، وقال الراغب: الختم يقال على وجهين: الأول تأثير الشيء بنقش الخاتم؛ والثاني الأثر الحاصل عن الشيء، ويتجوز به تارة في الاستيثاق من الشيء والمنع منه اعتبارا بما يحصل من المنع بالختم على الكتب والأبواب، وتارة في تحصيل أثر عن شيء اعتبارا بالنقش الحاصل وتارة يعتبر فيه بلوغ الآخر ومنه ختمت القرآن أي انتهيت إلى آخره."[(٢)]

وقد جاء اللفظ في سياق المدح فقال تعالى:﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ

---

(١) الكليات / الكفومي صـــ ٤٣١

(٢) التعاريف / المناوي صـــ ٣٠٧ ، ٣٠٨

وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ﴾ [الأحزاب:٤٠]﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ [المطفّفين:٢٥]﴿خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ﴾ [المطفّفين٢٥ : ٢٦]

وفي سياق الذم قال سبحانه:﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ﴾ [البقرة:٧]﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ [الأنعام:٤٦]﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ ﴾ [يس:٦٥]﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ﴾ [الجاثية:٢٣]

١٩) خَرَج

" الخروج نقيض الدخول والمَخْرج موضع الخروج، وقوله عز وجل:﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴾ [ق:٤٢] أي يوم يخرج الناس من الأجداث وقال أبو عبيدة: يوم الخروج من أسماء يوم القيامة. واخترجه واستخرجه طلب إليه أو منه أن يخرج، وخارج كل شيء ظاهره، والخرج والخراج واحد وهو شيء يخرجه القوم في السنة من مالهم بقدر معلوم وفي التنزيل﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ﴾ [المؤمنون:٧٢] قال الزجاج رحمه الله: الخَراج الفيء والخرج الضريبة والجزية، وجملة معنى الخراج الغلة وقيل للجزية التي ضربت على رقاب أهل الذمة خراج لأنه كالغلة الواجبة عليهم."(١)

قال المناوي رحمه الله:" الخروج البروز تقول خرج خروجا برز من مقره وحاله سواء كان مقره ثوبا أو دارا أو بلدا، والإخراج أكثر ما يقال في الأعيان ويقال في التكوين الذي هو من فعله تعالى، وقيل لما يخرج من الأرض من وكر الحيوان ونحو ذلك خرج وخراج. والخرج أعم من الخراج وفي المصباح خرج من الموضع خروجا ومخرجا وأخرجته أنا وجدت للأمر مخرجا والخراج والخرج ما يحصل من غلة الأرض ولذلك أطلق على الجزية."(٢) وقال الكفومي رحمه الله:" الخروج قد يستعمل في معنى الظهور يقال خرجت الشمس من السحاب أي انكشفت، وقد يستعمل في معنى الانتقال يقال خرجت من البصرة إلى الكوفة وهو متنوع في نفسه لغة لأنه عبارة عن الانفصال من مكانه الذي هو فيه إلى مكان قصده، ويقال خرج الرجل من داره وبرز الشجاع من مكمنه ودلق السيف من غمده ونور النبت أي خرج زهره وصبأ فلان أي خرج من دين إلى دين ويقال خرجت لعشر بقين وبالليل وفي شهر كذا."(٣)

وجاء لفظ الخروج في القرآن على أربعة أضرب ينبثق منها أربعة معاني تختلف في صفة دلالتها ولا تختلف في أصل الدلالة وهو التغير من هيئة إلى هيئة. وهذه الأضرب هي:ــ

١ــ بمعنى البروز والظهور بعد أن كان خافيا وبهذا المعنى جاء في المدح كقوله تعالى:﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج٢ صــ ٢٩٤ ــ ٢٥٣ باختصار كبير جدا وانظر تاج العروس / الزبيدي ج٥ صــ ٥٠٨ وما بعدها

(٢) التعاريف / المناوي صــ ٣١١

(٣) الكليات / الكفومي صــ ٤٢٢

مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء:١٠٠] ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ [الأنفال:٥] ﴿وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ﴾ [التوبة:٤٦]

وفي سياق الذم قال سبحانه:﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ﴾ [البقرة:٣٦] ﴿وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ [البقرة:٧٢] ﴿ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ﴾ [البقرة:٨٥] ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧] ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ﴾ [البقرة:١٩١] ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [البقرة:٢٤٣] ﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلۡكُفۡرِ وَهُمۡ قَدۡ خَرَجُواْ بِهِۦ﴾ [المائدة:٦١] ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتًا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورًا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ﴾ [الأنعام:١٢٢]

٢ـ أن يكون الخروج بـتأثير خارجي وبهذا المعنى جاء الخروج ممدوحا كقوله تعالى:﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ﴾ [آل عمران:١١٠] ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾ [يوسف:١٠٠] ﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الذاريات:٣٥] ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق:٢]

وجاء مذموما بهذا المعنى كقوله سبحانه:﴿مَّتَٰعًا إِلَى ٱلۡحَوۡلِ غَيۡرَ إِخۡرَاجٖۚ﴾ [البقرة:٢٤٠] ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢١٧] ﴿فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [الأعراف:١٣] ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ﴾ [الأعراف:٨٢] ﴿قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ﴾ [التوبة:٦٤] ﴿وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ﴾ [محمد:٣٧]

واجتمع المدح والذم في قول الله تبارك وتعالى:﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة:٢٥٧]

٣ـ أن يكون الخروج ملازما لمعنى العمل والجد والطلب بمعنى الاستخراج قال تعالى في سياق المدح:﴿فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ﴾ [يوسف:٧٦] ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ﴾ [الكهف:٨٢]

وفي الذم قال الله تبارك وتعالى:﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ﴾ [الأعراف:٨٨] ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ﴾ [الأنفال:٣٠] ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ [التوبة:١٣] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ﴾ [إبراهيم:١٣] ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ﴾ [الشعراء:١٦٧] ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [النمل:٣٧]

٤ـ أن يكون بمعنى الثواب على العمل كخراج الأرض نتيجة العمل فيها بالزراعة قال تعالى: ﴿قَالُواْ

يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا﴾ [الكهف:٩٤] ﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المؤمنون:٧٢]

٢٠) خَشَو أو خَشِي

" الخشية هي مصدر من خشي يخشى، ويقال خشِيه خشيا وخِشيا والتخشية مصدر خشى . ويقال للرجل خاشٍ وخشٍ وخشيان، وللمرأة خشياء وجمعهما معا خشايا. وفي التفضيل يقال : هذا المكان أخشى من ذاك أي أشد خوفا. وهي مأخوذة من قولهم شجرة خاشية أي يابسة، وقد تستعمل في المجاز بمعنى الرجاء كما في قول ابن عمر لابن عباس رضي الله عنهم : - لقد أكثرت من الدعاء بالموت حتى خشيت أن يكون ذلك أسهل لك عند نزوله أي رجوت."(١)

أما في الاصطلاح فقد اختلفت مدلولات الخشية عند العلماء قديما وحديثا تبعا لنظرة كلٍ إلى حقيقتها أوجز بعضها فيما يلي:

تعريف الراغب الأصفهاني والزمخشري:" خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه ولذلك خص العلماء بها في قوله تعالى:﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر:٢٨]"(٢) وقال القرطبي رحمه الله:" طمأنينة في القلب تبعث على التوقي."(٣)

تعريف ابن القيم رحمه الله " خوف مقرون بمعرفة."(٤) وقال الجرجاني رحمه الله:" تألم القلب بسبب توقع مكروه في المستقبل يكون تارة بكثرة الجناية من العبد وتارة بمعرفة جلال الله وهيبته."(٥) وقال الشنقيطي رحمه الله:" الخشية شدة الخوف كما قال تعالى:﴿ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ﴾ [الأنبياء:٤٩]"(٦)

والخشية على قسمين: من الله ومن المخلوق، والخشية من الله مطلوبة ومأمور بها ومن المخلوق منهيا عنها إلا ما أمر الله به كخشية اليوم الآخر، والوقوع في الرذيلة، أو الفرقة والاختلاف قال تعالى:﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي﴾ [البقرة:١٥٠]﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ﴾ [المائدة:٣]﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ﴾ [المائدة:٤٤]﴿أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة:١٣]﴿وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾ [الأحزاب:٣٧]﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج١٤ صـــ ٢٢٨ ، ٢٢٩ باختصار وانظر تاج العروس / الزبيدي ج٣٧ صـــ ٥٤٧ وما بعدها
(٢) المفردات / الأصبهاني صـــ ١٤٩ وانظر فيض القدير / عبد الرؤوف المناوي ج١ صـــ ٢١٥
(٣) تفسير القرطبي ج٢ صـــ ١٧٠
(٤) مدارج السالكين / ابن القيم ج١ صـــ ٥١٢
(٥) التعريفات / الجرجاني صـــ ١٣٣
(٦) أضواء البيان / الشنقيطي ج٨ صـــ ٢٣٥

﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ [لقمان:٣٣] ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ [النازعات:٤٥] ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ [النساء:٢٥][طه:٩٤]

والخشية من صفات الملائكة والأنبياء والعلماء والصالحين وخص الله بها بعض الجمادات كالحجر والجبل قال سبحانه عن الملائكة: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء:٢٨]

وقال سبحانه عن الأنبياء عليهم السلام : ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب:٣٩] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء:٤٨] ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء٤٨ : ٤٩]

وقال سبحانه عن العلماء: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر:٢٨]

وقال تعالى عن الصالحين: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد:٢١]

وقال سبحانه عن الحجارة: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ﴾ [البقرة:٧٤]

وقال سبحانه عن الجبل: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الحشر:٢١]

ومما ذمه الله من الخشية: خشية الخروج للجهاد خوفا من الموت أو الهزيمة قال تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ﴾ [المائدة:٥٢] وقتل الولد خشية الفقر قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ﴾ [الإسراء:٣١] والخشية من الفقر بسبب الإنفاق قال سبحانه: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ﴾ [الإسراء:١٠٠]

٢١) خصَم

"خَصَمه غلبه في الخصام وخصم خصما أحكم الخصومة وجادل فهو خَصم وخاصمه مخاصمة وخصاما جادله و نازعه فهو مخاصم و خصيم واختصم القوم خاصم بعضهم بعضا. والخصم المخاصم يستوي فيه المذكر و المفرد و فروعهما و في التنزيل العزيز ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾ [ص:٢١] وقد يثنى ويجمع والخِصم العالم بالخصومة و إن لم يخاصم."(١)

وقال الراغب رحمه الله:" وأصل المخاصمة أن يتعلق كل واحد بخصم الآخر أي جانبه وأن يجذب كل واحد خصم الجوالق ــ الأوعية من جلد وثياب توضع على رحل الدابة ــ من جانب."(٢)

وجاء اللفظ في سياق المدح فقال سبحانه: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران:٤٤] ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾ ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ

---

(١) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وغيره ج١ صـــ ٢٣٩ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج١٢ صـــ ١٨٠
(٢) المفردات / الأصبهاني صـــ ١٤٩

بَعْضٍ﴾ [ص٢١ : ٢٢]﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [ص:٦٩]

وفي مضمار الذم قال سبحانه:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾[البقرة:٢٠٤]﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء:١٠٥] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾[النحل:٤]﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾[الشعراء:٩٦]﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾[يس:٤٩]﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ [ص:٦٤]﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف:٥٨]﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ [ق:٢٨]

وجمع الله بين الخصام الممدوح والمذموم في قوله تعالى:﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج:١٩]﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [النمل:٤٥]﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر:٣١]

٢٢) خفف (خَفَّ)

" الخُفُّ واحد أخفاف البعير، وهو أيضا واحد الخِفاف التي تلبس، والتخفيف ضد التثقيل، و استخفه ضد استثقله، واستخف به أهانه و خف الشيء يخِف بالكسر خِفة صار خفيفا وأخف الرجل خفت حاله وفي الحديث (إن بين أيدينا عقبة كئودا لا يجوزها إلا المُخِف)[١] "[٢]

وقال الراغب رحمه الله:" الخفيف بإزاء الثقيل ويقال ذلك تارة باعتبار المضايفة بالوزن وقياس شيئين أحدهما بالآخر نحو درهم خفيف ودرهم ثقيل. والثاني: يقال باعتبار مضايفة الزمان نحو فرس خفيف وفرس ثقيل؛ إذا عدا أحدهما أكثر من الآخر في زمان واحد. الثالث: يقال خفيف فيما يستحليه الناس وثقيل فيما يستوخمه؛ فيكون الخفيف مدحا والثقيل ذما. الرابع: يقال خفيف فيمن يطيش وثقيل فيما فيه وقار فيكون الخفيف ذما والثقيل مدحا. الخامس: يقال خفيف في الأجسام التي من شأنها أن ترجحن إلى أسفل كالأرض والماء وقوله تعالى:﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ [القارعة:٨] فإشارة إلى كثرة الأعمال الصالحة وقلتها. وقوله تعالى:﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم:٦٠] أي لا يزعجنك ويزيلنك عن اعتقادك بما يوقعون من الشبه. وخفوا عن منازلهم ارتحلوا منها في خفة."[٣]

وعلى ما فصل الراغب رحمه الله قال تعالى في سياق المدح:﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة:١٧٨]﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٨]﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ [الأنفال:٦٦]

---

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد كتاب الزهد باب فضل الفقراء ج١٠ صـ ٢٦٣ وقال: رواه الطبراني في الأوسط (ج٥ صـ ١٠٧ حديث رقم ٤٨٠٩) وفيه جنادة بن مروان قال أبو حاتم ليس بالقوي وبقية رجاله ثقات. قال الألباني : حديث صحيح (انظر السلسلة الصحيحة ج٥ صـ ٦٢٧ رقم ٢٤٨٠)

(٢) مختار الصحاح / الرازي صـ ٧٧ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج٩ صـ ٧٩

(٣) المفردات / الأصبهاني صـ ١٥٢

وقال سبحانه في سياق الذم:﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [البقرة:٨٦] [البقرة:١٦٢] ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم:٦٠]﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف:٥٤]﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة٨:٩]

٢٣) خَفِي أو خَفَا

" خفا البرق خُفُوا لمع و خَفا الشيء خُفُوا ظهر و خفِي الشيء خَفيا و خُفيا أظهره واستخرجه يقال خفى المطر الفأر إذا أخرجهن من أنفاقهن وقرىء قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه:١٥] أي أظهرها. وخَفَيت الشيء أخفيه كتمته و خَفَيته أيضا أظهرته وهو من الأضداد. والخفاء ممدود ما خفي عليك، والخفا مقصور هو الشيء الخافي، والخافية نقيض العلانية. قال الفراء وأما الاختفاء فله معنيان أحدهما بمعنى خفي والآخر بمعنى الاستخراج وكلام العرب أن تقول خفيت الشيء أخفيه أي أظهرته واستخفيت من فلان أي تواريت واستترت ولا يكون بمعنى الظهور."(١)

وقال الراغب رحمه الله:" خفي الشيء خفية استتر قال تعالى:﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف:٥٥] والخفاء ما يستر به كالغطاء. وخفيته أزلت خفاه وذلك إذا أظهرته، وأخفيته أوليته خفاء وذلك إذا سترته، ويقابل به الإبداء والإعلان والاستخفاء طلب الإخفاء ومنه قوله تعالى:﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ﴾ [هود:٥] والخوافي جمع خافية وهي ما دون القوادم من الريش."(٢)

وجاء اللفظ قي القرآن ممدوحا فقال تعالى:﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢٧١]﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء:١٤٩] ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف:٥٥]﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [ابراهيم:٣٨]﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم:٣]﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:١٧]

وفي سياق الذم قال سبحانه:﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران:١١٨]﴿يُخْفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ [آل عمران:١٥٤]﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [النساء:١٠٨]﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [المائدة:١٥]﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ [الأنعام:٢٨]﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ﴾ [هود:٥]﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور:٣١]﴿خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج١٤ صـ ٢٤٣ ، ٢٤٤ باختصار كبير وانظر العين / الفراهيدي ج٤ صـ ٣٠٤ والمعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وغيره ج١ صـ ٢٤٣

(٢) المفردات / الأصبهاني صـ ١٥٣ وانظر الكليات / الكفومي صـ ٦٤

خَفِيٍّ﴾ [الشورى:٤٥]﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة:١]

٢٤) خَلَد

" الخُلْد دوام البقاء والإقامة في دار لا يخرج منها، ودار الخلد الآخرة لبقاء أهلها فيها، و الخلد اسم من أسماء الجنة، المُخَلَد والمُخْلَد من الرجال الذي أسن ولم يشب كأنه مخلد، وكذلك إذا لم تسقط أسنانه من الهرم. والخوالد الأثافي ــ الصخرات التي يوضع عليها القدر ــ في مواضعها و الخوالد الجبال والحجارة والصخور لطول بقائها بعد دروس الأطلال، و خلد إلى الأرض و أخلد أقام فيها وفي التنزيل العزيز﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ﴾ [الأعراف:١٧٦] أي ركن إليها وسكن وأخلد إلى الأرض وإلى فلان أي ركن إليه ومال إليه ورضي به."(١)

وقال المناوي رحمه الله:" الخلود طول الإقامة بالقرار. وقال الراغب: تبرؤ الشيء من أعراض الفساد وبقاؤه على الحالة التي هو عليها. وكل ما يتباطؤ عنه التغير والفساد تصفه العرب بالخلود كقولهم للأثافي خوالد لطول مكثها لا لدوام بقائها. وأصل المخلد الذي يبقى مدة طويلة ثم استعير للمبقى دائما."(٢) وقال الكفومي رحمه الله:" كل شيء في القرآن خلود فإنه لا توبة له."(٣)

وجاء الخلود في القرآن وصفا للنعيم كقوله تعالى:﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥]﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ﴾ [الفرقان:١٥]

وجاء وصفا للعذاب قال تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٣٩] ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء:٩٣]﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [يونس:٥٢]﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصّلت:٢٨]

وجاء الخلود ممدوحا في قوله تعالى:﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ [ق:٣٤]﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الواقعة:١٧][الإنسان:١٩]

وجاء في سياق الذم كقوله تعالى:﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ﴾ [الأعراف:١٧٦]﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان:٦٩]﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء:١٢٩]﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ [الهمزة:٣]

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج٣ صـ ١٦٤ بتصرف يسير واختصار وانظر المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صـ ٢٤٩

(٢) التعريفات / الجرجاني صـ ٣٢٥ وانظر الكليات / الكفومي صـ ٤١٤

(٣) الكليات / الكفومي صـ ٤١٤

٢٥) خلَف

" خَلْف ضد قدام. والخَلَف أيضا القرن بعد القرن. والخَلْف الرديء من القول يقال سكت ألفا ونطق خلفا والخلف أيضا ساكن اللام ومفتوحها ما جاء من بعد. يقال هو خَلْف سوء من أبيه، وخَلَف صدق من أبيه بالتحريك إذا قام مقامه، وقال الأخفش هما سواء منهم من يحرك ومنهم من يسكن فيهما جميعا إذا أضاف والخوالف النساء و خلف فلان فلانا إذا كان خليفته يقال خَلَفه في قومه من باب كتب ومنه قوله تعالى: ﴿ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى﴾ [الأعراف:١٤٢] وخلفه أيضا جاء بعده وخَلَف فم الصائم تغيرت رائحته وكذا اللبن والطعام إذا تغير طعمه أو ريحه. والخلاف المخالفة وقوله تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٨١] أي مخالفة رسول الله عليه السلام وقيل خلف رسول الله."[١]

وقال الكفومي رحمه الله:" الخلاف خالف إليه مال وخالف عنه بعد والخلاف بمعنى المخالفة أعم من الضد لأن كل ضدين مختلفان، واختلف ضد اتفق وفلان كان خليفة وخلف فلان فلانا قام بالأمر إما بعده وإما معه، والخلافة النيابة عن الغير، وأكثر مجيء الخَلَف كالطلب في المدح وكالقتل في الذم والخُلف كالكفر اسم وهو في المستقبل كالكذب في الماضي وهو أن تعد عدة ولا تنجزها والخلف كالسلف يجمع على أخلاف ، والتخلف التأخر والخوالف النساء."[٢]

وجاء اللفظ في القرآن بصيغ متعددة تدل على المعاني اللغوية التي ذكرتها آنفا منها في مضمار المدح كقوله تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠] ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ [آل عمران:١٧٠] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:١٦٥] ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾ [الأعراف:٦٩] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى﴾ [الأعراف:١٤٢] ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ﴾ [النحل:١٣] ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النور:٥٥] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [الروم:٢٢] ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ:٣٩] ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد:٧]

ومنها في سياق الذم كقوله تعالى:﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ﴾ [الأعراف:١٥٠] ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ [الأعراف:١٦٩] ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾ [التوبة:٧٧] ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾

(١) مختار الصحاح / الرازي صـــ ٧٨ وانظر المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صـــ ٢٥٠ ولسان العرب / ابن منظور ج٩ صـــ ٨٢ وما بعدها

(٢) الكليات / الكفومي صـــ ٤٢٦ ـــ ٤٢٨ باختصار يسير وانظر المفردات / الأصبهاني صـــ ١٥٧

[التوبة:٨١] ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾ [التوبة:٨٣] ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ [التوبة:٨٧] ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة:١١٨] ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [التوبة:١٢٠] ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ [ابراهيم:٢٢] ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [مريم:٥٩] ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ [طه:٨٦] ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ [فصّلت:٤٥] ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الجاثية:١٧] ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ﴾ [الفتح:١١] ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ [الذاريات:٨] ﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ [النبأ:٣]

٢٦) خَاف أو خَوَف

" خاف خوفا ومخافة وخيفة توقع حلول مكروه أو فوت محبوب، ويقال خافه على كذا وخاف منه وخاف عليه فهو خائف، والخوف انفعال في النفس يحدث لتوقع ما يرد من المكروه أو يفوت من المحبوب والقتال وفي التنزيل العزيز ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ [الأحزاب:١٩] أي القتال."(١)

وقال المناوي رحمه الله:" الخوف توقع مكروه أو فوت محبوب ذكره ابن الكمال وقال الحرالي حذر النفس من أمور ظاهرها يضره، وقال التفتازاني رحمه الله :غم يلحق الإنسان مما يتوقعه من السوء. وقال الراغب رحمه الله: توقع مكروه عن إمارة مظنونة أو معلومة، كما أن الرجاء توقع محبوب كذلك وضده الأمن ويستعمل في الأمور الدنيوية والأخروية."(٢)

وجاء الخوف في القرآن عدة أنواع منها : ـــ

١ـــ الخوف الإيماني والروحي من الله سبحانه وآياته وهذا النوع ممدوحا بل مطلوب لكل مسلم قال تعالى مادحا الرجلين من آل فرعون:﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ [المائدة:٢٣] وقال سبحانه:﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ﴾ [الأعراف:٥٦] ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ [الرعد:١٣] ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الروم:٢٤] ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة:١٦] ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦]

وقال تعالى ذاما من خالف ذلك:﴿فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ﴾ [الروم:٢٨]﴿وَمَا

(١) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صـــ ٢٦٢ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج٩ صـــ ١٠٠

(٢) التعاريف / المناوي صـــ ٣٢٨ وانظر الكليات / الكفومي صـــ ٤٢٨

نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ﴾ [الإسراء:٥٩]

٢ــ الخوف الطَبَعِّي الموافق لفطرة الإنسان وهو الحذر من المكروه كقوله تعالى:﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ ﴾ [البقرة:١٥٥]﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ ﴾[هود:٧٠] ﴿ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ ﴾ [يوسف:١٣] ﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴾ [طه:٦٧]﴿ فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ ﴾ [القصص:١٨] ﴿فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ ﴾ [القصص:٢١] ﴿ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ ﴾ [ص:٢٢] ﴿ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴾ [الذاريات:٢٨]

٣ــ الخوف من المجهول أو المفاجئ وقد جاء في سياق المدح كقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام:﴿وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾ [النمل:١٠] ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ ﴾ [القصص:٧]

وجاء في سياق الذم قوله تعالى ﴿ وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [النساء:٩]

٤ــ الخوف من الوعيد كقوله تعالى:﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة:٢٨]﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ ﴾ [المائدة:٩٤]﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ [الأنعام:١٥]﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ ﴾ [الأنعام:٥١]﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ﴾ [هود:١٠٣] ﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [إبراهيم:١٤] ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾ [الإنسان:٧]﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ﴾ [الإنسان:١٠]

وقال تبارك وتعالى في سياق الذم:﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ ﴾ [البقرة:١١٤] ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴾ [الزُمَر:٣٦]

٥ــ الخوف من الموت ومن الأعداء وجاء في هذا السياق ممدوحا من باب الأخذ بالأسباب كقوله تعالى على لسان موسى وهارون عليهم السلام:﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴾ [طه:٤٥]﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴾ [القصص:٣٣]

وجاء مذموما في تخويف الشيطان لأوليائه قال تعالى:﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٧٥]

٦ــ الخوف من الظلم وعدم العدل وجاء ذلك ممدوحا كقوله تعالى:﴿فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا﴾ [البقرة:١٨٢]﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ﴾ [النساء:٣]

وجاء في سياق الذم قوله تعالى:﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ ﴾ [النور:٥٠]

٧ــ الخوف من الناس أو كلامهم قال تعالى:﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ [البقرة:٢٣٩]﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ [المائدة:٥٤]﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ﴾ [الأنعام:٨٠]﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ ﴾ [الأنفال:٢٦]﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ [الأنفال:٥٨]﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾ [مريم:٥]﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ [القصص:٣٤]

وفي سياق الذم قال تعالى:﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ [غافر:٢٦]

٨ــ التهديد بالموت الجماعي أو بمقدماته من شتى أنواع الأمور المخيفة كالأمراض ونقص الزرع وكثرة الموت الفردي قال تعالى:﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل:٤٧]﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل:١١٢]﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء:٦٠]

٢٧) ذَبَح

" ذبحه ذبحا قطع حلقومه، والشيء شقه و ثقبه يقال ذبحته العبرة خنقته، وذبحه الظمأ جهده، و ذبحت فلانا لحيته سالت تحت ذقنه."(١)

قال الكفومي رحمه الله:" والمراد بالذبيحة ذبح الذباح بالفتح، فإنه لغة الشق، وشريعة قطع الحلقوم من باطن عند الفصيل: وهو مفصل ما بين العنق والرأس، ثم إن الذبح لو صدر من أهله في محله تحل ذبيحته ولو كان ناسيا للتسمية عندنا؛ إذ الناسي ليس بتارك بل هو ذاكر شرعا إذ الشرع في هذه الحالة أقام الملة مقام الذكر تخفيفا عليه كما أقام الأكل ناسيا مقام الإمساك في الصوم."(٢)

وقد جاء الذبح في القرآن ممدوحا فقال سبحانه:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ [البقرة:٦٧]﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾ [الصافات:١٠٢]﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصافات:١٠٧]

وفي سياق الذم قال تبارك وتعالى:﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾ [البقرة:٤٩] [ابراهيم:٦] ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [البقرة:٧١] ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ﴾ [المائدة:٣]﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ [النمل:٢١]

---

(١) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صــ ٣٠٩ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج٢ صــ ٤٣٦

(٢) الكليات / الكفومي صــ ٤٥٨ وانظر المفردات / الأصبهاني صــ ١٧٧

٢٨) ذَلَل (ذلَّ)

" الذُّل ضد العز وقد ذَلَّ يذِل بالكسر ذُلا وذِلة ومذَلَة فهو ذليل وهم أذلاء وأذلة، والذِل بالكسر اللين وهو ضد الصعوبة يقال دابة ذلول بينة الذل من دواب ذُلُل وأذله والله تذليلا و استذله كله بمعنى وقوله تعالى: ﴿وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا﴾ [الإنسان:١٤] أي سويت عناقيدها ودليت و تذلل له أي خضع."[(١)]

قال الراغب رحمه الله:" الذل ما كان عن قهر يقال ذل يذل ذلا والذِل ما كان بعد تصعب وشماس من غير قهر وقوله تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾ [الإسراء:٢٤] أي كن كالمقهور لهما وقرئ (جناح الذِل) أي لن وانقد لهما ، والذل متى كان من جهة الإنسان نفسه لنفسه فمحمود نحو قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [المائدة:٥٤] "[(٢)]

وقد جاء الذل ممدوحا ومأمورا به فقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ ﴾ [آل عمران:١٢٣] ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة:٥٤] ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾ [الإسراء:٢٤]

وجاء في سياق الذم كقوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ﴾ [البقرة:٦١] ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ ﴾ [آل عمران:٢٦] ﴿ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ ﴾ [آل عمران:١١٢] ﴿وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ ﴾ [يونس:٢٦] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ ﴾ [يونس:٢٧] ﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ ﴾ [طه:١٣٤] ﴿ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۖ ﴾ [النمل:٣٤] ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ ﴾ [الشورى:٤٥] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ﴾ [المجادلة:٢٠] ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ ﴾ [المنافقون:٨]

٢٩) رَبَص

" التربص الانتظار ربص بالشيء ربصا و تربص به انتظر به خيرا أو شرا وفي التنزيل العزيز: ﴿ قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ ﴾ [التوبة:٥٢] أي إلا الظفر وإلا الشهادة ونحن نتربص بكم أحد الشرين عذابا من الله تعالى أو قتلا بأيدينا؛ فبين ما ننتظره وتنتظرونه فرق كبير، والتربص المكث والانتظار يقال أقامت المرأة ربصتها في بيت زوجها وهو الوقت الذي جعل لزوجها إذا عنن عنها، فإن أتاها وإلا فرق بينهما و المتربص المحتكر."[(٣)]

وبهذا المعنى جاء التربص ممدوحا في قوله تعالى: ﴿وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ

(١) مختار الصحاح / الرازي صـ ٩٣ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج١١ صـ ٢٥٧

(٢) المفردات / الأصبهاني صـ ١٨٠وانظر غريب الحديث / ابن الأثير صـ ٢٣٠

(٣) لسان العرب / ابن منظور ج٧ صـ ٣٩ ، ٤٠ باختصار يسير جدا وانظر المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صـ ٣٢٢ وانظر المفردات / الأصبهاني صـ ١٨٥

عِنـدِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ﴾ [التوبة:٥٢]﴿فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ﴾ [الطور:٣١]

وجاء في سياق الذم فقال سبحانه:﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ﴾ [النساء:١٤١]﴿فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦ﴾ [التوبة:٢٤]﴿ قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ﴾ [التوبة:٥٢]﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ ﴾ [التوبة:٩٨]﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ﴾ [المؤمنون:٢٥]﴿أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ﴾ [الطور:٣٠]﴿يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ﴾ [الحديد:١٤]

ومما اشترك فيه اللفظ بين المدح والذم قوله تعالى:﴿ قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ ﴾ [طه:١٣٥] وقوله تعالى:﴿ قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ﴾ [الطور:٣١] فالتربص من جانب المؤمنين مدح ومن جانب الكفار ذم.

٣٠) ربَا أو ربَو

" ربا الشيء يربوا رُبوا و رِباء زاد ونما وأربيته نميته وفي التنزيل العزيز﴿وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾ [البقرة:٢٧٦] ومنه أخذ الربا الحرام قال أبو إسحق رحمه الله: يعني به دفع الإنسان الشيء ليعوض ما هو أكثر منه، والربا ربوان: فالحرام كل قرض يؤخذ به أكثر منه أو تجر به منفعة فحرام، والذي ليس بحرام أن يهبه الإنسان يستدعي به ما هو أكثر أو يهدي الهدية ليهدى له ما هو أكثر منها. والربو والربُوة والرِبوة والربَوة الرابية والرُباة كل ما ارتفع من الأرض، وأرض مربية طيبة وقد ربوت و ربيت في حجره كلاهما نشأت فيهم."(١)

وقال الراغب رحمه الله:" وربا فلان حصل في ربوة وسميت الربوة رابية كأنها ربت بنفسها في مكان ومنه ربا إذا زاد وعلا، وأربى عليه أشرف عليه، وربيت الولد فربا من هذا. والربا الزيادة على رأس المال لكن خص في الشرع بالزيادة على وجه دون وجه "(٢)

وجاء اللفظ في سياق المدح والذم معا فقال تعالى:﴿ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ ﴾ [البقرة:٢٧٦]

وجاء اللفظ في مضمار الذم فقال عز وجل:﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ ﴾ [البقرة:٢٧٥]﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[البقرة:٢٧٨]﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ ﴾ [آل عمران:١٣٠]﴿ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ ﴾ [الروم:٣٩] ﴿فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً ﴾ [الحاقة:١٠]

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج١٤ صـــ ٣٠٤ ــ ٣٠٧ باختصار كبير وانظر المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صـــ ٣٢١

(٢) المفردات / الأصبهاني صـــ ١٨٧باختصار يسير

٣١) ردد (رَدَّ)

" ردا و ترددا و رَدة منعه و صرفه و أرجعه و في التنزيل العزيز﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا ﴾[البقرة:١٠٩] و يقال رده إليه أعاده، ورده على عقبه دفعه، ورد كيده في نحره قابله بمثل كيده، ورد الباب أغلقه، ورد عليه كذا لم يقبله، ورد عليه أجابه يقال رد عليهم السلام ورد إليه جوابه رجعه وأرسله، ورد عليه قوله راجعه فيه، ورد إليه الحكم فوضه إليه، ورد الشيء حَوَّله من صفة إلى صفة، ورد البيع فسخه، ورَدده رده وكرره، وارتد رجع، وارتد عن دينه إذا كفر بعد إسلام، وارتد إلى حاله عاد و في التنزيل العزيز﴿فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ﴾[يوسف:٩٦] وتردد في الكلام تعثر لسانه، وتردد إلى مجالس العلم اختلف إليها."(١)

وقال المناوي رحمه الله " الرد كف يكره لما شأنه الإقبال برفق. وقال الراغب: صرف الشيء بذاته أو بحالة من الحالات فمن الرد بالذات﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟﴾ [الأنعام:٢٨] ومن الرد إلى حالة كان عليها﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران:١٤٩] والردة تختص بالكفر والارتداد فيه وفي غيره."(٢)

وجاء اللفظ في القرآن الكريم يدور حول ثلاثة معان(٣)

الأول: ــ بمعنى الإجابة والصرف والإرجاع، وقد استعمل في المدح والذم فمن المدح قوله تعالى:﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [النساء:٥٩]﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ [النساء:٨٦]﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ [الإسراء:٦]

ومن الذم قوله تعالى:﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ [البقرة:٢١٧]﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ﴾ [الأحزاب:٢٥]﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾[التين:٥]

الثاني: ــ بمعنى الذهاب والمجيء ويراد به التحير كناية أو مجاز لأن المتحير لا يقر في مكان(٤) وجاء بهذا المعنى في سياق الذم فقط فقال سبحانه عن المنافقين:﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾[التوبة:٤٥]

الثالث: ــ بمعنى التحول والرجوع إلى ما كان عليه وجاء في سياق المدح فقال سبحانه ماناً على

---

(١) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صـــ ٣٣٧ ، ٣٣٨ باختصار يسير وانظر لسان العرب / ابن منظور ج٣ صـــ ١٧٢ وما بعدها

(٢) التعاريف / المناوي صـــ ١٧١ ، صـــ ٣٦٢

(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم / مجمع اللغة العربية ج١ صـــ ٤٦٧ وما بعدها

(٤) انظر المرجع السابق ج١ صـــ ٤٦٩

يعقوب عليه السلام: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾ [يوسف:٩٦]

وفي سياق الذم قال سبحانه: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ﴾ [البقرة:٢١٧] ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ﴾ [المائدة:٢١] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ [محمد:٢٥]

٣٢) رفث

" رفث في كلامه رَفَثا و رُفُوثا صرح بكلام قبيح، والرفث كلمة جامعة لما يريد الرجل من المرأة في سبيل الاستمتاع بها من غير كناية وفي التنزيل العزيز ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ﴾ [البقرة:١٨٧]"[(١)]

وقال الراغب:" الرفث كلام متضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه، وجعل كناية عن الجماع في قوله تعالى (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ) تنبيها على جواز دعائهن إلى ذلك ومكالمتهن فيه وعُدي بإلى لتضمنه معنى الإفضاء وقوله: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ [البقرة:١٩٧] يحتمل أن يكون نهيا عن تعاطي الجماع، وأن يكون نهيا عن الحديث في ذلك إذ هو من دواعيه."[(٢)]

وجاء اللفظ في سياق المدح بتحليل الله له فقال سبحانه وتعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ﴾ [البقرة:١٨٧] وجاء منهيا عنه في الحج فقال سبحانه: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ﴾ [البقرة:١٩٧]

٣٣) رَمَى

" رمى لفلان نصره وصنع له، وهذا كله من الرمي لأنه إذا نصره رمى عدوه، ويقال طعنه فأرماه عن فرسه أي ألقاه عن ظهر دابته، وأرميت الحجر من يدي أي ألقيت ورمى فلان فلانا بأمر قبيح أي قذفه ومنه قول الله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ﴾ [النور:٤] ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾ [النور:٦] معناه القذف، و رمى فلان يرمي إذا ظن ظنا غير مصيب."[(٣)]

وقال الراغب رحمه الله:" الرمي يقال في الأعيان كالسهم والحجر نحو: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:١٧] ويقال في المقال كناية عن الشتم كالقذف نحو: (وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ) [النور:٦] (وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ) [النور:٤]"[(٤)]

---

(١) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صـ ٣٥٨ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج٥ صـ ٢٦٣

(٢) المفردات / الأصبهاني صـ ١٩٩ وانظر التبيان / المصري صـ ١٢١ وغريب القرآن / السجستاني صـ ٢٣٥

(٣) لسان العرب / ابن منظور ج١٤ صـ ٣٣٥ ـ ٣٣٨ باختصار كبير جدا

(٤) المفردات / الأصبهاني صـ ٢٠٣ وانظر التعاريف / المناوي صـ ٣٧٥

والرمي بالمعنى المادي المحسوس جاء مدحا في قوله تعالى:﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:١٧]

وجاء ذما حين وصف به جيش أبرهة فقال تعالى:﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ [الفيل:٤]

وفي المعنوي جاء في سياق الذم فقط وهو بمعنى القذف بالزنا كقوله تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ [النور:٤]﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ ﴾ [النور:٦]﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾ [النور:٢٣] أو بمعنى أن ينسب لإنسان خطيئة أو ذنب وهو منه بريء قال تعالى:﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء:١١٢]

٣٤) رَهِب

" رَهِب رَهَبا ورَهَبة خافه، وأرهب كمه أطاله، و فلانا خوفه و فزعه، وترهب الراهب انقطع للعبادة في صومعته، وفلان تعبد، وفلانا توعده، واسترهبه رهبه وفي التنزيل العزيز﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف:١١٦] والإرهابيون ــ مصطلح جديد ــ وصف يطلق على الذين يسلكون سبيل العنف و الإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية.(١) والراهب المتعبد في صومعة من النصارى يتخلى عن أشغال الدنيا وملاذها زاهدا فيها معتزلا أهلها، وجمعها رهبان والرَهب النصل الرقيق والجمل الضامر من كلال السفر، والرهب الكم والرهبانية التخلي عن أشغال الدنيا و ترك ملاذها و الزهد فيها والعزلة عن أهلها."(٢)

وقال الراغب رحمه الله:" الرهبة والرَهَب مخافة مع تحرز واضطراب قال: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾ [الحشر:١٣] وقال:﴿جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ [القصص:٣٢] وقرئ من الرُهب أي الفزع. قال مقاتل رحمه الله: خرجت ألتمس تفسير الرهب فلقيت أعرابية وأنا آكل فقالت يا عبد الله تصدق علي فملأت كفي لأدفع إليها فقالت ههنا في رهبي أي كمي والأول أصح. والرهبانية غلو في تحمل

---

(١) وإطلاق الإرهاب بهذا المعنى فيه إيهام يوجب تفصيل وتفريق ما بين إرهاب العدو عن أن يعتدي على الحرمات و مواجهته إذا اعتدي وهو بهذا يلتقي مع مفهوم الجهاد أو المقاومة المشروعة، لأن الباعث من ورائه هو الدفاع عن النفس والدين، و بين الإرهاب الذي انتشر معناه في زماننا وغلب على الكلمة وهو الاعتداء على المظلوم، وقتل المدنيين، وسلب الحقوق، وتقييد الحريات الدينية والشخصية. والإرهاب بمعناه الثاني محرم شرعا، فكل من اعتدى على مدني مسلم أو غير مسلم ، فقد تجاوز حد الله، وأما الأول فهو واجب شرعا على الكفاية أو العين مفصل في كتب الفقه.

(٢) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صــ ٣٦٦ ، ٣٦٧ باختصار وانظر لسان العرب / ابن منظور ج١ صــ ٤٣٦ وما بعدها

التعبد من فرط الرهبة قال: ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا﴾ [الحديد:٢٧] والإرهاب فزع الإبل."(١)

وجاء اللفظ في سياق المدح فقال سبحانه: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [البقرة:٤٠] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [المائدة:٨٢] ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ [الأنفال:٦٠] ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠]

وفي سياق الذم قال عز وجل: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ﴾ [الأعراف:١١٦] ﴿إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [التوبة:٣٤] ﴿وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗ وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ﴾ [الحديد:٢٧] ﴿لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾ [الحشر:١٣]

٣٥) سَاء أو سَوء أو سَوَأ

" ساء سَوءا وسَواء لحقه ما يشينه ويقبحه، وساء به ظنا لم يحسن فيه ظنه وارتاب فيه و شك، فهو سيء وهي سيئة وهى كلمة تقال في إنشاء الذم كبئس يقال ساء ما يفعل و في التنزيل العزيز ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [التوبة:٩] وأساء فلان أتى بسيئ، وأساء الشيء لم يحسن عمله وألحق به ما يشينه ويضره، والسوء كل ما يغم الإنسان، وكل ما يقبح، واسم جامع للآفات. والسوأى مؤنث الأسوأ و السيئة والسوأة الخلة القبيحة والفاحشة وكل عمل وأمر شائن، والعورة والسيئة الصغير من الذنوب والعيب والنقص والخطيئة."(٢)

قال الكفومي رحمه الله:" السَوء بالفتح غلب في أن يضاف إليه ما يراد ذمه، والسُوء بالضم جرى مجرى الشر وكلاهما في الأصل مصدر والسوء الشدة نحو ﴿يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [إبراهيم:٦] والعقر نحو ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ﴾ [الشعراء:١٥٦] والزنا نحو ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ﴾ [مريم:٢٨] والبرص نحو ﴿بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ﴾ [طه:٢٢] والشرك نحو ﴿مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ﴾ [النحل:٢٨] والشتم نحو ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [النساء:١٤٨] والذنب نحو ﴿عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ﴾ [النحل:١١٩] والضر نحو ﴿وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ خُلَفَآءَ﴾ [النمل:٦٢] والقتل والهزيمة نحو ﴿لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾ [آل عمران:١٧٤] وبمعنى بئس نحو ﴿وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٥] ومقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بالشهوة. السوأى تأنيث الأسوأ كالحسنى، أو مصدر كالبشرى."(٣)

---

(١) المفردات / الأصبهاني صـــ ٢٠٤

(٢) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صـــ ٤٥٩ ، ٤٦٠ باختصار وانظر لسان العرب / ابن منظور ج١ صـــ ٩٥ ومختار الصحاح / الرازي صـــ ١٣٤

(٣) الكليات / الكفومي صـــ ٥٠٣ وانظر المفردات / الأصبهاني صـــ ٢٥٣

وقال المناوي رحمه الله:" السوء كل ما يغم الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية ومن الأحوال النفسية والبدنية والخارجية من فوت مال وفقد حميم."[(١)]

وقد جاء اللفظ في القرآن الكريم كله في سياق الذم إلا موقع واحد في وصف سيدنا لوط عليه السلام حين جاءته الملائكة وظن أنهم بشر فقال سبحانه وتعالى على لسانه:﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود:٧٧]

وأما ما جاء في سياق الذم فكثير منه قوله سبحانه وتعالى:﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ [البقرة:٨٠]﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء:١٢٣]﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ [الأعراف:١٣١]﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف:١٥٣]﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة:٩٨]﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [النحل:٢٧]﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [الإسراء:٧]﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الروم:١٠] ﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ﴾ [الممتحنة:٢]﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ﴾ [المُلك:٢٧]

٣٦) شَرَي أو شَرَا

" شرى الشيء يَشْريه شِرَىً وشِراء واشتراه سواء، وشراه واشتراه باعه قال الله تعالى:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [البقرة:٢٠٧] وقال تعالى:﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [يوسف:٢٠] أي باعوه وقوله عز وجل:﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ [البقرة:١٦] قال أبو إسحق رحمه الله: ليس هنا شراء ولا بيع ولكن رغبتهم فيه بتمسكهم به كرغبة المشترى بماله، والعرب تقول لكل من ترك شيئا وتمسك بغيره قد اشتراه. وللعرب في شروا و اشتروا مذهبان فالأكثر على أنهما بمعنى باعوا ."[(٢)]

وقال شهاب الدين المصري رحمه الله:" (اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى) استبدلوا، وأصل هذا أن من اشترى شيئا بشيء فقد استبدل منه، واشتقاق الاشتراء من الشروى وهو الميل لأن المشترى يعطى شيئا ويأخذ شيئا، والشراء البيع يمد ويقصر ومنه (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) ويستعمل للابتياع كما يستعمل الاشتراء للبيع أيضا والباء تدخل على المتروك."[(٣)] وقال الراغب رحمه الله:" شرى الشراء والبيع يتلازمان؛

---

(١) التعاريف / المناوي صـــ ٤١٨ وانظر المفردات / الأصبهاني صـــ ٢٥٢

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج١٤ صـــ ٤٢٧ ـــ ٤٣٠ باختصار كبير جدا وانظر المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صـــ ٤٨١

(٣) التبيان / شهاب الدين المصري صـــ ٥٩

فالمشتري دافع الثمن وآخذ المثمن، والبائع دافع المثمن وآخذ الثمن هذا إذا كانت المبايعة والمشاراة بناض[١] وسلعة، فأما إذا كانت بيع سلعة بسلعة صح أن يتصور كل واحد منهما مشتريا وبائعا ومن هذا الوجه صار لفظ البيع والشراء يستعمل كل واحد منهما في موضع الآخر، وشريت بمعنى بعت أكثر وابتعت بمعنى اشتريت أكثر."[٢]

وقد جاء اللفظ في سياق المدح فقال سبحانه:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ ﴾ [البقرة:٢٠٧]﴿ وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۗ ﴾ [آل عمران:١٩٩]﴿فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ ﴾ [النساء:٧٤] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ ﴾ [التوبة:١١١]

وفي مجال الذم قال الله تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾ [البقرة:١٦] ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ ﴾ [البقرة:٧٩] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ ﴾ [البقرة:٨٦]﴿بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٩٠]﴿وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٠٢] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [آل عمران:٧٧]﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [آل عمران:١٧٧] ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴾ [النساء:٤٤] ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ ﴾ [لقمان:٦]

٣٧) شَهِد

" شهد على كذا شهادة أخبر به خبرا قاطعا، ولفلان على فلان بكذا أدى ما عنده من الشهادة، وبالله حلف وأقر بما علم، والمجلس حضره ومنه ما في التنزيل العزيز﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ ﴾ [البقرة:١٨٥] والحادث عاينه وفي التنزيل العزيز﴿ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [النمل:٤٩] والشيء عاينه، واستشهد الرجل فلانا طلب منه أن يشهد، واستشهد بكذا احتج به. والشهادة أن يخبر بما رأى، وأن يقر بما علم، ومجموع ما يدرك بالحس، والشهادة البينة، وعالم الشهادة عالم الأكوان الظاهرة مقابل عالم الغيب وفي التنزيل

---

(١) الناض هو النقد الحاضر في يد صاحبه أو يملكه ملكا لا منازعة فيه وهو من العملة المتداولة عند الناس والذي نسميه لليوم النقد.

(٢) المفردات / الأصبهاني صـــ ٢٦٠

العزيز ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [التوبة:١٠٥] والمشاهدة الإدراك بإحدى الحواس."(١)

وقال الكفومي رحمه الله:" الشهيد الشاهد والأمين في شهادته، والذي لا يغيب عن علمه شيء، والقتيل في سبيل الله لأن ملائكة الرحمة تشهده، أو لأن الله وملائكته شهود له بالجنة، قال المفسرون شهد بمعنى بيَّن في حق الله، وبمعنى أقر في حق الملائكة، وبمعنى أقر واحتج في حق أولي العلم من الثقلين، وشهد عند الحاكم أخبر. ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة:٦] أي عليم و﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران:١٨] يحتمل الإخبار والعلم، والشهادة بيان الحق سواء كان عليه أو على غيره."(٢)

وجاء اللفظ في القرآن بألفاظ متعددة تدور في دلالتها على المعاني التي ذُكرت سابقا وهى في مجملها تدل على المعاينة والحضور والعلم، واستخدمت فيما يدل على المدح كقوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾ [البقرة:١٤٣]﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [البقرة:٢٨٢] ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ﴾ [آل عمران:١٨] ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران٥٢:٥٣]﴿قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[آل عمران:٨١] ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ﴾ [آل عمران:١٤٠]﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [النساء:٣٣] ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء:٤١]﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[النساء:١٦٦] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴾ [المائدة:١٠٦] ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء:٧٨]﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ [الحج:٢٧]﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ﴾ [الحج:٧٨] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الأحزاب:٤٥]﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف:٨٦] ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ

---

(١) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صــ ٤٩٧ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج٣ صــ ٢٣٨ وما بعدها

(٢) الكليات / الكفومي صــ ٥٢٧ ، ٥٢٨ باختصار يسير وانظر المفردات / الأصبهاني صــ ٢٦٨

إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ [الأحقاف: ١٠] ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [المطففين: ٢١]

ومما جاء في سياق الذم قوله تبارك تعالى:﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٣] ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ ﴾ [البقرة:١٣٣] ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٠] ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء:٧٢] ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ شَـٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ﴾ [التوبة:١٧] ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريم:٣٧] ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤] ﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ ﴾ [النمل:٤٩] ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [يس:٦٥] ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزُخرُف: ١٩] ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾ [البروج:٧]

ومن الآيات التي اجتمع فيها المدح والذم قوله سبحانه:﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ﴾ [الأنعام: ١٩] ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ﴾ [المنافقون: ١]

٣٨) شَها أو شَهَو أو شَهِي

" شها وشَهِي الشيء وشهاه واشتهاه أحبه ورغب فيه، والتشهي اقتراح شهوة بعد شهوة يقال تشهت المرأة على زوجها فأشهاها أي أطلبها شهواتها. وقوله عز وجل: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ:٥٤] أي يرغبون فيه من الرجوع إلى الدنيا، والشهوة معروفة، وطعام شهي أي مشتهى وفي الحديث (إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء و الشهوة الخفية)(١) قال أبو عبيد رحمه الله: ذهب بها بعض الناس إلى شهوة النساء وغيرها من الشهوات قال وعندي أنه ليس بمخصوص بشيء واحد ولكنه في كل شيء من المعاصي يضمره صاحبه ويصر عليه."(٢)

قال الكفومي رحمه الله:" والشهوة ميل جبلي غير مقدور للبشر بخلاف الإرادة."(٣) وقال

---

(١) ذكره ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال / عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد أبو أحمد الجرجاني / دار النشر: دار الفكر / بيروت / ١٤٠٩ هـ ــ ١٩٨٨م / الطبعة: الثالثة / تحقيق: يحيى مختار غزاوي ج٤ صــ ٢١٣ تحت رقم ١٠٢٠ وقال وعبد الله بن بديل ينكر عليه من الزيادة في متن أو في إسناد ولم أر للمتقدمين فيه كلاما فأذكره وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين كتاب الرقاق ج٤ صــ ٣٦٦ بلفظ (الرياء وشهوة خفية) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج١٤ صــ ٤٤٥ وانظر تاج العروس / الزبيدي ج٣٨ صــ ٤٠٢

(٣) الكليات / الكفومي صــ ٧٥

الجرجاني رحمه الله:" الشهوة حركة للنفس طلبا للملائم."(١) وقال المناوي رحمه الله:" وقال بعضهم نزوع النفس إلى ما تريده وهي في الدنيا ضربان صادقة وكاذبة؛ فالصادقة: ما يختل البدن بدونه كشهوة الطعام للجوع، والكاذبة ما لا يختل بدونه وقد يسمى المشتهى شهوة وقد يقال للقوة التي بها يشتهي الشيء شهوة."(٢)

وجاء اللفظ ممدوحا كقوله تعالى:﴿وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٢]﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ﴾ [فصّلت:٣١]﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ [الزُخرُف:٧١]﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة:٢١]﴿وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [المرسلات:٤٢]

وفي سياق الذم قال سبحانه:﴿ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٢٧]﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [الأعراف:٨١]﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل:٥٧]﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ [سبأ:٥٤]

ومما يحتمل المدح والذم جاء قوله تعالى:﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [آل عمران:١٤] وهذا جبلة في طبع الإنسان فإن جمعها وصرفها وفق منهج الله فهي ممدوحة وإلا فلا.

٣٩) صَرَف

" صرف الباب أو القلم و نحوهما صَرِيفا صَوَّت، ويقال صرف نابه و صرف بنابه و الشيء صرفا رده عن وجهه، ويقال صرف الأجير من العمل والغلام من المكتب خلى سبيله، و المال أنفقه والنقد بمثله بدله، والكلام زينه، والشراب لم يمزجه، وصرف الأمر دبره ووجهه، و يقال صرف الله الرياح، وصرف الشيء بينه، وفي التنزيل العزيز﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الإسراء:٨٩] والألفاظ اشتق بعضها من بعض، وانصرف عنه تحول عنه وتركه، وتصرف فلان في الأمر احتال وتقلب فيه، ولعياله اكتسب، وصرف الدهر نوائبه وحدثانه."(٣)

قال الكفومي رحمه الله:" الصرف هو أخص من المنع لأن المنع لا يلزمه اندفاع الممنوع عن جهة بخلاف الصرف. وفي الشريعة بيع الثمن بالثمن أي أحد الحجرين بالآخر. وصرف الحديث أن يزاد فيه ويحسن من الصرف في الدراهم وهو فضل بعضها على بعض في القيمة، والصيرفي المحتال في الأمور كالصريف وصراف الدراهم، وتصريف الآيات تبيينها، وفي الدراهم إنفاقها، وفي الرياح

---

(١) التعريفات / الجرجاني صـــ ١٧٠ وانظر التعاريف / المناوي صـــ ٤٤٠

(٢) التعاريف / المناوي صـــ ٤٤١

(٣) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صـــ ٥١٣ باختصار وانظر لسان العرب / ابن منظور ج٩ صـــ ١٨٩ وما بعدها

تحويلها من وجه إلى وجه، وفي الخمر شربها صرفا."(١) وقال المناوي رحمه الله:" الصَرف بالفتح رد الشيء من حالة إلى أخرى أو إبداله بغيره."(٢)

وقد جاء اللفظ في القرآن في سياق المدح فقال سبحانه:﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٦٤]﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ [آل عمران:١٥٢]﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾ [الأنعام:١٦]﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام:٦٥]﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف:٤٧]﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ [يوسف:٢٤] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [الإسراء:٤١]﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الأحقاف:٢٩]

ومما جاء منه على سبيل الذم كقوله تعالى:﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:١٤٦]﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة:١٢٧]﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس:٣٢]﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ [هود:٨]﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف:٥٣]﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾ [غافر:٦٩]

٤٠) ضَحِك

" ضحك انفرجت شفتاه و بدت أسنانه من السرور، ومنه وبه سخر منه وعجب أو فزع، وطلع النخلة انشق وتفلق، والنخلة أخرجت الضحك، ويقال ضحكت الأرض عن النبات أخرجته، و ضحك السحاب برق وتلألأ، وضحك الطريق استبان ووضح فهو ضاحك، والحوض ملأه حتى فاض. الضحِكة من يكثر الناس الضحك منه والضُحكة من يضحك على الناس."(٣)

وقال الكفومي رحمه الله:" الضحك هو اسم جنس تحته نوعان: التبسم والقهقهة وحكي عن الإمام قاضيخان أن القهقهة: هي أن تبدو نواجذه مع صوت، والضحك: بلا صوت، والتبسم دون الضحك، نظير ذلك النوم والنعاس والسنة وفي فتح الباري انبساط الوجه بحيث تظهر الأسنان من السرور إن كان بلا صوت فتبسم وإن كان بصوت يسمع من بعيد فقهقهة وإلا فضحك."(٤) وقال المناوي رحمه الله:" الضحك كيفية غير راسخة تحصل من حركة الروح إلى خارج دفعة بسبب تعجب يحصل للضاحك، وحد الضحك ما يكون مسموعا لجيرانه ذكره ابن الكمال، وقال الراغب: الضحك انبساط

---

(١) الكليات / الكفومي صـــ ٥٦٢

(٢) التعاريف / المناوي صـــ ٤٥٤

(٣) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صـــ ٥٣٥ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج١٠ صـــ ٤٥٩

(٤) الكليات / الكفومي صـــ ٥٧٤

الوجه وتكشر الأسنان من سرور النفس ولظهور الأسنان عنده سميت مقدمات الأسنان ضواحك، واستعير الضحك للسخرية، ويستعمل الضحك للسرور المجرد تارة نحو﴿ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ [عبس:٣٩] وللتعجب المجرد أخرى وإياه قصد من قال الضحك مختص بالإنسان ولا يوجد في غيره من الحيوان."[١]

وقد ورد اللفظ في القرآن ممدوحا كقوله تعالى:﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ ﴾ [هود:٧١] ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾ [النمل:١٩] ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾ [النجم:٤٣] ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ [المطففين:٣٤]﴿ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ [عبس:٣٩]

وفي سياق الذم قال سبحانه:﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا ﴾ [التوبة:٨٢] ﴿ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٠] ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾ [الزُخرُف:٤٧] ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴾﴿ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴾ [النجم٥٩:٦٠] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴾ [المطففين:٢٩]

٤١) ضَرَبَ

" ضرب الشيء ضربا وضربانا تحرك، والقلب نبض، والعرق هاج دمه واختلج و الضرس أو نحوه اشتد وجعه وألمه، والرجل في الأرض ذهب وأبعد و في التنزيل العزيز﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [المزَّمل:٢٠] ونهض، وأسرع في السير، وفي الماء سبح، وفي الأمر بسهم ونحوه شارك فيه، وعن الأمر كف وأعرض، واللون إلى اللون مال، و بيده إلى كذا أهوى، وإليه أشار، وعلى المكتوب وغيره ختم، والنوم على أذنه غلبه، وفلان على يد فلان أمسك وقبض، وعلى فلان أفسد عليه أمره، ويقال ضرب القاضي على يد فلان حجر عليه ومنعه التصرف، وبالسيف وغيره أوقع، والدهر بين القوم فرق وباعد وأفسد، ويقال ضرب به عرض الحائط أهمله وأعرض عنه احتقارا، و فلانا وغيره بكذا أوقعه عليه وجلده و في التنزيل العزيز﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ﴾ [ص:٤٤] وله مثلا ذكره له ومثل به، وله أجلا أو موعدا حدده وعينه، ويقال ضرب عليه الذلة و نحوها ."[٢]

قال الكفومي رحمه الله:" الضرب هو اسم الفعل بصورة معقولة أي معلومة؛ وهو استعمال آلة التأديب في محل صالح للتأديب ومعنى مقصود وهو الإيلام، فإن المقصود من هذا الفعل ليس إلا الإيلام، ولهذا لو حلف لا يضرب فلانا فضربه بعد موته لا يحنث لفوات معنى الإيلام، وضرب المثل من ضرب الدراهم وهو ذكر شيء أثره يظهر في غيره وقد ضرب الله الأمثال في القرآن تذكيرا أو

---

(١) التعاريف / المناوي صـــ ٤٧٠ وانظر التعريفات / الجرجاني صـــ ١٧٩

(٢) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صـــ ٥٣٦ باختصار وانظر لسان العرب / ابن منظور ج١ صـــ ٥٤٤ وما بعدها

وعظا مما اشتمل منها على تفاوت في ثواب، أو على إحباط عمل أو على مدح أو ذم أو نحو ذلك﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر:٢١] وهي قسمان: قسم مصرح به، وقسم كامن."[1]

وقد ورد لفظ الضرب في القرآن على خمسة أنواع[2]

الأول : ــ الضرب الحسي باليد أو العصا أو السيف ونحوها

وبهذا المعنى جاء الضرب ممدوحا كقوله تعالى:﴿ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ﴾ [البقرة:٦٠] ﴿فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال:١٢] ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾ [الصافات:٩٣]

وجاء في سياق الذم كقوله تعالى:﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الأنفال:٥٠]

الثاني : ــ الذهاب في الأرض وهو من وقع الأقدام عليها

وبهذا المعنى جاء الضرب ممدوحا فقط في وصف المؤمنين قال تعالى:﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة:٢٧٣]﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء:٩٤]

الثالث : ــ إيراد المثل

وبهذا المعنى جاء الضرب ممدوحا كقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ ﴾ [البقرة:٢٦]﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد:١٧]

وجاء في سياق الذم كقوله تعالى:﴿ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٧٤]﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء:٤٨]

الرابع : ــ التغطية الكلية أو الجزئية وهو من ضرب الخيمة

وبهذا المعنى جاء الضرب ممدوحا كقوله تعالى:﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ [الكهف:١١] ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور:٣١]

وجاء في سياق الذم بالمعنى المعنوي قال تعالى:﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ ﴾ [البقرة:٦١] وبالمعنى المادي كقوله سبحانه:﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد:١٣]

---

(١) الكليات / الكفومي صــ ٥٧٢ ــ ٥٧٤ باختصار كبير

(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم / مجمع اللغة العربية ج١ صــ ٧١٦

الخامس : ــ الإعراض

وبهذا المعنى جاء الضرب في سياق الذم مرة واحدة في قوله تعالى:﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾ [الزُخرُف:٥]

٤٢) ضَيَق

" الضِيق نقيض السعة ضاق الشيء يضيق ضِيقا والضِيقة هي الفقر وسوء الحال، وقد ضاق عنك الشيء، وضاق الرجل أي بخل، وضيقت عليك الموضع وتضايق القوم إذا لم يتوسعوا في خلق أو مكان. الضيَّق الشك يكون في القلب من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [النحل:١٢٧] وقال الفراء رحمه الله: الضيَّق ما ضاق عنه صدرك والضيق ما يكون في الذي يتسع ويضيق مثل الدار والثوب. وأضاق الرجل فهو مضيق إذا ضاق عليه معاشه، و أضاق أي ذهب ماله، التهذيب والمَضيق ما ضاق من الأماكن والأمور."[١]

قال الكفومي رحمه الله:" الضيَّق بالتشديد في الأَجرام ــ المحسوسات ــ وبالتخفيف في المعاني، وقيل بالكسر والتخفيف في قلة المعاش والمساكن، وما كان في القلب فهو ضيَّق بالتشديد وقيل بالكسر في الشدة وبالفتح في الغم والضيق إذا كان عارضا غير لازم يعبر عنه بضائق. وضاق به ذرعا أي ضعفت طاقته ولم يجد من المكروه فيه مخلصا، وبإزائه رحب ذرعه كذا لأن طويل الذراع ينال ما لا ينال قصير الذراع."[٢]

وقال الراغب رحمه الله:" ﴿وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ ﴾ [هود:١٢]﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِى ﴾ [الشعراء:١٣] ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام:١٢٥] ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ [التوبة:٢٥] ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ [التوبة:١١٨] ﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [النحل:١٢٧] كل ذلك عبارة عن الحزن وقوله: ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ﴾ [الطلاق:٦] ينطوي على تضييق النفقة وتضييق الصدر."[٣]

وبهذين المعنيين ورد اللفظ في القرآن ففي مجال المدح قال تعالى:﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ [التوبة:١١٨]﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ﴾ [هود:١٢]﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾ [هود:٧٧]﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ [الحِجر:٩٧]

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج١٠صـــ ٢٠٨وانظر المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج١ صـــ ٥٤٨

(٢) الكليات / الكفومي صـــ ٥٧٥

(٣) المفردات / الأصفهاني صـــ ٣٠٠

وفي سياق الذم قال سبحانه:﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام:١٢٥] ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة:٢٥] ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ [الفرقان:١٣] ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾ [الطلاق:٦]

٤٣) طَمِع

" الطمع ضد اليأس قال عمر بن الخطاب: عنه تعلمن أن الطمع فقر وأن اليأس غنى. وطمع فيه حرص عليه ورجاه، وفي صفة النساء ابنة عشر مطمعة للناظرين، وامرأة مطماع تُطمع ولا تمكن من نفسها، وتطميع القطر حين يبدأ فيجيء منه شيء قليل سمي بذلك لأنه يطمع بما هو أكثر منه، والطمع رزق الجند وأطماع الجند أرزاقهم يقال أمر لهم الأمير بأطماعهم أي بأرزاقهم."(١)

وقال المناوي رحمه الله:" الطمع تعلق البال بالشيء من غير تقدم سبب له. وقال الراغب: نزوع النفس إلى الشيء شهوة له، ولما كان أكثر الطمع من جهة الطبع قيل الطمع طبع، والطمع يدنس الإيهاب، وأكثر ما يستعمل الطمع فيما يقرب حصوله وقد يستعمل بمعنى الأمل، وفي كلامهم طمع في غير مُطْمَع إذا أمل ما يبعد حصوله؛ لأنه قد يقع كل واحد موقع الآخر لتقارب المعنى ذكره الراغب. والطمع ذل ينشأ من الحرص والبطالة والجهل بحكمة الباري تقدس."(٢)

وقد ورد الطمع في القرآن ممدوحا كقوله تعالى:﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المائدة:٨٤] ﴿وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف:٤٦] ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف:٥٦] ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الرعد:١٢] ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:٥١] ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء:٨٢] ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة:١٦]

وفي سياق الذم قال سبحانه:﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٧٥] ﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب:٣٢] ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ [المعارج:٣٨] ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ [المدَّثر:١٥]

٤٤) طاع أو طوَع

" طاع فلان طَوْعا انقاد وأتاه طائعا سهلا، والنبات أمكن رعيه، والشجر أمكن جمع ثمره، و طاع الغلام أباه لان وانقاد، وأطاع فلانا طاعه وخضع له. طوَّع مبالغة في طاع وطوعت له نفسه

(١) لسان العرب / ابن منظور ج٨ صـ ٣٤٠ وانظر المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـ ٥٦٦
(٢) التعاريف / المناوي صـ ٤٨٥ ، ٤٨٦ وانظر المفردات / الأصبهاني صـ ٣٠٧

كذا طاوعته عليه أو زينته وشجعته عليه وفي التنزيل العزيز﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ﴾ [المائدة:٣٠] وتطوع لان، وتكلف الطاعة وتنفل أي قام بالعبادة طائعا مختارا دون أن تكون فرضا لله وفي التنزيل العزيز﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ [البقرة:١٨٤] واستطاع الشيء أطاقه وقدر عليه وأمكنه، والطاعة الانقياد والموافقة وقيل لا تكون إلا عن أمر، والمطوع المتطوع وفي التنزيل العزيز﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ ﴾[التوبة:٧٩] أي من يتطوعون للجهاد ونحوه."(١)

وقال الراغب رحمه الله:" طوع الطوع الانقياد ويضاده الكره قال تعالى:﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾[فصّلت:١١] والطاعة مثله لكن أكثر ما تقال في الائتمار لما أمر والارتسام فيما رسم قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ ﴾[النساء:٨١]﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ [محمد:٢١] والتطوع في الأصل تكلف الطاعة وهو في التعارف التبرع بما لا يلزم كالتنفل قال تعالى: (فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ) والاستطاعة وجود ما يصير به الفعل متأتيا ويضاده العجز والاستطاعة أخص من القدرة قال تعالى:﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأنبياء:٤٣] وقوله تعالى:﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ [التوبة:٤٢] فإشارة بالاستطاعة ههنا إلى عدم الآلة من المال والظهر والنحو، وقد يقال فلان لا يستطيع كذا لما يصعب عليه فعله لعدم الرياضة وذلك يرجع إلى افتقاد الآلة، أو عدم التصور، وقد يصح معه التكليف ولا يصير الإنسان به معذورا وعلى هذا الوجه قال تعالى:﴿لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف:٦٧] وقد حمل على ذلك قوله تعالى:﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟﴾ [النساء:١٢٩] وقيل يستطيع ويطيع بمعنى واحد ومعناه هل يجيب كقوله:﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨] أي يجاب."(٢) وقال الكفومي رحمه الله:" طاع له يطوع ويطاع انقاد ويطيع لغة في يطوع ولا يقال أطعت أمر زيد بل يقال أطعت زيدا في أمره، والطاعة هي الموافقة للأمر أعم من العبادة لأن العبادة غلب استعمالها في تعظيم الله غاية التعظيم والطاعة تستعمل لموافقة أمر الله وأمر غيره، والطاعة فعل المأمورات ولو ندبا وترك المنهيات ولو كراهة؛ فقضاء الدين والإنفاق على الزوجة والمحارم ونحو ذلك طاعة الله وليس بعبادة، وتجوز الطاعة لغير الله في غير المعصية ولا تجوز العبادة لغير الله تعالى."(٣)

مما سبق بيانه يتضح أن معنى الطاعة هو موافقة الأمر طوعا وبرضى وتسليم، وقد جاءت في القرآن الكريم بهذا المعنى متكررة وبصيغ متعددة: منها ما هو مأمور به، ومندوبا إليه ممدوح فاعله، ومنها ما هو منهيا عنه مأمورا اجتنابه متوعدا سبحانه لفاعله. فمن الطاعة التي أمر الله بها : ــ

---

(١) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صــ ٥٧٠ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج٨ صــ ٢٤٠ وما بعدها
(٢) المفردات / الأصبهاني صــ ٣١٠
(٣) الكليات / الكفومي صــ ٥٨٣

١ــ الطاعة لله عز وجل طاعة مطلقة، فكل أوامر الله عز وجل يجب تنفيذها بقدر الاستطاعة بدون قيد أو شرط أو تردد قال سبحانه:﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥]﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:٣٢]

٢ــ طاعة الرسول ﷺ طاعة مطلقة؛ لأنه مبلغ عن الله، وكذلك كل الرسل عليهم السلام قال تعالى:﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ﴾ [آل عمران:٣٢]﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٦٤] ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء:٨٠]

٣ــ التطوع ما زاد عن الواجب المطلوب من المسلم على وجه الإلزام، ووعد الله عباده المتطوعين بثواب عظيم، وتوعد من سخر منهم بالعذاب الأليم قال تعالى:﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٥٨] ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ﴾ [البقرة:١٨٤] ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة:٧٩]

٤ــ وهناك طاعة فرضها الله على المؤمنين لغيره سبحانه وتعالى، وهي طاعة أولي الأمر، والوالدين، والزوج، ولكنها طاعة مقيدة بما لا يخالف طاعته عز وجل وطاعة رسوله ﷺ قال تعالى:﴿فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ﴾ [النساء:٣٤]﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء:٥٩]﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ﴾ [العنكبوت:٨]

٥ــ وصف بها جبريل عليه السلام قال تعالى ﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ﴾ [التكوير:٢١]

وهناك نوع من أنواع الطاعة ذمه الله وحرمه على عباده؛ لما يترتب على هذه الطاعة من المفاسد، وهي طاعة الكافرين والمنافقين وأهل الكتاب، وطاعة هوى النفس، وطاعة المسرفين والشياطين والمكذبين في ترك الحق، أو ترك أمر من أوامر الله عز وجل، وبين سبحانه أن من عواقب هذه الطاعة الندم يوم القيامة.

فعن الكافرين قال سبحانه:﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام:١١٦]﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الكهف:٢٨]﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ [الفرقان:٥٢]

ولذا فهم ينكرون على المؤمنين طاعة الرسل قال سبحانه:﴿وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [المؤمنون:٣٤]ثم يوم القيامة يعذبون ويزداد عذابهم حين يرون النعيم الذي حل بالطائعين فيتمنون لو أنهم كانوا مثلهم قال سبحانه وتعالى:﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب:٦٦]

وعن المنافقين وخلفهم في وعدهم بالطاعة لله سبحانه، والتزامهم للكافرين بالطاعة، وتآمروا معهم على النبي ﷺ والمؤمنين قال تعالى:﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ﴾

[النساء:٨١]﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ [النور:٤٧]

ولذا فطاعتهم مردودة عليهم﴿ قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ﴾ [التوبة:٥٣]

ثم هم يدعون أن سبب قتل المجاهدين هو عدم مطاوعتهم في القعود فيكذبهم رب العزة بأنهم لا يستطيعون دفع الموت عن أحد حتى عن أنفسهم قال سبحانه:﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران:١٦٨]

ولذا نهى سبحانه النبي ﷺ عن طاعتهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ [الأحزاب:١]

وهم لا يخلفون وعدهم بالطاعة مع الله ورسوله فقط بل المخالفة وخلف الوعد في سجيتهم حتى ممن هو على شاكلتهم من أهل الكتاب قال تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الحشر:١١]

وعن أهل الكتاب في امتناعهم الصريح عن الطاعة قال سبحانه:﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ ﴾ [النساء:٤٦]

ولذا نهى رب العزة المؤمنين عن طاعتهم فال عز من قائل:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٠٠]

وعن طاعة هوى النفس قال سبحانه:﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ ﴾ [المائدة:٣٠]

ونهى سبحانه عن طاعة المسرفين فقال:﴿ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الشعراء:١٥١]

ونهى سبحانه عن طاعة المجادلين الذين يتلقون أوامرهم من شياطين الإنس والجن فقال:﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام:١٢١]

ونهى سبحانه عن طاعة المكذبين فقال:﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [القلم:٨]

وكذلك نهى سبحانه عن طاعة كل صاحب أخلاق سيئة فقال:﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾ ﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ ﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾ ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾ [القلم١٠:١٣]﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ [العلق:١٩]

وكذلك نهى سبحانه عن الطاعة لمن أمر بمعصية حتى ولو كان الآمر أحد الوالدين فقال:﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ ﴾ [لقمان:١٥]

ثم قرر سبحانه أن الطاعة لا تكون إلا له وبين أن النبي ﷺ لو أطاع أصحابه في كثير من مقترحاتهم لأصابهم العنت فقال سبحانه:﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾ [الحُجُرات:٧]

مما سبق يتضح أن كل ما في الكون من المخلوقات خاضع ومنقاد لله سبحانه طوعا أو كرها، إلا

بعض المكلفين من الجن والإنس فإنهم يتركون بعض الطاعة الاختيارية قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران:٨٣] ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصّلت:١١]

٤٥) طاف أو طَوَف

" طاف حوله وبه وعليه وفيه دار وحام، وطاف الخيال وغيره به أو عليه أَلَّم، وطاف الكرى أو النوم به أو عليه نعس، وأطاف به أوعليه ألم به وقاربه وأحاط به، وطوَّف مبالغة في طاف، والناس والجراد أو غيرهما ملؤوا الأرض كالطُوفان، والطائف العاسُّ الذي يدور حول البيوت ونحوها ليحرسها وبخاصة في الليل، وما كان كالخيال يلم بالشخص ويقال طائف من الشيطان وفي التنزيل العزيز﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟﴾ [الأعراف:٢٠١] والخادم الذي يخدمك برفق وعناية جمعه طائفون للعاقل وطوائف لغيره، والطائفة الجماعة و الفرقة من الناس يجمعهم مذهب أو رأي يمتازون به، والطواف شرعا الدوران حول لكعبة، والطُوفان من كل شيء ما كان كثيرا أو عظيما من الأشياء أو الحوادث بحيث يطغى على غيره، والفيضان العظيم كالذي أهلك قوم نوح."(١)

وبهذه المعاني ورد اللفظ قي القرآن بين المدح والذم فقال سبحانه في سياق المدح:﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [البقرة:١٢٥]﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ [البقرة:١٥٨]﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ [الحج:٢٩]﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾ [الصافات:٤٥]﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ ﴾ [الزُخرُف:٧١]﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾[الواقعة:١٧]﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان:١٥]

وفي مجال الذم ورد قوله عز وجل:﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ [الأعراف:١٣٣] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف:٢٠١]﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن:٤٤]﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾ [القلم:١٩]

٤٦) ظَنَن (ظنَّ)

لقد اختلف علماء اللغة وأهل التعاريف وأصحاب أصول الفقه في تعريف الظَنِّ اختلافا كبيرا؛ حيث عرفه كل حسب المعنى الذي يخدم العلم الذي يشتغل به، أورد مقتطفات مختصرة من تعريفاتهم فيما يلي:ـــ

---

(١) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢صـــ ٥٧١ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج٩ صـــ ٢٢٥ وما بعدها و المفردات / الأصبهاني صـــ ٣١٠ ، ٣١١

قال الزبيدي والفيروز أبادي:" الظَنُّ التردد الراجح بين طرفي الاعتقاد الغير جازم."[1]

وقال ابن منظور رحمه الله:" الظَنُّ شك ويقين إلا أنه ليس بيقين عيان إنما هو يقين تدبر فأما يقين العيان فلا يقال فيه إلا علم."[2]

وقال أصحاب المعجم الوسيط:" الظَنُّ إدراك الذهن الشيء مع ترجيحه، وقد يكون مع اليقين."[3]

أما أهل التعاريف فقال الجرجاني والمناوي رحمها الله:" الظَنُّ هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض، ويستعمل في اليقين والشك، وقيل هو أحد طرفي الشك بصفة الرجحان."[4]

وقال الراغب رحمه الله:" الظَنُّ اسم لما يحصل عن أمارة، ومتى قويت أدت إلى العلم، ومتى ضعفت جداً لم يتجاوز حد التوهم."[5]

و قال الكفومي رحمه الله:" الظَنُّ يكون يقينا ويكون شكا من الأضداد، وعند الفقهاء هو من قبيل الشك لأنهم يريدون به التردد بين وجود الشيء وعدمه سواء استويا أو ترجح أحدهما، وقد يطلق الظُنُّ بإزاء اليقين على الحكم الجازم وغالب الظن عندهم ملحق باليقين؛ وهو الذي تبتنى عليه الأحكام يعرف ذلك من تصفح كلامهم. وقد يطلق الظن بإزاء العلم على كل رأي واعتقاد من غير قاطع، وقد يجيء بمعنى التوقع على سبيل الاستعارة التبعية كما في قوله تعالى:﴿يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة:٤٦] ومن الظن ما يجب اتباعه كحسن الظن بالله تعالى، وما يحرم كالظن في الإلهيات والنبوات وظن السوء بالمؤمنين، وما يباح كالظن في الأمور المعاشية ولا إثم في ظن لا يتكلم به وإنما الإثم فيما يتكلم به."[6]

إذاً فالظَنُّ درجة من درجات العلم، فهو فوق الشك، ودون اليقين، وبعبارة أخرى: هو اعتقاد وقوع الشيء اعتقاداً راجحاً. أو هو العلم المستند إلى دليل راجح، مع احتمال الخطأ احتمالاً ضعيفاً.

ثم إن لفظ الظَنِّ في القرآن الكريم ورد على عدة معان منها ما ذمه الله ومنه ما جاء في سياق المدح ومن هذه المعاني :ــ

الأول : ــ بمعنى اليقين وقد جاء وصفا ممدوحا في القرآن ورد في مواضع عديدة، منها قوله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة:٤٦] قال أبو حيان رحمه الله:" معناه يوقنون، قاله الجمهور؛ لأن من وصف بالخشوع لا يشك أنه ملاق ربه، ويؤيده أن في مصحف عبد الله بن

---

(١) تاج العروس / الزبيدي ج٣٥ صـــ ٣٦٥ وانظر القاموس المحيط / الفيروز أبادي صـــ ١٥٦٦

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج١٣ صـــ ٢٧٢

(٣) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى و آخرين ج٢ صـــ ٥٧٨

(٤) التعريفات / الجرجاني صـــ ١٨٧ وانظر التعاريف / المناوي صـــ ٤٩٢

(٥) المفردات / الأصبهاني صـــ ٣١٧

(٦) الكليات / الكفومي صـــ ٥٩٣ ، ٥٩٤

مسعود الذين يعلمون."(١) وقال ابن كثير رحمه الله:" يعلمون أنهم محشورون إليه يوم القيامة، معروضون عليه، وأنهم إليه راجعون."(٢) ونحو هذا قوله تعالى:﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الجن:٥] قال القرطبي والرازي والشوكاني رحمهم الله:" الظن هنا بمعنى العلم واليقين."(٣) ووفق هذا المعنى يُفهم قوله تعالى:﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة:٢٠] وقوله سبحانه:﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾ [القيامة:٢٨] قال الطبري رحمه الله:" العرب قد تسمي اليقين ظناً، والشك ظنًا، نظير تسميتهم المغيث صارخاً، والمستغيث صارخًا والشواهد من أشعار العرب وكلامها على أن الظن في معنى اليقين أكثر من أن تحصر."(٤)

وجاء الظن بمعنى اليقين مذموما كما في قوله تعالى:﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴾ [القصص:٣٩] قال الراغب رحمه الله:" فإنه استعمل فيه أن المستعملة مع الظن الذي هو للعلم تنبيها أنهم اعتقدوا ذلك اعتقادهم للشيء المتيقن وإن لم يكن ذلك متيقنا. وقوله ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الحشر:٢] أي اعتقدوا اعتقادا كانوا منه في حكم المتيقنين ."(٥)

الثاني: ــ بمعنى الشك، وقد ورد مذموما ومن ذلك قوله عز وجل:﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [البقرة:٧٨] قال أبو حيان بعد أن نقل أقوالاً في معنى الظن هنا:" وقال آخرون يشكون؛ وهو التردد بين أمرين لا يترجح أحدهما على الناظر فيهما والأولى حمله على موضوعه الأصلي وهو الترجيح لأحد الأمرين على الآخر إذ لا يمكن حمله على اليقين."(٦) ومنه قوله سبحانه: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾ [النساء:١٥٧]

الثالث: ــ بمعنى التهمة، ومنه قوله تعالى:﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ ﴾ [الفتح:٦] قال ابن كثير رحمه الله:" أي يتهمون الله في حكمه."(٧) وعلى هذا المعنى جاء قوله تعالى﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير:٢٤]

---

(١) تفسير البحر المحيط / أبو حيان الأندلسي ج١ صــ ٣٤٢

(٢) تفسير ابن كثير ج١ صــ ٨٩

(٣) تفسير القرطبي ج١٩ صــ ١٦ وانظر التفسير الكبير / الفخر الرازي ج٢١ صــ ١١٩ وفتح القدير / الشوكاني ج٥ صــ ٣٠٦

(٤) تفسير الطبري ج١ صــ ٢٦٢

(٥) المفردات / الأصفهاني صــ ٣١٧

(٦) البحر المحيط / أبو حيان الأندلسي ج١ صــ ٤٤٣

(٧) تفسير ابن كثير ج٤ صــ ١٨٥وانظر المفردات / الأصبهاني صــ ٣١٧

الرابع: ــ بمعنى الوهم والتوهم، ومنه قوله سبحانه في حق سيدنا يونس عليه السلام: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ ﴾ [الأنبياء:٨٧] قال الراغب رحمه الله:" الأولى أن يكون من الظن الذي هو التوهم، أي ظن أن لن نضيّق عليه."(١) وهذا من قبيل الرجاء الذي يليق بالأنبياءوهو قول كثير من العلماء في معنى الآية. ويكون معنى نقدر من القَدْر الذي هو المنع والتضيق، كقوله تعالى:﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ ﴾ [الطلاق:٧] وليس من القدرة لاختلال المعنى إذ لا يليق بالأنبياء فضلاً عن غيرهم من البشر أن يظنوا أن الله غير قادر عليهم .

وفي سياق الذم قال سبحانه:﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ﴾ [الجاثية:٣٢] قال ابن كثير رحمه الله:" إن نتوهم وقوعها إلا توهماً، أي مرجوحاً ولهذا قال (وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ) أي متحققين."(٢)

الخامس: ــ بمعنى الحسبان وجاء ممدوحا في قوله تعالى:﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ [الجن:٥] قال الطبري:" وأنا حسبنا أن لن تقول بنو آدم والجن على الله كذباً من القول."(٣)

السادس: ــ الاعتقاد الخاطئ وبهذا المعنى جاء في القرآن كله مذموما كقوله تعالى:﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات:٨٧] أريد بالظن الاعتقاد الخطأ في صفات الله سبحانه حتى عبدتم غير."(٤) وكما في قوله تعالى:﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴾ [الأنعام:١١٦] ومن هذا القبيل قوله سبحانه:﴿ وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[فصّلت:٢٣]

السابع : ــ بمعنى الرجحان قال تعالى:﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ ﴾ [البقرة:٢٣٠] ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ ﴾ [يونس:٢٢]﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ﴾ [يوسف:٤٢]

ثم ها هنا أقوال منقولة عن السلف بخصوص معنى الظن في القرآن" أولها :عن الضحاك رحمه الله قال: كل ظن في القرآن من المؤمن فهو يقين، ومن الكافر فهو شك. وثانيها: عن مجاهد رحمه الله قال: كل ظن في القرآن فهو يقين. والثالث: قول قتادة رحمه الله: ما كان من ظن الآخرة فهو علم."(٥)

---

(١) المفردات / الأصفهاني صـــ ٣١٧

(٢) تفسير ابن كثير ج٤ صـــ ١٥٣، ٤٢٩ وتفسير السعدي ج١ صـــ ٨٩٠

(٣) تفسير الطبري ج٢٩ صـــ ١٠٧

(٤) انظر فتح القدير / الشوكاني ج٤ صـــ ٤٠١ والتفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج٢٦ صـــ ١٢٨ والتسهيل لعلوم التنزيل / الكلبي ج٣ صـــ ١٧٣

(٥) انظر فتح القدير / الشوكاني ج١ صـــ ٨١ ، ج٥ صـــ ٢٨٤ وانظر تفسير القرطبي ج١٨ صـــ ٢٧٠ وتفسير ابن كثير ج١ صـــ ٨٩ وتفسير الطبري ج١ صـــ ٢٦٢ ، ج٢٩ صـــ ٦٠

وقول الضحاك رحمه الله أقرب إلى ما تقرر بخصوص معنى الظن. أما قول مجاهد فهو يشكل مع كثير من الآيات التي تفيد أن المقصود بالظن معناه الحقيقي، الذي هو غير اليقين، كما تبين قريباً. وقد يُحمل قول مجاهد على أن (الظن) الذي يفيد اليقين، هو ما كان متعلقاً بأمور الآخرة، أما ما كان متعلقاً بأمور الدنيا فيفيد الشك، وقد رويت رواية ثانية عن مجاهد تدل على هذا المعنى، وفيها: ظن الآخرة يقين، وظن الدنيا شك؛[1] ونحو هذا قول قتادة : ما كان من ظن الآخرة فهو علم.

وعلى ضوء ما تقدم من معاني الظن في القرآن الكريم، يتبين أن السياق العام للآيات هو الذي يقود إلى تحديد المعنى المراد من لفظ الظن، أهو اليقين؟ أم الشك؟ أم التوهم؟ أم غيرها من المعاني التي أتيت عليها.

٤٧) عَجِب

" عَجِبَ منه عَجَبا أنكره لقلة اعتياده إياه، وأعجبه الأمر حمله على العَجَب منه، وأُعجب به عجب منه وسُرَّ. وأعجب بنفسه ترفع واستكبر، وعَجِب بالشيء استهواه واستماله، واستعجب اشتد تعجبه والتعجب استعظام أمر ظاهر المزية خافي السبب، العُجاب ما يدعو إلى العجب وفي التنزيل العزيز ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥] والعَجَب روعة تأخذ الإنسان عند استعظام الشيء يقال هذا أمر عجب، وهذه قصة عجب. والعَجْب مؤخر كل شيء وأصل الذنب، وعجب الذنب الجزيء في أصل الذنب عند رأس العصعص."[2]

قال الكفومي رحمه الله:" العجب كون الشيء خارجا عن نظائر من جنسه حتى يكون ندرة في صنعه، و قال الراغب رحمه الله: تصور استحقاق الشخص رتبة لا يكون مستحقا لها، وتغير النفس بما خفي سببه وخرج عن العادة مثله، ويقال لمن تروقه نفسه فلان معجب بنفسه. العجب بفتحتين والتعجب حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء."[3]

وقد جاء العجب في القرآن ممدوحا كقوله تعالى:﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن:١]﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [هود:٧٣]﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات:١٢]

وجاء وصفا لفعل الكفار مذموما قال تعالى:﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف:٦٣] ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ﴾ [ص:٤] ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴾ [النجم:٥٩] ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا ﴾ [التوبة:٢٥] وجاء منهيا عنه في قوله تعالى:﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ

(١) انظر تفسير القرطبي ج١٨ صـ ٢٧٠ ، و فتح القدير / الشوكاني ج٥ صـ ٢٨٤

(٢) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـ ٥٨٤ ، ج٢ صـ ٥٧٠ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج١ صـ ٥٨٠ وما بعدها

(٣) التعاريف / المناوي صـ ٥٠٣ ، ٥٠٤ وانظر التعريفات / الجرجاني صـ ١٩٠

﴿ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ ﴾ [التوبة:٥٥]

وقد اجتمع المدح والذم للعجب في قوله تعالى:﴿ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٌ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ ﴾ [الرعد:٥]

٤٨) عَجِل

" عَجِل عَجَلا أسرع و عَجلة السرعـــــة خلاف البطء، وفي التنزيل العزيز﴿ وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴾ [طه:٨٤] ويقال عجل إليه فهو عاجل وعَجِل هو وهي عجول وعجل فلانا والأمر سبقه وفي التنزيل العزيز﴿ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ ﴾ [الأعراف:١٥٠] وأعجل فلانا استحثه وسبقه، وعاجل فلانا بكذا بادره به، يقال عاجله الله بذنبه أخذه ولم يمهله، وعَجّل للضيف قدم إليه العجالة، وعَجّل له من الثمن كذا قدم، واللحم طبخه على عجلة، وتعجل الشيء أخذه بسرعة، والعاجل مقابل الآجل من كل شيء، والعاجل الوقت الحاضر، والعاجلة الدنيا وفي التنزيل العزيز﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ ﴾ [الإسراء:١٨] والعُجالة ما يعجل من شيء وما يتزوده المسافر مما لا يتعبه والمِعجال من الحوامل التي تضع ولدها قبل أوانه، ومختصر الطريق يقال (خذ معاجيل الطرق فإنها أقرب) ."[١]

ويقول الراغب رحمه الله:" العجلة طلب الشيء وتحريه قبل أوانه، وهو من مقتضى الشهوة فلذلك صارت مذمومة في عامة القرآن حتى قيل العجلة من الشيطان قال:﴿ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴾ [الأنبياء:٣٧] ﴿ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ ﴾ [طه:١١٤] والعجالة ما يعجل أكله كاللهنة وقد عجلتهم ولهنتهم والعجلة الإداوة الصغيرة التي يعجل بها عند الحاجة، والعجلة خشبة معترضة على نعامة البئر، وما يحمل على الثيران وذلك لسرعة مرها."[٢]

وجاء أكثر التعجيل في القرآن كما ذكر الراغب مذموما إلا أنه جاء كذلك في سياق المدح كقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام ﴿ وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴾ [طه:٨٤] قال الراغب رحمه الله:" فذكر أن عجلته وإن كانت مذمومة فالذي دعا إليها أمر محمود وهو طلب رضا الله تعالى."[٣]

وكذا جاء في سياق المدح قوله تعالى:﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ ﴾ [البقرة:٢٠٣] ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةٗ تَأۡخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ ﴾ [الفتح:٢٠]

وما بقي من صيغ للفظ التعجيل فقد جاء مذموما كقوله تعالى:﴿ قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبۡتُم

---

(١) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢صـــ ٥٨٦ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج١١ صـــ ٤٢٥ وما بعدها

(٢) المفردات / الأصبهاني صـــ ٣٢٣

(٣) المفردات / الأصبهاني صـــ ٣٢٣

بِهِۦٓ مَا عِندِى مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓ ﴾ [الأنعام:٥٧] ﴿أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡ ﴾ [الأعراف:١٥٠] ﴿وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِىَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡ ﴾ [يونس:١١] ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوۡ نَهَارًا مَّاذَا يَسۡتَعۡجِلُ مِنۡهُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴾ [يونس٥٠ : ٥١] ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء:١١] ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ﴾ [الشعراء:٢٠٤] ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [ص:١٦] ﴿ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَا ﴾ [الشورى:١٨] ﴿كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ﴾ [القيامة:٢٠] ﴿ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِى فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴾ [الأنبياء:٣٧] قال الشنقيطي رحمه الله:" فيه للعلماء قولان معروفان وفي نفس الآية قرينة تدل على عدم صحة أحدهما؛ أما القول الذي دلت القرينة المذكورة على عدم صحته فهو قول من قال العجل الطين وهي لغة حميرية، والقرينة المذكورة الدالة على أن المراد بالعجل في الآية ليس الطين قوله بعده (فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ) فهذا يدل على أن المراد بالعجل هو العجلة التي هي خلاف التأني والتثبت، والعرب تقول خلق من كذا يعنون بذلك المبالغة في الإنصاف كقولهم خلق فلان من كرم، وخلقت فلانة من الجمال."(١)

٤٩) عَدَل

" العَدْل ضد الجور، يقال عدل عليه في القضية من باب ضرب فهو عادل، وبسط الوالي عدله ومعدلته بكسر الدال وفتحها، وفلان من أهل المعدَلة بفتح الدال أي من أهل العدل ورجل عَدْل أي رضا ومقنع في الشهادة وهو في الأصل مصدر، وقوم عَدْل وعُدول أيضا وهو جمع عدل قال الأخفش العِدل بالكسر المثل و العَدل بالفتح أصله مصدر قولك عدلت بهذا عدلا حسنا تجعله اسما للمثل لتفرق بينه وبين عَدل المتاع. فما كان مما يدرك بالحواس عِدْل بالكسر كالموزونات والمعدودات والمكيلات، وما كان يدرك بالبصيرة عَدْل بالفتح كالأحكام . وعَدَل عن الطريق جار وبابه جلس، وعادلت بين الشيئين وعَدلت فلانا بفلان إذا سويت بينهما وبابه ضرب. و تعديل الشيء تقويمه يقال عدَله تعديلا فاعتدل أي قومه فاستقام، و العادل المشرك الذي يعدل بربه، ومنه قول تلك المرأة للحجاج إنك لقاسط عادل."(٢)

قال الكفومي رحمه الله:" العدالة لغة الاستقامة وفي الشريعة عبارة عن الاستقامة على الطريق الحق بالاختيار عما هو محظور دينا. وهي نوعان: ظاهرة: وهي ما ثبت بظاهر العقل والدين لأنهما يحملانه على الاستقامة ويزجرانه عن غيرها ظاهرا. وباطنة: وهي لا يدرك مداها لأنها تتفاوت فاعتبر في ذلك ما لا يؤدي إلى الحرج والمشقة وتضييع حدود الشرع وهو ما ظهر بالتجربة رجحان جهة الدين والعقل على طريق الهوى والشهوة بالاجتناب عن الكبائر وترك الإصرار على الصغائر،

---

(١) أضواء البيان / الشنقيطي ج٤ صـ ١٤٩ ، ١٥٠ باختصار يسير وانظر المفردات / الأصفهاني صـ ٣٢٣

(٢) مختار الصحاح / الرازي صـ ١٧٦ وانظر تاج العروس / الزبيدي ج٢٨ صـ ٤٤٥ و لسان العرب / ابن منظور ج١١ صـ ٤٣٠ وما بعدها و معجم ألفاظ القرآن الكريم / مجمع اللغة العربية مج٢ صـ ١٩

والعدل هو أن يعطي ما عليه ويأخذ ما له، والعدل الفدية لأنها تعادل المفدى وقوله تعالى:﴿وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ﴾ [الأنعام:٧٠] أي تفدي كل فداء."(١)

وأضاف الراغب معنى آخر فقال:" العدل هو المساواة في المكافأة إن خيرا فخير وإن شرا فشر قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى:٤٠] وقال: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ﴾ [البقرة:١٩٤] فسمي اعتداء وسيئة وهذا النحو هو المعني بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل:٩٠]"(٢)

وعلى ما أسلفت تعريفه للعدل جاء في القرآن ممدوحا ومأمورا به وجاء في سياق الذم أيضا ومن باب المدح قوله تعالى:﴿وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ [البقرة:٢٨٢]﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً﴾ [النساء:٣] ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ [النساء:٥٨] ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة:٨]﴿يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا﴾ [المائدة:٩٥] ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾ [الأنعام:١١٥] ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأعراف:١٥٩] ﴿وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ﴾ [الشورى:١٥]﴿وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾ [الطلاق:٢]﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار:٧]

وفي سياق الذم قال سبحانه:﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ﴾ [البقرة:٤٨] ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأنعام:١]﴿وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآ﴾ [الأنعام:٧٠] ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٠]

٥٠) عدا أو عَدَو

" عدا عَدَوا وعُدُوا وعَدَوانا جرى وعدا عليه واعتدى عليه ظلمه، والحق جاوزه، ويقال اعتدى عن الحق وفوق الحق، وعدا اللص على الشيء سرقه، وعدا عليه وثب، وعدا فلانا عن الأمر عدوا وعدوانا صرفه وشغله، و عدا وتعدى وعدى الأمر وعنه جاوزه وتركه، وأعداه من مرضه أو خلقه أكسبه مثله، وعاداه معاداة وعِداء خاصمه وكان عدوه، والشيء باعده، والوسادة ثناها، وعدى إلى الشيء أجازه وأنفذه، يقال عدى الرجل أو الشيء إلى الشاطئ الآخر للنهر، وفلانا عن الأمر صرفه، وتعادى المكان وعنه تباعد وتجافى، ويقال تعادى ما بينهم اختلف وفسد، والعادية مؤنث العادي والخيل

---

(١) الكليات / الكفومي صـ ٦٣٩ وانظر التعاريف / المناوي صـ ٥٠٦ والتعريفات / الجرجاني صـ ١٩٢ وانظر المفردات / الأصبهاني صـ ٣٢٥

(٢) المفردات / الأصبهاني صـ ٣٢٥

المغيرة وفي التنزيل العزيز﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ [العاديات:١]والعادية جماعة القوم يعدون للقتال، ودفعت عنك عادية فلان ظلمه وشره، والعَداوة اسم من المعاداة، والعُدْوان: الشديد العَدُو يقال لا عدوان على فلان لا سبيل ولا سلطان عليه و في التنزيل العزيز﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٩٣] والعُدُوة المكان المرتفع وشاطئ الوادي وجانبه وفي التنزيل العزيز﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ [الأنفال:٤٢] والعدو ذو العداوة (للمذكر والمؤنث والواحد والجمع) وقد يثنى ويؤنث ويجمع على أعداء."(١)

وقال الكفومي رحمه الله:" العَدو التجاوز ومنافاة الالتئام فتارة يعبر بالقلب ــ يريد المعنى المعنوي ــ فيقال له العَدوة والمعاداة، وتارة بالمشي فيقال له العدو، وتارة بالإخلال بغير علمه بالعداوة فيقال له العدوان، والعداوة أخص من البغضاء؛ لأن كل عدو مبغض، وقد يبغض من ليس بعدو ، والعِدى بكسر العين الأعداء الذين تقاتلهم وبالضم الأعداء الذين لا تقاتلهم."(٢) وقال الراغب:" العدوان والعَدو قال:﴿فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٨] ومن المعاداة يقال رجل عدو وقوم عدو قال:﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [الأعراف:٢٤] وقد يجمع على عِدى وأعداء قال تعالى:﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ﴾ [فصّلت:١٩] والعدو ضربان أحدهما بقصد من المعادي نحو﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ﴾[النساء:٩٢] والثاني لا بقصده بل تعرض له حالة يتأذى بها كما يتأذى مما يكون من العِدى نحو قوله:﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٧٧] وقوله في الأولاد:﴿عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن:١٤] والاعتداء على قسمين على سبيل الابتداء كقوله تعالى:﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟﴾ [البقرة:٢٣١] وقال: ﴿ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ [البقرة:٦٥] فذلك بأخذهم الحيتان على جهة الاستحلال ."(٣)

وجاء اللفظ وما اشتق منه في القرآن مذموما إلا في موقع واحد اجتمع فيه المدح والذم وهو قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:١٩٤] فاعتدائهم على المسلمين مذموم، واعتداء المسلمين عليهم ممدوح لأنه من باب رد الحقوق إلى أهلها ومن باب المجازاة.

ومما جاء قي سياق الذم قوله سبحانه:﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة:٣٦]﴿تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [البقرة:٨٥] ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ

(١) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صــ ٥٨٩ باختصار وتصرف يسيرين، وانظر لسان العرب / ابن منظور ج١٥ صــ ٣١ وما بعدها ومعجم ألفاظ القرآن الكريم / مجمع اللغة العربية مج٢ صــ ٢٠

(٢) الكليات / الكفومي صــ ٦٤٤

(٣) المفردات / الأصبهاني صــ ٣٢٦ ، ٣٢٧ باختصار وتصرف

لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٩٨]﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة:١٧٨]﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة:١٩٠]﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة:٢٢٩]﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ ﴾ [النساء:٣٠] ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ ۚ ﴾ [المائدة:١٤]﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ ﴾ [الأنعام:١٠٨]﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾ [المؤمنون:٧]﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ [فصلت:١٩] ﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴾ [ق:٢٥] ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المنافقون:٤]

٥١) عزز (عزَّ)

" العزيز من صفات الله عز وجل وأسمائه الحسنى قال الزجاج: هو الممتنع فلا يغلبه شيء. وقال غيره: هو القوي الغالب كل شيء، وقيل هو الذي ليس كمثله شيء، ومن أسمائه عز وجل المُعز وهو الذي يهب العز لمن يشاء من عباده. والعِز خلاف الذل والعز في الأصل القوة والشدة والغلبة والعز والعِزة الرفعة والامتناع ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون:٨] وملك أعز وعزيز بمعنى واحد. وأعززته أكرمته وأحببته وعز علي أن تفعل كذا وعز علي ذلك أي حق واشتد وأعززت بما أصابك عظم علي، وعززت القوم و أعززتهم و عززتهم قويتهم وشددتهم وفي التنزيل العزيز﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس:١٤] وقد قرئت بالتخفيف، وعزه يعزه عزا قهره وغلبه وفي التنزيل العزيز﴿ وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ [ص:٢٣] أي غلبني في الاحتجاج، والعُزى سمرة كانت لغطفان يعبدونها هدمها خالد بن الوليد."(١)

وقال الكفومي رحمه الله:" عز فلان يعِز قوي بعد ذله، وعز علينا الحال ونحوه يعَز اشتد وصعب، وعز فلان فلانا يعُز غلبه ومنه (وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ) وعزة الله تعالى غلبته وعدم النظير له وعدم الحط عن منزلته."(٢) وقال الراغب رحمه الله:" العزة حالة مانعة للإنسان من أن يغلب من قولهم أرض عَزاز أي صلبة."(٣)وقال ابن الجوزي رحمه الله:" ذكر بعض المفسرين أن العزة في القرآن على ثلاثة أوجه: أحدها: العظمة ومنه قوله تعالى:﴿وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الشعراء:٤٤] والثاني: المنعة ومنه قوله تعالى:﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٣٩] والثالث: الحمية ومنه قوله تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ ﴾ [البقرة:٢٠٦] وقال أبو سليمان الخطابي رحمه الله: والعز في كلام العرب على ثلاثة أوجه: أحدها الغلبة، والثاني بمعنى الشدة والقوة، والثالث أن يكون بمعنى نفاسة القدر. ويتأول العزيز الذي هو اسم الله تعالى على هذا لأنه الذي لا يعادله شيء ولا

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج٥ صـــ ٣٧٤ ــ ٣٧٩ باختصار كبير جدا، وانظر تاج العروس / الزبيدي ج١٥ صـــ ٢١٩

(٢) الكليات / الكفومي صـــ ٦٣٦ وانظر التعاريف / المناوي صـــ ٥١٢

(٣) المفردات / الأصبهاني صـــ ٣٣٣، وانظر معجم ألفاظ القرآن الكريم / مجمع اللغة العربية مج٢ صـــ ٢٨

مثل له ولا نظير."[1]

قال الراغب:" قوله تعالى:﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨] ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات:١٨٠] فقد يمدح بالعزة تارة كما ترى ويذم بها تارة كعزة الكفار قال:﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص:٢] ووجه ذلك أن العزة التي لله ولرسوله وللمؤمنين هي الدائمة الباقية التي هي العزة الحقيقية، والعزة التي هي للكافرين هي التعزز وهو في الحقيقة ذل وعلى هذا قوله: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا﴾ ﴿كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم٨١:٨٢] أي ليتمنعوا به من العذاب."[2]

وعلى ما ذكره الراغب جاء لفظ العزة ممدوحا في القرآن كثيرا في وصف الله سبحانه لذاته كقوله تعالى:﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة:١٢٩]﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ﴾ [آل عمران:٢٦]﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ﴾ [يونس:٦٤]﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ﴾ [فاطر:١٠]﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس:١٤]

وكذا في وصف نبيه ﷺ قال عز وجل:﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨] وكذا في وصف المؤمنين قال سبحانه:﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ﴾ [المائدة:٥٤]

وجاء في سياق الذم كقوله جل وعلا:﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [هود:٩٢]﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف:٣٤]﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان:٤٩]﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم:١٩]

و من الآيات التي اشتملت على المدح والذم قوله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٣٩]

٥٢) عَكَف

" عَكَف على الشيء يَعْكُفُ ويَعْكِفُ عَكْفاً وعُكوفاً: أَقبل عليه مواظبا لا يصرف عنه وجهه، وقيل أَقام، ومنه قوله تعالى:﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ﴾ [الأعراف:١٣٨] أي يُقيمون، ومنه قوله تعالى:﴿ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ﴾ [طه:٩٧] أي مقيماً، والعُكُوف الإقامة في المسجد، قال الله تعالى:﴿وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ﴾ [البقرة:١٨٧] قال المفسرون وغيرهم من أَهل اللغة: عاكفون مُقيمون في المساجد لا يخرجون منها إلا لحاجة، ويقال لمن لازم المسجد وأَقام على العبادة فيه عاكف ومعتكف والاعتكاف والعُكوف الإقامة

---

(١) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر/ ابن الجوزي صـــ ٤٣٤ ـــ ٤٣٦ باختصار

(٢) المفردات / الأصبهاني صـــ ٣٣٣

على الشيء وبالمكان ولزومهما."(١)

وقال الراغب رحمه الله:" العكوف الإقبال على الشيء وملازمته على سبيل التعظيم له، والاعتكاف في الشرع هو الاحتباس في المسجد على سبيل القربة، ويقال عكفته على كذا أي حبسته عليه لذلك قال:﴿سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ﴾ [الحج:٢٥]﴿ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾ [الشعراء:٧١]﴿ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗا﴾ [طه:٩٧] ﴿وَٱلۡهَدۡيَ مَعۡكُوفًا أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥۚ﴾ [الفتح:٢٥] أي محبوسا ممنوعا."(٢)

وعلى ما سبق ذكره فقد جاء اللفظ في القرآن ممدوحا كقوله تعالى:﴿وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة:١٢٥] ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ﴾ [البقرة:١٨٧][الحج:٢٥]﴿وَٱلۡهَدۡيَ مَعۡكُوفًا أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥۚ﴾ [الفتح:٢٥]

وجاء في سياق الذم كقوله سبحانه:﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ﴾ [الأعراف:١٣٨]﴿ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ﴾ [طه:٩١]﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ﴾ [طه:٩٧] ﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء:٥٢]﴿ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾[الشعراء:٧١]

٥٣) عَلِم

" من صفات الله عز وجل العليم والعالم والعلام فهو الله العالم بما كان وما يكون قبل كونه وبما يكون ، لم يزل عالما ولا يزال عالما بما كان وما يكون، ولا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء سبحانه وتعالى أحاط علمه بجميع الأشياء باطنها وظاهرها دقيقها وجليلها على أتم الإمكان، وعليم فعيل من أبنية المبالغة ويجوز أن يقال للإنسان الذي علمه الله علما من العلوم عليم كما قال يوسف للملك:﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ [يوسف:٥٥] وقال الله عز وجل:﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر:٢٨] فأخبر عز وجل أن من عباده من يخشاه وأنهم هم العلماء. والعلم يكون بمعنى العمل في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ﴾ [يوسف:٦٨] قال لذو عمل بما علمناه. والعلم نقيض الجهل وهو المعرفة ففي حديث الدجال (تعلموا أن ربكم ليس بأعور)(٣) بمعنى اعلموا، و تعلمه أتقنه، والتعليم بمعنى التيسير كما في قوله تعالى:﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ ﴿عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [الرحمن١:٢] وعلمه وسمه ورجل معلم إذا علم مكانه في الحرب بعلامة، و العلامة و العلم شيء ينصب في الفلوات تهتدي به الضالة كقوله تعالى:﴿وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج٩ صـ ٢٢٥ باختصار يسير، وانظر تاج العروس / الزبيدي ج٢٤ صـ ١٧٩

(٢) المفردات / الأصبهاني صـ ٣٤٣ وانظر التعاريف / المناوي صـ ٥٢٢

(٣) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [نوح:١] ج٣ صـ ١٢١٤ حديث رقم ٣١٥٩ والإمام مسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ذكر ابن صياد ج٤ صـ ٢٢٤٥ حديث رقم ٢٩٣١

﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾ [الرحمن:٢٤] والعالمون أصناف الخلق والعالم الخلق كله وقيل: هو ما احتواه بطن الفلك وفي التنزيل﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة:٢]"(١)

وقال الكفومي رحمه الله:" العلم هو معرفة الشيء على ما هو به وبديهية ما لا يحتاج فيه إلى تقديم مقدمة كالعلم الحاصل بالحواس الخمس."(٢)

أقسام العلم

قال الجرجاني رحمه الله:" العلم هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وقال الحكماء هو حصول صورة الشيء في العقل والأول أخص من الثاني، وقيل العلم هو إدراك الشيء على ما هو به، وقيل زوال الخفاء من المعلوم والجهل نقيضه، وقيل هو مستغن عن التعريف، وقيل ما وضع لشيء وهو العلم القصدي أو غُلِّب وهو العلم الاتفاقي الذي يصير علما لا بوضع واضع بل بكثرة الاستعمال مع الإضافة، وينقسم إلى قسمين: قديم وحادث؛ فالعلم القديم هو القائم بذاته تعالى ولا يشبه بالعلوم المحدثة للعباد. والعلم المحدث ينقسم إلى ثلاثة أقسام: بديهي وضروري واستدلالي؛ فالبديهي ما لا يحتاج إلى تقديم مقدمة كالعلم بوجود نفسه وان الكل أعظم من الجزء، والضروري ما لا يحتاج فيه إلى تقديم مقدمة كالعلم بثبوت الصانع وحدوث الأغراض، والاستدلالي هو الذي يحصل بدون نظر وفكر."(٣)

وقال الراغب رحمه الله:" العلم إدراك الشيء بحقيقته وذلك ضربان: أحدهما: إدراك ذات الشيء والثاني الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له، وهو ضربان نظري وعملي؛ فالنظري ما إذا علم فقد كمل نحو العلم بموجودات العالم، والعملي مالا يتم إلا بأن يعمل كالعلم بالعبادات، ومن وجه آخر ضربان عقلي وسمعي."(٤) وقال ابن الجوزي رحمه الله:" وذكر أهل التفسير أن العلم في القرآن على أحد عشر وجها: ـ

١ـ العلم نفسه ومنه قوله تعالى:﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [هود:٥] ومثله﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٩] وهو عامة ما في القرآن.

٢ـ الرؤية ومنه قوله تعالى:﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٢]

٣ـ الإذن ومنه قوله تعالى:﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [هود:١٤]

٤ـ القرآن ومنه قوله تعالى:﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ [البقرة:١٤٥]

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج١٢ صـ ٤١٦ ـ ٤٢١ باختصار كبير جدا وتصرف وانظر تاج العروس / الزبيدي ج٣٣ صـ ١٢٦ وما بعدها

(٢) الكليات / الكفومي صـ ٦١٠

(٣) التعريفات / الجرجاني صـ ١٩٩ ، ٢٠٠ وانظر التعاريف / المناوي صـ ٥٢٣

(٤) المفردات / الأصبهاني صـ ٣٤٣

٥ــ الكتاب ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ [الأنعام:١٤٨]

٦ــ الرسول ومنه قوله تعلى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا﴾ [آل عمران:١٩]

٧ــ الفقه ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء:٧٤]

٨ــ العقل ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ [القصص:٨٠]

٩ــ التمييز ومنه قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٦٦] ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾ [آل عمران:١٦٧]

١٠ــ الفضل ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص:٧٨] قال ابن قتيبة معناه الفضل.

١١ــ ما يعده أربابه علما وإن لم يكن كذلك ومنه قوله تعالى: ﴿فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [غافر:٨٣]"(١)

ولفظ العلم في القرآن الكريم ورد بتصريفاته المختلفة فيما يزيد عن ثمانمئة وخمسين مرة."(٢) مشفوعاً معظمها بالتفكر في آياته المبثوثة، كما في قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:٩٧] والدعوة إلى التدبر في آيات الله المسطورة ، كما في قوله تعالى: ﴿كِتَـٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصِّلت:٣] ولذا قال ابن عباس رضى الله عنه:" جميع العلم في القرآن لكن تقاصر عنه أفهام الرجال."(٣)

والمتأمل في المعاني التي جاء عليها لفظ العلم في القرآن الكريم، يجد أنها وإن كانت تحمل دلالات محددة، يقتضيها سياق الآية، غير أنها في نهاية المطاف لا تعارض بينها ولا تنافر، بل هي في المحصلة ترجع إلى المعنى الرئيس من لفظ العلم، وهو معرفة الشيء على ما هو عليه.

وحصر الممدوح والمذموم من العلم لا يتسنى في هذا البحث لذا أذكر بعض الأمثلة على كل قسم خشية الإطالة :

فمن العلم الممدوح كل علم وصف الله به نفسه وقد جاء بصيغ منها قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة:٣٢] ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۚ﴾ [الأنعام:٧٣] ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [التوبة:٧٨]

وكذا كل علم علَّمه سبحانه لخلقه كأنبيائه وأصفيائه قال تبارك تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة:٣١] ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ﴾ [النساء:١١٣] ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف:٦٥]

وكل علم أمر الله بتعليمه وتعلمه كذلك قال تعالى: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ

---

(١) نزهة النواظر / ابن الجوزي ج١صـــ ٤٥١ ــ ٥٥٣

(٢) انظر معجم ألفاظ القران الكريم / مجمع اللغة العربية ج٢ صـــ ٦٠ ــ ٦٨ مادة علم

(٣) مرقاة المصابيح / على القاري ج٧ صـــ ١٨ وانظر التقرير والتحبير / ابن أمير الحاج ج٣ صـــ ٣٢٤

ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٥١]

وما أمر بطلب الزيادة في كتابه إلا من العلم قال تعالى:﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه:١١٤]

ولذا استشهد الله أولى العلم على وحدانيته فقال سبحانه:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:١٨]

ولشرف العلماء وعلو مكانتهم أمنهم الله على الفتوى للعامة قال تبارك وتعالى:﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [النساء:٨٣]

ولذا ميزهم عن غيرهم كما ميز أصحاب الجنة عن أصحاب النار والخبيث عن الطيب والأعمى عن البصير قال سبحانه:﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ ﴾ [الرعد:١٩]﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ ﴾ [الزمر:٩]

ومن فضل العلم أن فضله تعدى من الناس إلى البهائم، فلم يُسَوّ الله بين الكلب العالم والكلب الجاهل، كما لو يُسَوِّ بين العالم والجاهل من الناس. وبيان ذلك فيما قال ابن القيم:" إن الله سبحانه جعل صيد الكلب الجاهل ميتة يحرم أكلها، وأباح صيد الكلب المعلم، وهذا أيضاً من شرف العلم أنه لا يباح إلا صيد الكلب العالم وأما الكلب الجاهل فلا يحل أكل صيده، فدلّ على شرف العلم وفضله. قال الله تعالى:﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ ﴾ [المائدة:٤] ولولا مزية العلم والتعليم وشرفهما كان صيد الكلب المعلم والجاهل سواء."(١)

وأما العلم المذموم فكما قال الغزالي رحمه الله:" فاعلم أن العلم لا يذم لعينه وإنما يذم في حق العباد لأحد أسباب ثلاثة : ــ

الأول: ــ أن يكون مؤديا إلى ضرر ما إما لصاحبه أو لغيره كما يذم علم السحر والطلسمات.

الثاني: ــ أن يكون مضرا بصاحبه في غالب الأمر كعلم النجوم فإنه في نفسه غير مذموم لذاته إذ هو قسمان: قسم حسابي وقد نطق القرآن بأن مسير الشمس والقمر محسوب إذ قال عز وجل:﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ [الرحمن:٥] والقسم الثاني: الأحكام وحاصله يرجع إلى الاستدلال على الحوادث بالأسباب وهو يضاهي استدلال الطبيب بالنبض على ما سيحدث من المرض، وهو معرفة لمجاري سنة الله تعالى وعادته في خلقه ولكن قد ذمه الشرع.

وثالثها: ــ أنه لا فائدة فيه فأقل أحواله أنه خوض في فضول لا يغني وتضييع العمر الذي هو أنفس بضاعة الإنسان في غير فائدة وذلك غاية الخسران فقد مر رسول الله ﷺ برجل والناس مجتمعون عليه

---

(١) مفتاح دار السعادة / ابن القيم ج١ صــ ٥٥

فقال: ما هذا؟ فقالوا رجل علامة. فقال: بماذا؟ قالوا: بالشعر وأنساب العرب فقال:(علم لا ينفع وجهل لا يضر)"[1][2]

ومن العلم المذموم العلم الذي يؤدي إلى الشرك قال تعالى:﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢]

والعلم الذي لا ينفع صاحبه:﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٤٢]﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٧٥]

وعلم السحر قال تعالى:﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:١٠٢]

والقول على الله بغير علم﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٦٩]

وكل علم خالف التوحيد ليس بعلم قال تعالى:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة:١٠٤]﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ﴾ [الأنعام:١٠٠] ﴿مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ۚ﴾ [الكهف:٥]

وعلم الكفار عن الآخرة فهم شكوا بوجودها ثم يوم القيامة يرونها ويعاينوها فيتبين لهم فساد علمهم قال سبحانه:﴿ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل:٦٦] " فقد أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن رحمها الله أنه كان يقرأ (بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ) قال اضمحل علمهم في الدنيا حين عاينوا الآخرة."[3]

وكذلك العلم المبني على غير أسس صحيحة قال تعالى عن فرعون:﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص:٣٨]﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ﴾ [القصص:٧٨]﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [غافر:٨٣]

وكذلك كل علم لا يهدى إلى الحق قال سبحانه:﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:٢٣]

٥٤) علا أو علو أو علي

" علا الشيء عُلُوا ارتفع فهو عال وعَلِي، ويقال علا النهار، ويقال علا فلان في الأرض تكبر

---

(١) قال ابن حجر في فتح الباري ج٦ صـ ٥٢٧ وهذا الكلام قد روى مرفوعا وعن عمر أيضا ولا يثبت

(٢) إحياء علوم الدين / الغزالي ج١ صـ ٢٩ ، ٣٠

(٣) الدر المنثور / السيوطي ج٦ صـ ٣٧٥

وتجبر وفي التنزيل العزيز﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [القصص:٤] وعلا فلان بالأمر اضطلع به واستقل، وعلا الشيء وعليه وفيه رقيه وصعده، والرجل قهره وغلبه وبالسيف ضربه، والعَلاوة من كل شيء ما زاد عليه وما يوضع على البعير بعد تمام حمله، والعَلي أعلى مكان وأعلى درجة، وساكن أعلى مكان وصاحب أعلى درجة جمعها عِليون، والعلو العظمة والتجبر وفي التنزيل العزيز﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [القصص:٨٣]"[(١)]

قال الكفومي رحمه الله:" العلي هو العالي شأنه في نفسه والأعلى عما عداه، والعلي عند الكل من أسماء الصفات إلا أنه عند المشبهة يفيد الحصول في الحيز، وعند أهل التوحيد يفيد التنزيه عن كل ما لا يليق بالإلهية. في القاموس العلي الشديد القوي وبه سميَّ. والعلو في المكان من (علا يعلو) كدعا يدعو وفي الرتبة من (علي يعلى) كرضي يرضى. وعِليون جمع عَلي وهو علمٌ لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين تصعد إليه أرواح المؤمنين وهو في السماء السابعة."[(٢)]
وقال المناوي: العُلو ضد السُفل والعلو الارتفاع ويستعمل في الأمكنة والأجسام أكثر، وفي المحمود والمذموم ثم صار علا لا يستعمل إلا في المحمود. العلي الرفيع القدر وإذا وصف به تعالى فمعناه أنه يعلو أن يحيط به وصف الواصفين ."[(٣)]

وقد استعمل اللفظ في القرآن في سياق المدح فوصف الله به نفسه وكلامه كقوله تعالى:﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة:٢٥٥] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [النساء:٣٤] [التوبة:٤٠] ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾[الرعد:٩] ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٤٣] ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى:١]

ووصف به عباده الصالحين ووعدهم به كمكانة مميزة في الآخرة كقوله تعالى:﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٩] ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ [مريم:٥٠] ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مريم:٥٧] ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [طه:٦٨] ﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴾ [الصافات:٨]﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴾﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴾﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين١٨:٢٠] ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [الغاشية:١٠]

واستخدم أيضا للذم كقوله سبحانه:﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس:٨٣]﴿ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء:٤]﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴾ [المؤمنون:٤٦] ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا

---

(١) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـــ ٦٢٥ وانظر لسان العرب / ابن منظور ج١٥ صـــ ٨٣ وما بعدها ومختار الصحاح صـــ ١٩٠
(٢) الكليات / الكفومي صـــ ٦٢٧باختصار يسير
(٣) التعاريف / المناوي صـــ ٥٢٥

﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤] ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص:٨٣] ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ [ص:٧٥] ﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الدخان:١٩] ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾ ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات٢٣:٢٤]

ومما احتمل الوجهين كقوله تبارك وتعالى:﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾ [طه:٦٤]

٥٥) غَشا أو غَشَو أوغَشِي

" غشي الليل أظلم والفرس وغيره إبْيَضَ رأسه كله من بين جسده فهو أغشى وهي غشواء، وغشا الأمر غطاه وحواه يقال: غشيه النعاس وغشيه الموج وغشيه العذاب وغشيه الموت، والمكان غشيانا أتاه، والأمر لابسه وباشره، وفلانا بالسوط ضربه به شديدا، وغشي عليه غشية أغمي عليه فهو مغشي عليه، وأغشى الله على بصره جعل عليه غشاء يغطيه، واستغشى ثوبه وبثوبه تغطى به كي لا يسمع ولا يرى، والغاشية الغطاء وغلاف القلب والقيامة والنازلة من خير أو شر أو مكروه وغلاف السيف والسؤّال يأتونك مستجدين والزوار والأصدقاء ينتابونك. وداء يأخذ في الجوف ومن العذاب العقوبة المجللة، الغشية غشية الموت ما ينوب الإنسان حينئذ من غيبوبة."(١)

قال الجرجاني رحمه الله:" الغشاوة ما يتركب على وجه مرآة القلب من الصدأ ويكل عين البصيرة ويعلو وجه مرآتها."(٢)

وقد ورد اللفظ في القرآن كله مذموما إلا في مواضع ثلاثة جائت في سياق المدح وهو قوله تعالى:﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ [آل عمران:١٥٤] ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ [الأنفال:١١] ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم:١٦]

ومما ورد في سياق الذم كقوله سبحانه:﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ [البقرة:٧] ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف:٤١] ﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ [يونس:٢٧] ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [هود:٥] ﴿أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف:١٠٧] ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم:٥٠] ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه:٧٨] ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ﴾ [النور:٤٠] ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [العنكبوت:٥٥] ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس:٩] ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان:١١] ﴿نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد:٢٠] ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ [الغاشية:١]

---

(١) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـ ٦٣٥، وانظر مختار الصحاح / الرازي صـ ١٩٩، ولسان العرب / ابن منظور ج١٥ صـ ١٢٦ وما بعدها، وانظر المفردات / الأصبهاني صـ ٣٦١

(٢) التعريفات / الجرجاني صـ ٢٠٨

٥٦) فَرِح

" الفَرَح نقيض الحزن، وقال ثعلب هو أن يجد في قلبه خفة، والفرح أيضا البطر وقوله تعالى:﴿لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾ [القصص:٧٦] قال الزجاج رحمه الله: معناه والله أعلم لا تفرح بكثرة المال في الدنيا لأن الذي يفرح بالمال يصرفه في غير أمر الآخرة، وقيل لا تفرح لا تأشر والمعنيان متقاربان، وأفرحه الشيء والدين أثقله، و المُفْرَح المثقل بالدين والذي قد أفرحه الدين والغرم أي أثقله ولا يجد قضاءه، وقيل أثقل الدين ظهره."[١]

وقال المناوي رحمه الله:" الفرح انفتاح القلب بما يلتذ به، وقيل لذة القلب لنيل المشتهى، وقال الراغب: شرح الصدر بلذة عاجلة وأكثر ما يكون في اللذات البدنية."[٢] وقال ابن القيم رحمه الله:" وقد جاء الفرح في القرآن على نوعين؛ مطلق ومقيد فالمطلق جاء في الذم كقوله تعالى:﴿لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾ [القصص:٧٦] وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود:١٠] والمقيد نوعان أيضا مقيد بالدنيا ينسي صاحبه فضل الله ومنته فهو مذموم كقوله:﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤] والثاني مقيد بفضل الله وبرحمته وهو نوعان أيضا فضل ورحمة بالسبب وفضل بالمسبب؛ فالأول كقوله: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨] والثاني كقوله: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [آل عمران:١٧٠]"[٣]

وعلى ما ذُكر سابقا فمن الفرح الممدوح قوله تعالى:﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [آل عمران:١٧٠] ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾ [يونس:٥٨] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ﴾ [الرعد:٣٦] ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ ﴿بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ﴾ [الروم٤:٥]

ومما ذم من الفرح في القرآن قوله سبحانه:﴿وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ﴾ [آل عمران:١٢٠] ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [آل عمران:١٨٨] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤] ﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٨١] ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ﴾ [هود:١٠]﴿وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ﴾ [الرعد:٢٦] ﴿كُلُّ حِزۡبِۢ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون:٥٣] ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾ [القصص:٧٦] ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ﴾

---

(١) لسان العرب ج/ ابن منظور ٢ صـــ ٥٤١، والمعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـــ ٦٧٩

(٢) التعاريف / المناوي صـــ ٥٥٣، وانظر المفردات / الأصبهاني صـــ ٣٧٥

(٣) مدارج السالكين / ابن القيم ج٣ صـــ ١٥٨، وانظر تفسير الثعالبي ج٢ صـــ ١٩٨، وروح المعاني / الألوسي ج١٢ صـــ ١٦

[غافر:٧٥] ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [غافر:٨٣]

٥٧) فَرَر (فَرَّ)

" الفَرُّ والفَرَار الروغان والهرب، وفُرار غير كُرار، وفَرٌّ وصف بالمصدر فالواحد والجمع فيه سواء، وفي حديث الهجرة قال سراقة بن مالك هذان فَر قريش أفلا أرد على قريش فَرَّها، و الفَرَى الكتيبة المنهزمة وكذلك الفلى، و تفاروا أي تهاربوا وفرس مِفر بكسر الميم يصلح للفرار عليه و المفِر بكسر الفاء الموضع، وأفر به فعل به فعلا يفر منه، وفر الأمر وفر عنه بحث، و فر الأمر جذعا أي استقبله، ويقال أيضا فر الأمر جذعا أي رجع عوده على بدئه."(١)

وقال الراغب رحمه الله:" أصل الفر الكشف عن سن الدابة يقال فررت فرارا ومنه فر الدهر جدعا ومنه الافترار وهو ظهور السن من الضحك وفر عن الحرب فِرارا قال:﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ ﴾[الشعراء:٢١] وأفررته جعلته فارا ورجل فَر وفار والمفر موضع الفرار ووقته والفرار نفسه وقوله:﴿أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ [القيامة:١٠] يحتمل ثلاثتها."(٢)

وقد ورد اللفظ في سياق المدح في القرآن الكريم مرة واحدة فقال سبحانه:﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الذاريات:٥٠]

وفي مضمار الذم قال سبحانه:﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [الأحزاب:١٣] ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ ﴾ [الأحزاب:١٦] ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ﴾ [الجمعة:٨]﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [نوح:٦] ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴾﴿ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ [المدثر٤٩:٥١]﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ [القيامة:١٠]

٥٨) فَرَق

" فَرَق بين الشيئين من باب نصر وفرقانا أيضا وفرق الشيء تفريقا و تفرقة فانفرق وافترق وتفرق، وأخذ حقه منه بالتفارق وقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ ﴾ [الإسراء:١٠٦] مَنْ شدد قال: أنزلناه مفرقا في أيام، والفرقان القرآن وكل ما فرق به بين الحق والباطل فهو فرقان؛ فلهذا قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ [الأنبياء:٤٨] والفُرقة الاسم من قولك فارقه، والمفرق بكسر الراء وفتحها وسط الرأس وكذا مفرق الطريق، والفرق الفلق من الشيء إذا انفلق ومنه قوله تعالى:

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج٥ صـــ ٥٠ ، ٥١ باختصار يسير، وانظر المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـــ ٦٨٠

(٢) المفردات / الأصبهاني صـــ ٣٧٤

﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الشعراء:٦٣]"(١) قال ابن منظور:" قيل فَرَق للصلاح فرْقا وفرَق للإفساد تفريقا."(٢)

وقال الراغب رحمه الله:" الفرق يقارب الفلق لكن الفلق يقال اعتبارا بالانشقاق والفرق يقال اعتبارا بالانفصال قال تعالى: ﴿وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ﴾ [البقرة:٥٠] والفِرْق القطعة المنفصلة ومنه الفِرْقة للجماعة المتفردة من الناس، والفريق الجماعة المتفرقة عن آخرين، وفرقت بين الشيئين فصلت بينهما سواء كان ذلك بفصل يدركه البصر أو بفصل تدركه البصيرة قال تعالى: ﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة:٢٥] والفرقان أبلغ من الفرق لأنه يستعمل في الفرق بين الحق والباطل، والفرق تفرق القلب من الخوف قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ﴾ [التوبة:٥٦] "(٣)

وقال الكفومي رحمه الله:" والفرق قد يكون في الأجسام وقد يكون في المعاني والفرقان أبلغ من الفرق؛ لأنه يستعمل في الفرق بين الحق والباطل والفرق يستعمل في ذلك وفي غيره والفرق في المعاني والتفريق في الأعيان يقال فرَقت بين الحُكمين مخففا وفرَّقت بين الشخصين مشددا فيما يراد به عدم الاجتماع ووجه المناسبة هو أن المعاني لطيفة والأجسام والأعيان كثيفة فأعطوا الخفيف اللطيف والشديد للكثيف."(٤)

وبهذا المعنى جاء التفريق في القرآن ممدوحا كقوله تبارك تعالى: ﴿وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة:٥٠] ﴿وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ﴾ [البقرة:٥٣] ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ [البقرة:٢٨٥] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة:٢٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال:٢٩] ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ﴾ [الإسراء:١٠٦] ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان:٤]

وجاء في سياق الذم كقوله عز وجل: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ﴾ [البقرة:١٠٢] ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ﴾ [آل عمران:١٠٥] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النساء:١٥٠] ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام:١٥٣] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [الأنعام:١٥٩] ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [يوسف:٣٩] ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ﴾ [الكهف:٧٨] ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ

---

(١) مختار الصحاح / الرازي صـ ٢٠٩، وانظر لسان العرب / ابن منظور ج١٠ صـ ٣٠٠

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج١٠ صـ ٢٩٩

(٣) المفردات / الأصبهاني صـ ٣٧٧ ، ٣٧٨ باختصار

(٤) الكليات / الكفومي صـ ٦٩٥

إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ [طه:٩٤]﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ [الروم:١٤] ﴿فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا ﴾ [الأحزاب:٢٦]﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾ [الشورى:١٣]

ومما يحتمل الوجهين قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ﴾ [مريم:٧٣]

ومما اشتمل على المدح والذم قوله تعالى:﴿مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ ﴾ [هود:٢٤]﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الشورى:٧]

٥٩) فاض أو فيض

" فاض الماء فَيْضَا وفُيُوضا وفَيضانا كثر حتى سال فهو فائض وفياض، ويقال فاض النهر والسيل والإناء امتلأ حتى طفح، وعينه سال دمعها، والشيء كثر يقال فاض الخير، والخبر ذاع وانتشر، وصدره بالسر فيضا باح به ولم يطق كتمه، وعليه الدرع اتسعت، وأفاض الحجاج من عرفات إلى منى انصرفوا إليها بعد انقضاء الموقف، وأفاض القوم في الحديث توسعوا فيه، وأصحاب الميسر القداح ضربوا بها أوعليها، وأفاض الله الخير كثره ، والوادي شجرا امتلأ، والفيض الكثير الغزير يقال أعطانا غيضا من فيض قليلا من كثير، ورجل فيض كثير الخير، والفيضان طغيان النهر واندفاعه حين ترفده الأمطار والسيول."(١)

والفيض جاء في القرآن ماديا ممدوحا في قوله تعالى:﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ ﴾ [البقرة:١٩٨]﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ ﴾ [البقرة:١٩٩]﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ ﴾ [المائدة:٨٣] ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾ [التوبة:٩٢]

وبالمعنى المعنوي جاء في سياق الذم قال سبحانه وتعالى:﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ ﴾ [يونس:٦١] ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور:١٤]﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَلَا تَمۡلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِۖ ﴾ [الأحقاف:٨]

٦٠) قَتَل

" قتله قتلا أماته، ويقال قتل الله فلانا دفع شره، وقتل جوعه أو عطشه أزال ألمه بطعام أو شراب، وقتل غليله شفاه، وقتل الخمر مزجها بالماء ليكسر حدتها، وفلانا أذله، والشيء علما تعمق في بحثه

(١) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـــ ٧٠٨، وانظر لسان العرب / ابن منظور ج٧ صـــ ٢١٠، وانظر المفردات / الأصبهاني صـــ ٣٨٨

فعلمه علما تاما، وقاتله مُقاتلة وقتالا حاربه ودافعه وقتل الله فلانا لعنه وفي التنزيل العزيز﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾[التوبة:٣٠] ويقال قاتله الله ما أفصحه إعجاب ومدح، واقتتل القوم قتل بعضهم بعضا، والمقاتل من يصلح للقتال أو يباشره وجمعه مقاتلة، والمقتل زمان القتل أو مكانه والموضع الذي إذا أصيب فيه الإنسان أو الحيوان لا يكاد يسلم و يقال (مقتل الرجل بين فكيه)"[١]

وقال الكفومي رحمه الله:" القتل هو إزالة الروح عن الجسد كالموت؛ لكن إذا اعتبر بفعل المتولي لذلك يقال قتل وإذا اعتبر بفوت الحياة يقال موت. واقتتل بالضم إذا قتله العشق أو الجن و﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾[التوبة:٣٠] أي لعنهم وقول العرب (قاتله الله ما أشعره) ظاهره يخالف معناه إذ المراد المدح لا وقوع القتل؛ فكأنه بلغ فيه مبلغا يحق أن يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك."[٢]

ولفظ القتل بمشتقاته ورد في القرآن على عدة وجوه ومعان منها: ـــ

١ــ القتال والمحاربة، ومنه قوله تعالى:﴿فَإِن قَـٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَـٰفِرِينَ ﴾[البقرة:١٩١]

٢ــ فعل القتل، كما في قوله سبحانه:﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾[النساء:٩٣]

٣ــ اللعن ومنه قوله سبحانه:﴿فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ﴾[المدثر:١٩]﴿قُتِلَ أَصۡحَـٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾[البروج:٤]

٤ــ العذاب، ومنه وقوله تعالى:﴿ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ﴾[الأحزاب:٦١]

٥ــ القصاص قال تعالى:﴿وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَـٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ ﴾[الإسراء:٣٣]

٦ــ دفن الأحياء، ومنه قوله تعالى:﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَـٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَـٰقٖۖ ﴾[الأنعام:١٥١]

٧ــ الذبح، ومنه قوله سبحانه:﴿يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ ﴾[الأعراف:١٤١]

وقد ورد اللفظ في القرآن بين المدح والذمرات عدة فمن باب المدح قوله تعالى:﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ ﴾ [البقرة:١٥٤]﴿ وَقَـٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمۡ﴾ [البقرة:١٩٠]﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ ﴾[البقرة:٢١٦]﴿ وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾[آل عمران:١٥٧]﴿ فَلۡيُقَـٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَـٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [النساء:٧٤]﴿يُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ ﴾ [التوبة:١١١]

وفي سياق الذم قال سبحانه:﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾[البقرة:٥٤]﴿وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ ﴾[البقرة:٧٢]﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ ﴾[البقرة:١٩١]﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَـٰعُواْۚ ﴾ [البقرة:٢١٧]﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَـٰتُ وَلَـٰكِنِ

---

(١) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـــ ٧١٥، وانظر مختار الصحاح / الرازي صـــ ٢١٨

(٢) الكليات / الكفومي صـــ ٧٢٩، وانظر التعاريف / المناوي صـــ ٥٧٤، والمفردات / الأصبهاني صـــ ٣٩٣

ٱخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة:٢٥٣] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [آل عمران:٢١] ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ ﴾ [النساء:٩٢] ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾ [النساء:٩٣] ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ ﴾ [الأنفال:٣٠] ﴿ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴾ [الذاريات:١٠]

وقد اجتمع المدح والذم في قوله تبارك تعالى: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ ﴾ [الأنفال:١٧]

٦١) قَسَط

" في أسماء الله تعالى الحسنى المقسط هو العادل يقال أقسط يقسط فهو مقسط إذا عدل، و قسط يقسط فهو قاسط إذا جار فكأن الهمزة في أقسط للسلب، والقِسط الميزان سمي به من القِسط العدل والقسط هو الحصة والنصيب يقال أخذ كل واحد من الشركاء قسطه أي حصته، والقسط بالكسر العدل وهو من المصادر الموصوف بها كعدل يقال ميزان قسط وميزانان قسط وموازين قسط وقوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ ﴾ [الأنبياء:٤٧] أي ذوات القسط وفي التنزيل العزيز ﴿ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحُجُرات:٩] والقسط الجور و القُسوط الجور والعدول عن الحق هو من قسط يقسط قسوطا وفي التنزيل العزيز ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ [الجن:١٥] "(١)

و قال الكفومي رحمه الله: " القسط بالكسر العدل وبالضم الجور والقسطاس قد يستعمل بمعرفة المقدار وقد يستعمل للاحتراز عن الزيادة والنقصان والعدل يشبه به في الثاني. "(٢) وقال المناوي رحمه الله: " بالكسر النصيب بالعدل، و بالفتح أن يأخذ قسط غيره وذلك جور. "(٣)

مما سبق يتضح أن لفظ القسط يدل على معنيين متضادين أحدهما العدل. يقال أقسط يقسط فهو مقسط إذا عدل فيما أُسند إليه. والاسم منه القِسط بكسر القاف. والإقساط أن يعطي قسط غيره، وذلك إنصاف. والثاني الجور يقال قَسط يقسِط قسوطاً فهو قاسط إذا جار وظلم فيما أسند إليه. والاسم منه القَسط بفتح القاف، والقُسوط والقَسط أن يأخذ قسط غيره وهو الجور. وعلى هذا يقال: إن الله يُقْسِط ولا يَقْسِط. ويقال: أمر الله بالقِسْط، ونهى عن القُسط.

وقد ورد لفظ القسط في القرآن الكريم في نحو سبع وعشرين موضعاً، في أكثر تلك المواضع كاسم مقرون بالباء في سياق المدح نحو قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج٧ صـ ٣٧٧ ، ٣٧٨ باختصار، وانظر المفردات / الأصبهاني صـ ٤٠٣

(٢) الكليات / الكفومي صـ ٧٣٣

(٣) التعاريف / المناوي صـ ٥٨٢

ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران:١٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ [النساء:١٣٥][المائدة:٨] وورد في موضعين كاسم آلة للوزن، وذلك في قوله سبحانه تعالى:﴿وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾[الإسراء:٣٥][الشعراء:١٨٢] وورد في بعض منها كفعل نحو قوله سبحانه:﴿فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحُجُرات:٩] وورد وصفا للميزان نحو قوله عز وجل:﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧]

وورد لفظ القسط على المعنى الثاني وهو الذم في موضعين فقط أحدهما قوله تعالى:﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا﴾﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن١٤:١٥] ولم يرد لفظ القسط بمعنى الجور في القرآن في غير هذين الموضعين.

٦٢) قَعَد

" قعد قعودا جلس من قيام، والفسيلة صار لها جذع تقوم عليه، وللأمر اهتم به وتهيأ له، وبفلان أجلسه، وبقرنه كان كفئا لهن وعن الأمر تأخر عنه أو تركه، وفي التنزيل العزيز﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [التوبة:٩٠] والمرأة عن الحيض، والنخلة حملت سنة ولم تحمل أخرى، ويفعل كذا طفق يفعله وفي التنزيل العزيز﴿ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ﴾ [الأعراف:٨٦] وأقعد بالمكان أقام ويقال أقعد فلان أصابه داء في جسده يقعده، وأقعد فلانا أجلسه، وأقعد الهرم فلانا منعه المشي، والقاعد عن الأمر من لا يهتم به أو يتراخى في إنجازه، والقاعد المرأة التي انقطعت عن الولد أو عن الحيض أو عن الزواج، والقعيد المجالس والحافظ ــ ومنه قوله تعالى:﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق:١٧] ــ للواحد والجمع والمذكر والمؤنث والمِقْعد القعود وما يجلس عليه."(١)

وقال الكفومي رحمه الله:" القعود قعد عن الشيء عجز عنه، والقعود لما فيه لبث بخلاف الجلوس ولهذا يقال قواعد البيت ولا يقال جوالسه، ويقال أيضا فلان جليس الملك ولا يقال قعيده، ويقال أيضا لمن كان قائما اقعد ولمن كان نائما أو ساجدا اجلس، وعلله البعض بأن القعود انتقال من علو إلى سفل ولهذا قيل لمن أصيبت رجله قعد، والجلوس انتقال من سفل إلى علو ومنه سميت نجد جَلَسا لارتفاعها.(٢)

---

(١) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـــ ٧٤٨ باختصار، وانظر لسان العرب / ابن منظور ج٣ صـــ ٣٥٧ وما بعدها

(٢) الكليات / الكفومي صـــ ٧٢٨، وانظر التعاريف / المناوي صـــ ٢٤٩، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم / مجمع اللغة العربية مج٢ صـــ ٢٢٦

وقد ورد اللفظ في القرآن الكريم بصيغ متعددة تدل على المعاني السالف ذكرها منها ما جاء ممدوحا كقوله تعالى:﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ ﴾ [البقرة:١٢٧]﴿وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ ﴾ [آل عمران:١٢١]﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا﴾ [آل عمران:١٩١]﴿إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ﴾ [ق:١٧]﴿ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴾ [القمر:٥٥]

ومنها ما جاء في سياق الذم كقوله سبحانه وتعالى:﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ ﴾ [آل عمران:١٦٨]﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾[النساء:٩٥]﴿ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ ﴾ [النساء:١٤٠] ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ [المائدة:٢٤] ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [الأعراف:١٦]﴿فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴾ [التوبة:٤٦]﴿ فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٨١]﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ﴾[الإسراء:٢٢]﴿إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ﴾ [البروج:٦]

ومما احتمل الوجهين قوله تعالى: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ ﴾ [التوبة:٥] فهو من باب أمر الله للمؤمنين مدح لأنه عبادة، ومن باب العقاب للمشريكن ذم.

٦٣) قَلَب

" قلب الشيء قَلْبا جعل أعلاه أسفله أو يمينه شماله أو باطنه ظاهره، ويقال قلب الأمر ظهرا لبطن اختبره، وقلب التاجر السلعة تبصرها، وقلب عينه غضب وتهدد، وقلب فلانا عما يريد صرفه عنه، وقلب الله فلانا إليه توفاه، وقلب الداء فلانا أصاب قلبه، وقلَّب الشيء مبالغة في قلب ويقال قلَّب الأمور نظر في عواقبها وفي التنزيل العزيز﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ﴾ [التوبة:٤٨] وانقلب مطاوع قلبه ورجع وانصرف وفي التنزيل العزيز﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ ﴾[آل عمران:١٧٤] وتقلب في الأمور تصرف فيها كيف شاء يقال فلان يتقلب في أعمال السلطان وفي نعمائه، وفي البلاد تنقل والقلب عضو عضلي أجوف وقد يعبر بالقلب عن العقل."(١)

قال الكفومي رحمه الله:" القلب في اللغة يدل على معنيين: أحدهما: جعل أعلى الشيء أسفل ومنه أخذ قلب العلة حكما وبالعكس؛ لأن العلة أعلى من الحكم لكونها أصلا والحكم

(١) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـــ ٧٥٣، وانظر لسان العرب / ابن منظور ج١ صـــ ٦٨٥ وما بعدها

أسفل لكونه تبعا. والثاني: جعل ظاهر الشيء باطنا كقلب الجراب ومنه أخذ قلب الوصف شاهدا على الخصم بعد أن يكون شاهدا للخصم. وقلب كل شيء خالصه وقد يعبر بالقلب عن العقل سمي المضغة الصنوبرية قلبا لكونه أشرف الأعضاء؛ لما فيه من العقل على رأي وسرعة الخواطر والتلون في الأحوال، ولأنه مقلوب الخلقة والوضع كما يشهد به علم التشريح ومن تقاليبه."(١)

أما الراغب رحمه الله فقال في تعريف القلب(٢) مما لا يخلوا عما ذكرت ثم شرع في ذكر الآيات الواردة ورد كل لفظ حسب ورود معناه .

وقد ورد اللفظ في القرآن على معان متعددة لا تخرج عن المعنى اللغوي منها ما هو ممدوحا ومنها ما هو مذموما فمن باب المدح قوله سبحانه:﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة:١٤٤]﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾ [آل عمران:١٧٤]﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾ [الأعراف:١٢٥][الشعراء:٥٠][الزُخرُف:١٤] ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [النحل:١٠٦]﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٩]﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ [ق:٣٣]﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق:٩]

وفي سياق الذم قال سبحانه تعالى في وصف قلوب الكفار:﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ [البقرة:٧]﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [البقرة:١٠]﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم ﴾ [البقرة:٧٤]﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ [البقرة:٨٨]

وقال الله تعالى:﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ ﴾ [البقرة:١٤٣] ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴾ [آل عمران:١٢٧] ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ ﴾ [آل عمران:١٤٤] ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ ﴾ [آل عمران:١٥١]﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴾ [آل عمران:١٩٦] ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ ﴾ [المائدة:٥٢]﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام:١١٠] ﴿ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴾ [الأعراف:١١٩] ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ ﴾ [التوبة:٤٨]﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ ﴾ [النحل:٤٦] ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا ﴾ [الكهف:٢٨]﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ ﴾ [الكهف:٤٢]﴿ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ ﴾ [الحج:١١] ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء:٢٢٧] ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ ﴾ [الأحزاب:٦٦]﴿ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴾ [غافر:٤]

---

(١) الكليات / الكفومي صـ ٧٠٣، وانظر التعريفات / الجرجاني صـ ٢٢٩، والتعاريف / المناوي صـ ٥٨٩

(٢) انظر المفردات / الأصبهاني صـ ٤١١

٦٤) كنز

" الكَنْزُ المالُ المَدفون تحت الأرض هذا هو الأصل ثم تُجُوِّزَ فيه فقيل إذا أُخرِجَ منه الواجبُ عليه لم يَبْقَ كَنْزَاً ولو كان مَكْنُوزاً ومنه الحديث (كل مال لا تُؤدَّى زكاته فهو كَنْز)[١]"[٢] وإلى هذا ذهب جل من الصحابة والتابعين كعمر وابن عباس و ابر هريرة ومالك."[٣]

قال الجرجاني رحمه الله:" الكنز هو المال الموضوع في الأرض."[٤] وقال المناوي رحمه الله:" الكنز جمع المال بعضه على بعض وادخاره، وقيل المال المدفون وقد صار في الدين صفة لكل مال لم يخرج منه الواجب وإن لم يكن مدفونا."[٥] وقال الكفومي رحمه الله:" الكنز كل كنز في القرآن فهو مال إلا في الكهف، وكل مال أديت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونا، وكل مال لم تؤد زكاته فهو كنز وإن كان ظاهرا، و كل ما زاد على أربعة آلاف درهم فهو كنز أديت منه الزكاة أو لم تؤد وما دونه نفقه."[٦]

وإذا أريد بالكنز المال فقد جاء في القرآن مذموما، أما إذا أريد به غيره فجاء ممدوحا كما في قوله تعالى:﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ [الكهف:٨٢] روى الطبري رحمه الله:" عن ابن عباس ما كان الكنز إلا علما، وعن جعفر بن محمد وكان تحته كنز لهما قال سطران ونصف لم يتم الثالث ــ عجبت للموقن بالرزق كيف يتعب وعجبت للموقن بالحساب كيف يغفل وعجبت للموقن بالموت كيف يفرح ــ وقد قال وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين."[٧]

وجاء اللفظ بالفعل مذموما في وصف أهل الكتاب ومن اقتدى بفعلهم قال تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة:٣٤]﴿هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [التوبة:٣٥] قال القرطبي رحمه الله:" فذهب معاوية إلى أن المراد بها

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد كتاب الزكاة باب فرض الزكاة ج٣ صــ ٦٤ وقال هو في الصحيح بنحوه ولكنه موقوف على ابن عمر، وكذلك أورد الحاكم في مستدركه كتاب الزكاة ج١ صــ ٥٤٥ حديث رقم ١٤٣١ ما يؤيد هذا المعنى

(٢) تاج العروس / الزبيدي ج١٥ صــ ٣٠٤، وانظر لسان العرب / ابن منظور ج٥ صــ ٤٠٢

(٣) انظر تفسير ابن كثير ج٢ صــ ٣٥١

(٤) التعريفات / الجرجاني صــ ٢٤١

(٥) التعاريف / المناوي صــ ٦١١ وانظر المفردات / الأصبهاني صــ ٤٤٢

(٦) الكليات / الكفومي صــ ٧٤٢

(٧) تفسير الطبري ج١٥ صــ ٢٨٠ ، ج١٦ صــ ٥، وانظر التفسير الكبير(مفاتيح الغيب) / فخر الدين الرازي ج٢١ صــ ١٣٨، وتفسير البيضاوي ج٣ صــ ٥١٨

أهل الكتاب وإليه ذهب الأصم لأن قوله والذين يكنزون مذكور بعد قوله إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل، وقال أبو ذر وغيره المراد بها أهل الكتاب وغيرهم من المسلمين وهو الصحيح؛ لأنه لو أراد أهل الكتاب خاصة لقال ويكنزون بغير والذين فلما قال والذين فقد استأنف معنى آخر."[1] فإن حملت الآيات بخصوصيتها لليهود والنصارى ففيها معنى الكفر، وإن حملت على عمومها فهي مشتركة بين الكفر والمعصية التي إن شاء عذب عليها سبحانه.

وجاء مذموما كطلبا تعجيزا من الكفار للنبي ﷺ قال تعالى:﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ ﴾ [هود:١٢]﴿ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ ﴾ [الفرقان:٨] وكذا جاء في وصف النعمة التي لم يحافظ عليها أصحابها ولم يؤدوا حقها من قوم فرعون وعن قارون﴿ فَأَخۡرَجۡنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴾ ﴿ وَكُنُوزٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ﴾ [الشعراء٥٧:٥٨]﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴾ [القصص:٧٦]

٦٥) لَعِب

" لعب الصبي لُعُبا سال لعابه من فمه، ولعب لِعْبا ولَعِبا لهى وفي التنزيل العزيز﴿ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [يوسف:١٢] ولعب بالشيء اتخذه لعبة، وفي الدين اتخذه سخرية وفي التنزيل العزيز﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا ﴾ [الأنعام:٧٠] وعمل عملا لا يجدي عليه نفعا فهو لاعب ولَعْب، ويقال لعبت بهم الهموم عبثت بهم، والريح بالمنزل درسته، واللعبة كل ما يلعب به مثل الشطرنج والنرد والدمية ونحوها يُلعب بها والأحمق الذي يُسخر منه."[2]

قال الراغب رحمه الله:" لعب أصل الكلمة اللُعاب وهو البُزاق السائل، وقد لعب يلعب لعبا سال لعابه، ولعب فلان إذا كان فعله غير قاصد به مقصدا صحيحا قال تعالى:﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ ﴾ [العنكبوت:٦٤] واللعبة للمرة الواحدة واللعبة الحالة التي عليها اللاعب وما يلعب به، والمَلْعَب موضع اللعب، وقيل لعاب النحل للعسل، ولعاب الشمس ما يرى في الجو كنسج العنكبوت."[3]

و قال الكفومي رحمه الله:" واللعب طلب الفرح بما لا يحسن أن يطلب به، وقيل اللهو الاستمتاع

---

(١) تفسير القرطبي ج٨ صـ ١٢٣

(٢) المعجم الوسيط ج٢ صـ ٨٢٧، وانظر لسان العرب / ابن منظور ج١ صـ ٧٣٩ وما بعدها، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم / مجمع اللغة العربية مج٢ صـ ٣٨٤

(٣) المفردات / الأصبهاني صـ ٤٥٠

بلذات الدنيا، واللعب العبث وقيل اللهو الميل عن الجد إلى الهزل واللعب ترك ما ينفع بما لا ينفع، وقيل اللهو الإعراض عن الحق واللعب الإقبال على الباطل."(١) وخصه الجرجاني بفعل الأطفال فقال:" اللعب هو فعل الصبيان يعقب التعب من غير فائدة."(٢)

وكل لعب في القرآن جاء مذموما إلا في موضع واحد في قوله تعالى على لسان إخوة يوسف عليه السلام:﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [يوسف:١٢]

ومما جاء مذموما كقوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة:٥٧]﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ [المائدة:٥٨]﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [الأنعام:٣٢]﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام:٩١]﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأعراف:٩٨]﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة:٦٥]﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء:٢]﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الأنبياء:١٦] ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ [الزخرف:٨٣] [المعارج:٤٢]﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ [الدخان:٩]﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ [الطور:١٢]

٦٦) لَوَم

" اللُّوم واللائمة العذل، لامه على كذا يلومه لَوما و مَلاما و ملامة و لومَة فهو مَلوم ومُليم استحق اللوم، ومن العرب من يقول المليم بمعنى الملوم، وألام الرجل أتى ما يلام عليه قال سيبويه ألام صار ذا لائمة، و استلام الرجل إلى الناس وجاء بلومة أي استذم واستلام إليهم أتى إليهم ما يلومونه عليه. وفي التهذيب ألام الرجل فهو مليم إذا أتى ذنبا يلام عليه قال الله تعالى:﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات:١٤٢] وتلاوم الرجلان ملاومة لام كل واحد منهما صاحبه، وتلوم في الأمر تمكث وانتظر واللام الشديد من كل شيء."(٣)

قال الكفومي رحمه الله:" اللَّوامة ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا تلوم نفسها إن كانت عملت خيرا هلا زادت منه، وإن كانت عملت سوءا لم عملته."(٤) وقال الراغب رحمه الله:" وقوله تعالى:﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة:٢] قيل هي النفس التي اكتسبت بعض الفضيلة فتلوم صاحبها إذا ارتكب مكروها؛ فهي دون النفس المطمئنة. وقيل بل هي النفس التي قد اطمأنت في ذاتها وترشحت لتأديب غيرها فهي

---

(١) الكليات / الكفومي صـ ٧٩٩

(٢) التعريفات / الجرجاني صـ ٢٤٦

(٣) لسان العرب / ابن منظور ج١٢ صـ ٥٥٧ باختصار وتصرف يسير وانظر المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـ ٨٤٢ والمفردات / الأصبهاني صـ ٤٥٦

(٤) الكليات / الكفومي صـ ٨٠٢

فوق النفس المطمئنة."[١]

وقد ورد اللفظ ممدوحا في القرآن كقوله تعالى:﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة:٢]

وورد في سياق الذم كقوله سبحانه:﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ﴾[المائدة:٥٤]﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴾ [الإسراء:٢٩]﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ﴾ [الإسراء:٣٩]﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ ﴾ [ابراهيم:٢٢]﴿ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ﴾ [الذاريات:٥٤]﴿ فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ ﴾ [القلم:٣٠]

وقوله تعالى:﴿ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ﴾ [الصافات:١٤٢] أي استحق اللوم لفعله خلاف الأولى.

وفي قوله تعالى:﴿قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ ﴾ [يوسف:٣٢] وقوع اللوم منهن عليها على الذنب الذي اقترفته في مراودته يكون ممدوحا حيث أنه لوم على معصية. لكن الطبري رحمه الله "رجح عود الضمير في (فِيهِ) على الحب الذي وقع في قلبها تجاهه"[٢] وهذا مما لا يملكه المرء، وحينها لا مدح ولا ذم فيه فهو من باب قوله ﷺ " اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك." [٣]

٦٧) مَتَع

" متع الشيء مُتوعا بلغ في الجودة الغاية في بابه وطال، ويقال متع النهار والضحى بلغ غاية ارتفاعه وهو ما قبل الزوال، ومتع فلان جاد وظرف وكمل في خصال الخير، ومتع الحبل اشتد وذلك إذا جاد فتله، والنبيذ اشتدت حمرته، وتمتع بكذا دام له ما يستمده منه، وبالعمرة إلى الحج أقام معتمرا في الحرم حتى أدى الحج فضم العمرة إلى الحج، واستمتع بكذا تمتع به، والمتاع كل ما ينتفع به ويرغب في اقتنائه كالطعام وأثاث البيت والسلعة والأداة والمال. وزواج المتعة أن تتزوج امرأة تتمتع بها وقتا ما ولا تريد إدامتها لنفسك، ومتعة المرأة ما وصلت به بعد الطلاق لتنتفع به من نحو مال أو خادم."[٤]

وقال الكفومي رحمه الله:" والمتاع ما يفرش في المنازل ويزين به، وقيل الأثاث ما جد من متاع البيت والخرثي ما رث، وقال ابن الأثير: المتاع لغة كل ما ينتفع به من عروض الدنيا قليلها و كثيرها

---

(١) المفردات / الأصبهاني صـــ ٤٥٧ وانظر التعاريف / المناوي صـــ ٦٢٨

(٢) انظر تفسير الطبري ج١٢ صـــ ٢٠٩

(٣) جزء من حديث أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ج٢ صـــ ٢٠٤ حديث رقم ٢٧٦١ وقال حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه

(٤) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـــ ٨٥٢ بتصرف يسير وانظر لسان العرب / ابن منظور ج٨ صـــ ٣٢٨ وما بعدها وانظر المفردات / الأصبهاني صـــ ٤٦١

فيكون ما سوى الحجرين متاعا، وعرفا كل ما يلبسه الناس ويبسط."[1] وقال الراغب:" وكل موضع ذكر فيه تمتعوا في الدنيا فعلى طريق التهديد وذلك لما فيه من معنى التوسع وقوله تعالى:﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء:٧٧] تنبيها أن ذلك في جنب الآخرة غير معتد به."[2]

وقد ورد اللفظ في القرآن بصيغ متعددة منها على سبيل المدح وهو قليل كقوله تعالى:﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٦] ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًا بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:٢٣٦]﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:٢٤١] ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[النساء:٢٤]﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس:٩٨] ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ [هود:٣] ﴿فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الصافات:١٤٨]﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة:٧٣]

وكثر اللفظ في سياق الذم كقوله سبحانه:﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة:٣٦]﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾ [البقرة:١٢٦]﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [آل عمران:١٤]﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [آل عمران:١٩٧]﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام:١٢٨]﴿فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم﴾ [التوبة:٦٩]﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [يونس:٢٣]﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [هود:٤٨]﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود:٦٥]﴿قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [إبراهيم:٣٠]﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ﴾ [الحجر:٣] ﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ﴾ [النحل:٥٥] ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ [الأنبياء:٤٤]﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ﴾ [الشعراء:٢٠٥]﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعراء:٢٠٧]﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ [القصص:٦٠]﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [القصص:٦١]﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُواْ﴾ [العنكبوت:٦٦]﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان:٢٤]﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب:١٦]﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزمر:٨]﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأحقاف:٢٠]﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد:١٢]﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [الذاريات:٤٣]﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ [المرسلات:٤٦]

---

(١) الكليات / الكفومي صـــ ٣٩ ، ٤٠

(٢) المفردات / الأصبهاني صـــ ٤٦١

٦٨) مَدَد (مَدَّ)

" المَدُّ الجذب والمطل، وفلان يماد فلانا أي يماطله ويجاذبه، والتمدد كتمدد السقاء وكذلك كل شيء تبقى فيه سعة المد، والمادة الزيادة المتصلة، ومده في غيه أمهله وطول له، ورجل مديد الجسم طويل وأصله في القيام، و تمدد الرجل أي تمطى، وأمد له في الأجل أنسأه فيه، و مده في الغي والضلال يمده مدا، ومد له أملى له وتركه، والمد كثرة الماء أيام المدود، والمدد ما أمددت به قومك في حرب أو غير ذلك من طعام أو أعوان، والمدة الغاية من الزمان والمكان، ويقال لهذه الأمة مدة أي غاية في بقائها، ويقال مد الله في عمرك أي جعل لعمرك مدة طويلة، و مد في عمره نسيء، ومد النهار ارتفاعه وكذلك الضحى، وامتد بهم السير طال، ومد في السير مضى."(١)

قال المناوي رحمه الله:" المدد مزيد متصل في الشيء من جنسه."(٢) وقال الراغب رحمه الله:" مد أصل المد الجر ومنه المِدة للوقت الممتد ومِدة الجرح ومِد النهر ومَدَه نهر آخر ومددت الإبل سقيتها المديد وهو بزر ودقيق يخلطان بماء، وأمددت الجيش بمدد، والإنسان بطعام. وأكثر ما جاء الإمداد في المحبوب والمد في المكروه نحو:﴿وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ﴾ [الطور:٢٢]﴿ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ﴾ [المؤمنون:٥٥]"(٣)

وقد جاء اللفظ في القرآن بين المدح والذم ففيما مدح من المد كقوله تعالى:﴿هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران:١٢٥]﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴾ [الأنفال:٩]﴿ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ﴾ [الإسراء:٦]﴿وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ﴾ [الطور:٢٢]﴿ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرًا ﴾ [نوح:١٢]﴿ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ﴾ [الواقعة:٣٠]

ومما جاء في سياق الذم كقوله سبحانه:﴿وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾ [البقرة:١٥]﴿ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴾ [الأعراف:٢٠٢]﴿ قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ ﴾ [مريم:٧٥]﴿كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا ﴾ [مريم:٧٩]﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ ﴾ [الحج:١٥]﴿ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ﴾ ﴿ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴾ [المؤمنون٥٥:٥٦] ﴿ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا﴾ [المدثر:١٢]

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج٣ صـ ٣٩٦ ـ ٣٩٩، باختصار كبير وانظر المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـ ٨٥٨

(٢) التعاريف / المناوي صـ ٦٤٥

(٣) المفردات / الأصبهاني صـ ٤٦٥

ومما اجتمع فيه الوجهان قوله تعالى:﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ ﴾ [الإسراء:٢٠]

٦٩) مرا أو مَرَو أو مَرِي

" المَرْو حجارة بيض براقة تكون فيها النار وتقدح منها النار واحدتها مَرْوَة و بها سميت المروة بمكة وهي التي ينتهي السعي إليها. و المرو شجر طيب الريح وهو ضرب من الرياحين. والمَرِي الناقة التي تدر على من يمسح ضروعها وقيل هي الناقة الكثيرة اللبن. و المِراء الجدال و التماري و المماراة المجادلة على مذهب الشك والريبة، ويقال للمناظرة مماراة لأن كل واحد منهما يستخرج ما عند صاحبه و يمتريه كما يمتري الحالب اللبن من الضرع. و المرية الشك والجدل بالكسر والضم وقرى ء بهما قوله عز وجل:﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُۚ ﴾ [هود:١٧] و ماريت الرجل إذا خالفته وتلويت عليه وهو مأخوذ من مِرار الفتل و مِرار السلسلة تلوي حلقها."(١)

وقال الكفومي رحمه الله:" والمرية التردد في المتقابلين وطلب الأمارة."(٢)

وقد جاء اللفظ في سياق المدح مرة واحدة فقال تعالى:﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٢٢]

وفي مجال الذم قال سبحانه:﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [البقرة:١٤٧] [آل عمران:٦٠]﴿ قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ [الحجر:٦٣]﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ﴾ [الحج:٥٥]﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ﴾ [الشورى:١٨]﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ ﴾ [الزخرف:٦١]﴿ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾ [الدخان:٥٠] ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ [النجم:١٢]﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾[النجم:٥٥]﴿ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْاْ بِٱلنُّذُرِ ﴾ [القمر:٣٦]

٧٠) مَسَس (مَسَّ)

"مَسَس مَسِسْتُه بالكسر لمسته هذه اللغة الفصيحة ومسَسْتُه بالفتح أمسُه بالضم لغة، والمَس وهو أول ما يحس به من التعب و مسك الشيء بيدك قال الله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ ﴾ [البقرة:٢٣٧] ويقال مسست الشيء إذا لمسته بيدك ثم استعير للأخذ والضرب لأنهما باليد، واستعير للجماع لأنه لمس وللجنون كأن الجن مسته. وقد مسته مواس الخبل والمس الجنون والمس والمسوس الماء العذب الصافي لأنه يمس الغلة. ومس المرأة و ماسها أتاها. ولا مِساس أي لا تمسني ولا مَساس أي لا مماسة وقد قرى ء بهما و المس و المسيس جماع الرجل المرأة."(٣)

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج١٥ صـ ٢٧٥ ــ ٢٧٨، باختصار كبير وانظر المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـ ٨٦٥، والمفردات / الأصبهاني صـ ٤٦٧

(٢) الكليات / الكفومي صـ ٥٢٨

(٣) لسان العرب / ابن منظور ج٦ صـ ٢١٧ ، ٢١٨ باختصار وانظر تاج العروس / الزبيدي ج١٦ صـ ٥٠٥

قال الراغب رحمه الله:" المس كاللمس لكن اللمس قد يقال لطلب الشيء وإن لم يوجد، والمس يقال فيما يكون معه إدراك بحاسة اللمس وكني به عن النكاح فقيل مسها وماسها قال تعالى:﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة:٢٣٧] والمس يقال في كل ما ينال الإنسان من أذى نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ [البقرة:٨٠] ﴿مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ [البقرة:٢١٤]"(١) وقال المناوي رحمه الله:" المس ملاقاة ظاهر الشيء ظاهر غيره قاله الحرالي وقال غيره: اجتماع التقاء بزمن من غير نقصان. والمس يقال في كل ما ينال الإنسان من اذى بخلاف اللمس."(٢)

وورد المس ممدوحا في قوله تعالى:﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ﴾ [آل عمران:١٢٠] ووردت كلمة المَسّ في القرآن الكريم في ست آيات كلها مقترنة بالضراء أو القرح أو الشر منها الضر الممدوح الذي يثاب عليه الإنسان كقوله تعالى:﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ﴾ [آل عمران:١٤٠] ومنها الضر المذموم الذي يُلجئ الإنسان إلى ربه فإذا ذهب عنه عاد لما كان عليه من الغي والظلال كقوله تعالى:﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ﴾ [يونس:١٢] ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرّٞ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ [الروم:٣٣] وكذلك في تمردهم على أقدار الله(٣) قال تعالى:﴿ ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [الأعراف:٩٥]

وقد جاءت كلمة المس في مواضيع كثيرة من القرآن أغلبها مقترن بالشر والضر مثل قوله تعالى:﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾ [الأعراف:١٨٨]﴿ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا﴾ [الإسراء:٨٣]

وكلمة المس منسوبة إلى الشيطان وردت في القرآن ثلاث مرات الأولى: في قوله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ [البقرة:٢٧٥] والثانية: في قوله سبحانه:﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾ [ص:٤١] والثالثة: مقترنة بطائف من الشيطان في قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١]

٧١) مَشَى

" مشى مَشْيا انتقل من مكان إلى مكان بإرادة، ويقال مشى بالنميمة نَمَّ. ومشاء كثرت ماشيته أو

---

(١) المفردات / الأصبهاني صـــ ٤٦٧

(٢) التعاريف / المناوي صـــ ٦٥٥

(٣) انظر التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج١٤ صـــ ١٥٠

إبله، والمرأة أو الماشية كثرت أولادها، ويكنى به عن شرب المسهل، والمشاء الكثير المشي والنمام."(١)

ويتحدث الله سبحانه عن ضروب المشي فقد يكون على البطن و قد يكون على الرجلين و قد يكون على أربع و هذه الضروب نظرت إلى الناحية التكوينية في الخلق لا الناحية الخُلقية قال الله تعالى:﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ﴾ [النور:٤٥]

ويعيب الكفار على الرسول ﷺ أن يمشي في الأسواق لطلب المعاش ذلك لأنهم توهموا أن الرسول ﷺ يُستصغر بذلك و يُستحقر قال تعالى:﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ﴾ [الفرقان:٧] ولكن الله سبحانه و تعالى لا يرى ذلك صحيحاً، بل يقول أنه ما أرسل من رسول إلا ويأكل الطعام و يمشي في الأسواق، وذلك مدحا لهم لأنهم يكتسبون قوتهم ويديرون بذلك أمور حياتهم ويمارسون هدفهم ومهمتهم في الدعوة إلى الله سبحانه فقال تبارك وتعالى:﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ﴾ [الفرقان:٢٠] بل أمر سبحانه بذلك فقال:﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك:١٥]

وجاء المشي في القرآن ما بين الممدوح والمذموم فمما جاء ممدوحا كقوله تعالى:﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ﴾[الأنعام:١٢٢]﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾[القصص:٢٥]﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾[الفرقان:٦٣] ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ﴾[لقمان:١٩]﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ﴾ [الحديد:٢٨]

ومن المشي ما ذمه تبارك وتعالى ونهى عنه ووصف به الكفار وتهكم من أصنامهم بعدم القدرة عليه حتى يستطيعوا نفع غيرهم فقال سبحانه:﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟﴾ [البقرة:٢٠]﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ [الإسراء:٣٧][لقمان:١٨]﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ ﴾ [الأعراف:١٩٥]﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴾ [ص:٦]﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم:١١]

٧٢) مَنَن (مَنَّ)

" منَّ عليه مَنّاً أنعم عليه نعمة طيبة يقال من الله على عباده فهو المنان، وفخر بنعمته حتى كدرها وفي التنزيل العزيز﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [البقرة:٢٦٤] ومنَّ الشيء نقص، ومنَّ الأمرُ فلانا أضعفه وأعياه، يقال منَّه السير ومنّه السفر ومنَّ الحبل ومنه قيل منته المنون مات، ومَانّه تردد في قضاء حاجته، و المَن مادة صمغية حلوة تفرزها بعض الأشجار كالأثل، والمنة القوة والإحسان

(١) لسان العرب / ابن منظور ج١٥ صـ ٢٨٢ وانظر المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـ ٨٧٢ والمفردات / الأصبهاني صـ ٤٦٩ والتعاريف / المناوي صـ ٦٥٨

والإنعام واستكثار الإحسان والفخر به حتى يفسده، ومنه قولهم المنة تهدم الصنيعة. والمنان الفخور على من أعطى حتى يفسد عطاءه، والمعطي الغامر العطاء واسم من أسمائه تعالى، والمنون الكثير المن والتي تزوجت لمالها فهي تمن على زوجها والدهر والموت."(١)

وقال الراغب رحمه الله:" المنة النعمة الثقيلة ويقال ذلك على وجهين: أحدهما: أن يكون ذلك بالفعل فيقال مَنَّ فلان على فلان إذا أثقله بالنعمة وعلى ذلك قوله تعالى:﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٦٤] وذلك على الحقيقة لا يكون إلا لله تعالى. والثاني: أن يكون ذلك بالقول وذلك مستقبح فيما بين الناس إلا عند كفران النعمة. ويحسن ذكرها عند الكفران قيل إذا كفرت النعمة حسنت المنة وقوله تعالى:﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ ﴾ [الحُجُرات:١٧] فالمنة منهم بالقول ومنة الله عليهم بالفعل وهو هدايته إياهم كما ذكر."(٢)

وقد جاء اللفظ ممدوحا في القرآن عند إضافته لله فقط كقوله تعالى:﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [آل عمران:١٦٤]﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ ﴾ [النساء:٩٤]﴿قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ ﴾ [يوسف:٩٠]﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴾ [طه:٣٧]﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [القصص:٥]﴿ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ﴾ [القصص:٨٢]﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الطور:٢٧]﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ [التين:٦]

أما إذا أُضيف المن للعبد كان مذموما كقوله سبحانه وتعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [البقرة:٢٦٤]﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ ﴾ [الأنعام:٥٣] ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الشعراء:٢٢]﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾ [المدثر:٦] قال الراغب رحمه الله: (وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ) فقد قيل هو المنة بالقول وذلك أن يمتن به ويستكثره، وقيل معناه لا تعط مبتغيا به أكثر منه."(٣)

واجتمع المدح والذم في قوله تعالى:﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الحُجُرات:١٧]

٧٣) نَبَذ

" النَّبْذُ طرحك الشيء من يدك أمامك أو وراءك، نبذت الشيء إذا ألقيته من يدك و نبذت الشيء

---

(١) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـــ ٨٨٨، باختصار وانظر لسان العرب / ابن منظور ج١٣ صـــ ٤١٥ و ما بعدها

(٢) المفردات / الأصبهاني صـــ ٤٧٤ وانظر الكليات / الكفومي صـــ ٨٧٢

(٣) المفردات / الأصبهاني صـــ ٤٧٤

أيضا إذا رميته وأبعدته ومنه الحديث (فنبذ خاتمه فنبذ الناس خواتيمهم)[١] أي ألقاها من يده. والنبيذ معروف واحد الأنبذة وهو الشيء المنبوذ، والنبيذ ما نبذ من عصير ونحوه والمنبوذ ولد الزنا لأنه ينبذ على الطريق، وانتبذ عن قومه تنحى المنابذة والانتباذ تحيز كل واحد من الفريقين في الحرب، والنبذ يكون بالفعل والقول في الأجسام والمعاني ومنه نبذ العهد إذا نقضه وألقاه إلى من كان بينه وبينه، والمنابذة في التجارة أن يقول الرجل لصاحبه انبذ إلي الثوب أو غيره من المتاع أو أنبذه إليك فقد وجب البيع، و نبذ العرق ينبذ ضرب لغة في نبض."[٢]

"وخصه الكفومي رحمه الله بالطرح لكن يغلب فيما ينسى و خصه المناوي فيما يطرح لقلة الاعتداد به."[٣]

والنبذ في القرآن جاء حسيا ومعنويا وكلاهما جاء مذموما إلا في قصة مريم قال تعالى:﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴾[مريم:١٦]﴿ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴾[مريم:٢٢] والمراد هنا البعد المكاني وإنما عبر عنه بالنبذ لخشيتها من ظن قومها بها السوء.

وكذا جاء في قصة يونس عليه السلام في قوله تعالى:﴿فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ﴾ [الصافات:١٤٥] إلا أنه سبحانه قيد هذا النبذ بأنه غير مصاحبا للذم بقوله تعالى:﴿لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴾[القلم:٤٩] وكأن إطلاق النبذ يفهم منه الإهانة والاحتقار وهذا موافق للمعنى اللغوي .

ومن أمثلة النبذ الحسي في وصف فعل الكفار أو عقابهم قوله تعالى:﴿فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا ﴾ [طه:٩٦]﴿ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ ﴾ [القصص:٤٠][الذاريات:٤٠]﴿ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ﴾ [الهمزة:٤] ومن أمثلة النبذ المعنوي ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ ﴾ [البقرة:١٠٠]﴿نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ ﴾ [البقرة:١٠١]

ومما ورد ويحمل على الوجهين قوله تعالى:﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ [الأنفال:٥٨] فمن باب أنه أمر من الله إلى رسوله ﷺ فهو ممدوح ومن باب عقاب للكفار على خيانتهم فهو ذم لهم.

---

(١) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب اللباس باب من جعل فص الخاتم في بطن كفه ج٥ صــ ٢٢٠٥ حديث رقم ٥٥٣٨ والإمام مسلم في صحيحه كتاب اللباس والزينة باب تحريم خاتم الذهب على الرجال ونسخ ما كان من إباحته في أول الإسلام ج٣ صــ ١٦٥٥ حديث رقم ٢٠٩١

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج٣ صــ ٥١١ ــ ٥١٣ باختصار شديد، وانظر المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صــ ٨٩٦، والمفردات / الأصبهاني صــ ٤٨٠

(٣) انظر الكليات / الكفومي صــ ٤١٨، والتعاريف / المناوي صــ ٦٩٠

٧٤) نَجَا أو نَجَو

" نجا منه نَجَاء ونَجَاة خلص من أذاه، ونجا الغصن قطعه، ونجا الجلد عن الجزور كشطه وسلخه، و نجا فلانا نجوا ونجوى أسر إليه الحديث، ونجى فلانا خلصه، ونجى أرضه رفعها مخافة الغرق، وناجاه مناجاة ونجاء ساره ويقال بات الهم يناجيه لازمه واستولى عليه، وتناجى القوم تساروا، والناجية الناقة السريعة والنجوى إسرار الحديث والقوم المتناجون يستوي فيه الجمع والمفرد."(١)

وقال الراغب رحمه الله:" نجو أصل النَجَاء الانفصال من الشيء ومنه نجا فلان من فلان وأنجيته ونجيته قال تعالى: ﴿وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [النمل:٥٣] والنجوة والنجاة المكان المرتفع المنفصل بارتفاعه عما حوله، وقيل سمي لكونه ناجيا من السيل ونجيته تركته بنجوة وعلى هذا ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يونس:٩٢] وناجيته أي ساررته وأصله أن تخلو به في نجوة من الأرض، وقيل أصله من النجاة وهو أن تعاونه على ما فيه خلاصه، أو أن تنجو بسرك من أن يطلع عليك. وتناجى القوم قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [المجادلة:٩] وانتجيت فلانا استخلصته لسري."(٢)

وقد وردت النجوى في القرآن مذمومة إلا في موضعين جاءت ممدوحة في قوله تعالى:﴿وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰٓ﴾ [المجادلة:٩]﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾ [المجادلة:١٢]

وفي سياق الذم قال سبحانه:﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [النساء:١١٤]﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ ﴾ [التوبة:٧٨]﴿وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴾ [الإسراء:٤٧]﴿ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴾ [طه:٦٢]﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ ﴾ [الأنبياء:٣] ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ﴾ [الزخرف:٨٠]﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾ [المجادلة:٨]﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [المجادلة:١٠]

٧٥) نَذَر

" النَذْرُ النَحْبُ وهو المدة والوقت وهو ما ينذره الإنسان فيجعله على نفسه نحبا واجبا وجمعه نذور، والنذيرة الابن يجعله أبواه قيما أو خادما للكنيسة أو للمعبد. تقول نذرت نذرا إذا أوجبت على نفسك شيئا تبرعا من عبادة أو صدقة أو غير ذلك. و نذِر بالشيء وبالعدو بكسر الذال نذرا علِمه

---

(١) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـ ٩٠٥، وانظر لسان العرب / ابن منظور ج١٥ صـ ٣٠٦

(٢) المفردات / الأصبهاني صـ ٤٨٣ ، ٤٨٤

فحذره، وأنذره بالأمر خوفه وحذره، النُذُر جمع نذير، ونذيرة الجيش طليعتهم الذي ينذرهم أمر عدوهم أي يعلمهم والإنذار الإبلاغ ولا يكون إلا في التخويف والاسم النُذُر ومنه قوله تعالى:﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ [القمر:١٦] أي إنذاري. والنذير المُحَذر والجمع نذر وقوله عز وجل:﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ﴾ [فاطر:٣٧] وأصل الإنذار الإعلام يقال أنذرته أنذره إنذارا إذا أعلمته فأنا منذر ونذير أي معلم ومخوف ومحذر."(١)

والإنذار في القرآن الكريم ليس خاصاً للكفار والمنافقين. لكن الإنذار للمؤمن ليس فيه توعد بل تخويف حتى يقوم المؤمن بما ينبغي أن يقوم به وهذا من رحمة الله بهم . لذا ورد لفظ النذير في القرآن مابين المدح للمؤمنين ووصفا للنبي ﷺ وما بين الذم للكفار وعصاة المؤمنين فمن مجيئه في المدح وصف الأنبياء به قال تعالى:﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ﴾ [التوبة:١٢٢]﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ [الأنعام:٥١]﴿وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ [النمل:٩٢]

ومما جاء في سياق الذم كقوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة:٦]﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾ [الأنبياء:٤٥]﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ [الشعراء:١٧٣] [النمل:٥٨]﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ [الصافات:٧٣]﴿ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴾ [القمر:٣٦]

ومما جاء يحتمل الوجهين قوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [البقرة:١١٩] ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام:١٩]﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [هود:٢٥]﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء:١٩٤]﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ [الدخان:٣] فمن اتبع الرسول وآمن كان له نذير خير، ومن كفر وأعرض كان له نذير هلاك وعذاب.

٧٦) نَزَع

" نزع المريض نَزْعا أشرف على الموت، والشمس دنت من الغروب، وإلى أهله نزوعا حن واشتاق، وعن الأمر كف وانتهى، ونزع أباه وإليه أشبهه، ويقال نزعه عرق أشبه أصله كما يقال نزع إلى عرق كريم أو لئيم، والشيء من مكانه نزعا جذبه وقلعه، ويقال نزع الأمير عامله عن عمله عزله ويده من جيبه أخرجها وفي التنزيل العزيز﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ [الأعراف:١٠٨] ويقال نزع يده من الطاعة خرج منها وعصى، ونازع فلانا في كذا خاصمه وغالبه، ونزع فلانا الشيء جاذبه إياه، ويقال نازع الرجل غيره الكأس أعاطاه إياها."(٢)

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج٥ صـــ ٢٠٠ ـــ ٢٠٣ باختصار كبير وانظر تاج العروس / الزبيدي ج١٤ صـــ ١٩٧ والمفردات / الأصبهاني صـــ ٤٨٧

(٢) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـــ ٩١٤، وانظر لسان العرب / ابن منظور ج٨ صـــ ٣٤٩ وما بعدها

وقال المناوي رحمه الله:" النزع رفع الشيء عن غيره مما كان متشابكا له كالقلع والقشط ذكره الحرالي، وقال غيره: حذف شيء من مقره ويستعمل في الأعراض ومنه نزع العداوة والمحبة من القلب، والمنازعة والتنازع المجاذبة ويعبر بها عن المخاصمة والمجادلة، والنزع عن الشيء الكف عنه والنزوع الاشتياق الشديد وذلك هو المعبر عنه بارتحال النفس مع الحبيب."(١)

وقد جاءت هذه المعاني في القرآن بين الذم والمدح فمن المدح قوله تعالى:﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ﴾ [الأعراف:٤٣] [الحجر:٤٧]﴿إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ﴾ [الكهف:٢١]﴿وَنَزَعۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا﴾ [القصص:٧٥]﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ﴾ [الطور:٢٣]﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾ [النازعات:١]

ومما جاء في سياق الذم كقوله سبحانه:﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمران:١٥٢]﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ﴾ [الأعراف:٢٧]﴿وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۗ﴾ [الأنفال:٤٣]﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال:٤٦]﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا﴾ [مريم:٦٩]﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ﴾ [طه:٦٢]﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلۡأَمۡرِۚ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الحج:٦٧]﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ﴾ [القمر:٢٠]﴿نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ﴾ [المعارج:١٦]

٧٧) نَصَب

" نصب الشيء أقامه وبابه ضرب و المَنصِب بوزن المجلس الأصل وكذا النِصاب بالكسر ونصب تعب وبابه طرب وهم ناصب أي ذو نصب وقيل هو فاعل بمعنى مفعول فيه لأنه ينصب فيه ويتعب كليل نائم أي يُنام فيه ويوم عاصف أي تعصف فيه الريح. والنَصْب بوزن الضرب ما نُصب فعبد من دون الله وكذا النُصب بوزن القُفل وقد تضم صاده أيضا والجمع أنصاب والنَصَب أيضا الشر والبلاء ومنه قوله تعالى:﴿بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾ [ص:٤١]"(٢)

وقال الراغب رحمه الله:" نصب الشيء وضعه وضعا ناتئا كنصب الرمح والبناء والحجر، والنصيب الحجارة تنصب على الشيء وجمعه نصائب ونُصُب، وكان للعرب حجارة تعبدها وتذبح عليها قال تعالى:﴿كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج:٤٣] وقال سبحانه:﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة:٣] وقد يقال في جمعه أنصاب قال سبحانه:﴿وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ﴾ [المائدة:٩٠] والنَصب والنُصب التعب وقرئ (بنُصب وعذاب) وأنصبني كذا أي أتعبني وأزعجني والنَصَب التعب قال تعالى:﴿لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا﴾

(١) التعاريف / المناوي صـــ ٦٩٥ وانظر المفردات / الأصبهاني صـــ ٤٨٨

(٢) مختار الصحاح / الرازي صـــ ٢٧٥، وانظر المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـــ ٩٢٤، ولسان العرب / ابن منظور ج١ صـــ ٧٥٨ وما بعدها

[الكهف:٦٢] ويقال ناصبه الحرب والعداوة ونصب له وإن لم يذكر الحرب جاز، ونصاب الشيء أصله ورجع فلان إلى منصبه أي أصله، وتنصب الغبار ارتفع."[1]

وقد جاء اللفظ في القرآن ما بين المدح والذم فمن باب المدح قوله تعالى:﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ﴾ [البقرة:٢٠٢] ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [آل عمران:٢٣] ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ﴾[النساء:٨٥]﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ﴾ [التوبة:١٢٠] ﴿لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٨] ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ﴾ [الشرح:٧]

ومما جاء في سياق الذم كقوله سبحانه: ﴿أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء:٥٣] ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا﴾ [النساء:١١٨]﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة:٣] ﴿إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ [المائدة:٩٠] ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا﴾ [الأنعام:١٣٦]﴿مَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبۡلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ غَيۡرَ مَنقُوصٖ﴾ [هود:١٠٩]﴿وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ﴾ [النحل:٥٦] ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ﴾ [فاطر:٣٥] ﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج:٤٣] ﴿عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ﴾ [الغاشية:٣]

ومما احتمل الوجهين قوله تعالى:﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾ [ص:٤١] فهو من ناحية فعل الشيطان مذموم، ومن ناحية أنه ابتلاء من الله يُؤجر عليه بصبره عليه السلام فهو ممدوح.

٧٨) نَظَر

" نظر إلى الشيء أبصره وتأمله بعينه وفيه تدبر وفكر، يقال نظر في الكتاب ونظر في الأمر، ويقال فلان ينظر ويعتاف[2] يتكهن، ونظر لفلان رثى له وأعانه، ويقال انظر لي فلانا وانظر فلانا باعه الشيء بنظرة ومكنه من النظر، وناظر فلانا صار نظيرا له وباحثه وباراه في المحاجة، والشيء بالشيء جعله نظيرا له، ويقال داري تناظر داره تقابلها، وانتظره ترقبه وتوقعه وتأنى عليه، والناظر الفاعل من نظر والناظرة مؤنثه، والنظر البصر والبصيرة ويقال في هذا نظر مجال للتفكير لعدم وضوحه، والنظرة الانتظار يقال اشتريته بنظرة إمهال وتأخير وفي التنزيل العزيز﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ﴾ [البقرة:٢٨٠][3]

---

(١) المفردات / الأصبهاني صـ ٤٩٤ وانظر الكليات / الكفومي صـ ٩٠٦

(٢) العيافة زجر الطير من أجل التفاؤل أو التشاؤم

(٣) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـ ٩٣٢، وانظر لسان العرب / ابن منظور ج٥ صـ ٢١٥ وما بعدها

قال الراغب رحمه الله:" النظر تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص وهو الروية يقال نظرت فلم تنظر أي لم تتأمل ولم تترو، ويقال نظرت إلى كذا إذا مددت طرفك إليه رأيته أو لم تره، ونظرت فيه إذا رأيته وتدبرته وقوله تعالى:﴿إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ [الأحزاب:٥٣] أي منتظرين. ويستعمل النظر في التحير في الأمور نحو قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة:٥٥] وقوله تعالى: ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة:٥٠] قيل مشاهدون وقيل تعتبرون."(١) وقال الكفومي رحمه الله:" النظر هو عبارة عن تقليب الحدقة نحو المرئي التماساً لرؤيته، ولما كانت الرؤية من توابع النظر ولوازمه غالباً أجري لفظ النظر على الرؤية على سبيل إطلاق اسم السبب على المسبب، والنظر ترتيب أمور معلومة على وجه يؤدي إلى استعلام ما ليس بمعلوم؛ فقيل النظر عبارة عن حركة القلب لطلب علم عن علم واستعمال النظر في البصر أكثر عند العامة وفي البصيرة أكثر عند الخاصة."(٢)وقال المناوي رحمه الله:" النظر طلب المعنى بالقلب من جهة الذكر كما يطلب إدراك المحسوس بالعين، وأول موقع العين على الصورة نظر ومعرفة خبرتها الحسية بصر ونفوذه إلى حقيقتها رؤية، فالبصر متوسط بين النظر والرؤية كما قال تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:١٩٨] وقيل تقليب البصر أو البصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص، ونظر الله إلى عباده إحسانه إليهم وإفاضة نعمه عليهم."(٣)

وردت مادة نظر في القرآن الكريم في مواضع متعددة و بإشتقاقات مختلفة تحمل معاني متعددة منها ما جاء ممدوحا ومنها ما جاء مذموما وأهم هذه المعاني: ــ

أولا : ــ نظر الرؤية قال الله تعالى مادحا وممتنا على المؤمنين يوم القيامة بالنظر إليه:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة٢٢:٢٣] قال ابن عطية:" حمل هذه الآية جميع أهل السنة على أنها متضمنة رؤية المؤمنين لله تعالى، وهي رؤية دون محاذاة ولا تكييف ولا تحديد كما هو معلوم، موجود لا يشبه الموجودات كذلك هو لا يشبه المرئيات في شيء، فإنه ليس كمثله شيء لا إله إلا هو."(٤)

ومن النظر المذموم بهذا المعني كقوله تعالى:﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا﴾ [التوبة:١٢٧]

ثانيا : ــ نظر الاعتبار والتأمل ومما جاء في المدح قوله تعالى في مواساة المؤمنين بعد ما حل بهم

---

(١) المفردات / الأصبهاني صــ ٤٩٧

(٢) الكليات / الكفومي صــ ٩٠٤

(٣) التعاريف / المناوي صــ ٧٠١

(٤) المحرر الوجيز / ابن عطية الأندلسي ج٥ صــ ٤٠٥، وانظر تفسير الثعالبي ج٤ صــ ٣٦٧

في غزوة أحد: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران:١٣٧] و وجاء النظر بهذا المعنى في مجال الذم كقوله تعالى ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية:١٧] قال السيوطي رحمه الله:" عن قتادة قال لما نعت الله ما في الجنة عجب من ذلك أهل الضلالة فأنزل الله (أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) وكانت الإبل عيشا من عيش العرب وخولا من خولهم."(١)

ثالثا : ــ نظر الانتظار ومما امتدحه الله بهذا المعنى في بعض المؤمنين انتظار الموت في سبيله قال سبحانه:﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب:٢٣]

ومما جاء في سياق الذم طلب إبليس لعنه الله بإنظاره إلى يوم الوقت المعلوم قال تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾ [ص٧٩:٨٠]

رابعا : ــ نظر التعطف والرحمة والشفقة والمراعاة وجاء في المدح قوله عز وجل:﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ ﴾[النساء:٤٦] فأخبر سبحانه بأن اليهود لو قالوا للنبي ﷺ انظرنا لكان خير لهم ولا يكون الخير إلا في أمر ممدوح.

وفي سياق الذم جاء قوله تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران:٧٧] وبمفهوم المخالفة فإن الله ينظر إلى المؤمنين برحمته حين ذاك.

خامسا : ــ نظر المهلة والتأجيل قال تعالى مادحا الميسرين على أهل العسرة من المديذين: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٨٠]

وفي سياق الذم قال سبحانه:﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾[البقرة:١٦٢][آل عمران:٨٨]

سادسا : ــ نظر الخوف والرعب والمذلة وهذا المعني جاء في سياق الذم وصفا للمنافقين والكفار قال تبارك تعالى:﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ﴾ [الأحزاب:١٩]﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ﴾ [الشورى:٤٥]

٧٩) نفر

" النَّفْر التفرق ونفرت الدابة تنفِر وتنفُر نِفارا ونُفورا ودابة نافر وكل جازع من شيء نَفُور. والإنفار عن الشيء والتنفير عنه والاستنفار كله بمعنى واحد. وقوله تعالى:﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴾[المدَّثر:٥٠]

(١) الدر المنثور / السيوطي ج٨ صــ ٤٩٤

وقرئت مستنفِرة بكسر الفاء بمعنى نافرة ومن قرأ مستنفرة بفتح الفاء فمعناها منفرة أي مذعورة ، وفي الحديث (بشروا ولا تنفروا)[(١)] واستنفر القوم فنفروا معه و أنفروه أي نصروه ومدوه، وفي الحديث (وإذا استنفرتم فانفروا)[(٢)] و الاستنفار الاستنجاد والاستنصار. وقوله تعالى:﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾[الإسراء:٦] قال الزجاج رحمه الله: النفير جمع نفر كالعبيد وقيل معناه وجعلناكم أكثر منهم أنصارا. ونفر الحاكم أحدهما على صاحبه تنفيرا أي قضى عليه بالغلبة، وشاة نافر وهي التي تهزل، ونفر الجرح نفورا إذا ورم، ونفرت العين وغيرها من الأعضاء تنفر نفورا هاجت وورمت."[(٣)]

وكل نفير في القرآن بمعنى الجهاد والقتال جاء ممدوحا كقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴾ [النساء:٧١] ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ [التوبة:٤١] ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة:١٢٢]﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ [الإسراء:٦]

وكل نفور بمعنى التفرق والانزعاج والابتعاد جاء مذموما كقوله تعالى:﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ [الإسراء:٤١] ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾ [الإسراء:٤٦]﴿ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ [الفرقان:٦٠]﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ [فاطر:٤٢]﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [المُلك:٢١]﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴾ [المدَّثر:٥٠]

٨٠) نفَق

" الشيء نفقا نفد يقال نفق الزاد ونفقت الدراهم واليربوع خرج من نافقائه جحره والدابة نفوقا ماتت، والجرح تقشر، والبضاعة نَفَاقا راجت ورُغب فيها، ويقال نفَقَت المرأة كثر خطابها، وأنفَق فلان افتقر وذهب ماله، والإبل انتشرت أوبارها سمنا، والمال ونحوه أنفده وأفناه، ونافق فلان أظهر خلاف ما يبطن، والإنفاق بدل المال ونحوه في وجه من وجوه الخير، والفقر والإملاق وفي التنزيل العزيز﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ ﴾

---

(١) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب العلم باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ج١ صـــ ٢٨ حديث رقم ٦٩ والإمام مسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير ج٣ صـــ ١٣٥٨ حديث رقم ١٧٣٢

(٢) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب فضل الجهاد والسير ج٣ صـــ ١٠٢٥ حديث رقم ٢٦٣١ والإمام مسلم في صحيحه كتاب الحج باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام ج٢ صـــ ٩٨٧ حديث رقم ١٣٥٣

(٣) لسان العرب / ابن منظور ج٥ صـــ ٢٢٤ ـــ ٢٢٧ باختصار كبير، وانظر تاج العروس / الزبيدي ج١٤ صـــ ٢٦٥ وما بعدها

[الإسراء:١٠٠] والنفقة اسم من الإنفاق وما ينفق من الدراهم ونحوها والزاد وما يفرض للزوجة على زوجها من مال للطعام والكساء والسكنى والحضانة ونحوها."(١)

قال الجرجاني رحمه الله:" الإنفاق هو صرف المال إلى الحاجة."(٢) وقال الكفومي رحمه الله:" قال بعضهم كل إنفاق في القرآن فهو الصدقة إلا ﴿فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْۚ﴾ [الممتحنة:١١] فإن المراد المهر."(٣)

والإنفاق جاء في القرآن بين المدح والذم والممدوح منه قسمه العلماء أقسام فقال الرازي رحمه الله في شرح قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة:٣]" يدخل في الإنفاق المذكور في الآية الإنفاق الواجب والإنفاق المندوب والإنفاق الواجب أقسام أحدها: الزكاة وهي قوله في آية الكنز ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣٤] وثانيها: الإنفاق على النفس وعلى من تجب عليه نفقته، وثالثها: الإنفاق في الجهاد وأما الإنفاق المندوب فهو أيضاً إنفاق لقوله: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون:١٠] فكل هذه الإنفاقات داخلة تحت الآية؛ لأن كل ذلك سبب لاستحقاق المدح."(٤)

ومما امتدحه الله عز وجل من الإنفاق له أوصاف تتضح من سياق الآيات قال سبحانه: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ﴾ [البقرة:١٩٥] ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ﴾ [البقرة:٢١٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾ [البقرة:٢٥٤] ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ﴾ [البقرة:٢٦١] ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗىۙ﴾ [البقرة:٢٦٢] ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ﴾ [البقرة:٢٧٤] ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾ [آل عمران:٩٢] ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ [آل عمران:١٣٤] ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾ [الفرقان:٦٧] ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ [الطلاق:٦]

وجاء الإنفاق مذموما إذا لم يكن خالصا لوجه الله وفي المصارف التي أحلها سبحانه، أو فقد

---

(١) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـــ ٩٢٤، وانظر لسان العرب / ابن منظور ج١٠ صـــ ٣٥٧ وما بعدها، والمفردات / الأصبهاني صـــ ٥٠٢

(٢) التعريفات / الجرجاني صـــ ٥٧، وانظر التعاريف / المناوي صـــ ١٠٠

(٣) الكليات / الكفومي صـــ ١٨٩

(٤) التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج٢ صـــ ٢٩

الشروط والمواصفات التي وردت في الإنفاق الممدوح كقوله تبارك تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة:٢٦٤]﴿ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة:٢٦٧]﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ﴾ [آل عمران:١١٧]﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء:٣٨]﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ ﴾ [الأنفال:٣٦]﴿ قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡ﴾ [التوبة:٥٣]﴿ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة:٥٤]﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا﴾ [التوبة:٩٨]

والنفاق بالمعنى الشرعي قسمان نفاق أكبر مخرج من الملة وهو إظهار الإيمان وكتمان الكفر، وأصغر وهو نفاق العمل الذي يحبط العمل ويذهب أجره لكنه غير مخرج من الملة.(١)

٨١) هَجَر

" الهَجْرُ ضد الوصل وهَجَره يَهْجُرُه صرمه وقطعه، وهما يهتجران ويتهاجران، والاسم الهِجرة. يقال هَجَرْتُ الشيء هَجْراً إذا تركته وأَغفلته، والهجرة الخروج من أَرض إلى أَرض. والمهاجرون الذين ذهبوا مع النبي ﷺ، مشتق منه. وتَهَجَّرَ فلان أَي تشبه بالمهاجرين. قال الأَزهري: وأَصل المُهاجَرَةِ عند العرب خروج البدوي من باديته إلى المدن، يقال: هاجَرَ الرجل إذا فعل ذلك، وكذلك كل مخل بمسكنه منتقل إلى قوم آخرين بسكناه، فقد هاجر قومه. وسمي المهاجرون مهاجرين لأَنهم تركوا ديارهم ومساكنهم التي نشئوا بها لله، ولحقوا بدار ليس لهم بها أَهل ولا مال حين هاجروا إلى المدينة."(٢)

قال الراغب رحمه الله:" الهجر والهجران مفارقة الإنسان غيره إما بالبدن أو باللسان أو بالقلب قال تعالى:﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ [النساء:٣٤] كناية عن عدم قربهن وقوله تعالى:﴿إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ [الفرقان:٣٠] فهذا هجر بالقلب أو بالقلب واللسان وقوله تعالى:﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾ [المزّمل:١٠] يحتمل الثلاثة. والمهاجرة في الأصل مصارمة الغير ومتاركته والهجر الكلام القبيح المهجور لقبحه وفي الحديث (ولا تقولوا هجرا)(٣)"(٤)

و قال المناوي رحمه الله:" والهجرة والمهاجرة في الأصل مفارقة الغير ومتاركته لكن خص

(١) تم بحث الموضوع باستفاضة يمكن الرجوع إليه صـــ ٣٥ ، صـــ ٨٠

(٢) لسان العرب / ابن منظور ج٥ صـــ ٢٥٠ وانظر تاج العروس / الزبيدي ج١٤ صـــ ٢٥٠

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين كتاب الجنائز ج١ صـــ ٥٣٢ حديث رقم ١٣٩٣، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد انظر ج٣ صـــ ٥٩ بقوله وفيه محمد بن كثير بن مروان وهو ضعيف جدا

(٤) المفردات / الأصبهاني صـــ ٥٣٦ ، ٥٣٧ باختصار يسير

شرعا بترك الوطن الذي بين الكفار والانتقال إلى دار الإسلام."(١)

وقد ورد اللفظ في القرآن الكريم بين المدح والذم فمما جاء ممدوحا كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ ﴾ [البقرة:٢١٨] ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾ [آل عمران:١٩٥] ﴿ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ ﴾ [النساء:٩٧] ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةًۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ ﴾ [النساء:١٠٠] ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠] ﴿ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ ﴾ [العنكبوت:٢٦] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّۖ ﴾ [الممتحنة:١٠] ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ [المزمل:١٠]

ومما جاء في سياق الذم كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ ﴾ [النساء:٣٤] ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَۖ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ [مريم:٤٦] ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴾ [المؤمنون:٦٧] ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان:٣٠] ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر:٥]

٨٢) هَاد أو هَوَد

" هاد هَوْدا تاب ورجع إلى الحق وفي التنزيل العزيز ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَۚ ﴾ [الأعراف:١٥٦] فهو هائد جمعها هُود. وهاود فلانا وادعه وصالحه وجاراه ولم يخالفه، وهود مشى رويدا، وفلان صات صوتا ضعيفا، ويقال هود بالصوت رجع به في لين وغنى وسكن ونام. و هَوَّد فلانا حوله إلى ملة اليهود، وطربه وألهاه، وهود الشراب فلانا أسكره أو فتره فأنامه، وتهود فلان هاد وعمل صالحا وتوصل برحم، والهوادة اللين والرفق والسكون والرخصة و المحاباة وما يرجى به الصلاح بين القوم والحرمة والسبب، واليهود قوم من أصل سامي قيل إنهم سموا كذلك باسم يهوذا أحد أبناء يعقوب."(٢)

قال الراغب رحمه الله:" الهود الرجوع برفق ومنه التهويد وهو مشي كالدبيب وصار الهود في التعارف التوبة قال تعالى:(إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ) أي تبنا. قال بعضهم يهود في الأصل من قولهم هدنا إليك وكان اسم مدح ثم صار بعد نسخ شريعتهم لازما لهم وإن لم يكن فيه معنى المدح، كما أن النصارى في الأصل من قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ [الصف:١٤] ثم صار لازما لهم بعد نسخ شريعتهم."(٣)

وقد تكرر اللفظ في القرآن بأربع صيغ كلها جاءت مذمومة إلا في موقعين جاءت تفيد المدح وهما

---

(١) التعاريف / المناوي صـ ٧٣٨

(٢) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـ ٩٩٨، وانظر لسان العرب / ابن منظور ج٣ صـ ٤٣٩

(٣) المفردات / الأصبهاني صـ ٥٤٦

في قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٦٢] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة:٦٩] وكما ترى فالمدح هنا مشروط بالإيمان ، وقوله تعالى:﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:١٥٦]

أما الباقي فجاء في سياق الذم كقوله تعالى :﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾[البقرة:١١١] ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [البقرة:١٢٠] ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾ [البقرة:١٣٥]﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾[النساء:٤٦]﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾[النساء:١٦٠]﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾[المائدة:١٨]﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ [المائدة:٤١]﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[المائدة:٥١]﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾[المائدة:٦٤]﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ﴾ [المائدة:٨٢] [الأنعام:١٤٦]﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[التوبة:٣٠] ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾[النحل:١١٨]﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[الحج:١٧]﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الجمعة:٦]

٨٣) هَوَن

" الهَوْن السكينة والوقار، وفلان يمشي على الأرض هونا. والهَوْن أيضا مصدر هان عليه الشيء يهون أي خف، وهونه الله عليه تهوينا سهله وخففه، وشيء هين أي سهل وقوم هينون لينون. والهُون بالضم الهوان وأهانه استخف به والاسم الهَوان و المَهانة يقال رجل فيه مهانة أي ذل وضعف. واستهان به و تهاون به استحقره. ويقال امش على هينتك أي على رسلك."(١)

وقال الراغب رحمه الله:" الهوان على وجهين: أحدهما: تذلل الإنسان في نفسه لما لا يلحق به غضاضة فيمدح به نحو قوله تعالى:﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان:٦٣] الثاني: أن يكون من جهة متسلط مستخف به فيذم به وعلى الثاني قوله تعالى:﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأحقاف:٢٠]

(١) مختار الصحاح / الرازي صـ ٢٩٣، وانظر لسان العرب / ابن منظور ج١٣ صـ ٤٣٨

﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [المجادلة:٥]"[1]

ومما جاء من اللفظ ممدوحا قوله تعالى:﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ [مريم:٩]﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان:٦٣]

وفي سياق الذم قال سبحانه وتعالى:﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [البقرة:٩٠] [المجادلة:٥] ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ [الأنعام:٩٣] ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ﴾ [الحج:١٨]﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٥] ﴿ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴾ [الفرقان:٦٩]﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [القلم:١٠]﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ [الفجر:١٦]

٨٤) وَسَم

" وسم الشيء يَسِمُه وَسْما وسِمَة كواه فأثر فيه بعلامة، ويقال وسمه بالهجاء. وهو موسوم بالخير والشر وفلانا غلبه في المواسمة. ووسم فلانا بوسام ميزه به، ووسم وسامة ووَسَاما جميل وحَسُن حسنا وضيئا ثابتا. ويقال وَسَم وجهه فهو وسيم وهي وسيمة. وتوسم في الشيء تخيله وتفرسه، يقال توسم فيه الخير. والسمة ما وسم به الحيوان من ضروب الصور والعلامة، والموسم المجمع الكثير من الناس، وموسم الشيء وقت ظهوره فيه أو اجتماع الناس له كموسم العنب أو القطن أو الحج أو الصيد أو الاصطياف والوسامة أثر الحسن والجمال والعتق."[2]

و قال المناوي رحمه الله:" والوسم وهي العلامة الخفية والتأثير والسمة الأثر."[3]

وقد ورد اللفظ في القرآن مرتين فقط بصيغتين الأولى في المدح قال تعالى:﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[الحجر:٧٥] قال الراغب رحمه الله:" أي للمعتبرين العارفين المتعظين وهذا التوسم هو الذي سماه قوم الزكانة، وقوم الفراسة، وقوم الفطنة. "[4]

وفي سياق الذم قال سبحانه ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ [القلم:١٦]

٨٥) وَقَر

" وَقَرت أذنه تَقَرُ وَقْرا ثقلت أو صمت، ووَقَر فلان وَقَارا وقِرَة ووقارة رزن وثبت فهو وقور، وفي بيته وقرا جلس، ووقر الشيء في قلبه سكن فيه وثبت وبقي أثره، ووقر الله أذنه أثقل سمعها أو أذهبه كله، ووقرت الدابة أصاب حافرها حجر أو غيره فنكبه، والمُوقَر المجرب الذي عجمته الحوادث

---

(١) المفردات / الأصبهاني صـــ ٥٤٧

(٢) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـــ ١٠٣٢، وانظر مختار الصحاح / الرازي صـــ ٣٠٠، ولسان العرب / ابن منظور ج١٢ صـــ ٦٣٥

(٣) التعاريف / المناوي صـــ ٤٢٠ ، ٧٢٦

(٤) المفردات / الأصبهاني صـــ ٥٢٤، وانظر أضواء البيان / الشنقيطي ج٢ صـــ ٢٨٧

وحنكته التجارب والعاقل الرصين، والوقر الصدع في الساق والنقرة تكون في الحجر والعظم والعين، والحمل الثقيل."(١)

وقال الكفومي رحمه الله:" الوَقْر بالفتح الثقل في الأذن وبالكسر حمل البغال والحمير."(٢)

وقد ورد اللفظ في باب المدح في قوله تبارك تعالى:﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾[الأحزاب:٣٣]﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[الفتح:٩]﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾[الذاريات:٢]

وفي سياق الذم قال سبحانه:﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الأنعام:٢٥] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ [لقمان:٧]﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ [فصّلت:٥]﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصّلت:٤٤]

٨٦) وَلَى

" المَوَالاة أن يتشاجر اثنان فيدخل ثالث بينهما للصلح ويكون له في أحدهما هوىً فيواليه أو يحابيه. ووالى فلان فلاناً إذا أحبه. وقد تكرر ذكر المولى في الحديث، وهو اسم يقع على جماعة كثيرة فهو: الرب والمالك والسيد والمنعِم والمعتِق والناصر والمحب والتابع والجار وابن العم والحليف والعقيد والصهر والعبد والمعتَق والمنعَم عليه، وقد تختلف مصادر هذه الأسماء، فالوَلاية بالفتح في النسب والنصرة والعتق، والوِلاية بالكسر في الإمارة، والولاء في العتق، والموالاة من والى القوم، وقال: والولي: الصديق والنصير، ابن الأعرابي: الولي: المحب والموالاة: ضدّ المعاداة، والولي ضدّ العدو. وتولاه اتخذه ولياً، وإنه لبيِّن الوِلاة والولية والتولي والولاء والوِلاية والوَلاية والولي: القرب والدنو."(٣)

وقال الراغب رحمه الله:" الولاء والتوالي أن يحصل شيئان فصاعدا حصولا ليس بينهما ما ليس منهما ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان، ومن حيث النسبة، ومن حيث الدين، ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد، والوَلاية النصرة، والوِلاية تولي الأمر وقيل الولاية والولاية نحو الدلالة والدلالة وحقيقته تولي الأمر. والولي والمولى يستعملان في ذلك كل واحد منهما يقال في معنى الفاعل أي الموالى وفي معنى المفعول أي الموالي يقال للمؤمن هو ولي الله عز وجل ولم يرد مولاه وقد يقال الله تعالى ولي المؤمنين ومولاهم."(٤)

---

(١) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـ ١٠٤٨، باختصار يسير وانظر لسان العرب / ابن منظور ج٥ صـ ٢٨٩، والمفردات / الأصبهاني صـ ٥٣٠

(٢) الكليات / الكفومي صـ ٩٤٦، وانظر التعاريف / المناوي صـ ٧٣١

(٣) لسان العرب / ابن منظور ج١٥ صـ ٤٠٦ ـ ٤١٥ باختصار كبير، وتصرف وانظر العين / الفراهيدي ج٨ صـ ٣٦٥

(٤) المفردات / الأصبهاني صـ ٥٣٣

قال شيخ الإسلام رحمه الله في أصل معنى الولاية والعداوة:" والولاية ضد العداوة، وأصل الولاية المحبة والقرب، وأصل العداوة البغض والبعد. وقد قيل: إنّ الولي سمّي ولياً من موالاته للطاعات، أي متابعته لها، والأول أصح، والولي القريب، يقال هذا يلي هذا أي يقرب منه."(١)

قال إبراهيم هلال:" والولاية ضد العداوة وأصل الولاية المحبة والتقرب كما ذكره أهل اللغة وأصل العداوة البغض والبعد قال ابن حجر في فتح الباري المراد بولي الله العالم بالله تعالى المواظب على طاعته المخلص في عبادته انتهى وهذا التفسير للولي هو المناسب لمعنى الولي المضاف إلى الرب سبحانه ويدل على ذلك ما في الآيات القرآنية كقوله سبحانه:﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[يونس٦٢:٦٤] وكقوله تبارك وتعالى:﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾[البقرة:٢٥٧] وكقوله سبحانه وتعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[المائدة٥٤:٥٦] وغير ذلك من الآيات فأولياء الله هم خلص عباده القائمون بطاعاته المخلصون له."(٢)

وعلى ذلك وبالمعنى الذي ذُكر فإن الولاية لا تكون إلا لله ومن أمر الله بتوليه قال سبحانه:﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ [المائدة:٥٥]﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام:٥١]﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ ﴾ [الأعراف:٣]﴿قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ ﴾ [الرعد:١٦] ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ ﴾ [السجدة:٤] فكل موالاة لا يُبتغى بها وجه الله فهي مذمومة، ولذا امتدح سبحانه أهل ولايته الصحيحة وأمر المؤمنين بها فقال:﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [البقرة:٢٥٧]﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾ [التوبة:٧١]﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الحج:٧٨]﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [محمد:١١]

ومما ذمه الله من الولاية التي عدلت عن الشرط الصحيح تنوعت في القرآن بين موالاة أعداء الله لبعضهم وموالاة أهل الكتاب وموالاة الشياطين للكفار فقال سبحانه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ

(١) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ج١١ صـ ١٦١

(٢) ولاية الله والطريق إليها / إبراهيم إبراهيم هلال / دار النشر: دار الكتب الحديثة / مصر / القاهرة / تحقيق تقديم ابن الخطيب صـ ٢٢٣

وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [المائدة:٥١] ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأعراف:٢٧] ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [الأعراف:٣٠] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ ﴾ [الأنفال:٧٣] ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ﴾ [الجاثية:١٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [الممتحنة:١]

و بذلك العدول منهم استحقوا أن تكون النار هي مولاهم يوم القيامة فقال سبحانه:﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الحديد:١٥]

وجاء مشتقا من نفس اللفظ معنى آخر مغايرا للمعنى الذي ذكرته وهو بمعنى الإعراض و الانصراف قال ابن منظور:" ولى الشيء، وتولى أي أدبر، وأعرض عنه، وقد تكون التولية إقبالا كما في قوله تعالى:﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾ [البقرة:١٤٤] أي وجه وجهك نحوه و تلقاءه. وقد تكون التولية إعراضا وانصرافا وإدبارا كما في قوله تعالى:﴿ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ﴾ [التوبة:٢٥] وقد ولى الشيء وتولى إذا ذهب هاربا ومدبرا، وتولى عنه إذا أعرض، والتولي يكون بمعنى الإعراض ويكون بمعنى الإتباع قال الله تعالى:﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ [محمد:٣٨] أي إن تعرضوا عن الإسلام. وقوله تعالى:﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [المائدة:٥١] معناه من يتبعهم وينصرهم . و توليت الأمر توليا إذا وليته قال الله تعالى:﴿وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النور:١١] أي ولي وزر الإفك وإشاعته."(١)

وقال الراغب رحمه الله:" تولى إذا عدي بنفسه اقتضى معنى الولاية وحصوله في أقرب المواضع منه يقال وليت سمعي كذا ووليت عيني كذا ووليت وجهي كذا أقبلت به عليه قال الله عز وجل: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ﴾ [البقرة:١٤٤] وإذا عدي بعن لفظا أو تقديرا اقتضى معنى الإعراض وترك قربه فمن الأول قوله: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [المائدة:٥١] ومن الثاني قوله تعالى:﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [آل عمران:٦٣] والتولي قد يكون بالجسم وقد يكون بترك الإصغاء والائتمار قال الله عز وجل:﴿وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴾ [الأنفال:٢٠]

أي لا تفعلوا ما فعل الموصوفون بقوله تعالى:﴿وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا﴾ [نوح:٧] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ [فصلت:٢٦]"(٢)

وعلى ذلك فالتولي بهذه المعاني جاء في القرآن ممدوحا في قوله تعالى:﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة:١١٥] ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ ﴾

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ج١٥ صـــ ٤١٤ ، ٤١٥باختصار

(٢) المفردات / الأصبهاني صـــ ٥٣٤

[البقرة:١٤٤]﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ [البقرة:١٥٠] ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ﴾ [الأعراف:٧٩] ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ [النمل:٢٨] ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [الصافات:١٧٤]

وجاء في سياق الذم كقوله تعالى:﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ ﴾ [البقرة:١٣٧] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [آل عمران:٢٣]﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران:٨٢] ﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴾ [التوبة:٥٠]﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴾ [طه:٦٠] ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [محمد:٢٢]﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم ﴾ [محمد:٣٨]﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَـٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ [الذاريات:٣٩]

٨٧) يَسَر

" يسر الشيء يُيَسر يُسرا سهل وأمكن ولان وانقاد، يقال يَسَرَ الإنسان والفرس والحامل سهلت ولادتها ويسر له في الأمر يُسرا ويَسارا جعله له ميسورا سهلا حاضرا وفي الحديث (يسروا ولا تعسروا)[(١)] ويسر القوم الجزور اجتزروها واقتسموا أعضاءها، ويسروا ماله اقتسموه بينهم يقال أسروه ويسروا ماله، ويسرت الماشية كثرت وكثر لبنها ونسلها، والشيء سهله والموسر ذو اليسار والغنى، والميسر القمار وهو قمار العرب بالأزلام أو اللعب بالقداح، وكل شيء فيه قمار حتى لعب الصبيان بالجوز ويقال الشطرنج ميسر العجم. و الجزور التي كانوا يتقامرون عليها واليسر ضد العسر ومنه (الدين يسر)[(٢)] أي سهل سمح قليل التشديد."[(٣)]

وجاء اللفظ في القرآن ممدوحا كقوله تبارك وتعالى:﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾[البقرة:١٨٥] ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ ﴾[البقرة:١٩٦]﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ ﴾[البقرة:٢٨٠]﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾ [الإسراء:٢٨]﴿ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾[الكهف:٨٨]﴿وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴾ [طه:٢٦]﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ ﴾ [الدخان:٥٨] ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[القمر:١٧]﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾[الطلاق:٤] ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ ﴾ [المزمل:٢٠] ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾[الانشقاق:٨]﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾[الأعلى:٨]﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الليل:٧] ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:٥]

---

(١) سبق تخريجه انظر صـــ ٥٨٦ وأوله بشروا ولا تنقروا

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب الدين يسر ج١ صـــ ٢٣ حديث رقم ٣٩

(٣) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى وآخرين ج٢ صـــ ١٠٦٤، وانظر لسان العرب / ابن منظور ج٥ صـــ ٢٩٥، والمفردات / الأصبهاني صـــ ٥٥٢

وفي سياق الذم قال سبحانه:﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ ﴾ [البقرة:٢١٩]﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة:٩٠]﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة:٩١]﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾ [يوسف:٦٥]﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:١٠]

قال الراغب رحمه الله:" فهذا وإن كان قد أعاره لفظ التيسير فهو على حسب ما قال عز وجل: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [آل عمران:٢١]"(١) وقال الرازي رحمه الله :هي النار(٢) وقيل هي من باب قول رسول الله ﷺ:(اعملوا فكل ميسر لما خلق له)(٣) "(٤)

(١) المفردات / الأصبهاني صـــ ٥٥٢ وانظر تفسير القرطبي ج٢٠ صـــ ٨٥

(٢) انظر التفسير الكبير / فخر الدين الرازي ج٣١ صـــ ١٨٣ وانظر تفسير القرطبي ج٢٠ صـــ ٨٤

(٣) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب قوله تعالى :﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾[الليل:١٠] ج٤ صـــ ١٨٩١ حديث رقم ٤٦٦٦ والإمام مسلم في صحيحه كتاب القدر باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته ج٤ صـــ ٢٠٤١ حديث رقم ٢٦٤٩

(٤) انظر المحرر الوجيز / ابن عطية الأندلسي ج٥ صـــ ٢٢١ وانظر تفسير ابن كثير ج٤ صـــ ٥١٩ وتفسير الطبري ج٣٠ صـــ ٢٢٣

الـــخاتـــمة

أحمد الله سبحانه وتعالى وحده على جزيل فضله وتواصل كرمه، وما يسر لي من إتمام هذا البحث حتى خرج بهذه الصورة، فله الشكر أولا وأخيرا، صمتا وعملا وذكرا، لا أحصي ثناءً عليه سبحانه كما أثنى هو على نفسه.

ثم إني أوجز أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال هذا البحث في النقاط التالية : ــ

أولا : ــ النتائج

١ــ الإيمان عند السلف الصالح مبني على ثلاثة أجزاء: اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، إذا انتفى أحدها انتفى الإيمان، وهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعاصي.

٢ــ أهل السنة وسط في الحكم بالتكفير بين أهل الغلو كالخوارج والروافض، وبين المتساهلين كالمرجئة، ويعتمدون على الكتاب والسنة في تقرير مذهبهم.

٣ــ التكفير حكم شرعي فلا يكون إلا لله ورسوله، ولا مجال لدخول العقل فيه. ولا يكون ارتجاليا؛ له ضوابط ويخضع لشروط.

٤ــ الكفر قسمان : أكبر مخرج من الملة، وأصغر يؤثر على الإيمان فينقصه.

٥ــ عدم خلود أصحاب الكبائر من المسلمين في النار ما لم يستحلونها.

٦ــ التكفير بغير دليل من أخطر البدع التي ظهرت في الأمة، وكان الخوارج هم أول من أظهرها ثم الرافضة، وكانت لهدف سياسي ليست لوجه الله.

٧ــ انتشار التكفير بغير دليل في هذا العصر انتشارا كبيرا على أيدي بعض الجماعات الدعوية المعاصرة التي لم تنشأ على نهج السلف، وما نتج عن هذا من تكفير للمجتمعات الإسلامية بعمومها فترتب عليه أمور جسام؛ من سلب للممتلكات، وانتهاك للحقوق، وسفك للدماء المعصومة في كثير من أقطار المسلمين بسبب الانحراف الخطير في هذا الباب.

٨ــ حكم أهل الكفر الأصغر في الدنيا حكم سائر أهل المعاصي، لا يخرجون من دائرة الإسلام، ويحكم لهم بحكم المسلمين، وهم في الآخرة تحت مشيئة الله إن لم يتوبوا؛ إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم، وإن عذبهم بالنار فإنه لا يخلَّدون فيها.

٩ــ التكفير يكون بالعمل والقول والاعتقاد، ولا يكون تكفير باعتقاد إلا إذا ظهر بقول أو عمل.

والتكفير بالقول على قسمين ؛ بفعل محذور كسب الله أو دين أو نبي أو استهزاء بهم ، أو النطق بكلمة الكفر دون إكراه أو خطأ . أو بترك مأمور به وهذا على قسمين ؛ ما يكون تركه كفرا ــ مع القدرة عليه ــ كالنطق بالشهادتين ، وما لا يكون كفرا كبقية واجبات اللسان كالذكر والشكر.

والتكفير بالعمل على قسمين أيضا ؛ بفعل أمر منهي عنه كالسجود أو الصلاة لغير الله من غير إكراه وكل عمل يناقض أصول الإيمان بالله ، أو بترك مأمور به وهو على قسمين أيضا: قسم مختلف

في التكفير بتركه وهى الصلاة ، وقسم متفق على عدم التكفير بتركه، وهي سائر الواجبات بعد أركان الإسلام كصلة الرحم وبر الوالدين.

١٠ـ ترجيح القول بتكفير من ترك الصلاة فقط دون غيرها من الأركان الأخرى، وبيان أن هذا القول هو قول عامة الصحابة وجمهور السلف من التابعين ومن بعدهم، وكذلك ترجيح أن الترك المكفر للصلاة هو تركها بالكلية خلافا لمن ذهب إلى التكفير بترك بعض الصلوات.

١١ـ بيان أن قيام الكفر المطلق في بعض المعيَّنين، لا يستلزم تكفيره حتى تنطبق عليه الضوابط وتتحقق فيه شروط التكفير وتنتفي موانعه.

١٢ـ الحكم بالتكفير لا يكون إلا للعلماء الراسخين القادرين على استنباط الحكم الشرعي في هذه المسألة من النصوص، والمعرفة بأصول أهل السنة في مسألة التكفير، والإلمام بمواقف الأئمة من المخالفين مع الاحتياط من تكفير من لم يتيقن كفره، ولم يعلم أنه قد قامت عليه الحجة.

١٣ـ جاءت بعض ألفاظ الذم في القرآن الكريم نصا في وصف الكفار لكنها أطلقت في السنة على وصف العصاة من المسلمين.

ثانيا : ـ التوصيات

أولا : ـ أما على المستوى الجماعي

١ـ توجيه اهتمام الباحثين والمفكرين لعمل آلية مضادة لمواجهة خطر الجماعات ذات المنهج التكفيري القائم على العصبية الحزبية والأهواء السياسية.

٢ـ وضع إستراتيجية فكرية وإعلامية واضحة ومتينة، يتكاثف فيها المواطن والتربوي والمفكر والواعظ والإعلامي، بهدف صد هذا الخطر الذي يهدد وحدة الأمة، وذلك بعدم الاهتمام بتسفيه أصحاب الفكر التكفيري ووصمهم بالخواء الفكري ـ وإن كان ذلك صحيحا ـ دونما توعية وتوضيح وشرح من باب النصح، وإبداء الاستعداد لاستيعاب الآخر وذلك بالحوار القائم على الأدلة والبراهين. وذلك بالتركيز على تنشيط الإعلام الإسلامي المستقل.

٣ـ حبذا لو قام أحد الباحثين بإفراد بحث خاص في تصنيف هذه الجماعات ذات الفكر التكفيري، طارحا أفكارهم ومناقشا لأدلتهم مناقشة موضوعية.

ثانيا : ـ على المستوى الفردي

١ـ لقد تشابهت أفعال بعض الناس اليوم بأفعال الجاهلية التي كفرهم بها القرآن، فليحذر كل فرد مسلم من الوقوع في مثلها فكما أثبتنا أنها مدخلا للشرك إن لم تكنه.

٢ـ أطلق القرآن الكريم ألفاظا كثيرة وصف بها الكفار والمنافقين وأهل الكتاب، وواجب المسلم على أخيه المسلم أن يحترس من قذف أخيه بها أو بمثلها خشية أن ترتد عليها وعلى رأسها كلمة الكفر.

٣ــ متابعة أولياء الأمور لأبنائهم متابعة منهجية مبنية على رأي أهل السنة والجماعة القائم على التوسط بين المناهج المنحرفة، وخصوصا في ظل تعدد الجماعات الإسلامية على الساحة المحلية والإسلامية واختلاط الغث منها بالسمين.

هذه أهم النتائج وأبرز التوصيات التي توصلت إليها في هذا البحث المتواضع، والله أسأل أن يعلمني ما ينفعني، وينفعني بما علمني، وأن يزيدني علما وعملا، إنه سميع قريب مجيب الدعاء، ومع ما بذلت من جهد ومشقة في إعداد هذا البحث إلا أنني أعترف أن هذا الجهد لا يعطي الموضوع حقه تماما، لأن الكمال المطلق لله وحده، والنقص من صفات خلقه.

هذا وأسال الله العلى القدير أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم وما كان من صواب فبإذنه ومنة منه، وما كان من خطأ فهو سبحانه أهل للعفو عن الخطأ. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة / أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي / دار النشر: دار الراية للنشر / السعودية / ١٤١٨هـ ــ ١٩٩٨م / الطبعة: الثانية / تحقيق: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي

٢) الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي / علي بن عبد الكافي السبكي / دار النشر: دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م / الطبعة: الأولى / تحقيق: جماعة من العلماء

٣) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية / أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي/ دار النشر: دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م/ الطبعة: الأولى

٤) إجماع أهل السنة النبوية على تكفير المعطلة الجهمية / إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ / دار النشر: دار العاصمة / السعودية / ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٥م / الطبعة: الأولى/ تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله الزير آل حمد

٥) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام / محمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القشيري القوصي أبو الفتح تقي الدين ابن دقيق العيد / دار النشر: دار الكتب العلمية / بيروت / (بدون طبعة)

٦) أحكام القرآن / أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر / دار النشر: دار إحياء التراث العربي / بيروت / ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م / تحقيق: محمد الصادق قمحاوي

٧) أحكام القرآن / محمد بن عبد الله أبو بكر ابن العربي / دار النشر دار الفكر للطباعة والنشر / لبنان / تحقيق: محمد عبد القادر عطا / (بدون طبعة)

٨) الإحكام في أصول الأحكام / علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد / دار النشر: دار الحديث / القاهرة / ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م / الطبعة: الأولى

٩) إحياء علوم الدين / محمد بن محمد الغزالي أبو حامد / دار النشر: دار المعرفة / بيروت / (بدون طبعة)

١٠) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار / أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي / دار النشر: دار الأندلس للنشر / بيروت / ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٦م / تحقيق: رشدي الصالح ملحس

١١) الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة / عبد القادر شيبة الحمد / مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة / ١٣٨٧ هـ

١٢) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار / محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي / دار النشر: دار الكتب العربي / بيروت / ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م

١٣) الأربعين / أبو الحسن محمد بن أسلم الطوسي / دار النشر: دار ابن حزم / بيروت / ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠م / تحقيق: مشعل بن باني الجبرين المطيري

١٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم(تفسير أبي السعود) / أبي السعود محمد بن محمد العمادي / دار النشر: دار إحياء التراث العربي / بيروت / (بدون طبعة)

١٥) أساس البلاغة / أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري / دار النشر: دار الفكر / ١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م

١٦) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار / أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي / دار النشر: دار الكتب العلمية / بيروت /١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠م / الطبعة: الأولى / تحقيق: سالم محمد عطا ، محمد علي معوض

١٧) الاستقامة / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس / دار النشر: جامعة الإمام محمد بن سعود / المدينة المنورة / ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م / الطبعة: الأولى / تحقيق: د. محمد رشاد سالم

١٨) الأشباه والنظائر / عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي / دار النشر: دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م / الطبعة: الأولى

١٩) أصول السرخسي / محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي أبو بكر / دار النشر: دار المعرفة / بيروت / (بدون طبعة)

٢٠) أصول السنة / أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني / دار النشر: دار المنار / الخرج / السعودية / ١٤١١هـ ــ ١٩٩١م / الطبعة: الأولى

٢١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن / محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي / دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر / بيروت / ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٥م / تحقيق: مكتب البحوث والدراسات

٢٢) الاعتصام / أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي / دار النشر: المكتبة التجارية الكبرى / مصر / (بدون طبعة)

٢٣) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث / أحمد بن الحسين البيهقي / دار النشر: دار الآفاق الجديدة / بيروت / ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م / الطبعة: الأولى / تحقيق: أحمد عصام الكاتب

٢٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين / أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي / دار النشر: دار الجيل / بيروت / ١٩٩٣هـ ــ ١٩٧٣م / تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد

٢٥) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان / محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (ابن القيم) / دار النشر: دار المعرفة / بيروت / ١٣٩٥ هـ ــ ١٩٧٥م / الطبعة: الثانية / تحقيق: محمد حامد الفقي

٢٦) الأغاني / أبو الفرج على بن الحسين الأصفهاني / دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر / لبنان/ تحقيق: علي مهنا وسمير جابر / (بدون طبعة)

٢٧) الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع / محمد الشربيني الخطيب / دار النشر: دار الفكر / بيروت / ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٥م / تحقيق: مكتب البحوث والدراسات

٢٨) بحر العلوم / نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي / دار النشر: دار الفكر / بيروت / تحقيق: د.محمود مطرجي / (بدون طبعة)

٢٩) البحر المحيط في أصول الفقه / بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي / دار النشر: دار الكتب العلمية / لبنان / بيروت / ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠م / الطبعة: الأولى / حققه وضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. محمد محمد تامر

٣٠) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء / أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي/ دار النشر: عالم الكتب / بيروت / ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٧م / الطبعة: الأولى / تحقيق: د . محمد كمال الدين عز الدين علي

٣١) إلجام العوام عن علم الكلام / محمد بن محمد أبو حامد الطوسي المعروف بالغزالي الفقيه الشافعي / مطبعة الغوثية / مدراس ــ الهند / سنة الطبع ١٣٠٢هـ

٣٢) الأم / أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس ابن عثمان الشافعي / دار النشر: دار المعرفة / بيروت / ١٣٩٣هـ ــ ١٩٩٣م / الطبعة: الثانية

٣٣) أمراض القلوب وشفاؤها / أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية / دار النشر: المطبعة السلفية / القاهرة / ١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م / الطبعة: الثانية

٣٤) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار / يحيى بن أبي الخير العمراني / دار النشر: أضواء السلف / الرياض / ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٩م / الطبعة: الأولى / تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف

٣٥) أنوار التنزيل و أسرار التأويل (تفسير البيضاوي) / ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي البيضاوي / دار النشر: دار الفكر / بيروت / (بدون طبعة)

٣٦) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد / محمد بن نصر المرتضى اليماني (ابن الوزير) / دار النشر: دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م / الطبعة: الثانية

٣٧) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل / محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة / دار النشر:

دار السلام للطباعة والنشر / مصر / ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م / الطبعة: الأولى / تحقيق: وهبي سليمان غاوجي الألباني
٣٨) الإيمان / محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده / دار النشر: مؤسسة الرسالة / بيروت / ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م / الطبعة: الثانية / تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي
٣٩) البحر الرائق شرح كنز الدقائق / زين الدين ابن نُجيم الحنفي / دار النشر: دار المعرفة / بيروت / الطبعة: الثانية
٤٠) البدء والتاريخ / المطهر بن طاهر بن عبد الله بن طاهر أبو محمد المقدسي / دار النشر: مكتبة الثقافة الدينية / بورسعيد / (بدون طبعة)
٤١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع / علاء الدين الكاساني / دار النشر: دار الكتاب العربي / بيروت / ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢ م / الطبعة: الثانية
٤٢) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس / دار النشر: مكتبة العلوم والحكم / ١٤٠٨ هـ / الطبعة: الأولى / تحقيق: د. موسى سليمان الدويش
٤٣) بلغة السالك لأقرب المسالك / أحمد بن محمد الصاوي المالكي / دار النشر: دار الكتب العلمية / لبنان/ بيروت / ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م / الطبعة: الأولى / حققه وضبطه وصححه: محمد عبد السلام شاهين
٤٤) البيان والتبيين / عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان الجاحظ / دار النشر: دار صعب / بيروت / تحقيق: فوزي عطوي / (بدون طبعة)
٤٥) تاج العروس من جواهر القاموس / محمد مرتضى الحسيني الزبيدي / دار النشر: دار الهداية / تحقيق: مجموعة من المحققين / (بدون طبعة)
٤٦) التاج والإكليل لمختصر خليل / محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري / دار النشر: دار الفكر / بيروت / ١٣٩٨هـ / الطبعة الثانية
٤٧) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام / شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي / دار النشر: دار الكتاب العربي / لبنان / بيروت / ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م/ الطبعة: الأولى / تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري
٤٨) التاريخ الإسلامي العام / الدكتور على إبراهيم حسن / مكتبة النهضة الإسلامية / القاهرة / ١٣٨٣هـ ـ١٩٦٣ م / الطبعة: الثالثة
٤٩) تاريخ الخلفاء / عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي / دار النشر: مطبعة السعادة / مصر / ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م / الطبعة: الأولى / تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد
٥٠) تاريخ الطبري / أبو جعفر محمد بن جرير الطبري / دار النشر: دار الكتب العلمية / بيروت /

(بدون طبعة)
٥١) تاريخ اليعقوبي / أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي / دار النشر: دار صادر / بيروت / (بدون طبعة)
٥٢) تاريخ خليفة بن خياط / خليفة بن خياط الليثي العصفري أبو عمر/ دار النشر: دار القلم / مؤسسة الرسالة / دمشق ، بيروت / ١٣٩٧هـ ــ ١٩٩٧م / الطبعة: الثانية / تحقيق: د. أكرم ضياء العمري
٥٣) تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل / أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي / دار النشر: دار الفكر / بيروت / ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٥م / تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري
٥٤) تأويل مختلف الحديث / عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الدينوري / دار النشر: دار الجيل / بيروت / ١٣٩٣ هـ ــ ١٩٧٢م / تحقيق: محمد زهري النجار
٥٥) تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام / برهان الدين أبي الوفاء إبراهيم ابن الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن فرحون اليعمري / دار النشر: دار الكتب العلمية / لبنان / بيروت / ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠١م / حققه و خرج أحاديثه وعلق عليه وكتب حواشيه: الشيخ جمال مرعشلي
٥٦) التبيان في تفسير غريب القرآن / شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري / دار النشر: دار الصحابة للتراث بطنطا / مصر / ١٤١٢هـ ــ ١٩٩٢م / الطبعة: الأولى / تحقيق: فتحي أنور الدابلوي
٥٧) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري / علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي / دار النشر: دار الكتاب العربي / بيروت / ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م / الطبعة: الثالثة
٥٨) التحف في مذاهب السلف / محمد بن علي بن محمد الشوكاني / دار النشر: دار الصحابة للتراث / طنطا ــ مصر / ١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٩ م / الطبعة: الأولى / تحقيق سيد عاصم على
٥٩) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي / محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا / دار النشر: دار الكتب العلمية / بيروت / (بدون طبعة)
٦٠) التحفة المدنية في العقيدة السلفية / الشيخ العالم العلامة حمد بن ناصر بن عثمان آل معمر/ دار النشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع / الرياض / ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٣م / الطبعة: الأولى / تحقيق: عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم
٦١) تحفة الملوك (في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان) / محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي / دار النشر: دار البشائر الإسلامية / بيروت / ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٧م / الطبعة: الأولى / تحقيق:

د. عبد الله نذير أحمد
٦٢) تذكرة الحفاظ / أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي / دار النشر: دار الكتب العلمية / بيروت/ الطبعة: الأولى
٦٣) التسهيل لعلوم التنزيل / محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي / دار النشر: دار الكتاب العربي / لبنان
٦٤) التعريفات / علي بن محمد بن علي الجرجاني / دار النشر: دار الكتاب العربي / بيروت / ١٤٠٥ هـ / الطبعة: الأولى / تحقيق: إبراهيم الأبياري
٦٥) تفسير البحر المحيط / محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي / دار النشر: دار الكتب العلمية / لبنان / بيروت / ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م / الطبعة: الأولى / تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض و شارك في التحقيق د. زكريا عبد المجيد النوقي ، د.أحمد النجولي الجمل
٦٦) تفسير السلمي (حقائق التفسير) / أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي / دار النشر: دار الكتب العلمية / لبنان / بيروت / ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م / الطبعة: الأولى / تحقيق: سيد عمران
٦٧) تفسير القرآن العزيز/ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين / دار النشر: الفاروق الحديثة / مصر/ القاهرة / ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م / الطبعة: الأولى / تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز
٦٨) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) / إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء / دار النشر: دار الفكر/ بيروت / ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م
٦٩) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب / فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي / دار النشر: دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م / الطبعة: الأولى
٧٠) التقرير والتحرير في علم الأصول / محمد بن أمير الحاج الحلبي / دار النشر: دار الفكر / بيروت / ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م
٧١) تلبيس إبليس / عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ابن الجوزي / دار النشر: دار الكتاب العربي / بيروت / ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م / الطبعة: الأولى / تحقيق: د. السيد الجميل
٧٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد / أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري / دار النشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية / المغرب /١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م / تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير البكري
٧٣) تهذيب اللغة / أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري / دار النشر: دار إحياء التراث العربي / بيروت / ٢٠٠١م / الطبعة: الأولى / تحقيق: محمد عوض مرعب

٧٤) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم / أحمد بن إبراهيم بن عيسى / دار النشر: المكتب الإسلامي / بيروت / ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م / الطبعة: الثالثة / تحقيق: زهير الشاويش
٧٥) التوقيف على مهمات التعاريف / محمد عبد الرؤوف المناوي / دار النشر: دار الفكر المعاصر ، دار الفكر / بيروت، دمشق / ١٤١٠هـ / الطبعة: الأولى / تحقيق:د. محمد رضوان الداية
٧٦) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد / سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب / دار النشر: عالم الكتب / بيروت / ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٩م / الطبعة: الأولى / تحقيق: محمد أيمن الشبراوي
٧٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي) / عبد الرحمن بن ناصر السعدي / دار النشر: مؤسسة الرسالة / بيروت / ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠م / تحقيق: ابن عثيمين
٧٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) / محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر / دار النشر: دار الفكر / بيروت / ١٤٠٥ هـ ــ ١٩٨٥م
٧٩) الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري) / محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي / دار النشر: دار ابن كثير / اليمامة / بيروت / ١٤٠٧ هـ ــ ١٩٨٧م / الطبعة: الثالثة / تحقيق: د. مصطفى ديب البغا
٨٠) الجامع الصحيح سنن الترمذي / محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي/ دار النشر: دار إحياء التراث العربي / بيروت / تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون / (بدون طبعة)
٨١) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم / زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي / دار النشر: مؤسسة الرسالة / بيروت / ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٧م/ الطبعة: السابعة / تحقيق / شعيب الأرناؤوط ، إبراهيم باجس
٨٢) جامع بيان العلم وفضله / يوسف بن عبد البر النمري / دار النشر: دار الكتب العلمية / بيروت / ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م
٨٣) الجامع في ألفاظ الكفر و يشتمل على أربعة كتب هي ١ــ ألفاظ الكفر ــ لبدر الرشيد الحنفي ٢ــ الإعلام بقواطع الإسلام ــ لابن حجر الهيثمي الشافعي٣ــ رسالة في ألفاظ الكفر ــ لقاسم بن صلاح الدين الخاني ٤ــ رسالة في ألفاظ الكفر – لتاج الدين أبي المعالي مسعود بن أحمد الحنفي / دار النشر : دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع / الكويت / الطبعة: الأولى / ١٤٢٠ هـ ــ ١٩٩٩ م /تحقيق : محمد بن عبد الرحمن الخميس
٨٤) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) / أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي / دار النشر: دار الشعب / القاهرة / (بدون طبعة)
٨٥) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم / أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح الحميدي الأندلسي /

دار النشر: دار ابن حزم / لبنان / بيروت / ١٤٢٣هـ ــ ٢٠٠٢م / الطبعة: الثانية / تحقيق: د. علي حسين البواب
٨٦) جمهرة الأمثال / الشيخ الأديب أبو هلال العسكري / دار النشر: دار الفكر / بيروت / ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م
٨٧) جمهرة اللغة / أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي المصري / دار النشر: دار العلم للملايين / بيروت / ١٩٨٧م / الطبعة: الأولى / تحقيق: رمزي منير بعلبكي
٨٨) جمهرة انساب العرب / أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي / تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون / دار النشر :دار المعارف / القاهرة / الطبعة: الخامسة
٨٩) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي(الداء والدواء) / محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي الدمشقي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية / دار النشر: دار الكتب العلمية / بيروت / (بدون طبعة)
٩٠) الجواهر الحسان في تفسير القرآن / عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي / دار النشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت / (بدون طبعة)
٩١) جواهر العقود / شمس الدين الأسيوطي / دار النشر: دار الكتب العلمية / بيروت / (بدون طبعة)
٩٢) حاشية إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين لشرح قرة العين بمهمات الدين / أبي بكر ابن محمد شطا الدمياطي / دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت / (بدون طبعة)
٩٣) حاشية الجمل على المنهج / يحيى بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري / دار النشر: دار الفكر/ بيروت / (بدون طبعة)
٩٤) حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني / علي الصعيدي العدوي المالكي / دار النشر: دار الفكر/ بيروت / ١٤١٢هـ ــ ١٩٩٢م / تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي
٩٥) حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة / علاء الدين محمد بن محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز الدمشقي الحنفي الشهير بابن عابدين / دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر/ بيروت / ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠م
٩٦) حاشية على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح / أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحاوي الحنفي / دار النشر: المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق / مصر / ١٣١٨هـ / الطبعة: الثالثة
٩٧) حاشية عميرة على شرح جلال الدين المحلي على منهاج الطالبين / شهاب الدين أحمد بن أحمد بن سلامة القليوبي / دار النشر: دار الفكر / لبنان / بيروت / ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٨م/ الطبعة: الأولى / تحقيق: مكتب البحوث والدراسات
٩٨) الحسنة والسيئة / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس / دار النشر: مطبعة المدني / القاهرة / تحقيق: د. محمد جميل غازي / (بدون طبعة)
٩٩) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء / أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني / دار النشر: دار الكتاب

العربي / بيروت / ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م / الطبعة: الرابعة
١٠٠) خلق أفعال العباد / محمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي / دار النشر: دار المعارف السعودية / الرياض / ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م / تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة
١٠١) الدر المختار / محمد بن على بن محمد الحنفي الحصكفي / دار النشر: دار الفكر / بيروت / ١٣٨٦هـ / الطبعة: الثانية
١٠٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور / عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي / دار النشر: دار الفكر / بيروت / ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م
١٠٣) درء تعارض العقل والنقل / أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية / دار النشر: دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م / تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن
١٠٤) دليل الطالب على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل / مرعي بن يوسف الحنبلي / دار النشر: المكتب الإسلامي / بيروت / ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م / الطبعة: الثانية
١٠٥) الديباج على مسلم / عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي / دار النشر: دار ابن عفان / الخبر / السعودية / ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦م / تحقيق: أبو إسحاق الحويني الأثري
١٠٦) الذخيرة / شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي / دار النشر: دار الغرب / بيروت / ١٩٩٤م / تحقيق: محمد حجي
١٠٧) رد الأمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد / تصحيح وتعليق محمد حامد الفقي / دار الكتب العلمية / بيروت / الطبعة: الأولى / سنة ١٣٥٨ هـ ـ ١٩٣٩م
١٠٨) الرد على البكري / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس / دار النشر: مكتبة الغرباء الأثرية / المدينة المنورة / ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م / الطبعة: الأولى / تحقيق: محمد علي عجال
١٠٩) الرد على من يقول القرآن مخلوق / أحمد بن سلمان النجاد أبو بكر / دار النشر: مكتبة الصحابة الإسلامية / الكويت / ١٤٠٠هـ / تحقيق: رضا الله محمد إدريس
١١٠) الرسائل الشخصية / الشيخ محمد بن عبد الوهاب / دار النشر: مطابع الرياض / الرياض / الطبعة الأولى/ تحقيق: عبد العزيز بن زيد الرومي ، د . محمد بلتاجي ، د . سيد حجاب
١١١) الرسالة / محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي / الناشر: مكتبه الحلبي / مصر / الطبعة: الأولى / القاهرة / ١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٩م/ تحقيق: أحمد محمد شاكر
١١٢) الرسالة الصفدية / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية / دار النشر: دار الفضيلة / الرياض / ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠م / تحقيق: محمد رشاد سالم
١١٣) رسالة إلى أهل الثغر / علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري / دار النشر: مكتبة العلوم والحكم / السعودية ، لبنان / ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨ م / الطبعة: الأولى / تحقيق: عبد الله شاكر المصري
١١٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود

الألوسي البغدادي / دار النشر: دار إحياء التراث العربي / بيروت / (بدون طبعة)
١١٥) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة / أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي / دار النشر: دار الكتب العلمية / بيروت / ١٣٩٥هـ ــ ١٩٧٥م
١١٦) روضة الطالبين وعمدة المفتين/ أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي / دار النشر: المكتب الإسلامي / بيروت / ١٤٠٥هـ / الطبعة: الثانية
١١٧) زاد المسير في علم التفسير / عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي / دار النشر: المكتب الإسلامي / بيروت / ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م / الطبعة: الثالثة
١١٨) الزهد والورع والعبادة / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية / دار النشر: مكتبة المنار / الأردن / ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م / الطبعة: الأولى/ تحقيق: حماد سلامة ، محمد عويضة
١١٩) الزواجر عن اقتراف الكبائر / الشهاب أحمد بن محمد بن محمد بن علي ابن حجر الهيثمي السعدي الأنصاري/ دار النشر: المكتبة العصرية / لبنان / صيدا / بيروت / ١٤٢٠هـ ــ ١٩٩٩م/ الطبعة: الثانية / تم التحقيق والإعداد بمركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز
١٢٠) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها / محمد ناصر الدين الألباني / دار النشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع / الرياض / ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٩٥م / الطبعة: جديدة ومنقحة ومزيدة
١٢١) السنة / أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال / دار النشر: دار الراية / الرياض / ١٤١٠هـ ــ ١٩٨٩م / الطبعة: الأولى / تحقيق: د.عطية الزهراني
١٢٢) سنن ابن ماجة / محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني / دار النشر: دار الفكر / بيروت / تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي
١٢٣) سنن أبي داود / سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي / دار النشر: دار الفكر / تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد / (بدون طبعة)
١٢٤) سنن البيهقي الكبرى / أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي/ دار النشر: مكتبة دار الباز / مكة المكرمة / ١٤١٤هـ ــ ١٩٩٤م / تحقيق: محمد عبد القادر عطا
١٢٥) سنن الدارقطني / علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي / دار النشر: دار المعرفة / بيروت / ١٣٨٦ هـ ــ ١٩٦٦م / تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني
١٢٦) سير أعلام النبلاء / محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله / دار النشر: مؤسسة الرسالة / بيروت / ١٤١٣هـ / الطبعة: التاسعة / تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي.
١٢٧) سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي) / أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني

/ دار النشر: معهد الدراسات والأبحاث للتعريف / تحقيق: محمد حميد الله / (بدون طبعة)
١٢٨) السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون / علي بن برهان الدين الحلبي / دار النشر: دار المعرفة / بيروت /١٤٠٠هـ ـ ١٩٩٩م
١٢٩) السيرة النبوية (سيرة ابن هشام) / عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد / دار النشر: دار الجيل / بيروت / ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م / الطبعة: الأولى / تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد
١٣٠) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار / محمد بن علي بن محمد الشوكاني / دار النشر: دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م / الطبعة: الأولى/ تحقيق: محمود إبراهيم زايد
١٣١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة / هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم/ دار النشر: دار طيبة / الرياض / ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م / تحقيق: د. أحمد سعد حمدان
١٣٢) شرح الزركشي على مختصر الخرقي / شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي/ دار النشر: دار الكتب العلمية / لبنان / بيروت /١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م/ الطبعة: الأولى / قدم له ووضع حواشيه وحققه عبد المنعم خليل إبراهيم
١٣٣) شرح السنة / الحسن بن علي بن خلف البربهاري أبو محمد / دار النشر: دار ابن القيم / الدمام / ١٤٠٨هـ / الطبعة: الأولى / تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني
١٣٤) شرح العقيدة الأصفهانية / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس / دار النشر: مكتبة الرشد / الرياض / ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م / الطبعة: الأولى / تحقيق: إبراهيم سعيداي
١٣٥) شرح العقيدة الطحاوية / شمس الدين محمد بن الصدر سليمان بن أبي العز الحنفي / دار النشر: المكتب الإسلامي / بيروت / ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م / الطبعة: الرابعة
١٣٦) الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة / محمد بن عبد الرحمن الخميس / دار النشر: مكتبة الفرقان / الإمارات العربية / ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م/ الطبعة: الأولى
١٣٧) شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولي النهى لشرح المنتهى / منصور بن يونس بن إدريس البهوتي / دار النشر: عالم الكتب / بيروت / ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م / الطبعة: الثانية
١٣٨) شعب الإيمان / أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي / دار النشر: دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م / الطبعة: الأولى / تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول
١٣٩) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل / أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي (ابن القيم) / دار النشر: دار الفكر / بيروت / ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م / تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني
١٤٠) الصارم المسلول على شاتم الرسول / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس / دار

النشر: دار ابن حزم / بيروت / ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٧م / الطبعة: الأولى / تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني ، محمد كبير أحمد شودري
١٤١) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان / محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي / دار النشر: مؤسسة الرسالة / بيروت / ١٤١٤هـ ــ ١٩٩٣م / الطبعة: الثانية / تحقيق: شعيب الأرنؤوط
١٤٢) صحيح الترغيب والترهيب / محمد ناصر الدين الألباني / مكتبة المعارف / الطبعة الخامسة / الرياض
١٤٣) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزياداته / محمد ناصر الدين الألباني / المكتب الإسلامي / الطبعة الثانية / بيروت / ١٤٠٥ هـ ــ ١٩٨٥ م
١٤٤) صحيح مسلم / مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري / دار النشر: دار إحياء التراث العربي/ بيروت / تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بدون طبعة)
١٤٥) صحيح مسلم بشرح النووي / أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي / دار النشر: دار إحياء التراث العربي / بيروت / ١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٢م / الطبعة: الثانية
١٤٦) الصلاة وحكم تاركها وسياق صلاة النبي من حين كان يكبر إلى أن يفرغ منها / أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي / دار النشر: الجفان والجابي دار ابن حزم / قبرص ، بيروت / ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٦م / الطبعة: الأولى / تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي
١٤٧) الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد / محمد بن علي بن محمد الشوكاني / دار النشر: دار الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع / صنعاء / اليمن /١٤١١هـ ــ ١٩٩٠م / الطبعة: الأولى / تحقيق محمد صبحي حسن الحلاق
١٤٨) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة / أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي / دار النشر: دار العاصمة / الرياض / ١٤١٨هـ ــ ١٩٩٨م / الطبعة: الثالثة / تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله
١٤٩) الضعفاء الكبير / أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي / دار النشر: دار المكتبة العلمية / بيروت / ١٤٠٤هـ ــ١٩٨٤م / الطبعة: الأولى / تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي
١٥٠) طبقات الشافعية / أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة / دار النشر: عالم الكتب / بيروت / ١٤٠٧هـ / الطبعة: الأولى / تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان
١٥١) الطبقات الكبرى / محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري / دار النشر: دار صادر / بيروت / (بدون طبعة)
١٥٢) طرح التثريب في شرح التقريب / زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسيني العراقي/ دار

النشر: دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م / الطبعة: الأولى / تحقيق: عبد القادر محمد علي

١٥٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين / محمد بن أبي بكر أيوب الزرعيّ أبو عبد الله (ابن القيم) / دار النشر: دار ابن القيم / الدمام / ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م / الطبعة: الثانية / تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر

١٥٤) العبر في خبر من غبر / شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي / دار النشر: مطبعة حكومة الكويت / الكويت / ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م / الطبعة: الثانية / تحقيق: د. صلاح الدين المنجد

١٥٥) العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية / عبد الحميد بن باديس / دار النشر: دار الفتح / الشارقة / الإمارات العربية / ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م / الطبعة: الأولى / تحقيق: محمد الصالح رمضان

١٥٦) العقيدة السفارينية (الدرة المضية في عقيدة أهل الفرقة المرضية) / محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني / دار النشر: مكتبة أضواء السلف / الرياض / ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م / الطبعة: الأولى / تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود

١٥٧) العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار و سقيمها / الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي / دار النشر: مكتبة أضواء السلف / الرياض /١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م / الطبعة: الأولى / تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود

١٥٨) عمدة القاري شرح صحيح البخاري / بدر الدين محمود بن أحمد العيني / دار النشر: دار إحياء التراث العربي / بيروت / (بدون طبعة)

١٥٩) عون المعبود شرح سنن أبي داود / محمد شمس الحق العظيم آبادي/ دار النشر: دار الكتب العلمية / بيروت /١٤١٨هـ ـ ١٩٩٥م / الطبعة: الثانية

١٦٠) العين / الخليل بن أحمد الفراهيدي / دار النشر: دار ومكتبة الهلال / تحقيق: د مهدي المخزومي ، د إبراهيم السامرائي / (بدون طبعة)

١٦١) غريب الحديث / أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري / دار النشر: مطبعة العاني / بغداد / ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م / الطبعة: الأولى / تحقيق: د. عبد الله الجبوري

١٦٢) غريب الحديث / أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أبو سليمان / دار النشر: جامعة أم القرى / مكة المكرمة / ١٤٠٢هـ / تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي

١٦٣) غمز عيون البصائر شرح كتاب الأشباه والنظائر / زين الدين بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن بكر المشهور بابن النجيم الحنفي / دار النشر: دار الكتب العلمية / لبنان / بيروت / ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م/ الطبعة: الأولى / تحقيق: شرح مولانا السيد أحمد بن محمد الحنفي الحموي

١٦٤) فتاوى ابن الصلاح / عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الشهرزوي أبو عمرو / دار النشر: مكتبة العلوم والحكم / دار النشر: عالم الكتب / بيروت / ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م / الطبعة: الأولى / تحقيق: د. موفق عبد الله عبد القادر
١٦٥) فتاوى السبكي / الإمام أبي الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي / دار النشر: دار المعرفة / لبنان / بيروت / (بدون طبعة)
١٦٦) الفتاوى الكبرى / شيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني / دار النشر: دار المعرفة / بيروت / قدم له وحققه: حسنين محمد مخلوف / (بدون طبعة)
١٦٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري / أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني / دار النشر: دار المعرفة / بيروت / تحقيق: محب الدين الخطيب / (بدون طبعة)
١٦٨) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير/ محمد بن علي بن محمد الشوكاني/ دار النشر: دار الفكر / بيروت / (بدون طبعة)
١٦٩) فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب / زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري أبو يحيى/ دار النشر: دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م / الطبعة: الأولى
١٧٠) فتنة التكفير للشيخ المحدّث العلامة: محمد ناصر الدين الألباني / تقريظ سماحة الشيخ العلامة: عبد العزيز بن باز / تعليق الشيخ العلامة: محمد بن صالح العثيمين / إعداد على بن حسين أبو لوز / دار النشر: دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع / ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧م / الطبعة: الثانية
١٧١) الفرق القديمة والحديثة في التاريخ الإسلامي / الدكتور محمد حسن بخيت / دار النشر : مكتبة آفاق / فلسطين / غزة / ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م / الطبعة: الثانية
١٧٢) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية / عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور/ دار النشر: دار الآفاق الجديدة / بيروت /١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م / الطبعة: الثانية
١٧٣) الفروق وأنوار البروق في أنواء الفروق / أبو القاسم بن عبد الله ابن الشاط / دار النشر: دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م / تحقيق: خليل المنصور
١٧٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل / علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد / دار النشر: مكتبة الخانجي / القاهرة / (بدون طبعة)
١٧٥) فض الوعاء في أحاديث رفع اليدين بالدعاء / عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي / دار النشر: مكتبة المنار / الأردن / (بدون طبعة)
١٧٦) فضائح الباطنية / محمد بن محمد بن محمد الغزالي أبو حامد / دار النشر: مؤسسة دار الكتب الثقافية / الكويت / تحقيق: عبد الرحمن بدوي / (بدون طبعة)
١٧٧) الفكر التكفيري عند الشيعة حقيقة أم افتراء؟ / بقلم عبد الملك بن عبد الرحمن الشافعي / مكتبة الإمام البخاري / مصر ـ الإسماعيلية / ١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦ م /الطبعة: الأولى

١٧٨) الفهرست / محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم / دار النشر: دار المعرفة / بيروت / ١٣٩٨هـ ـــ ١٩٧٨م
١٧٩) الفوائد / أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي / دار النشر: دار الكتب العلمية / بيروت / ١٣٩٣هـ ـــ ١٩٧٣م / الطبعة: الثانية
١٨٠) الفوائد في اختصار المقاصد / عبد العزيز بن عبد السلام السلمي / دار النشر: دار الفكر المعاصر/ دمشق / ١٤١٦هـ ـــ ١٩٩٦م / الطبعة: الأولى/ تحقيق: إياد خالد الطباع
١٨١) فيض القدير شرح الجامع الصغير / عبد الرؤوف المناوي / دار النشر: المكتبة التجارية الكبرى / مصر / ١٣٥٦هـ ـــ ١٩٣٦م
١٨٢) قاعدة في المحبة / أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس / دار النشر: مكتبة التراث الإسلامي / القاهرة / تحقيق: د. محمد رشاد سالم / (بدون طبعة)
١٨٣) القاموس المحيط / محمد بن يعقوب الفيروزآبادي / دار النشر: مؤسسة الرسالة / بيروت / (بدون طبعة)
١٨٤) قواطع الأدلة في الأصول / أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني / دار النشر: دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤١٨هـ ـــ ١٩٩٧م / تحقيق محمد حسن محمد إسماعيل الشافعي
١٨٥) القوانين الفقهية / محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي / دار النشر: دار الفكر للطباع والنشر / لبنان / بيروت / الطبعة: طبعة جديدة منقحة / ١٤٢٠هـ ـــ ٢٠٠٠م
١٨٦) الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل / عبد الله بن قدامة المقدسي أبو محمد / دار النشر: المكتب الإسلامي / بيروت / (بدون طبعة)
١٨٧) الكامل في التاريخ / أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ابن الأثير / دار النشر: دار الكتب العلمية / بيروت - ١٤١٥هـ ـــ ١٩٩٥م / الطبعة: الثانية / تحقيق: عبد الله القاضي
١٨٨) الكامل في ضعفاء الرجال / عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد أبو أحمد الجرجاني / دار النشر: دار الفكر / بيروت / ١٤٠٩ هـ ـــ ١٩٨٨م / الطبعة: الثالثة / تحقيق: يحيى مختار غزاوي
١٨٩) كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام (مجموع الفتاوى) / أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس / دار النشر: مكتبة ابن تيمية / الطبعة: الثانية / تحقيق: عبد الرحمن بن محمد النجدي
١٩٠) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل / أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي / دار النشر: دار إحياء التراث العربي / بيروت / تحقيق: عبد الرزاق المهدي / (بدون طبعة)
١٩١) كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس / إسماعيل بن محمد

العجلوني الجراحي / دار النشر: مؤسسة الرسالة / بيروت / ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م / الطبعة: الرابعة / تحقيق: أحمد القلاش
١٩٢) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون / مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي / دار النشر: دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م
١٩٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين / أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي / دار النشر: دار الوطن / الرياض / ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م / تحقيق: علي حسين البواب
١٩٤) كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار / تقي الدين أبي بكر بن محمد الحسيني الحصيني الدمشقي الشافعي / دار النشر: دار الخير / دمشق / ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م / الطبعة: الأولى / تحقيق: علي عبد الحميد بلطجي، و محمد وهبي سليمان
١٩٥) الكفاية في علم الرواية / أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي / دار النشر: المكتبة العلمية / المدينة المنورة / تحقيق: أبو عبد الله السورقي ، إبراهيم حمدي المدني / (بدون طبعة)
١٩٦) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية / أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي / دار النشر: مؤسسة الرسالة / بيروت / ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م / تحقيق: عدنان درويش ، محمد المصري
١٩٧) لسان العرب / محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري / دار النشر: دار صادر / بيروت / الطبعة: الأولى
١٩٨) اللمع في أصول الفقه / أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي / دار النشر: دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م / الطبعة: الأولى
١٩٩) لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد / أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي / دار النشر: الدار السلفية / الكويت / ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م / الطبعة: الأولى / تحقيق: بدر بن عبد الله البدر
٢٠٠) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية / شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي / الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها / دمشق /١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م / الطبعة: الثانية
٢٠١) مجلة الجامعة الإسلامية / غزة / فلسطين / سلسلة الدراسات الشرعية المجلد الثاني عشر / العدد: الثاني / يونيو ٢٠٠٤ م
٢٠٢) مجمع الأمثال / أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري / دار النشر: دار المعرفة / بيروت / تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد / (بدون طبعة)
٢٠٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / علي بن أبي بكر الهيثمي / دار النشر: دار الريان للتراث / دار الكتاب العربي / القاهرة ، بيروت / ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م

٢٠٤) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء / أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني / دار النشر: دار القلم / بيروت / ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م / تحقيق: عمر الطباع
٢٠٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي / دار النشر: دار الكتب العلمية / لبنان / ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م / الطبعة: الأولى / تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد
٢٠٦) المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل / عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية الحراني / دار النشر: مكتبة المعارف / الرياض / ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م/ الطبعة: الثانية
٢٠٧) المحلى / علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد / دار النشر: دار الآفاق الجديدة / بيروت / تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي / (بدون طبعة)
٢٠٨) مختار الصحاح / محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي / دار النشر: مكتبة لبنان ناشرون / بيروت / ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م / الطبعة: طبعة جديدة / تحقيق: محمود خاطر
٢٠٩) مختصر السيرة / محمد بن عبد الوهاب / دار النشر: مطابع الرياض / الرياض/ الطبعة: الأولى / تحقيق: عبد العزيز بن زيد الرومي ، د . محمد بلتاجي ، د . سيد حجاب
٢١٠) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة / محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الدمشقي ابن قيم الجوزية / اختصار الشيخ الفاضل محمد بن الموصلى / مكتبة المتنبي / القاهرة / ١٤٠١هـ ـ ١٩١٨م / الطبعة: الثانية
٢١١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين / محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله / دار الكتاب العربي / بيروت /١٩٧٣م ـ ١٣٩٣هـ / الطبعة: الثانية / تحقيق محمد حامد الفقي
٢١٢) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل / عبد القادر بن بدران الدمشقي / دار النشر: مؤسسة الرسالة / بيروت / ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م / الطبعة: الثانية / تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي
٢١٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح / علي بن سلطان محمد القاري / دار النشر: دار الكتب العلمية / لبنان/ بيروت / ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م / الطبعة: الأولى / تحقيق: جمال عيتاني
٢١٤) مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية / محمد بن عبد الوهاب / دار النشر: الجامعة الإسلامية / المدينة المنورة / ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م / تحقيق: محمود شكري الألوسي
٢١٥) المستدرك على الصحيحين / أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدوية الحاكم النيسابوري / دار النشر: دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م / الطبعة: الأولى / تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا
٢١٦) المستطرف في كل فن مستظرف / شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي / دار النشر: دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م / الطبعة: الثانية / تحقيق: مفيد محمد قميحة

٢١٧) مسند الإمام أحمد بن حنبل / أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني / دار النشر: مؤسسة قرطبة / مصر / (بدون طبعة)

٢١٨) المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم / أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الهراني الأصبهاني / دار النشر: دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م / الطبعة: الأولى / تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي

٢١٩) مشارق الأنوار على صحاح الآثار / القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي / دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث / (بدون طبعة)

٢٢٠) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي / أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي / المكتبة العلمية / بيروت / (بدون طبعة)

٢٢١) مصرع التصوف (تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي) / برهان الدين البقاعي / دار النشر: عباس أحمد الباز / مكة المكرمة / ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م/ تحقيق: عبد الرحمن الوكيل

٢٢٢) مصنف عبد الرزاق / أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني / دار النشر: المكتب الإسلامي / بيروت / ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م / الطبعة: الثانية / تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي

٢٢٣) مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى / مصطفى السيوطي الرحيباني / دار النشر: المكتب الإسلامي / دمشق / ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م

٢٢٤) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول / حافظ بن أحمد حكمي / دار النشر: دار ابن القيم / الدمام / ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م / الطبعة: الأولى / تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر

٢٢٥) المعارف / ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم / دار النشر: دار المعارف / القاهرة / تحقيق: دكتور ثروت عكاشة / (بدون طبعة)

٢٢٦) معالم أصول الدين/ فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي / دار النشر: دار الكتاب العربي / لبنان / ١٤٠٤هـ ـ١٩٨٤م / تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد

٢٢٧) معجم البلدان / ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله / دار النشر: دار الفكر / بيروت / (بدون طبعة)

٢٢٨) معجم ألفاظ القرآن الكريم / مجمع اللغة العربية / دار النشر: التراث للجميع / ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٣م / الطبعة: الأولى

٢٢٩) المعجم الأوسط / أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني / دار النشر: دار الحرمين / القاهرة / ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م / تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني

٢٣٠) المعجم الكبير / سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني / دار النشر: مكتبة الزهراء / الموصل / ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٣ م / الطبعة: الثانية / تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي

٢٣١) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار / دار النشر: المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع / استانبول / تركيا / تحقيق: مجمع اللغة العربية / الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث / الطبعة: الثانية

٢٣٢) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني / عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد / دار النشر: دار الفكر / بيروت / ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م / الطبعة: الأولى

٢٣٣) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج / محمد الخطيب الشربيني / دار النشر: دار الفكر / بيروت / (بدون طبعة)

٢٣٤) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة / محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله / دار النشر: دار الكتب العلمية / بيروت

٢٣٥) المفردات في غريب القرآن / أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الراغب الأصبهاني / دار النشر: دار المعرفة / لبنان / تحقيق: محمد سيد كيلاني / (بدون طبعة)

٢٣٦) مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد / الشيخ محمد بن عبد الوهاب / دار النشر: مطابع الرياض / الرياض / الطبعة: الأولى / تحقيق: فضيلة الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري

٢٣٧) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين / علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن / دار النشر: دار إحياء التراث العربي / بيروت / الطبعة: الثالثة / تحقيق: هلموت ريتر

٢٣٨) مقدمة ابن خلدون / عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي / دار النشر: دار القلم / بيروت / ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م / الطبعة: الخامسة

٢٣٩) الملل والنحل / محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني / دار النشر: دار المعرفة / بيروت / ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م / تحقيق: محمد سيد كيلاني

٢٤٠) منار السبيل في شرح الدليل / إبراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان / دار النشر: مكتبة المعارف / الرياض / ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م / الطبعة: الثانية / تحقيق: عصام القلعجي

٢٤١) مناصحة الإمام وهب بن منبه لرجل تأثر بمذهب الخوارج / عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم / دار النشر: مكتبة ابن قتيبة / دار السلف / السعودية / ١٤١٩هـ/ الطبعة: الأولى

٢٤٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم / عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج / دار النشر: دار صادر / بيروت / ١٣٥٨هـ ــ ١٩٣٩م / الطبعة: الأولى

٢٤٣) المنثور في القواعد / محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله / دار النشر: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية / الكويت / ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م / الطبعة: الثانية / تحقيق: د. تيسير فائق أحمد محمود

٢٤٤) منح الجليل شرح على مختصر سيد خليل / محمد عليش المالكي / دار النشر: دار الفكر / بيروت / ١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٩م

٢٤٥) منهاج السنة النبوية / أحمد بن عبد السلام بن تيمية الحراني أبو العباس / دار النشر: مؤسسة قرطبة / ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م / الطبعة: الأولى / تحقيق: د. محمد رشاد سالم

٢٤٦) منهاج الطالبين وعمدة المفتين / يحيى بن شرف النووي أبو زكريا / دار النشر: دار المعرفة / بيروت / (بدون طبعة)

٢٤٧) منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل وأثر المنهجين في العقيدة / جابر إدريس على أمير / دار النشر: مكتبة أضواء السلف / الرياض / ١٤٩١هـ ــ ١٩٩٨م / الطبعة: الأولى

٢٤٨) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات / محمد الأمين الشنقيطي / دار النشر: الدار السلفية / الكويت / ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م / الطبعة: الرابعة

٢٤٩) الموافقات في أصول الفقه / أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي الشهير بالشاطبي / دار النشر: دار المعرفة / بيروت / تحقيق: عبد الله دراز / (بدون طبعة)

٢٥٠) مواهب الجليل لشرح مختصر خليل / محمد بن عبد الرحمن المغربي أبو عبد الله / دار النشر: دار الفكر / بيروت / ١٣٩٨ هـ ــ ١٩٧٨م / الطبعة: الثانية

٢٥١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة / إشراف وتخطيط ومراجعة د. مانع بن حماد الجهني / دار النشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع / الرياض / ١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٣م / الطبعة: الخامسة

٢٥٢) موطأ الإمام مالك / مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي / دار النشر: دار إحياء التراث العربي / مصر / تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي / (بدون طبعة)

٢٥٣) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر / جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي / دار النشر: مؤسسة الرسالة / لبنان / بيروت / ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م / الطبعة: الأولى / تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي

٢٥٤) النهاية في غريب الحديث والأثر/ أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير / دار النشر: المكتبة العلمية / ١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م / تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي

٢٥٥) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار / محمد بن علي بن محمد الشوكاني / دار النشر: دار الجيل / بيروت / ١٣٩٣هـ ــ ١٩٧٣م

٢٥٦) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى / أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي / دار النشر: الجامعة الإسلامية / المدينة المنورة / ١٣٩٦ هـ ــ ١٩٧٨م

٢٥٧) هدي الساري مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري / أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي / دار النشر: دار المعرفة / بيروت / ١٣٧٩هـ ــ ١٩٥٧م / تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، محب الدين الخطيب

٢٥٨) الوافي بالوفيات / صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي / دار النشر: دار إحياء التراث / بيروت / ١٤٢٠هـ ــ ٢٠٠٠م / تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى
٢٥٩) الورقات / عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني / تحقيق: د. عبد اللطيف محمد العبد / (*بدون* طبعة)
٢٦٠) وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان / أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان / دار النشر: دار الثقافة / لبنان / تحقيق: احسان عباس / (بدون طبعة)